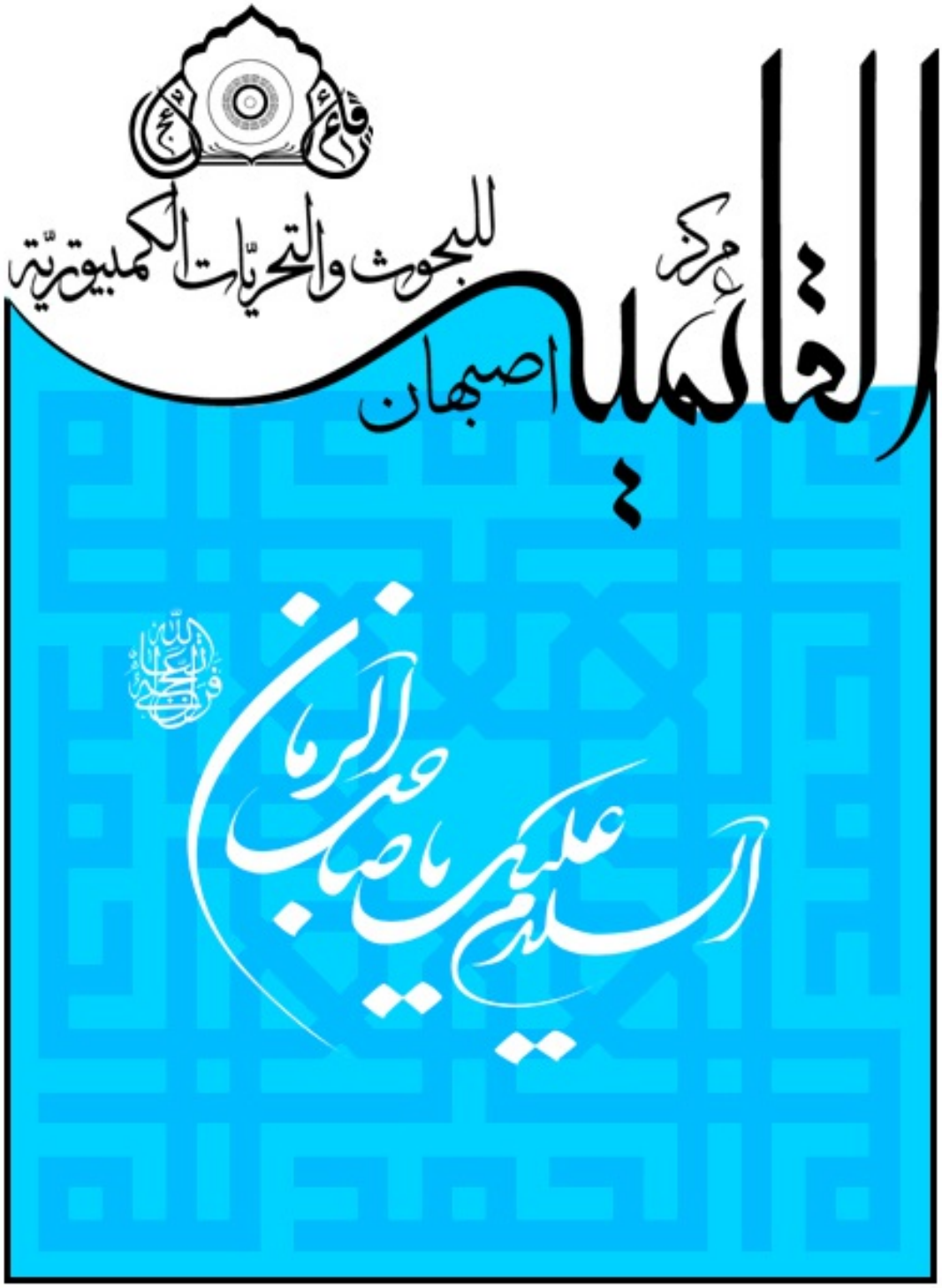

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

٣٩١

محاضرات
الأستاذ الشيخ
جعفر بن محمد الهادي آل الشيخ راضي

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

دراسة تحليلية شاملة للشخصية والسيرة المحمدية
في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية

بقلم
جعفر الهادي

الجزء الاول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

سیدالمرسلین صلی الله علیه و آله

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله المجلد۱ ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
الجزء الاول ----- ۲۵
[المقدمات] ----- ۲۵
[مقدمة الناشر] ----- ۲۵
[مقدمة المترجم] ----- ۲۶
السیرة المحمّدیة مدرسة الأجیال ----- ۲۶
مقدّمة المحاضر ----- ۲۷
التاریخ فی أعظم حماساته ----- ۲۷
مزایا هذا الکتاب: ----- ۳۱
سیّد المرسلین فی ضوء القرآن الکریم ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
۱ شبه الجزیرة العربیة ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۸
مکة المعظمة: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
تاریخ مکة: ----- ۳۹
المدینة المنوّرة: ----- ۳۹
۲ العرب قبل الإسلام ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
أخلاق العرب و تقالیدهم العامة: ----- ۴۳
هل کان للعرب حضارة قبل الإسلام؟ ----- ۴۴

ملامح المجتمع الجاهلی العربی فی منظور القرآن: ---- ۴۵
اشارة ---- ۴۵
۱- الشرک فی العبادة: ---- ۴۶
۲- إنکار المعاد: ---- ۴۶
۳- هیمنة الخرافات: ---- ۴۷
۴- الفساد الاخلاقی: ---- ۴۸
۵- وأد البنات و إقبارهن: ---- ۴۸
۶- تصوراتهم الخرافیة حول الملائکة: ---- ۴۹
۷- کیفیة الانتفاع من الانعام: ---- ۴۹
۸- الاستقسام بالازلام: ---- ۵۰
۹- النسیء: ---- ۵۰
۱۰- الربا: ---- ۵۱
صور من الوضع الجاهلی ---- ۵۱
العقیدة و الدین فی الجزیرة العربیة: ---- ۵۲
عقیدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت: ---- ۵۴
الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسیاتها: ---- ۵۵
مکانة المرأة عند العرب الجاهلیة: ---- ۵۶
المرأة و مکانتها الاجتماعیة عند العرب: ---- ۵۷
مقارنة بسیطة: ---- ۵۹
العرب و الرّوح القتالیة: ---- ۵۹
الاخلاق العامة فی المجتمع الجاهلی العربی: ---- ۶۱
النزوع الی الخرافة و الاساطیر فی المجتمع الجاهلی: ---- ۶۲
الخرافات فی عقائد العرب الجاهلیة: ---- ۶۳
نماذج من الخرافات فی المجتمع الجاهلی: ---- ۶۴

اشارة ----- ۶۴
۱- الاستسقاء باشعال النيران: ----- ۶۴
۲- ضرب الثور اذا عافت البقر: ----- ۶۵
۳- كيّ صحيح الإبل ليبرأ السقيم: ----- ۶۵
۴- حبس ناقة عند القبر اذا مات كريم: ----- ۶۵
۵- عقر الإبل على القبور: ----- ۶۶
۶- نهيق الرجل إذا اراد دخول القرية (التعشير): ----- ۶۶
۷- تصفيق الضالّ فی الصحراء ليهتدی: ----- ۶۶
۸- الرتم: ----- ۶۷
۹- وطی المرأة القتيل الشريف لبقاء ولدها: ----- ۶۷
۱۰- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت: ----- ۶۷
۱۱- تعليق النجاسة على الرجل وقاية من الجنون: ----- ۶۷
۱۲- دم الرئيس يشفی: ----- ۶۸
۱۳- شق البرقع و الرداء يوجب الحب المتقابل: ----- ۶۸
۱۴- معالجة المرضی بالامور العجيبة: ----- ۶۸
۱۵- خرافات فی مجال الغائب: ----- ۶۹
۱۶- عقائدهم العجيبة فی الجنّ و تأثيره: ----- ۶۹
۱۷- تشاءمهم بالحيوانات و الطيور و الاشياء: ----- ۷۰
مكافحة الإسلام لهذه الخرافات: ----- ۷۰
أوضاع العرب الاجتماعية قبيل ظهور الإسلام: ----- ۷۲
دول الحيرة و غسّان: ----- ۷۴
الدين فی أرض الحجاز: ----- ۷۵
العلم و الثقافة فی الحجاز: ----- ۷۷
الإمام علیّ يصف العهد الجاهليّ: ----- ۷۷

فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلی: ۸۰
جعفر بن ابی طالب یصف العهد الجاهلی: ۸۱
۳ إمبراطوریّتا الروم و إیران إبّان عهد الرّسالة ۸۱
اشارة ۸۱
أوضاع الروم ابان عهد الرسالة: ۸۲
اشارة ۸۲
ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی: ۸۲
أوضاع إیران إبان عهد الرسالة: ۸۴
اشارة ۸۴
البذخ و الترف فی البلاط الساسانی: ۸۴
الوضع الاجتماعی فی ایران: ۸۵
حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!: ۸۶
صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز: ۸۸
حکم التاریخ فی الملوک الساسانیین: ۸۹
الفوضی فی الحکومة الساسانیة: ۹۰
الفوضی الدینیة فی ایران الساسانیین: ۹۱
الحروب الإیرانیة الرومیة: ۹۳
۴ أسلاف رسول الإسلام (ص) ۹۴
اشارة ۹۴
۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل علیه السّلام ۹۴
اشارة ۹۴
مولد إبراهیم: ۹۵
إبراهیم و مکافحته للوثنیة: ۹۷
حوار الخلیل مع عبدة الکواکب: ۹۸

طریقة الأنبیاء فی الحوار و الجدال: ۱۰۰
هل کان آزر والد إبراهیم؟ ۱۰۱
القرآن ینفی ابوّة «آزر» لإبراهیم: ۱۰۲
إبراهیم محطّم الأصنام: ۱۰۳
العبر القیامة فی هذه القصة: ۱۰۵
هجرة الخلیل علیه السّلام: ۱۰۷
عین زمزم کیف ظهرت؟ ۱۰۸
تجدید اللقاء: ۱۰۹
۲- قصیّ بن کلاب: ۱۱۰
۳- عبد مناف: ۱۱۱
۴- هاشم: ۱۱۲
اشارة ۱۱۲
امیّة بن عبد شمس یحسد هاشما: ۱۱۳
هاشم یتزوّج ... ۱۱۴
۵- عبد المطّلب: ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
حفر زمزم: ۱۱۶
التفانی فی سبیل الوفاء بالعهد و النذر: ۱۱۷
حادثة عام الفیل: ۱۱۸
اشارة ۱۱۸
ما هی عوامل هذه الحادثة؟ ۱۱۹
عبد المطّلب یذهب الی معسکر أبرهة: ۱۲۱
انتظار قریش: ۱۲۱
کلمة حول المعجزة: ۱۲۲

نقاط تقتضی التأمل فی التفسیر المذکور: ۱۲۴
نقطتان هامّتان: ۱۲۵
بحث علمیّ حول المعجزة فی خمس نقاط: ۱۲۶
اشارة ۱۲۶
۱- ما هی المعجزة و ما هو تعریفها؟ ۱۲۷
۲- هل الاعجاز یهدم القوانین العقلیة المسلّمة؟ ۱۲۸
اشارة ۱۲۸
أ- العلة الطبیعیة العادیة ۱۲۸
ب- العلة الطبیعیة غیر العادیة و غیر المعروفة ۱۲۸
ج- تأثیر النفوس و الارواح: ۱۲۹
د- العلل المجردة عن المادة: ۱۲۹
۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادیة غیر معروفة فقط؟ ۱۳۰
۴- کیف تدلّ المعجزة علی صحّة ادّعاء النبوّة؟ ۱۳۰
۵- بما ذا نمیز المعاجز عن غیرها من الخوارق؟ ۱۳۱
أوهام قریش تتفاقم!! ۱۳۵
عبد اللّه والد النبیّ: ۱۳۶
اشارة ۱۳۶
دور الأیادی المشبوهة فی تاریخ الإسلام: ۱۳۷
قصّة فاطمة الخثعمیّة: ۱۳۸
اشارة ۱۳۸
علائم الاختلاق فی هذه القصة! ۱۳۸
طهارة النبیّ من دنس الآباء و عهر الامهات: ۱۳۹
وفاة عبد اللّه فی «یثرب»: ۱۴۰
۵ مولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ۱۴۱

اشارة ----- ۱۴۱
فترة الطفولة فی حیاة العظماء: ----- ۱۴۲
فی أیّ یوم ولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ ----- ۱۴۴
أیّ هذین القولین هو الصحیح؟ ----- ۱۴۴
فترة الحمل: ----- ۱۴۵
مؤاخذات و إشکالات علی هذا البیان: ----- ۱۴۶
الاحتفال بذکری المولد النبوی: ----- ۱۴۷
مراسم تسمیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۴۸
خطأ المستشرقین: ----- ۱۴۹
«أحمد» کان من أسماء النبیّ المشهورة: ----- ۱۵۰
فترة الرّضاع فی حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۵۱
نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع: ----- ۱۵۳
۶ فترة الطفولة فی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
۱- الماديّون، و جماعة من المستشرقین: ----- ۱۵۴
خمسة أعوام فی الصحراء: ----- ۱۵۶
۷ العودة إلی أحضان العائلة ----- ۱۵۷
اشارة ----- ۱۵۷
سفرة إلی یثرب: ----- ۱۵۸
وفاة عبد المطّلب: ----- ۱۵۹
کفالة أبی طالب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۱۵۹
سفرة إلی الشام: ----- ۱۶۰
اکذوبة المستشرقین: ----- ۱۶۱
نظرة إجمالیّة إلی التوراة الحاضرة: ----- ۱۶۳

اشارة ----- ۱۶۳
۱- داود علیه السّلام: ----- ۱۶۴
۲- النبیّ سلیمان علیه السّلام: ----- ۱۶۴
۳- یعقوب علیه السّلام: ----- ۱۶۵
۴- إبراهیم علیه السّلام: ----- ۱۶۵
۵- المسیح علیه السّلام: ----- ۱۶۶
۸ فترة الشباب فی حیاة النبیّ الاکرم ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۸
رسول اللّه و قدرته الروحیّة: ----- ۱۶۸
حروب الفجار: ----- ۱۶۸
اشارة ----- ۱۶۸
الفجار الأوّل: ----- ۱۶۹
الفجار الثّانی: ----- ۱۷۰
الفجار الثالث: ----- ۱۷۰
الفجار الرابع: ----- ۱۷۰
حلف الفضول: ----- ۱۷۱
۹ من فترة الشباب الی مزاولة التجارة ----- ۱۷۳
اشارة ----- ۱۷۳
سبب آخر لرعی الغنم: ----- ۱۷۴
سبب ثالث: ----- ۱۷۴
اقتراح أبی طالب: ----- ۱۷۵
هل عمل النبی أجیرا لخدیجة؟ ----- ۱۷۵
خدیجة زوجة الرّسول الاولی: ----- ۱۷۷
اشارة ----- ۱۷۷

خديجة فی أحاديث الرسول صلّی اللّه عليه و آله: ۱۷۸
افتخار اهل البيت بخديجة عليها السّلام: ۱۸۳
العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبیّ صلّی اللّه عليه و آله: ۱۸۴
كيف تمّت خطبة خديجة؟ ۱۸۶
عمر خديجة عند زواجها بالنبیّ صلّی اللّه عليه و آله: ۱۸۷
۱۰ من الزواج الی البعثة ۱۸۷
اشارة ۱۸۷
فترة الشباب فی حياة رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: ۱۸۸
احاسيسه و مشاعره الإنسانية فی فترة الشباب: ۱۸۸
أولاد خديجة: ۱۸۹
حدس لا أساس له من الواقع!! ۱۸۹
دعیّ رسول اللّه: زيد بن حارثة: ۱۹۰
بداية الخلاف بين الوثنيّين: ۱۹۰
أعمدة الوثنيّة تهتزّ: ۱۹۱
نموذج آخر عن ضعف قريش: ۱۹۲
أمين قريش يكفل عليّا: ۱۹۴
ايمان النبی و آبائه و كفلائه قبل الإسلام: ۱۹۴
ايمان جده عبد المطّلب: ۱۹۵
إيمان كفيله و عمه أبی طالب: ۱۹۷
إيمان والدی النبی الاكرم: ۱۹۷
ايمان النبی باللّه و توحيده قبل البعثة: ۱۹۸
الآية الاولی: الهداية بعد الضلالة ۲۰۱
الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز ۲۰۳
الآية الرابعة: عدم رجائه إلقاء الكتاب إليه ۲۰۴

الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته ----- ۲۰۶
۱۱ بدء الوحی ----- ۲۰۷
اشارة ----- ۲۰۷
دور الأنبیاء فی اصلاح المجتمع: ----- ۲۰۹
مثال واضح فی المقام: ----- ۲۰۹
أمین قریش فی غار حراء: ----- ۲۱۱
بدء الوحی: ----- ۲۱۱
ظاهرة القضایا الغیبیّة فی منظار المادیّین: ----- ۲۱۲
الروح المجردة: ----- ۲۱۳
ظاهرة الوحی عند المادیّین: ----- ۲۱۴
أبرز النظریات المادیة لظاهرة الوحی: ----- ۲۱۴
ظاهرة الوحی فی منظار العقل و الدین: ----- ۲۱۸
قنوات المعرفة الثلاث: ----- ۲۱۹
أنواع الوحی و اصنافه: ----- ۲۲۰
أساطیر مختلفة: ----- ۲۲۰
اشارة ----- ۲۲۱
بقیة حادثة نزول الوحی: ----- ۲۲۱
خدیجة تذهب إلی ورقة بن نوفل: ----- ۲۲۲
بطلان هذه المزاعم: ----- ۲۲۳
۱۲ متی نزل الوحی أولا؟ ----- ۲۲۴
اشارة ----- ۲۲۴
[الرأی المشهور بین علماء السنة و استدلالهم] ----- ۲۲۵
ما أجاب به علماء الشیعة: ----- ۲۲۵
اشارة ----- ۲۲۵

الجواب الأوّل: ۲۲۵
الجواب الثانی: ۲۲۶
الجواب الثالث: التفکیک بین نزول القرآن و البعثة ۲۲۷
الأنبیاء و البشارة برسول اللّه: ۲۲۸
محمّد خاتم الأنبیاء: ۲۲۹
۱۳ ما سبقنی أحد ۲۳۰
أوّل من آمن بالنبیّ من الرجال و النّساء: ۲۳۰
اشارة ۲۳۰
من النساء: «خدیجة» ۲۳۱
أقدم الرجال اسلاما: «علیّ» ۲۳۱
اشارة ۲۳۱
[الدلائل التأریخیة و النصوص الدالة علی أسبقیة الإمام علی] ۲۳۱
اشارة ۲۳۱
۱- علیّ تربّی فی حجر النبیّ ۲۳۲
۲- علیّ و خدیجة یقیمان الصلاة مع النبیّ: ۲۳۳
۳- أنا الصدّیق الأکبر: ۲۳۳
۴- أوّلکم إسلاما: علی ۲۳۴
النصوص النبویة: ۲۳۴
کلمات امیر المؤمنین علیه السّلام: ۲۳۵
کلمة الإمام السبط الحسن علیه السّلام: ۲۳۷
رأی الصحابة و التابعین فی أوّل من أسلم ۲۳۷
مناظرة بین المأمون و اسحاق [فی إسلام علی ع]: ۲۴۵
قضیّة «انقطاع الوحی»: ۲۴۶
اشارة ۲۴۶

اسطورة و ليس تاريخا! ----- ۲۴۷
إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحى»: ----- ۲۴۸
اشارة ----- ۲۴۸
الاختلاف فى مدة انقطاع الوحى: ----- ۲۵۰
۱۴ الدعوة السرّيّة و دعوة الأقربين ----- ۲۵۱
اشارة ----- ۲۵۱
دعوة الأقربين: ----- ۲۵۲
اشارة ----- ۲۵۲
كيفيّة دعوة الأقربين: ----- ۲۵۴
خيانة تاريخيّة و جناية أدبيّة!! ----- ۲۵۵
النبوّة و الإمامة توأمان: ----- ۲۵۷
۱۵ الدعوة العامّة ----- ۲۵۸
اشارة ----- ۲۵۸
الثبات و الاستقامة على طريق الهدف: ----- ۲۵۸
ثبات النبى صلّى اللّه عليه و آله و صبره: ----- ۲۵۹
قريش تمشى إلى أبى طالب للمرّة الثالثة: ----- ۲۶۱
قريش تحاول تطميع رسول اللّه! ----- ۲۶۱
نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ----- ۲۶۲
أبو جهل يكمن لرسول اللّه: ----- ۲۶۵
ابو لهب يؤذى رسول اللّه: ----- ۲۶۵
صبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و استقامته: ----- ۲۶۶
إيذاء المسلمين و تعذيبهم! ----- ۲۶۶
اشارة ----- ۲۶۶
۱- بلال الحبشى: ----- ۲۶۶

۲- آل یاسر رمز الصمود و المقاومة! ----- ۲۶۷
۳- عبد اللّه بن مسعود: ----- ۲۶۸
۴- أبو ذر: أوّل المجاهدین بالإسلام ----- ۲۶۹
قبیلة غفار تعتنق الإسلام: ----- ۲۷۰
أعداء النبی الألدّاء: ----- ۲۷۱
عمر بن الخطاب یعتنق الإسلام: ----- ۲۷۲
۱۶ رأی قریش فی القرآن ----- ۲۷۴
اشارة ----- ۲۷۴
حکم الولید فی القرآن: ----- ۲۷۵
نموذج آخر [من حکم البلغاء فی شأن القرآن]: ----- ۲۷۶
تحججات قریش العجیبة: ----- ۲۷۷
الدوافع وراء معاداة قریش و عنادهم: ----- ۲۸۰
اشارة ----- ۲۸۰
۱- حسدهم للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ----- ۲۸۱
۲- معارضة الدعوة الإسلامیة لشهواتهم: ----- ۲۸۱
۳- الخوف من عقوبات الیوم الآخر: ----- ۲۸۲
۴- الخوف من القبائل العربیة المشرکة: ----- ۲۸۲
طائفة من اعتراضات المشرکین: ----- ۲۸۳
القرآن و النزول التدریجیّ: ----- ۲۸۳
الأسرار المنطقیّة للنزول التدریجی للقرآن: ----- ۲۸۵
اشارة ----- ۲۸۵
أسرار اخری لنزول القرآن تدریجا: ----- ۲۸۶
۱۷ الی الحبشة ----- ۲۸۸
الهجرة الاولی ----- ۲۸۸

الهجرة الثانية الى الحبشة: ۲۹۰
قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين: ۲۹۰
العودة من الحبشة: ۲۹۳
وفد مسيحيّ لتقصّى الحقائق يدخل مكة: ۲۹۵
قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق: ۲۹۵
۱۸ الأسلحة الصديئة و الاساليب الفاشلة ۲۹۶
اشارة ۲۹۶
۱- الاتّهامات الباطلة: ۲۹۷
اشارة ۲۹۷
الإصرار فى نسبة الجنون إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ۲۹۹
۲- القرآن يرد على جميع الاتهامات: ۳۰۰
اشارة ۳۰۰
فكرة معارضة القرآن: ۳۰۲
تحججات صبيانيّة و جاهليّة: ۳۰۲
مقترحات عجيبة و مطاليب غريبة: ۳۰۴
صبر النبيّ و استقامته و ثباته: ۳۰۵
معاجز النبيّ لم تنحصر فى القرآن: ۳۰۵
اشارة ۳۰۵
۱- شقّ القمر ۳۰۶
۲- المعراج ۳۰۶
۳- مباهلة أهل الباطل ۳۰۶
۴- الاخبار بالمغيبات ۳۰۶
اصرار النبيّ على هداية قريش: ۳۰۷
۳- تحريم استماع القرآن ۳۰۸

اشارة ----- ۳۰۸
واضعوا القرار ينقضون قرارهم!! ----- ۳۰۹
۴- منع الاشخاص من الايمان برسول اللّه ----- ۳۰۹
اشارة ----- ۳۰۹
۱- «الاعشى»: ----- ۳۱۰
۲- الطفيل بن عمرو الدوسىّ: ----- ۳۱۰
۱۹ اسطورة الغرانيق ----- ۳۱۱
اشارة ----- ۳۱۱
ما هى اسطورة الغرانيق؟! ----- ۳۱۲
محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة ----- ۳۱۳
رأى العقل فى هذه القصة: ----- ۳۱۳
تكذيب القصّة من طريق آخر ----- ۳۱۴
دليل لغوىّ على تفنيد هذه الاسطورة ----- ۳۱۵
اشارة ----- ۳۱۵
۱- ما هو المقصود من تمنى الأنبياء و الرسل ----- ۳۱۷
۲- ما هو المقصود من تدخّل الشيطان؟ ----- ۳۱۷
۳- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟ ----- ۳۱۸
۲۰ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى ----- ۳۱۹
اشارة ----- ۳۱۹
قريش تحاصر النبىّ و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا ----- ۳۲۰
اشارة ----- ۳۲۰
[قريش و الصحيفة القاطعة] ----- ۳۲۰
وضع بنى هاشم المأساوى فى الشعب ----- ۳۲۱
۲۱ وفاة أبى طالب و خديجة الكبرى ----- ۳۲۵

اشارة ----- ۳۲۵
نماذج من مشاعر أبی طالب ----- ۳۲۷
اشارة ----- ۳۲۷
التغییر فی برنامج السفر ----- ۳۲۹
الدفاع عن حوزة العقیدة و الایمان ----- ۳۳۰
تصوّر باطل [عن مشاعر أبی طالب تجاه النبی ص] ----- ۳۳۱
الدافع الحقیقیّ لأبی طالب ----- ۳۳۱
لمحات من تضحیات أبی طالب ----- ۳۳۲
قضیّة ذات بواعث سیاسیّة: ----- ۳۳۳
الأدلّة علی إیمان أبی طالب ----- ۳۳۴
اشارة ----- ۳۳۴
۱- آثار أبی طالب العلمیّة و الأدبیة ----- ۳۳۴
الطریق الثانی لا ثبات إیمان أبی طالب ----- ۳۳۵
وصیة أبی طالب عند وفاته ----- ۳۳۶
[۳- شهادات أقرباء أبی طالب من أهل البیت] ----- ۳۳۷
رأی علماء الشیعة فی أبی طالب ----- ۳۳۷
نظرة إلی حدیث «الضحضاح» ----- ۳۳۸
اشارة ----- ۳۳۸
۱- ضعف أسناد هذه الروایة ----- ۳۳۸
اشارة ----- ۳۳۸
الف: سفیان بن سعید الثوری ----- ۳۳۸
باء: عبد الملک بن عمیر ----- ۳۳۹
جیم: عبد العزیز بن محمد الدراوردی ----- ۳۳۹
۲- نص حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنة ----- ۳۳۹

اشارة ----- ۳۳۹
الف: القرآن الکریم ----- ۳۴۰
ب: السنة النبویة ----- ۳۴۰
۲۲- المعراج فی نظر القرآن و السنة و التاریخ ----- ۳۴۰
اشارة ----- ۳۴۰
هل للمعراج جذور قرآنیة؟ ----- ۳۴۲
أحادیث المعراج: ----- ۳۴۳
متی وقعت هذه الحادثة؟ ----- ۳۴۴
هل کان المعراج جسمانیا؟ ----- ۳۴۵
ما هو المراد من المعراج الروحانی؟ ----- ۳۴۶
اشارة ----- ۳۴۶
الجواب: ----- ۳۴۷
نغمة شاذة: ----- ۳۴۷
المعراج و قوانین العلم الحدیث: ----- ۳۴۸
اشارة ----- ۳۴۸
جوابنا: ----- ۳۴۹
الهدف من المعراج: ----- ۳۵۱
۲۳ سفرة إلی الطائف ----- ۳۵۲
اشارة ----- ۳۵۲
النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی مکة: ----- ۳۵۴
نقطة هامة: ----- ۳۵۶
الدعوة فی أسواق العرب: ----- ۳۵۶
دعوة رؤساء القبائل فی مواسم الحج: ----- ۳۵۷
۲۴ بیعة العقبة ----- ۳۵۸

اشارة ----- ۳۵۸
وقعة بعاث: ----- ۳۵۹
اشارة ----- ۳۵۹
تفصیل الحادث: ----- ۳۶۰
بیعة العقبة الاولی: ----- ۳۶۰
بیعة العقبة الثانیة: ----- ۳۶۱
أوضاع المسلمین بعد بیعة العقبة: ----- ۳۶۲
ردود فعل قریش تجاه بیعة العقبة: ----- ۳۶۴
تأثیر الاسلام و نفوذه المعنوی: ----- ۳۶۵
مخاوف قریش المتزایدة: ----- ۳۶۷
۲۵ قصّة الهجرة ----- ۳۶۸
حوادث السنة الاولی من الهجرة ----- ۳۶۸
اشارة ----- ۳۶۸
الإمدادات الغیبیة و العنایات الالهیة: ----- ۳۶۹
ملک الوحی یخبر رسول اللّه: ----- ۳۷۰
اقتحام الاعداء لبیت الوحی: ----- ۳۷۲
النبیّ فی غار ثور: ----- ۳۷۳
قریش تفتش عن النبیّ: ----- ۳۷۳
التفانی فی سبیل الحق: ----- ۳۷۴
کلام من ابن تیمیة: ----- ۳۷۶
اشارة ----- ۳۷۶
الجواب: ----- ۳۷۷
الجواب التفصیلی: ----- ۳۷۷
الخطیب و قضیة المبیت: ----- ۳۷۹

بقیة قصة هجرة النبیّ: ۳۷۹
الخروج من الغار: ۳۸۱
صفحة التاریخ الاولی: ۳۸۱
لما ذا أصبح العام الهجری مبدأ للتاریخ: ۳۸۲
من الذی جعل الهجرة مبدأ للتاریخ؟ ۳۸۲
نماذج من رسائل النبیّ المؤرخة: ۳۸۳
اشارة ۳۸۳
سؤال: ۳۸۵
الجواب: ۳۸۵
التذکیر بنقطتین: ۳۸۶
مؤامرة الطاغوت: ۳۸۶
برنامج الرحلة فی حادث الهجرة: ۳۸۷
النزول فی قریة قباء: ۳۸۸
المدینة تهبّ لقدوم النبیّ: ۳۸۹
النبیّ یدخل المدینة: ۳۹۱
أصل النفاق و منشؤه: ۳۹۲
الفهارس ۳۹۲
اشارة ۳۹۳
(۱) فهرس الآیات القرآنیة ۳۹۳
(۲) فهرس الأحادیث الشریفة ۳۹۸
(۳) فهرس الأشعار ۴۰۱
(۴) فهرس الأعلام ۴۰۴
(۵) فهرس القبائل و الامم ۴۱۷
(۶) الکنی و الألقاب ۴۱۹

(۷) فهرس الوقائع و الأيام ---- ۴۲۲

(۸) فهرس الأماكن و البلدان ---- ۴۲۳

(۹) المذاهب و الأديان و نظم الحكم ---- ۴۲۷

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا ---- ۴۲۷

۱۱- فهرس المواضيع ---- ۴۲۸

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۴۳۹

سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله المجلد۱

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی، جعفر ،۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله/ تالیف جعفر السبحانی.

مشخصات نشر : [قم]: الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم، موسسه النشر الاسلامی، ۱۴۱۲ق= ۱۳۷۰ -

فروست : موسسه النش‌رالاسلامی التابعه لجماعه المدرسین بقم المشرفه؛ ۳۹۰، ۳۹۱.

شابک : دوره ۰-۳۹۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ ۲۸۰۰۰ ریال: ج.۸۱-۷۱۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ ۴۵۰۰۰ ریال (ج.۱، چاپ دوم)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : ج.۱ (چاپ دوم: ۱۴۲۷ق. = ۱۳۸۵).

یادداشت : کتابنامه.

شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفترانتشارات اسلامی

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/س۲س۹ ۱۳۷۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۱-۱۱۴۶

الجزء الاول

[المقدمات]

[مقدمة الناشر]

بسم اللّه الرحمن الرحیم لم تزل السیرة المحمّدیة العطرة فی جمیع أبعادها موضع اهتمام الامة الاسلامیّة من لدن بزوغ فجر الاسلام العظیم، و منذ الأیام الأولی من البعثة النبویة الشریفة.

و لا غرو فقد کان الرسول الأکرم محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله یجسد بسیرته المثلی قیم الدین و یمثل بأخلاقه السامیة أخلاق القرآن، و یعکس بمواقفه الرشیدة و بإدارته الحکیمة لشؤون الامة طریقة الاسلام فی إداره دفة الحیاة.

هذا مضافا إلی أنه کان القدوة التی أمر اللّه تعالی المسلمین بالاقتداء بها، و اقتفاء أثرها، کما أنه کان الظاهرة الفریدة الباهرة فی الأدب الرفیع و الانسانیة الشفافة و العاطفة الصادقة و الرحمة و اللطف، و غیرها ممّا کانت تفتقر بیئة ظهور الاسلام الاولی إلیه و تتعطش إلی مثله.

من هنا أخذ المسلمون یهتمّون بکل حرکات الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سکناته، و یتأمّلون فی جمیع أعماله و تصرّفاته فاذا رأوا منه خلقا بادروا إلی تکراره فی سلوکهم، و اذا شاهدوا منه عملا أسرعوا إلی فعله فی حیاتهم، و عمدوا فی المال إلی تسجیل کل صغیرة و کبیرة فی هذا المجال، و ضبط کل دقیقة و جلیلة فی هذا الصعید.

و فعلا کانت هذه السیرة الطیّبة العطرة المقدّسة هی المنهج العملی للمسلمین، و هی سرّ تقدّمهم، و هی رمز عظمتهم و سموّهم، و علوّ شأنهم و شأوهم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴

و لا تزال هذه السیرة المشرفة الیوم قادرة علی أن تکون ضوء المسیرة، و مشعل الطریق، و منهج العمل و مفتاح الانتصار فی معرکتنا ضدّ قوی الشرّ و الطغیان.

و حیث إن امورا أقحمت فی هذه السیرة، کما أنّ تطور الزمن و کیفیة الدراسات اقتضیا إخراج دراسات فی مجال السیرة تتناول البعد الذاتی و الرسالیّ و السیاسیّ و القیادیّ و العسکریّ لسیّد المرسلین صلّی اللّه علیه و آله بالتحقیق و التحلیل، و تتناسب مع حاجة العصر و لغته، لهذا رأت مؤسسة النشر الإسلامی أن تقدّم للجیل الحاضر خاصة و للمسلمین عامة هذه الدراسة القیامة فی سیرة خاتم الأنبیاء محمّد صلّی اللّه علیه و آله لا تسأمها بکثیر من هذه المواصفات.

و الدراسة هی مجموعة محاضرات للاستاذ المحقّق الشیخ جعفر السبحانی الذی عرف فی الأوساط الاسلامیة بتحقیقاته العمیقة فی الکتاب و السنّة و العقیدة و التاریخ.

و فی الوقت الذی تقوم به المؤسسة- و للّه الحمد- بطبع هذه الدراسة القیامة و نشرها بعد مقابلتها تقدّم جزیل شکرها و امتنانها لسماحة الاستاذ الألمعی الشیخ جعفر الهادی لما بذله من جهود وافرة من تعریبها و استخراج النصوص من مصادرها سائلة اللّه سبحانه له و لسماحة الشیخ المحاضر و لها المزید من التوفیق، کما و تدعو المولی عزّ و علا أن یتقبّل منا جمیعا و أن تشملنا شفاعة الرسول الأعظم و آله الأطهار علیهم السّلام فی یوم الحشر إنه خیر موفّق و معین.

مؤسسة النشر الاسلامی

التابعة لجماعة المدرّسین بقم المشرّفة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵

[مقدمة المترجم]

السیرة المحمّدیة مدرسة الأجیال

«لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» القرآن الکریم

النبیّ الأکرم «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله اسوة للمسلمین ... اسوة یقتدون بها فی جمیع مناحی حیاتهم: الفردیة و الاجتماعیة، و السیاسیة ... اسوة إلی الأبد ... فی کل زمان و مکان، فی کل عصر و مصر، لجمیع المسلمین من کل لون و لغة.

و لکن کیف یتأسّی المسلمون- فی مختلف الأجیال و الأدوار- برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و کیف یقتدون بسیرته المثلی، و یهتدون بهدیه العظیم؟

إنّ هذا لا یتسنّی إلّا إذا کانت حیاة رسول الإسلام بجمیع خصوصیاتها، و تفاصیلها، و فی جمیع مجالاتها و نواحیها، مدوّنة مسجّلة، بل و محلّلة تحلیلا دقیقا و عمیقا.

من هنا فان الضرورة تقضی بوجود تاریخ مدوّن، مشفوع بالتحلیل الدقیق، و الدراسة الموضوعیة لشخصیة و سیرة سید المرسلین صلّی اللّه علیه و آله فی کافة مجالاتها الشخصیة و الرسالیة و السیاسیة و العسکریة.

حقا إن فی حیاة رسول الإسلام العظیم «محمّد بن عبد اللّه» صلّی اللّه علیه و آله- کما هو واضح لمن تتبع و تصفح- امورا دقیقة، و لکن بالغة العظمة فی مدالیلها و معانیها، بالغة الأهمیّة فی معطیاتها و دروسها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶

فرسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلم هو خاتم الأنبیاء، و رسالته و شریعته خاتمة الرسالات و الشرائع و نهضته هی النهضة الکبری التی مهّد لها الأنبیاء السابقون، و قد فتحت هذه النهضة الالهیة صفحة جدیدة فی حیاة البشریة، و غیّرت مسار التاریخ الإنسانی

تغییرا جذریا، و أسست حضارة کبری لا تزال أمواجها- رغم مرور أربعة عشر قرنا- حیة نابضة، فاعلة، تهز الضمائر، و تتفاعل مع العقول.

و لهذا فإنّ السیرة المحمّدیة مشحونة بالمناهج و الدروس، زاخرة بالبصائر و العبر، بقدر ما هی ملیئة بالدقائق و الحقائق، و اللطائف و الاسرار.

حقا إن حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله بحاجة إلی تعمق جدید کلما تجدّد الزمن، و کلما تقدمت العلوم و المعارف، و تطورات الحیاة، و انفتحت أمام البشریة آفاق جدیدة فی شتی الأصعدة و المجالات.

و لا شک أنّ هذه المهمة لیست عملا بسیطا و مهمّة سهلة، و خاصة مع ما علیه الکثیر من المصادر التاریخیة الاولی من تصحیف او تحریف او تشویه للحقائق، او تغییر للامور.

فان هذه المهمة تحتاج- فی ما تحتاج إلیه- إلی ثلاثة أشیاء أساسیة:

۱- عقلیة متفتحة، متدبرة، نافذة متأنیة.

۲- جهود کبیرة، و تتبع واسع، و تمییز للصحیح عن السقیم، و الدخیل عن الاصیل.

۳- معرفة بجوانب تتصل بالسیرة المحمّدیة اتصالا وثیقا کالمعرفة بمکانة سیّد المرسلین صلّی اللّه علیه و آله فی القرآن الکریم.

فمع توفّر هذه الشروط یمکن الحصول علی صورة نقیّة، و مفیدة للسیرة المحمّدیة المبارکة، صورة تتفق مع روح القرآن، و تلتقی مع الواقع، و تصلح للاتساء، و الاقتداء، و الاهتداء و الاقتفاء.

و لقد توفرت هذه الشروط- و للّه الحمد- فی استاذنا العلامة الحجّة المحقّق سماحة الشیخ جعفر السبحانی، حفظه اللّه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷

فهو المعروف بسلسلته القرآنیة «مفاهیم القرآن» التی تکشف عن إحاطة کبیرة بکتاب اللّه العزیز، و إلمام قلیل النظیر بمفاهیمه.

کما عرف بأعماله الفکریة الناضجة المتنوعة الکاشفة عن عقلیة متفتحة، واعیة و معاصرة.

و لهذا کان خیر من قام فی عصرنا الحاضر بدراسة السیرة المحمّدیة الطاهرة العبقة، فکان هذا العمل التاریخی المبارک الذی توفّرت فیه المستلزمات الثلاثة الآنفة الذکر: العقلیة المتفتحة، و المعرفة الواسعة بالقرآن الکریم و خاصة فی ما یتّصل بالرّسول الأکرم، إلی جانب التتبع الواسع و الاستقصاء الکبیر لمواقع العبرة و الاسوة فی حیاة خاتم الأنبیاء و سیّد المرسلین.

و لا أجدنی- فی هذا التقدیم العابر- بحاجة إلی ذکر نقاط القوة الکثیرة فی هذه الدراسة المستوعبة لشخصیة و حیاة رسول الإسلام، بل أری أن یحاول القارئ الکریم بنفسه الاطلاع علی ذلک حتی لا یفوته شیء ممّا لا یفوّت، و سیقف بنفسه أیضا علی جسامة ما بذل فی هذه الدراسة من جهد، و روعة ما ضمّنت من تحلیل، و أهمیة ما احتوته من حقائق.

و فی الختام اسأل اللّه العلی القدیر ان یتقبل منا جمیعا هذا الجهد، و یجعله ذخرا لیوم لا ینفع فیه مال و لا بنون، انه خیر معین.

قم جعفر الهادی ۳۰ شعبان ۱۴۰۹ هجریة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹

مقدّمة المحاضر

التاریخ فی أعظم حماساته

* مختبر «الحیاة» العظیم.

* «لقد عمّرت مع أولهم الى آخرهم!».

* حياة العظماء، و الخالدين.

* عند ما يلتقى العالم الحاضر بالعالم الغابر.

* التاريخ بين التسجيل

* أخطاء المستشرقين العجيبة.

(۱) يحاول الإنسان دائما أن ينظر إلى كل قضيّة من القضايا من نافذة الحس، و إن يدرسها من خلال المنظار الحسى المادى، لأنّ أوثق المعلومات لديه هى تلك التى تتألف من هذه «المعلومات الحسية» و لهذا فإن المسائل التى تحظى بأدلة حسّية اكثر تكسب فى العادة قسطا اكبر من ثقة الانسان، و تصديقه.

و على هذا الاساس عمد العالم اليوم الى تأسيس آلاف المختبرات الضخمة للتحقيق فى شتى القضايا العلمية، و يعكف العلماء فى هذه المختبرات على دراسة و تحليل الامور المتنوعة باسلوب خاص و طريقة معينة.

و لكن هل يمكن- ترى- أن تدخل المسائل و القضايا الاجتماعية فى نطاق التجربة المختبرية، و تخضع للمجهر و الميكرسكوب، ليمكن الحكم فى هذه المجالات من خلال ذلك؟!

فمثلا؛ هل يمكن أن نعرف عن طريق التجارب المختبرية ما يؤدّى إليه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰

الاختلاف و التشرذم فى المجتمع الواحد، و ما يصيب شعبا من الشعوب أو أمة من الامم من هذا الطريق؟

أم هل يمكن تقييم ما تنتهى إليه جهود المستعمرين، أو ما يؤول إليه الظلم و الحيف، من خلال تجربة حسية؟

أم هل يمكن الوقوف على نتائج «الاختلاف الطبقىّ»، و «التمييز العنصرىّ» فى المجتمع عن طريق التجربة المختبرية؟

(۱) فى الاجابة على كل هذه الاسئلة يجب أن نقول: كلا مع الاسف.

و ذلك لأنّه لا توجد للقضايا الاجتماعية- رغم أهميتها القصوى- مثل هذه المختبرات، و حتى لو أمكن توفير مثل هذه المختبرات المناسبة لتحليل و تقييم و دراسة القضايا الاجتماعية، فان إنشاءها و إيجادها يكلّف نفقات باهضة، و تستدعى جهودا عظيمة.

و لكنّ الأمر الذى فى مقدوره أن يقلّل من حجم هذا النقص إلى حدّ كبير هو أننا نملك اليوم شيئا يسمى ب: «تاريخ الماضين» و الذى يشرح لنا ما كان عليه البشر- أفرادا و جماعات- طوال آلاف السنين من الحياة على هذه الارض، كما و يعكس مختلف الذكريات و الخواطر عنهم، من انتصارات و هزائم،

و نجاحات و انتكاسات، و يوقفنا بالتالى على كل ما وقع فى حياة الامم و الشعوب من حوادث مرة او حلوة.

إنّ التاريخ يذكر لنا: كيف وجدت الحضارات المشرقة و المدنيات العظمى فى العالم، و كيف سلكت- بعد مدة- طريق السقوط و الانقراض، حتى أنها قد محيت عن صفحة الوجود بالمرّة، و اصبحت خبرا بعد أثر، و بالتالى ما هى العوامل التى كانت وراء سيادة الشعوب ثم اندحارها.

إنّ حياة الماضين و تاريخهم يحتفظ لنا فى صفحاته بقسط كبير و مهمّ جدا من هذه الحوادث، و لهذا صح أن يقال: «التاريخ مختبر الحياة العظيم»، فبمعونة التاريخ يمكن تقييم مختلف القضايا الاجتماعية، و دراستها و استخلاص النتائج و العبر المفيدة منها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱

(۱) و إنّ من حسن الحظ أننا لم نكن أول من حطّ قدمه على هذا الكوكب، فهذه الارض بسهولها و شعابها العريضة، و تلك السماء بنجومها و كواكبها الساهرة شهدتا ملايين الملايين من البشر الذين سكنوا الارض من قبلنا، و شهدتا افراحهم و اتراحهم، همومهم و غمومهم، حروبهم، و مصالحاتهم، و كل ما رافق و اكتنف حياتهم من حبّ و بغض و ظلمات و أنوار، و ارتقاء و هبوط، إلى غير

ذلک من شئون و شجون الحیاة البشریة التی یزخر بها تاریخ الشعوب و الاقوام و الامم.

صحیح أنهم قد اختلفوا مع الکثیر من أسرار حیاتهم، و غابوا جمیعا- أشخاصا و أسرارا- فی بحر من النسیان و انسدل علیهم الستار، إلّا أن قسطا ملفتا للنظر و جملة یعتد بها من تلک الامور إما أنها قد دوّنت بأیدی أصحابها، أولا تزال طبقات الارض و بطون التلال تحتفظ بها فی ثناياها و طیاتها، کما و لا تزال ذات الاطلال الصامتة- فی ظاهرها- تشکل أضخم متحف، و اغنی معرض، و اکبر مختبر، یعید لنا شریط التاریخ و یحکی وقائعه و أحداثه، و یشرح رموزه و أسراره.

إنّ مطالعة تلکم الصفحات من تاریخ الامم الغابرة فی الکتب، او فی الاطلال العظیمة، أو فی ما یعثر علیه المنقّبون فی بطون التلال، و ثنایا الارض تعلّمنا امورا کثیرة، و تضیف إلی عمرنا عمرا جدیدا و زمنا اضافیا، لا یستهان به و ذلک بما تقدم لنا من الخبرة و العبرة، و الهدی و البصیرة.

أ لیست حصیلة العمر ما هی إلّا ما استفاده المرء من تجارب؟ أ لا یجعل التاریخ خلاصة أفضل التجارب تحت تصرفنا؟

(۲) و لقد اشار الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی وصیة لولده الی هذه الحقیقة حیث قال:

«أی بنیّ! إنّی و إن لم اکن عمّرت عمر من کان قبلی، فقد نظرت فی أعمالهم و فکّرت فی أخبارهم و سرت فی آثارهم حتی عدت کأحدهم بل کأنّی بما انتهی إلیّ من امورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلی آخرهم» «۱».

---

(۱). نهج البلاغة، قسم الرسائل. رقم ۳۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲

(۱) و لکنّ المؤسف أن کتب التاریخ الموجودة الآن تعانی من نقص کبیر من حیث الاشارة الی العبر و الدروس الاجتماعیة المفیدة، لأن هذه المصنفات لم تدوّن لأجل هذا الغرض، و لهذا اغفل فیها- فی الاغلب- کل ما هو مؤثر فی کشف الحقائق التاریخیة، و إبراز العلل الکامنة وراء الحوادث المتنوعة و الوقائع المختلفة، و بالتالی فقد تجاهلت تلک الکتب و الدراسات ما هو المفتاح الطبیعیّ لحلّ الرموز الکبری فی مسیرة التاریخ البشری، و اعتنت- بدلا عن ذلک- بالقضایا التافهة.

لقد تصدّی کثیر من المؤرّخین لتدوین و تسجیل القضایا التاریخیة، تارة بهدف التسلیة و اخری بدافع إبراز الفضل لأقوامهم او طوائفهم، و اظهار تفوقها علی الاقوام و الطوائف الاخری، و ثالثة بدافع الحب و البغض، او التعصب لهذا أو ذاک و لهذا عجزت هذه المؤلفات و الکتب عن حل أیة مشکلة، و تبدید أیة حیرة، بل هی تزید المرء ضلالا إلی ضلال، و حیرة الی حیرة!

و لکن رغم کل هذا یستطیع اولو النباهة و البصیرة، و اصحاب الفهم و التحقیق ان یتوصلوا- من خلال مطالعة هذه المؤلفات التاریخیة علی ما فیها من عیوب و نقائص، و مع ما فیها من أساطیر عن الشعوب المختلفة- إلی ما یساعدهم علی کشف الکثیر من اسرار و خلفیات القضایا و الامور المتعلقة بالشعوب الماضیة، تماما کما یفعل الطبیب الحاذق، او القاضی البارع الذی یمکنهما من خلال الوقوف علی القرائن الجزئیة المتفرقة، التوصّل إلی اکتشاف نوع «المرض» أو حالة «المتهم» الحقیقیة، و ما یعانی منه فی واقعه النفسی.

(۲) إنّ أعظم صفحات التاریخ قیمة هی تلک التی تعکس لنا حیاة العظماء و سیرة الرجال الخالدین، و تبحث عنها بصدق و امانة و موضوعیة.

إنّ لحیاتهم أمواجا خاصة، کما أنها زاخرة بانواع الحوادث.

لقد کانوا عظماء حقا، و کذلک کان کل ما یرتبط بهم، و من ذلک تاریخهم، إنه شیء عظیم یستحق التأمّل و التدبر، فهو یتسم بلمعان یلفت الأنظار، و یخلب

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳

الالباب و إنّه غنی بالعظات و العبر، زاخر بالبصائر و الدروس و الی درجة لا توصف.

إنهم معجزة الخليقة بلا ريب، و إن حياتهم لهى- فى الحقيقة- ملحمة التاريخ الكبرى، و ساحة البطولات الخالدة، و مسرح الحماسات العظمى، الحية النابضة على مر العصور، و الايام.

لقد كان اولئك العظماء يعيشون فى الاغلب على خط الثورات و التغييرات الاجتماعية الاول (و بعبارة أصح) كانت الثورات و التحولات الاجتماعية تجد مصداقيتها فى حياتهم و تتجسد فى مواقفهم، و لهذا كانوا يشكلون- فى واقع الأمر- حلقة الاتصال بين الدنياوات المختلفة المتناقضة، و كانت حياتهم الحافلة بالاحداث شاهدة للألوان المختلفة و المشاهد المثيرة المتنوعة.

(۱) و على رأس اولئك الرجال التاريخيين و العظماء الخالدين رسول الإسلام العظيم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانه لم تتسم حياة أحد- من حيث و فرة الاحداث، و عظمة الأمواج، كما اتسمت به حياته صلّى اللّه عليه و آله و لا اتصفت شخصية بمثل ما اتصف به ذلك النبى العظيم.

فلم يستطع احد سواه أن يؤثّر فى بيئته، ثم فى جميع العالم، و ينفذ إلى أعماق الاعماق بمثل السرعة و السعة التى حصلت له صلى اللّه عليه و آله.

و لم يوجد أىّ واحد منهم قط من مجتمعة المنحطّ المتخلّف، حضارة بتلك العظمة و الشموخ، كما فعله رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله- و تلك حقيقة يقرّبها كل مؤرخى الشرق و الغرب.

إنّ مطالعة عميقة لسيرة و حياة هذا الإنسان العظيم، قادرة على أن تعلمنا الكثير الكثير، و أن توقفنا على مشاهد متنوّعة فى غاية النفع و منتهى الفائدة.

إن مشاهد عجيبة مثل الأيام الاولى من بناء الكعبة المعظمة، و استيطان اسلاف النبى الكريم «مكة» و هجوم عسكر الفيل الفاشل لهدم بيت اللّه المعظم، و الاحداث و الملابسات المرافقة لمولد النبى صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴

كما و إن مشاهد محزنة مثل وفاة «عبد اللّه» و «آمنة» والدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى مطلع حياته الشريفة بتلك الكيفية المؤلمة.

و مشاهد عظيمة و مهيبة و حافلة بالاسرار مثل الايام الاولى من نزول الوحى، و ما جرى فى جبل «حراء» و ما تبعه من مواقف الاستقامة و المقاومة التى ابداها و اتخذها رسول اللّه و اصحابه المعدودون طيلة ثلاثة عشر عاما، فى سبيل نشر الدين الاسلامى فى مكة، و مكافحة الوثنية و الجاهلية.

و كذا مشاهد مثيرة و ساخنة و حماسية مثل وقائع السنة الاولى من الهجرة المباركة و ما عقبتها من حوادث و مواقف.

(۱) و لقد الّفت حول حياة رسول الإسلام أعظم قادة البشرية على الاطلاق كتب و رسائل و دراسات كثيرة بحيث لو أتيح لنا أن نجمعها فى مكان واحد لشكلت مكتبة عظيمة و ضخمة.

و يمكن القول- بشكل قاطع- بأنه ليس ثمة من عظيم استقطب اهتمام التاريخ و المؤرخين و المفكرين العالميين الكبار، كما ليس ثمة شخصيّة من شخصيّات العالم كتب حولها المؤلفون و الباحثون هذا القدر الهائل من المؤلفات و المصنفات، و الرسائل و الكتب، كما حصل لرسول الإسلام محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۲) إلّا أن أكثر هذه الكتب و المؤلفات تعانى من أحد إشكالين: إما أن الكتاب جاء على نسق التسجيل المجرد للحوادث، أو النصوص التاريخية، من دون أن يتصدى فيه مؤلفه لتحليلها، و دراسة خلفياتها و نتائجها، و إصدار الحكم اللازم فيها، بل إن البعض قد تجنب عن بيان علل الوقائع الإسلامية و اسبابها، و ثمارها و معطياتها كذلك.

أو أن المؤلّف- فى بعضها الآخر- عمد إلى طائفة من الآراء الحدسية، و الاجتهادات الباطلة، العارية عن الدليل و اثبتها فى مؤلّفه على أنها الحكم الحق،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵

و خلط هذه الاحکام مع بیان الحوادث، و من ثم اخرج کتابه ذاک الی الجمهور المتعطش الی تاریخ الإسلام، علی أنّه التاریخ المحقّق، الممخّص.

(۱) إن الإشکال الذی یرد علی الطائفة الاولی هو: أن الهدف من التاریخ لیس هو مجرّد تسجیل الحوادث التاریخیة و ضبطها و تدوینها، إنما هو کتابة صفحات التاریخ، و قضایاه و أحداثه من المصادر الصحیحة الموثوق بها، و إبراز عللها و اسبابها، و ثمارها و نتائجها، و التاریخ بهذا الشکل أعظم کنز ترکه الأقدمون لنا، و مثل هذا النوع من الدراسة التاریخیة لم تدوّن- أو أنه قلّما دوّنت- حول أعظم قادة البشر، محمّد صلّی اللّه علیه و آله فقد تجنب اکثر کتاب السیرة النبویة عن اظهار الرأی فی الحوادث، او القیام بای تحلیل للوقائع، بحجة الحفاظ علی اصول الحوادث و نصوصها.

(۲) فی حین أنّ هذا العذر، و هذه الحجة غیر کافیة لتبریر هذا الموقف، لأنه کان فی مقدور اولئک المؤرخین- للحفاظ علی ما ذکروه- أن یؤلفوا نوعین من الکتب، نوعا یختص بسرد الوقائع و النصوص التاریخیة علی ما هی علیه من دون ابداء رأی، او تحلیل و دراسة، و نوعا آخر یعتنی بذکر الحوادث و القضایا التاریخیة مع تحلیلها و دراستها بصورة موضوعیة صحیحة أو ان یتم کلا الأمرین فی کتاب واحد بأن تفرز الحوادث التاریخیة عن التحلیل و الرأی.

(۳) علی کل حال قلما نجد بین قدماء الکتّاب المسلمین من تصدی للسیرة النبویة المحمّدیة الطاهرة بهذه الصورة، و قلما یوجد هناک کتاب یتناول حیاة خاتم الأنبیاء و سیّد المرسلین بالتحلیل المذکور.

بل لا بدّ من القول بان السیرة النبویة الطاهرة لیست هی وحدها التی حرمت من مثل هذا النمط من التألیف و الکتابة، بل شمل هذا الحرمان اکثر الحوادث التاریخیة التی وقعت علی مر العصور الإسلامیة فهی إدراجات فی الکتب من دون دراسة موضوعیة و تقییم دقیق.

(۴) نعم إن أول من فتح هذا الطریق علی وجه عامة المؤلفین و الکتاب هو:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶

العلامة المغربی «ابن خالدون» «۱» فقد أسس فی مقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن خالدون نمط التاریخ التحلیلی بنحو من الانحاء.

(۱) و أما الطائفة الثانیة من تلک الکتب فهی و إن الفت علی نمط التاریخ التحلیلی و اتسمت بصفة التحقیق و الدراسة و لکن حیث ان بعضهم لم یتجشم عناء التتبع و الاستقصاء، أو أنه اعتمد فی تحلیله للحوادث علی المصادر غیر المتقنة و غیر الصحیحة، فقد تورط فی أخطاء فضیعة محیّرة، و أکثر مؤلفات المستشرقین- التی لم تکتب فی الأغلب بهدف التوصل الی الحقیقة- من هذا النمط، و من هذه القماشة.

و لقد دأب فی هذه الدراسة- بعد ملاحظة هذه الاشکالات- علی ان یقدم إلی القراء جهد امکانه کتابا یخلو عن عیوب و نقائص کلتا الطائفتین.

(۲)

مزایا هذا الکتاب:

قد لا یکون من الضروری بیان مزایا هذا الکتاب، و استعراض امتیازاته فی مقدمته، فذلک أمر ینبغی أن یقف علیه القارئ الکریم بنفسه ضمن مطالعته لهذه الدراسة، إلّا انه إلفاتا لنظر القارئ نشیر الی مزیتین هامتین هما:

(۳) أولا: أنّنا عمدنا فی هذا الکتاب الی تناول و بیان الحوادث و الوقائع المهمة التی تنطوی علی قدر، اکبر من الفائدة، و العبرة، و

أعرضنا صفحا عن ذكر الاحداث الجزئية، و الوقائع الصغيرة مثل الكثير من السرايا.

ثم إننا أخذنا الحوادث التاريخية هذه من المصادر الأصيلة، و الأولية، التى دوّنت فى القرون الإسلامية المشرقة الاولى، فقد استخلصنا الحادثة من مجموعة تلك المصادر، ثم أشرنا إلى مصدر أو مصدرين من المصادر التى ذكرت الحادثة

---

(۱) هو القاضى عبد الرحمن بن محمّد الحضرمى المالكى المتوفى عام ۸۰۸ هج، و مقدمته و تاريخه- على ما فيهما من أخطاء فضيعة فى التحليل معدود ان من الكتب الجيدة المفيدة، و هما مبتكران فى نوعهما.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷

بصورة اكثر تفصيلا و دقة.

و ربما يظن بعض القرّاء الكرام أننا اكتفينا فى نقل الحوادث و الوقائع بمراجعة مصدر أو مصدرين ممّا ذكرناه فى أقصى الصفحة (أى الهامش) فى حين أن الواقع هو غير هذا، فنحن قد راجعنا حتى فى نقل الحوادث الصغيرة مهما صغرت، اكثر المصادر الأصيلة المعروفة، و بعد التحقق و التثبت منها لخصناها و ذكرناها فى هذا الكتاب.

و لو أننا أشرنا- فى جميع الحوادث و الوقائع- الى جميع المصادر التى مررنا بها لاستأثر جدول المصادر بقسم كبير من صفحات هذا الكتاب، و هو أمر من شأنه أن يبعث على الملل عند القرّاء، فلكى لا يحسّ القرّاء بأىّ تعب أو ملل من جانب، و لأجل أن نحافظ على وثائقية الكتاب و أصالة أبحاثه و إتقانها من طرف آخر اكتفينا بذكر القدر اللازم من المصادر و تجنبنا تحشيدها بتلك الصورة المملّة.

(۱) و أما المزية الثانية: فإننا أشرنا- ضمن الدراسات اللازمة- إلى الاعتراضات و الاشكالات، بل و أحيانا إلى مواطن الاساءة التى قام بها المستشرقون المغرضون و أجبنا على جميع الانتقادات و الاعتراضات غير المبرّرة و غير الصحيحة بأجوبة مقنعة و قاطعة و صحيحة، و جرّدناهم من الاسلحة التى شهروها فى وجه الإسلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- كما يقول المثل، و تلك حقيقة يقف عليها القارئ الكريم بنحو أجلى فى محلّها.

و على هذا الاساس عمدنا إلى ذكر رأى المؤلّفين الشيعة (فى المسائل المختلف فيها بين المؤرخين الشيعة و المؤرخين السنة) مع ذكر المصادر و الشواهد التاريخية الواضحة و المبرهنة عليه، و أزحنا كل ما يدور حول ذلك الرأى من شبهة أو إشكال، و يستهدف إنكار صحته و حقانيته.

إننا إذ نقدّم هذه الدراسة التحليليّة لشخصية و حياة خاتم الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى القراء الكرام نأمل أن يهتم بها عامّة المسلمين و خاصة المثقفين و الشّباب منهم بوجه خاصّ، و يتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنّية و التأمل

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸

و التدبر، و نأمل أن يستطيع شبابنا المؤمن المتحمّس من أن يرسم خريطة حياته و حياة مجتمعه فى ضوء ما يستلهمه و يستوحيه من سيرة و حياة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله، فى هذه الحقبة البالغة الخطورة. و اللّه ولىّ التوفيق.

جعفر السبحانى ۲۶/ جمادى الآخرة/ ۱۳۹۲

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹

سيّد المرسلين فى ضوء القرآن الكريم

اشارة

لقد سلّط القرآن الكريم الضوء على رسول الإسلام محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى آيات كثيرة تناولت بيان أسمائه و نشأته و صفاته و خصاله، و بشارات الأنبياء السابقين به و عصمته و امّيته و رسالته و خاتميته و جهوده العظيمة التى بذلها فى سبيل ابلاغ مهمته، و الخطابات الخاصة الالهية الموجّهة إليه و ما يتوجب على المؤمنين تجاهه فى حياته و بعد وفاته، و ما يتوجب عليهم تجاه أهل بيته و عترته، و لكى تكون هذه الرؤية القرآنية الشاملة الدقيقة هى القاعدة الاساسية فى دراسة الشخصية و السيرة المحمّدية العظيمة آثرنا ادراج طائفة منها

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰

فى مقدمة هذا الكتاب.

* وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. (آل عمران/ ۱۴۴).

* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ. (الفتح/ ۲۹).

* وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ. (الصف/ ۶).

* ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى. (الضحى/ ۴/ ۸).

* أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ.

(الانشراح/ ۱- ۴).

* وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. (آل عمران/ ۸۱).

* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ. (الأعراف/ ۱۵۷).

* الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ. (البقرة/ ۱۴۶).

* الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ. (الأنعام/ ۲۰).

* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

(الأعراف/ ۱۵۸).

* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. (الجمعة/ ۲).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً. (النساء/ ۱۱۳).

* وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ.

(العنكبوت/ ۴۸).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱

* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ. (العلق/ ۱- ۵).

* ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى. (النجم/ ۲- ۱۷).

* وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ. (الحاقة/ ۴۴- ۴۷).

* وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ. (يس/ ۶۹).

* وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ.

(الصافات/ ۳۶- ۳۷).

* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ. (الحاقة/ ۴۰).

* وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. (التكوير/ ۲۴).

* سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى. (الاعلى/ ۶).

* فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (البقرة/ ۱۳۷).

* وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. (المائدة/ ۶۷).

* وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا. (التوبة/ ۷۴).

* إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. (الحجر/ ۹۵).

* وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا. (الاسراء/ ۷۳- ۷۴).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا. (الطور/ ۴۸).

* تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ (آل عمران/ ۱۰۸).

* اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ. (العنكبوت/ ۴۵).

* وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ. (الاحزاب/ ۲).

* وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. (الشعراء/ ۲۱۴).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲

* فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ. (الحجر/ ۹۴).

* قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الحج/ ۴۹).

* وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. (المؤمنون/ ۷۳).

* تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۱).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۵۶).

* وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ. (الأنفال/ ۳۳).

* لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ. (التوبة/ ۱۲۸).

* بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ. (التوبة/ ۱۲۸).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ. (الأنبياء/ ۱۰۷).

* إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ. (الحج/ ۶۷).

* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. (الشعراء/ ۱۹۳).

* إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ. (البقرة/ ۱۱۹).

* كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. (البقرة/

۱۵۱).

* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. (آل عمران/ ۱۶۴).

* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. (الفتح/ ۲۸- ۲۹).

* يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً.

(الاحزاب/ ۴۶).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً. (سبأ/ ۲۸).

* قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ.

(سبأ/ ۴۶).

* فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الذاريات/ ۵۰).

* وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً. (النساء/ ۷۸).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً. (النساء/ ۱۱۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳

* إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. (النساء/ ۱۶۳).

* لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً.

(النساء/ ۱۶۶).

* ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ. (الاحزاب/ ۴۰).

* قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً. (الاعراف/ ۱۵۸).

* وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (يونس/ ۶۵).

* فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. (هود/ ۱۲).

* وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ. (هود/ ۱۲۰).

* وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ.

(الرعد/ ۳۲).

* لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. (الحجر/- ۹۹).

* وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

(النحل/- ۱۲۸).

* فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً. (الكهف/ ۶).

* فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ. (طه/ ۱۳۰).

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ.

(الحجّ/ ۴۲- ۴۴).

* وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً. (الفرقان/ ۳۱).

* لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. (الشعراء/ ۳).

* وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. (النحل/ ۱۲۷).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ. (الروم/ ۶۰).

* وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ. (لقمان/ ۲۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (فاطر/ ۴).

* سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الأسراء/ ۱).

* فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ. (فاطر/ ۸).

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ. (فاطر/ ۲۵).

* فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ. (يس/ ۷۶).

* وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. (الصافات/ ۱۷۱- ۱۷۲).

* وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ.

(الصافات/ ۱۷۳- ۱۷۵).

* وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. (الصافات/ ۱۷۸- ۱۷۹).

* فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ. (ص/ ۱۷).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. (المؤمن/ ۵۵).

* وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. (الانعام/ ۵۲).

* وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً.

(الكهف/ ۲۸).

* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. (النور/ ۶۲- ۶۳).

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵

حِجابٍ. ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِیماً. (الاحزاب/ ۵۳).

* یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوی لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّی تَخْرُجَ إِلَیْهِمْ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ.

(الحجرات/ ۱- ۵).

* وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِیکُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ یُطِیعُکُمْ فِی کَثِیرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَیْکُمُ الْإِیمانَ وَ زَیَّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ وَ کَرَّهَ إِلَیْکُمُ الْکُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْیانَ أُولئِکَ هُمُ الرَّاشِدُونَ.

(الحجرات/ ۷).

* وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ. (القلم/ ۴).

* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِلْمُؤْمِنِینَ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ. (الشعراء/ ۲۱۵).

* لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ.

(التوبة/ ۱۲۹).

* فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ.

(آل عمران/ ۱۵۹).

* لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللَّهَ کَثِیراً.

(الاحزاب/ ۲۱).

* قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ.

(آل عمران/ ۳۱).

* فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً. (النساء/ ۶۵).

* إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً.

(الاحزاب/ ۵۶).

* إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ. (الکوثر/ ۱- ۲).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶

* إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً. (الاحزاب/ ۳۳). «۱»

---

(۱) و لقد بحث سماحة الاستاذ العلامة المحقّق الشیخ جعفر السبحانی صاحب هذه المحاضرات حول جمیع هذه الآیات و نظائرها فی دراسة عمیقة و شاملة فی الجزء السابع من موسوعته «مفاهیم القرآن».

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷

(۱)

۱ شبه الجزیرة العربیة

اشارة

أو مهد الحضارة الإسلامیة الجزیرة العربیّة هی فی الحقیقة شبه جزیرة کبیرة و تقع فی الجنوب الغربی من آسیا، و تبلغ مساحتها ثلاثة ملایین کیلومتر مربع، أی ضعف مساحة إیران، و ستة أضعاف فرنسا، و عشرة أضعاف إیطالیا، و ثمانین ضعف سویسرة.

و یحدّ شبه الجزیرة- هذا الذی هو اشبه ما یکون بمستطیل غیر متوازی الاضلاع- من الشمال فلسطین و صحراء الشام، و من المشرق الحیرة و دجلة و الفرات و الخلیج الفارسی، و من الجنوب المحیط الهندی و خلیج عمان، و من المغرب البحر الأحمر.

و علی هذا یحاصر هذه الجزیرة من المغرب و الجنوب البحر، و من الشمال و الشرق الصحراء، و الخلیج.

(۲) و قد جرت العادة بتقسیم هذه المنطقة من القدیم إلی ثلاثة اقسام:

۱- القسم الشمالی و الغربی و یسمی بالحجاز.

۲- القسم المرکزی و الشرقی و یسمی بصحراء العرب.

۳- القسم الجنوبی و یسمی بالیمن.

و تشکّل داخل شبه الجزیرة هذا صحاری کبیرة، و مناطق شاسعة رملیة حارّة، و غیر قابلة للسکنی تقریبا، و من جملة هذه الصحاری صحراء «بادیة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸

سماوة» التی تسمی الیوم بصحراء «النفوذ» و صحراء اخری واسعة الاطراف تمتد إلی الخلیج الفارسیّ یطلق علیها الیوم اسم «الربع الخالی» و قد کان یسمی قسم من هذا الصحاری سابقا بالأحقاف، و یسمی القسم الآخر بالدهناء.

(۱) و علی أثر هذه الصحاری تشکل ثلث مساحة شبه الجزیرة هذا أراضی خالیة من الماء و العشب و غیر قابلة للسکنی، اللهم إلّا بعض ما یحصل من المیاه، بسبب تساقط الامطار، فی قلب الصحاری فیتجمع حولها بعض القبائل العربیة بعض الوقت، و یرعون فیها ابلهم و انعامهم ردحا قلیلا من الزمن.

و أمّا حالة المناخ فی شبه الجزیرة العربیة، فالهواء فی الصحاری و الأراضی المرکزیة (الوسطی) حار و جاف جدا، و فی السواحل مرطوب، و فی بعض النقاط معتدل، و بسبب رداءة الطقس هذه لا یتجاوز عدد سکانه خمسة عشر ملیون نسمة.

(۲) و توجد فی هذه الجزیرة سلسلة جبال تمتد من الجنوب الی الشمال، و یقارب ارتفاع أعلی قممها ۲۴۷۰ مترا.

و قد کانت معادن الذهب و الفضة و الاحجار الکریمة تشکل مصادر الثروة فی شبه الجزیرة هذا منذ القدیم، و کان سکانها یعتنون- من بین الأنعام و الحیوانات- بتربیة الابل و الفرس اکثر من غیرهما، و من بین الطیور بالحمام و النعامة اکثر من الطیور الاخری.

بید أن اکبر مصدر للثروة فی الجزیرة العربیة الیوم یأتی عن طریق استخراج النفط.

و تعتبر مدینة «الظهران» الذی یسمیه الاوربیون بالدهران المرکز النفطی الرئیسی فی هذه الجزیرة، و یقع هذا البلد فی ناحیة الاحساء التی تقع فی المنطقة الشرقیة من الجزیرة العربیة علی حدود الخلیج الفارسی.

(۳) و لکی یتعرف القارئ الکریم علی الأوضاع فی شبه الجزیرة العربیة هذا بنحو اکثر تفصیلا فاننا نعمد إلی شرح الاقسام الثلاثة المذکورة:

(۴) ۱- «الحجاز» و هی المنطقة التی تشکل القسم الشمالی و الغربی من الجزیرة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹

العربیة و تمتد أراضیها علی ساحل البحر الاحمر ابتداء من فلسطین و حتی حدود الیمن.

و الحجاز بعد هذا منطقة جبلیة، و ذات صحار قاحلة، و اراض حجریة، و صخریة، یکثر فیها الحصی.

و لقد كانت هذه المنطقة- فی التاریخ- اكثر شهرة من غیرها، و من المعلوم أنّ هذه الشهرة جاءت بسبب جملة من العوامل المعنویة و الدینیة، فهی الآن تضمّ بین جوانحها بیت اللّه الحرام «الكعبة المعظمة»، قبلة ملایین المسلمین، و مهوی افئدتهم.

و قد كانت البقعة التی تقوم علیها بنیة «الكعبة المعظمة» تحظی منذ سنوات مدیدة قبل بزوغ الإسلام باحترام العرب و غیرهم، و لهذا حرّموا القتال حول الكعبة تعظیما لها، حتی إذا جاء الإسلام أقرّ للكعبة و لما حولها، مثل ذلك الاحترام، و التعظیم أیضا.

و من أهمّ مدن الحجاز: «مكة» و «المدینة» و «الطائف»، و كان للحجاز منذ القدیم میناءان هما: میناء «جدة» الذی یستخدمه أهل مكة، و میناء «ینبع» الذی یستخدمه أهل المدینة، فی سدّ الكثیر من احتیاجاتهم و یقع هذان المیناءان علی ساحل «البحر الاحمر».

(۱)

مكة المعظمة:

اشارة

و هی من أشهر مدن العالم و أكثر المدن الحجازیة سكانا، و ترتفع عن سطح البحر بما یقارب ۳۰۰ مترا.

و اذ تقع مدینة «مكة» بین سلسلتین من الجبال لذلك فانها لا ترى من بعید، و یقطنها الیوم حوالی (۱۵۰) ألفا من السكان.

(۲)

تاریخ مكة:

یبدأ تاریخ «مكة المكرمة» من زمن النبی إبراهیم الخلیل علیه السّلام، فقد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۰

أسكن هذا النبی ولده «اسماعیل» مع أمه «هاجر» فی ارض مكة، فنشأ اسماعیل هناك، و تزوج من القبائل التی سكنت علی مقربة من تلك المنطقة.

ثم إن إبراهیم علیه السّلام بنی و بأمر من اللّه تعالی البیت الحرام «الكعبة».

و تقول بعض الروایات الصحیحة إن الكعبة بنیت علی ید النبیّ نوح علیه السّلام و أن ابراهیم علیه السّلام جدّد بناءها.

و هكذا نشأت و بعد هذا تأسست مدینة مكة.

و تتكون نواحی «مكة» من أراض سبخة شدیدة الملوحة بحیث لا تكون قابلة للزراعة اصلا، حتی أن بعض المستشرقین یذهب إلی أنه لا یوجد أیة منطقة فی العالم فی رداءة أوضاعها الجغرافیة و المحیطیة و الطبیعیة مثل هذه المنطقة.

(۱)

المدینة المنوّرة:

و هی مدینة تقع فی شمال مكة و تبعد عنها ب: ۹۰ فرسخا تقریبا، و تحیط بها بساتین و مزارع و نخیل وافرة، و أرضها أكثر صلاحیة لغرس الاشجار و الزرع.

و كانت المدینة المنورة تسمی قبل الإسلام ب «یثرب»، و بعد أن هاجر إلیها رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله سمّیت بمدینة

الرسول، ثم اطلقت عليها لفظة «المدينة» مجردة تخفيفا.

و يحدثنا التاريخ أن العمالقة كانوا أول من سكن هذه الديار، ثم خلف العمالقة طائفة اليهود، و الأوس و الخزرج الذين سمّى المسلمون منهم بالأنصار فى ما بعد.

(۲) هذا و قد سلمنت الحجاز- على عكس سائر المناطق- من طمع الطامعين و غزو الغزاة و الفاتحين، و لم نشاهد فيها أى شىء من آثار حضارة الامبراطوريتين العظيمتين آنذاك قبل الإسلام: الروم و الفرس، و ذلك لأنها إذ كانت تتألّف من أراض قاحلة مجدبة غير قابلة للسكنى و العيش لم تحظ باهتمام أحد من اولئك الفاتحين حتى يفكر فى تسيير العساكر، و تحبيش الجيوش لفتحها ليعود بعد تحمّل آلاف المشاكل التى تستلزمها عملية الاستيلاء على أراضى تلك المنطقة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱

خالى الوفاض صفر اليدين.

(۱) و للوقوف على هذه الحقيقة اقرأ القصة التالية التى نقلها «ديودرس».

عند ما دخل ديمتريوس القائد اليونانى الكبير «بطرا» (و هى مدينة قديمة من مدن الحجاز) بهدف فتح جزيرة العرب خاطبه سكان تلك المدينة قائلين:

لما ذا تحاربنا أيها الملك ديمتريوس و نحن من سكان الصحارى التى لا تسدّ فيها خلّة، ترانا نقطن فى هذه البقاع القاحلة فرارا من العبودية. اقبل هدايانا، و ارجع الى حيث كنت، سنكون من أوفى الاصدقاء لك، و لكنك اذا رغبت فى حصرنا حرمت كل هناءة، و رأيت عجزك عن اكراهنا على تبديل طرق حياتنا التى تعوّدناها منذ نعومة أظفارنا، و إذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنك لن تجد واحدا ممن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التى ألفناها.

هنا لك رأى ديمتريوس أن يقبل هديتهم و ان يرضى بالمآب «۱».

(۲) ۲- المنطقة الوسطى و الشرقية، التى تسمى ب «صحراء العرب» و منطقة «نجد» التى هى جزء من هذه المنطقة أرض مرتفعة يقوم فيها بضع قرى صغيرة معدودة.

و لقد أصبحت الرياض التى اتخذها السعوديون عاصمة لهم بعد استيلائهم من المراكز المهمة فى هذه الناحية من الجزيرة.

(۳) ۳- المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، و التى تسمى ب «اليمن» و تمتد طولا- من الشمال الى الجنوب حوالى (۷۵۰) كيلومترا و من الغرب الى الشرق حوالى (۴۰۰) كيلومترا.

و تقدر مساحة هذا البلد بستين الف ميل مربع تقريبا، و لكنها كانت- قبل ذلك- أوسع من هذا القدر، و قد كان قسم منها (و هو عدن) خلال النصف الاول من القرن الأخير تحت الانتداب البريطانى، و من هنا ينتهى شمالا الى نجد، و جنوبا الى عدن، و غربا الى البحر الأحمر و شرقا الى صحراء الربع

---

(۱) حضارة العرب: تأليف غوستاف‌لوبون ص ۹۱- ۹۲ ترجمة عادل و عبتر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲

الخالى «۱».

(۱) و من مدن اليمن المعروفة مدينة «صنعاء» التاريخية العريقة، و من موانئها المشهورة ميناء «الحديدة» التى تقع على البحر الأحمر.

و منطقة اليمن من اكثر مناطق الجزيرة العربية خصوبة و بركة، و لها تاريخ مشرق و عريق فى المدنية و الحضارة، فقد كانت اليمن مقرا لملوك تبع، الذين حكموا اليمن سنينا مديدة و كانت اليمن قبل الإسلام مركزا تجاريا مهما، و كانت فى الحقيقة ملتقى طرق الحجاز، اشتهرت فى العصور القديمة بمعادن الذهب، و الفضة، و الحديد، و النحاس، و كانت تصدر الى خارج البلاد.

(۲) و لا تزال اثار الحضارة اليمنية القديمة باقية الى الآن.

و لقد قام أهل اليمن الاذكياء باقامة أبنية و عمارات عالية و جميلة بهممهم العالية فى عصور كان البشر يفقد فيها الوسائل الثقيلة، و الاجهزة المعقدة.

كان ملوك اليمن يحكمون البلاد دون أى منازع، إلّا أنهم رغم ذلك لم يكونوا يمتنعون عن تنفيذ ما رسمه حكماء اليمن و رجالهم من انظمة و قوانين للحكم و ادارة البلاد آنذاك.

و لقد سبقوا الآخرين فى الزراعة و الفلاحة، و قد نظموا لإحياء الأراضى و زراعتها، نظاما دقيقا للرىّ طبقوا بنوده بدقة، و لهذا كانت بلادهم تعدّ- آنذاك- من البلدان الراقية المتقدمة من هذه الناحية.

(۳) فها هو «غوستاف‌لوبون» المؤرخ الفرنسى المعروف يكتب حول اليمن قائلا:

إنّ بلاد العرب السعيدة من أغنى بقاع العالم «۲».

(۴) و يكتب الادريسىّ المؤرخ المعروف الذى كان يعيش فى القرن الثانى عشر حول «صنعاء» قائلا: كانت صنعاء مقر ملوك اليمن، و عاصمة جزيرة العرب، و انه كان لملوكها قصر متين شهير و كانت تشتمل على بيوت مصنوعة من الحجارة

---

(۱) لقد انقسمت اليمن مؤخرا الى يمن شمالية و اخرى جنوبية لكل واحد منها نظام حكم خاصّ و حكومة خاصّة.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳

المنحوتة «۱».

(۱) هذه الآثار العجيبة التى عثر عليها المستشرقون و علماء الآثار فى تنقيباتهم الأخيرة تثبت حضارة عجيبة لليمن فى عصورها القديمة و ذلك فى مختلف نواحيها مثل «مأرب» و «صنعاء» و «بلقيس».

ففى مدينة مأرب (و هى مدينة سبأ المعروفة) كانت تقوم قصور ضخمة و صروح عالية ذوات أبواب و سقوف مزينة بالذهب، و كانت تحتوى على أوان و صحون من الذهب و الفضة، و أسرّة كثيرة مصنوعة من المعدن و الفلز «۲».

و من آثار «مأرب» التاريخية السدّ المعروف باسم ذلك البلد و الذى لا تزال اطلاله باقية، و هو السدّ الذى تهدّم بسبب السيل الذى وصفه القرآن الكريم بالعرم.

فقد جاء فى سورة سبأ الآية ۱۵- ۱۹ قوله تعالى:

«لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ. وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ. فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» «۳».

---

(۱) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق على ما فى حضارة العرب، ص ۵۵.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

(۳) للوقوف على المزيد من المعلومات عن اليمن قديما و حديثا، راجع الكتب المؤلفة حول جغرافية العالم الإسلامى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵

(۱)

۲ العرب قبل الإسلام

اشارة

لمعرفة أوضاع العرب قبل الإسلام يمكن الرجوع الى المصادر التالية:

۱- التوراة على ما فيها من تحريفات.

۲- كتابات اليونانيين و الروميين فى القرون الوسطى.

۳- الكتابات التاريخية التى كتبها علماء الإسلام و مؤلفوه.

۴- الآثار القديمة التى عثر عليها المستشرقون فى تنقيباتهم و التى استطاعت عن أن تكشف النقاب عن طائفة لا يستهان بها من الحقائق فى هذا الصعيد.

إلّا انه مع وجود كل هذه المصادر و المراجع لا تزال هناك نقاط كثيرة عن تاريخ العرب فى القرون البعيدة تعانى من الغموض.

و لكن حيث أنّ دراسة أوضاع العرب قبل الإسلام هى من باب المقدمة فى هذا الكتاب، و الهدف الاساسى إنما هو دراسة السيرة النبوية الطاهرة، من هنا نكتفى فى هذا الفصل باستعراض النقاط الخاصة و الواضحة من حياة العرب قبيل الإسلام على اننا يمكننا أن نقف على وصف دقيق لحالة العرب خاصة قبيل بزوغ الإسلام من خلال مصدرين اسلاميين اساسيين هما:

۱- القرآن الكريم.

۲- ما ورد عن الإمام على عليه السّلام فى نهج البلاغة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۶

فقد وردت فى هذين المصدرين تصريحات و نصوص صريحة تكشف عن ما كان عليه العرب فى الجاهلية من سوء الأحوال و الاوضاع و الاخلاق فى جميع الاصعدة و الابعاد، و سنشير إلى أبرز هذه النصوص و نقف عندها بعض الشىء، و لكننا نستعرض قبل ذلك شيئا من تاريخ العرب فى القرون البعيدة فنقول:

(۱) إن من المسلّم أن شبه الجزيرة العربية كان منذ أقدم العصور موطنا لقبائل كثيرة انقرض بعضها بمرور الايام، و فى ثنايا الاحداث، بيد ان هناك ثلاث قبائل قد تشعّبت عنها أفخاذ و فروع تحظى بشهرة اكثر من بين من سكنوا هذه المنطقة.

و هذه القبائل الامّ هى:

(۲) ۱- العرب البائدة: و إنما سميت بالبائدة لأنها أبيدت بالعذاب الالهى السماوىّ أو الأرضىّ بسبب عصيانها و تمردها، و هلكت شيئا فشيئا، و لم يبق على وجه الارض من نسلهم أحد!

و لعلهم كانوا هم المعنيون بقوم «عاد» و «ثمود» الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم مرارا.

(۳) ۲- القحطانيون: و هم أبناء يعرب بن قحطان الذين كانوا يقطنون فى «اليمن» و سائر المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية و يسمّون بالعرب الاصلاء، و هم اليمنيون اليوم، و منهم قبائل الأوس و الخزرج و هما قبيلتان كبيرتان كانتا تقطنان المدينة المنورة إبان ظهور الإسلام.

و قد كان للقحطانيين حكومات كثيرة، كما كانت لهم جهود كبرى فى تعمير أرض اليمن و احيائها، و قد تركوا من ورائهم حضارات و مدنيّات لا يستهان بها.

و توجد الآن كتابات تقرأ بصورة علمية توضح إلى حدّ كبير تاريخ القحطانيين و كل ما يقال عن مدنيّة العرب و حضارتهم قبل الإسلام تعود فى الحقيقة إلى هذه الطائفة و خاصة من سكن منهم ارض اليمن.

(۴) ۳- العدنانيون: و هم أبناء اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السّلام،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷

و سوف یأتی ذکر جذور هذه الطبقة فی الابحاث القادمة. و خلاصة ذلک: أن إبراهیم الخلیل علیه السّلام امران یسکن ولده الرضیع اسماعیل مع زوجته «هاجر» أم اسماعیل فی ارض مکة، فخرج بهما ابراهیم علیه السّلام من «فلسطین» و هبط بهما فی ذلک الوادی العمیق الخالی عن الماء و العشب «مکة» ثم ان ید العنایة الالهیة امتدت إلی تلک العائلة المهاجرة، و جادت علیها بعین «زمزم» الذی جلب الرواء و الحیاة الی تلک المنطقة القاحلة الضامئة.

ثم تزوج إسماعیل من قبیلة «جرهم» التی خیّمت بالقرب من مکة، و اصاب من هذا الزواج عددا کبیرا من الابناء، و الاحفاد، و أحفاد الاحفاد کان من جملتهم «عدنان» الذی ینتهی نسبه الی النبی اسماعیل عبر عدد من الآباء و الجدود.

ثم تشعّبت ذریة إسماعیل الی بطون و أفخاذ، و عشائر و قبائل عدیدة، کان من بینها قبیلة قریش التی حظیت بشهرة اکبر، و منها عشیرة بنی هاشم التی انحدر منها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما ستعرف ذلک بالتفصیل، عما قریب.

(۱)

أخلاق العرب و تقالیدهم العامة:

و المراد منها هو الأخلاق و الآداب الاجتماعیة التی کانت سائدة فی ذلک.

المجتمع، و قد سادت بعض هذه الاخلاق و العادات و التقالید فی المجتمع العربی عامة.

و یمکن تلخیص ما کان العرب یتمتعون به من أخلاق و صفات حسنة عامة فی ما یلی:

لقد کان العرب زمن الجاهلیة و بخاصة ولد «عدنان» أسخیاء بالطبع، یکرمون الضیف، و قلّما یخونون فی الامانة، لا یغتفرون نقض العهود، و لا یتهاونون مع من یتنکر للمواثیق، یضحون فی سبیل المعتقد، و یتحلون بالصراحة الکاملة، و ربما وجد فیهم من تمتع بذکاء لامع، و ذاکرة خارقة یحفظ بها الأشعار و القصائد الطوال، و الخطب المفصلة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸

هذا الی جانب براعتهم فی فن الشعر و الخطابة بحیث لم یسبقهم فی ذلک غیرهم و الی جانب انهم کانوا مضرب المثل فی الشجاعة و الجرأة، و المهارة فی الفروسیة و الرمی.

یرون الفرار و الادبار فی الحرب عارا لازما، و صفة ذمیمة یلام صاحبها بسببها اشد اللوم.

(۱) و لکن فی مقابل ذلک کله کانوا یعانون من مفاسد أخلاقیة تغطی علی کل کمال عندهم، و تنسی کل فضیلة.

و لو لا تلک الکوة المبارکة التی فتحت علیهم من عالم الغیب، لطویت صفحة حیاتهم الإنسانیة علی القطع و الیقین.

یعنی لو لم تبزغ شمس الإسلام فی أواسط القرن السادس المیلادی، و لم تسطع أشعتها الباعثة علی الحیاة، علی عقولهم و قلوبهم لما رأیت الیوم من العرب العدنانیین أی أثر، و لتکرّرت مقولة العرب البائدة مرة اخری!

(۲) لقد حوّل فقدان القیادة الرشیدة، و غیاب الثقافة الصحیحة حیاة العرب، من جانب، و انتشار الفساد و الفحشاء من جانب آخر إلی حیاة حیوانیة مزریة حتی أن صفحات التاریخ تروی لنا أخبارا و قصصا مفصلة عن حروب دام بعضها خمسین عاما، و بعضها الآخر مائة عام قد نشبت بین الاطراف العربیة لأسباب طفیفة و دوافع تافهة جدا.

لقد أدی عدم سیادة النظام و القانون علی الحیاة العربیة، و عدم وجود حکومة قویة مسیطرة علی الاوضاع، توقف البغاة و المتمردین عند حدودهم، إلی أن یعیش العرب- آنذاک- فی صورة القبائل الرحّل، و یرحلوا فی کل سنة الی منطقة معینة من الصحراء التماسا للعشب و الماء لانفسهم و لا نعامهم، فاذا عثروا علی ماء و عشب أو شیء من آثار الحیاة نزلوا عنده، و أنزلوا رحالهم بجواره، فاذا سمعوا عن وجود مکان افضل استأنفوا رحلتهم الصحراویة التماسا لحیاة اکثر برکة، و عطاء، و أوفر خصبا و أمنا.

(۳) هذه الحیرة و هذا الضیاع و عدم الاستقرار کان ناتجا من أمرین:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹

الأوّل: سوء الاوضاع الجغرافیة و رداءة الأحوال الطبیعیة للجزیرة العربیة، و خاصة من حیث الماء و المناخ و المراعی.

و الآخر: الحروب و المصادمات الدمویة الکثیرة، و اضطراب الأحوال الاجتماعیة، التی کانت تلجئ جماعات کثیرة إلی التنقل الدائم و الرحیل عن الأوطان و مغادرتها، و عدم الاستقرار فی منطقة معینة.

(۱)

هل کان للعرب حضارة قبل الإسلام؟

یستنتج مؤلف کتاب «حضارة العرب» من دراسته لأوضاع العرب الجاهلیة أن العرب کانوا أصحاب حضارة عریقة سبقت الإسلام بقرون.

فالقصور الضخمة التی أقاموها فی مختلف نقاط و مناطق الجزیرة العربیة، و العلاقات التجاریة التی کانت لهم مع أرقی شعوب الأرض، شواهد قویة علی تمدنهم و حضارتهم الغابرة، لأن قوما أنشئوا لمدن العظیمة- قبل الرومان بقرون کثیرة- و کانت علاقاتهم بارقی و اکبر شعوب الأرض وثیقة، لا یمکن عدهم همجا، و شعبا بلا حضارة.

ثم إنه یستدل- فی موضع آخر من کتابه- علی حضارة العرب الغابرة بآدابهم و وحدة و کمال لغتهم اذ یقول:

«و لو کان التاریخ صامتا إزاء حضارة لقطعنا- مع ذلک- بوجودها قبل ظهور «محمّد» بزمن طویل، و یکفی لتمثّلها أن نذکر أنه کان للعرب آداب ناضجة و لغة راقیة.

و الحق أنّ الآداب و اللغة من الامور التی لا تأتی عفوا، و هی تتخذ دلیلا علی ماض طویل، و ینشأ عن اتّصال امة بأرقی الامم اقتباسها لما عند هذه الامم الراقیة من التمدن إذا کانت أهلا لذلک».

(۲) و قد خصص المؤلف المذکور صفحات عدیدة فی کتابه لإثبات حضارة عریقة و عظیمة للعرب قبل الإسلام معتمدا فی ذلک علی ثلاث امور:

۱- وجود لغة راقیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰

۲- وجود علاقات مع الامم الراقیة.

۳- وجود قصور و أبنیة ضخمة، و فخمة فی الیمن کما یصفها المؤرخان المسیحیان المعروفان «هیردوتس» و «ارتمیدور» اللذان کانا یعیشان قبل المسیح بقرون، و قدامی المؤرخین المسلمین کالمسعودی «۱».

(۱) لا کلام فی أنه کانت هناک فی بعض مناطق الجزیرة العربیة بعض حضارات، و لکن الأدلة التی استند إلیها المؤلف المذکور لا یمکن ان تکون شاهدا و دلیلا علی وجود الحضارة فی جمیع نقاط الجزیرة العربیة أبدا.

صحیح أن تکامل اللغة یسیر جنبا الی جنب مع غیره من مظاهر المدنیّة، و لکن لا یمکن ان نعتبر اللغة العربیة لغة مستقلة و غیر مرتبطة باللغات الاخری ای العبرانیة و السریانیة و الآشوریة و الکلدانیة، لأن جمیع هذه اللغات- حسب ما یؤیده و یؤکده المتخصصون فی علم اللغات- کانت ذات یوم- متحدة الأصل، و قد تشعبت من لغة واحدة، و فی هذه الحالة یحتمل أن تکون اللغة العربیة قد حققت تکاملها عبر اللغة العبرانیة أو الآشوریة، و بعد تکاملها أصبحت لغة مستقلة، أی ان الآخرین أسهموا فی تکمیلها.

(۲) کما أنه لا- شک أنّ وجود علاقات تجاریة مع الامم و الشعوب الراقیة هو الآخر دلیل علی الحضارة و المدنیة إلّا أنه هل کانت جمیع مناطق الجزیرة العربیة تملک مثل هذه العلاقات، أم إن اکثرها کانت محرومة من ذلک؟

هذا من جهة.

و من جهة اخرى فان وجود علاقات بين حكومتين فى الحجاز و هما: «الحيرة و غسان» و بين حكومتى «الفرس» و «الروم» لا يدل أبدا على وجود حضارة فى المنطقتين الحجازيتين إذ أن جميع هذه الحكومات كانت متصفة بالعمالة، فان الكثير من البلاد الافريقية هى اليوم من مستعمرات الدول الاوربية و مع ذلك لا توجد فيها أية مؤشرات و لا أية مظاهر من الحضارة الغربية الواقعية.

---

(۱) حضارة العرب: ۷۸- ۱۰۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱

(۱) طبعا لا- يمكن إنكار حضارة «سبأ و مأرب اليمن» العجيبة لأنه مضافا إلى ما جاء حول هذه الحضارة فى التوراة، و ما نقل عن «هيردوتس» و غيره، كتب المؤرخ المعروف «المسعودى» عن مأرب يقول: إن أرض سبأ كانت من أخصب أراضى اليمن و أثراها و أغدقها، و اكثرها جنانا و غيطانا و أفسحها مروجا، بين بنيان و جسد مقيم و شجر موصوف و مساكب للماء متكاثفة، و أنهار متفرقة، و كانت مسيرة اكثر من شهر للراكب المجدّ على هذه الحال، و فى العرض مثل ذلك، و انّ الراكب أو المارّ كان يسير فى تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهى الى آخرها لا يرى جهة الشمس، و لا يفارقه الظل لاستتار الارض بالعمارة و الشجر و استيلائها عليها و احاطتها بها، فكان أهلها فى اطيب عيش و ارفهه، و أهنا حال و ارغده، و فى نهاية الخصب و طيب الهواء و صفاء الفضاء، و تدفّق المياه و قوة الشوكة، و اجتماع الكلمة، و نهاية المملكة ... فذلّت لهم البلاد، و اذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض» «۱».

(۲) و خلاصة القول أن هذه الدلائل لا تدل على وجود حضارة فى كل مناطق الجزيرة العربية و خاصة منطقة الحجاز التى لم تذق طعم الحضارة أبدا، حتى أن «غوستاف‌لوبون» نفسه يعترف بهذه الحقيقة إذ يقول: «ان جزيرة العرب نجت من غزو الأجنبى خلا ما أصاب حدودها الشمالية، و إن عظماء الفاتحين من مصريين و أغارقة و رومان و فرس و غيرهم ممن انتهبوا العالم لم ينالوا شيئا من جزيرة العرب التى أوصدت دونهم أبوابها» «۲»

و على فرض صحة كل ما قيل عن وجود حضارة شاملة فى جميع مناطق الجزيرة العربية فانه يجب القول بان القدر المسلّم فى هذا المجال هو انه لم يبق أى اثر من هذه الحضارات فى منطقة الحجاز، إبان طلوع الإسلام، و بزوغ شمسه، و هى حقيقة يصرح بها القرآن الكريم اذ يقول تعالى: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «۳».

---

(۱) مروج الذهب: ج ۲ ص ۱۶۱ و ۱۶۲.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲

و ينبغى هنا أن نقف عند القرآن الكريم قليلا- كما وعدنا بذلك- فانه خير مرآة تعكس أحوال العرب و أوضاعهم بدقة متناهية و بشمولية ما وراءها شمولية.

ملامح المجتمع الجاهلى العربى فى منظور القرآن:

اشارة

إن القرآن يكشف إجمالا- عن أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله بعث إلى قوم لم يبعث إليها احد قبله اذ يقول: «وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» «۱».

و يقول فى آية اخرى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» «۲».

و من المعلوم أن المقصود فى هاتين الآيتين و نظائرهما هم قريش و القبائل القريبة إليها.

على أن أشمل وصف قرآنىّ لأوضاع المجتمع العربى الجاهلى و أحواله هو قول اللّه تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» «۳».

فإنّ هذه الآية تصوّر حياة العرب تصويرا مرعبا، اذ تصوّرهم اولا و كأنهم قد سقطوا فى قعر بئر الجاهلية، و الضلال و الشقاء فلا ينقذهم شىء من قعر التردى و السقوط الّا التمسّك بحبل اللّه، حبل الإيمان و القرآن.

و تصوّرهم ثانيا و كأنهم على شفير جهنم يوشكون أن يسقطوا فيه و يهووا فى نيرانه، و ليست تلك النار إلّا نيران العداوات و الحروب التى لو لم يقض عليها الإسلام بتعاليمه لأحرقت حياة العرب جميعا.

هذه هى صورة سريعة عما كان عليه العرب فى الجاهلية من جهل و سقوط.

و امّا تفصيل ذلك فيمكن الوقوف عليه بمراجعة الآيات الاخرى التى

---

(۱) القصص: ۴۶.

(۲) السجدة: ۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

تعرضت لذكر عادات العرب و أخلاقهم، و أفعالهم و تقاليدهم، بصورة مفصلة، و ها نحن نشير هنا إلى تلكم العادات و الاخلاق الفاسدة على ضوء تلك الآيات على نحو الاختصار تاركين التوسع فى ذلك إلى مجال آخر.

لقد اتصف المجتمع العربى الجاهلى قبل الإسلام و شاعت فيه أخلاق و عادات من أبرزها ما يلى:

۱- الشرك فى العبادة:

صحيح أن العرب فى الجاهلية كانت- كما يكشف القرآن ذلك لنا- موحّدة فى جملة من الامور و المجالات كالخالقية و التدبير و الذات «۱» إلّا أنهم كانوا- فى الأكثر- مشركين فى العبادة، بل قد ذهبوا فى هذا السبيل الباطل إلى أحطّ المستويات فى اتّخاذ المعبودات و الوثنية.

و إلى ذلك يشير قوله تعالى: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ» «۲».

و قوله تعالى: «أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى» «۳».

و غير ذلك من الآيات التى تشير إلى ما كان يعبده الجاهليّون من أوثان و أصنام و مبلغ ما وصلوا إليه من انحطاط، و اسفاف و انحراف فى هذا المجال.

۲- إنكار المعاد:

کـان المشـرکون و الجـاهلیون یرفضون الاـعتراف بالمعـاد الـذی یعنی عودة الإنسـان إلی الحیـاة. فی عـالم آخر للحسـاب و الجزاء، و یصفون من یخبر عن ذلک

---

(۱) نعم یسـتفاد من آیة واحدة أنّه کان هناک اتجاه نادر بین العرب فی الجاهلیة ینسب الظواهر الطبیعیة إلی الطبیعة و الدهر یقول اللّه تعالی: «وَ قالُوا ما هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا یَظُنُّونَ» (الجاثیة ۲۴).

(۲) الأنعام: ۱۰۰.

(۳) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۴

الیوم بالجنون او الکذب علی اللّه!!

یقول تعالی: «وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَـدُلُّکُمْ عَلی رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِیـدٍ، أَفْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِی الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِیدِ» «۱».

۳- هیمنة الخرافات:

لقد کانت حیاة العرب الجاهلیة ملیئة بالخرافات التی کان منها تحریمهم الأکل من أنعام أربعة ذکرها القرآن منددا بهذه البدعة اذ قال: «ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِیرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِیلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لکِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ» «۲».

أمّا (البحیرة) بوزن فعیلـة بمعنی مفعولة من البحر و هو الشق، فهی الناقة إذا نتجت خمسة أبطن آخرها انثی- و قیل ذکر- بحروا اذنها و شقوها لیکون ذلک علامة و ترکوها ترعی، و لا یستعملها أحد فی شیء.

و أمّا (السائبة) علی وزن فاعلة بمعناها أو بمعنی مفعولة فهی الناقة إذا نتجت اثنی عشر بطنا- و قیل عشرة- فهی تهمل و لا ترکب. و لا تمنع عن ماء، و لا یشرب لبنها إلا ضیف.

و أمّا (الوصیلة) بوزن فعیلة بمعنی فاعلة او بمعنی مفعولة فهی الشاة تنتج سبعة أبطن او تنتج عناقین عناقین.

و أمّـا (الحامی) بوزن فاعل من الحمی بمعنی المنع فهو الفحل من الإبل الـذی یسـتخدم للقاح الأناث، فاذا ولـد من ظهره عشـرة أبطن قالوا: حمی ظهره فلا یحمل علیه، و لا یمنع من ماء و مرعی «۳»

و الظاهر ان هذا المذهب تجاه هذه الانواع من الانعام کان بدافع الاحترام

---

(۱) سبأ: ۷ و ۸.

(۲) المائدة: ۱۰۳.

(۳) راجع مجمع البیان: ج ۳ ص ۲۵۲ و ۲۵۳ فی تفسیر الآیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵

و الشـکر لما وهب أصـحابها من النعم و البرکات، غیر أن هـذا العمل- کان فی حقیقته- نوعا من الإیـذاء و الإضـرار بهـذه الحیوانات، لأنهم کانوا یهملونها و یحرمونها من العنایـة اللازمـة فکانت تشـقی بقیة حیاتها، و تقاسـی من الحرمان، مضافا إلی ما کان یصـیبها من التلف و الضیاع، و ما یلحق ثروتهم و النعم التی و هبها اللّه لهم من هذا الطریق من الضرر و الخسارة.

و الأسوأ من كل ذلك أنهم- كما يستفاد من ذيل الآية- كانوا ينسبون هذه المبتدعات المنكرات و هذا المنع و الحظر إلى اللّه سبحانه و تعالى، اذ يقول سبحانه:

«وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» و قد أعلم اللّه فى مطلع الآية أنه لم يحرّم من هذه الاشياء شيئا، و أنهم ليكذبون على اللّه بادّعائهم أن هذه الأشياء من فعل اللّه أو أمره.

و قد أشار القرآن إلى هذه الخرافات التى كانت تكبّل عقول الناس فى ذلك المجتمع اذ يقول: «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ» «۱».

۴- الفساد الاخلاقى:

كان المجتمع الجاهلى العربى يعانى من فساد ذريع فى الاخلاق و قد أشار القرآن الكريم الى اثنين من أبرز وسائل الفساد و مظاهره هما: القمار (الذى كانوا يسمّونه بالميسر و انما اشتق من اليسر لأنه اخذ مال الرجل بيسر و سهولة من غير كدّ و لا تعب) و الخمر.

و قد بلغ شغفهم بالخمر أنهم أعرضوا عن قبول الإسلام و اعتناقه لأنه يحرّم تناول الخمر و شربه، كما نقرأ ذلك فى قصة الاعشى عما قريب.

يقول القرآن فى هذا الصعيد: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما» «۲».

و قد استطاع القرآن الكريم عبر مراحل أربع أن يستأصل هذه العادة البغيضة

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷ و راجع المحبر ص ۳۳۰- ۳۳۲.

(۲) البقرة: ۲۱۹.

التى كانت قد تجذرت بشكل عجيب فى نفوس ذلك القوم، حتى اصبحت السمة البارزة لحياتهم و أصبح التغنّى بالخمرة، و وصفها الطابع الغالب لآدابهم، و اللون البارز الذى يصبغ قصائدهم و اشعارهم.

على أن الفساد الأخلاقى فى المجتمع الجاهلى العربىّ قبل الإسلام لم يكن ليقتصر على معاقرة الخمر، و مزاولة الميسر بل تعدى إلى ألوان اخرى ذكرها القرآن الكريم فى ثلاثة عشر موضعا، حيث عدّ منها الزنا، و اللواط، و القذف، و إكراه الفتيات على البغاء و ما شاكل ذلك «۱».

۵- وأد البنات و إقبارهن:

و يشير القرآن الكريم أيضا إلى عادة جاهلية سيئة اخرى كانت رائجة بين قبائل العرب الجاهلية قاطبة و هى دفن البنت حية.

فقد شجب القرآن الكريم هذه العادة البغيضة و هذا العمل اللاانسانى و نهى عنه بشدة فى اربعة مواضع، إذ قال تعالى: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ. بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» «۲». و قال تعالى: «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً» «۳».

و قد اتى جد «الفرزدق» «صعصعة بن ناجية بن عقال» رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عدّ من اعماله الصالحة فى الجاهلية أنه فدى مائتين و ثمانين موؤدة فى الجاهلية، و أنقذهنّ من الموت المحتّم باشترائهنّ من آبائهن بأمواله.

و قد افتخر «الفرزدق» بإحياء جدّه للموءودات فى كثير من شعره اذ قال:

و منّا الذی منع الوائداتو أحیا الوئید فلم یوأد «۴»

---

(۱) راجع للوقوف علی ذلک سورة النساء: ۱۵ و ۱۶. و سورة النور: ۲ و ۳ و غیرها. و راجع المحبر:
ص ۳۴۰.

(۲) التکویر: ۸ و ۹.

(۳) الإسراء: ۳۱.

(۴) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۵ و ۴۶.

۶- تصوراتهم الخرافیة حول الملائکة:

و ممّا أشار إلیه القرآن الکریم تصورات العرب الجاهلیة حول الملائکة، فقد کانوا یعتقدون أن الملائکة من الإناث و أنهن بنات اللّه، اذ یقول تعالی:
«فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِکَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ. أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَیَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِینَ. ما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ» «۱».

۷- کیفیة الانتفاع من الانعام:

إذا کانت العرب الجاهلیة تمتنع من تناول لحوم الأنعام الاربعة المذکورة آنفا و تجتنب عن استعمال ألبانها و شعورها و أصوافها. إلا أنها کانت فی المقابل تتناول الدم، و المیتة و الخنزیر، و تأکل من الحیوانات و الأنعام التی تقتلها بصورة قاسیة، و بالتعذیب و الأذی، و ربما کانت تعتبر ذلک نوعا من العبادة، و یعرف ذلک من الآیة التالیة التی نزلت تنهی بشدة عن أکل هذه اللحوم، و تحرّم تناولها، اذ یقول سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّیَةُ وَ النَّطِیحَةُ وَ ما أَکَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَکَّیْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ» «۲».
فقد حرم اللّه فی هذه الآیة اکل:

۱- المیتة.

۲- الدم.

۳- لحم الخنزیر.

۴- ما ذکر اسم غیر اللّه علیه.

۵- التی تموت خنقا، و هی المنخنقة.

---

(۱) الصافّات: ۱۴۹- ۱۵۴.

(۲) المائدة: ۳.

۶- التی تضرب حتی تموت، و هی الموقوذة.

۷- التی تقع من مکان عال فتموت و هی المتردیة.

۸- التی تموت نطحا من حیوان آخر و هی النطیحة.

۹- ما افترسه سبع إلا اذا ذکی قبل موته.

۱۰- و ما ذبح أمام الاصنام.

۸- الاستقسام بالازلام:

فقد کان تقسیم لحم الذبیحة یتم عن طریق الأزلام، و الأزلام جمع (زلم) بوزن (شرف) و هی عیدان و سهام تستخد فی ما یشبه القرعة لتقسیم لحم الذبیحة.

فقد کان یشتری عشرة أنفار معیرا ثم یذبحونه، ثم یکتبون علی سبعة منها أسهما مختلفة من الواحد الی السبعة و لا یکتبون علی ثلاثة منها شیئا، ثم یجعلونها فی کیس ثم یستخرجونها واحدة بعد اخری، کل واحدة باسم أحدهم فیأخذ کل واحد منهم من الذبیحة ما خرج له من السهم، و هکذا یقتسمون الذبیحة بینهم «۱»، فنهاهم اللّه عن ذلک بقوله: «وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ» لأنّه ضرب من القمار الذی ینطوی علی مفاسد المیسر و القمار.

۹- النسیء:

کان العرب الجاهلیون یعتقدون حرمة الاشهر الحرم (و هی أربعة المحرم و رجب و ذو القعدة و ذو الحجة) فکانوا یتحرجون فیها من القتال، و جرت عادة العرب علی هذا من زمن إبراهیم و اسماعیل علیهما السّلام.

الّا أن سدنة الکعبة أو رؤساء العرب کانوا یعمدون أحیانا، و لقاء مبالغ یأخذونها، أو جریا مع أهوائهم، الی تأخیر الاشهر الحرم، و هو الأمر الذی عبّر

---

(۱) راجع للوقوف علی تفصیل هذه الطریقة بلوغ الارب: ج ۳ ص ۶۲ و ۶۳، و المحبر: ص ۳۳۲- ۳۳۵.

عنه القرآن الکریم بالنسیء ثمّ نهی عنه و عدّه کفرا اذ قال: «إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ یُضَلُّ بِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا یُحِلُّونَهُ عاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً لِیُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَیُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُیِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ» «۱».

و قد ذکرت کتب التاریخ و السیر کیفیة النسیء و تأخیر الأشهر الحرم، الذی کان یتم بصور مختلفة منها: أن جماعة ما لو کانت ترغب فی استمرار الغارة و القتال و لم تطق تأخیر النضال مدة الاشهر الحرم کانت تطلب من سدنة الکعبة، لقاء ما تقدمه لهم من هدایا و اموال، تجویز الغارة و القتال فی شهر محرم، و تحرم القتال فی شهر صفر بدله لیتم عدد الأشهر الحرم (و هی اربعة). و هذا هو معنی قوله تعالی: «لِیُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ» و کانوا إذا أحلّوا القتال و الغارة فی المحرم من سنة حرّموه فی المحرم من السنة التالیة، و هذا هو معنی قوله تعالی:

«یُحِلُّونَهُ عاماً، وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً».

۱۰- الربا:

و ممّا یشیر إلیه القرآن الکریم من المفاسد الشائعة، و الأعمال المنکرة فی المجتمع العربی الجاهلی قبل الإسلام: «الربا» الذی کان یشکل العمود الفقری فی اقتصاد ذلک المجتمع.

و قد حارب القرآن الکریم هذه العادة المقیتة، و هذا الفساد الاقتصادی حربا شعواء، إذ قال تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِیَ مِنَ الرِّبا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَکُمْ رُؤُسُ أَمْوالِکُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ» «۲».

و العجیب أنهم کانوا یبرّرون هذا العمل اللاإنسانی بقولهم «إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبا» «۳» فاذا کان البیع حلالا و هو اخذ و عطاء فلیکن الرّبا کذلک حلالا، فإنه أخذ و عطاء أیضا، مع أن «الرّبا» من ابشع صور الاستغلال، و قد ردّ

---

(۱) التوبة: ۳۷.

(۲) البقرة: ۲۷۸ و ۲۷۹.

(۳) البقرة: ۵/ ۲۱.

سبحانه علی هذه المقالة بقوله تعالی: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «۱» ففی البیع و الشراء یتساوی الطرفان فی تحمل الضرر المحتمل، بینما لا یتضرر المرابی فی النظام الربوی أبدا و إنّما یلحق الضرر بمعطی الربا دائما، و لهذا تنمو المؤسسات الربویة، و یعظم رصیدها، و ثروتها یوما بعد یوم فیما یزداد الطرف الآخر بؤسا و فقرا، و لا یحصل من جهوده المضنیة إلا علی ما یسدّ جوعته، و یقیم اوده، لا اکثر، کل ذلک نتیجة لهذا الاسلوب الاقتصادی غیر العادل.

صور من الوضع الجاهلی

ما قدمناه کان أبرز المفاسد الاخلاقیة و الاجتماعیة و الاقتصادیة و السیاسیة التی أشار إلیها القرآن الکریم، و أما التاریخ فملیء بالصور و القصص التی تحکی عن تردی حالة العرب الجاهلیة و سقوطها الفضیع فی قعر الفساد فی جمیع المناحی و الجهات.

و إلیک فی ما یلی نماذج و صور معدودة تکفی للوقوف علی الحالة العامة فی ذلک المجتمع نقتبسها لک من أصح المصادر و اوثقها:

(۱) و ها نحن نقدم قصة «أسعد بن زرارة» التی تسلط الضوء علی ما کان علیه الوضع الجاهلی فی اکثر مناطق الحجاز، فقد قدم «أسعد بن زرارة» و «ذکوان بن عبد قیس»- و هما من الأوس و کان بین الاوس و الخزرج حرب قد بقوافیها دهرا طویلا، و کانوا لا یضعون السلاح لا باللیل و لا بالنهار، و کان آخر حرب بینهم «یوم بعاث» و قد انتصر فیها الأوس علی الخزرج- مکة فی عمرة رجب یسألون الحلف علی الاوس، و کان اسعد بن زرارة صدیقا لعتبة بن ربیعة، فنزل علیه فقال: انه کان بیننا و بین قومنا حرب و قد جئناک نطلب الحلف علیهم، فقال له عتبة: إن لنا شغلا لا نتفرّغ لشیء. قال سعد: و ما شغلکم و أنتم فی حرمکم و أمنکم؟ قال له عتبة: خرج فینا رجل یدعی أنّه رسول اللّه سفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا و أفسد

---

(۱) البقرة: ۲۷۵.

شبّاننا، و فرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد اللّه بن عبد المطلب من أوسطنا شرفا، و أعظمنا بيتا.

(۱) و كان أسعد و ذكوان، و جميع الاوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير و قريظة و قينقاع، أن هذا أوان نبيّ يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب، فلما سمع ذلك أسعد وقع فى قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس فى الحجر، و إنّهم لا يخرجون من شعبهم إلّا فى الموسم، فلا تسمع منه و لا تكلمه فانه ساحر يسحرك بكلامه، و كان هذا فى وقت محاصرة بنى هاشم فى شعب أبى طالب، فقال له «أسعد»:

فكيف أصنع و أنا معتمر لا بدّ لى أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع فى اذنيك القطن، فدخل «أسعد» المسجد و قد حشا اذنيه بالقطن، (۲) فطاف بالبيت و رسول اللّه جالس فى الحجر مع قوم من بنى هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان فى الشوط الثانى قال فى نفسه: ما أجد أجهل منى؟ أ يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا اتعرّفه حتى ارجع الى قومى فاخبرهم، (۳) ثم أخذ القطن من اذنيه و رمى به، و قال لرسول اللّه: أنعم صباحا، فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رأسه إليه و قال: قد أبدلنا اللّه به ما هو احسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم، قال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلى شهادة ألّا إله إلّا اللّه، و انى رسول اللّه، و أدعوكم الى: «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» «۱».

---

(۱) الأنعام: ۱۵۱ و ۱۵۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲

(۱) فلما سمع «أسعد» هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنك رسول اللّه، يا رسول اللّه بأبى أنت و أمى ... «۱».

إن الامعان فى مفاد هاتين الآيتين يغنينا عن دراسة شاملة و واسعة لاوضاع العرب الجاهلية لأن هاتين الآيتين تكشفان عن الأمراض الاخلاقية التى كانت تكتنف حياة العرب الجاهلية، و لهذا تلا رسول اللّه الآيات التى تشير إلى هذه الادواء و الأمراض ليلفت نظر «سعد» إلى أهداف رسالته الكبرى.

(۲)

العقيدة و الدين فى الجزيرة العربية:

عند ما رفع «إبراهيم الخليل» لواء التوحيد فى البيئة الحجازية، و أعاد بناء الكعبة المعظمة و رفع قواعدها بمعونة ابنه «اسماعيل»، تبعه فى ذلك طائفة من الناس ممن أنار اللّه به قلوبهم، الّا انه من غير المعلوم إلى اىّ مدى استطاع ذلك النبى العظيم أن يعمّم دين التوحيد و يبسط لواءه على الجميع، و يؤلف صفوفا متراصة، و جبهة عريضة قوية من الموحدين، غير ان من المعلوم انه اصبحت تلك المنطقة مسرحا للوثنية و لعبادة الاشياء المختلفة مع الايام فقد كانت الطبقة المثقفة من العرب تعبد الكواكب و القمر، فهذا هو المؤرخ العربى الشهير الكلبى الذى توفى عام ۲۰۶ هجرية يكتب فى هذا الصدد قائلا كان «بنو مليح» من خزاعة يعبدون الجن و كانت «حمير» تعبد الشمس، و «كنانة» تعبد القمر، و «تميم» الدبران، و «لخم» و «جذام» المشترى، و «طى» سهيلا، و «قيس» الشعرى، و «أسد» عطاردا.

(۳) أما الدهماء و الذين كانوا يشكلون اغلبية سكان الجزيرة فقد كانوا يعبدون- مضافا إلى الصنم الخاص بالقبيلة أو العائلة- ثلاثمائة و ستين صنما، و كانوا ينسبون أحداث كل يوم من أيام السنة إلى واحد منها.

و قد دخلت عبادة الأصنام و الأوثان فى مكة بعد «إبراهيم الخليل»

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۸ و ۹، اعلام الورى: ص ۳۵- ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳

علیه السّلام علی ید «عمرو بن لحی»، و لکنها لم تکن فی بدایة أمرها بتلک الصورة التی وصلت إلیها فی ما بعد فقد کانوا یعتبرونها فی بدایة الأمر شفعاء إلی اللّه و وسطاء بینه و بینهم، و لکنهم تجاوزوا هذا الحد فی ما بعد حتی صاروا یعتقدون شیئا فشیئا بانها اصحاب قدرة ذاتیة مستقلة، و أنها بالتالی آلهة و أرباب.

(۱) و کانت الاصنام المنصوبة حول الکعبة تحظی باحترام جمیع الطوائف العربیة، و لکن الاصنام الخاصة بالقبائل فقد کانت موضع احترام جماعة خاصة فقط، و لأجل أن تبقی حرمة هذه الأصنام و الأوثان الخاصة محفوظة لا یمسها أحد بسوء کانوا ینشئون لها أماکن و بیوت خاصة، و کانت سدانة هذه البیوت و المعابد تنتقل من جیل إلی آخر بالوراثة.

أما الاصنام العائلیة فقد کانت العوائل تقتنیها للعبادة کل یوم و لیلة، فاذا أراد احدهم السفر کان آخر ما یصنعه فی منزله هو ان یتمسح به أیضا.

و کان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلی أحسنها، و اتخذه ربّا و جعل ثلاثة أثافیّ لقدره، و إذا ارتحل ترکه.

(۲) و کان من شغف أهل مکة و حبّهم للکعبة و الحرم أنه کان لا یسافر منهم أحد إلّا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظیما للحرم، و حبا له فحیثما حلّوا نصبوه و طافوا به کطوافهم بالکعبة صبابة بها، و یمکن أن تکون هذه هی «الأنصاب» التی فسرت بالاحجار العادیة غیر المنحوتة و تقابلها الأوثان، و هی الاحجار المنحوتة:

علی هیئة خاصة، و أما «الأصنام» فهی المعمولة من خشب أو ذهب أو فضة علی صورة انسان.

(۳) لقد بلغ خضوع العرب أمام الاصنام و الأوثان حدا عجیبا جدا، فقد کانوا یعتقدون بأنهم یستطیعون کسب رضاها بتقدیم القرابین إلیها، و کانوا بعد نحر الهدایا یلطخون وجوه الاصنام و رءوسها بدماء تلک الهدایا، و کانوا یستشیرونها فی مهام امورهم، و جلائل شئونهم، فاذا أرادوا الوقوف علی مستقبل الأمر الذی تصدّوا له و معرفة عاقبته أخیر هو أم شر استقسم لهم أمین القداح بقدحی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴

(الأمر و النهی) و هی قطع کتب علی بعضها (افعل) و علی بعضها الآخر (لا تفعل) فیمدّ أمین القداح یده و یجیل القداح و یخرج واحدا فان طلع الآمر فعل أو الناهی ترک.

(۱) و خلاصة القول، ان الوثنیّة کانت العقیدة الرائجة فی الجزیرة العربیة، و قد تفشّت فیهم فی مظاهر متنوعة و متعددة، و کانت الکعبة المعظمة- فی الحقیقة- محطّ أصنام العرب الجاهلیة و آلهتهم المنحوتة، فقد کان لکل قبیلة فی هذا البیت صنم، و بلغ عدد الاصنام الموضوعة فی ذلک المکان المقدس (۳۶۰) صنما فی مختلف الاشکال و الهیئات و الصور، بل کان النصاری أیضا قد نقشوا علی جدران البیت و أعمدته صورا لمریم و المسیح و الملائکة، و قصّة ابراهیم.

و کان من جملة تلک الأصنام: «اللات» و «العزّی» و «مناة» التی کانت تعتبرها قریش بنات اللّه و یختص عبادتها بقریش.

و کانت «اللات» تعتبر أمّ الآلهة، و کان موضعها بالقرب من «الطائف» و کانت من الحجر الابیض، و أما «مناة» فکانت فی عقیدتهم إلهة المصیر و ربّة الموت و الاجل و کان موضعها بین «مکة» و «المدینة».

(۲) و لقد اصطحب «ابو سفیان» معه یوم «احد»: «اللات» و «العزّی».

و یروی انه مرض ذات یوم «أبو احیحة» و هو رجل من بنی أمیّة، مرضه الذی مات فیه، فدخل علیه ابو لهب یعوده، فوجده یبکی، فقال: ما یبکیک یا ابا احیحة؟ أمن الموت تبکی و لا بد منه؟ قال: لا و لکنی اخاف ان لا تعبد العزی بعدی! قال ابو لهب: و اللّه ما عبدت حیاتک (ای لأجلک) و لا تترک عبادتها بعدک لموتک!! فقال أبو احیحة: الآن علمت ان لی خلیفة «۱».

(۳) و لم تكن هذه هی كل الأصنام التی كانت تعظّمها و تعبدها العرب بل كانت لقريش أصنام فی جوف الكعبة و حولها و كان اعظمها «هبل»، كما انه لم يكن لكل قبيلة صنم خاص فحسب بل كانت كل عائلة تعبد صنما خاصا بها

---

(۱) الأصنام للكلبی: ص ۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵

مضافا إلى صنم القبيلة و كانت المعبودات تتراوح بين الكواكب، و الشمس، و القمر، و الحجر، و الخشب، و التراب، و التمر، و التماثيل المنحوتة المختلفة فی الشكل، و الهيكل، و الاسم، المنصوبة فی الكعبة أو فی سائر المعابد.

لقد كانت الاصنام جميعها أو أغلبها معظّمة عند العرب، يتقربون عندها بالذبائح و يقرّبون لها القرابين، و جرت عادة بعض القبائل آنذاك أن تختار من بين أفرادها كل سنة شخصا فی مراسيم خاصة ثم تذبحه عند أقدام اصنامها، و تقبر جسده على مقربة من المذبح.

(۱) هذا العرض المختصر يكشف لنا كيف أن أرض الجزيرة العربية برمتها كانت قد اصبحت مسرحا للاصنام و مستودعا ضخما للاوثان، و كيف تحولت هذه البقعة من العالم ببيوتها و ازقتها و صحاريها و حتى بيت اللّه المحرم كانت قد تحولت الى مخزن للنصب المؤلّهة، و التماثيل المعبودة، و يتجلى هذا الأمر من قول شاعرهم الذی اسلم و راح يستنكر ما كان عليه من عبادة الاصنام المتعددة الخارجة عن الاحصاء و العدّ، اذ قال:

أ ربّا واحدا أم ألف ربأدين إذا تقسّمت الامور

عزلت اللات و العزى جميعاكذلك يفعل الجلد الصبور

فلا عزّى أدين و لا ابنتيهاو لا صنمی بنی عمرو أزور

و لا غنما أزور و كان ربّالنا فی الدهر إذ حلمی يسير

و لكن أعبد الرحمن ربّیليغفر ذنبی الربّ الغفور «۱» و قد حدثت بسبب الاختلاف و التعددية فی عبادة الاصنام و الاوثان المؤلّهة السخيفة الباطلة، تناقضات، و صراعات، و حروب و مناحرات، قد جرت بالتالی- ويلات و ماس و خسائر مادية و معنوية كبرى على تلك الجماعة المتوحشة، الضالة. سيد المرسلين ج ۱ ۵۵ العقيدة و الدين فی الجزيرة العربية: ..... ص : ۵۲

---

(۱) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۴۹ و جاء البصير.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶

(۱)

عقيدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت:

و عن مصير الإنسان و حالته ما بعد الموت هذه المشكلة الفلسفية العويصة كانت رؤية العرب و نظرتهم تتلخص فی ما يلی:

عند ما يموت الانسان تخرج روحه من جسده على هيئة طائر شبيه بالبوم يسمى عندهم ب «الهامّة و الصدى» ثم يبقى هذا الطائر قريبا من جسد الميت ينوح نوحا مقرحا و موحشا، و عند ما يوارى الميت يبقى هذا الطائر مقيما عند قبره إلى الابد!

و ربما وقف على جدار منزل الميت أحيانا لتسقّط أخبار عائلته و الاطلاع على أحوالهم!!

قال شاعرهم فی ذلك:

سلّط الموت و المنون عليهمفلهم فی صدى المقابر هام و إذا كان المرء قد مات بموتة غير طبيعية كما لو قتل- مثلا- فإن ذلك

الحیوان ینادی باستمرار: «اسقونی ... اسقونی» ای اسقونی بسفک دم القاتل و اراقته؛ و لا یسکن عن هذا النواح و النداء الخاص الا بعد الانتقام و الثأر من قاتله.

قال احدهم فی ذلک:

فیا ربّ إن أهلک و لم تروها متی‌بلیلی امت لا قبر أعطش من قبری «۱»

(۲) من هنا بالضبط تتجلی الحقیقة للقارئ و یعلم جیدا کیف أن تاریخ العرب ما قبل الإسلام و تاریخهم ما بعد الإسلام ما هو الّا تاریخان علی طرفی نقیض:

فذلک تاریخ جاهلیة، و وثنیة و إجرام، و هذا تاریخ علم و وحدانیة و انسانیة و ایمان، و شتان ما بین وأد البنات، و بین رعایة الایتام، و بین السلب و النهب و الاغارة و بین المواساة و الایثار، و بین عبادة الاوثان و الاصنام الصماء العمیاء

---

(۱) بلوغ الارب. ج ۲ ص ۳۱۱ و ۳۱۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷

و التقرب الی اللّه الواحد القادر.

(۱)

الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسیاتها:

المخلّفات الفکریة و الثقافیة، و ما یترکه أی شعب من الشعوب من قصص و حکایات افضل وسیلة للتعرف علی خلفیاته النفسیة و الأخلاقیة، ذلک لأنّ الآداب بما فیها الشعر و القصة، و الخطبة و الحکایة، و المثل و الکنایة مرآة صادقة تعکس المستوی الفکری لأیّة جماعة، و تعتبر خیر مقیاس لتمدّنها، و حضارتها، و أفکارها و نفسیاتها، تماما کما تحکی اللوحات الفنیة عن حیاة عائلة، أو منظر طبیعی جمیل، أو اجتماعات صاخبة، أو مشاهد قتالیة.

إن القصائد و الأمثال العربیة التی کانت رائجة آنذاک تستطیع- قبل کل شیء- أن تکشف عن الوجه الحقیقی لتاریخهم و نمط حیاتهم و سلوکهم، و لهذا السبب لا یجوز لأی مؤرخ واقعی یسعی الی الحصول علی صورة کاملة عن تاریخ شعب من الشعوب أن یتجاهل الترکة الفکریة و الأدبیة و الثقافیة لذلک الشعب سواء أ کان شعرا أم نثرا، أمثالا أم حکما، قصصا أم أساطیر.

و من حسن الحظ أنّ مؤرخی الإسلام اثبتوا و سجلوا باتقان ما اثر من العرب ممّا یرتبط بآدابهم فی العصر الجاهلی بقدر ما اتیح لهم ذلک.

(۲) و قد کان ابو تمام «حبیب بن اویس» (المتوفی عام ۲۳۱ هجریة) و الذی یعتبر من کبار أدباء الشیعة، و له قصائد رائعة فی مدح آل الرسول، ممن اعتنی عنایة بالغة بهذه الناحیة، حیث جمع فی کتاب واحد طائفة کبیرة جدا من الشعر الجاهلی مفصلة فی عشرة ابواب هی:

۱- الحماسة.

۲- المراثی.

۳- الادب.

۴- النسیب.

۵- الهجاء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸

۶- الاضافات.

۷- الصفات.

۸- السیر.

۹- الملح.

۱۰- مذمة النساء.

و قد تناول هذا الدیوان التاریخی القیم عدد کبیر من أدباء المسلمین و علمائهم بشرح ابیاته، و تفسیر غوامضها، و بیان اغراضها، و مقاصدها.

کما ترجم أصل الدیوان إلی لغات اجنبیة عدیدة جاء ذکر طائفة منها فی کتاب «معجم المطبوعات» «۱».

(۱)

مکانة المرأة عند العرب الجاهلیة:

إن الباب العاشر من هذا الدیوان خیر وسیلة لمعرفة ما کانت علیه المرأة فی العصر الجاهلی من الحرمان، و أقوی دلیل علی أنها کانت تعیش- فی ظل ذلک العهد- فی أسوأ الحالات و أشد الظروف و اتعسها.

هذا مضافا إلی أن الآیات القرآنیة التی تنزلت و هی تشجب بعنف معاملة الجاهلیین للعنصر النسائی، و قسوتهم علی الأنثی، هی الاخری افضل شاهد علی مدی الانحطاط الاخلاقی و التدهور السلوکی الذی انحدروا إلیه فی هذا المجال.

إن القرآن الکریم یصف عادة وأد البنات بقوله: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ» «۲» أی لیسأل یوم القیامة عن البنات اللاتی وئدن و هنّ أحیاء.

إن القرآن الکریم بهذه العبارة الموحیة إنما یتحدث- فی الحقیقة- عن عادة وأد البنات بمرارة، و یشجبها بشدة حتی أنه یعتبرها جریمة نکراء لا تمر- فی الآخرة- بدون حساب شدید، و سؤال خاص.

---

(۱) معجم المطبوعات: ص ۲۹۷، و قد اشتهر هذا الدیوان ببابه الأول: «الحماسة» فسمی دیوان الحماسة

(۲) التکویر: ۸.

حقا انه لأمر یکشف عن مدی القسوة التی کان علیها قلوب تلک الجماعة.

إنها قسوة تغشی کل عواطف المرء فلا یعود یسمع معها نداء الضمیر، و لا یحسّ معها بوخز الوجدان، انه لا یعود یسمع معها حتی صراخ بنته الجمیلة البریئة، و استغاثاتها المؤلمة و هی تری بام عینیها حفیرتها، و تحس بیدی والدها القاسی، و هو یدفعها إلی تلک الحفرة و یدفنها حیة!

إنها قسوة تکشف عن أسوأ و أحطّ درجات الانحطاط الخلقی، و التقهقر الإنسانی.

(۱) و بنو تمیم هی أول قبیلة أقدمت علی هذه الجریمة النکراء، و کان السبب أن «بنی تمیم» امتنعوا من دفع ضریبة الاتاوة التی کانت علیهم إلی الملک، فجرّد إلیهم النعمان بن المنذر حاکم العراق آنذاک جیشا کبیرا لضرب هذا التمرد، و انتصر علی «بنی تمیم» فی المال و غنم منهم الغنائم و سبی منهم الفتیات و النساء، فوفدت وفود «بنی تمیم» علی النعمان بن المنذر و کلّموه فی الذراری و النساء، فحکم النعمان بان یجعل الخیار فی ذلک الی النساء، فأیة امرأة اختارت زوجها ردّت علیه، فاختلفن فی الخیار، فاختار بعضهنّ العودة الی الاهل و الآباء، و اختارت بنت لقیس بن عاصم سابیها علی زوجها مما أثار هذا الموقف و الاختیار غیظ والدها العجوز «قیس بن عاصم» فنذر من ذلک الحین أن یدس کل بنت تولد له. و هکذا سنّ لقومه الوأد، و اخذت بقیة القبائل بهذه العادة البغیضة الوحشیة

إرضاء لغيرتهم و ظلّوا يمارسونها اعواما متمادية «۱».

و إليك واحدة من القصص المأساوية فى هذا المجال:

(۲) قيل لما وفد «قيس بن عاصم» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سأله بعض الانصار عما يتحدث به فى الموؤدات، فاخبر انه ما ولدت له بنت إلّا وأدها، قال:

كنت اخاف العار و ما رحمت منهن إلّا بنيّة كانت ولدتها امها و أنا فى سفر، فدفعتها الى أخواتها، و قدمت أنا من سفرى فسألتها عن الحمل، فاخبرت أنها

---

(۱) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۲ و ۴۳.

ولدت ولدا ميتا، و كتمت حالها، حتى مضت على ذلك سنون، و كبرت الصبية، و ينعت، فزارت امها ذات يوم، فدخلت فرأيتها و قد ضفرت شعرها و جعلت فى قرونها جدادا و نظمت عليها و دعا، و البستها قلادة من جزع فقلت لها: من هذه الصبية؟ و قد اعجبنى جمالها فبكت امها، و قالت: هذه ابنتك، فامسكت عنها حتى غفلت امها ثم اخرجتها يوما فحفرت لها حفرة و جعلتها فيها و هى تقول: يا ابت ما تصنع؟ اخبرنى بحقك!! و جعلت اقلّب عليها التراب، و هى تقول: أنت مغط علىّ بهذا التراب، أنت تاركى وحدى، و منصرف عنى، و جعلت اقذف عليها ختى واريتها، و انقطع صوتها، فتلك حسرتها فى قلبى، فدمعت عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «إن هذه لقسوة، و من لا يرحم لا يرحم» «۱».

و قد ذكر ابن الاثير فى كتابه «اسد الغابة» فى مادة: قيس: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله سأل قيسا عن عدد البنات اللاتى وأدهنّ فى الجاهلية: فاجاب قيس بانه وأد اثنتى عشرة بنتا له «۲».

و روى عن ابن عباس أنه قال: كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة، فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة و اذا ولدت ولدا حبسته «۳».

(۱)

المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب:

كانت المرأة عندهم تباع و تشترى كالمتاع، و كانت محرومة من جميع الحقوق الاجتماعيّة و الفردية، حتى حق الارث.

و قد كان المثقفون من العرب يعدّون النساء من الحيوانات، و لهذا كانوا يعتبرونهن جزء من أثاث البيت و يعاملونهن معاملة الرياش و الفراش حتى سار

---

(۱) حياة محمّد: تأليف محمّد على سالمين، ص ۲۴ و ۲۵.

(۲) راجع اسد الغابة: ج ۴ ص ۲۲۰، و جاء فى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۳ أنه وأد بضع عشرة بنتا.

(۳) بلوغ الارب: ج ۳ ص ۴۳.

فيهم المثل المعروف: «و انما امّهات الناس اوعية».

كما أنهم غالبا ما كانوا يقتلون بناتهم فى اليوم الاول من ميلادهن خشية الفقر تارة، و دفعا للعار و الشنان تارة اخرى.

و قد كان هذا القتل يتمّ إما بذبحهن أو إلقائهنّ من شاهق، أو إغراقهنّ فى الماء، أو الدفن و هن أحياء كما سبق.

(۱) و قد تعرض القرآن الكريم- الذى يعدّ من وجهة نظر المستشرقين الكتاب و المصدر التاريخى العلمى الوحيد الذى لم تنله يد التحريف- تعرّض لذكر قصة من هذا النوع ضمن آيات من سورة النحل حيث قال: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» «۱».

هذا و المؤسف أكثر هو ما كان عليه وضع الزواج فى الجاهلية، حيث لم يكن يستند الى اى قانون، و لم يخضع لأىّ واحد من النظم المعقولة، بل كان وضعا عديم النظير فى ذلك الزمان، فلم يكن لعدد الزوجات- مثلا- حد معلوم، او قاعدة ثابتة.

كما انهم كلما أرادوا التخلص من مهر الزوجة عمدوا إلى ايذاءها بقسوة، حتى تتخلى هى بنفسها عن حقها، و كان اقترافها لأىّ عمل مناف للعفة هو الآخر سببا لسقوط حقها فى المهر بالمرة.

(۲) و لطالما استغلّ بعض الاشخاص هذا القانون الجائر للتخلص من مهور زوجاتهم فاتهموهن بالخيانة الزوجية!!

و من قبيح ما كانوا يفعلون ان يتزوج الرجل بزوجة أبيه بعد تطليقها، أو وفاته و ربما تناوب الأبناء على امرأة أبيهم واحدا بعد واحد، فقد كان الرجل من العرب الجاهلية إذا مات عن المرأة أو طلّقها قام أكبر بنيه، فان كان يحبّ أن يتزوجها طرح ثوبه عليها، و إن لم يكن يريد التزوج بها تزوّج بها بعض اخوته بمهر

---

(۱) النحل: ۵۸ و ۵۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۲

جديد «۱».

و قد ابطل الإسلام هذه العادة الفاسدة حيث قال اللّه تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا» «۲».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السيرة طائفة ممن فعلوا هذا نعرض عن ذكر أسماءهم.

كما ذكرت تلك الكتب انواعا اخرى من المناكح الفاسدة الشنيعة التى أبطلها الإسلام «۳».

ثم إن المطلّقة لم يكن لها الحق- فى زمن الجاهلية- فى ان تتزوج برجل آخر بعد انقضاء عدّتها إلا إذا اذن لها الزوج الأول الذى كان غالبا ما يأخذ مهرها فى الزواج الثانى فى قبال الاذن.

و ربما منع اولياؤها من أن تتزوج بزوجها الأول الذى طلّقها، ثم خطبها بعد انقضاء العدة إذا رضيت به و رغبت فيه، أو أن تتزوج بمن أرادت و احبّت- بعد انقضاء العدّة- أصلا، حميّة جاهلية.

و كان الرجل يرث امرأة ذى قرابته إذا مات عنها، تماما كما يرث ما خلّف من أمتعة المنزل، زاعما بانه أحق بها من غيره، فيعضلها (يمنعها من الزواج) او تردّ إليه صداقها، و فى رواية؛ إن كانت جميلة تزوجها، و ان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها، و قد نهى اللّه تعالى عن ذلك، و أبطل تلك العادات اذ قال تعالى: «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» «۴».

---

(۱) المحبر: ص ۳۲۶ و ۳۲۷.

(۲) النساء: ۲۲، و كانوا يسمّون من يتزوج زوجة أبيه الضيزن، و كان هذا الزواج يسمّى فى الجاهلية «نكاح المقت» و يسمى الولد منه: مقتىّ. (راجع بلوغ الارب: ج ۲ ص ۵۳ و مجمع البيان للطبرسى: ج ۳ ص ۲۶).

(۳) المحبر: ۳۳۷- ۳۴۰.

(۴) البقرة: ۲۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳

و قال سبحانه: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ کَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَیْتُمُوهُنَّ» «۱».

و قال تعالی: «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِکُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» «۲».

و خلاصة القول؛ إن المرأة کانت فی العهد الجاهلیّ بشرّ حال، و یکفی لتلخیص ما قلناه انه لما خطب احدهم الی رجل ابنته، و ذکر له المهر و الصداق قال: إنّی و إن سیق إلیّ المهر ألف و عبدان (ای عبید و مماليک) و ذود (و هو من الابل من الثلاث الی العشر) عشر، أحبّ أصهاری إلیّ القبر و قال شاعرهم، فی ذلک.

لکلّ أبی بنت یراعی شئونهاثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل یراعیها و خدر یکنهاو قبر یواریها و أفضلها القبر «۳» کما ان العرب کانت مصفقة و متفقة علی توریث البنین دون البنات «۴».

(۱)

مقارنة بسیطة:

و لو لاحظت أیها القارئ الکریم الحقوق التی قررها الإسلام فی مجال (المرأة) لاذعنت- حقا- بأن هذه الاحکام و المقررات و هذه الخطوات المؤثرة التی خطاها النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی سبیل اصلاح حقوق المرأة، و تحسین اوضاعها، هی بذاتها شاهد حق، و دلیل صدق علی حقانیّته، و صدق ارتباطه بعالم الوحی.

فایة رعایة و لطف بالمرأة و حقوقها و أی اهتمام بشأنها و کرامتها أعلی و اکثر من ان یوصی النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله مضافا الی ما جاء فی آیات و احادیث کثیرة تؤکّد علی حقوق المرأة و توصی أتباع هذا الدین بالرحمة بهن و احترامهن فی

---

(۱) النساء: ۱۹.

(۲) البقرة: ۲۳۱.

(۳) بلوغ الارب: ج ۲ ص ۹.

(۴) المحبر: ص ۲۳۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴

خطبته الشهیرة فی (حجة الوداع) بالمرأة، و یؤکد علی ذلک اشد تأکید انه یقول صلّی اللّه علیه و آله:

«أیها النّاس إنّ لنسائکم علیکم حقا، و لکم علیهنّ حقا ... فاتقوا اللّه فی النّساء و استوصوا بهنّ خیرا، فانهنّ عندکم عبوان ... أطعموهنّ ممّا تأکلون، و ألبسوهنّ ممّا تلبسون» «۱».

(۱)

العرب و الرّوح القتالیة:

من الناحیة النفسیة یمکن القول بان عرب الجاهلیة کانوا النموذج الکامل للإنسان الحریص، الموصوف بالطمع الشدید، الفویّ التعلق بالمادیات.

لقد كانوا ينظرون الى كل شيء من زاوية منافعه و مردوداته المادية، كما أنهم كانوا دائما يرون لأنفسهم فضيلة و ميزة على الآخرين. كانوا يحبّون الحرية حبا شديدا، و لذلك كانوا يكرهون كل شيء يقيّد حريتهم.

(۲) يقول ابن خالدون عنهم: «إنهم (اى العرب الجاهلية) بطبيعة التوحّش الذى فيهم اهل انتهاب و عيث، ينتهبون ما قدروا عليه ... و كان ذلك عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم، و عدم الانقياد للسياسة و هذه الطبيعة منافية للعمران و مناقضة له».

و يضيف قائلا: «فطبيعتهم انتهاب ما فى أيدى الناس، و ان رزقهم فى ظلال رماحهم و ليس عندهم فى أخذ اموال الناس حدّ ينتهون إليه، بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه» «۲».

لقد كانت الاغارة و كان النهب و القتال من العادات المستحكمة عند القوم، و من الطبائع الثانوية فى نفوسهم، و قد بلغ ولعهم و شغفهم بكل ذلك و نروعهم

---

(۱) وردت هذه العبارات فى مصادر مختلفة مع شيء طفيف من الاختلاف، راجع تحف العقول: ص ۳۳ و ۳۴.

(۲) مقدّمة ابن خالدون: ص ۱۴۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵

الشديد إليه، أن أحدهم- كما يقال- سأل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بعد أن سمع منه وصف الجنة و ما فيها من نعيم: و هل فيها قتال؟ و لما سمع الجواب بالنفى قال: اذن لا خير فيها!!

اجل لقد سجل التاريخ للعرب ما يقرب من (۱۷۰۰) وقعة و حربا، امتد أمد بعضها الى مائة سنة أو اكثر، يعنى أن أجيالا كثيرة كانت تتوارث الحرب، و تستمر فى قتال الخصم، و ربّ حرب دامية طويلة الأمد اندلعت بسبب قضيّة تافهة «۱».

(۱) لقد كان العربى فى العهد الجاهلى يعتقد بأن الدم لا يغسله إلا الدم، و قضية «الشنفرى» التى هى اشبه بالأساطير لغرابتها يمكن أن تعكس مدى «العصبية الجاهلية» التى كانت سائدة آنذاك.

فالشنفرى يهان على يد رجل من «بنى سلامان» فيعزم على الانتقام منه، و ذلك بأن يقتل مائة من تلك القبيلة، و بعد التربّص الطويل يغتال تسعا و تسعين، و يبقى مشرّدا حتى تغتاله جماعة من اللصوص عند بئر فتفعل جمجمته- بعد مقتله- فعلتها، اذ تتسبّب بعد مرور سنين- فى قتل رجل من قبيلة- «بنى سلامان» و بذلك يكتمل العدد الذى حلف على قتلهم من تلك القبيلة، و ذلك عند ما يمر رجل من «بنى سلامان» على تلك المنطقة فيهب طوفان شديد يلقى بجمجمة «شنفرة» على ذلك الرجل فتصيبه فى رجله بشدة، فيموت بما لحقه من ألم و جراحة «۲».

---

(۱) العرب قبل الإسلام: ص ۳۱۹ و ۳۲۰، هذا و تعتبر حرب داحس و الغبراء من أيام العرب التاريخية قبل الإسلام، و قد نشأت بسبب سباق بين فرسين هما داحس و الغبراء (و هو فرسين لقيس بن زهير من بنى عبس) و فرسين آخرين (لحذيفة الغدر) انتهى الى التنازع فى السباق و ازداد التنافر بين المتسابقين و انجرّ الى طعن أحدهما الآخر، و أن تتهيأ على اثر ذلك مقدمات حرب طويلة بين قبيلتى الرجلين و حلفائهما استمرت من عام ۵۶۸ م الى عام ۶۰۸ م و موت كثيرين.

(راجع تاريخ العرب و آدابهم ص ۴۷ و الكامل لابن الأثير: ج ۱ ص ۲۰۴).

(۲) تاريخ العرب: ج ۱ ص ۱۱۱، و راجع أيضا بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۱۴۵ و ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶

(۱) و لقد بلغ انس العرب الجاهلية بالقتال و سفك الدماء أن جعلوا القتل و السفك للدماء من مفاخر الرجال!!

و یبدو ذلک جلیا لمن یقرأ قصائدهم الملحمیة التی تفوح منها رائحة الدم، و یخیّم علیها شبح الموت، تلک القصائد التی یمدح فیها الشاعر نفسه او قبیلته بما أراقوه من دماء!!، و ما ازهقوه من ارواح و ما سبوه من نساء!!، و أیتموه من أطفال!!

و نجد فی البیت الشعریّ التالی مدی انزعاج الشاعر العربیّ الجاهلی لما اصاب قبیلته من نکسة و ذل و هزیمة فی میدان القتال، اذ یقول:

فلیت لی بهمو قوما إذا رکبواشنّوا الإغارة رکبانا و فرسانا و یصف القرآن الکریم هذه الحالة بقوله: «وَ کُنْتُمْ عَلی شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَکُمْ مِنْها» «۱».

(۲)

الاخلاق العامة فی المجتمع الجاهلی العربی:

و مهما یکن من امر فان عوامل مختلفة کالجهل و ضیق ذات الید، و جشوبة العیش، و عدم وجود قانون صحیح یحکم الحیاة الاجتماعیة، و حالة البداوة الموجبة للتوحش، و الکسل و البطالة و غیر ذلک من الرذائل الاخلاقیة کانت قد حوّلت جوّ الجزیرة العربیة إلی جوّ فاسد قاتم، حتی أن امورا یندی لها الجبین قد اخذت طریقها الی حیاة تلک الجماعة و راحت تتخذ شیئا فشیئا صفة العادات المتعارفة!!

لقد کانت الغارات و عملیات النهب، و القمار، و الربا، و الاسر، و السبی من الأعمال و الممارسات الرائجة فی حیاة العرب الجاهلیة، و کان شرب الخمر و معاقرتها بلا حدود هو الآخر من الأعمال القبیحة الشائعة لدیهم، و لقد ترسّخت هذه العادة القبیحة فی حیاتهم الی درجة انها صارت جزء من طبیعتهم، و حتی أن

---

(۱) آل عمران: ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷

شعراءهم خصّصوا مساحات کبیرة فی قصائدهم لامتداح الخمرة و وصفها و کانت الحانات مفتوحة فی وجه الناس طیلة الوقت تستقبل الزبائن، و قد نصبت علیها رایات.

فها هو شاعرهم یقول:

إذا متّ فادفنّی إلی جنب کرمةتروّی عظامی بعد موتی عروقها

و لاـ تدفننی فی الفلاة فإنّنیأخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها «۱» لقد بلغت معاقرة الخمر من الرواج فی الحیاة العربیة الجاهلیة بحیث اصبحت لفظة «التجارة» تعادل فی عرفهم بیع الخمور، و الاتجار بها.

(۱) و لقد کانت الأخلاق تفسر عند العرب الجاهلیة بنحو آخر عجیب، فانهم مثلا کانوا یمدحون الشجاعة و المروءة و الغیرة، و لکنهم کانوا یقصدون من «الشجاعة» القدرة علی الإغارة و سفک الدماء، و کثرة عدد القتلی فی الحروب!! کما أن الغیرة کانت تعنی عندهم وأد البنات حتی أن هذا العمل الوحشیّ کان یعدّ عندهم من أعلی مظاهر الغیرة، و کانوا یرون الوفاء و الوحدة فی نصرة الحلیف حقا أو باطلاـ و هکذا فان اکثر القصص التی نقلت عن شجاعتهم و شغفهم بالحریة کانت الشجاعة و الشغف بالحریة فیها تتلخص و تتجسّد فی الاغارة و الانتقام.

انهم کانوا یعشقون- فی حیاتهم- المرأة و الخمرة و الحرب لیس غیر.

(۲)

النزوع الی الخرافة و الاساطیر فی المجتمع الجاهلی:

و لقد بیّن القرآن الکریم اهداف البعثة المحمّدیة المقدسة بعبارات موجزة، و ممّا یلفت النظر- اکثر من أیّ شیء- ما ذکره تعالی فی الکتاب العزیز حول أهم هذه الاهداف و الغایات العلیا إذ قال: «وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ» «۲».

---

(۱) تفسیر مفاتیح الغیب: ج ۲ ص ۲۶۲ طبعة مصر ۱۳۰۵.

(۲) الأعراف: ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸

(۱) فلا بدّ أن نعرف ما ذا کانت تلک الأغلال و السلاسل التی کانت عرب الجاهلیة ترزح تحتها حتی قبیل بزوغ فجر الإسلام؟

لا ریب أنّها لم تکن من جنس الأغلال و السلاسل الحدیدیة، و لم یکن المقصود منها ذلک أبدا، فما ذا کانت إذن یا تری؟

أجل إن المقصود من هذه الاغلال هی الأوهام و الخرافات التی کانت تقیّد العقل العربی عن الحرکة، و تعیقه عن النمو و التقدم، و لا شک أن مثل هذه السلاسل و الأغلال التی تقیّد الفکر البشری و تمنعه من التحلیق و التسامی، اثقل بکثیر من الاغلال و القیود الحدیدیة و اضرّ علی الإنسان منها بدرجات و مراتب، لأنّ الأغلال الحدیدیّة توضع عن الأیدی و الأرجل بعد مضی زمان، و یتحرر الإنسان منها، بعد حین، لیدخل معترک الحیاة بعقلیة سلیمة مبرّأة من الأوهام و الخرافات، و قد زالت عنه ما ترکته تلک الحدائد من جروح و آلام.

(۲) أما السلاسل و الاغلال الفکریة (و نعنی بها الاوهام و الاباطیل و الخرافات) التی قد تهیمن علی عقل الإنسان و تکبّل شعوره فانها طالما رافقت الإنسان الی لحظة وفاته، و اعاقته عن المسیر و الانطلاق، دون ان یستطیع التحرر منها، و التخلص من آثارها، و تبعاتها، اللهم اذا استعان علی ذلک بالتفکیر السلیم، و الهدایة الصحیحة.

فبالتفکیر السلیم و فی ضوء العقل البعید عن أیّ و هم و خیال یمکنه التخلص من تلک الاغلال و القیود الثقیلة، و أما بدون ذلک فإن أی سعی للإنسان فی هذا السبیل سیبوء بالفشل.

(۳) إن من أکبر مفاخر نبی الإسلام أنه کافح الخرافات، و أعلن حربا شعواء علی الأساطیر، و دعا إلی تطهیر العقل من أدران الأوهام و التخیلات، و قال: لقد جئت لاخذ بساعد العقل البشری، و أشد عضده، و احارب الخرافه مهما کان مصدرها. و کیفما کان لونها و أیّا کانت غایتها، حتی لو خدمت أهدافی، و ساعدت علی تحقیق مقاصدی المقدسة.

إنّ ساسة العالم الذین لا تهمهم إلّا إرساء قواعد حکمهم و سلطانهم علی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹

الشعوب لا- یتورعون عن التوسل بأیة وسیلة، و الاستفادة من ایة واقعة فی سبیل تحقیق مآربهم حتی أنهم لا یتأخرون عن التذرع بترویج الخرافات و الأساطیر القدیمة بین الشعوب للوصول إلی سدة الحکم، أو البقاء فیها ما امکنهم ذلک. و لو اتفق أن کانوا رجالا موضوعیین و منطقیین فانهم فی هذه الحالة دافعوا عن تلک الخرافات و الأوهام و الاساطیر التی لا تنسجم مع ای مقیاس عقلی بحجة الحفاظ علی التراث القومی، او احترام رای اکثریة الشعب، او ما شابه ذلک من الحجج المرفوضة.

(۱) و لکنّ رسول الإسلام لم یکتف بإبطال المعتقدات الخرافیة التی کانت تلحق الضرر به، و بمجتمعه، بل کان یکافح و یحارب بجمیع قواه کل اسطورة أو خرافة شعبیة او فکرة فاسدة باطلة، تخدم غرضه، و تساعد علی تحقیق التقدم فی دعوته و یسعی إلی أن یجعل الناس یعشقون الحقیقة لا ان یعبدوا الخرافات، و یکونوا صحایا الاساطیر و الأوهام، و إلیک واحدا من هذه المواقف العظیمة علی سبیل المثال لا الحصر.

لمّا مات إبراهيم بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو ابنه الوحيد، حزن عليه النبى حزنا شديدا فكانت تنحدر الدموع منه على غير اختيار، و اتفق ان انكسفت الشمس فى ذلك اليوم أيضا، فذهب المولعون بالخرافة فى ذلك المجتمع (العربى) على عادتهم إلى ربط تلك الظاهرة بموت إبراهيم و اعتبار ذلك دليلا على عظمة المصاب به فقالوا: انكسفت الشمس لموت ابن رسول اللّه، فصعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنبر و قال: «أيّها الناس انّ الشمس و القمر آيتان من آيات اللّه يجريان بامره، و مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته، فاذا انكسفا، أو أحدهما صلّوا».

ثم نزل من المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف و هى ما تسمى بصلاة الآيات «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹۱ ص ۱۵۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۰

(۱) ان فكرة انكساف الشمس لموت ابن صاحب الرسالة و ان كان من شأنها ان تقوّى من موقع النبى فى قلوب الناس، و تخدم بالتالى غرضه، و تساعد على انتشار دعوته، و تقدمها، إلا أنه صلّى اللّه عليه و آله رفض أن يحصل على المزيد من النفوذ فى قلوب الناس من هذا الطريق.

على أن محاربة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله للخرافات و الاساطير التى كانت نموذجا بارزا من محاربته للوثنية، و تأليه المخلوقات و عبادتها، لم تكن من سيرته فى عهد الرسالة بل كان ذلك دأبه فى جميع أدوار حياته، حتى يوم كان صبيا يدرج، فانه كان يحارب الاوهام و الخرافات، و يعارضها فى ذلك السن أيضا.

تقول حليمة السعدية مرضعة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لما تمّ له (اى لمحمّد) ثلاث سنين قال لى يوما: «يا امّاه مالى لا أرى أخوىّ بالنّهار»؟

قلت له: يا بنىّ إنهما يرعيان غنيمات، قال: «فما لى لا أخرج معهما»؟ قلت له:

تحبّ ذلك؟ قال: نعم.

فلما أصبح دهّنته و كحّلته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانية (و هى من التمائم الباطلة كانت تعلّق على الشخص فى أيام الجاهلية لدفع الآفات عنه)، فنزعها، و قال لى: «مهلا يا اماه فإنّ معى من يحفظنى» «۱».

(۲)

الخرافات فى عقائد العرب الجاهلية:

كانت عقائد جميع الامم و الشعوب العالمية يوم بزوغ شمس الإسلام ممزوجة بألوان من الخرافات و الأساطير.

فالاساطير اليونانية و الساسانية كانت تخيّم على افكار الشعوب التى كانت تعدّ فى ذلك اليوم من أرقى الشعوب و المجتمعات.

على انه لا- تزال خرافات كثيرة تسود و الى الآن فى المجتمعات الشرقية المتقدمة، و لم تستطع الحضارة الراهنة أن تزيلها من حياة الناس و معتقداتهم.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۹۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۱

إن تنامى الخرافة «يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى العلمى و الثقافى فى كل مجتمع، فبقدر ما يكون المجتمع متخلفا من الناحية الثقافية و العلمية تزداد نسبة وجود الخرافة و مقدار نفوذها فى عقول الناس و نفوسهم.

(۱) لقد سجل التاريخ عن سكّان شبه الجزيرة العربية طائفة هائلة و كبيرة من الاوهام و الخرافات، و قد جمع السيّد محمود الآلوسى اكثرها فى كتابه «بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب»، مرفقا كل ذلك بما حصل عليه من الشواهد الشعرية و غيرها «۱».

و من يتصفح هذا الكتاب يقف على ركام هائل من الخرافات التى كانت تملأ العقل العربى الجاهلى آنذاك و تعشعش فى نفوسهم، و قد كانت هذه السلسلة الرهيبة من الأوهام هى السبب فى تخلّف هذا الشعب عن بقية الشعوب و الامم الاخرى.

و لقد كانت هذه الخرافات من أكبر السدود فى طريق تقدم الدعوة الإسلامية، و لهذا اجتهد النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله بكل طاقاته فى محو و ازالة آثار الجاهلية التى لم تكن سوى تلك الأوهام و الاساطير و الخرافات.

فعند ما وجّه «معاذ بن جبل» الى اليمن اوصاه بقوله:

«و امت أمر الجاهليّة إلّا ما سنّه الإسلام و أظهر أمر الإسلام كلّه صغيره و كبيره» «۲».

(۲) لقد وقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمام جماهير كبيرة من العرب الذين كانت عقولهم ترزح تحت الافكار و المعتقدات الخرافية ردحا طويلا من الزمن يعلن عن نهاية عهد الأفكار و الاوهام الجاهلية اذ قال: «كلّ ماثرة فى الجاهليّة تحت قدمىّ» «۳».

---

(۱) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۸۶- ۳۶۹.

(۲) تحف العقول: ص ۲۵.

(۳) السيرة النبوية: ج ۳ ص ۴۱۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۲

(۱)

نماذج من الخرافات فى المجتمع الجاهلى:

اشارة

و للوقوف على مدى أهمية التعاليم الإسلامية و قيمتها نلفت نظر القارئ الكريم الى نماذج من هذه الخرافات، و من أراد التوسع راجع المصدر المذكور.

(۲)

۱- الاستسقاء باشعال النيران:

كانت العرب إذا أجدبت، و أمسكت السماء عنهم، و أرادوا أن يستمطروا عمدوا الى السلع و العشر (و هما أشجار سريعة الاشتعال) فحزموهما، و عقدوهما فى أذناب البقر، و أضرموا فيها النيران و أصعدوها فى جبل وعر، و اتبعوها يدعون اللّه تعالى، و يستسقونه، و انما يضرمون النيران فى أذناب البقر تفاؤلا- للبرق بالنار ... و كانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات الاخرى، و كانت هذه الثيران و الابقار اذا صاحت من وجع الاحتراق ظنّت العرب بان ذلك هو الرعد!!! و قد قال شاعرهم فى ذلك:

يا (كحل) قد أثقلت أذناب البقربسلع يعقد فيها و عشر

فهل تجودين ببرق أو مطر؟ (۳)

۲- ضرب الثور اذا عافت البقر:

کانوا إذا أوردوا البقر فتمتنع من شرب الماء، ضربوا الثور لیقتحم الماء، بعده و یقولون: إن الجنّ تصدّ البقر عن الماء، و أن الشیطان یرکب قرنی الثور، و لا یدع البقر تشرب الماء، و لذلک کانوا یضربون وجه الثور.

و قد قال فی هذا شاعرهم:

کذاک الثور یضرب بالهراوی‌إذا ما عافت البقر الظماء و قال آخر:

فإنی إذا کالثور یضرب جنبه‌إذا لم یعف شربا و عافت صواحبه «۱»

---

(۱) عافت أی کرهت شرب الماء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۳

و قال ثالث:

فلا تجعلوها کالبقیر و فحلهایکسّر ضربا و هو للورد طائع

و ما ذنبه إن لم ترد بقراتهو قد فاجأتها عند ذاک الشرائع

(۱)

۳- کیّ صحیح الإبل لیبرأ السقیم:

اذا کان یصیب الإبل مرض او قرح فی مشافرها و اطرافها عمدوا إلی بعیر صحیح من تلک الإبل فکووا مشفره و عضده و فخذه یرون أن ذلک إن فعلوه ذهب العرّ و القرح و المرض عن إبلهم السقیمة، و لا یعرف سبب ذلک.

و قد احتمل البعض أنهم إنما کانوا یفعلون ذلک وقایة للصحاح من الإصابة بالعرّ الذی أصاب غیرها، أو أنه نوع من المعالجة العلمیة، و لکن لما ذا ترى کانوا یعمدون إلی بعیر واحد من بین کل تلک الابل، فلا بد من القول بأن هذا الفعل کان ضربا من الاعمال الخرافیة التی کانت سائدة فی ذلک المجتمع الجاهلی قبل الإسلام.

و قد قال شاعرهم عن ذلک:

و کلّفتنی ذنب امرئ و ترکته‌کدی العرّ یکوی غیره و هو راتع و قال آخر:

کمن یکوی الصحیح یروم برآبه من کل جرباء الإهاب و قال ثالث:

فالزمتنی ذنبا و غیری جرّه‌حنا نیل لا تکون الصحیح بأجربا

(۲)

۴- حبس ناقة عند القبر اذا مات کریم:

إذا مات منهم کریم عقلوا ناقته او بعیره عند القبر الذی دفن فیه ذلک الکریم، فعکسوا عنقها، و أداروا رأسها الی مؤخّرها و ترکوها فی حفیرة لا تطعم و لا تسقی حتی تموت، و ربما احرقت بعد موتها و ربما سلخت و ملئ جلدها ثماما، و کانوا یزعمون أن من مات و لم یبل علیه (ای لم تعقل ناقة عند قبره هکذا)

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۴

حشر ماشیا، و من کانت له بلیة (ای ناقة عقلت هکذا) حشر راکبا علی بلیّته.

و قد قال أحدهم فی هذا الصدد:

اذا متّ فادفنّی بحرّاء ما بهاسوی الأصرخین أو یفوّز راکب

فإن أنت لم تعقر علیّ مطیّتیفلا قام فی مال لک الدهر حالب و قال آخر و هو یوصی ولده بان یفعلوا له ذلک:

أ بنیّ لا تنس البلیّة إنهالأبیک یوم نشوره مرکوب

(۱)

۵- عقر الإبل علی القبور:

کانوا إذا مات أحدهم ضربوا قوائم بعیر بالسیف عند قبره، و قیل انهم کانوا یفعلون ذلک مکافأة للمیت المضیاف علی ما کان یعقره من الإبل فی حیاته و ینحره للاضیاف.

و قد ابطلت الشریعة المقدسة هذه العادة الباطلة فی ما أبطلته فقد جاء فی الحدیث «لا عقر فی الإسلام».

و قد قال أحدهم حول العقر هذا:

قل للقوافل و الغزاة اذا غزواو الباکرین و للمجدّ الرائح

إن الشجاعة و السماحة ضمّناقبرا بمرو علی الطریق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر بهکوم الجلاد و کل طرف سابح

و أنضح جوانب قبره بدمائهافلقد یکون اخادم و ذبائح

۶- نهیق الرجل إذا اراد دخول القریة (التعشیر):

(۲) و من خرافاتهم أن الرجل منهم کان إذا اراد دخول قریة فخاف وباءها او جنّها وقف علی بابها قبل ان یدخلها فنهق نهیق الحمار، ثم علّق علیه کعب ارنب کأنّ ذلک عوذة له، و رقیة من الوباء و الجن و یسمون هذا النهیق التعشیر.

قال شاعرهم:

و لا ینفع التعشیر أن حمّ واقعو لا زعزع یغنی و لا کعب ارنب

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۵

و قال الآخر:

لعمری إن عشّرت من خیفة الردیٰنهاق حمیر أننی لجزوع

۷- تصفیق الضالّ فی الصحراء لیهتدی:

(۱) فقد کان الرجل منهم اذا ضلّ فی فلاة قلب قمیصه و صفق بیدیه، کأنه یومئ بهما الی انسان مهتدی.

قال أعرابی فی ذلک:

قلبت ثیابی و الظنون تجول بی‌و یرمی برجلی نحو کل سبیل

فلأیا بلائی ما عرفت حلیلتی‌و أبصرت قصدا لم یصب بدلیل

۸- الرتم:

(۲) و ذلک أن الرجل منهم کان اذا سافر عمد الی خیط فعقده فی غصن شجرة او فی ساقها فاذا عاد نظر إلی ذلک الخیط فإن وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه و ان لم یجده أو وجده محلولا قال: قد خانتنی. و ذلک العقد یسمی «الرتم».

قال شاعرهم فی ذلک:

خانته لما رأت شیبا بمفرقه‌و غرّه حلفها و العقد للرتم و قال الآخر:

لا تحسبنّ رتائما عقدنّهاتنبیک عنها بالیقین الصادق و قال ثالث:

یعلل عمرو بالرتائم قلبه‌و فی الحیّ ظبیّ قد أحلّت محارقه

فما نفعت تلک الوصایا و لا جنت‌علیه سوی ما لا یحبّ رتائمه

۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها:

فقد کانت العرب تقول: ان المرأة المقلاة و هی التی لا یعیش لها ولد، إذا وطئت القتیل الشریف عاش ولدها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۶

قال احدهم:

تظلّ مقالیت النساء یطأنه‌یقلن أ لا یلقی علی المرء مئزر

۱۰- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت:

(۱) و من تخیّلات العرب و خرافاتهم أن الغلام منهم اذا سقطت له سن أخذها بین السبابة و الابهام و استقبل الشمس اذا طلعت و قذف بها و قال: یا شمس ابدلینی بسنّ احسن منها و لتجر فی ظلمها إیاتک، او تقول إیاؤک، و هما جمیعا شعاع الشمس.

قال احدهم و هو یصف ثغر معشوقته:

سقته إیاة الشمس إلّا لثاته‌أسفّ و لم تکرم علیه باثمد أی کأن شعاع الشمس اعارته ضوءها.

هذا و قد أشار شاعرهم الی هذا الخیال (او قل الخرافة المذکورة) اذ قال:

شادن یحلو إذا ما ابتسمت‌عن أقاح کاقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته‌بردا أبیض مصقول الاثر

۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون:

و من تخیّلات العرب أنهم کانوا إذا خافوا علی الرجل الجنون، و تعرّض الارواح الخبیثة له نجّسوه بتعلیق الاقذار کخرقة الحیض و

عظام الموتی قالوا:

و أنفع من ذلک أن تعلّق علیه طامت عظام موتی ثم لا یراها یومه ذلک. و انشدوا فی ذلک:

فلو أن عندی جارتین و راقیاو علّق أنجاسا علیّ المعلق و قالت امرأة و قد نجّست ولدها فلم ینفعه ذلک و مات:

نجّسته لا ینفع التنجیس‌و الموت لا تفوته النفوس

۱۲- دم الرئیس یشفی:

فقد کانت العرب تعتقد أنّ دم الرئیس یشفی من عضة الکلب الکلب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۷

قال الشاعر:

بناة مکارم و اساة جرح‌دماؤهم من الکلب الشفاء و قال آخر:

أحلامکم لسقام الجهل شافیة‌کما دماؤکم تشفی من الکلب

۱۳- شق البرقع و الرداء یوجب الحب المتقابل:

و من أوهامهم و تخیلاتهم أنهم کانوا یزعمون أن الرجل إذا احب امرأة و احبّته فشق برقعها و شقّت رداءه صلح حبهما و دام، فان لم یفعلا ذلک فسد حبهما، قال فی ذلک احدهم:

و کم شققنا من رداء محبّرو من برقع عن طفلة غیر عانس

اذا شق برد شق بالبرد برقع‌دوالیک حتی کلّنا غیر لابس

نروم بهذا الفعل بقیا علی الهوی‌و الف الهوی یغوی بهذی الوساوس

(۱)

۱۴- معالجة المرضی بالامور العجیبة:

و من مذاهبهم الخرافیة فی معالجة المرضی إذا بثرت شفة الصبی حمل منخلا علی رأسه و نادی بین بیوت الحیّ: الحلأ الحلأ، الطعام الطعام، فتلقی له النساء کسر الخبز، و اقطاع التمر و اللحم فی المنخل ثم یلقی ذلک للکلاب فتأکله، فیبرأ من المرض فان أکل صبیّ من الصبیان من ذلک الذی ألقاه للکلاب تمرة او لقمة أو لحمة بثرت شفته.

فقد رویت عن امرأة أنها انشدت:

ألا حلأ فی شفة مشقوقه‌فقد قضی منخلنا حقوقه و من أعاجیبهم أنهم کانوا إذا طالت علة الواحد منهم، و ظنّوا أنّ به مسّا من الجن لانه قتل حیة، أو یربوعا، أو قنفذا، عملوا جمالا من طین و جعلوا علیها جوالق و ملأوها حنطة و شعیرا و تمرا، و جعلوا تلک الجمال فی باب جحر إلی جهة المغرب وقت غروب الشمس و باتوا لیلتهم تلک، فاذا اصبحوا نظروا إلی تلک

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۸

الجمال الطین فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدیة فزادوا فیها و ان رأوها قد تساقطت و تبدّد ما علیها من المیرة قالوا: قد قبلت الدیة

و استدلوا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا الدفّ.

قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائى و السقماحمل الى الجن جمالات و ضمّ

فقد فعلت و السقام لم يرمفبالذى يملك برئى اعتصم و قال آخر:

فيا ليت أن الجن جازوا حمالتىو زحزح عنى ما عنانى من السقم

اعلّل قلبى بالّذى يزعمونهفيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم و من مذاهبهم فى هذا المجال أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القوباء (و هو مرض جلدى) عالجها بالريق.

قال احدهم:

يا عجبا لهذه الفليقةهل تذهبّن القوباء الريقة

۱۵- خرافات فى مجال الغائب:

كانوا إذا غمّ عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عاديـة (أى مظلمـة بعيدة القعر) أو جاءوا إلى حصن قديم و نادوا فيه: يـا فلان أو يا أبا فلان (ثلاث مرات)، و يزعمون انه إن كان ميتا لم يسـمعوا صوتا، و إن كان حيا سـمعوا صوتا ربّما توهموه و هما، أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم فى ذلك:

دعوت أبا المغوار فى الحفر دعوةفما آض صوتى بالذى كنت داعيا «۱»

أظن أبا المغوار فى قصر مظلمتجرّ عليه الذاريات السوافيا و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساجبعادىّ البئار فما أجابا

---

(۱) آض أى عاد و رجع.

و من ذلـك أن الرجـل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: (أرى من احبّه) فإن كان غائبا توقع قـدومه، و إن كان بعيـدا توقّع قربه، و قال أحدهم:

إذا اختلجت عينى أقول لعلّهافتاة بنى عمرو بها العين تلمع و قال آخر:

إذا اختلجت عينى تيقّنت إنّنىأراك و إن كان المزار بعيـدا و كانوا إذا لا يحبّون لمسافر أن يعود إليهم أوقـدوا نارا خلفه و يقولون فى دعائهم «أبعده اللّه و أسحقه و أوقد نارا إثره» قال بعضهم:

صحوت و أوقدت للجهل ناراورد عليك الصباما استعارا

۱۶- عقائدهم العجيبة فى الجنّ و تأثيره:

كانت العرب فى الجاهلية تعتقد فى الجن و تأثير هذا الكائن فى شتى مجالات حياتهم اعتقادات عجيبة و فى غاية الغرابة.

فتارة تستعيذ بالجن، و قد استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادىمن شرّ ما فيه من الأعادى

فلم یجرنا من هزبر عادی

و عن الاستعاذة بالجنّ قال اللّه سبحانه فی القرآن: «وَ أَنَّهُ کانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً» «۱».

و من ذلک اعتقادهم بهتاف الجن. و لهم فی هذا المجال أساطیر خرافیة مذکورة فی محلّها.

و من هذا القبیل اعتقادهم بالغول، فقد کانت تزعم العرب فی الجاهلیة أن الغیلان فی الفلوات (و هی من جنس الشیاطین) تتراءی للناس، و تغول تغولا ای تتلوّن تلونا فتضلّهم عن الطریق، و تهلکهم، و من هذا القبیل أیضا اعتقادهم بالسعالی!!

---

(۱) الجن: ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۰

و قد قال أحدهم فی ذلک:

و ساحرة عینیّ لو أنّ عینهارأت ما الاقیه من الهول جنّات

أبیت و سعلاة و غول بقفرةإذا اللیل و أری الجن فیه أرنت

۱۷- تشاءمهم بالحیوانات و الطیور و الاشیاء:

و من مذاهبهم الخرافیة تشاءمهم بأشیاء کثیرة و حالات عدیدة:

فمن ذلک؛ تشاءمهم بالعطاس.

و تشاءمهم بالغراب حتی قالوا: فلان أشأم من غراب البین، و لهم فی هذا المجال أبیات شعریة کثیرة منها قول أحدهم:

لیت الغراب غداة ینعب دائباکان الغراب مقطّع الأوداج و کذا تشاءمهم و تطیّرهم بالثور المکسور القرن و الثعلب. إلی غیر ذلک من التخیلات و الأوهام و الخرافات و الاساطیر، و الاعتقادات العجیبة، و التصورات الغریبة التی تزخز بها کتب التاریخ المخصصة لبیان أحوال العرب قبل الإسلام و حتی ابان قیام الحضارة الإسلامیة.

(۱)

مکافحة الإسلام لهذه الخرافات:

و لقد کافح الإسلام جمیع هذه الخرافات بطرق مختلفة، و اسالیب متنوعة.

أما بالنسبة إلی ما کانوا یفعلونه بالحیوانات (۲) فمضافا إلی أنّ أیّ شیء من هذه الأعمال لا ینسجم مع العقل و المنطق و العلم لأن المطر و الغیث لا ینزل من السماء باسعال النیران، و ضرب الثیران لا یؤثر فی البقر، کما لا ینفع کیّ البعیر الصحیح فی شفاء الإبل السقیمة، و تعتبر هذه الاعمال نوعا من تعذیب الحیوانات و قد نهی الإسلام بشدة عن تعذیب الحیوانات و ایذائها، بای شکل کان.

(۳) فقد روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «للدّابة علی صاحبها ستّ خصال:

۱- یبدأ بعلفها إذا نزل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۱

۲- و یعرض علیها الماء إذا مرّ به.

۳- و لا یضرب وجهها فإنها تسبّح بحمد ربّها.

۴- و لا یقف علی ظهرها إلا فی سبیل اللّه عزّ و جلّ.

۵- و لا یحمّلها فوق طاقتها.

۶- و لا یکلّفها من المشی إلا ما تطیق «۱».

کما روی أنه نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن أن توسم البهائم فی وجهها، و أن تضرب فی وجوهها فانها تسبّح بحمد ربها.

و من هنا ندرک ان التعالیم فی مجال الرفق بالحیوان، و حمایته، علی النقیض من العادات الجاهلیة السائدة فی البیئة العربیة آنذاک.

و اما بالنسبة الی التمائم و الأشیاء التی کانت تعلّقها العرب علی أعناق و صدور رجالها، و أولادها، من الأحجار و الخرز، و عظام الموتی، و معالجة المرضی و المصابین و غیرهم بها أحیانا فقد حاربها الإسلام، بعد أن أبطلها کما ابطل الافاعیل التی سبق أن ذکرناها قبل هذا.

فلما جاءت جماعات من الأعراب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سألوه عن الرّقی و القلائد التی کانوا یتداوون بها أو یسترقونها بدلا عن التداوی بالعقاقیر و الأدویة قائلین یا رسول اللّه: أ نتداوی؟

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «تداووا فإنّ اللّه لم یضع داء إلا وضع له دواء» «۲».

بل نجد النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یأمر سعد بن أبی وقاص عند ما اصیب بمرض فی فؤاده أن یعالج نفسه عند طبیب إذ قال له لما عاده و عرف بحاله: «إنک رجل مفود، ائت الحارث بن کلدة أخا ثقیف فإنه رجل یتطبّب» «۳».

---

(۱) من لا یحضره الفقیه: ج ۲ ص ۲۸۶، و راجع للوقوف علی أحادیث حقوق الحیوان کتاب الشؤون الاقتصادیة: ص ۱۳۰- ۱۵۹ أیضا.

(۲) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۸.

(۳) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۲

(۱) هذا مضافا إلی أنه وردت أحادیث کثیرة تصرّح ببطلان التمائم السحریّة التی لا تنفع و لا تضرّ أبدا، و ها نحن نشیر فی ما یلی إلی نموذجین من هذه الأحادیث:

۱- یقول أحدهم: دخلت علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بابن لی قد اعلقت علیه من العذرة (و هی قلادة سحریة جاهلیة) فقال: علام تدغرن أولادکنّ بهذا العلاق، علیکنّ بهذا العود الهندیّ» و کان صلّی اللّه علیه و آله یقصد عصارة هذا العود «۱».

۲- روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام أنه قال: «إنّ کثیرا من التمائم شرک» «۲».

هذا مضافا إلی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أوصیاءه الکرام- بارشادهم الناس إلی ما ینبغی أن یتداووا به من العقاقیر و الأدویة و ما أعطوه من تعالیم قیمة کثیرة فی هذا المجال ممّا جمعه المحدثون الکبار تحت عنوان: «طبّ النبی» و «طب الرضا» و ... و- قد وجهوا ضربة قویة اخری إلی تلک الأوهام و التخیّلات، و الخرافات و الاساطیر التی کان یعانی منها المجتمع العربی الجاهلی قبل الإسلام «۳».

و أما الغول، و الطیرة، و التشاؤم، و الهامّة و النوء فقد حاربها النبی بصراحة اذ قال: صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «لا هامّة و لا نوء و لا طیرة، و لا غول» «۴».

و قال (ص) «العیافة و الطیرة و الطرق من الجبت» «۵».

---

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۸۴.

(۲) سفینة البحار: ج ۱ مادة رقی.

(۳) و قد فتح المحدّثون من الفریقین أبوابا خاصّا لأحادیث الطبّ النبویّ فی کتب الحدیث أیضا.

(۴) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۹۶ و ۱۹۷ الفصل الرابع باب نفی مزاعم الجاهلیة، قال مؤلف التاج: الهامّة طائر أو البوم إذا سقط فی مکان تشاءم أهله، أو دابّة تخرج من رأس القتیل أو من دمه فلا تزال تصیح حتی یؤخذ بثاره، و النوء نجم یأتی بالمطر و آخر یأتی بالریح (حسب عقیدة الجاهلیة)!!

(۵) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۱. قال مؤلّف التاج العیافة زجر الطّیر و التفاؤل بأسمائها و أصواتها کالتفاؤل بالعقاب علی العقاب، و بالغراب علی الغربة، و بالهدهد علی الهدی، و کذا بأفعالها، و کیفیة طیرانها فکانت العرب تزجر الطیر و تثیره فما اخذ منها ذات الیمین تبرکوا به-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۳

و عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا أنه قال: «إنّ الرقی و التمائم و التوله شرک» «۱».

و عن أحدهم قال: قلت یا رسول اللّه امورا کنّا نصنعها فی الجاهلیة، کنّا نأتی الکهّان، قال: فلا تأتوا الکهان، قلت: کنّا نتطیّر قال: ذاک شیء یجده أحدکم فی نفسه فلا یصدّنکم».

إن وجود النهی الشدید و المکرّر فی الأحادیث الکثیرة عن الطیرة و التشاؤم، و الزجر و العیافة و التمائم و التولة و الهامّة و النوء و الغول، و الکهانة، و ایذاء الحیوانات و کیهنّ، و تعذیبهن، و ما شابه ذلک یدل بوضوح و قوة علی مدی رسوخ هذه العادات الباطلة فی الحیاة العربیّة الجاهلیة، یکشف عن مبلغ اعتقادهم بها، و نزوعهم إلیها و هو بالتالی یکشف عن مغزی قوله تعالی: «وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ» «۲» فأیّة سلاسل و أغلال أثقل و أسوأ عاقبة و أشدّ وطئة، من هذه الأغلال ... أغلال الخرافة و الوهم، و سلاسل التخیلات و الاساطیر؟!!

(۱)

أوضاع العرب الاجتماعیة قبیل ظهور الإسلام:

إن اولی خطوة خطاها البشر باتّجاه النمط الاجتماعی کانت عند ما أقبل علی تأسیس و إقامة الحیاة القبلیة، فالقبیلة تتکون من اجتماع عدة عوائل و اسر مترابطة فیما بینها بوشائج القربی و النسب تحت زعامة شیخ القبیلة، و بهذا یتحقق

- و تیمّنوا و ما تیاسر منها تشاء موابه (کما فی بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۱۲ تحت عنوان کیفیة الزجر عند العرب).

و «الطرق»: الضرب بالحصی (للاستدلال علی امور غیبیّة باعتقاد الجاهلیین). و الجبت هو الباطل.

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۳. قال مؤلّف الجامع: «التولة»: نوع من السحر یحبّب الرجل إلی زوجته، و هو من عمل المشرکین (أی فی الجاهلیة).

(۲) سورة الأعراف: ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۴

أبسط نمط من أنماط الحیاة الاجتماعیة.

(۱) و قد کانت الحیاة العربیة- آنذاک- من هذا القبیل، فکل مجموعة من العوائل المترابطة نسبیا تتجمع فی شکل قبیلة، و تشکل بذلک مجتمعا صغیرا یخضع فیه الجمیع لأوامر رئیس القبیلة و زعیمها، و لقد کان الجامع بین افراد القبیلة هو الرابطة القومیة، و الوشیجة النسبیة، و کانت هذه القبائل تختلف فی عاداتها و رسومها، و تقالیدها و أعرافها، اختلافا کبیرا، و إذ کانت کل قبیلة تعتبر القبائل الاخری غریبة عنها لذلک کانت لا تقیم للآخرین وزنا و لا قیمة، و لا تعترف لهم بای حق أو حرمة.

و لهذا كانت ترى الإغارة على الآخرين و قتلهم، و نهب أموالهم، و سلب ممتلكاتهم و سبى نسائهم من حقوقها القانونية المشروعة، اللّهم إلّا أن يكون بين القبيلة، و القبيلة الاخرى حلف أو معاهدة.

هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت القبيلة التى تتعرض للإغارة من جانب قبيلة اخرى ترى من حقها أن تردّ الصاع صاعين، فتقتل كل أفراد القبيلة المغيرة، لأن الدّم- فى نظرهم- لا يغسله الا الدّم!!!

و لقد تبدلت أخلاقية العرب هذه بعد انضوائهم تحت لواء الإسلام الحنيف، بل تحوّلوا من نمط الحكومة القبلية المتخلفة و النظام العشائرى الضيّق هذا، إلى حكومة عالميّة، و استطاع رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان يؤلف من القبائل العربية المتفرقة أمّة واحدة.

(۲) و لا شك أن تأليف امة واحدة من قبائل و جماعات اعتادت طوال سنين مديدة من التاريخ على التناحر و التنازع، و التخاصم و التقاتل، و التهاجم و الإغارة فى ما بينها، و استمرأت سفك الدماء، و إزهاق الارواح، و ذلك فى مدة قصيرة، عمل عظيم جدا، و معجزة اجتماعية لا نظير لها، لأن مثل هذا التحوّل العظيم إذا اريد له أن يتمّ عبر التحوّلات و التطورات العاديّة لاحتاج الى تربية طويلة الامد، و وسائل لا تحصى كثرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۵

(۱) يقول «توماس كارليل» فى هذا الصدد: لقد اخرج اللّه العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، و أحيى به منها امة خاملة لا يسمع لها صوت و لا يحسّ فيها حركة، حتى صار الخمول شهرة و الغموض نباهة و الضعة رفعة و الضعف قوة، و الشرارة حريقا، و شمل نوره الأنحاء و عمّ ضوؤه الأرجاء ما هو إلا قرن بعد إعلان هذا الدين حتى أصبح للعرب (المسلمين) قدم فى الهند و اخرى فى الاندلس «۱».

و الى هذه الحقيقة يشير أيضا مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهير «رينان» قائلا: «لا مكان لبلاد العرب فى تاريخ العالم السياسىّ و الثقافى و الدينىّ قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الذى صار به العرب أمّة فاتحة مبدعة و لم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الاولى من الميلاد، حين كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ» «۲».

(۲) أجل إن هذه القبائل العربية الجاهلية المختلفة المتناحرة لم تكن تعيش أية حضارة، و لم تمتلك أية تعاليم و قوانين، و أنظمة و آداب قبل مجيء الإسلام، لقد كانت محرومة من جميع المقومات الاجتماعية التى توجب التقدم و الرقى، و لهذا لم يكن من المتوقع ابدا ان تصل إلى تلك الذرى الرفيعة من المجد و العظمة، و لا أن تنتقل من نمط الحياة القبلية الضيقة الى عالم الانسانية الواسع، و افق الحضارة الرحيب بمثل هذه السرعة التى وصلت إليه، و الزمن القصير الذى انتقلت فيه.

إنّ مثل الشعوب و الامم البشرية مثل المبانى و العمارات تماما.

فكما أن البناء القوى الراسخ يحتاج الى موادّ إنشائية قوية معدّة باتقان و محضّرة باحكام حتى يستطيع البناء المصنوع من هذه الموادّ، و المؤسس بعناية و هندسة متقنة من الوقوف فى وجه الأعاصير، و الأمطار الغزيرة كذلك يحتاج كيان كل امة رشيدة من الامم إلى اسس و قواعد محكمة (و هى الأصول و الآداب الكاملة، و الأخلاق الإنسانية العالية) لتستطيع من البقاء و التقدم.

---

(۱) الخطط الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ص ۳۸، و الإسلام العلم و الحديث: ص ۳۳.

(۲) حضارة العرب: ص ۸۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۶

(۱) و لهذا السبب لا بد من التأمل فى أمر و سرّ هذه الظاهرة العجيبة و لا بد أن نتساءل:

کیف تحقق ذلک التطور العظیم، و ذلک التحول العمیق للعرب الجاهلیة، و من این نشأ؟؟

کیف امکن ان تتحول جماعة متشتتة، متعادیة، متناحرة، متباغضة، فی ما بینها، بعیدة عن النظم الاجتماعیة، بمثل هذا السرعة الی أمّة متآلفة متآخیة متعاونة متسالمة متحابة، و تشکل دولة قویة کیانا سیاسیا شامخا أوجب أن تخضع لها دول العالم و شعوبه، و تطیعها، و تحترم مبادئها و اخلاقها و آدابها آنذاک.

(۲) حقا لو کان فی مقدور العرب أن یحرزوا ذلک التقدم الهائل بفعل عامل ذاتی فلما ذا لم تستطع عرب الیمن الذین کانوا یمتلکون شیئا کبیرا من الثقافة و الحضارة، و الذین عاشوا الانظمة الملکیة سنینا عدیدة، بل و ربّت فی احضانها ملوکا و قادة کبارا، أن تصل الی مثل هذه النهضة العظیمة الشاملة، و تقیم مثل هذه الحضارة العریضة الخالدة.

لما ذا لم تستطع العرب الغساسنة الذین کانوا یجاورون بلاد الشام المتحضرة، و یعیشون تحت ظلّ حضارة «الروم» أن یصلوا الی هذه الدرجة من الرشد؟

(۳) لما ذا لم تستطع عرب الحیرة الذین کانوا- و إلی الامس القریب- یعیشون فی ظلّ الامبراطوریة الفارسیة أن ینالوا مثل هذا الرقی و التقدم؟ و حتی لو وصلوا الی هذه الدرجة من التقدم و حققوا هذه القفزة فانه لم یکن أمرا یثیر العجب لأنهم کانوا یعیشون فی أحضان مدنیات کبری، و یتغذون منها، و لکن الذی یثیر الدهشة، و العجب هو أن تستطیع عرب الحجاز من تحقیق هذه النهضة الباهرة، و یرثوا الحضارة الإسلامیة العظمی و هم الذین کانوا یفتقرون إلی أبسط مقوّمات الحضارة الذاتیة، و لم یکن لهم عهد بأیّ تاریخ حضاریّ مشرق، بل کانوا کما عرفت یرزحون تحت أغلال الوهم و التخیّل، و یسیرون فی ظلمات الخرافات و الأساطیر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۷

(۱)

دول الحیرة و غسّان:

علی العموم کانت المناطق ذات المناخ الجیّد من الجزیرة العربیة حتی آخر قرن قبل الإسلام تحت سیطرة ثلاث دول کبری هی: «ایران»، «الروم»، «و الحبشة».

فالشرق و الشمال الشرقی من هذه المنطقة کانت تحت حمایة «ایران».

و الشمال الغربی کان تابعا للروم.

و المناطق المرکزیة و الجنوب کانت تحت نفوذ «الحبشة».

و علی أثر مجاورة هذه المناطق للدول المتحضّرة المذکورة، و ما کان بینها من نزاع و تنافس دائمین ظهرت فی المناطق الحدودیة للجزیرة العربیة دول شبه متحضرة، و شبه مستقلة کان کل واحدة منها تابعة فی حضاراتها لدولة متمدنة عظمی تجاورها.

و قد کانت دول «غسان»، و «الحیرة» «و کنده» من هذه الدول شبه المستقلة و شبه المتمدنة، و کانت کل واحدة منها تابعة لاحدی الدول العظمی آنذاک: «ایران»، «الروم»، «الحبشة».

(۲) الحیرة: یتبیّن من الآثار و الأخبار أنه هاجرت- فی أوائل القرن الثالث بعد المیلاد- بعض الطوائف العربیة، و ذلک فی نهایات الحکم الأشکنانی، إلی الأراضی المجاورة للفرات، و سیطروا علی قسم من أراضی العراق، و قد أوجدت هذه الجماعة المهاجرة القری و القلاع هناک، شیئا فشیئا، و أحدثت المدن التی من أهمّها: «الحیرة» التی کانت تقع علی حافة صحراء بالقرب من مدینة الکوفة الحالیة.

و قد کانت هذه المدینة- و کما یظهر من اسمها- فی بدایة أمرها قلعة (لأن الحیرة تعنی فی اللغة السریانیة: الدیر و ما یشبهه) یسکنها العرب ثم تطورت شیئا فشیئا الی مدینة.

(۳) و قد ساعد مناخها الجميل، و المياه الوافرة التى تأتى إليها من الفرات، و جودة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۸

الأحوال الطبيعية الاخرى إلى أن تجتذب إليها أصحاب الصحراء، و سكان البوادى، و القفار، كما و استطاعت هذه المدينة و بفضل مجاورتها للحضارة الفارسية إن تكتسب من ثقافتها و مدنيتها ما أفاض عليها لونا من الحضارة و المدنية، و قد بنيت بالقرب من «الحيرة» قصور مثل «الخورنق» الذى أضاف إلى هذه المدينة جمالا و بهاء خاصّين، و قد تعرّف العرب الساكنون فى هذه المنطقة على الخط و الكتابة، و يمكن ان تكون الكتابة و القراءة قد سرتا منها الى بقية مناطق الحجاز و مدنها «۱».

(۱) و لقد كان ملوك «الحيرة» و أمراؤها من اللخميين العرب يؤيّدون من قبل الدولة الإيرانية بقوة، و سبّب هذا التأييد، و الحماية الايرانية لأمراء الحيرة و ملوكها كان يكمن فى أن ملوك إيران- آنذاك- كانوا يريدون أن تكون الحيرة سدّا، و حاجزا بينهم و بين عرب البادية، يدفعون بهم خطر الغزاة من أهل الصحارى على الحدود الإيرانية.

و لقد سجّل التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء؛ و قد نظم «حمزة الاصفهانى» فهرستا بأسمائهم، و جدولا بأعمارهم و مدد حكوماتهم، و من كان يعاصرهم من ملوك بنى ساسان الإيرانيين «۲».

و مهما يكن الأمر فإن دولة اللخميين العرب كانت من أكبر الحكومات العربية شبه المتحضرة فى منطقة الحيرة، و كان آخر ملوك هذه السلسلة هو «النعمان بن المنذر» صاحب القصة التاريخية التى تتضمن خلعه من الحكم، و قتله بواسطة الملك الايرانى: «خسرو برويز» «۳».

(۲) غسّان: فى أوائل القرن الخامس أو اوائل القرن السادس الميلادى هبط جماعة من المهاجرين اليمنيين فى الشمال الغربى- أقصى نقاط الجزيرة العربية- و فى جوار الإمبراطوريّة الروميّة، و أسسوا دولة الغساسنة، و قد كانت هذه الدولة

---

(۱) فتوح البلدان للبلاذرى: ص ۴۵۷.

(۲) سنىّ ملوك الأرض: ص ۷۳- ۷۶.

(۳) الأخبار الطوال: ص ۱۰۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۹

تحت حماية الروم، و كان ملوكها ينصبون من جانب إمبراطوريات «قسطنطينية» مباشرة، تماما كما كان ملوك «الحيرة» ينصبون من جانب ملوك ايران.

و لقد كانت دولة الغساسنة متحضرة نوعا ما، و حيث أن مراكز حكمها كانت قريبة من ناحية إلى «دمشق» و مجاورة ل: «بصرى» مركز القسم الرومى من الجزيرة العربية من ناحية اخرى، لذلك تأثرت بحضارة الروم تأثرا كبيرا و بالغا.

و لقد كان الغساسنة متحالفين مع الروميين بسبب ما كان بينهم و بين ملوك الحيرة اللخميين العرب و الايرانيين من الاختلاف و النزاع، و لقد حكم فى دولة الغساسنة تسعة أو عشرة من الأمراء و الملوك تباعا.

(۱)

الدين فى أرض الحجاز:

لقد كان الدين الرائج فى الحجاز هو الوثنية، و عبادة الاصنام.

نعم كانت هناك أقليّات دينية يهودية تقطن فى يثرب (المدينة فيما بعد) و خيبر، كما انه كان هناك من يتبع المسيحية و هم سكّان نجران، البلد الحدودى لليمن و الحجاز.

و کـان الـدین الرائـج فی المنـاطق الشـمالیة من الحجاز (إی الشام حالیا) هو المسـیحیة بسـبب مجاورة هـذه المناطق للروم و خضوعها للسیادة الرومیة.

و لو أننا اسـتثنینا من الحجاز هذه المناطق الحساسة الثلاث لما وجدنا فی بقیة مناطق الحجاز إلّا الوثنیة فی أشـکال مختلفة، و اعتقادات متنوعـة، اللّهم إلّا بضع افراد کان عـددهم لا یتجاوز عـدد أصابع الیـد ممن یسـمّون بالاحناف کانوا علی دین التوحیـد، و کان عددهم بالنسبة إلی الاکثریة الساحقة من العرب الوثنیین قلیلا جدّا «۱».

(۲) فمنذ زمن النبی «إبراهیم» الخلیل و ابنه «اسماعیل» علیهما السّلام دخل

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۲۲ و ۱۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۰

التوحیـد، و دخلت بعض التعالیم الأخلاقیـة و الدینیـة إلی أرض الحجاز، و کان الحـج و أداء مناسـکه احتراما للکعبة الشـریفة هو أحد هـذه التعالیم و السـنن التی دخلت مع «الخلیل» إلی هـذه المنطقـة، ثم إن رجلا من قبیلـة «خزاعة» یسـمی «عمرو بن لحی» الذی کانت زعامـة مکـة قـد عهدت إلیه، أدخل عبادة الاوثان فی مکة فی ما بعد، و ذلک عند ما سافر هذا الخزاعی إلی بلاد الشام فوجد قوما من العمالقة یعکفون علی تماثیل جمیلة النقش و المنظر یعبدونها، و یؤلّهونها، فقال لهم:

ما هذه الأصـنام التی أراکم تعبدون قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، و نستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أ فلا تعطوننی منها صنما فاسیر به إلی أرض العرب فیعبـدوه فأعطوه صـنما، و هکذا اسـتحب عملهم، و جلب معه الی مکة صـنما جمیل النقش و النحت یدعی «هبل» فنصبه و دعا الناس إلی عبادته، و تعظیمه.

و هکذا دخلت الوثنیة إلی «مکة» المکرمة، و اصبحت عبادة الاوثان و الاصنام عبادة رائجة فی تلک الدیار «۱».

(۱) و اشهر اصنام العرب هی:

۱- هبل و کانت أعظم اصنام العرب التی فی جوف الکعبة.

۲- اساف.

۳- نائلة و کانت هی و اساف علی موضع زمزم ینحرون عندهما.

۴- اللات و کانت لثقیف بالطائف.

۵- العزّی و کانت بنخلة الشامیة، و کانت لقریش و بنی کنانة.

۶- منات و کانت للاوس و الخزرج و من ذهب مذهبهم من أهل یثرب.

۷- عمیانس و کان بأرض خولان یقسمون له من أنعامهم و حروثهم.

۸- سعد.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۷۸- ۸۱، و العمالقة هم طائفة من العرب عاشوا و سادوا ثمّ بادوا قبل الإسلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۱

۹- ذو الخلصة و کانت لدوس و خثعم و بجیلة.

۱۰- مناف «۱».

و لقـد کانت هـذه هی أشـهر أصـنام العرب علاوة علی الأصـنام الاخری غیر المعروفـة التی کانت تختصّ بطائفة دون اخری، أو بعائلة دون عائلة.

(۱)

العلم و الثقافة فی الحجاز:

کان أهل الحجاز یوصفون بالامیّین، و الامیّ هو من لم یتعلم القراءة و الکتابة فهو کمن ولدته أمه، أو هو باق فی عدم العلم بالقراءة و الکتابة علی الحالة التی ولد فیها من أمه.

و لأجل أن نعرف مدی ما کان علیه العلم و الثقافة عند العرب من القیامة یکفی أن نعلم بأن عدد الذین کانوا یعرفون القراءة و الکتابة بین قریش الی ما قبل ظهور الإسلام لم یکن یتجاوز (۱۷) شخصا فی مکة و (۱۱) نفرا فقط من بین الأوس و الخزرج فی المدینة «۲».

إذا لاحظنا هذا التخلف و الانحطاط فی مجال العلم و الثقافة فی البیئة العربیة الجاهلیة یتضح لنا مدی تأثیر الإسلام، و ادرکنا عظمة التعالیم الإسلامیة فی جمیع الحقول الاعتقادیة و الاقتصادیة و الأخلاقیة و الثقافیة، و لا بدّ فی تقییم الحضارات أن نطالع و ندرس الحلقة السابقة، ثم نقیم الحلقة التالیة فی ضوء ذلک، و فی هذه الصورة نقف علی عظمة تلک الحضارة الحقیقیة «۳».

---

(۱) راجع الأصنام للکلبی، و المحبر: ص ۳۱۵- ۳۱۹.

(۲) فتوح البلدان: ص ۴۵۷- ۴۵۹.

(۳) للوقوف علی معلومات أوسع و اکثر حول عقائد مختلفة طوائف المجتمع العربی الجاهلی، و ثقافتها و تقالیدها راجع الکتابین التالیین:

ألف: «بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب» تألیف السید محمود الآلوسی المتوفی عام ۱۲۷۰ هجری قمری.

باء: «المفصّل فی تاریخ العرب قبل الاسلام» تألیف الاستاذ جواد علی، و هذا الکتاب اخرج فی (۱۰) مجلدات، و قد بحث فیها کل ما یرتبط بحیاة العرب فی العهد الجاهلی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۲

الإمام علیّ یصف العهد الجاهلیّ:

و قد وصف الإمام علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام تلک الحالة فی خطبه، و حیث أنه عاصر ذروة ذلک الوضع المأساوی و وصفه وصفا دقیقا لذلک ینبغی أن نقف عند کلامه قلیلا لیتبین لنا جیدا ما کان علیه العرب إبّان عهد الرسالة الإسلامیة المبارکة:

قال علیه السّلام فی الخطبة (الثانیة) من نهج البلاغة:

«... و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالدین المشهور و العلم المأثور و الکتاب المسطور و النّور الساطع، و الضیاء اللامع، و الأمر الصادع إزاحة للشبهات و احتجاجا بالبیّنات و تحذیرا بالآیات، و تخویفا بالمثلات «۱» و الناس فی فتن انجذم «۲» فیها حبل الدّین، و تزعزعت سواری «۳» الیقین و اختلف النجر «۴»، و تشتّت الأمر وضاق المخرج، و عمی المصدر فالهدی خامل، و العمی شامل، عصی الرّحمن و نصر الشیطان و خذل الإیمان فانهارت دعائمه، و تنکّرت معالمه و درست «۵» سبله و عفت شرکه «۶» أطاعوا الشیطان فسلکوا مسالکه، و وردوا مناهله «۷» بهم سارت أعلامه، و قام لواؤه فی فتن داستهم بأخفافها «۸» و وطئتهم بأظلافها «۹» و قامت علی سنابکها «۱۰» فهم فیها تئهون حائرون جاهلون مفتونون فی خیر دار و شرّ جیران نومهم سهود و کحلهم دموع بأرض عالمها ملجم و جاهلها مکرم.

و قال فی الخطبة (التاسعة و الثمانین) أیضا:

«أرسله صلّى اللّه عليه و آله على حين فترة من الرّسل و طول هجعة من الامم و اعتزام «۱۱» من الفتن و انتشار من الامور و تلظّ «۱۲» من الحروب و الدّنيا

---

(۱) المثلات: العقوبات.

(۲) انجذم: انقطع.

(۳) السوارى: الدعائم.

(۴) النجر: الأصل.

(۵) درست: انطمست.

(۶) الشرك: الطرق.

(۷) المنهل: مورد النهر.

(۸) الخف: هو للبعير كالقدم للإنسان.

(۹) الظلف: للبقر و الشاة كالخفّ للبعير و القدم للإنسان.

(۱۰) السنابك: طرف الحافر.

(۱۱) اعتزم الفرس: اذا مرّ جامحا.

(۱۲) تلظّ: تلهّب.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۳

كاسفة النّور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها و إياس من ثمرها و اغورار «۱» من مائها قد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الرّدى فهى متجهّمة «۲» لأهلها عابسة فى وجه طالبها ثمرها الفتنة و طعامها الجيفة «۳» و شعارها الخوف و دثارها السيف».

و قال فى الخطبة (السادسة و العشرين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين و أمينا على التّنزيل و انتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون «۴» بين حجارة خشن «۵» و حيّات صمّ «۶» تشربون الكدر و تأكلون الجشب «۷» و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة و الآثام بكم معصوبة «۸»».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (الثالثة و الثلاثين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس احد من العرب يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوة فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم «۹» و بلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم «۱۰» و اطمأنّت صفاتهم».

و قال فى الخطبة (الخامسة و التسعين) أيضا:

«... بعثه صلّى اللّه عليه و آله و النّاس ضلال فى حيرة و حاطبون فى فتنة قد استهوتهم الأهواء و استزلّتهم الكبرياء و استخفّتهم «۱۱» الجاهليّة الجهلاء حيارى فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل فبالغ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى النّصيحة و مضى على الطّريقة و دعا إلى الحكمة و الموعظة الحسنة».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (السادسة و التسعين) أيضا:

«... مستقرّه خير مستقرّ و منبته أشرف منبت فى معادن الكرامة و مماهد «۱۲» السّلامة قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار و ثنّيت إليه أزمّة الأبصار دفن

---

(۱) اغورار الماء: ذهابه.

(۲) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

(۳) إشارة الی أکل العرب للمیتة من شدة الاضطرار.

(۴) منیخون: مقیمون.

(۵) الخشن: جمع خشناء من الخشونة.

(۶) الصمّ: التی لا تسمع لعدم انزجارها بالاصوات.

(۷) الجشب: الطعام الغلیظ.

(۸) معصوبة: مشدودة.

(۹) بوّأهم محلّهم: أنزلهم منزلتهم.

(۱۰) القناة: العود کنایة عن القوة.

(۱۱) استخفّتهم: طیّشتهم.

(۱۲) الممهد: ما یبسط فیه الفراش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۴

اللّه به الضّغائن و أطفأ به الثّوائر «۱» ألّف به إخوانا و فرّق به أقرانا اعزّ به الذّلة و أذلّ به العزّة کلامه بیان و صمته لسان».

و قال علیه السّلام فی الخطبة (۱۵۱) أیضا:

«... أضاءت به صلّی اللّه علیه و آله البلاد بعد الضّلالة المظلمة و الجهالة الغالبة و الجفوة الجافیة و النّاس یستحلّون الحریم و یستذلّون الحکیم یحیون علی فترة «۲» و یموتون علی کفرة».

و قال فی الخطبة (۱۹۸): «... ثمّ إنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالحقّ حین دنا من الدّنیا الانقطاع و أقبل من الآخرة الاطّلاع «۳» و اظلمت بهجتها بعد إشراق و قامت بأهلها علی ساق و خشن منها مهاد «۴» و أزف «۵» منها قیاد فی انقطاع من مدّتها و اقتراب من أشراطها «۶» و تصرّم «۷» من أهلها و انفصام «۸» من حلقتها و انتشار «۹» من سببها و عفاء «۱۰» من أعلامها و تکشّف من عوراتها و قصر من طولها».

و قال علیه السّلام فی الخطبة (۲۱۳): «ارسله بالضّیاء و قدّمه فی الاصطفاء فرتق «۱۱» به المفاتق «۱۲» و ساور «۱۳» به المغالب و ذلّل به الصّعوبة و سهّل به الحزونة «۱۴» حتّی سرّح الضّلال عن یمین و شمال».

و قال فی الخطبة (۱۹۱): «و اشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعیه و النّاس یضربون فی غمرة «۱۵» و یموجون فی حیرة قد قادتهم أزمّة الحین «۱۶» و استغلقت علی أفئدتهم أقفال الرّین» «۱۷».

---

(۱) الثائرة: العداوة.

(۲) علی فترة: علی خلوّ من الشرائع.

(۳) الاطّلاع: الإتیان.

(۴) خشونة المهاد: کنایة عن شدّة آلام الدنیا.

(۵) ازف: قرب.

(۶) الشرط: العلامة.

(۷) التصرّم: التقطّع.

(۸) الانفصام: الانقطاع.

(۹) انتشار الأسباب: تبدّدها حتی لا تضبط.

(۱۰) عفاء الأعلام: اندراسها.

(۱۱) رتق: سدّ به الفتق.

(۱۲) المفاتق: مواضع الفتق.

(۱۳) ساور: ثاوب.

(۱۴) الحزونة: غلظ فی الارض.-

(۱۵) الغمرة: الماء الکثیر.

(۱۶) الحین: الهلاک.

(۱۷) الرین: التغطیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۵

فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلی:

و قد وصفت السیّدة فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم العهد الجاهلی بمثل ذلک اذ قالت فی خطبتها أمام أبی بکر و المسلمین «۱»:

«فبلّغ (ای رسول اللّه) بالرّسالة صادعا بالنّذارة «۲» مائلا علی مدرجة المشرکین ضاربا ثبجهم «۳» آخذا بأکظامهم داعیا إلی سبیل ربّه بالحکمة و الموعظة الحسنة یکسر الأصنام و ینکث الهام «۴» حتی انهزم الجمع و ولّوا الدّبر حتی تفرّی اللیل عن صبحه و اسفر الحق عن محظه «۵» و نطق زعیم الدین و خرست شقاشق «۶» الشّیاطین و أطاح وشیظ «۷» النّفاق و انحلّت عقد الکفر و الشّقاق و فهتم بکلمة الاخلاص فی نفر من البیض الخماص و کنتم علی شفا حفرة من النّار مذقة «۸» الشّارب و نهزة «۹» الطامع و قبسة العجلان «۱۰» و موطئ الأقدام تشربون الطرق «۱۱» و تقتاتون القدّ «۱۲» و الورق أذلّة خاسئین تخافون ان یتخطّفکم النّاس من حولکم فأنقذکم اللّه تعالی بمحمّد بعد اللّتیا و الّتی بعد أن منی ببهم «۱۳» الرجال و ذؤبان العرب و مردة أهل الکتاب «۱۴» کلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها اللّه، أو نجم «۱۵» قرن الشّیطان أو فغرت «۱۶» فاغرة من المشرکین، قذف أخاه فی لهواتها «۱۷» فلا ینکفیء «۱۸» حتّی یطأ صماخها بأخمصه».

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید و بلاغات النساء و غیرهما.

(۲) النذار: الأنذار.

(۳) الثبج: الکاهل.

(۴) الهامة: الرأس.

(۵) المحض: الخالص.

(۶) الشقشقة: شیء یشبه الرئة یخرج من فم البعیر إذا هاج.

(۷) الوشیظ: الأتباع و الخدم.

(۸) المذقة: شربة من اللبن الممزوج بالماء.

(۹) النهزة: الفرصة.

(۱۰) قبسة العجلان: الشعلة من النار التی یأخذها الرجل العاجل.

(۱۱) الطرق: الماء الذی خوضته الابل و بوّلت فیه.

(۱۲) القد: قطعة جلد غير مدبوغ.

(۱۳) البهمة: الشجاع الذى لا يهتدى من أن يؤتى.

(۱۴) المارد: العاتى.

(۱۵) نجم: طلع.

(۱۶) فغرت: فتحت.

(۱۷) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم.

(۱۸) ينكفئ: يرجع.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۶

جعفر بن ابى طالب يصف العهد الجاهلى:

و يشهد بذلك أيضا ما قاله جعفر بن أبى طالب عند النجاشى ملك الحبشة عند ما أراد مبعوثا قريش استعادتهما إلى مكة:

أيّها الملك، كنّا قوما أهل جاهليّة، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار و يأكل القوى منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث اللّه إلينا رسولا منّا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا الى اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما كنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكفّ عن المحارم و الدّماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد اللّه وحده لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصّلاة و الزّكاة و الصيام قالت: فعدّد عليه امور الاسلام حتى قال:

و صدّقناه، و آمنّا به و اتّبعناه على ما جاء به من اللّه فعبدنا اللّه وحده فلم نشرك به شيئا و حرّمنا ما حرّم علينا و أحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذّبونا و فتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللّه تعالى، و أن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۵ و ۳۳۶. و الحديث عن أمّ سلمة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۷

(۱)

۳ إمبراطوريّتا الروم و إيران إبّان عهد الرّسالة

اشارة

للوقوف على أهمية النهضة الإسلامية المباركة التى تحققت على يدى النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ارساله من جانب اللّه تعالى و قيمتها، تكتسب دراسة بيئتين اجتماعيّتين اهمية قصوى، و تانك البيئتان هما:

۱- بيئة نزول القرآن الكريم، أى البيئة التى ظهر فيها الإسلام، و ترعرع و نمى.

۲- البيئة العالمية (خارج الجزيرة العربية)، و يعرف ذلك بدراسة عقائد الناس و أفكارهم فى اكثر مناطق العالم- يومذاك- مدنية و حضاره، و مطالعة آدابهم و أخلاقهم و تقاليدهم، و أعرافهم، و مدنيّاتهم التى كانت تعتبر أفضل لأفكار و المدنيّات، و أرقى الحضارات، و الأوضاع آنذاك.

و لقد كانت بيئتا: الامبراطورية الرومانية، و الإمبراطورية الإيرانية ألمع نقطة فى ذلك اليوم- كما يدلنا التاريخ على ذلك. و لا بدّ

استکمالا لهذا البحث من دراسة الأوضاع فی هاتین الإمبراطوریتین، فی مناطقها، و من نواحیها المختلفة، لنقف من هذا الطریق علی قیمة الحضارة التی اتی بها الإسلام، و نعرف ذلک بوجه أفضل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۸

أوضاع الروم ابان عهد الرسالة:

اشارة

(۱) ان أوضاع الروم لم تکن بأقل سوء من أوضاع منافستها «ایران» فالحروب الداخلیة من جانب و المعارک الخارجیة المستمرة مع «ایران» و صراعها الدائم المستمر مع الاخیرة علی منطقة «ارمینیة» و غیرها کل ذلک کان یهیء الناس فی تلک البلاد للقبول بثورة جدیدة یضع حدا لمآسیهم و محنهم.

و لقد کان للاختلافات و المنازعات الطائفیة و المذهبیة نصیب الاکبر و الأوفر فی توسیع رقعة هذه الاختلافات، و المنازعات.

فالحرب لم تتوقف أبدا بین الوثنیین و المسیحیین و لم تنطفئ شرارتها یوما أبدا.

فکان إذا غلب رجال الکنیسة علی دست الحکم و أخذوا بمقالیده ما رسوا أشدّ أنواع الضغط و الاضطهاد بحقّ خصومهم و منافسیهم الأمر الذی کان یساعد علی إیجاد أقلیة ناقمة من جهة، کما و یمکن اعتبار ذلک عاملا مساعدا من جهة اخری علی تهنئة الشعب الرومانی لاحتضان الدعوة الإسلامیة، و تقبلها.

لقد کان حرمان طوائف کثیره و مختلفة ناشئا من ممارسات رجال الکنیسة الخشنة و مواقفهم المتزمتة.

هذا مضافا إلی أن اختلاف القساوسة و الرهبان النصاری فیما بینهم من جهة، و تعدّد المذاهب من جهة اخری کان یعمل علی التقلیل من هیبة الامبراطوریة الرومانیة و جرّها إلی الضعف و الوهن المتزائد یوما بعد یوم.

(۲) هذا بغضّ النظر عن أن البیض و الصفر من سکّان الشمال و المشرق کانوا یفکّرون فی السیطرة علی المناطق الغنیة من اوربة، و ربما ألحق أحدهما بالآخر خسائر فادحة و باهضة فی الصراعات و المصادمات التی کانت تقع بینهما. و کان هذا هو نفسه السبب فی أن تنقسم الامبراطوریة الرومیة الی معسکرین: المعسکر (او القسم الشرقی) و المعسکر (او القسم الغربی).

و یعتقد المؤرخون أن أوضاع الروم السیاسیة، و الاجتماعیة و الاقتصادیة فی القرن السادس کانت مضطربة، و متدهورة جدا، حتی أنهم لا یرون فی غلبة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۹

الروم و تفوّقها علی إیران شاهدا علی قدرتها العسکریة، و تفوّقها النظامی، بل یرون أن هزیمة إیران کانت بسبب الفوضی التی کان سائدة آنذاک فی جهاز الحکم الایرانی.

إن هاتین الدولتین اللتین کانتا تتربّعان علی عرش السیادة و السیاسة العالمیة فی مطلع ظهور الإسلام کانتا تعیشان حالة سیئة من الفوضی، و الهرج و المرج، و من البدیهیّ أنّ مثل هذه الأوضاع کان من شأنها أن توجد حالة من التهیّؤ الکبیر و الظمأ الشدید إلی دین صحیح یضع حدّا و نهایة لتلک الحالة، و یعید تنظیم حیاتهم.

(۱)

ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی:

المتعارف أن یعمد جماعة من البطّالین و الفسقة إلی طرح سلسلة من القضایا و المسائل الخاویة و النقاش حولها بهدف التوصّل إلی أغراض فاسدة، فیستهلکون بذلک أوقات الناس، و یهدرون أعمارهم علی منحر الجدل العقیم.

و هی حالة لها مصادیق کثیرة و شواهد عدیدة فی کثیر من بلاد المشرق، و لسنا بصدد التوسّع فیه فعلا.

و قد کانت «الروم» تعانی یومئذ من مثل هذه الحالة اکثر من ای مکان آخر. سید المرسلین ج۱ ۹۹ ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی: ..... ص : ۹۹

د کان ملوک الروم و رجال الحکم و السیاسة تبعا لمذاهب دینیة کنسیّة- یعتقدون بأن المسیح ذو طبیعتین و مشیئتین، و لکن طائفة اخری من النصاری و هم «الیعقوبیة» کانوا یقولون بانه: ذو طبیعة و مشیئة واحدة.

و قد وجهت هذه المسألة الباطلة نفسها، و الجدل الواهی حولها ضربة شدیدة الی وحدة الروم و من ثم استقلالها، و احدثت فی صفوفها انشقاقا عمیقا حیث کانت السلطات الحاکمة تضطر الی الدفاع عن معتقداتها، و لذلک کانت تضطهد معارضیها، و تلاحقهم و هذا الاضطهاد و الضغط الروحیّ سبّب فی لجوء البعض الی الدولة الایرانیة، کما کان هؤلاء هم الذین ترکوا المقاومة عند

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۰

مواجهة الجیش الإسلامی، و القوا السلاح، و استقبلوا جنود الإسلام بالاحضان.

(۱) کانت الروم تمرّ آنذاک بظروف اشبه ما تکون بظروف القرون الاوربیة الوسطی التی ینقل عنها «فلاماریون» الفلکیّ الشهیر القضایا التالیة التی تدل علی المستوی الفکریّ و الثقافیّ لاوربة فی القرون الوسطی:

لقد کان کتاب «المجموعة اللاهوتیة» المظهر الکامل للفلسفة المدرسیة فی القرون الوسطی، و قد بقی هذا الکتاب یدرّس فی أوربة خلال أربعمائة سنة ککتاب رسمی و معترف به.

و قد کان من الأبحاث المطروحة فی هذا الکتاب البحث حول عدد الملائکة التی یمکنها ان تستقر علی رأس إبرة؟! أو عدد الفراسخ بین العین الیسری و العین الیمنی للاب الخالد؟! الی غیر ذلک من القضایا التافهة!!

(۲) إن الامبراطوریة الرومیة السیئة الحظ فیما کانت تعانی من الحروب الخارجیة الکثیرة، کانت تعانی کذلک من النزاعات و الاختلافات الداخلیة- التی کانت- علی الاغلب- تتصف بالصبغة المذهبیة و الطائفیة- و کانت تدفع بالبلاد إلی حافة الهاویة، و تزیدها قربا إلیها یوما بعد یوم.

و لما رأی الیهود (و هی الزمرة الشریرة المتآمرة علی الشعوب دائما) تصاعد الاضطهاد و الضغط الذی یمارسه الامبراطور المسیحی الرومی خطّطت لاسقاط ذلک النظام، فاحتلت مدینة انطاکیة ذات مرة، و مثلت بأسقف أنطاکیة الاکبر فصلموا اذنه، و جدعوا أنفه، فانتقمت حکومة الروم لهذه الجنایة بعد مدة، و قتلت الیهود فی انطاکیة فی مذبحة عامة.

و قد تکرّرت هذه الجرائم الفضیعة و هذه المذابح، و المذابح الانتقامیة المضادة بین الیهود و النصاری عدة مرات، و ربما سرت موجة الروح الانتقامیة أحیانا الی خارج البلاد، فمثلا اشتری الیهود من ایران ذات مرة ثمانین الف مسیحی ثم حزوا رءوسهم انتقاما و تشفیا.

(۳) من هذا یستطیع القارئ الکریم أن یقف علی الصورة القاتمة للوضع السیئ و المتردّی الذی کان علیه العالم إبان بزوغ شمس الإسلام، و یذعن- مع

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۱

المذعنین- بأن التعالیم الإسلامیة الرفیعة التی انقذت العالم من ذلک الوضع المأساوی لم تکن أبدا ولیدة الفکر البشریّ و ان نسیم الوحدة، الناعشة، و نغمة السلام التی یهدف إلیه الإسلام و یسعی إلی تحقیقه و اقراره فی الحیاة البشریة لیس لها من مصدر إلا الغیب، اذ کیف یمکن القول بأن الإسلام الذی یعترف حتی للحیوانات بحق العیش و الحیاة نابع من تلک البیئة المغرقة فی القسوة و الوحشیة، و ناشئ من ذلک المحیط المفحم بروح الانتقام و التشفی.

لقد أبطل الإسلام جميع تلك المجادلات العقيمة و المناقشات التافهة حول مشيئة عيسى و شخصيته، و قال فى نعته و وصفه:
«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» «۱».
إن هـذه الآيـة انهت الكثير من أبحاث رجال الكنيسـة الباطلة الخاوية حول «الروح» و «المسـيح» و دمه، و شخصـيته، و حقيقته، كما ان الإسلام بفضل التعاليم الرفيعة، و احياء السجايا و الملكات الفاضلة انقذ البشرية من المنازعات، الفارغة، و المذابح الفضيعة.
(۱)

أوضاع إيران إبان عهد الرسالة:

اشارة

إن ما دفعنا إلى دراسة أوضاع الإمبراطورية الرومية هو نفسه يحتم علينا أيضا دراسة اوضاع إيران يومذاك.
لقد صادف ظهور الإسـلام و بعثة الرسول الكريم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۶۱۱ ميلادية) عهد السلطان الإيرانى خسرو برويز (۵۹۰- ۶۲۸ م)، و فى عهد «خسـرو برويز» هذا هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مكة الى المدينة (الجمعة ۱۶ جولاى ۶۲۲)، و صارت هذه الواقعة مبدأ للتاريخ الإسلامى.
فى هذه الأيام كانت الدولتان العظيمتان (الروم الشرقية و ايران

---

(۱) المائدة: ۷۵.

الساسانية) تسـيطران على معظم مناطق العالم المتحضـر، و لم تزل هاتان الدولتان فى نزاع مسـتمر و صراع دائم على مناطق النفوذ حتى بعد ظهور الإسلام.
(۱) فقد بدأت حروب ايران و الروم الطويلة من عهد السـلطان الايرانى أنوشـيروان (۵۳۱- ۵۸۹ م) و استمرّت الى عهد الملك «خسرو برويز» و استغرقت اربعا و عشرين عاما من الزمان «۱».
و قد سـبب تحمل «ايران» و «الروم» للخسائر الكبرى، فى الارواح و الثروات خلال هذه المعارك الطويلة فى إضـعاف تينك الدولتين، و تعطيل و شلّ قواهما بحيث لم يبق منهما إلّا شبح دولتين لا اكثر.
و لكى نقف على الوضع العـام فى ايران آنـذاك من جهاته المختلفـة، و ابعاده المتنوعـة و بصورة أفضل، يجب ان نلقى نظرة فاحصـة على وضع الحكومات التى توالت على سدة القيادة الايرانية بعد حكم «انوشيروان» و حتى بداية دخول المسلمين فى ايران.
(۲)

البذخ و الترف فى البلاط الساسانى:

كانت حياة الملوك الساسانيين تتسم عموما بالبذخ و الترف، و التشريفات الطويلة العريضة، و كان البلاط الساسانى الفخم جدا يخلب ببريقه، بريق العيون، و يسحر الافئدة و العقول.
و كـان للاـيرانيين فى عهـد الساسـانيين لواء يعرف ب: «درفش كاويـانى» اى العلم الكاويـانى نسـبة إلى كـاوه و هو بطل قومى إيرانى

اسطوری، و قد کانوا یحملونه معهم فی الحروب، او ینصبونه فوق قصورهم اثناء احتفالات الساسانیین الکبری، و قد کان هذا اللواء موشحا و مزینا بأغلی أنواع المجوهرات بلغت قیمتها التقدیریة- حسب قول بعض الکتاب: «۰۰۰/ ۲۰۰/ ۱» درهما (او ما یعادل

---

(۱) تاریخ علوم و ادبیات در ایران ص ۳ و ۴ و ایران در زمان ساسانیان ص ۲۶۷ (باللغة الفارسیة).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۳

۰۰۰/ ۳۰ پوند).

(۱) و قد بلغت مجموعة المجوهرات و الاشیاء الثمینة و التصاویر و الرسوم المحیرة للعقول التی کانت تکتضّ بها قصور الساسانیین من حیث الاهمیة و القیامة حدا سحرت العیون و خلبت الالباب.

و لو أننا أردنا أن نقف علی عجائب ما فی تلک القصور، و ما کانت تحتوی علیه من غرائب الاشیاء لکفانا أن نلقی نظرة واحدة إلی السجّادة البیضاء و الکبیرة التی کانت مفروشة فی احدی صالات بعض تلک القصور، و هی السجّادة التی کانت تدعی بالفارسیة ب «بهارستان کسری» و هو بساط کانوا یعدّونه للشتاء إذا ذهبت الریاحین، فکانوا إذا أرادوا الشرب و تعاطی الخمر فرشوه، و شربوا علیه فکأنهم فی ریاض و کان هذا البساط ستینا فی ستین أرضه بذهب و وشیه بفصوص، و ثمره بجوهر و ورقه بحریر» «۱»!!

و قیل أیضا أن هذا البساط کان مائة و خمسین ذراعا فی سبعین ذراع و کان منسوجا من خیوط الذهب و المجوهرات الغالیة جدا!!

و قد کان «خسرو برویز» أکثر الملوک الساسانیین میلا إلی الترف، و البذخ، و اتخاذ الزینة، و قد بلغت عدد نسائه و جواریه عدة آلاف.

(۲) یقول حمزة الاصفهانی فی کتاب «سنیّ ملوک الارض» واصفا حالة الترف و البذخ التی کان یعیشها کسری برویز: ثلاثة آلاف امرأة، و اثنا عشر.

و جاء فی تاریخ الطبری: أن «کسری «۲» برویز» کان قد جمع من الأموال ما لم یجمع أحد من الملوک، و کان أرغب الناس فی الجواهر و الأوانی «۳».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۳۰.

و جاء فی تاریخ الطبری: کانت هذه السجّادة ستین ذراعا فی ستین ذرعا، بساطا واحدا مقدار جریب فیه طرق کالصور، و فصوص کالأنهار و خلال ذلک کالدّیر و فی حافاته کالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فی الربیع من الحریر علی قضبان الذهب، و نواره بالذهب و الفضّة!!

(۲) سنیّ ملوک الأرض و الأنبیاء: ص ۴۲۰.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۱ ص ۶۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۴

(۱)

الوضع الاجتماعی فی ایران:

لم یکن الوضع الاجتماعی فی عهد الساسانیین بأفضل من الوضع السیاسی آنذاک أبدا، فقد بلغ الاختلاف الطبقی الذی کان سائدا فی ایران منذ زمن بعید اشدّه و اقوی درجاته، و أسوأ حالاته فی العهد الاختلاف الساسانی.

فطبقة النبلاء و الكهنة كانت تتميز على بقية الطبقات تميزا كاملا، فهم يختصون بجميع المناصب الاجتماعية الحساسة و العليا، بينما حرم الكسبة و المزارعون و بقية أبناء الشعب من كافة الحقوق الاجتماعية، و لم يكن لهم من واجب و دور فى النظام إلا دفع الضرائب الثقيلة و المشاركة فى الحروب.

(۲) يكتب أحد الكتّاب الإيرانيين و هو الاستاذ سعيد نفيسى فى هذا الصعيد قائلا:

ان ما كان يثير روح النفاق بين الايرانيين اكثر هو سياسة التمايز الطبقى القاسى جدا الذى كان الساسانيون يتبعونها فى التعامل مع الشعب، و كان لها جذور فى العهود و الحضارات السابقة، و لكنها بلغت ذروتها فى العهد الساسانى بالذات!!

ففى الدرجة الاولى كان للعائلات السبع من النبلاء، ثم للطبقات الخمس امتيازات خاصة حرمت منها عامة أبناء الشعب.

فالملكية كانت محصورة- تقريبا فى تلك العائلات السبع مع العلم أن الشعب فى العهد الساسانى، كان يقارب عدد نفوسه مائة و أربعين مليونا فى حين لا يبلغ عدد كل واحد من تلك العائلات الممتازة و المتميّزة فى شئونها مائة ألف شخص، فيكون مجموعها سبع مائة ألف «۱».

و إذا افترضنا أنّ حراس الحدود و أمراءهم و الملاك الذين كانوا يتمتعون هم الآخرون بشىء من حق الملكية كان يبلغ عددهم أيضا سبع مائة ألف أيضا فيكون حق التملك و المالكية حينئذ خاصا بمليون و نصف من مجموع مائة

---

(۱) تاريخ اجتماعى ايران: ج ۲ ص ۶- ۲۴ (باللغة الفارسية).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۵

و اربعين مليونا، فقد كانت تلك الزمرة القليلة هى التى تملك، و أما الآخرون و هم الاكثرية الساحقة فقد كانوا محرومين من هذا الحق الطبيعى الموهوب لهم من جانب اللّه أساسا و أصلا.

(۱) لقد كان الكسبة و الفلاحون الذين كانوا محرومين من جميع الحقوق، و الامتيازات و لكنّهم كانوا يتحمّلون نفقات حياة البذخ و الرفاهية التى كان يرفل فيها النبلاء و الأشراف و الطبقات العليا، لا يأملون خيرا وراء استمرار هذه الاوضاع، و دوامها، و لهذا كثيرا ما كان المزارعون و الفلاحون و الطبقات الدنيا من الشعب يغادرون أعمالهم، و مزارعهم و يلجئون إلى الأديرة فرارا من الضرائب الباهضة و الاتاوات القاصمة للظهور، المبددة للثروات «۱».

يقول مؤلف كتاب «ايران فى عهد الملوك الساسانيين» «۲».

إن حروب إيران- الروم الطويلة بدأت من عهد حكومة الملك الإيرانى انوشيروان (۵۳۱- ۵۸۹ م).

و خلاصة القول أنه كان فى الامبراطورية الساسانية يملك أقلية صغيرة تقلّ نسبتها عن ۵/ ۱٪ (واحد و نصف بالمائة) من مجموع الشعب كل شىء بينما كان اكثر من (۸۹٪) من الشعب الإيرانى محرومين من حق الحياة تماما كالعبيد.

(۲)

حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!:

فى العهد الساسانى كان ابناء الاغنياء و البيوتات الرفيعة هم وحدهم الذين يتمتعون بحق التعلم، بينما كان عامة جماهير الشعب، و الطبقات الوسطى و الدنيا محرومين من تحصيل العلوم و اكتسابها.

و قد كانت هذه المنقصة بادية و واضحة فى عصور ايران التاريخية جدا بحيث ذكرها الشعراء الكبار فى ملاحمهم و دواوينهم الملكية المعروفة بالرغم من ان

(۱) ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمین: ۷۰ و ۷۱.

(۲) إیران فی عهد الساسانیین: ص ۴۲۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۶

الهدف من تلک الملاحم و الدواوین کان هو الحماسة، و التفاخر بالبطولات و تحبیش العواطف، بعد مدح الملوک و الأمراء.

(۱) فها هو «الفردوسی» «۱» الشاعر الملحمی الفارسی المعروف، بل اشهر شعراء ایران قد ذکر فی شاهنامته (و هی الملحمة الشعریة التی یذکر فیها أمجاد ملوک الفرس فی قرابة ستین ألف بیت) قصة فی هذا الصدد تعتبر أفضل شاهد علی ما قلناه.

و قد وقعت هذه القصة فی زمن «أنوشیروان»، أی فی الوقت الذی کانت الامبراطوریة الساسانیة تمرّ فیه بعهدها الذهبی.

و هذه القصة تشهد بأن اکثریة الشعب فی عهد هذا الملک أیضا کانت محرومة من حق التعلم، و ممنوعة عن اکتساب الثقافة.

(۲) یقول الفردوسی: لقد أبدی حذّاء استعداده لتحمّل نفقات الجیش الإیرانی- فی حربه مع الروم- بدفع ما یحتاجون إلیه من ذهب و فضة.

و مع أن السلطة فی عهد «انوشیروان» کانت بحاجة ماسة إلی مساعدات مالیة کبیرة إذ کان یتعین علیها أن تجهّز ما یقرب من ثلاثمائة الف مقاتل قد اصیبوا بالمجاعة و قلة العتاد، بحیث أدی ذلک إلی وقوع بعض الاعتراضات، و الی ظهور الفوضی فی الجنود، ممّا أدی بدوره إلی قلق الملک الإیرانی «أنوشیروان».

و التخوف من مضاعفات هذه الحالة، و آثاره السیئة فی قتاله للروم، و لذلک بادر إلی استدعاء وزیره المحنک «بزرجمهر» للتشاور معه فی المخلص من ذلک الوضع المحرج، ثم امره بالتوجه إلی منطقة «مازندران» و جمع الاموال اللازمة من سکانها.

(۳) و لکن «بزرجمهر» حذّر الملک من مغبّة هذا العمل، و أضاف بأن هذا من شأنه أن یضاعف من الخطر ثم اقترح جمع الاموال اللازمة عن طریق القروض الشعبیة فاستحسن «انوشیروان» اقتراحه و أمره باتخاذ الترتیبات اللازمة علی

(۱) راجع للتعرف السریع علی شخصیة هذا الشاعر: الموسوعة العربیة المیسرة: ص ۱۲۸۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۷

التوفیرسل الوزیر مندوبین له الی المدن الإیرانیة لیکلم التجار و اصحاب الثروة فی الأمر.

(۱) فیبدی الحذّاء المذکور استعداده لتحمل کل نفقات الجیش لوحده الّا انه اشترط ذلک بان یسمحوا لولده الوحید الراغب فی تحصیل العلم جدا ان یتعلم.

فاستحقر الوزیر شرطه و وعده بالانجاز، و السماح لولده بالتعلم و تحصیل العلم، ثم عرض الأمر علی الملک انوشیروان و هو یأمل فی ان یتجاوب الملک مع رغبة الحذّاء و طلبه الصغیر اذا ما قیس بما سیعطیه من اموال طائلة فی تلک الاوضاع الحرجة.

و لکن الملک استشاط غضبا لهذا الطلب، و نهر الوزیر قائلا: دع هذا، ما أسوأ ما تطلبه، ان هذا لا یمکن ان یکون، لان ابن الحذّاء بخروجه من وضعه الطبقی یهدم التقلید الطبقیّ المتبع، فینفرط بذلک عقد الدولة، و یکون ضرر هذا المال علینا اکثر من نفعه، و شره اکثر من خیره.

(۲) ثم إنّ الفردوسی یعمد إلی شرح المنطق المیکافیلی حکایة عن لسان انوشیروان اذ یقول ناظما ذلک فی ابیات «۱»:

و إذا اصبح ابن الحذّاء عالما کاتبا عارفا فعند ما یجلس ولدنا علی مسند الحکم و السلطنة و احتاج الی کاتب، فانه سیضطر إلی الاستعانة بابن ذلک الحذّاء- الکاتب- (و هو من عامة الشعب و من ابناء الطبقة الدنیا و فی حین جرت عادتنا الی الآن علی أن نستعین بابناء الاشراف و النبلاء لا أبناء الطبقة الدنیا)!!!

و إذا حصل ابن الحذّاء و بائع الاحذیة علی العلم و المعرفة أعاره العلم و المعرفة حینئذ عیونا بصیرة، و آذانا سمیعة فیری حینئذ ما یجب أن لا یراه،

---

(۱) و إلیک هذه الأبیات باللغة الفارسیة:

چو بازارگان بچه گردد دبیرهنرمند و با دانش و یاد گیر

چو فرزند ما برنشند به تخت‌دبیری بیایدش پیروز بخت

هنر باید از مرد موزه فروش‌سپارد بدو چشم بینا و گوش

بدست خردمند مرد نژادنماند جز از حسرت و سرد باد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۸

و یسمع ما یجب أن لا یسمعه، و حینئذ لا یبقی لأبناء الملوک إلا الحسرة و التأسف «۱».

(۱) و هکذا یعید الملک دراهم الحذّاء المسکین إلیه رافضا طلبه و یعود الحذاء خائبا و هو یتوسل بما یتوسل به المستضعفون و المحرومون المظلومون و هو الدعاء و الضراعة الی اللّه فی اللیل و فی هذا قال الفردوسی: عاد مبعوث الملک بدراهم الحذاء إلیه فاصیب الحذاء لذلک بغمّ شدید ثم لما جن اللیل تضرع الحذاء الی اللّه و شکا إلیه الملک طالبا عدالته «۲».

و العجیب هو أن یصف البعض هذا السلطان بالعادل و هو الذی لم یعالج أسوأ مشکلة فی المجتمع الإیرانی أیام حکمه و سلطانه و هی المشکلة الثقافیة، بل تسبب فی أن یصاب الشعب الإیرانی بالمزید من المشاکل الاجتماعیة و غیرها.

فقد وأد و دفن فی القبور احیاء ما یقرب من ثمانین الف انسان (أو مائة الف کما قیل) فی حادثة واحدة، و هی فتنة مزدک، حتی أنه ظنّ انه قد قضی علی جذور تلک الفتنة و هو لا یعلم أنها لم تستأصل لأن مثل هذه الأسالیب القمعیة انما تقضی فقط علی المسبّب دون السبب، و تکافح المجرم لا الجرم.

(۲) لقد کان السبب الحقیقی وراء تلک الفتنة هو الظلم الاجتماعی، و الاختلاف الطبقیّ، و احتکار الثروة، و المنصب علی أیدی طبقة خاصّة و حرمان الاکثریة الساحقة من الشعب و غیر ذلک من المفاسد و کان علیه لو أراد الاصلاح أن یعالج هذه الامور لیأتی علی المشکلة من أساسها، و لکنه بدل ذلک کان یرید- بالقهر و القمع و فی ظلّ الحراب و السیاط- أن یظهر الناس انفسهم بمظهر الراضی و عن السلطة، الموافق علی تصرفاتها، و أحوالها و أوضاعها السیئة!!!

و من هنا نعرف بطلان الحدیث المرویّ عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

---

(۱) راجع شاهنامه (باللغة الفارسیة) و تاریخ اجتماعی ایران: ص ۶۱۸.

(۲)

فرستاده برگشت و شد با درم‌دل کفشگر زان درم پر ز غم

شب آمد، غمی شد ز گفتار شاه‌خروش جرس خواست از بارگاه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۹

الذی قال فیه: «ولدت فی زمن الملک العادل» و یقصد به انوشیروان «۱».

(۱)

صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز:

و من جرائم الملک خسرو برویز و مظالمه المنکرة ما فعله بوزیره الشهیر «بزرجمهر» الذی خدم البلاط الشاهنشاهی الایرانیّ ثلاثة عشر عاما و کان ذلک موجبا لشهرته فی البلاد و حسن صیته بین الناس.

فقد عمد هذا الملک الی سجن الوزیر المذکور، و النکایة به، و قد کتب الی الوزیر المسجون رسالة یقول فیها: إنّ حظّک من العلم و المعرفة أنه عرضک للقتل!!

فاجابه «بزرجمهر» بقوله: «فقد انتفعت بعلمی ما دام قد حالفنی الحظ، و حیث عاکسنی الآن، فانّنی أصبر و أنتفع بصبری، فإذا فاتنی فعل خیر کثیر فاننی سعید لأنّنی لم أرتکب کذلک شرّا کثیرا و اذا ما سلبنی منصب الوزارة فانی فی الوقت نفسه قد استرحت کذلک من غم الحیف بالناس، فلا ابالی بما أنا فیه».

(۲) و لما بلغت هذه الرسالة الی الملک «برویز» استشاط غضبا، و أمر بقطع شفتی الوزیر، و جدع أنفه، و عند ما عرف الوزیر بهذا الأمر الظالم قال: أجل أن شفتی تستحقان اکثر من هذا.

فسأله خسرو برویز: و لما ذا؟ فقال: لأنهما وصفتاک عند العامة و الخاصة بما لا تستحق من الأوصاف، و اعطتاک ما لیس فیک من الخصال، فامالتا إلیک القلوب، و رغّبتا فیک النفوس، و الافئدة، و اشاعتا عنک أمجادا لم تستحقها، یا أسوأ الملوک و أظلم الحکام، تقتلنی الآن بسوء الظن بعد أن کنت علی یقین من وفائی، و صدقی، و اخلاصی، و سلامتی، فمن بعد هذا یأمل فی عدلک، و من بعد هذا یثق بقولک؟!

---

(۱) راجع فی هذا المجال: تذکرة الموضوعات لابن الجوزی، اللئالی المصوغة فی الأحادیث الموضوعة للسیوطی، و کذا مجمع الزوائد للهیثمی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۰

(۱) فازداد «خسرو برویز» لسماع هذه الکلمات الساخنة غضبا علی غضب، و أمر من فوره بقتل الوزیر، فضرب عنقه فی التوّ «۱».

و تلک هی معاملة ذلک الملک الموصوف زورا بالعادل مع اقرب مقربیه، و اکثر معاونیه إخلاصا، و وفاء له فکیف کانت تری معاملته مع سائر أفراد الرعیة و بقیة أفراد الشعب؟؟

(۲)

حکم التاریخ فی الملوک الساسانیین:

لقد اتخذ الحکام الساسانیّون فی عهودهم و حکوماتهم سیاسة خشنة قاسیة، و قد أخضعوا الناس بسلطانهم بالسیف و العنف.

کانوا یفرضون علی الناس ضرائب ثقیلة و أتاوات باهضة قاصمة للظهور، و لهذا السبب کان عامة الشعب الایرانی غیر راضین علی حکمهم و سیرتهم، و لکنهم خوفا علی نفوسهم، ما کانوا یتمکنون من الاعلان عن استیائهم هذا بل لم یکن لأرباب الفکر و الرأی، و العارفین بالامور شأن و لا قیمة فی البلاط الشاهنشاهی.

لقد بلغ الاستبداد لدی الحکام الساسانیین حدا لم یستطع معه أحد من إظهار رأیه، و لم یجرا احد علی إبداء أیة ملاحظة فی شأن من الشؤون.

لقد بلغت القوة بخسروبرویز حدا عجیبا وصفه الثعالبی بقوله:

قیل لخسرو برویز (کسری) دعونا فلانا الوالی فتباطأ عن الامتثال، فأمر الملک من فوره قائلا ان کان یصعب علیه مجیئه ببدنه کله، فاننا

یکفینا شیء منه، فلیؤتی برأسه فحسب «۲».

---

(۱) یذکر الفردوسی الشاعر الملحمی هذه القصة فی شاهنامته المعروفة عند ذکر وقائع انوشیروان اثناء حربه مع الروم (ج ۶، ص ۲۵۷- ۲۶۰).

(۲) ایران در عهد ساسانیان: ص ۳۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۱

(۱)

الفوضی فی الحکومة الساسانیة:

و ممّا یجب ان لا نغافل عن ذکره هو ما تعرضت له الحکومة الساسانیة فی اواخر عهدها من الفوضی الاداریة، و تفاقم الهرج و المرج فی جهازها الحکومی.

فقد دبّ الصراع و النزاع و نشب التنافس الحاد بین الأمراء، و الاعیان و قادة الجیش فی ذلک العهد و ذهب کل فریق یختار أمیرا من أبناء العائلة المالکة، و یقوم بتصفیة الطائفة الاخری التی اختارت أمیرا آخر.

و عند ما فکّر العرب المسلمون فی فتح إیران کانت العائلة الساسانیة المالکة قد بلغت ذروة الضعف و الانقسام.

و ممّا یدل علی ذلک تعاقب ما یقرب من (۱۴) ملکا علی مسند الحکم و السلطان خلال مدّة اربعة اعوام من مقتل الملک «خسرو برویز» و جلوس شیرویه مجلسه و حتی آخر ملک من ملوک بنی ساسان.

(۲) و هذا یعنی أن حکومة إیران انتقلت خلال مدة لا تتجاوز اربعة اعوام من ید الی ید اخری (۱۴ مرة)!! و من الواضح ما یلحق بآیة دولة و مملکة تتعرض ل (۱۴) انقلاب یقتل فیه ملک، و یحل محله ملک آخر فی مثل هذه المدة القصیرة.

فقد کان کل حاکم یتسلّم زمام الحکم و یستولی علی عرش السلطان یعمد إلی قتل و اغتیال کل من کان یطمع فی العرش، و لا یتورع فی سبیل إرساء قواعد حکمه من ارتکاب کل ما یراه ضروریا، فکان الأب یقتل ابنه، و الابن یقتل أباه، و ربما یقتل الاخ إخوته، و الزوجة زوجها و هکذا ...

فقد قتل «شیرویه» أباه «۱» للحصول علی مقعد الحکم و السلطان، کما أباد اربعین شخصا من أبناء الملک «خسرو برویز» ای إخوته!! «۲».

(۳) و کان «شهربراز» یقتل کل من لا یثق به، و قد أدّی هذا إلی أن یقضی علی کل أبناء سلالته من الأمراء الساسانیین ممّن کان قد تسنّم عرش السلطان

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۹۶.

(۲) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۱۵- ۱۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۲

و الملوکیة قبله، رجلا کان ذلک أم امرأة، صغیرا کان أم کبیرا، لکیلا یبقی فی الوجود من یطمع فی السلطان أو یدّعیه!!

و صفوة القول: أن الفوضی السیاسیة بلغت فی أواخر العهد الساسانی حدا بحیث کانوا یجلسون فیه الأطفال و الصبیان و النساء علی اریکه الحکم، ثم یثورون علیهم و یقتلونهم بعد ایام أو أشهر و یحلون محلّهم أشخاصا آخرین!!

و على هذا فإن الدولة الساسانية رغم قوتها الظاهرية كانت آخذة فى الانحطاط و الانحلال و سائرة نحو التمزق و الفناء.

(۱)

الفوضى الدينية فى ايران الساسانيين:

لقد كان أهم عامل للفوضى التى كانت تعانى منها الاوضاع فى العهد الساسانى هو الاختلاف فى المعتقدات الدينية التى كانت سائدة آنذاك.

فحيث أن «اردشير بن بابك» مؤسس السلسلة الساسانية كان ابن مؤبد (و هو رجل دين زردشتى) و قيّما على بيت ناز و قد تمكن من السلطان بفضل الموابدة فانه اجتهد فى الترويج لدين آبائه فى ايران.

و فى عهد الساسانيين كان الدين الرسمى و الشائع فى أوساط الشعب الإيرانى هو الدين الزرادشتى، و لما كانت السلالة الساسانية قد توصلت الى الحكم بواسطة الموابدة- كما أسلفنا- لذلك كان الموابدة و القيمون على بيوت النار (و نعنى بهم رجال الدين الزرادشتى) يحظون بمكانة كبرى لدى البلاط الساسانى إلى درجة أنهم أصبحوا يشكّلون فى أواخر العهد الساسانى أقوى طبقة، و أشد الاجنحة نفوذا فى المجتمع الإيرانى آنذاك.

(۲) و لقد كان الحكام الساسانيّون دائما ممّن رشحهم للحكم الموابدة و رجال الدين الزردشتى المجوسى، و لذلك كان الحكام يأتمرون بأوامرهم، و لو أن أحدا منهم خالف الموابدة عارضوه أشدّ المعارضة، و سحبوا عنه تأييدهم و دعمهم، و لهذا اجتهد الملوك الساسانيون فى كسب رضا الموابدة، و العناية بهم اكثر من غيرهم من الطبقات، و قد تسبّبت عناية اولئك الملوك بالموابدة و حمايتهم لهم فى تزايد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۳

عددهم، يوما بعد يوم.

و قد كان الساسانيون يستغلون رجال الدين المجوس أكبر استغلال لتثبيت قواعد حكمهم، و تقوية مواقعهم فى السلطان و لذلك أقاموا فى مختلف مناطق القطر الإيرانى العريض بيوت النار، (و هى معابد المجوس) جاعلين فى كل واحد من هذه المعابد ثلة كبيرة من الموابدة كسدنة.

(۱) فقد كتب المؤرخون يقولون: ان «خسرو برويز» شيّد بيتا للنار عظيما و وكل به (۱۲ الف) هيربد (و هو منصب خاص و رتبة خاصة فى نظام القيادة الدينية المجوسية) لينشدوا فيه الاناشيد الدينية، و يؤدوا الطقوس و الشعائر المجوسية!! «۱».

و على هذا الاساس كان الدين المجوس دين البلاط، و كان رجاله فى خدمة الملوك.

هذا و قد اجتهد الموابدة- بكل ما فى وسعهم- فى إبقاء الطبقات الكادحة و المحرومة من ابناء الشعب الإيرانى فى حالة من الركود و الجمود و حالة عدم الاحساس بالآلام و الرضا بالأمر الواقع.

و لقد تسببت الصلاحيات الواسعة و الحريات المطلقة المخولة إلى الموابدة فى ابتعاد الناس عن الدين المجوسى و النفور منه، فجماهير الشعب كانت تبحث لنفسها عن غير ما يتدين به الأشراف من عقيدة و دين.

يقول مؤلف كتاب «تاريخ اجتماعى ايران» و قد سعى الشعب الإيرانى- فى المال- الى ان يتخلص من ضغوط الاشراف و الموابدة و اضطهادهم، و لهذا ظهر بين الزردشتيين فى قبال الدين الرسمى «المزدية الزردشتية» الذى كان دين البلاط كما عرفنا، و كان يدعى: بهدين (اى الدين الافضل) مذهبان آخران «۲».

(۲) اجل و بسبب ضغوط الاشراف و تشددات الموابدة فى العهد الساسانى ظهرت فى ايران مذاهب مختلفة الواحد تلو الآخر، و قد

حاول «مزدک» و من قبله «مانی» ان یوجدا بأنفسهما تحولا فی الاوضاع الدینیة و فی العقائد و المؤسسات،

---

(۱) تاریخ تمدن ساسانی: ج ۱ ص ۱ (بالفارسیة).

(۲) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۴

ألّا أنهما منیا بالفشل فی هذا السبیل «۱».

(۱) فحوالی سنة (۴۹۷ میلادیة) قام «مزدک»، و ألغی المالکیة الانحصاریة (الخاصة)، و نسخ عادة تعدد الزوجات، و نظام الحریم و کان ذلک فی مقدمة برامجه الاصلاحیة، و قد لقیت أفکاره هذه تأییدا قویا من قبل الطبقات المحرومة المسحوقة التی فجرت بقیادة «مزدک» ثورة کبری، و انقلابا هائلا فی المجتمع الإیرانی.

و لقد کانت هذه الثورات و الانتفاضات الشعبیة لأجل أن یتوصل الناس إلی حقوقهم المشروعة، الممتوجه لهم من قبل اللّه خالقهم و بارئهم.

و لقد قوبل مذهب «مزدک» باعتراض شدید من قبل الموابدة، و امراء الجیش، و جرّ إلی فتنة کبیرة، و الی تردی الاوضاع فی ایران آنذاک.

کما ان المذهب الزردشتی قد فقد- فی أواخر العهد الساسانی- حقیقته بصورة کاملة، و وصل الأمر بعبادة النار و تقدیسها إلی درجة أنهم کانوا یحرّمون الدقّ علی حدیدة محماة اکتسبت لون النار و لهیبها بمجاورتها لها.

و بکلمة واحدة؛ لقد کانت اکثر المعتقدات الزردشتیة المجوسیة تتألف من الخرافات و الأساطیر، و قد أعطت حقائق هذا الدین- فی هذا العهد- مکانها لحفنة من الشعائر الجوفاء، و الطقوس الفارغة، التی أضاف إلیها الموابدة سلسلة من التشریفات الطویلة العریضة تثبیتا لمواقعهم، و دعما لمکانتهم فی المجتمع الإیرانی یومئذ.

(۲) لقد بلغت سیطرة الخرافات و الاساطیر البعیدة عن العقل و المنطق علی هذه العقیدة، و رسوخها فی هذا الدین حدا أقلق حتی رجال الدین الزردشتی انفسهم أیضا، و قد کان بین الموابدة أنفسهم من أدرک منذ البدایة تفاهة الطقوس و الشعائر الزردشتیة الجوفاء، فتخلی عنها.

---

(۱) المذهب المانوی هو المذهب الزردشتی الخلیط بالمسیحیة، فقد اخترع مانی من مسلک قومی و آخر اجنبی مذهبا جدیدا ثالثا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۵

هذا من جانب

(۱) و من جانب آخر کان قد انفتح علی الشعب الإیرانی منذ أیام الملک «أنوشیروان» فما بعد طریق التفکیر، و التأمل، و التحقیق، و ممّا قد قوّی هذا الأمر ما حصل من اتصالات بین العقائد الزردشتیة و المعتقدات المسیحیة و غیرها من العقائد و الادیان و ما تحقق من تلاقح بینها نتیجة تسلل الثقافة الیونانیة و الهندیة، و غیرها إلی الوسط الإیرانی، و تسبب کل ذلک فی یقظة الشعب الإیرانی، و لذلک اصبح یعانی من هذه الخرافات و الاساطیر التی کانت الدیانة الزردشتیة تعج بها اکثر من أی وقت مضی.

و علی أیة حال فان الفساد الذی ظهر فی أوساط رجال الدین الزردشت، و تطرق الخرافات و الاساطیر الواهیة الکثیرة الی المعتقدات الزردشتیة تسبّب فی حصول مزید من التشتت و الاختلاف و التشرذم فی آراء الشعب الإیرانی و عقیدته.

و مع ظهور هذا الاختلاف و علی أثر انتشار المذاهب المتنوعة ظهر روح الشک و التردد لدی الطبقة المفکرة و المثقفة، و سرت منهم إلی بقیة الاصناف و الفئات ممّا أدی ذلک إلی أن یفقد جماهیر الشعب ثقتها و ایمانها القطعی، و اعتقادها الکامل السابق بتلک

المعتقدات.

و هکذا استشری الهرج و المرج و عمّت الفوضی و اللادینیة کل مناطق ایران و المجتمع الإیرانی، کما رسم «برزویه» الطبیب الشهیر فی العهد الساسانی حیث صوّر نموذجا کاملا عن الاختلاف الاعتقادی و التشرذم الفکری، و بالتالی اضطراب الأوضاع الإیرانیة فی العهد الساسانی، فی مقدمة «کلیلة و دمنة».

(۲)

الحروب الإیرانیة الرومیة:

لقد انقذ «بزرجمهر»- الوزیر الإیرانی الشهیر الذی کان یحتل مکان الصدارة فی حکومة «انوشیروان» و کان موصوفا بالتدبیر و الکفاءة العالیة- ایران من الاخطار التی احدقت بها فی اکثر الاحایین، و لکن علاقته بالسلطان

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۶

(انوشیروان) کانت تتأثر احیانا بسعایة الساعین و وشایة الوشاة الذین کانوا یوغرون صدر الملک ضدّه فیستصدرون منه قرارا بحبسه و سجنه.

(۱) و قد أوغر هؤلاء السعاة و الواشون أنفسهم صدر «انوشیروان» ضد امبراطور الروم، و ألّبوه علیه، و شجّعوه علی توسیع رقعة نفوذه، و توسیع حدود بلاده و اضعاف سیطرة منافسه الخطیر، متجاهلا وثیقة «الصلح الخالد» التی عقدها مع الروم و اتفق فیها الجانبان علی عدم التعرض بعضهم لبعض.

و أدی هذا التحریض بأنوشیروان إلی مهاجمة الروم، و اشتعلت علی اثرها نیران الحرب، و استطاع جنود. ایران ان یفتحوا سوریة (و قد کانت مستعمرة رومیة) فی مدة قصیرة تقریبا، و حرق انطاکیة و نهب آسیا الصغری.

و بعد عشرین عاما من القتال و سفک الدّماء، و الکرّ و الفر بین الروم و ایران و بعد أن فقد الجانبان قدراتهم و طاقاتهم فی تلک المعارک الطاحنة، و بعد الخسائر العظیمة التی تحمّلهما الطرفان اضطرّا الی عقد وثیقة الصلح مرة ثانیة، و حدّدوا حدود بلادهما، و مناطق نفوذهما کما کانت علیه فی السابق شریطة أن تدفع دولة الروم کل عام ما یعادل (عشرین الف) دینار الی دولة ایران.

(۲) و من الواضح الذی لا یخفی و لا یحتاج الی البیان أن حروبا طویلة الآمد تدور رحاها بعیدا عن مرکز الدولة من شأنها ان تأتی بالنتائج السیئة و التبعات الثقیلة علی اقتصاد الشعب المحارب، و صناعته و توجه إلی هذه الجوانب ضربات قویة، لا تزول آثارها إلّا بعد زمان طویل خاصة مع ملاحظة الوسائل و الأدوات فی تلک العصور.

و مهما یکن فان هذه الحروب، و هذه الحملات المکلفة هیأت المقدمات الموجبة لسقوط الحکومة الإیرانیة الحتمی.

فان آثار هذه المعارک لم تزل بعد إلّا و قد نشبت حرب اخری دامت سبعة اعوام فان «تی باریوس» امبراطور الروم بعد ان تسنم عرش السلطان هدد بحملاته الکبیرة استقلال الدولة الإیرانیة بدافع الانتقام.

و فی الأثناء- و قبل ان یتضح موقف الطرفین و موقعهما فی تلک المعارک من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۷

الهزیمة أو الانتصار- مات «انوشیروان» و خلفه فی إدارة البلاد ابنه «خسرو برویز».

(۱) و قد حمل هذا الأخیر علی الروم أیضا، و ذلک عام (۶۱۴) بحجج معینة، و فتح فی أول حملة من حملاته: بلاد الشام و فلسطین و إفریقیة و نهب اورشلیم، و أحرق کنیسة القیامة و مزار السیّد المسیح (علیه السّلام) و هدم المدن، و دمرها.

و قد انتهت هذه الحرب بعد مقتل تسعین الف من النصاری لصالح الإیرانیین.

فی مثل هذه المرحلة التی کان فیها العالم المتحضر آنذاک یحترق- فی نیران الحروب و الظلم، بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالرسالة الاسلامیة، و بلغ نداؤه المحیی للنفوس و العقول سمع البشریة، و قام یدعو الناس إلی الصلح و السلم، و الی النظم و الامن.

(۲) و لقد أدّی انهزام الرومیین المتدینین، المؤمنین باللّه علی أیدی المجوس الکفار، عبدة النار، الی ان یتفاءل اهل مکة الوثنیون بهذا الحدث، و یحدّثوا (و یمنّوا) أنفسهم بالانتصار علی المسلمین المؤمنین باللّه عما قریب، و انطلقوا یرد دون هذه الامنیة أمام المسلمین و هم یحاولون بها إضعاف معنویّاتهم، و زعزعة إیمانهم، الأمر الذی أقلق المسلمین.

و لم یتخذ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم موقفا تجاه هذه الظاهرة انتظارا لما سینزل به علیه الوحی الی ان نزلت آیات فی هذا المجال هی الآیات الاولی من سورة الروم التی تقول: «الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ. فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ یَنْصُرُ مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ. وَعْدَ اللَّهِ لا یُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» «۱».

(۳) و قد تحقّقت نبوءة القرآن هذه حول الروم فی عام (۶۲۷ میلادیة) حیث

---

(۱) الروم: ۱- ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۸

استولی «هرقل» علی «نینوی» فی حملة واحدة.

و علی أیّة حال کانت الدولتان المتنافستان تطویان الدقائق و الساعات الأخیرة من حیاتهما فیما تستعدّان من ناحیة اخری لتجمیع القوی، و التهیؤ لشن حملات جدیدة، و خوض حروب و معارک اخری و لکن حیث أن الارادة الالهیة کانت قد تعلقت بأن یسطع علی تلک المنطقتین نور التوحید و تنتعش نفوس الرومیین و الفرس الذابلة المیتة بنسائم الإسلام الناعشة، و اشعته الهادیة، لذلک لم یلبث أن قتل «خسرو برویز» علی یدی ابنه «شیرویه» الذی لم یدم سلطانه بعد اغتیاله لأبیه اکثر من ثمانیة أشهر، ثم سادت ایران بعد «شیرویه» فوضی شاملة خلال اربعة اشهر، حیث تناوب علی مسند الحکم حکام و امراء عدیدون أربعة منهم من النساء، إلی أن أنهی الجیش الاسلامیّ بحملاته الناجحة هذه الاوضاع، و وضع نهایة لهذا الصراع السیاسی الحادّ الذی استمرّ خمسین عاما و الذی ساعد بدوره علی تقدم الفتوحات الإسلامیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۹

(۱)

۴ أسلاف رسول الإسلام (ص)

اشارة

(۲)

۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل علیه السّلام

اشارة

إن الهدف من استعراض حياة النبيّ العظيم إبراهيم الخليل عليه السّلام هو التعريف بأجداد النبيّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أسلافه، لانتهاء نسبه الشريف إلى النبيّ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام، و حيث ان لهاتين الشخصيتين العظيمتين و بعض أسلاف النبيّ العظام نصيب هامّ فى تاريخ العرب و الإسلام، لهذا ينبغى الحديث عن أحوالهم بصورة مختصرة، خاصّة أنّ حوادث التاريخ الإسلامى ترتبط ارتباطا كاملا- كحلقات سلسلة واحدة- بالحوادث السابقة، او المقارنة لبزوغ الإسلام.

(۳) فعلى سبيل المثال تعتبر كفالة «عبد المطلب» لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته له، و جهود «ابى طالب» و دفاعه الطويل عن النبيّ، و عظمة الهاشميين و سموّ مقامهم و اخلافهم، و جذور معاداة الأمويين لهم، الاسس و القواعد الموضوعية لحوادث التاريخ الإسلامى، و لهذا كان لا بدّ من تخصيص فصل كامل فى التاريخ الإسلامى لهذه الابحاث.

إنّ فى حياة حامل راية التوحيد النبيّ «إبراهيم الخليل» عليه السّلام نقاطا مشرقة و بارزة جدا.

فجهاده العظيم فى سبيل ارساء قواعد التوحيد و اقتلاع جذور الوثنية ممّا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۰

لا ينسى.

و هكذا حواره اللطيف و الزاخر بالمعانى مع عبدة النجوم و الكواكب فى عصره و الذى ذكره القرآن الكريم لمعرفتنا، افضل و اسمى درس توحيدى لطلاب الحقيقة و بغاة الحق.

(۱)

مولد إبراهيم:

لقد ولد بطل التوحيد فى بيئة مظلمة كانت تسربلها ظلمات الوثنية، و عبادة البشر ... فى بيئة كان الإنسان فيها يخضع لأصنام نحتها بيديه، كما يخضع لكواكب و نجوم.

لقد ولد حامل لواء التوحيد: «إبراهيم الخليل» عليه السّلام فى «بابل» الذى يعدّها المؤرخون إحدى عجائب الدنيا السبع، و يذكرون حولها قصصا و امورا كثيرة تنبئ عن عظمتها و أهمية حضارتها، فيقول «هيرودتس» المؤرخ المعروف- مثلا-: لقد كانت بابل بنية بشكل مربّع طول كل ضلع من اضلاعه الاربعة (۱۲۰ فرسخا) و محيطه (۴۸۰ فرسخا) «۱».

إنّ هذا الكلام مهما كان مبالغا فيه إلّا أنه على كل حال يكشف عن حقيقة لا تقبل الإنكار، إذا ما ضمّ إلى ما كتبه الآخرون عن تلك المدينة التاريخية.

(۲) غير اننا لا نرى من تلك المدينة اليوم و من مناظرها الجميلة، و قصورها الرائعة، إلّا تلّا من التراب فى منطقة بين «دجلة» و «الفرات»، فالموت يخيّم على كل تلك المنطقة، اللّهم الا عند ما يكسر علماء الآثار بتنقيباتهم جدار الصمت أحيانا، بحثا عن آثار تلك المدينة، و يستخرجون بقاياها الموقوف على معالم من حضارة اصحابها و سكانها.

لقد فتح رائد التوحيد و مرسى اركانه «إبراهيم الخليل» عليه السّلام عينيه

---

(۱) قاموس الكتاب المقدّس، مادّة بابل.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۱

فى دولة «نمرود بن كنعان».

و كان نمرود هذا رغم أنه يعبد الصنم يدّعى الالوهيّة و يأمر الناس بعبادته.

(۱) و قد یبد و هذا الأمر عجیبا جدا فکیف یمکن ان یکون الشخص عابد صنم و مع ذلک یدّعی الالوهیة فی الوقت نفسه، إلّا أن القرآن الکریم یذکر لنا نظیر هذه المسألة فی شأن «فرعون مصر»، و ذلک عند ما هزّ النبی موسی بن عمران علیه السّلام قواعد العرش الفرعونی بمنطقه القویّ، و حجته الصاعقة، فاعترض أنصار فرعون و ملأوه علی هذا الأمر، و خاطبوا فرعون بلهجة معترضة قائلین:

«أَ تَذَرُ مُوسی وَ قَوْمَهُ لِیُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ یَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ» «۱».

(۲) و من الواضح جدّا أن «فرعون» کان یدعی الالوهیة فهو الذی کان یقول:

«أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی» «۲» و هو القائل: «ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی» «۳» و لکنه کان فی الوقت نفسه عابد صنم و وثنیا.

بید أنّ هذه الازدواجیة لیست بأمر غریب عند الوثنیین، و لا یمنع مانع فی منطقهم أن یکون الشخص نفسه وثنیا یعبد الصنم، و مع ذلک یدّعی أنه إله و یدعو الناس إلی عبادته فیکون الها معبودا، یعبد الها أعلی منه، لأن المقصود من المعبود و الاله لیس هو خالق الکون بل هو من یتفوّق علی الآخرین بنحو من أنحاء التفوق و یمتلک زمام حیاتهم بشکل من الإشکال.

هذا و التاریخ یحدثنا أن العوائد فی بلاد الروم کانت تعبد کبارها و مع ذلک کان اولئک الکبار المعبودین انفسهم یتخذون لأنفسهم معبودا أو معبودات اخری.

(۳) إن أکبر وسیلة توسّل بها «نمرود» فی هذا السبیل هو استقطاب جماعة من الکهنة و المنجمین الذین کانوا یعدّون الطبقة العالمة و المثقّفة فی ذلک العصر.

فقد کان خضوع هذه الطبقة یمهّد لاستعمار الطبقة المنحطة و غیر الواعیة من الناس.

هذا مضافا إلی أنه کان یناصر «نمرود» بعض من ینتسب إلی «الخلیل»

---

(۱) الأعراف: ۱۲۷.

(۲) النازعات: ۲۴.

(۳) القصص: ۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۲

علیه السّلام بوشیجة القربی مثل «آزر» الذی کان یصنع التماثیل، و کان عارفا بأحوال النجوم و الفلک أیضا، و کان هذا هو الآخر أحد العراقیل التی کانت تمنع الخلیل من انجاح مهمته، لأنه مضافا إلی مخالفة الرأی العام له، کان یواجه مخالفة أقاربه أیضا.

(۱) لقد کان نمرود غارقا فی عالم خیالی عند ما دقّ المنجمون فجأة أول ناقوس للخطر و قالوا له: سوف تنهار حکومتک، و یتهاوی عرشک و سلطانک علی ید رجل یولد فی تلک البیئة، الأمر الذی أیقظ أفکاره النائمة، فتساءل من فوره: و هل ولد هذا الرجل؟ فقیل له: لا، انه لم یولد بعد. فأمر من فوره بعزل الرجال عن النساء (و ذلک فی اللیلة التی انعقدت فیها نطفة ابراهیم الخلیل علیه السّلام عدو نمرود، و هادم ملکه، و مزیل سلطانه و هی اللیلة التی حددها و تکهن بها المنجمون و الکهنة من انصار نمرود) و مع ذلک کان جلاوزة «نمرود» یقتلون کل ولید ذکر، و کان علی القوابل ان یسجّلن اسماء المواليد فی مکتبه الخاص.

و لقد اتفق أن انعقدت نطفة «الخلیل» فی نفس اللیلة التی منع فیها ای لقاء جنسی بین الرجال، و ازواجهم.

لقد حملت أم إبراهیم به کما حملت أمّ موسی به، و امضت فترة حملها فی خفاء و تستر، ثم لجأت بعد وضع ولیدها العزیز الی غار بجبل علی مقربة من المدینة حفاظا علیه، و راحت تتفقده بین حین و آخر من اللیل و النهار، قدر المستطاع.

و قد أرضی هذا الاسلوب الظالم «نمرودا» و أراح باله بمرور الزمن، اذ أیقن بانه قد قضی به علی عدو عرشه، و هادم سلطانه، و تخلص منه.

(۲) لقد قضی «إبراهیم» علیه السّلام ثلاثة عشر عاما فی ذلک الغار الذی کان یتصل بالعالم الخارجی عبر باب ضیّق، ثم أخرجته أمه

من ذلک الغار بعد ثلاثة عشر عاما، و دخل «إبراهیم» فی المجتمع، فاستغرب المجتمع النمرودی وجوده و انکروه «۱».

---

(۱) تفسیر البرهان: ج ۱ ص ۵۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۳

(۱) لقد خرج «إبراهیم» من الغار، مؤمنا باللّه بفطرته، و قوّی توحیده الفطری، بمشاهدة الأرض و السماء، و النظر فی سطوع الکواکب و النجوم و التأمل فی ما یجری فی عالم النبات من نمو و حرکة إلی غیر ذلک ممّا یجری فی عالم الطبیعة العجیب.

لقد واجه إبراهیم علیه السّلام بعد خروجه من الغار جماعة من الناس بهرتهم أحوال الکواکب و عظمة أمرها، ففقدوا عقولهم تجاه هذه الظاهرة، کما رای جماعة اخری أحطّ فکریّا من سابقتها یعبدون اصناما منحوتة، بل واجه ما هو اسوأ بکثیر من أعضاء الطوائف و الجماعات الضالة اذ رأی رجلا یستغل جهل الناس و غبائهم و یدعی الالوهیة و یفرض علیهم عبادته و الخضوع له!!

لقد کان إبراهیم علیه السّلام یری أنّ علیه أن یهیّیء نفسه لخوض المعرکة فی هذه الجبهات الثلاث المختلفة، و قد نقل القرآن الکریم قصة نضال النبیّ «إبراهیم» علیه السّلام فی هذه الاصعدة و الجبهات الثلاث و سننقل لک فی ما یأتی و باختصار ما ذکره القرآن فی هذا المجال.

(۲)

إبراهیم و مکافحته للوثنیة:

کانت ظلمات الوثنیة قد خیّمت علی منطقة بابل (موضع ولادة الخلیل) برمتها.

فالآلهة المدّعاة، و المعبودات (السماویة و الارضیة) الباطلة قد سحرت عقول مختلف فئات الشعب، فبعضها فی نظرهم هی أرباب القدرة و السلطة، و بعضها الآخر وسیلة الزلفی و التقرب الی اللّه إلی غیر ذلک من التصورات السخیفة فی هذا الصعید.

و حیث أن طریقة الأنبیاء فی هدایة البشریة و ارشادهم هی الاستدلال بالبراهین، و الاحتجاج بالمنطق، لانهم إنما یتعاملون مع قلوب الناس و عقولهم، و یبتغون ایجاد حکومة تقوم علی أساس الإیمان و الیقین. و مثل هذه الحکومة لا یمکن اقامتها بالسیف او بالنار و الحدید. لهذا یبدءون حرکتهم بالتوعیة الفکریة.

إن علینا أن نفرق بین الحکومات التی یرید الأنبیاء تأسیسها، و حکومة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۴

الفراعنة و النماردة.

(۱) ان هدف الطائفة الثانیة هو: الرئاسة و الزعامة، و الحفاظ علیها بکل وسیلة ممکنة فی حیاتهم، و ان تلاشت و تهاوت من بعدهم.

و لکن الأنبیاء و الرسل یریدون حکومة تبقی قائمة فی جمیع الحالات و ماثلة فی جمیع الاوقات، فی الخلوة و الجلوة، فی وقت الضعف، و فی وقت القوة، فی حیاتهم و بعد مماتهم ... انهم یریدون أن یحکموا علی القلوب لا علی الابدان، و هذا الهدف لا یتحقق ابدا عن طریق القوة و استخدام العنف و القهر!! انما یتحقق عن طریق الحجة و البرهان.

(۲) لقد بدأ النبی «إبراهیم» عمله بمکافحة ما کان علیه أقرباؤه الذین کان فی طلیعتهم و علی رأسهم «آزر» و هو الوثنیة و عبادة الاصنام، و لکنه لم ینته من هذه المعرکة و لم یحرز انتصارا کاملا فی هذه الجبهة بعد إلّا و واجه علیه السّلام جبهة اخری، و کانت هذه الجماعة أعلی مستوی من افراد الجماعة السابقة فی الفهم و الثقافة. لان هذه الجماعة- علی خلاف أقرباء إبراهیم قد نبذت عبادة الأوثان و الأصنام «۱»، و المعبودات الارضیة الحقیرة، و توجهت بعبادتها و تقدیسها الی الکواکب و النجوم و الاجرام السماویة.

و لقد بيّن «الخليل» عليه السّلام فى حواره العقائدى مع عبّاد الاجرام السماوية، و مكافحته لمعتقداتهم الفاسدة، سلسلة من الحقائق الفلسفية و العلمية التى لم يصل إليها الفكر البشرى يومذاك، و ذلك ببيان بسيط مدعوم بأدلة لا تزال الى اليوم موضع اعجاب كبار العلماء، و رواد الفلسفة و الكلام.

و الأهم من ذلك- فى هذا المجال- أن القرآن الكريم نقل أدلة «إبراهيم الخليل» عليه السّلام باهتمام خاص و عناية بالغة و لهذا ينبغى لنا أن نتوقف عندها قليلا، و هذا ما سنفعله فى هذه الصفحات.

---

(۱) ترتبط آية ۷۴ من سورة الأنعام بحواره عليه السّلام مع الوثنيين، بينما ترتبط الآيات اللاحقة لها بعبدة الأجرام السماوية.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۵

حوار الخليل مع عبدة الكواكب:

(۱) ذات ليلة وقف إبراهيم عليه السّلام عند ابتداء مغيب الشمس يتطلع فى السماء- و هو ينوى هداية الناس- و بقى ينظر الى النجوم و الكواكب من أول الغروب من تلك الليلة الى الغروب من الليلة التالية، و خلال هذه الساعات الأربع و العشرين حاور و جادل ثلاث فرق، من عبدة النجوم و ابطل عقيدة كل فرقة منها بأدلة محكمة، و براهين متقنة قوية.

فعند ما أقبل الليل و خيّم الظلام على كل مكان و هو يخفى كل مظاهر الوجود و معالمه فى عالم الطبيعة ظهر كوكب «الزهرة» من جانب الافق و هو يتلألأ.

فقال إبراهيم لعباد هذا الكوكب- و هو يتظاهر بموافقتهم جلبا لهم، و مقدمة للدخول معهم فى حوار-: «هذا ربى».

و عند ما افل ذلك الكوكب و غاب عن الانظار قال: «لا احب الآفلين».

و بمثل هذا المنطق الجميل أبطل عقيدة عبدة الزهرة، و اظهر خواءها و فسادها.

(۲) ثمّ إنه عليه السّلام نظر الى كوكب القمر المنير الذى يسحر القلوب بنوره وضوئه، فقال- متظاهرا بموافقة عبدة القمر-: «هذا ربى» ثم ردّ باسلوب منطقى محكم تلك العقيدة أيضا، عند ما امتدت يد القدرة المطلقة و لملمت أشعة القمر من عالم الطبيعة، و عندها اتّخذ ابراهيم عليه السّلام هيئة الباحث عن الحقيقة و من دون أن يصدم تلك الفرق المشركة و يجرح مشاعرها اذ قال: «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» «۱» لأن القمر قد أفل أيضا كما أفل سابقه فهو كغيره أسير نظام علوىّ لا يتخلف، و ما كان كذلك لا يمكن ان يعدّ ربا يعبد، و يتوجه إليه بالتقديس و التضرع.

(۳) و لما ولّى الليل و أدبر، و اكتسحت الشمس الوضاءة باشعتها حجب

---

(۱) الأنعام: ۷۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۶

الظلام، و بثت خيوطها الذهبية على الوهاد و السهول، و التفت عبدة الشمس الى معبودهم، تظاهر ابراهيم بالاقرار بربوبيتها اتباعا لقواعد الجدل و المناظرة و لكن افول الشمس و غروبها اثبت هو الآخر بطلان عبادتها أيضا بعد أن اثبت خضوعها للنظام الكونى العام، فتبرأ «الخليل» عليه السّلام من عبادتها بصراحة.

و عندئذ أعرض عليه السّلام عن تلك الطوائف الثلاث و قال: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱».

لقد كان المخاطبين فى كلام إبراهيم عليه السّلام هم الذين يعتقدون بأن تدبير الكائنات الارضية، و منها الإنسان، قد انيطت إلى الاجرام السماوية و فوضت إليها!!

(۱) و هذا الكلام يفيد أن الخليل عليه السّلام لم يقصد المطالب الثلاث التالية:

۱- اثبات الصانع (الخالق).

۲- توحيد الذات و أنه واحد غير متعدد.

۳- التوحيد فى الخالقية، و أنه لا خالق سواه.

بل كان تركيزه عليه السّلام على التوحيد فى «الربوبية» و «التدبير» و ادارة الكون، و انه لا مدبّر و لا مربى للموجودات الأرضية إلّا اللّه سبحانه و تعالى، و من هنا فانه عليه السّلام فور إبطاله لربوبية الاجرام السماوية قال: «وجّهت وجهى للّذى فطر السماوات و الأرض ...» و هو يعنى ان خالق السماوات و الأرض هو نفسه مدبرها و ربها، و انه لم يفوّض أى شىء من تدبير الكون،- لا كله و لا بعضه- الى الاجرام السماوية، فتكون النتيجة: أن الخالق و المدبر واحد لا أن الخالق هو اللّه و المدبر شىء آخر.

(۲) و لقد وقع المفسرون، و الباحثون فى معارف القرآن فى خطأ، و التباس عند التعرض لمنطق «إبراهيم» عليه السّلام و شرح حواره هذا، حيث تصوروا أن الخليل عليه السّلام قصد نفى «ألوهية» هذه الأجرام يعنى الالوهية التى تعتقد بها

---

(۱) الأنعام: ۷۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۷

جميع شعوب الأرض و يكون هذا الكون الصاخب آية وجوده.

(۱) بينما تصوّر فريق آخر ان «إبراهيم» كان يقصد نفى «الخالقية» عن هذه الأجرام السماوية، لأنه من الممكن ان يخلق إله العالم كائنا كامل الوجود و الصفات ثم يفوض إليه مقام الخالقية فى حين أن هذين التفسيرين غير صحيحين، بل كان هدف الخليل عليه السّلام- بعد التسليم بوجود إله واجب الوجود، و توحيده، و وحدانية الخالق- البحث فى قسم آخر من التوحيد، الا و هو التوحيد «الربوبى»، و بالتالى اثبات أن خالق الكون هو نفسه مدبر ذلك الكون أيضا، و عبارة: «وجّهت وجهى ...» أفضل شاهد على هذا النوع من التفسير.

من هنا كان التركيز الأكبر فى بحث ابراهيم على مسألة «الربّ» و «الربوبية» فى صعيد الاجرام كالقمر و الزهرة و الشمس «۱».

(۲) هذا و استكمالا للبحث الحاضر لا بدّ من توضيح برهان النبىّ «ابراهيم» عليه السّلام.

لقد استدل «ابراهيم» فى جميع المراحل الثلاث بافول هذه الاجرام على أنها لا تليق بتدبير الظواهر الارضية و بخاصة الإنسان.

و هنا ينطرح سؤال: لما ذا يعتبر افول هذه الاجرام شاهدا على عدم مدبّريتها؟

إن هذا الموضوع يمكن بيانه بصور مختلفة، كل واحدة منها تناسب طائفة معينة من الناس.

ان تفسير منطق «الخليل» عليه السّلام و اسلوبه فى إبطال مدبّريه الاجرام السماوية و ربوبيّتها بأشكال و صور مختلفة أفضل شاهد على أن للقرآن الكريم أبعادا مختلفة و أن كل بعد منها يناسب طائفة من الناس.

---

(۱) لقد بيّنا مراتب التوحيد من وجهة نظر القرآن الكريم فى كتابنا «معالم التوحيد فى القرآن الكريم» و أثبتنا هناك أنّ التوحيد فى الذات غير التوحيد فى الخالقية، و أن هذين النوعين من التوحيد غير التوحيد فى الربوبية، و هى غير المراتب الاخرى للتوحيد، فراجع الكتاب المذكور تقف على هذه الحقيقة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۸

(۱) و إليك فى ما يلى التفاسير المختلفة لهذا الاستدلال:

(۲) الف: إن الهدف من اتخاذ الربّ هو أن یستطیع الکائن الضعیف فی ظل قدرة ذلک الرب من الوصول الی مرحلة الکمال و لا بدّ ان یکون لمثل هذا الربّ ارتباط قریب مع الموجودات المراد تربیتها بحیث یکون واقفا علی أحوالها، غیر منفصل عنها، و لا غریب علیها.

و لکن کیف یستطیع الکائن الذی یغیب ساعات کثیرة عن الفرد المحتاج إلیه فی التربیة و یحرم ذلک الفرد من فیضه و برکته، ان یکون ربا للموجودات الأرضیة و مدبرا لها؟!

من هنا یکون افول النجم، و غروبه، الذی هو علامة غربته و انقطاعه عن الموجودات الارضیة خیر شاهد علی أن للموجودات الأرضیة ربّا آخر، منزها عن تلک النقیصة عاریا عن ذلک العیب.

(۳) باء: انّ طلوع الأجرام السماویة و غروبها و حرکتها المنظمة دلیل علی أنها جمیعا خاضعة لمشیئة فوقها، و انها فی قبضة القوانین الحاکمة علیها، و الخضوع لقوانین منظمة هو بذاته دلیل علی ضعف تلک الموجودات، و مثل هذه الموجودات الضعیفة لا یمکن أن تکون حاکمة علی الکون، أو شیء من الظواهر الطبیعیة، و أما استفادة الموجودات الارضیة من نور تلک الاجرام وضوئها فلا یدل أبدا علی ربوبیة تلک الأجرام، بل هو دلیل علی أن تلک الأجرام تؤدّی وظیفة تجاه الموجودات الأرضیة بأمر من موجود أعلی.

و بعبارة اخری: إن هذا الأمر دلیل علی التناسق الکونی، و ارتباط الکائنات بعضها ببعض.

(۴) جیم: ما هو الهدف من حرکة هذه الموجودات؟ هل الهدف هو أن تسیر من النقص إلی الکمال أو بالعکس؟

و حیث أن الصورة الثانیة غیر معقولة، و علی فرض تصورها لا معنی لأن یسیر المربّی و المدبر للکون من مرحلة الکمال الی النقص و الفناء، یبقی الفرض. الاول و هو بنفسه دلیل علی وجود مربّ آخر یوصل هذه الموجودات القویة فی ظاهرها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۹

من مرحلة الی مرحلة، هو- فی الحقیقة- الربّ الذی یبلغ بهذه الموجودات و ما دونها إلی الکمال.

(۱)

طریقة الأنبیاء فی الحوار و الجدال:

لقد اسلفنا فی ما سبق أن «ابراهیم»- بعد خروجه من الغار- واجه صنفین منحرفین عن جادة التوحید هما:

۱- الوثنیون.

۲- عبدة الاجرام السماویة.

و لقد سمعنا حوار «ابراهیم» علیه السّلام و جداله مع الفریق الثانی، و علینا الآن أن نعرف کیف حاور الوثنیین و عبدة الاصنام؟

(۲) إن تاریخ الأنبیاء و الرسل یکشف لنا عن أنهم کانوا یبدءون دعوتهم من انذار الاقربین ثم یوسعون دائرة الدعوة لتشمل عامة الناس کما فعل رسول الإسلام فی بدء دعوته حیث بدأ بانذار عشیرته الاقربین لما امره اللّه تعالی بذلک اذ قال: «وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ» «۱». و بذلک أسّس دعوته علی إصلاح اقربائه و عشیرته.

و لقد سلک «الخلیل» علیه السّلام نفس هذا المسلک أیضا إذ بدأ عمله الاصلاحی باصلاح اقربائه.

و لقد کان لآزر بین قومه مکانة اجتماعیة علیا فهو- مضافا إلی معلوماته فی الصناعة و غیرها- کان منجما ماهرا، و ذا کلمة مسموعة و رأی مقبول فی بلاط «نمرود» فی کل ما یخبر به من أخبار النجوم، و کل ما یستخرجه و ما یستنبطه من الامور الفلکیة و یذکره من تکهنات.

(۳) لقد ادرک «ابراهیم» انه بجلبه لآزر (عمّه) یستطیع ان یسیطر علی اوساط الوثنیین، و یجردهم من رکیزة هامة من کبریات

رکائزهم، و لهذا بادر الی منع

---

(۱) الشعراء: ۲۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۰

عمّه آزر- و بافضل الاساليب- عن عبادة الاوثان، بيد أن بعض الأسباب أوجبت أن لا يقبل «آزر» بنصائح «ابراهيم» عليه السّلام، و المهم لنا فی هذا المجال هو ان نتعرف علی کیفیة دعوة الخلیل و علی اسلوب حواره مع «آزر».

ان الامعان فی الآیات التی تنقل حوار «ابراهیم» علیه السّلام مع «آزر» توضح لنا أدب الأنبیاء، و اسلوبهم الرائع فی الدعوة و الارشاد، و لنقف عند حوار ابراهیم و دعوته، لیتضح لنا ذلک.

یقول القرآن الکریم عن ذلک: «إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً: یا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ یَأْتِکَ فَاتَّبِعْنِی أَهْدِکَ صِراطاً سَوِیًّا. یا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّیْطانَ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلرَّحْمنِ عَصِیًّا. یا أَبَتِ إِنِّی أَخافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَکُونَ لِلشَّیْطانِ وَلِیًّا».

(۱) فاجابه «آزر» قائلا: «أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِی یا إِبْراهِیمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّکَ وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا».

و لکن «ابراهیم» بسعة صدره و عظمة روحه تجاهل ردّ «آزر» العنیف ذلک و أجابه قائلا: «سلام علیک سأستغفر لک ربّی» «۱».

و أیّ جواب أفضل من هذا البیان و أیّ لغة ألین من هذه اللغة و احبّ الی القلب، و اکثر رحمة و لطفا.

(۲)

هل کان آزر والد إبراهیم؟

ان الظاهر من الآیات المذکورة و کذا الآیة (۱۱۵) من سورة «التوبة» و الآیة (۱۴) من سورة الممتحنة هو: أنّ «آزر» کان والد إبراهیم علیه السّلام.

و قد کان إبراهیم یسمیه أبا فی حین کان «آزر» وثنیا، فکیف یصح ذلک و قد اتفقت کلمة علماء الشیعة عامة علی کون والد النبیّ الکریم «محمّد»

---

(۱) مریم: ۴۲- ۴۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۱

صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جمیع الأنبیاء مؤمنین باللّه سبحانه موحدین ایاه تعالی.

و لقد ذکر الشیخ المفید رضوان اللّه علیه فی کتابه القیم «أوائل المقالات» «۱» ان هذا الأمر هو موضع اتفاق علماء الشیعة الامامیة کافة بل وافقهم فی ذلک کثیر من علماء السنة أیضا.

و فی هذه الصورة ما هو الموقف من ظواهر الآیات المذکورة التی تفید ابوّة «آزر» لإبراهیم، و ما هو الحل الصحیح لهذه المشکلة (۱) یذهب أکثر المفسّرین إلی أن لفظة «الأب» و ان کانت تستعمل عادة فی لغة العرب فی «الوالد»، إلّا أن مورد استعمالها لا ینحصر فی ذلک.

بل ربما استعملت- فی لغة العرب و کذا فی مصطلح القرآن الکریم- فی:

(العمّ) أیضا. کما وقع ذلک فی الآیة التالیة التی استعملت فیها لفظة الأب بمعنی العم اذ یقول سبحانه:

«إذ قال لبنیه ما تعبدون من بعدی قالوا نعبد إلهک و إله آبائک إبراهیم و اسماعیل و إسحاق إلها واحدا و نحن له مسلمون» «۲»

فإنّ ممّا لا ریب فیه أن «اسماعیل» کان عما لیعقوب لا والدا له، فیعقوب هو ابن اسحاق، و اسحاق هو أخو اسماعیل.

و مع ذلک سمّی أولاد یعقوب «اسماعیل» الذی کان (عمّهم) أبا.

(۲) و مع وجود هذین الاستعمالین (استعمال الاب فی الوالد تارة، و فی العم تارة اخری) یصبح احتمال کون المراد بالاب فی الآیات المرتبطة بهدایة «آزر» هو العمّ أمرا واردا، و بخاصة إذا ضممنا الی ذلک قرینة قویة فی المقام و هی:

اجماع العلماء الذی نقله المفید رحمه اللّه علی طهارة آباء الأنبیاء و اجدادهم من رجس الشرک و الوثنیة.

و لعل السبب فی تسمیة النبی «ابراهیم» عمّه بالأب هو أنه کان الکافل

---

(۱) أوائل المقالات: ص ۱۲ باب القول فی آباء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۲) البقرة: ۱۳۳.

لإبراهیم ردحا من الزمن، و من هنا کان «ابراهیم» ینظر إلیه بنظر الأب، و ینزله منزلة الوالد.

(۱)

القرآن ینفی ابوّة «آزر» لإبراهیم:

و لکی نعرف رأی القرآن الکریم فی مسألة العلاقة بین «آزر» و «ابراهیم» علیه السّلام نلفت نظر القارئ الکریم الی توضیح آیتین:

(۲) ۱- لقد أشرقت منطقة الحجاز بنور الایمان و الإسلام بفضل جهود النبیّ «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تضحیاته الکبری، و آمن اکثر الناس به عن رغبة و رضا، و علموا بأن عاقبة الشرک، و عبادة الاوثان و الاصنام هو الجحیم و العذاب الالیم.

إلّا أنهم رغم ابتهاجهم و سرورهم بما وفقوا له من إیمان و هدایة، کانت ذکریات آبائهم و امهاتهم الذین مضوا علی الشرک و الوثنیة تزعج خواطرهم و تثیر شفقتهم، و اسفهم.

و کان سماع الآیات التی تشرح أحوال المشرکین فی یوم القیامة یحزنهم و یؤلمهم، و بغیة ازالة هذا الالم الروحی المجهد طلبوا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یستغفر لآبائهم و امهاتهم کما فعل «إبراهیم» فی شأن «آزر» فنزلت الآیة فی مقام الردّ علی طلبهم ذاک، اذ قال سبحانه:

«ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ. وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِیَّاهُ فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ» «۱».

إنّ ثمت قرائن کثیرة تدل علی أنّ محادثة النبیّ «إبراهیم» و حواره مع «آزر» و وعده بطلب المغفرة له من اللّه سبحانه قد انتهی إلی قطع العلاقات،

---

(۱) التوبة: ۱۱۳ و ۱۱۴.

و التبرّی منه فی عهد فتوّة «إبراهیم»، و شبابه، أی عند ما کان «إبراهیم» لا یزال فی مسقط رأسه «بابل» و لم یتوجه بعد الی فلسطین و مصر و أرض الحجاز.

إننا نستنتج من هذه الآية أن «إبراهيم» قطع علاقته مع «آزر»- فى أيام شبابه- بعد ما أصرّ «آزر» على كفره، و وثنيته، و لم يعد يذكره الى آخر حياته.

(۱) ۲- لقد دعا «إبراهيم» عليه السّلام فى اخريات حياته- أى فى عهد شيخوخته- و بعد أن فرغ من تنفيذ مهمته الكبرى (تعمير الكعبة) و اسكان ذريته فى أرض مكة القاحلة، دعا و بكل اخلاص و صدق جماعة منهم والداه، و طلب من اللّه إجابة دعائه، إذ قال فى حين الدعاء:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ» «۱».

إن هذه الآية تفيد بصراحة- أن الدعاء المذكور كان بعد الفراغ من بناء الكعبة المعظمة، و تشييدها، يوم كان إبراهيم يمر بفترة الشيخوخة، فاذا كان مقصوده من الوالد فى الدعاء المذكور هو «آزر» و انه المراد له المغفرة الالهية كان معنى ذلك أن «ابراهيم» كان لم يزل على صلة ب «آزر» حتى أنه كان يستغفر له فى حين أن الآية التى نزلت ردا على طلب المشركين أوضحت بأن «إبراهيم» كان قد قطع علاقاته ب «آزر» فى أيّام شبابه، و تبرّأ منه، و لا ينسجم الاستغفار مع قطع العلاقات.

إن ضمّ هاتين الآيتين بعضهما الى بعض يكشف عن أنّ الذى تبرّأ منه «ابراهيم» فى أيام شبابه، و قطع علاقاته معه، و اتخذه عدوا هو غير الشخص الذى بقى يذكره، و يستغفر له الى اخريات حياته «۲».

(۲)

إبراهيم محطّم الأصنام:

لقد حلّ موسم العيد، و خرج أهل بابل المغفّلين الجهلة إلى الصحراء للاستجمام، و لقضاء فترة العيد، و إجراء مراسيمه، و قد أخلوا المدينة.

---

(۱) إبراهيم: ۴۱.

(۲) مجمع البيان: ج ۳ ص ۳۲۱، و الميزان: ج ۷ ص ۱۷۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۴

و لقد كانت سوابق «إبراهيم»، و تحامله على الأصنام، و استهزاؤه بها قد أوحدت قلقا و شكا لدى أهل بابل، و لهذا طلبوا منه- و هم الذين يساورهم القلق من موقفه تجاه اصنامهم- الخروج معهم إلى الصحراء، و المشاركة فى تلك المراسيم، و لكن اقتراحهم هذا بل إصرارهم واجه رفض إبراهيم الذى رد على طلبهم بحجة المرض اذ قال: «إنّى سقيم» و هكذا لم يشترك فى عيدهم، و خروجهم و بقى فى المدينة.

(۱) حقا لقد كان ذلك اليوم يوم ابتهاج و فرح للموحد و المشرك، و أمّا للمشركين فقد كان عيدا قديما عريقا يخرجون للاحتفال به، و اقامة مراسيمه و تجديد ما كان عليه الآباء و الاسلاف الى الصحراء حيث السفوح الخضراء و المزارع الجميلة.

و كان عيدا لإبراهيم بطل التوحيد كذلك، عيدا لم يسبق له مثيل، عيدا طال انتظاره، و افرح حضوره و حلوله، فها هو إبراهيم يجد المدينة فارغة من الاغيار، و الفرصة مناسبة للانقضاض على مظاهر الشرك و الوثنية، و حدث هذا فعلا.

فعند ما خرج آخر فريق من اهل بابل من المدينة، اغتنم «إبراهيم» تلك الفرصة و دخل و هو ممتلئ ايمانا و يقينا باللّه فى معبدهم حيث الأصنام و الأوثان المنحوتة الخاوية، و أمامها الأطعمة الكثيرة التى احضرها الوثنيون هناك بقصد التبرك بها، و قد لفتت هذه الأطعمة نظر «الخليل» عليه السّلام، فأخذ بيده منها كسرة خبز، و قدمها مستهزء الى تلك الاصنام قائلا: لما ذا لا تأكلون من هذه

الاطعمة؟

(۲) و من المعلوم أن معبودات المشرکین الجوفاء هذه لم تکن قادرة علی فعل ای شیء أو حرکة مطلقا فکیف بالاکل.

لقد کان یخیم علی جوّ ذلک المعبد الکبیر سحابة من الصمت القاتل و لکنه سرعان ما اخترقته اصوات المعول الذی اخذ «إبراهیم» یهوی به علی رءوس تلک التماثیل الجامدة الواقفة بلا حراک، و ایدیها.

لقد حطم «الخلیل» علیه السّلام جمیع الاصنام و ترکها رکاما من الاعواد المهشمة، و المعدن المتحطم، و اذا بتلک الاصنام المنصوبة فی اطراف ذلک الهیکل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۵

قد تحولت الی تلة فی وسط المعبد.

غیر ان «ابراهیم» ترک الصنم الأکبر من دون ان یمسه بسوء، و وضع المعول علی عاتقه، و هو یرید بذلک ان یظهر للقوم بأن محطم تلک الأصنام هو ذلک الصنم الکبیر، إلّا أن هدفه الحقیقی من وراء ذلک کان امرا آخرا سنبینه فی ما بعد.

(۱) لقد کان «إبراهیم» علیه السّلام یعلم بأنّ المشرکین بعد عودتهم من الصحراء، و من عیدهم سیزورون المعبد، و سوف یبحثون عن علة هذه الحادثة، و أنهم بالتالی سوف یرون ان وراء هذا الظاهر واقعا آخر، اذ لیس من المعقول ان یکون صاحب تلک الضربات القاضیة هو هذا الصنم الکبیر الذی لا یقدر أساسا علی فعل شیء علی الاطلاق.

و فی هذه الحالة سوف یستطیع «إبراهیم» علیه السّلام أن یستفید من هذه الفرصة فی عمله التبلیغی، و یستغل اعتراضهم بأن هذا الصنم الکبیر لا یقدر علی شیء أبدا، لتوجیه السؤال التالی إلیهم: اذن کیف تعبدونه؟!!

فمنذ أن اخذت الشمس تدنو الی المغیب و یقترب موعد غروبها، و تتقلص اشعتها و تنکمش من الرّوابی و السهول، أخذ الناس یؤوبون إلی المدینة أفواجا افواجا.

(۲) و عند ما آن موعد العبادة، و توجّهوا إلی حیث اصنامهم، واجهوا منظرا فضیعا و امرا عجیبا لم یکونوا لیتوقّعونه!!

لقد کان المشهد یحکی عن ذلة الآلهة و حقارتها، و هو أمر لفت نظر الجمیع شیبا و شبّانا، کبارا و صغارا.

و لقد کانت تلک اللحظة لحظة ثقیلة الوطأة علی الجمیع بلا استثناء.

فقد خیّم سکوت قاتل مصحوب بحنق و مضض علی فضاء ذلک المعبد المنکود الحظ.

إلا أن أحدهم خرق ذلک الصمت الرهیب و قال: من الذی ارتکب هذه الجریمة، و من فعل هذا بآلهتنا؟!

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۶

و لقد کانت آراء «إبراهیم» و مواقفه السلبیة السابقة ضد الاصنام و تحامله الصریح علیها تبعثهم علی الیقین بأن «إبراهیم» و لیس سواه هو الذی صنع ما صنع بآلهتهم و اصنامهم.

و لأجل ذلک تشکلت فورا محکمة یرأسها «نمرود» نفسه و أخذوا یحاکمون «ابراهیم» و أمه!!

(۱) و لم یکن لامه من ذنب إلا أنها أخفت ابنها، و لم تعلم السلطات بوجوده لیقضوا علیه، شأنه شأن غیره من المواليد الذین قضت تلک السلطة الظالمة علیهم حفاظا علی نفسها و کیانها.

و لقد أجابت أم إبراهیم علی هذا السؤال بقولها: أیها الملک فعلت هذا نظرا منی لرعیّتک، فقد رأیتک تقتل أولاد رعیّتک فکان یذهب النسل فقلت: إن کان هذا الذی یطلبه دفعته إلیه لیقتله و بکف عن قتل أولاد الناس، و إن لم یکن ذلک فبقی لنا ولدنا.

(۲) ثم جاء دور مساءلة إبراهیم علیه السّلام فسأله قائلا: «من فعل هذا بآلهتنا یا إبراهیم» فقال إبراهیم: «فعله کبیرهم هذا فاسألوهم إن کانوا ینطقون».

و قد کان «إبراهیم» علیه السّلام یهدف من هذه الاجابة اللامبالیة المصحوبة بالسخریة و الازدراء هدفا آخر، و هو ان «إبراهیم» علیه

السّلام كان على يقين بأنهم سيقولون فى معرض الاجابة على كلامه هذا: إنك تعلم يا إبراهيم ان هذه الأصنام لا تقدر على النطق، و فى هذه الصورة يستطيع «إبراهيم» أن يلفت نظر السلطات التى تحاكمه الى نقطة اساسية.

و قد حدث فعلا ما كان يتوقعه «إبراهيم» عليه السّلام لما قالوا له و قد نكسوا على رءوسهم: «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» فقال إبراهيم ردا على كلامهم هذا الذى كان يعكس حقارة تلك الاصنام و الأوثان و تفاهة شأنها: «أ فتعبدون من دون اللّه ما لا ينفعكم و لا يضرّكم افّ لكم و لما تعبدون من دون اللّه أ فلا تعقلون».

(۳) إلّا أنّ تلك الزمرة المعاندة التى ران على قلوبها الجهل و التقليد الأعمى لم

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۷

يجدوا جوابا لإبراهيم الذى أفحمهم بمنطقه الرصين الّا أن يحكموا باعدامه حرقا، فأوقدوا نارا كبيرة و ألقوا بإبراهيم عليه السّلام فيها إلّا أن العناية الالهية شملت إبراهيم الخليل عليه السّلام، و حفظته من اذى تلك النار، و حولت ذلك الجحيم الذى اوجده البشر، الى جنينة خضراء نضرة اذ قال: «يا نار كونى بردا و سلاما على إبراهيم» «۱».

(۱)

العبر القيامة فى هذه القصة:

مع ان اليهود يعتبرون أنفسهم فى مقدمة الموحّدين، لم ترد هذه القصة فى توراتهم الحاضرة رغم كونها معروفة بينهم، بل تفرّد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بذكرها لأهميتها.

من هنا فإننا نذكر بعض النقاط المفيدة، و الدروس المهمة فى هذه القصة التى يهدف القرآن من ذكرها و ذكر امثالها من قصص الأنبياء و الرسل.

---

(۱) و قد ذكر تفاصيل هذه القصة فى الآيات ۵۱ الى ۷۰ من سورة الأنبياء و ها نحن ندرج كل هذه الآيات هنا:

«وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ. إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ. قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ. قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.

قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ. قالُوا:

فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ. قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ. قالَ: أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ. قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ. قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ. وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ».

و للوقوف على تفاصيل و خصوصيات ولادة إبراهيم عليه السّلام و تحطيمه للأصنام راجع كتاب الكامل لابن الأثير: ج ۱ ص ۵۳- ۶۲، و بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۴- ۵۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۸

(۱) ۱- إن هذه القصة خير شاهد على شجاعة «إبراهيم الخليل» عليه السّلام و بطولته الفائقة.

فعزم ابراهیم علی تحطیم الاصنام، و محق و هدم کل مظاهر الشرک و الوثنیة المقیتة لم یکن امرا خافیا علی النمرودیین لانه علیه السّلام کان قد أظهر شجبه لها، و اعلن عن استنکاره لعبادتها و تقدیسها من خلال کلماته القادحة فیها، و استهزائه بها، فقد کان علیه السّلام یقول لهم بکل صراحة بانه سیتخذ من تلک الاصنام موقفا ما اذا لم یترکوا عبادتها و تقدیسها، فقد قال لهم یوم ارادوا ان یخرجوا الی الصحراء لمراسیم العید: «وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِینَ» «۱».

و لقد کان موقف الخلیل علیه السّلام ینم عن شجاعة کبری فقد قال الإمام الصادق علیه السّلام فی هذا الصدد:

«و منها (ای و ممّا تحلّی به النبیّ ابراهیم) الشجاعة و قد کشفت (قضیة) الاصنام عنه، و مقاومة الرجل الواحد الوفا من أعداء اللّه عزّ و جلّ تمام الشجاعة» «۲».

(۲) ۲- ان ضربات «إبراهیم» القاضیة و ان کانت فی ظاهرها حربا مسلحة، و عنیفة ضد الاصنام إلا أن حقیقة هذه النهضة- کما یستفاد من ردود «إبراهیم» علی أسئلة الذین حاکموه، و استجوبوه- کانت ذات صبغة تبلیغیة دعائیة.

فان «إبراهیم» لم یجد وسیلة لإیقاظ عقول قومه الغافیة، و تنبیه فطرهم الغافلة، إلا تحطیم جمیع الاصنام، و ترک کبیرها و قد علق القدوم علی عاتقه لیدفع بقومه إلی التفکیر فی القضیة من اساسها و حیث أن العمل لم یکن اکثر من مسرحیة إذ لا یمکن أن یصدق أحدهم بأن تلک الضربات القاضیة کانت من صنع ذلک الصنم الکبیر و فعله حینئذ یستطیع إبراهیم أن یستثمر فعله هذا فی دعوته، و یقول انّ هذا الصنم الکبیر لا یقدر- و باعترافکم- علی فعل أیّ شیء

---

(۱) الأنبیاء: ۵۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۶۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۹

مهما کان صغیرا و حقیرا فکیف تعبدونه اذن؟!

(۱) و لقد استفاد «إبراهیم» من هذه العملیة فعلا، و توصل الی النتیجة التی کان یتوخاها، فقد ثابوا الی نفوسهم بعد ان سمعوا کلمات «إبراهیم» علیه السّلام، و استیقظت ضمائرهم و عقولهم و وصفوا انفسهم بالظلم بعد أن تبیّن لهم الحق و بطل ما کانوا یعبدون اذ قال تعالی: «فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» «۱» و هذا بنفسه یفید بأن سلاح الأنبیاء القاطع فی بدء عملهم الرسالی کان هو: سلاح المنطق و الاستدلال لیس إلا، غایة الأمر أن هذا کان یؤدی فی کل دورة بما یناسبها من الوسائل، و إلّا فما قیمة تحطیم عدد من الأصنام الخشبیة بالقیاس إلی مخاطرة النبیّ «ابراهیم الخلیل» بنفسه و حیاته، و بالقیاس الی الاخطار التی کانت تتوجه إلیه نتیجة هذا العمل الصارخ.

إذن فلا بد ان یکون وراء هذه العملیة الخطیرة هدف کبیر و خدمة عظمی تستحق المخاطرة بالنفس، و یستحق المرء امتداح العقل له اذا عرّض حیاته للخطر فی سبیلها.

(۲) ۳- لقد کان إبراهیم یعلم جیدا بأن هذا العمل سیؤدی بحیاته، و سیکون فیه حتفه، فکانت القاعدة تقتضی أن یسیطر علیه قلق و اضطراب شدیدان، فیتواری عن اعین الناس، أو یترک المزاح، و السخریة بالأصنام علی الأقل، و لکنه کان علی العکس من ذلک رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت القدم، فهو عند ما دخل فی المعبد الذی کانت فیه الأصنام تقدم بقطعة من الخبز الی الاصنام و دعاها ساخرا بها، الی الاکل، و ثم ترک الأصنام بعد الیأس منها تلّا من الخشب المهشم، و اعتبر هذا الأمر مسألة عادیة لا تستأهل الوجل و الخوف، و کأنه لم یفعل ما یستتبع الموت المحقّق و یستوجب الاعدام المحتّم.

فهو عند ما یأخذ مکانه امام هیئة القضاة یقول معرضا بالاصنام: فعله کبیر الأصنام فاسئلوه و لا شک أن هذا التعریض و السخریة بالاصنام إنما هو موقف من

(۱) الأنبیاء: ۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۰

لا ـ یوجس خیفة، و لا ـ یشعر بوجل من عمله، بل هو فعل من قد هیّأ نفسه لکل الاخطار المحتملة، و استعد لکل النتائج مهما کانت خطیرة.

(۱) بل الأعجب من هذا کله دراسة وضع «إبراهیم» نفسه حینما کان فی المنجنیق و قد تیقّن أنه سیکون وسط ألسنة اللهب بعد هنیئة، و تلتهمه النار المستعرة تلک النار التی جمع اهل «بابل» لها الحطب الکثیر تقربا الی آلهتهم، و کانوا یعتبرون ذلک العمل واجبا مقدسا ... تلک النار التی کان لهیبها من القوة بحیث ما کانت الطیور تستطیع من التحلیق علی مقربة منها.

فی هذه اللحظة الخطیرة الحساسة جاءه جبرئیل و اعلن عن استعداده لانقاذه و تخلیصه من تلک المهلکة الرهیبة قائلا له: هل لک إلیّ من حاجة؟

فقال «إبراهیم»: أما إلیک فلا، و أما إلی ربّ العالمین فنعم «۱».

ان هذا الجواب یجسّد ایمان «إبراهیم» العظیم، و روحه الکبری.

(۲) لقد کان «نمرود» الذی جلس یراقب تلک النار من عدة فراسخ، ینتظر بفارغ الصبر لحظة الانتقام، و کان یحب ان یری کیف تلتهم ألسنة النار «إبراهیم». فما أرهب تلک اللحظات!

لقد اشتغل المنجنیق، و بهزّة واحدة القی بإبراهیم علیه السّلام فی وسط النار غیر أن مشیئة اللّه، و ارادته النافذة تدخلت فورا لتخلص خلیل اللّه و نبیه العظیم، فحوّلت تلک النّار المحرقة التی أو قدتها ید البشر الی روضة خضراء و جنینة زاهرة ادهشت الجمیع حتی أنّ «إبراهیم» التفت إلی «آزر» و قال- من دون ارادته-:

«یا آزر ما اکرم إبراهیم علی ربّه» «۲».

(۳) إن انقلاب تلک النّار الهائلة الی روضة خضراء لإبراهیم قد تمّ بأمر اللّه المسبب للأسباب و المعطل لها متی شاء، المعطی لها آثارها، و السالب عنها ذلک، متی اراد.

(۱) عیون أخبار الرضا: ص ۱۳۶، و أمالی الصدوق: ص ۲۷۴، و بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۳۵.

(۲) تفسیر البرهان: ج ۳ ص ۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۱

اجل إن اللّه الذی منح الحرارة للنّار و الاضاءة للقمر، و الاشعاع للشمس لقادر علی سلب هذه الآثار و انتزاعها من تلک الاشیاء و تجریدها، و لهذا صحّ وصفه بمسبب الاسباب، و معطلها.

غیر ان جمیع هذه الحوادث الخارقة و الآیات الباهرة لم تستطع ان توفر لإبراهیم الحریة الکاملة فی الدعوة و التبلیغ، فقد قررت السلطة الحاکمة و بعد مشاورات و مداولات إبعاد «إبراهیم» و نفیه، و قد فتح هذا الأمر صفحة جدیدة فی حیاة ذلک النبیّ العظیم، و تهیأت بذلک اسباب رحلته الی بلاد الشام و فلسطین و مصر و ارض الحجاز.

(۱)

هجرة الخلیل علیه السّلام:

لقد حكمت محكمة «بابل» على «إبراهيم» بالنفى و الإبعاد من وطنه، و لهذا اضطرّ عليه السّلام ان يغادر مسقط رأسه، و يتوجه صوب فلسطين و مصر، و هناك واجه استقبال العمالقة الذين كانوا يحكمون تلك. البقاع و ترحيبهم الحار به و نعم بهداياهم التى كان من جملتها جارية تدعى «هاجر».

و كانت زوجته «سارة» لم ترزق بولد الى ذلك الحين، فحركت هذه الحادثة عواطفها و مشاعرها تجاه زوجها الكريم إبراهيم و لذلك حثته على نكاح تلك الجارية عله يرزق منها بولد، تقرّبه عينه و تزدهر به حياته.

فكان ذلك، و ولدت «هاجر» لإبراهيم ولدا ذكرا سمى باسماعيل، و لم يمض شىء من الزمان حتى حبلت سارة هى أيضا و ولدت- بفضل اللّه و لطفه- ولدا سمى باسحاق «۱».

(۲) و بعد مدة من الزمان أمر اللّه تعالى «إبراهيم» بان يذهب بإسماعيل و أمه «هاجر» إلى جنوب الشام (أى ارض مكة) و يسكنهما هناك فى واد غير معروف الى ذلك الحين ... واد لم يسكنه أحد بل كانت تنزل فيه القوافل التجارية

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۸ و ۱۱۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۲

الذاهبة من الشام الى اليمن، و العائدة منها الى الشام، بعض الوقت ثم ترحل سريعا، و أما فى بقية أوقات السنة فكانت كغيرها من أراضى الحجاز صحراء شديدة الحرارة، خالية عن أى ساكن مقيم.

(۱) لقد كانت الاقامة فى مثل تلك الصحراء الموحشة عملية لا- تطاق بالنسبة لامرأة عاشت فى ديار العمالقة و ألفت حياتهم و حضارتهم، و ترفهم و بذخهم.

فالحرارة اللاهبة و الرياح الحارقة فى تلك الصحراء كانت تجسّد شبح الموت الرهيب امام ابصار المقيمين.

و إبراهيم نفسه قد انتابته كذلك حالة من التفكير و الدهشة لهذا الأمر، و لهذا فإنّه فيما كان عازما على ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ذلك الواد قال لزوجته «هاجر» و عيناه تدمعان: «إن الذى أمرنى أن اضعكم فى هذا المكان هو الذى يكفيكم».

ثمّ قال فى ضراعة خاصة: «رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» «۱».

و عند ما انحدر من ذلك الجانب من الجبل التفت إليهما و قال داعيا: «رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۲».

إن هذا السفرة و الهجرة و إن كانت فى ظاهرها امرا صعبا، و عملية لا تطاق، إلا أن نتائجها الكبرى التى ظهرت فى ما بعد أوضحت و بيّنت أهميّة هذا العمل، لأنّ بناء الكعبة، و تأسيس تلك القاعدة العظمى لأهل التوحيد، و رفع راية التوحيد فى تلك الربوع، و خلق نواة نهضة، عميقة، دينية، انبثقت على يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و شعّت من تلك الديار إلى أنحاء العالم، كل ذلك كان من ثمار تلك الهجرة.

---

(۱) البقرة: ۱۲۶

(۲) إبراهيم: ۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۳

(۱)

عين زمزم كيف ظهرت؟

لقد غادر «إبراهيم» عليه السّلام أرض مكة تاركا زوجته و ولده «إسماعيل» بعيون دامعة، و قلب يملئوه الرضا بقضاء اللّه و الامل بلطفه و عنايته.

فلم تمض مدة إلا و نفد ما ترك عندهما من طعام و شراب، و جف اللبن فى ثديى «هاجر»، و تدهورت أحوال الرضيع «إسماعيل»، و كانت دموع الام الحزينة تنحدر على حجره، و هى تشاهد حال وليدها الذى قد أخذ العطش و الجوع منه مأخذا.

فانطلقت من مكانها فجأة تبحث عن الماء حتى وصلت إلى جبل «الصفا» فرأت من بعيد منظر ماء عند جبل «مروة»، فاسرعت إليه مهرولة، غيران الذى رأته و ظنته ماء لم يكن الّا السراب الخادع، فزادها ذلك جزعا و حزنا على وليدها ممّا جعلها تكرر الذهاب و الاياب الى الصفا و المروة أملا فى أن تجد الماء و لكن بعد هذا السعى المتكرر، و الذهاب و الاياب المتعدد بين الصفا و المروة عادت الى وليدها قانطة يائسة.

(۲) كانت أنفاس الرضيع الظامئ و دقّات قلبه الصغير قد تباطأت بل و اشرفت على النهاية، و لم يعد ذلك الرضيع الظامئ قادرا على البكاء و لا حتى على الانين.

و لكن فى مثل هذه اللحظة الحرجة الصعبة استجاب اللّه دعاء خليله و حبيبه «إبراهيم»، اذ لاحظت هاجر الماء الزلال و هو ينبع من تحت اقدام «اسماعيل».

فسرت تلك الام المضطربة- التى كانت تلاحظ وليدها و هو يقضى اللحظات الاخيرة من حياته، و كانت على يقين بانه سرعان ما يموت عطشا، و جهدا- سرورا عظيما بمنظر الماء، و برق فى عينيها بريق الحياة، بعد ان اظلمت الدنيا فى عينيها قبل دقائق، فشربت من ذلك الماء العذب، و سقت منه رضيعها الظامئ، و تقشعت بلطف اللّه و عنايته و بما بعثه من نسيم الرحمة الربانية كل غيوم اليأس، و سحب القنوط التى تلبدت و خيمت على حياتها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۴

(۱) و لقد ادى ظهور هذه العين التى تدعى بزمزم فى ان تتجمع الطيور فى تلك المنطقة و تحلق فوق تلك البقعة التى لم يعهد أن حلّقت عليها الطيور، و ارتادتها الحمائم، و هذا هو ما دفع بجرهم و هى قبيلة كانت تقطن فى منطقة بعيدة عن هذه البقعة ان تتنبه إلى ظهور ماء فيها لما رأت تساقط الطيور و تحليقها، فأرسلت واردين ليتقصيا لها الخبر و يعرفا حقيقة الأمر، و بعد بحث طويل و كثير، انتهيا الى حيث حلت الرحمة الالهية، و عند ما اقتربا إلى «هاجر» و شاهدا بام عينيهما «امرأة» و «طفلا» عند عين من الماء الزلال الذى لم يعهداه من قبل عادا من فورهما من حيث أتيا، و أخبرا كبار القبيلة بما شاهداه، فاخذت الجماعة تلو الجماعة من تلك القبيلة الكبيرة قد إلى البقعة المباركة، و تخيم عند تلك العين لتطرد عن «هاجر» و ولدها مرارة الغربة، و وحشة الوحدة، و قد سبب نمو ذلك الوليد المبارك و رشده فى رحاب تلك القبيلة فى ان يتزوج إسماعيل هذا من تلك القبيلة، و يصاهرهم، و بذلك يحظى بحمايتهم له، و ينعم بدفاعهم و رعايتهم و محبتهم له.

فانه لم يمض زمان حتى أختار «إسماعيل» زوجة من هذه القبيلة، و لهذا ينتمى ابناء «إسماعيل» الى هذه القبيلة من جهة الام.

(۲)

تجديد اللقاء:

كان إبراهيم عليه السّلام بعد أن ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ارض «مكة» بأمر اللّه، يتردد على ولده بين فينة و اخرى.

و فى احدى سفراته و لعلّها السفرة الاولى دخل «مكة» فلم يجد ولده «إسماعيل» فى بيته، و كان ولده الذى أصبح رجلا قويا، قد تزوج

بامرأة من جرهم.

فسأل «إبراهیم» زوجته قائلاـ این زوجک؟ فقالت: خرج یتصیّد، فقال لها: هل عندک ضیافة؟ قالت: لیس عندی شیء و ما عندی أحد، فقال لها إبراهیم: «اذا جاء زوجک فأقرئیه السلام و قولی له: فلیغیّر عتبة بابه».

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۵

و ذهب إبراهیم علیه السّلام منزعجا من معاملة زوجة ابنه «إسماعیل» له و قد قال لها ما قال.

(۱) و لمّا جاء إسماعیل علیه السّلام وجد ریح ابیه فقال لامرأته: هل جاءک احد؟ قالت: جاءنی شیخ صفته کذا و کذا کالمستخفّة بشأنه، قال: فما ذا قال لک: قالت: قال لی أقرئی زوجک السلام و قولی له: فلیغیّر عتبة بابه!!

فطلقها و تزوج اخری، لأن مثل هذه المرأة لا تصلح ان تکون زوجة و شریکة حیاة «۱»

و قد یتساءل أحد: لما ذا لم یمکث إبراهیم علیه السّلام هناک قلیلا لیری ولده إسماعیل بعد عودته من الصید، و قد قطع تلک المسافة الطویلة، و کیف سمح لنفسه بان یعود بعد تلک الرحلة الشاقة من دون ان یحظی برؤیة ابنه العزیز؟!

یجیب ارباب التاریخ علی ذلک بان إبراهیم انما استعجل فی العودة من حیث اتی لوعد اعطاه لزوجته سارة بأن یعود إلیها سریعا، ففعل ذلک حتی لا یخلف. و هذا من اخلاق الأنبیاء.

ثمّ إن «إبراهیم» سافر مرة اخری إلی أرض مکة بأمر اللّه، و لیا بنی الکعبة التی تهدمت فی طوفان «نوح»، لیوجّه قلوب المؤمنین الموحدین إلی تلک النقطة.

(۲) إن القرآن الکریم یشهد بأن أرض «مکة» قد تحولت إلی مدینة بعد بناء الکعبة قبیل وفاة إبراهیم علیه السّلام، لأن إبراهیم دعا بعید فراغه من بناء الکعبة قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «۲» علی حین دعا عند نزوله مع زوجته، و ابنه إسماعیل فی تلک الأرض قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً» «۳».

و هذا یکشف عن ان مکة تحولت الی مدینة عامرة فی حیاة الخلیل

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۲ نقلا عن قصص الأنبیاء.

(۲) إبراهیم: ۳۵.

(۳) البقرة: ۱۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۶

علیه السّلام، بعد ان کانت صحراء قاحلة، و واد غیر ذی زرع.

(۱) و لقد کان من المستحسن استکمالا لهذا البحث أن نشرح هنا کیفیة بناء الکعبة المعظمة، و نستعرض التاریخ الاجمالی لذلک، بید أننا لکی لا نقصر عن الهدف المرسوم لهذا الکتاب اعرضنا عن ذلک و عمدنا إلی ذکر بعض التفاصیل عن أبرز و اشهر أجداد رسول اللّه، صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فی التاریخ.

(۲)

۲- قصیّ بن کلاب:

إن أسلاف الرّسول العظیم صلّی اللّه علیه و آله هم علی التوالی: عبد اللّه، عبد المطّلب، هاشم، عبد مناف، قصیّ، کلاب، مرّة، کعب،

لؤیّ، غالب، فهر، مالک، النضر، کنانة، خزیمة، مدرکة، إلیاس، مضر، نزار، معدّ، عدنان «۱».

من المسلّم أنّ نسب النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله إلی عدنان هو ما ذکر، فلا خلاف فیه، إنما وقع الخلاف فی عدد، و اسماء من هم بعد عدنان إلی إسماعیل علیه السّلام، و لذلک لم یجز التجاوز عنه لحدیث رواه ابن عباس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اذ قال: «إذا بلغ نسبی إلی عدنان فأمسکوا» «۲» هذا مضافا إلی أن النبیّ نفسه کان اذا عدّد أجداده فبلغ إلی عدنان أمسک، و نهی عن ذکر من بعده الی إسماعیل، و قد روی عنه صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: کذب النسّابون.

و لهذا فإننا نکتفی بذکر من اتفق علیه، و نعمد الی الحدیث عن حیاة کل واحد منهم.

(۳) و لقد کان کل من ذکرنا أسماءهم هنا معروفین، و مشهورین فی تاریخ

---

(۱) التاریخ الکامل: ج ۲ ص ۲- ۲۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۱۰۵ عن مناقب ابن شهرآشوب، و کشف الغمّة: ج ۱ ص ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۷

العرب، بید أن حیاة طائفة منهم ترتبط بتاریخ الإسلام، و لهذا فاننا نقف عند حیاة «قصیّ» و من لحقه إلی والد النبیّ «عبد اللّه» و نعرض عن ذکر حیاة غیرهم من أجداده و أسلافه صلّی اللّه علیه و آله ممّن لا علاقة له بهذه الدراسة «۱».

(۱) أمّا «قصیّ» و هو الجدّ الرابع لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فامّه «فاطمة» التی تزوجت برجل من بنی کلاب و رزقت منه بولدین هما: «زهرة» و «قصی» إلّا أن زوج فاطمة قد توفی، و هذا الاخیر لم یزل فی المهد، فتزوجت بزوج آخر یدعی ربیعة، و سافرت معه الی الشام، و بقی «قصیّ» یحظی برعایة أبویة من ربیعة حتی وقع خلاف بین قصیّ و قوم ربیعة، و اشتد ذلک الخلاف حتی انتهی إلی طرده من قبیلتهم، ممّا أحزن ذلک امّه، و اضطرت الی إرجاعه الی «مکة».

و هکذا اتت به ید القدر إلی «مکة»، و سبّبت قابلیاته الکامنة التی برزت فی تلک المدینة فی تفوقه علی أهل مکة و بخاصة قریش.

و سرعان ما احتلّ قصیّ هذه المقامات العالیة، و شغل المناصب الرفیعة، مثل حکومة «مکة» و زعامة قریش، و سدانة الکعبة المعظمة، و صار رئیس تلک الدیار دون منازع.

و لقد ترک (قصیّ) من بعده آثارا کثیرة و عدیدة منها تشجیع الناس علی بناء المساکن و البیوت حول الکعبة المعظمة، و تأسیس مکان للشوری لیجتمع فیه رؤساء القبائل العربیة من اجل التداول فی الامور و حل المشاکل یدعی بدار الندوة.

و قد توفی «قصیّ» فی القرن الخامس المیلادی و خلف من بعده ولدین هما:

«عبد الدار» و «عبد مناف».

(۲)

۳- عبد مناف:

و هو الجدّ الثالث لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اسمه «المغیرة» و لقبه

---

(۱) لقد بحث ابن الأثیر فی الکامل حول حیاتهم فراجع: ج ۲ ص ۱۵- ۲۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۴۸

«قمر البطحاء»، و کان أصغر من اخیه «عبد الدار» إلا أنه کان یحظی بمکانة خاصة عند الناس دون أخیه، و کان شعاره التقوی، و دعوة الناس الی حسن السیرة و صلة الرحم، بید انه مع ما کان له من المکانة القویة لم ینافس اخاه «عبد الدار» فی المناصب العالیة التی کان

یشغلها.

فقد کانت الزعامة لاخیه عبد الدار حسب وصیّة أبیهما «قصیّ».

و لکن بعد وفاة هذین الأخوین وقع الخصام و التنازع بین أبنائهما علی المناصب، و انتهی ذلک بالصراع الطویل إلی اقتسام المناصب و المقامات، و تقرر ان یتولی ابناء عبد الدار سدانة الکعبة، و زعامة دار الندوة، و یتولی ابناء عبد مناف سقایة الحجیج و ضیافتهم و وفادتهم.

و قد بقی هذا التقسیم المتفق علیه ساری المفعول الی زمن ظهور الإسلام «۱».

(۱)

۴- هاشم:

اشارة

و هو الجدّ الثانی لنبی الإسلام و اسمه «عمرو» و لقبه «العلاء» و هو الذی ولد مع «عبد شمس» توأمین، و أخواه الآخران هما: «المطلب» و «نوفل».

هذا و ثمة خلاف بین أرباب السیر و کتاب التاریخ فی: أن هاشما و عبد شمس کانا توأمین، و أن هاشما ولد و اصبع واحدة من اصابع قدمه ملصقة بجبهة «عبد شمس» و قد نزعت بسیلان دم، فتشاءم الناس لذلک «۲» یقول الحلبی فی سیرته: فکانوا یقولون: سیکون بینهما دم فکان بین ولدیهما ای بین بنی العباس

---

(۱) لم تکن هناک مناصب للکعبة یوم اسّست و رفع قواعدها بل حدث کل ذلک تدریجا بحکم المقتضیات و التطوّرات، و کانت هذه المناصب التی استمرت الی زمن ظهور الإسلام عبارة عن:

۱- سدانة الکعبة.

۲- سقایة الحجیج.

۳- رفادتهم و ضیافتهم.

۴- زعامة المکیین و قیادة جیشهم. و لم یکن هذا الأخیر منصبا ذا صبغة دینیة.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۳.

(و هم من أولاد هاشم) و بین بنی أمیّة (و هم من أولاد عبد شمس) «۱».

(۱) و کأنّ کاتب السیرة قد تجاهل الحوادث المحزنة و المؤسفة التی وقعت بین بنی أمیّة و ابناء علی علیه السّلام فی حین أن تلک الحوادث الدامیة التی تسببها بنو أمیّة و اهرقت فیها دماء ذریة رسول اللّه و عترته الطاهرة، اقوی شاهد علی تلک العداوة بین هاتین الطائفتین، و لکننا لا ندری لما ذا تجاهل ذکرها مؤلف السیرة الحلبیة و لم یشر إلیها مطلقا؟!

ثم ان من خصوصیات أبناء «عبد مناف» حسبما یستفاد من الأدب الجاهلی، و ما جاء فیه من أشعار، أنهم توفوا فی مناطق مختلفة.

فهاشم- مثلا- توفی فی «غزة» و عبد شمس مات فی مکة، و نوفل فی ارض العراق، و المطلب فی ارض الیمن «۲».

(۲) و کان من سجایا هاشم و اخلاقه الفاضلة أنه کان کلّما هلّ هلال شهر ذی الحجة قام صبیحته، و أسند ظهره الی الکعبة المشرفة، و

خطب قائلا:

«یا معشر قریش إنکم سادة العرب و أحسنها وجوها، و أعظمها احلاما (ای عقولا) و أوسط العرب (أی أشرفها) أنسابا، و أقرب العرب بالعرب أرحاما.

یا معشر قریش إنکم جیران بیت اللّه تعالی اکرمکم اللّه تعالی بولایته، و خصکم بجواره، دون بنی إسماعیل، و انه یاتیکم زوّار اللّه یعظمون بیته فهم أضیافه و أحق من اکرم أضیاف اللّه انتم، فاکرموا ضیفه و زوّاره، فانهم یأتون شعثا غبرا من کل بلد علی ضوامر کالقداح، فاکرموا ضیفه و زوّار بیته، فو ربّ هذه البنیة لو کان لی مال یحتمل ذلک لکفیتکموه، و أنا مخرج من طیب مالی و حلاله ما لم یقطع فیه رحم، و لم یؤخذ بظلم، و لم یدخل فیه حرام، فمن شاء منکم ان یفعل مثل ذلک فعل، و أسألکم بحرمة هذا البیت أن لا یخرج رجل منکم من ماله لکرامة زوّار بیت اللّه و تقویتهم إلا طیبا لم یؤخذ ظلما، و لم یقطع فیه رحم، و لم یؤخذ غصبا» «۳».

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵.

(۳) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۰

(۱) و لقد کانت زعامة «هاشم» و قیادته نافعة للمکیین من جمیع النواحی، و کان لها تأثیر کبیر فی تحسین أوضاعهم.

و لقد سبّب کرمه و ما قام به من إطعام واسع فی سنوات الجدب القاسیة فی تخفیف شدة الوطأة عن أهل مکة، و بالتالی ادی الی عدم احساسهم بالقحط، و آثار الجدب.

کما أنّ من خطواته البارزة و اعماله النافعة جدا لتحسین الحالة التجاریة للمکیین هو ما عقده مع أمیر «غسان» من المعاهدة، الأمر الذی دفع بأخیه «عبد شمس» إلی أن یعاهد أمیر الحبشة، و بأخویه الآخرین «المطلب» و «نوفل» الی ان یعاهدا أمیر الیمن و ملک ایران تکون القوافل التجاریة بموجب تلک المعاهدات للجانبین فی أمان، من العدوان و التعرض.

و قد أزالت هذه المعاهدات الکثیر من المشاکل، و کانت وراء ازدهار التجارة فی «مکة المکرمة» حتی عهد بزوغ شمس الإسلام.

ثم ان من أعمال «هاشم» و خطواته النافعة تأسیسه لرحلتی قریش اللتین یتحدث عنهما القرآن الکریم اذ یقول: «رحلة الشتاء و الصیف» و هما رحلة إلی الشام، و کانت فی الصیف، و رحلة الی الیمن، و کانت فی الشتاء، و قد استمرت هذه السیرة حتی ما بعد ظهور الإسلام أیضا.

(۲)

امیّة بن عبد شمس یحسد هاشما:

و لقد حسد «أمیّة بن عبد شمس» أبن أخی هاشم عمّه «هاشما» علی ما حظی به من المکانة و العظمة، و النفوذ الی قلوب الناس و جذبها نحوه بسبب خدماته و أیادیه، و ما کان یقوم به من بذل و انفاق، و حاول جاهدا ان یقلده و یتشبه بهاشم فی سلوکه و لکنه رغم کل ما قام به من جهود و محاولات لم یستطع أن یتشبه به و یتخذ سیرته، و کما لم یستطع بایقاعه و طعنه به ان یقلل من شأنه بل زاده رفعة و عظمة.

لقد کان لهیب الحسد فی قلب «أمیّة» یزداد اشتعالا یوما بعد یوم، حتی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۱

دفع به الی ان یدعو عمّه «هاشما» للذهاب إلی کاهن من کهنة العرب للمنافرة عنده فتکون الرئاسة و الزعامة لمن یمدحه ذلک الکاهن، و کانت عظمة «هاشم» و سموّ مقامه تمنع من منافرة ابن اخیه (امیّة) إلّا أنه رضی بالمنافرة هذه تحت اصرار (امیّة) بشرطین:

۱- أن یعطی المغلوب خمسین من النیاق سود الحدق تنحر بمکة.

۲- جلاء المغلوب عن مکة عشر سنین.

(۱) و من حسن الحظّ أن ذلک الکاهن نطق بمدح «هاشم» بمجرد أن وقعت عیناه علیه فقال: «و القمر الباهر، و الکوکب الزاهر، و الغمام الماطر ... لقد سبق هاشم امیّة إلی الماثر» الی آخر کلامه. و هکذا قضی لهاشم بالغلبة فأخذ الابل فنحرها و أطعمها و اضطر أمیة الی الجلاء عن مکة و العیش بالشام عشر سنین «۱».

و قد استمرت آثار هذا الحسد التاریخی إلی ۱۳۰ عاما بعد ظهور الإسلام، و تسببت فی جرائم و فجائع کبری عدیمة النظیر فی التاریخ.

ثم ان القصة السابقة مضافا الی انها تبین مبدأ العداوة بین الأمویین و الهاشمیین تبیّن أیضا علل نفوذ الامویین فی البیئة الشامیة، و یتبین أن علاقات الأمویین العریقة بأهل هذه المنطقة هی التی مهّدت لقیام الحکومة الأمویة فی تلک الدیار.

(۲)

هاشم یتزوّج ...

کانت «سلمی» بنت «عمرو الخزرجی» امرأة شریفة فی قومها، قد فارقت زوجها بطلاق، و کانت لا ترضی بالزواج من أحد، ولدی عودة «هاشم» من بعض أسفاره نزل فی یثرب أیاما فخطبها إلی والدها، فرغبت سلمی فیه لشرفه فی قریش، و لنبله و کرمه، و رضیت بالزواج منه بشرطین: أحدهما أن لا تلد ولدها

---

(۱) الکامل لابن الاثیر: ج ۲ ص ۱۰، و السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۲

إلّا فی اهلها، و حسب هذا الاتفاق بقیت «سلمی» مع زوجها «هاشم» فی مکة بعض الوقت حتی اذا ظهر علیها آثار الحمل رجعت الی: «یثرب» و هناک وضعت ولدا اسموه «شیبة». و قد اشتهر فی ما بعد به «عبد المطلب».

(۱) و کتب المؤرخون فی علة تسمیته بهذا الاسم بأن هاشما لما أحسّ بقرب انصرام حیاته قال لاخیه «المطلب»: یا أخی أدرک عبدک شیبة و لذلک سمّی شیبة بن هاشم: «عبد المطلب».

و قیل أن أحد المکیین مرّ علی غلمان یلعبون فی زقاق من ازقة یثرب، و ینتضلون بالسهام، و لما سبق أحدهم الآخرین فی الرمی قال مفتخرا: «أنا ابن سیّد البطحاء» فسأله الرجل عن نسبه و ابیه فقال: أنا شیبة بن هاشم بن عبد مناف، فلما قدم الرجل مکة اخبر «المطلب» أخی «هاشم» بما سمعه و رآه، فاشتاق «المطلب» الی ابن أخیه فذهب الی المدینة، و لما وقعت عیناه علی ابن اخیه «شیبة» عرف شبه أخیه هاشم، و توسّم فیه ملامحه، ففاضت عیناه بالدموع، و تبادلا قبلات الشوق، و المحبة، و أراد أن یاخذه معه الی «مکة» و کانت أمه تمانع من ذلک، و لکن ممانعتها کانت تزید من عزم العمّ علی أخذه الی «مکة» و اخیرا تحققت امنیة العم فقد استطاع «المطلب» أن یحصل علی اذن أمه، فاردفه خلفه و توجّه حدب «مکة» تدفعه رغبة طافحة الی إیصاله إلی والده هاشم.

(۲) و فعلت شمس الحجاز. و اشعتها الحارقة فعلتها فی هذه الرحلة فقد غیّرت لون وجه شیبة و أبلت ثیابه، و لهذا ظنّ أهل «مکة» عند دخوله مع عمه «مکة» أنه غلام اقتناه «المطلب» فکان یقول بعضهم لبعض: هذا عبد المطلب، و کان المطلب ینفی هذا الأمر، و یقول:

إنما هو ابن أخی هاشم و ما هو بعبدی، و لکن ذلک الظن هو الآخر فعل فعلته، و عرف «شیبة» بعبد المطلب «۱».

و ربما یقال: أن سبب شهرته بهذا الاسم هو انه تربی و ترعرع فی حجر عمّه

---

(۱) الکامل لابن الاثیر: ج ۲ ص ۶، و تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۸ و ۹، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۳

«المطلب» و کانت العرب تسمی من یترعرع فی حجر أحد و ینشأ تحت رعایته عبدا لذلک الشخص تقدیرا لجهوده و تثمینا لرعایته.

(۱)

۵- عبد المطّلب:

اشارة

عبد المطّلب بن هاشم و هو الجدّ الأول للنبی صلّی اللّه علیه و آله کان رئیس قریش و زعیمها المعروف، و کانت له مواقف بارزة، و أعمال عظیمة فی حیاته، و حیث أن ما وقع من الحوادث فی أیام حکمه یرتبط ارتباطا وثیقا بتاریخ الإسلام و لهذا یتعین علینا دراسة بعض تلکم الحوادث و الوقائع. سید المرسلین ج۱ ۱۵۳ ۵ - عبد المطلب: ..... ص : ۱۵۳

شک أن المرء مهما تمتع بنفسیة قویة فانه سیتأثر- فی المال- ببیئته و عاداتها، و تقالیدها، التی تصبغ فکره، بصبغة خاصة، و تطبع عقلیته بطابع معین.

بید أن هناک بین الرجال من یقاوم تأثیر العوامل البیئیة بمنتهی الشهامة و الشجاعة، و یصون نفسه من التلوث بشیء من أدرانها و أقذارها.

و بطل حدیثنا هنا هو احد النماذج الصادقة لأولئک الرجال العظماء لان فی حیاته صفحات مشرقة عظیمة، و سطورا لامعة تنبئ عن نفسیته القویة، و شخصیته الشامخة.

(۲) فان الذی یعیش ثمانین عاما فی وسط اجتماعی تسود فیه الوثنیة، و معاقرة الخمر، و الربا، و قتل الأنفس البریئة، و الفحشاء حتی ان هذه الامور کانت من العادات و التقالید الشائعة، و لکنه مع ذلک لم یعاقر الخمر طوال حیاته، و کان ینهی عن القتل و الخمر و الفحشاء، و یمنع عن الزواج بالمحارم، و الطواف بالبیت المعظم عریانا، و کان ملتزما بالوفاء بالعهد، و اداء النذر بلغ الأمر ما بلغ، لهو- حقا- نموذج صادق من الرجال الذین یندر وجودهم، و یقال نظیرهم فی المجتمعات.

أجل إن شخصیة اودعت ید المشیئة الربانیة بین حنایاها نور النبی الاکرم أعظم قائد عالمی، یجب ان یکون إنسانا طاهر السلوک، نقیّ الجیب منزها عن أی نوع من أنواع الانحطاط، و الفساد.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۴

(۱) هذا و یستفاد من بعض قصصه و کلماته القصار أنه کان أحد الرجال المعدودین الذین کانوا یؤمنون باللّه و الیوم الآخر فی تلک البیئة المظلمة، و کان یردّد دائما: «لن یخرج من الدنیا ظلوم حتی ینتقم منه، و تصیبه عقوبة ... و اللّه ان وراء هذه الدار دارا یجزی فیها المحسن بإحسانه، و یعاقب فیها المسیء باساءته» «۱» ای ان الظلوم شأنه فی الدنیا أن تصیبه عقوبة، فاذا خرج و لم تصبه العقوبة فهی معدّة له فی الآخرة.

و لقد کان «حرب بن أمیّة» من أقربائه، و کان من اعیان قریش و وجوهها أیضا، و کان یجاور یهودیا فاتفق أن وقع بینه و بین حرب

نزاع فی بعض اسواق تهامة، تبودلت بینهما فیه کلمات جارحة، و انتهی ذلک إلی مقتل الیهودی بتحریک من «حرب»، و لما علم «عبد المطّلب» بذلک قطع علاقته بحرب، و سعی فی استحصال دیة الیهودیة المقتول من «حرب» و دفعها إلی اولیاء القتیل، و هذه القصة تکشف عن حبّ عبد المطلب للمستضعفین و المظلومین و حبه للحق و العدل.

(۲)

حفر زمزم:

منذ أن ظهرت عین زمزم نزل عندها قبیلة جرهم التی کانت بیدها رئاسة مکة طوال سنین مدیدة، و کانت تستفید من میاه تلک العین، و لکن مع ازدهار أمر التجارة فی «مکة»، و اقبال الناس علی الشهوات و المفاسد آل الأمر إلی جفاف تلک العین، و نضوب مائها بالمرة «۲».

و یقال: أن قبیلة «جرهم» لما واجهت تهدیدا من جانب قبیلة خزاعة

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

(۲) لا ریب أنّ تفشی الذنوب و المعاصی بین الناس من عوامل نزول البلایا و الکوارث و لا یبعد أن تکون الأعمال المخزیة من موجبات الجدب و القحط و المجاعات، و هذه الحقیقة مضافا الی انطباقها علی القواعد الفلسفیة ممّا صرح به القرآن الکریم و السنّة الشریفة، راجع سورة الاعراف؛ الآیة ۹۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۵

و اضطرت إلی مغادرة تلک الدیار، و ایقن زعیمها «مضاض بن عمرو» بانه سرعان ما یفقد زعامته، و یزول حکمه و سلطانه بفعل هجوم العدو، امر بان یلقی الغزالان الذهبیان، و السیوف الغالیة الثمن التی کانت قد اهدیت الی الکعبة، فی قعر بئر زمزم، ثم یملأ البئر بالتراب و یعفی اثره إعفاء کاملا حتی لا یهتدی خصومه إلی مکانه ابدا، حتی اذا عادت إلیه زعامته و عاد الی مکة استخرج ذلک الکنز الدفین، و استفاد منه. ثم نشب القتال بین «جرهم» و «خزاعة» و اضطرت «جرهم» و کثیر من ابناء اسماعیل الی مغادرة «مکة المکرمة»، و التوجه إلی ارض الیمن، و لم یرجع أحد منهم الی «مکة» ابدا.

(۱) و وقعت زعامة مکة منذ هذا التاریخ بید «خزاعة» حتی بزغ نجم قریش فی سماء مکة بوصول قصیّ بن کلاب (الجدّ الرابع لنبی الإسلام) إلی سدة الزعامة و الرئاسة، ثم بعد مدة انتهی امر الزعامة الی «عبد المطلب» فعزم علی أن یحفر بئر «زمزم» من جدید، و لکنه لم یعرف بموقع البئر معرفة کاملة حتی اذا عثر علیه بعد بحث طویل قرّر ان یهیء هو و ولده «حارث» مقدمات ذلک.

و حیث أنه «یوجد فی المجتمع دائما من یتحجّج و یجادل- بسبب سلبیته- لیمنع من أی عمل ایجابی مفید، انبری منافسوا «عبد المطلب» إلی الاعتراض علی قراره هذا و بالتالی التفرد باعادة حفر بئر زمزم، لکیلا یذهب بفخر هذا العمل العظیم، و قالوا له: «إنها بئر أبینا اسماعیل، و ان لنا فیها حقا فاشرکنا معک» و لکن «عبد المطلب» رفض هذا الطلب لبعض الاسباب، فقد کان «عبد المطلب» یرید ان یتفرد بحفر زمزم، و یسبّل ماءها لیسقی منها جمیع الحجیج دون مانع و لا منازع، و یحول بذلک دون المتاجرة به و لم یکن لیتسنی له ذلک إلّا إذا قام بحفر زمزم بوحده دون مشارکة من قریش.

(۲) و قد آل هذا الأمر الی النزاع الشدید فتقرر أن یتحاکموا الی کاهن من کهنة العرب و عقلائهم و القبول بما یقضی به، فتوجه «عبد المطلب» و منافسوه الی ذلک الکاهن و قطعوا الصحاری القاحلة بین الحجاز و الشام، و فی منتصف الطریق أصابهم جهد و عطش شدیدان، و لمّا تیقّنوا بالهلاک، و قرب الوفاة اخذوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۶

یفکرون فی کیفیة الدفن اذا هلکوا و ماتوا، فاقترح «عبد المطلب» ان یبادر کل واحد إلی حفر حفرته حتی إذا أدرکه الموت دفنه الآخرون فیها، فاذا استمر بهم العطش و هلکوا یکون الجمیع (ما عدا من بقی منهم علی قید الحیاة) قد اقبروا، و لم تغد أبدانهم طعمة للوحوش و الطیور فأیّد الجمیع هذا الاقتراح «۱»، و احتفر کل واحد منهم حفیرة لنفسه، و جلسوا ینتظرون الموت بوجوه واجمة، و عیون ذابلة، و فجأة صاح عبد المطلب: «و اللّه إن إلقاءنا بأیدینا هکذا للموت لا نضرب فی الأرض و نبتغی لأنفسنا لعجز» و حثهم علی البحث عن الماء فی تلک الصحراء بصورة جماعیة عسی ان یجدوا ما ینقذهم من الموت، فرکب عبد المطلب و رکب مرافقوه، و اخذوا یبحثون عن الماء یائسین غیر مصدّقین، و لم یمض شیء حتی ظهرت لهم عین ماء عذبة انقذتهم من الموت المحتم، و عادوا من حیث جاءوا و هم یقولون لعبد المطلب: «قد و اللّه قضی لک علینا یا عبد المطلب، و اللّه لا نخاصمک فی زمزم أبدا، إن الذی سقاک هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذی سقاک زمزم، فارجع إلی سقایتک راشدا و تنازلوا له لینفرد بحفر زمزم و یکون إلیه أمره دون منازع، و لا شریک» «۲».

(۱) فعمد «عبد المطلب» و ولده الوحید الحارث الی حفر البئر، و نشأ من ذلک تل هائل من التراب حول البئر، و فجأة عثر «عبد المطلب» علی الغزالین المصاغین من الذهب، و السیوف المرصعة المهداة الی الکعبة، فشبّ نزاع آخر بین «قریش» و بین «عبد المطلب» علی هذه الاشیاء، و اعتبرت «قریش» نفسها شریکة فی هذا الکنز، و تقرر ان یلجئوا إلی القرعة لحل هذا المشکلة، فخرجت القرعة باسم «عبد المطلب»، و صار جمیع ذلک الکنز إلیه دون «قریش»، و لکن عبد المطلب خصّ بتلک الاشیاء الکعبة فصنع من السیوف بابا للکعبة، و علق الغزالین الذهبیّین فیها.

---

(۱) و لعلّ احجام الآخرین من الإدلاء بالاقتراح و هو الیأس المطلق من تحصیل الماء.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۱ ص ۲۰۶، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۴۲- ۱۴۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۷

(۱)

التفانی فی سبیل الوفاء بالعهد و النذر:

رغم ان العرب الجاهلیین کانوا غارقین فی الفساد الأخلاقی فانهم کانوا یتحلون ببعض الصفات الحسنة، و الخصال المحبّبة.

و للمثال کان نقض العهود من أقبح الافعال فی نظرهم، فاذا عقدوا عهودا مع القبائل العربیة أوثقوها بالأیمان، المغلظة المؤکدة، و التزموا بها إلی الاخیر، و ربما نذروا النذور الثقیلة و اجتهدوا فی اداءها مهما کلف ذلک من مشقة و ثمن.

و لقد أحسّ «عبد المطلب» عند حفر بئر زمزم بالضعف فی قریش لقلة اولاده، و لهذا نذر اذا رزقه اللّه تعالی عشرة بنین أن یقدم أحدهم قربانا للکعبة و لم یطلع احدا علی نذره هذا.

(۲) و لم یمض زمان الّا و بلغ عدد ابنائه عشرة، و بذلک حان أوان وفائه بنذره الذی نذر، و هو ان یذبح احدهم قربانا للکعبة.

و لا شک ان تصور مسألة کهذه فضلا عن تنفیذه کان امرا فی غایة الصعوبة علی عبد المطلب، و لکنه کان فی نفس الوقت یخشی ان یعجز عن تحقیق هذا الأمر فیکون من الناقضین للعهد، التارکین لاداء النذر، و من هنا قرر أن یشاور أبناءه فی هذا الأمر، و بعد ان یکسب رضاهم و موافقتهم یختار احدهم للذبح بالقرعة «۱».

و تمت عملیة القرعة، فاصابت «عبد اللّه» والد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاخذ عبد المطلب بید ابنه، و توجّه من فوره إلی

حیث یذبحه فیه.

و لما علمت قریش رجالها و نساؤها بقصة النذر المذکور و ما آلت إلیه عملیة القرعة حزن الناس و الشباب خاصة لذلک حزنا شدیدا و بکوا و ضجوا، و قال أحدهم لیتنی ذبحت مکان هذا الشاب.

---

(۱) هذه القضیة ذکرها کثیر من المؤرخین و کتّاب السیرة، و هذه القصّة إنّما هی جدیرة بالاهتمام من جهة أنها تجسّد مدی إیمان «عبد المطلب» و قوّة عزمه، و صلابة إرادته، و تبین جیّدا کم کان مصرّا علی الوفاء بعهوده و التزاماته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۸

(۱) فاقترحت قریش علی عبد المطلب بان یفدی «عبد اللّه»، و اظهروا استعدادهم لدفع الفدیة إذا جاز ذلک، فتحیّر «عبد المطلب» تجاه تلک المشاعر الساخنة، و الاعتراضات القویة، و راح یفکّر فی عدم الوفاء بنذره، و یفکر فی نفس الوقت فی الحصول علی مخلص معقول من هذه المشکلة، فقال له أحدهم: لا تفعل و انطلق إلی أحد کهنة العرب عسی أن یجد لک حلا.

فوافق «عبد المطلب» و اکابر قریش علی هذا الاقتراح، و توجهوا بأجمعهم نحو «یثرب» قاصدین ذلک الکاهن، و لما قدموا علیه سألوه فی ذلک فاستمهلهم یوما واحدا، و لما کان الیوم الثانی دخلوا علیه فقال لهم: کم دیة المرء عندکم؟

قالوا: عشر من الابل.

فقال: ارجعوا إلی بلادکم، و قرّبوا عشرا من الإبل و اضربوا علیها و علی صاحبکم «أی عبد اللّه» القداح فان خرجت القرعة علی صاحبکم فزیدوا عشرا، حتی یرضی ربکم، و إن خرجت علی الإبل فانحروها فقد رضی ربکم و نجا صاحبکم و کانت عنه فداء.

(۲) فهدّأ اقتراح الکاهن لهیب المشاعر الملتهبة لدی الناس، لأن نحر مئات الابل کان أسهل علیهم من أن یشاهدوا شابا مثل «عبد اللّه» یتشحط فی دمه.

و لهذا فانهم فور عودتهم إلی «مکة» بادروا إلی اجراء القرعة فی مجمع کبیر من الناس و زادوا عشرا عشرا حتی اذا بلغ عدد الإبل مائة خرجت القداح علی الإبل، و نجا «عبد اللّه» من الذبح، فأحدث ذلک فرحة کبیرة لدی الناس، بید أن «عبد المطلب» طلب أن تعاد عملیة القرعة قائلا: «لا و اللّه حتی أضرب ثلاثا»، و أنما أراد ذلک لیستیقن ان ربه قد رضی عنه، و لکن فی کل مرة کانت القداح تخرج علی الإبل المائة فنحرت الابل ثم ترکت لا یمنع عنها انسان و لا سبع «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۵۳، و بحار الانوار: ج ۱۶ ص ۷۴، و قد نقل عن النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: «أنا ابن الذبیحین» یقصد بالأول جدّه إسماعیل علیه السّلام و الثانی أباه «عبد اللّه» الذی کاد أن ینحر و لکنه نجا من الذبح کما نجا جدّه إسماعیل علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۹

(۱)

حادثة عام الفیل:

اشارة

عند ما یحدث أمر عظیم فی أمّة من الامم و خاصة إذا کان ذا جذور دینیة او ذا مدلولات قومیة أو سیاسیة فانه سرعان ما یتحول- بفعل اعجاب الناس عامة به- الی مبدأ للتاریخ.

فقیام النبی موسی یعتبر مبدأ للتاریخ عند الیهود، و مولد السیّد المسیح یعتبر مبدأ للتاریخ عند النصاری، و الهجرة النبویة الشریفة تعتبر مبدأ للتاریخ عند المسلمین.

و هذا یعنی أن کل أمّة من الامم تقیس حوادثها من حیث الزمان بذلک الحدث الذی تعتبره بدایة تاریخها.

و أحیانا تتخذ الامم و الشعوب بعض الحوادث مبدأ للتاریخ مع انها تملک مبدأ سیاسیا للتاریخ، کما نلاحظ ذلک فی بلاد الغرب و شعوبه، فقد اتخذت الثورة الفرنسیة، و ثورة اکتوبر الشیوعیة مبدأ للتاریخ فی فرنسا، و الاتحاد السوفیاتی، بحیث اصبح یقاس بهما کل ما وقع من الحوادث بعدهما.

(۲) و لکن الشعوب غیر المتحضرة التی لم تمتلک مثل تلک الثورات و الحرکات السیاسیة و الدینیة کان من الطبیعی أن تتخذ الحوادث الخارقة للعادة مبدأ لتاریخها بدلا من الثورات و التحوّلات الاجتماعیة، و هذا ما حدث عند العرب و قبل الإسلام.

فانهم- بسبب حرمانهم من حضارة صحیحة- اتخذوا من بعض الوقائع المفجعة و المرة- کالحرب و الزلزال، و المجاعة و القحط او الحوادث غیر الطبیعیة، الخارقة العادة مبدأ لتاریخهم.

و لهذا نجد مبادئ متعددة للتاریخ عند العرب، آخرها: ضجة عام الفیل و هجوم «أبرهة» علی «مکة» بهدف الکعبة المشرفة، التی صارت فی ما بعد مبدأ للتاریخ تؤرخ- بقیة الحوادث و الوقائع اللاحقة.

و نظرا لأهمیة هذا الحدث التاریخی العظیم الذی وقع عام ۵۷۰ و اتفقت فیه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۰

ولادة النبی الکریم صلّی اللّه علیه و آله فاننا نتناول هذه القصة بالعرض و التحلیل:

(۱)

ما هی عوامل هذه الحادثة؟

لقد ذکرت قصة أصحاب الفیل فی القرآن بصورة مختصرة، و سوف ننقل- هنا- الآیات التی نزلت حول هذه القصة بعد حوادثها.

یکتب المؤرخون عن علة هذه الحادثة ان ملک الیمن «تبان أسعد» والد ذی نواس بعد ان أرسی قواعد حکمه مر فی احدی رحلاته علی یثرب (المدینة)، و قد کانت ل «یثرب» فی ذلک الوقت مکانة دینیة مرموقة فقد قطنها جماعة من الیهود «۱»، و بنوا فیها عددا من المعابد و الهیاکل، فأکرم الیهود مقدم ملک الیمن، و دعوه إلی دینهم لیستطیعوا فی ظل حکمه حمایة أنفسهم من أذی المسیحیین الرومیین، و المشرکین العرب.

و لقد ترکت دعوتهم و ما رافقها من اسالیب مؤثرة اثرها فی نفس ذلک الامیر و اختار الیهودیة، و اجتهد فی بثها و نشرها. ثم ملک من بعده ابنه «ذو نواس» الذی جدّ فی بث الیهودیة و التحق به جماعة خوفا.

بید أن اهل نجران الذین کانوا قد دانوا بالمسیحیة قبل ذلک امتنعوا من تغییر دینهم و ترک المسیحیة و اعتناق الیهودیة، و قاوموا «ذی نواس» مقاومة شدیدة، فشق ذلک علی ملک الیمن، و اغضبه فتوجه احد قادته الی نجران علی رأس جیش کبیر لتأدیب المتمردین من أهلها فعسکر هذا الجیش علی مشارف نجران، و احتفر قائده خندقا کبیرا، و اوقد فیه نارا عظیمة، و هدّد المتمردین بالاحراق بالنار.

و لکن أهل نجران الذین احبّوا المسیحیة و اعتنقوها برغبة کبیرة اظهروا شجاعة کبری، و استقبلوا الموت حرقا، و غدوا طعمة للنیران.

(۲) یقول المؤرخ الإسلامیّ «ابن الاثیر الجزری» بعد ذکر هذه القصة: لما قتل

---

(۱) وفاء الوفا: ج ۱ ص ۱۵۷، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۱

«ذو نواس» من قتل فی الاخدود لاجل العود عن النصرانیة أفلت منهم رجل یقال له «دوس» فقدم علی «قیصر» فاستنصره علی «ذی نواس» و جنوده و اخبره بما فعل بهم، فقال له قیصر: بعدت بلادک عنا، و لکن سأکتب الی النجاشی ملک الحبشة و هو علی هذا الدین و قریب منکم، فکتب قیصر الی ملک الحبشة یأمره بنصره، فارسل معه ملک الحبشة سبعین ألفا، و أمّر علیهم رجلا یقال له «أریاط» و فی جنوده «ابرهة الأشرم» فساروا فی البحر حتی نزلوا بساحل الیمن، و جمع «ذو نواس» جنوده فاجتمعوا و کتب الی زعماء قومه من اهل الیمن یدعوهم الی الاجتماع لمقاتلة عدوّهم، فلم یجیبوه، فانهارت حکومته أمام حملة جیش الحبشة، و سیطر الاحباش علی ارض الیمن، و جعل «أبرهة» امیرا علیها من قبل «النجاشی» بعد مقتل «ارياط» علی ید «أبرهة» فی صراع علی السلطة «۱».

و هذه القصة هی التی تعرف فی القرآن الکریم بقصة «اصحاب الاخدود» و قد جاء ذکرها فی سورة البروج اذ یقول اللّه تعالی: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَیْها قُعُودٌ. وَ هُمْ عَلی ما یَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِینَ شُهُودٌ. وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ یُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ. الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ» «۲».

و قد ذکر المفسرون هذه القصة فی شأن نزول هذه الآیات بصورة مختلفة «۳».

(۱) ثم ان «ابرهة» الذی اسکره الانتصار و الغلبة علی منافسه، و تمادی فی الشهوات بنی فی صنعاء کنیسة عظیمة تقرّبا الی ملک الحبشة، و ارضاء له ثم کتب کتابا الی «النجاشی» ملک الحبشة یقول فیه: «إنی قد بنیت لک أیها الملک کنیسة لم یبن مثلها لملک کان قبلک، و لست بمنته حتی أصرف إلیها حج العرب».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۳، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱- ۳۷.

(۲) البروج: ۴- ۹.

(۳) راجع مجمع البیان: ج ۵ ص ۴۶۴- ۴۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۲

(۱) و قد أدی معرفة العرب بما جاء فی هذا الکتاب إلی ردّة فعل شدیدة لدیهم، الی درجة أن امرأة من قبیلة «بنی افقم» تسللت ذات لیلة الی تلک الکنیسة و أحدثت فیها، فأثار هذا العمل الذی کان یدل علی مدی ازدراء العرب بکنیسة «أبرهة» و احتقارهم لها، غضب «أبرهة»، هذا من جانب و من جانب آخر کان «ابرهة» کلما زاد فی تزیین تلک الکنیسة زاد ذلک من حقد العرب، و حنقهم علیه، و احتقارهم لکنیسته، فتسبب کل ذلک فی أن یحلف أبرهة علی السیر إلی الکعبة و هدمها، فسیّر لذلک جیشا عظیما، و قدّم أمامه الفیلة المقاتلة، و خرج متوجها صوب مکة و هو یعتزم هدم الکعبة بیت اللّه الحرام!!

فلما عرف زعماء العرب بغایته، و ادرکوا خطورة ذلک العمل و ایقنوا بان استقلال العرب و سیادتهم تتعرض لخطر السقوط، لم یمنعهم ما عاهدوه من قوة «ابرهة» و انتصاراته بل خرج بعضهم الی حربه فقاتلوه بکل شجاعة و بسالة مدفوعین بدافع الغیرة و الحفاظ علی الشرف المهدّد بالخطر.

(۲) فقد خرج «ذو نفر» و هو من أشراف أهل الیمن و ملوکهم، و دعا قومه و من أجابه من سائر العرب الی حرب «أبرهة» و لکن سرعان ما تغلّب «ابرهة» علیه بجیشه الکبیر، ثم خرج له بعد ذلک «نفیل بن حبیب» و بقی یقاتله مدة طویلة فهزمه «ابرهة» و اخذ له اسیرا، فطلب «نفیل» العفو منه فاشترط علیه أن یدلّه علی طریق مکة لیعفو عنه، فدلّه نفیل حتی الطائف، و اوکل الدلالة علی بقیة الطریق الی شخص آخر یدعی «ابو رغال» فدلّه أبو رغال علی الطریق حتی أرض «المغمّس» و هی منطقة قریبة من «مکة» فنزل «أبرهة» و جیشه بالمغمّس، فارسل أبرهة رجلا من الحبشة- علی عادته- الی ضواحی «مکة» فاستولی علی أموال قریش من الإبل و الغنم فساق إلیه فی جملة ذلک مائتی بعیر لعبد المطلب، ثم أمر رجلا آخر یدعی «حناطة» لیدخل «مکة» و یبلغ أهلها عنه ما جاء من اجله، و هو هدم البیت المحرّم الکعبة المعظمة، و قال له: سل عن سید اهل هذا البلد و شریفها، ثم قل له: ان الملک یقول لک: «إنی لم آت

لحربكم، انما جئت لهدم هذا البيت، فان تعرّضوا دونه بحرب فلا حاجة لى فى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۳

دمائكم» فإن هو لم يرد حربى فأتنى به.

(۱) فدخل «حناطة» مكة و لما سأل عن سيد قريش و شريفها، و قد كانت قبائل قريش المختلفة قد تجمعت فى اطراف البلد جماعات جماعات تتذاكر فى امر «ابرهة» و ما يجب اتخاذه من موقف تجاهه.

فدلّوه على بيت «عبد المطلب»، و لما دخل على «عبد المطلب» أبلغه مقالة «أبرهة» فقال له عبد المطلب: «و اللّه ما نريد حربه، و ما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت اللّه الحرام، و بيت خليله إبراهيم عليه السّلام، فان يمنعه منه فهو بيته و حرمه، و ان يخلى بينه و بينه فو اللّه ما عندنا دفع عنه»؟

فسرّ «حناطة» رسول ابرهة بمنطق عبد المطلب و مقالته التى كانت تحكى عن قوة ايمانه، و عن روحه المسالمة فطلب منه أن يصحبه الى «أبرهة»، قائلا:

فانطلق معى إليه، فانه قد امرنى ان آتيه بك.

(۲)

عبد المطّلب يذهب الى معسكر أبرهة:

فتوجه عبد المطلب هو و جماعة من ولده إلى معسكر ابرهة، فاعجب «أبرهة» بوقار رئيس قريش و هيبته إعجابا شديدا، و بهر به حتى أنه نزل له من تخته اجلالا، و اخذ بيده، و اجلسه الى جنبه، فسأله عن طريق مترجمه متأدبا: ما الذى اتى به و ما ذا يريد؟ فاجابه عبد المطلب قائلا: حاجتى أن يردّ الملك علىّ مائتى بعير أصابها لى.

فقال «أبرهة» لترجمانه: قل له: قد كنت اعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أ تكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، و تترك بيتا هو دينك و دين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه؟!

فقال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، و ان للبيت ربا سيمنعه، فقال «أبرهة» مغترا بنفسه: ما كان ليمتنع منى.

ثم أمر بان ترد الابل إلى أصحابها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۴

(۱)

انتظار قريش:

و لقد انتظرت قريش عودة «عبد المطلب» من معسكر «أبرهة» بفارغ الصبر لتعرف نتيجة ما دار بينه و بين أبرهة، و عند ما عاد «عبد المطلب» اخبرهم الخبر، و امرهم بالخروج معه من مكة، و التحرز فى رءوس الجبال من معرّة الجيش فخرجوا الى الشعاب، و الجبال، ثم لما كان الليل نزل عبد المطلب مع جماعة من قريش الى الكعبة و اخذ بحلقة بابها يدعون اللّه و يستنصرونه على أبرهة و جنده و قال «عبد المطلب» مناجيا اللّه سبحانه: «اللّهم أنت أنيس المستوحشين و لا وحشة معك فالبيت، بيتك و الحرم حرمك و الدار دارك و نحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء و رب الدار أولى بالدار» ثم قال:

لا همّ إن «۱» العبد يمنع رحله فامنع حلالك «۲»

لا يغلبنّ صليبهمو محالهم عدوا محالك «۳» و قال أيضا:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكايا ربّ فامنع منهمو حماكا

إن عدوّ البيت من عاداكاامنعهم أن يخربوا فناكا ثم انه ترك حلقة الباب، و لجأ الى الجبل لينظروا ما سيجرى.

(۲) و فى الصباح و عند ما كان «أبرهة» و جنده يستعدون للتوجه الى «مكة»، و اذا بأسراب من الطيور تظهر من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة احجار، حجر فى منقاره، و حجرين فى رجليه، فاظلم سماء الجيش بتحليق تلك الطيور فوق رءوس الجند، و تركت تلك الاحجار الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها اثرها العجيب فقد رجمت تلك الطيور جنود «ابرهة» بتلك الاحجار بامر اللّه، فكانت لا تصيب منهم أحدا إلّا تحطم راسه، و تمزق لحم بدنه، و هوى صريعا،

---

(۱) لاهم أصلها: اللّهم و العرب تحذف الالف و اللام و تكتفى بما بقى.

(۲) الحلال جمع حلة و هى جماعة البيوت.

(۳) المحال: القوّة و الشدّة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۵

و هلك من توه، فاصابت واحدة من تلك الاحجار رأس «ابرهة» نفسه فارتعدت فرائصه و ايقن بغضب اللّه و سخطه عليه، فنظر الى جنوده و هم أشلاء مبثوثون هنا و هناك على الأرض كورق الشجر فى فصل الخريف، فصاح بمن لم يزل على قيد الحياة من جنده بامرهم بأن يتهيّأ و العودة الى اليمن، من حيث أتوا، فاخذ بقية الجند طريق اليمن هاربين، غير أن هذه البقية قد هلكت شيئا فشيئا فى أثناء الطريق حتى أن أبرهة نفسه بعد أن لم يصل الى صنعاء إلا بعد ان تفرّق لحم بدنه، و سقطت اعضاؤه و جوارحه و مات بصورة عجيبة.

(۱) و قد دوّى صوت هذه الواقعة العجيبة و الرهيبة فى العالم آنذاك، و قد ذكرها القرآن الكريم فى سورة الفيل اذ يقول تعالى: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ. أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

و ما ذكرناه هنا- فى هذه الصفحات- ليس هو فى الحقيقة إلّا خلاصة ما ورد فى كتب التاريخ الإسلامى، و صرح به القرآن الكريم «۱».

و استكمالا لهذا البحث نعمد هنا إلى دراسة نظرية المفسر المصرى الكبير الشيخ «محمّد عبده» و العلامة المعروف الدكتور «هيكل» وزير الثقافة المصرى السابق فى هذا المجال.

(۲)

كلمة حول المعجزة:

لقد أوجد التقدم العلمىّ الأخير فى مختلف مجالات العلوم الطبيعية و الفضائية، و ما استلزم ذلك من تهافت طائفة كثيرة من الفرضيات، ضجة عجيبة فى الغرب، فمع أن جميع تلك التطورات كانت مجرد تطورات علمية تجرى فى مجال المسائل الطبيعية أو الفلكية، و لم يكن لها اية صلة بالمعتقدات الدينية

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳- ۶۲، و الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۲، و بحار الأنوار: ج ۵ ص ۱۳۰- ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۶

فإنّ هذا التحول و التطور و تلك الكشوف أوجدت شكا عجيبا لدى بعض الناس انسحب على جميع المعارف و المعتقدات الدينية الموروثة على وجه الاطلاق!

(۱) و السرّ فی ذلک هو أن العلماء رأوا بأن الفرضیات القدیمة، التی بقیت تسیطر علی الأوساط العلمیة لمدة طویلة من الزمان، قد اصبحت الیوم عرضة للبطلان و السقوط تحت مطارق التجربة و بواسطة الاختبارات العلمیّة، و التحقیقات المختبریة، فلم یعد- بعد هذا- مجال للقول بفرضیة الافلاک التسعة التی طلع بها «بطلمیوس»، و لا بفرضیة مرکزیة الارض، و لا غیرها من عشرات الفرضیات، فقالوا فی أنفسهم: و من أین تری لا تکون بقیة المعلومات و المعارف الدینیة من هذا القبیل؟!

و قد تفاقم هذا النوع من الشک فی قلوب جماعة من العلماء بالنسبة الی جمیع المعتقدات و المعارف الدینیة و نمی بشکل قویّ فی فترة قصیرة، و عمّ الاوساط العلمیة کأیّ مرض!!

(۲) هذا مضافا إلی أنّ محاکم التفتیش و تشدّد الکنیسة و أربابها کان لها النصیب الاکبر فی ظهور هذه الحالة بل فی نموّها، و اطرادها، لأن الکنیسة کانت تقضی علی العلماء الذین نجحوا فی اکتشاف القوانین العلمیة تحت التعذیب و الاضطهاد القاسی بحجة أنها تخالف الکتاب المقدس، و تعارض مقرّرات الکنیسة!!

و ممّا لا یخفی أنّ مثل هذه الضغوط، و هذا الاضطهاد و التعجرف ما کان لیمرّ من دون حدوث ردة فعل، و قد کان من المتوقع منذ البدایة أن العلماء فی الغرب لو اتیحت لهم الفرصة لانتقموا من الدین، بسبب سوء تصرف الکنیسة، و سوء معاملتهم لهم خاصة، و للناس عامة.

(۳) و قد حدث هذا فعلا فکلّما تقدم العلم خطوة، و اطّلع العلماء علی العلاقات السائدة بین الکائنات الطبیعیة، و اکتشفوا المزید من الحقائق الکونیة، و العلل الطبیعیة لکثیر من الحوادث و الظواهر المادیة، و کذا علل الأمراض، قلّ اعتناؤهم بالقضایا المیتافیزیقیة، و ما یدور حول المبدأ و المعاد و الافعال الخارقة للعادة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۷

کمعاجز الأنبیاء، و ازداد عدد المنکرین لها و الشاکین فیها، و المترددین فی قبولها یوما بعد یوم!!

(۱) لقد تسبّب الغرور العلمیّ الذی أصیب به العلماء فی الغرب فی أن ینظر بعض اولئک العلماء الی جمیع القضایا الدینیة بعین الازدراء و التحقیر، و أن یمتنعوا حتی عن التحدث فی المعاجز التی یخبر بها التوراة و الانجیل، و یعتبروا عصی موسی علیه السّلام، و یده البیضاء، و نفخة المسیح علیه السّلام التی کانت تشفی المرضی و تحیی الموتی من الأساطیر، و راحوا یتساءلون- فی عجب و استنکار-:

و هل یمکن أن تتحول قطعة من الخشب الیابس إلی أفعی، أو ثعبان، أو هل یمکن ان تعود الحیاة إلی میّت بکلمات من الدعاء؟

(۲) لقد تصور العلماء الذین أسکرتهم فتوحاتهم العلمیة، أنهم ملکوا مفاتیح جمیع العلوم، و وقفوا علی جمیع العلاقات بین الکائنات الطبیعیة و الظواهر الکونیة، و من هنا تصوّروا أنه لا توجد أیة علاقة بین قطعة الخشب و الثعبان، او بین جملة من الدعاء و التفاتة من بشر و عودة الروح الی الموتی، و لهذا أخذوا ینظرون الی هذه الامور بعین الشک و الترديد، و ربما بعین الانکار و الرفض المطلق!!

و قد سری هذا النوع من التفکیر الی اوساط بعض العلماء المصریین الذین تأثروا بهذا الاتجاه اکثر من غیرهم، مع بعض التعدیل فی ذلک الموقف، و شیء من الاختلاف فی النظرة المذکورة، و لهذا اتبعوا تلک السیرة فی تحلیل الوقائع و الحوادث التاریخیة و العلمیة من هذا النوع، و السرّ فی تأثر بعض علماء مصر بهذه النظرة قبل و اکثر من غیرهم هو احتکاک هذه الجماعة بالأفکار الواردة من الغرب قبل غیرهم، و من هذه المنطقة سرت بعض النظریات و الآراء الغربیة الی البلاد الإسلامیة الاخری.

(۳) لقد اختار هؤلاء طریقا خاصا قصدوا به الحفاظ علی حرمة الکتاب العزیز، و الاحادیث القطعیة و مکانتها من جهة، و کسب نظر العلماء الماديين الطبیعیین الی انفسهم من جهة اخری، أو ارادوا ان لا یختاروا ما لا یمکن التوفیق بینه و بین القوانین العلمیة الطبیعیة و تطبیقه علیها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۸

(۱) لقد وجد هؤلاء من جهة أن القرآن الكريم يخبر عن سلسلة من المعجزات و الخوارق التى لا يمكن تفسيرها بالعلوم العادية المتعارفة، لأن العلم لا يستطيع أن يدرك العلاقة بين العصا الخشبية اليابسة و الثعبان، و من جهة اخرى كان القبول بالنظريات التى لا يمكن إثباتها بالحسّ و التجربة أمرا فى غاية الصعوبة لهم.

و لهذا السبب، و فى خضمّ الصراع بين هذين العاملين: العلم و العقيدة، اختار هؤلاء الكتاب و العلماء نهجا يستطيعون به وضع نهاية لهذا الصراع، و التنازع، فيحافظون على ظواهر القرآن و الأحاديث من جانب، و يتجنبون القول بما يخالف منطق العلم من جانب آخر، و يتلخص هذا النهج فى تفسير جميع المعاجز و جميع خوارق العادة التى جرت على أيدى الأنبياء بالموازين العلمية الحاضرة الرائجة فى هذا العصر بصورة تبدو و كأنها امور طبيعية، و بهذا يكونون قد حافظوا على مكانة القرآن الكريم و الاحاديث القطعية المسلّمة، و لم يتفوهوا بما يخالف العلم الحديث و يتعارض مع معطياته.

(۲) و نحن هنا نذكر من باب النموذج و المثال: التفسير الذى ذكره العلامة المصرى المعروف «محمّد عبده» لقصة اصحاب الفيل و ما جرى لهم:

فهو يقول عند تفسيره لسورة الفيل:

«فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، و ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات، فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامّه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم و تساقط لحمه، و أن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعدّ من أعظم جنود اللّه فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، و أن هذا الحيوان الصغير- الذى يسمونه الآن بالميكروب- لا يخرج عنها» «۱».

---

(۱) راجع تفسير فى ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۹

(۱) و قال أحد الكتاب مؤيدا هذا الاتجاه بقوله: «إن الطير المستعمل فى الكتاب العزيز يراد منه مطلق ما يطير، و يشمل الذباب و البعوض أيضا»

و لا بدّ- قبل دراسة هذه الأقوال- أن نستعرض مرة اخرى الآيات النازلة فى اصحاب «الفيل».

يقول اللّه تعالى: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

إن ظاهر هذه الآيات يفيد أن جيش أبرهة اصيب بالغضب و السخط الالهى، و ان هلاكه و فناءه كان بهذه الأحجار التى حملتها تلك الطيور، و ألقت بها على رءوس الجند و أبدانهم.

إن الأمعان فى مفاد هذه الآيات يعطى أن موتهم كان بسبب هذه الاسلحة غير الطبيعية (الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها، القوية الهدامة بفعلها و أثرها).

و على هذا فانّ أى تفسير يخالف ظاهر هذه الآيات لا يمكن الذهاب إليه و حمل الآيات عليه ما لم يقم على صحته دليل قطعى.

(۲)

نقاط تقتضى التأمل فى التفسير المذكور:

(۳) ۱- إنّ التفسير المذكور لا يستطيع كذلك أن يجعل كل تفاصيل هذه الحادثة أمرا طبيعيا، بل هناك جوانب فى تلك الواقعة التاريخية العجيبة لا بد من تفسيرها بالعوامل و الاسباب الغيبية، لأنه مع فرض أن هلاك الجند و تلاشى أجسادهم تم بواسطة

میکروب: «الحصبة» و «الجدری»، و لکن من الذی ارشد تلک الطیور الی تلک الاحجار الصغیرة الملوثة بمیکروب الحصبة و الجدری، فتوجهت بصورة مجتمعة الی تلک الاحجار الخاصة بدل التوجه إلی الحبّ و الطعام، ثم کیف بعد حمل تلک الأحجار بمناقیرها و أرجلها حلّقت فوق معسکر «أبرهة» و رجمت جنده کما لو أنّها جیش منظّم موجّه؟؟

هل یمکن اعتبار کل ذلک أمرا عادیا، و حدثا طبیعیا؟

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۰

تری لو أننا فسّرنا طرفا من هذه الحادثة العظیمة و العجیبة بالعوامل الغیبیة، و بارادة اللّه النافذة فهل تبقی مع ذلک أیة حاجة الی أن نفسّر جانبا من هذه الحادثة بتفسیر طبیعی مألوف، و نرکض وراء التوجیهات الباردة، لنجعلها امرا مقبولا.

(۱) ۲- إنّ الکائنات الدقیقة، او ما یسمی الآن ب «المیکروب» لا شک انها عدوة لمطلق الإنسان، و لیست بصدیقة لهذا أو ذاک، و مع ذلک کیف توجهت الی جنود «ابرهة» و قتلتهم دون غیرهم، و کیف نسیت المکیین بالمرة؟!

انّ التاریخ المدوّن یثبت لنا أن جمیع الضحایا فی هذه الواقعة العظیمة کانوا من جند «ابرهة» و لم یلحق فیها: أیّ أذی- إطلاقا- بقریش، و غیرهم من سکان الجزیرة العربیة، فی حین أن الحصبة و الجدریّ من الأمراض المعدیة، التی تنقلها العوامل الطبیعیة کالریاح و غیرها من منطقة إلی اخری، و ربما تهلک اهل قطر باجمعهم.

فهل مع هذا یمکن أن نعدّ هذه الحادثة حدثا طبیعیا عادیا؟!

(۲) ۳- ان اختلاف هذا الفریق فی تحدید نوعیة المیکروب، یضفی علی هذا الادعاء مزیدا من الإبهام، و یجعله أقرب الی البطلان.

فتارة یقولون: انّه میکروب الوباء و تارة اخری یقولون: انّه داء الحصبة و الجدری، فی حین اننا لم نجد مستندا صحیحا لهذا الخلاف، و مبررا وجیها لهذا الاختلاف، اللّهم إلّا ما احتمله «عکرمة» من بین المفسرین، و عکرمة هو نفسه موضع نقاش بین العلماء و الّا لما ذهب «ابن الاثیر». من بین المؤرخین و ارباب السیر الی ذکر هذا الرأی فی صورة الاحتمال الضعیف، و القیل، ثم عاد فردّ هذا القول فورا «۱».

و الأعجب من الجمیع ما أعطاه مؤلف کتاب «حیاة محمّد» الدکتور هیکل وزیر المعارف المصری السابق من تفسیر، عند ذکر قصة الفیل.

---

(۱) الکامل: ج ۱ ص ۲۶۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۱

(۱) فهو بعد ذکر تلک القصة سرد آیات سورة الفیل، و مع أنه اتی بقول اللّه تعالی «و أرسل علیهم طیرا أبابیل» قال عن هلاک جنود أبرهة: «و لعلّ جراثیم الوباء جاءت مع الریح من ناحیة البحر، و أصابت العدوی أبرهة نفسه» «۱» فاذا کان الذی جاء بهذا المیکروب هو الریح، فلما ذا حلّقت طیور الأبابیل علی رءوس جیش أبرهة، و ألقت بالأحجار الصغیرة علی رءوسهم و دون غیرهم، و أی أثر کان لهذه الاحجار فی هلاک أولئک الجنود و موتهم؟

فالحق هو: أن لا یتبع هذا النمط من التفکیر، و أن لا نسعی لتفسیر معجزات الأنبیاء- الکبری بمثل هذه التأویلات و التفسیرات، بل إن طریق المعجزات و الإعجاز أساسا یختلف عن طریق العلوم الطبیعیة التی تتحدد دائرتها بمعرفة العلاقات العادیة بین الظواهر الطبیعیة، و لهذا یجب علینا أن لا- نعمد- ارضاء لهوی جماعة ممّن لا یمتلکون أیة معلومات دینیة، و لیست لدیهم أیة معرفة بهذا النوع من القضایا- الی التنازل عن أسسنا الدینیة المسلّمة، فی حین لا توجد أیة حاجة ملزمة إلی مثل ذلک التنازل و الاعتذار!.

(۲)

نقطتان هامّتان:

و هنا لا بد من أن نذكّر بنقطتين هنا:

(۳) الاولى: يجب ان لا يظن أحد- خطأ- أننا بما قلناه هنا نريد تصحيح كل ما تلوكه ألسن الناس، و تنسبه الى الأنبياء العظام، أو إلى عباد اللّه الكرام، من دون أن يكون له أى سند صحيح أو وجه معقول بل و ربما اتّسم بطابع الخرافة فى بعض الاحيان و الموارد.

بل مقصودنا هو: أن نثبت- و طبقا للمصادر الصحيحة و القطعية المتوفرة- أن الأنبياء كانوا يقومون- لاثبات ارتباطهم بما وراء هذه الطبيعة- بأعمال خارقة للعادة، خارجة عن الناموس الطبيعىّ المألوف، تعجز العلوم الطبيعية الرائجة عن

---

(۱) حياة محمّد لمحمّد حسين هيكل: ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷۲

إدراك عللها، و أسبابها.

فهدفنا هو الدفاع عن هذه الطائفة من المعاجز.

(۱) الثانية: إننا لا نقول مطلقا: أنّ وجود المعجزة هو تخصيص لقانون العلية العامّ، بل اننا فى الوقت الذى نحترم فيه هذا القانون المسلّم نعتقد بأن لجميع حوادث هذا العالم عللا خاصة و اسبابا معينة، و أنه من المستحيل أن يوجد شىء بعد عدمه من دون علة، بيد أننا نقول ان لهذه الطائفة من الظواهر و الوقائع (أى المعاجز) عللا غير طبيعية، و ان هذه العلل ميسّرة و متاحة لأنبياء اللّه و رسله و الرجال الإلهيين خاصة، و ليس فى مقدور أحد- لم يستطع لا عن طريق الحس و لا عن طريق التجربة أن يكتشف هذه العلل- أن يتنكّر لها، و ينكرها، بل ان جميع الاعمال الخارقة التى يقوم بها أنبياء اللّه ناشئة عن علل لا يمكن تفسيرها بالعلل الطبيعية المألوفة، و لو أنها خضعت للتفسير و التوجيه لخرجت عن كونها معجزة، و لم يصدق فى حقها عنوان الاعجاز.

و لكى نقف على حقيقة هذا الأمر، و نعرف مدى بطلان المذهب المذكور (مذهب تفسير الخوارق و المعاجز بالتفسير المادى و المألوف المحض) ينبغى أن نتبسط قليلا فى شرح مسألة الاعجاز و نبحث فى مدى علاقتها بقانون العلية العام.

(۲)

بحث علمىّ حول المعجزة فى خمس نقاط:

اشارة

إن الحديث العلمىّ عن المعجزة لا بدّ أن يتركّز على عدة نقاط أساسية هى:

۱- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟

۲- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلّمة؟

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير عادية فقط؟

۴- كيف تدل المعجزة على صدق ادعاء النبوة؟

۵- كيف و بما ذا نميز المعجزة عن الخوارق الاخرى؟

إنّ الاجابة على هذه الأسئلة كفيلة بتوضيح حقيقة المعجزة، و بيان مدى بطلان الاتجاه المذكور نعنى: تفسير المعاجز بالتفسير المادى الطبيعى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷۳

على أننا- نظرا لضيق المجال- سنختصر الجواب على هذه الأسئلة، و على من أراد التوسع أن يرجع إلى كتب الكلام و العقيدة.

۱- ما هی المعجزة و ما هو تعریفها؟

لقد عرّف علماء العقیدة المعجزة بتعاریف مختلفة أتقنها و أکملها هو: انّ المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالدعوی، و التحدّی، مع عدم المعارضة، و مطابقة الدعوی «۱».

و یعنی الشرط الأول (أی کون المعجزة أمرا خارقا للعادة) أن کل ظاهرة من الظواهر الطبیعیة الحادثة مرتبطة بعلة حتما، فلا یمکن صدورها من دون علة، و هذا الکون مشحون بالعلل التی یکتشفها البشر شیئا فشیئا و تدریجا عبر وسائله العادیة أو العلمیّة، و لکنّ المعجزة مع کونها ظاهرة واقعیة و لهذا فهی کغیرها مرتبطة بعلة، بید أنها تختلف عن غیرها من الظواهر فی أنّ من غیر الممکن کشف عللها من الطریق العادیة أو بواسطة التجارب و التحقیقات العلمیة، و لا یمکن تفسیرها و تبریرها بالعلل العادیة أو بما یکتشفه العلم من العلل لمثل هذه الحوادث، و المقصود من خرق العادة هو أن تقع المعجزة علی خلاف ما عهدناه و تعوّدنا علیه فی الظواهر الاخری و عللها، مثل إشفاء المرضی من دون علاج و دواء کما هو المعهود، و اخراج الماء من صخرة صماء من دون حفر أو تنقیب کما هو المألوف، و تحویل العصا الی أفعی من دون تبییض و تفریخ و توالد و تناسل، بل بمسح من ید، أو بعبارة من لسان، او بضرب من عصا!!

من هنا نکتشف أن کل ظاهرة یقف الناس العادیّون بالطرق العادیة أو العلماء خاصة بالطرق العلمیة علی عللها و أسبابها لا تکون معجزة لأنّه فی هذه

---

(۱) راجع للوقوف علی هذا التعریف: کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد للعلامة الحلّی شرحا و المحقق نصیر الدین الطوسی متنا: ص ۲۱۸، و أیضا شرح تجرید الاعتقاد للعلامة القوشجی:

ص ۴۶۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۴

الصورة لم یقع أی شیء علی خلاف العادة، و المألوف لیدل علی مزیة فی الأنبیاء.

فان مثل هذه الظاهرة التی یکون لها علة عادیة یعرفها جمیع الناس، أو سبب علمی خاص یعرفها علماء و متخصّصو ذلک العلم یمکن أن یقوم بایجاد أمثالها جمیع الناس، فلا یکون حینئذ معجزة.

و لا- یعنی هذا- و کما اسلفنا- أنّ المعجزة لا تنتهی الی أیة علة، أصلا، بل هی تستند إلی علة غیر متعارفة و غیر عادیة، و لمزید التوضیح سنبحث فی هذا المجال عند الاجابة علی السؤال الثالث.

و یقصد من الشرط الثانی (أی کون الاعجاز مقرونا بالدعوی) أن یدّعی صاحب المعجزة النبوة و السفارة من جانب اللّه تعالی، و یأتی بالمعجزة دلیلا علی صحة دعواه هذه، إذ فی غیر هذه الصورة لا یکون الأمر الخارق للعادة معجزة بل یطلق علیه فی الاصطلاح الدینی لفظ «الکرامة» کما کان لمریم بنت عمران التی کلما دخل علیها زکریا المحراب و جد عندها رزقا فاذا سألها من أین لها ذلک؟

قالت: هو من عند اللّه «۱».

و یعنی الشرط الثالث أن یکون الاعجاز مقرونا بدعوة الناس الی الإتیان بمثله، و عجز الناس عن هذه المعارضة، و عدم قدرتهم علی الاتیان بمثله مطلقا إذ فی هذه الصورة یتضح أنّ النبی یعتمد علی قوة إلهیة غیر متناهیة، قوة خارجة عن حوزة البشر العادی.

و اما الشرط الرابع فیعنی أن الأمر الخارق للعادة إنّما یکون عملا- إعجازیا، و یستحق وصف المعجزة الدالّة علی ارتباط الآتی بها بالمقام الالهیّ، إذا وافق الأمر الواقع ما یدعی أنه قادر علی الإتیان به.

فلو قال: سأجعل هذا البئر الجاف الفارغ من الماء، یفیض بالماء باشارة اعجازیة، ثم یقع ما قاله کان هذا الأمر معجزة حقا، و أما إذا

قال: سأجعل هذا

---

(۱) راجع سورة آل عمران: ۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۵

الماء القلیل الموجود فی البئر یفیض ماء، بالإعجاز، و لکن جفّ ذلک البئر علی عکس ما قال، لم یکن ذلک إعجازا، بل کان تکذیبا لمدعیها.

هذا هو خلاصة ما یمکن أن یقال حول تعریف المعجزة و الاعجاز و هو یساعد علی فهم طبیعة العمل الإعجازیّ.

۲- هل الاعجاز یهدم القوانین العقلیة المسلّمة؟

اشارة

و بهذا یتضح جواب السؤال المطروح فی هذا المجال و هو أن یقال: إن قانون العلیّة (أی: ارتباط کل معلول حادث بعلة) ممّا ارتکز علیه الذهن البشری و قبله العلم و الفلسفة، و لذلک فاننا نلاحظ: کلّما وقف الإنسان علی ظاهرة مهما کانت- بحث عن علّتها فورا فاذا رأی حیة- مثلا- عرف بان علتها الطبیعیة هی أن تبیض حیّة، ثم خروج حیّة من البیض بعد سلسلة من التفاعلات فکیف یمکن القبول بالمعاجز مع أنها لا تنشأ عن مثل هذا العلل و لا تمرّ بمثل هذه المقدمات و المراحل و التفاعلات الطبیعیّة، مثل انقلاب العصا إلی ثعبان، أو نبوع الماء من الصخر من دون حفر أو تنقیب.

أ لیس هذا هدم، أو تخصیص لذلک القانون العقلیّ المسلّم العام؟

فان الجواب علی هذا السؤال هو ان مثل هذا السؤال لا یطرحه إلّا الّذین یحصرون العلل و العلاقات بین الاشیاء فی العلل و العلاقات المادیة الطبیعیة.

و لکن الحق هو أنّ أیّة ظاهرة مادیة یمکن أن یکون لها نوعان من العلل:

۱- العلة العادیة التی تخضع للتجربة.

۲- العلة غیر العادیة التی لا یعرفها الناس و لم تکن متعارفة و لا تخضع للتجربة العلمیة.

و هذا یعنی أنه لا توجد أیة ظاهرة فی هذا العالم بدون علة.

و توضیح هذا أن أصل وجود الحیة و نبوع الماء من الصخرة و تکلم الطفل- مثلا- أمر ممکن، و لا یعدّ من المحالات، لأنها لو کانت من المحالات لما تحقق وجودها أبدا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۶

نعم أنها بحاجة إلی علة لکی تتحقق، و العلة- سواء فی المعاجز أو غیرها- یمکن أن تکون إحدی الامور التالیة:

أ- العلة الطبیعیة العادیة

و هی ما ألفناها و أعتدنا علیها مثل ظهور شجرة من نواة بعد سلسلة من التفاعلات.

ب- العلة الطبیعیة غیر العادیة و غیر المعروفة

و هذا یعنی أنه قد یکون لظاهرة معینة نوعان من العلل، و طریقان للتحقق و الوجود أحدهما معروف و معلوم، و الآخر مجهول و غیر معلوم، و الأنبیاء بحکم اتصالهم بالعلم و القدرة الالهیة، یمکن أن یقفوا علی هذا النوع من العلل- عن طریق الوحی- و یوجدوا

الظاهرة.

ج- تأثیر النفوس و الارواح:

فانّ بعض الظواهر یمکن أن تکون ناشئة من تأثیر أرواح الأنبیاء و نفوسهم القویة، کما نلاحظ ذلک فی مجال المرتاضین الهنود الذین یبلّغون درجة یستطیعون معها أن یقوموا بما یعجز عنه الأفراد العادیّون، و ذلک بفضل الریاضات النفسیة التی یخضعون لها. و هو ما یسمی بالیوجا أحیانا، و قد کتبت حوله کتب و دراسات «۱».

و قد أشار الی هذا جملة من علماء الإسلام و فلاسفته منهم الفیلسوف الإسلامی الشهیر صدر الدین الشیرازی حیث یقول:

«لا- عجب أن یکون لبعض النفوس قوة إلهیة تکون بقوتها کأنها نفس العالم فیطیعها العنصر طاعة بدنها لها، فکلّما ازدادت النفس- تجردا و تشبّها بالمبادئ القصوی ازدادت قوة و تأثیرا فی ما دونها.

و إذا صار مجرد التصوّر و التوهم سببا لحدوث هذه التغیّرات فی هیولیّ البدن لأجل علاقة طبیعیّة، و تعلّق جبلّی لها إلیه، لکان ینبغی أن تؤثر فی بدن الغیر و فی هیولیّ العالم مثل هذا التأثیر، لأجل مزید قوة شوقیة، و اهتزاز علوی للنفس

---

(۱) راجع کتاب الطاقة الانسانیة لأحمد حسین.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۷

و محبة إلهیة لها، فیؤثر نفسه فی إصلاحها، و إهلاک ما یضرّها و یفسدها» «۱».

د- العلل المجردة عن المادة:

فیمکن ان تکون للظواهر علل مجردة عن المادة کالملائکة، بان تقوم الملائکة بأمر من اللّه سبحانه بتدمیر قریة، او تقوم بمعجزة بعد طلب النبیّ منها ذلک.

و الملائکة مظاهر القدرة الالهیة فی الکون، و هی التی تدبّر امور الکون بأمر اللّه تعالی کما یقول القرآن الکریم: «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً» «۲» و هی بالتالی جنود اللّه فی السماوات و الأرض «وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ» «۳».

فلا بد من ارجاع الظواهر الطبیعیة الواقعة الی أحد هذه العوامل الاربعة، و لا یمکن أبدا حصر العلة فی العلة الطبیعیة العادیة المعروفة کما تصور منکروا الاعجاز، بل یمکن أن تکون کل واحدة من هذه العلل سببا لحدوث الظاهرة الطبیعیة، فاذا لم نشاهد علة ظاهرة من الظواهر لم یجز لنا أن نبادر- فورا- إلی تصوّر أنها ناشئة من غیر علة.

و یجب ارجاع معاجز الأنبیاء الی إحدی الطرق الاخیرة، و القول بأن الأنبیاء استخدموا- فی ایقاع الخوارق و المعاجز- إما العلل المادیة غیر المعروفة للعرف، و العلم، و أما نفوسهم القویة التی حصلت لهم بفعل الجهاد الروحیّ العظیم و الریاضات النفسیة الشدیدة فهی علة تلک الأفعال الخارقة للعادة.

کما و یمکن ان تکون جمیع تلک الافعال العجیبة ناشئة عن جملة من العلل و العوامل الغیبیة المدبّرة للکون بامر اللّه و مشیئته.

إذن فلا تتحقق المعجزة بدون علة کما یتصوّر، و لا یهدم الاعجاز القوانین العقلیة المسلّمة.

---

(۱) راجع المبدأ و المعاد: ص ۳۵۵ و ۳۵۶ لصدر المتألهین المشهور بصدر الدین الشیرازی، و شرح المنظومة للحکیم السبزواری: ص ۳۲۷ قال السبزواری ناظما:

یطیعه العنصر طاعة الجسدللنفس فالکل کجسمه یعدّ

(۲) النازعات: ۵.

(۳) الفتح: ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۸

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادیة غیر معروفة فقط؟

قد یتصور البعض أن المعاجز تصدر عن علل مجردة عن المادة فقط نافین أن تکون لها أیّة علل مادیة معروفة او غیر معروفة، فی حین لا یصح هذا السلب الکلی، اذ ما اکثر الخوارق التی تنشأ عن امور عادیة و عبر سلسلة من التفاعلات الطبیعیة.

فعند ما یرقد مرتاض هندی لیمرّ علیه تراکتور من دون ان تحدث فی جسمه أیة جراحات أو اصابات فان هناک امورا مادیة کثیرة دخلت فی هذا الأمر الخارق مثل: وقوع هذا الحدث فی اطار الزمان الخاص، و المکان الخاص، و مثل جسم المرتاض، و ما کنة الحراثة.

فان جمیع هذه الاشیاء المادیة اثرت فی ظهور هذا العمل الخارق.

و هکذا عند ما تنقلب عصا الکلیم علیه السّلام إلی حیة علی نحو الاعجاز فان العصا شیء مادی و هکذا الحال فی غیره من الموارد.

و لهذا لا یمکن ان نتجاهل تأثیر العوامل و الامور المادیة فی ظهور الامور غیر العادیة، و ننکر دخالتها بمثل هذا الإنکار.

و هذه هی اکثر النظریات اعتدالا فی هذا المجال.

و فی مقابل ذلک التفریط «۱» أفرط آخرون اذ قالوا: ان جمیع المعاجز و الخوارق ناشئة من علل مادیة غیر معروفة.

و حتی ما یقوم به المرتاضون یعود الی هذه العوامل الطبیعیة التی لا یعرفها و لا یقف علیها حتی النوابغ من الناس فضلا عن العادیین، لأن العوامل الطبیعیة علی نوعین: المعروفة و غیر المعروفة، و الناس یستفیدون فی حیاتهم الیومیة- فی الأغلب- من القسم الاول، بینما یستخدم الأنبیاء و المرتاضون تلک العوامل الطبیعیة غیر المعروفة التی وقفوا علیها و ادرکوها دون غیرهم.

---

(۱) أی حصر علل الخوارق و المعاجز فی العوامل المجرّدة و نفی تأثیر العلل المادیّة علی نحو الاطلاق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۹

و السبب فی وصفنا هذه النظریة بالافراط و التطرّف هو عدم وجود دلیل لا ثباته، بل یمکن ان یقال ان مثل هذا الموقف ناشئ عن الانهزامیة تجاه العالم المادی، أو انه لارضاء الماديين، و النافین لما لا یدخل فی إطار العالم المادی فان الماديين یرفضون أی عالم آخر غیر الطبیعة و آثارها و علاقاتها و خواصها، و حیث أن ارجاع المعجزات إلی العلل المجردة عن المادة یخالف منطق الماديين، و یضادّ اتجاههم و تصورهم لهذا عمد أصحاب هذه النظریة (نظریة إرجاع المعاجز و الخوارق إلی علل طبیعیة غیر معروفة و غیر عادیة) إلی مثل هذا التفسیر إقناعا للماديين، و ارضاء لهم فقالوا: ان جمیع الخوارق و المعاجز ناشئة من علل طبیعیة و مادیة علی الإطلاق، غایة ما فی الأمر أنها علل غیر معروفة، شأنها شأن کثیر من العوامل الطبیعیة المجهولة.

و نحن بدورنا نترک هذه النظریة فی دائرة الاجمال و بقعة الإمکان، لعدم الدلیل لا علی طبقها و لا علی خلافها.

۴- کیف تدلّ المعجزة علی صحّة ادّعاء النبوّة؟

إن صفحات التاریخ ملیئة بذکر من ادّعوا النبوّة خداعا و کذبا، و استثمارا للناس، مستغلّین سذاجة الاغلبیة الساحقة من جانب، و انجذابهم الفطری إلی قضایا التوحید و الایمان من جانب آخر.

فکیف و بما ذا یمیّز النبیّ الصادق عن مدّعی النبوة؟؟

إن المعجزة هی إحدی الطرق التی تدل علی صحة ادّعاء النبوة.

و إنما تدلّ المعجزة علی صدق ادّعاء النبوّة، و ارتباط النبیّ بالمقام الربوبی لأن اللّه الحکیم لا یمکن أن یزوّد الکاذب فی دعوی النبوة بالمعجزة، لأن فی تزوید الکاذب تغریرا للناس الذین یعتبرون العمل الخارق دلیلا علی ارتباط الآتی بها بالمقام الربوبیّ.

و الی هذا أشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله فی جواب من سأله عن علة اعطاء اللّه المعجزة لانبیائه و رسله:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۰

«لیکون دلیلا علی صدق من أتی به، و المعجزة علامة للّه لا یعطیها إلا انبیاءه و رسله، و حججه، لیعرف به صدق الصادق من کذب الکاذب» «۱».

۵- بما ذا نمیز المعاجز عن غیرها من الخوارق؟

لا شکّ فی أنّ السحرة و المرتاضین یقومون بأفعال خارقة للعادة مثیرة للعجب و الدهشة حتی ان البسطاء ربما یذهب بهم الاندهاش إلی حدّ الاعتقاد بأن القائمین بهذه الخوارق مزوّدون بقوی غامضة غیبیة لا یتوصل إلیها البشر.

فکیف یمکن اذن أن نمیّز بین المعاجز و تلک الخوارق و العجائب؟

إن التمییز بین هذه و تلک یمکن أن یتم اذا لا حظنا العلائم الفارقة بین المعجزة و غیر المعجزة من الاعمال الخارقة للعادة، کاعمال السحرة و المرتاضین (اصحاب الیوجا) و نظائرهم.

و هذه الفوارق هی عبارة عن الامور التالیة:

۱- إن القوة الغامضة الحاصلة لدی المرتاضین و السحرة ناشئة بصورة مباشرة من التعلم و التحصیل عند اساتذة تلک العلوم، و ذلک طیلة سنین عدیدة من الزمان.

بینما لا یرتبط الاعجاز بالتعلّم و التلمّذ أبدا، و التاریخ خیر شاهد علی هذا الکلام.

۲- إن أفعال السحرة و المرتاضین العجیبة قابلة للمعارضة و المقابلة بأمثالها، و ربما بما هو اقوی منها، علی عکس الإعجاز، فالمعجزات غیر قابلة لأن تعارض و تقابل بمثلها ابدا.

۳- المرتاضون و السحرة لا یتحدّون أحدا بأفعالهم و لا یطلبون معارضة أحد لهم و إلا لافتضحوا و کبتوا.

بینما یتحدی الأنبیاء و الرسل بمعاجزهم جمیع الناس و یدعونهم لمعارضتهم

---

(۱) علل الشرائع: ج ۱ ص ۱۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۱

و الاتیان بمثل معاجزهم لو قدروا، و استطاعوا.

فهذا هو القرآن الکریم ینادی بأعلی صوته علی مر العصور: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً» «۱».

و ذلک لأن أفعال السحرة الخارقة مهما کانت فانها تستند الی الطاقة البشریة المحدودة، و لا تتجاوزها بینما یعتمد الأنبیاء و الرسل العنصر الغیبی، و الإرادة الإلهیة.

۴- إن أفعال السحرة و المرتاضین الخارقة للعادة امور محدودة و مقتصرة علی ما تعلّموها و تمرنوا علیها، بینما لا تکون معاجز الأنبیاء و الرسل مقتصرة علی امور خاصة، فهم لا یعجزون عن الاتیان بکل ما یطلبه الناس منهم، طبعا حسب شرائط خاصة مذکورة فی محلها فی أبحاث الاعجاز «۲».

فتلك معاجز موسى المتعددة الابتدائية، و المقترحة، و معاجز المسيح عليه السّلام المتنوعة خير مثال على هذا الأمر.

۵- إن اصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائما دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية و غايات إلهية سامية و بالتالى هداية المجتمع البشرى إلى المبدأ و المعاد، و الأخلاق الفاضلة فيما لا يهدف المرتاضون و السحرة إلا تحقيق مآرب دنيوية حقيرة، و نيل مكاسب مادية رخيصة.

هذا مضافا إلى أن الأنبياء و الرسل أنفسهم يختلفون عن السحرة و المرتاضين

---

(۱) الاسراء: ۸۸.

(۲) مثل أن لا يكون ما يطلبه الناس محالا عقليا كرؤية اللّه، و مثل أن لا يكون ما سيأتى لهم به دليلا على ارتباطه بالمقام الربوبى، كما لو طلبوا منه أن تكون له جنّة من تخيل و أعناب و بيت من ذهب، لأنّ هذه الامور لا تكون دليلا على النبوّة إذ نلاحظ أنّ كثيرا من الناس يملكون هذه و ليسوا مع ذلك بأنبياء.

و أن لا- يكون المقترحون من ذوى اللجاج و العناد الذين لا يقصدون من طلب المعاجز إلا الهزل و الاستهزاء و التنزّه. و أن لا تكون نتيجة المعجزة هلاكهم كما لو طلبوا ان ينزّل عليهم نارا من السماء تحرقهم لأن فى ذلك نقضا للغرض.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۲

فى نفسيّتهم العالية، و أخلاقهم الفاضلة و تاريخهم المشرق، و صفاتهم النبيلة على العكس من السحرة و المرتاضين.

هذه هى أهمّ العلامات الفارقة بين المعاجز التى تدل على نبوة الأنبياء، و الخوارق التى يقوم بها المرتاضون و السحرة.

و بعد أن تبيّن كل هذا اتضح أنّ الخوارق الالهية التى هى من مقولة المعاجز أيضا تختلف عن الامور العادية فى أن عللها لا تنحصر فى العلل المادية غير المعروفة فضلا عن الامور المادية المعروفة، بل ربما تكون مستندة الى العلل المجرّدة، فليس من الصحيح ان نسعى لتفسير الخوارق الالهية مثل: «قصة الفيل» التى أهلك اللّه تعالى فيها جيش «أبرهة» العظيم بأحجار صغيرة من سجيل رمتها طيور الأبابيل بالعلل المادية المعروفة كما فعل من أشرنا إلى أسمائهم فى مطلع هذا البحث «۱».

و لهذا عدل «سيد قطب» عن رأيه الذى كان قد أبداه فى ما سبق فى أمثال هذه الامور، اذ قال:

ان الطريق الأمثل فى فهم القرآن و تفسيره أن ينفض الانسان من ذهنه كل تصوّر سابق، و أن يواجه القرآن بغير مقرّرات تصوّرية أو عقلية أو شعورية سابقة، و أن يا بنى مقرّراته كلها حسبما يصور القرآن و الحديث حقائق هذا الوجود، و من ثم لا يحاكم القرآن و الحديث لغير القرآن، و لا- ينفى شيئا يثبته القرآن و لا- يؤوله، و لا- يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله، و ما عدا المثبت و المنفى فى القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله و تجربته.

نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ... و هم مع ذلك يؤوّلون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة فى عقولهم و تصورات سابقة فى أذهانهم لما ينبغى أن تكون عليه حقائق الوجود «۲».

---

(۱) أى الاستاذ الشيخ محمّد عبده و الاستاذ محمّد حسين هيكل.

(۲) و هنا قال سيّد قطب فى هامش هذا الكلام ما نصّه «و ما ابرئ نفسى أننى فيما سبق من مؤلّفاتى-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۳

فاما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، و يعتسفون نفى هذه التصورات لمجرد أن العلم لم يصل الى شىء منها فهم مضحكون حقا! فالعلم لا يعلم اسرار الموجودات الظاهرة بين يديه و التى يستخدمها فى تجاربه، و هذا لا ينفى وجودها طبعا! فضلا عن أن العلماء الحقيقيين اخذت جماعة كبيرة منهم تؤمن بالمجهول على طريق المتدينين أو على الأقل لا- ينكرون ما لا- يعلمون، لأنهم بالتجربة وجدوا

أنفسهم- عن طريق العلم ذاته- أمام مجاهيل فيما بين ايديهم ممّا كانوا يحسبون انهم فرغوا من الاحاطة بعلمه فتواضعوا تواضعا علميا نبيلا- ليس فيه سمة الادعاء، و لا طابع التطاول على المجهول كما يتطاول مدّعو العلم، و مدّعو التفكير العلمى، ممن ينكرون حقائق الديانات و حقائق المجهول «۱».

ثم يقول فى موضع آخر من تفسيره ناقدا لموقف الاستاذ عبده من قصة الفيل التى هى احدى الخوارق حيث حفظ اللّه تعالى بيته المعظم على نحو خارق للعادة:

و يرى الذين يميلون الى تضييق نطاق الخوارق و الغيبيات، و الى رؤية السنن الكونية المألوفة تعمل عملها، أن تفسير الحادث بوقوع وباء الجدرى و الحصبة اقرب و اولى، و ان الطير تكون هى: الذباب و البعوض تحمل الميكروبات فالطير هو كل ما يطير.

ثم ينقل كلام الاستاذ «عبده» الذى ذكرناه بنصه مع قوله: هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو ممّا لا يصح قبوله إلّا بتأويل إن صحت روايته، و ممّا تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل- و هو اضخم حيوان من ذوات الاربع جسما- و يهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر و لا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا اكبر و اعجب و أبهر.

- و فى الأجزاء الاولى من هذه الظلال قد انسقت الى شىء من هذا و ارجو أن أتداركه فى الطبعة التالية اذا وفق اللّه».

(۱) فى ظلال القرآن: ج ۲۹ ص ۱۵۱- ۱۵۳.

ثم يقول: و نحن لا نرى أن هذه الصورة التى افترضها الاستاذ الإمام- صورة الجدرى أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم- أدلّ على قدرة، و لا اولى بتفسير الحادث، فهذه كتلك فى نظرنا من حيث إمكان الوقوع، و من حيث الدلالة على قدرة اللّه، و تدبيره، و يستوى عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هى التى جرت، فأهلكت قوما أراد اللّه اهلاكهم، أو أن تكون سنة اللّه قد جرت بغير المألوف للبشر، و غير المعهود المكشوف لعلمهم فحقّقت قدره ذاك.

ثم يقول: لقد كان اللّه سبحانه يريد بهذا البيت «۱» أمرا، كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس و أمنا و ليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة فى ارض حرة طليقة لا يهيمن عليها احد من خارجها و لا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة فى محضنها، و يجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الانظار فى جميع الأجيال، ليضربها مثلا لرعاية اللّه لحرماته و غيرته عليها.

فمما يتناسق مع جوّ هذه الملابسات كلها أن يجىء الحادث غير مألوف و لا معهود بكل مقوماته و بكل اجزائه، و لا داعى للمحاولة فى تغليب صورة المألوف من الأمر فى حادث هو فى ذاته و بملابساته مفرد فذ.

و بخاصة ان المألوف فى الجدرى و الحصبة لا يتفق مع ما روى من آثار الحادث بأجسام الجيش و قائده فإن الجدرى أو الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا، و أنملة انملة، و لا يشق الصدر عن القلب!!

ثم ان «سيد قطب» يشير إلى علل تفسير هذه الحادثة الخارقة للعادة بالتفسير المادى العادى الطبيعى، و المدرسة العقلية التى كان الاستاذ «عبده» على رأسها، و ضغط الفتنة بالعلم التى تركت آثارها فى تلك المدرسة، و نحن نكتفى بهذا القدر بالمناسبة، و إشعارا بما يمكن أن يجنيه مثل هذا الاتجاه على مقولات الدين و مفاهيمه و مقرراته عن الأحداث الكونية و التاريخية و الانسانية

---

(۱) أى الكعبة المشرّفة.

و الغيبية «۱».

هذا و يجد ربنا ان ننقل هنا ما قاله صاحب تفسير مجمع البيان فى هذا الصدد فى شأن حادثة الفيل استكمالا لهذا البحث و تأكيدا

لمعجزته هذا الحدث.

قال صاحب المجمع: و كان هذا من اعظم المعجزات القاهرات، و الآيات الباهرات فی ذلک الزمان، اظهره اللّه تعالی ليدل علی وجوب معرفته، و فيه ارهاص لنبوة نبينا صلّی اللّه عليه و آله لأنه ولد فی ذلک العام، و فيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فانه لا يمكن نسبة شیء ممّا ذكره اللّه تعالی من أمر اصحاب الفيل إلی طبع و غيره كما نسبوا الصيحة و الريح العقيم و الخسف و غيرهما ممّا أهلک اللّه تعالی به الامم الخالية، إذ لا يمكنهم أن يروا فی اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدّة مهيّأة لهلاک أقوام معينين قاصدات إيّاهم دون من سواهم فترميهم بها حتی تهلكهم، و تدمّر عليهم، لا يتعدّی ذلک إلی غيرهم و لا يشک من له مسكة عن عقل و لب ان هذا لا يكون الا من فعل اللّه تعالی مسبب الاسباب و مذلّل الصعاب، و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا صلّی اللّه عليه و آله لما قرأ هذه السورة علی أهل مكة لم ينكروا ذلک بل اقروا به و صدّقوه مع شدة حرصهم علی تكذيبه، و اعتنائهم بالردّ عليه و كانوا قريبی عهد بأصحاب الفيل، فلو لم يكن لذلک عندهم حقيقة و أصل لانكروه، و جحدوه، و أنهم قد أرّخوا بذلک كما أرّخوا ببناء الكعبة، و موت قصیّ بن كعب و غير ذلک.

و قد اكثر الشعراء ذكر الفيل و نظّموه و نقلته الرواة عنهم فمن ذلک ما قاله (اميّة) بن ابی الصلت:

إن آيات ربّنا بيّناتما يماری فيهنّ إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمّس حتیظلّ يحبو كأنه معقور

---

(۱) فی ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱- ۲۵۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۶

و قال عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنسأنت حبست الفيل بالمغمّس

من بعد ما همّ بشیء مبلسحبسته فی هيئة المكركس «۱» و قال ابن قيس الرقيات فی قصيدة:

و استهلّت عليهم الطير بالجندل حتی كأنّه مرجوم «۲» (۱) ما ذا بعد هزيمة الأحباش؟

لقد استوجب مقتل أبرهة و تحطّم جيشه و هلاكهم، و بالتالی هزيمة أعداء الكعبة المشرفة، و أعداء قريش، أن يتعاظم شأن المكيّين، و شأن الكعبة الشريفة فی نظر العرب، فلا يجرأ أحد- بعد ذلک- فی أن يحدّث نفسه بغزو مكة، و الإغارة علی قريش، أو أن يفكر فی التطاول علی الكعبة المعظمة صرح التوحيد الشامخ، فقد اخذ الناس يقولون فی انفسهم: إنّ اللّه أهلک أعداء بيته المعظم بمثل ذلک الاهلاک احتراما لبيته و تعظيما لشأن قريش، و قلّما كان يتصور أحد أن ما وقع كان لاجل المحافظة علی الكعبة فقط، ای من دون أن يكون لمكانة قريش و منزلتهم و شأنهم دخل فی ذلک، و يشهد بذلک أن قريشا تعرضت مرارا لحملات متكررة من غزاة ذلک العصر دون أن يصابوا بمثل ما اصيب به جند «ابرهة» الذی قصد الكعبة بالذات و يواجهوا ما واجهه، من الردع و الكبت.

(۲) إنّ هذا الفتح و الظفر الذی نالته قريش من دون تعب و نصب، و من دون إراقة أية دماء من أبنائها، أحدثت فی نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم و حميّتهم، و عنجهيتهم، و اعتزازهم بعنصرهم، فأخذوا يفكرون فی تحديد شئون الآخرين، و التقليل من وزنهم، اعتقادا منهم بانهم الطبقة الممتازة من العرب دون سواهم. كما أنها دفعتهم الی أن يتصوّروا أنهم وحدهم موضع عناية الأصنام (الثلاثمائة و الستين) فهم وحدهم الذين تحبّهم

---

(۱) المنكّس.

(۲) تفسير مجمع البيان للطبرسی: ج ۱۰ ص ۵۴۳ فی تفسير سورة الفيل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۷

تلک الاصنام، و تحمیهم و تدافع عنهم!!

(۱) و لأجل هذا تمادوا فی لهوهم، و لعبهم، و توسعوا فی ممارسة اللذة و الترف حتی أنهم أظهروا ولعا شدیدا بالخمر، فکانوا یحتسونها فی کل مناسبة، و ربما مدّوا موائد الخمر فی فناء الکعبة، و أقاموا مجالس سمرهم و أنسهم إلی جانب أصنامهم الخشبیة، و الحجریة، التی کان لکل قبیلة من العرب بینها صنم أو اکثر، و یقضون فیها اسعد لحظات حیاتهم- حسب تصوّرهم، و هم یتناقلون فیها کل ما سمعوه من أخبار و قصص حول «مناذرة» الحیرة و «غساسنة» الشام و قبائل الیمن، و هم یتصورون أن هذه الحیاة الحلوة اللذیذة هی من برکة تلک الاصنام و الاوثان، فهی التی جعلت عامة العرب تخضع لقریش، و جعلت قریشا افضل من جمیع العرب!!

(۲)

أوهام قریش تتفاقم!!

إنّ أخطر ما یمرّ به إنسان فی حیاته هو أن یصفو عیشه من المشاکل، ردحا من الزمن و یحس لنفسه بنوع من الحصانة الوهمیة، فعندها تجده یخص الحیاة بنفسه و یستأثر بکل شیء فی الوجود و لا یری لغیره من أبناء نوعه و جنسه من البشر ای حق فی الحیاة، و لا أیّ شأن و قیمة تذکر، و ذلک هو ما یصطلح علیه بالاستکبار و الاستعلاء، و الاحساس بالتفوق، و الغطرسة.

و هذا هو بعینه ما حصل لقریش بعد اندحار جیش «ابرهة» و هلاکه، و هلاک جنده بذلک الشکل العجیب الرهیب.

فقد عزمت قریش منذ ذلک الیوم- و بهدف إثبات تفوقها و عظمتها للآخرین-، علی أن تلغی أی احترام لأهل الحلّ لانهم کانوا یقولون: ان جمیع العرب محتاجون الی معبدنا، و قد رأی العرب عامة کیف اعتنی بنا آلهة الکعبة، خاصة، و کیف حمتنا من الاعداء!!

(۳) و من هنا بدأت قریش تضیّق علی کل من یدخل مکة من أهل الحل للعمرة او الحج، و تتعامل معهم بخشونة بالغة، و دیکتاتوریة شدیدة ففرضت علی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۸

کل من یرید دخول مکة للحج أو العمرة أن لا یصطحب معه طعاما من خارج الحرم، و لا یأکل منه، بل علیه أن یقتنی من طعام أهل الحرم، و یأکل منه، و أن یلبس عند الطواف بالبیت من ثیاب أهل مکة التقلیدیة القومیة، أو یطوف عریانا بالکعبة إن لم یکن فی مقدوره شراؤها و اقتناؤها، و من کان یرفض الخضوع لهذا الأمر، من رؤساء القبائل و زعمائها، کان علیه أن ینزع ثیابه- بعد انتهائه من الطواف- و یلقیها جانبا، و لا یحق لأحد ان یمسها أبدا لا صاحبها و لا غیرها «۱».

(۱) اما النساء فکان یجب علیهن اذا أردن الطواف أن یطفن عراة علی کل حال، و ان یضعن خرقة علی رءوسهن و یردّدن البیت التالی فی اثناء الطواف:

الیوم یبدو بعضه أو کلّه و بعد هذا الیوم لا احلّه ثم إنه لم یکن یحق لأیّ یهودی أو مسیحی- بعد هزیمة «ابرهة» الذی کان هو أیضا مسیحیا- أن یدخل مکة إلّا أن یکون أجیرا لمکیّ، و حتی فی هذه الصورة کان یجب علیه أن لا یتحدّث فی شیء من أمر دینه و من أمر کتابه.

لقد بلغت النخوة و العصبیة بقریش حدا جعلتهم یترکون بعض مناسک الحج التی کان یجب الإتیان بها خارج الحرم!!

(۲) لقد أنفوا منذ ذلک الیوم أن یأتوا بمناسک عرفة «۲» کما یفعل بقیة الناس فترکوا الوقوف بعرفة، و الافاضة منها مع أن آباءهم (من ولد إسماعیل) کانوا یقرّون أنها من المشاعر و الحج، و کانت هیبة قریش و عظمتها الظاهریة رهن- برمتها- بوجود الکعبة بین ظهرانیها، و بوظائف الحج و مناسکه هذه، اذ کان یجب علی الناس فی کل عام أن یأتوا إلی هذا الوادی الخالی عن الزرع و هذه

الصحراء اليابسة لأداء المناسك، إذ لو لم يكن فى هذه النقطة من الأرض أى مطاف أو مشعر لما رغب احد حتى فى العبور بها فضلا عن المكث فيها عدة ايام و ليال.

---

(۱) و كانت تسمّى عندهم «اللّقى».

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۹

لقد كان ظهور مثل هذا الفساد الاخلاقى و هذا الموقف المتعصّب من الآخرين أمرا لا بدّ منه بحسب المحاسبات الاجتماعية.

فالبيئة المكيّة لا بد أن تغرق فى الفساد و الانحراف حتى يتهيأ العالم لانقلاب أساسىّ و نهضة جذرية.

إن كل ذلك الانفلات الاخلاقى و الترف و الانحراف كان يهيء الارضية و يعدّها لظهور مصلح عالمى، أكثر فاكثر.

و لهذا لم يكن غريبا أن يغضب «أبو سفيان» فرعون مكة و طاغيتها على «ورقة بن نوفل» حكيم العرب الذى تنصر فى اخريات حياته و اطلع على ما فى الانجيل، كلما تحدّث عن اللّه و الأنبياء و يقول له: «لا حاجة الى مثل هذا الاله و هذا النبى، تكفينا عناية اصنامنا»!! (۱)

عبد اللّه والد النبىّ:

اشارة

يوم فدى «عبد المطلب» ولده «عبد اللّه» بمائة من الابل نحرها، و أطعم الناس فى سبيل اللّه، لم يكن يمض من عمر «عبد اللّه» اكثر من اربعة عشر ربيعا، و قد تسبّبت هذه الواقعة فى أن يكتسب «عبد اللّه» شهرة خاصة بين عشيرته مضافا الى شهرته الكبرى بين قريش، و أن يحظى بمكانة كبيرة عند أبيه:

«عبد المطلب» بنحو خاص، لأن ما يكلّف الانسان غاليا، و يتحمل فى سبيله عناء اكثر لا بدّ أن يحظى لديه بمكانة اكبر، و يحبّه محبة تفوق المتعارف.

و من هنا كان «عبد اللّه» يتمتع باحترام يفوق الوصف بين أبناء عشيرته و أفراد عائلته و أقربائه.

(۲) ثم إن «عبد اللّه» يوم كان يتوجه برفقة والده إلى المذبح كان يعانى من مشاعر و أحاسيس متناقضة و متضادة، فهو من جانب كان يكنّ لوالده احتراما كبيرا و حبا شديدا، و لهذا لم يكن يجد بدا من طاعته، و الانصياع لمطلبه، بينما كان من جانب آخر يعانى من قلق، و اضطراب شديدين على حياته التى كان يرى كيف تعبث بها يد القدر، و تكاد تقضى عليها كما يقضى الخريف على

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۰

أوراق الشجر.

(۱) كما أن «عبد المطلب» نفسه كان هو الآخر تتجاذبه قوتان متضادتان: قوة الايمان و العقيدة من جانب، و قوة العاطفة و المحبة الأبوية من جانب آخر، و قد أوجدت هذه الواقعة فى نفسى هاتين الشخصيتين آثارا مرّة يصعب زوالها، بيد أن تلك المشكلة حيث عولجت بالطريقة التى ذكرناها و نجا «عبد اللّه» من الموت المحقق فكر «عبد المطلب» فورا فى ان يغسل عن قلب «عبد اللّه» تلك المرارة القاسية بزواج «عبد اللّه» بآمنة، و بذلك يقوّى من عرى حياته التى بلغت درجة الانصرام، بأقوى السبل، و أمتن الوسائل.

و من هنا توجّه «عبد المطلب» الى بيت «وهب بن عبد مناف»- فور رجوعه من المذبح آخذا بيد ولده عبد اللّه- و عقد لولده على

«آمنة بنت وهب» التی کانت تعرف بالعفة، و الطهر، و النجابة، و الکمال.

کما أنه عقد لنفسه- فی ذات المجلس- علی «دلالة» ابنة عم آمنة، و رزق منها «حمزة» عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و المشابه له فی السن «۱».

(۲) غیر أن الاستاذ المؤرخ «عبد الوهاب النجار» المدرس بقسم التخصص فی الازهر الذی صحح «التاریخ الکامل» لابن الاثیر، و علّق علیه بملاحظات و هوامش مفیدة شککک فی صحة هذه الروایة، و استغربها، و قال: لا أظن أنه یصح شیء فی هذه الروایة، إذ المعقول أن یتریث «عبد المطلب» بعد ذلک المجهود المضنی حتی یریح نفسه ثم یذهب لیخطب لابنه «۲».

و لکنّنا نعتقد بأن المؤرخ المذکور لو نظر إلی المسألة من غیر هذه الزاویة لسهل علیه التصدیق بهذه الروایة.

ثم أن «عبد المطّلب» عیّن موعدا للزفاف، و عند حلول ذلک الموعد تمّت مراسم الزفاف فی بیت «آمنة» طبقا لما کان متعارفا علیه فی قریش، و لبث

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷ و المذکور فی هذا المصدر «هالة».

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴ قسم الهامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۱

«عبد اللّه» مع «آمنة» ردحا من الزمن حتی سافر الی الشام للتجارة، و عند عودته توفّی اثناء الطریق کما ستعرف.

(۱)

دور الأیادی المشبوهة فی تاریخ الإسلام:

لا شک أنّ التاریخ سجّل فی صفحاته کل ما یتعلق بالشعوب و الاقوام من نقاط مضیئة أو مظلمة، کقصص للعبرة و العظة.

و لکن الحب و البغض تارة و التساهل و البدعة تارة اخری وحب اظهار المقدرة و ابراز القوة الأدبیة تارة ثالثة و غیر ذلک من العوامل و الاسباب عملت عملها فتدخلت- فی جمیع الأدوار و العصور- فی صیاغة التاریخ، و خلطت الغث بالسمین و الحقیقة بالخرافة، و تلک هی مشکلة کبری تقع فی طریق المؤرخ الذی یرید عرض حوادث التاریخ فی أمانة و استقامة، و لذلک یجب علیه أن یمیز الحق عن الباطل، و الصدق عن الکذب من خلال الأخذ بالموازین العلمیة، و الممارسة الکاملة للتاریخ. و لقد کان للعوامل المذکورة تأثیر أیضا فی تدوین التاریخ الإسلامی، فالأیادی المریبة المشبوهة عملت علی تحریف الحقائق فی هذا المجال، بل و ربما عمد بعض الاصدقاء- بهدف تعظیم شأن النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله- الی نسبة بعض الامور التی یظهر علیها آثار الاختلاق و الافتعال إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو منها براء.

(۲) فقد جاء فی التاریخ أن نور النبوّة کان یسطع فی جبین «عبد اللّه» والد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله دائما «۱»، کما نقرأ أن «عبد المطلب» کان یأخذ بید ولده «عبد اللّه» فی سنین الجدب و القحط، و یصعد الجبل و یستسقی متوسّلا الی اللّه بالنور الذی کان بیّنا فی جبین «عبد اللّه» «۲» فهذا هو ما کتبه و سجّله کثیر من علماء الشیعة و السنة فی مؤلفاتهم، و نحن لا نملک أی دلیل علی عدم صحته.

و لکن هذه القصة وقعت أساسا لبعض الاساطیر التی لا یمکن ان نقبل بها مطلقا

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۹.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۲

و إلیک فیما یأتی ما الحق بهذه القضیة التاریخیة الثابتة.

(۱)

قصّة فاطمة الخثعمیّة:

اشارة

و «فاطمة» هذه هی أخت «ورقة بن نوفل» الذی کان من حکماء العرب و کهّانهم، و کان له معرفة کبیرة بالإنجیل. و قد ضبط التاریخ حدیثه مع خدیجة فی بدء بعثة الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سوف نشیر إلیه فی محله من هذا الکتاب.

و کانت «فاطمة» اخت «ورقة» قد سمعت من أخیها عن نبوة رجل من احفاد «اسماعیل»، و لهذا ظلّت تنتظر، و تبحث.

و ذات یوم و عند ما کان «عبد المطلب» متوجها الی بیت آمنة بنت وهب بعد قفوله و منصرفه من المذبح و هو آخذ بید «عبد اللّه»، شاهدت «فاطمة الخثعمیة»- التی کانت تقف علی مقربة من منزلها- النور الساطع من جبین «عبد اللّه»، و الذی کانت تنتظره مدة طویلة و تبحث عنه بشوق، فقالت: این تذهب یا عبد اللّه؟ لک مثل الإبل التی نحرت عنک، وقع علیّ الآن.

فقال: أنا مع أبی و لا استطیع خلافه و فراقه!! «۱».

ثم تزوج «عبد اللّه» بآمنة فی نفس ذلک الیوم، و قضی معها لیلة واحدة.

ثم فی الغد من ذلک الیوم أتی المرأة «الخثعمیة» التی عرضت نفسها علیه، و أبدی استعداده لتنفیذ رغبتها، و لکن «الخثعمیة» قالت له: لیس لی بک الیوم حاجة، فلقد فارقک النور الذی کان معک أمس!! «۲».

(۲) و قیل: إنه لمّا عرضت تلک المرأة «الخثعمیة» علی «عبد اللّه» ما عرضت أجابها «عبد اللّه» بالبداهة ببیتین من الشعر هما:

أمّا الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حل فاستبینه

فکیف بالأمر الذی تبغینهیحمی الکریم عرضه و دینه

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۵۶ النصّ و الهامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۳

و لکن لم تمر ثلاثة من زواجه بآمنة، و اقامته عندها حتی دعته نفسه إلی ان یأتی الخثعمیة، و عرض نفسه علیها قائلا: هل لک فیما کنت اردت؟ فقالت:

لقد رأیت فی وجهک نورا فاردت ان یکون لی فأبی اللّه الّا أن یجعله حیث اراد فما صنعت بعدی؟

قال: زوّجنی أبی «آمنة بنت وهب»!! «۱».

(۱)

علائم الاختلاق فی هذه القصة!

لقد غفل مختلق هذه القصة عن امور کثیرة عند صیاغته لها، و لم یستطع اخفاء آثار الاختلاق عنها.

فلو کان یکتفی بالقول- مثلا- بان «فاطمة» صادفت «عبد اللّه» ذات یوم فی زقاق من الأزقة، أو سوق من الاسواق، و شاهدت نور النبیّ

ساطعا من طلعته فكفرت فى الزواج به رغبة فى ذلك النور لكان من الممكن التصديق بهذه القصة، بيد أن نص القصة جاء بصورة لا يمكن القبول بها للأسباب التالية:

(۲) ۱- ان هذه القصة تفيد أنّ المرأة «الخثعمية» عند ما عرضت نفسها على «عبد اللّه»، كان يد «عبد اللّه» فى يد والده «عبد المطلب»، فكيف يمكن ان تعرض تلك الفتاة نفسها عليه و تبين مطلوبها له و يدور بينهما ما يدور، و لا يحس عليهما عبد المطلب؟!

ثم لم تستح من عظيم قريش «عبد المطلب» الذى لم يثنه عن طاعة اللّه تعالى شىء حتى مقتل ولده و ذبحه.

و لو قلنا أن مطلبها كان حلالا مشروعا فان ذلك لا ينسجم مع البيتين من الشعر اللّذين ردّ بهما «عبد اللّه» طلبها.

(۳) ۲- و الأصعب من ذلك قصة عبد اللّه نفسه. فان ولدا مثل «عبد اللّه» يحترم والده الى درجة الاستعداد لأن يذبح وفاء لنذر والده، كيف يمكن أن يتفوّه فى

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷، و الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۴

حضرة والده بما نقل عنه؟!

ترى أ يمكن لشاب نجا لتوّه من السيف و الذبح، و لا يزال يعانى من آثار الصدمة الروحية أن يستجيب لرغبات امرأة، أو يبدى استعداده و رضاه القلبىّ لذلك لو لا وجود والده معه؟!!

ترى هل كانت تلك المرأة جاهلة بالظروف، لا تقدّر الاحوال، و لا تعرف الوقت المناسب لطرح مطلبها، أو أنّ مختلق هذه القصة غفل عن نقاط الضعف البارزة هذه؟!!

(۱) ثم إن ممّا يفضح هذه القصة و يظهر بطلانها ما جاء فى الصورة الثانية لها، فان عبد اللّه- كما لا حظنا جابه طلب تلك المرأة ببيتين من الشعر و قال ما حاصله بأن الموت أسهل عليه من ارتكاب هذا الفعل الحرام الذى يأتى على دين الرجل و شرفه، فكيف يجوز لمثل هذا الشاب الطاهر الغيور أن يقع فريسة لتلك الأهواء، و الرغبات الرخيصة الفاسدة، و الحال انه لم ينقض من زواجه اكثر من ثلاث ليال، و تدفعه غريزته الجنسية إلى أن يبادر الى بيت المرأة الخثعمية.

إنّ ما جاء به «عبد اللّه» دعوة تلك المرأة، و ما جاء فى ذينك البيتين من الشعر اللذين يطفحان بالغيرة، و الإباء، لخير دليل على طهارة «عبد اللّه» و عفته، و تقواه، و ترفعه عن الآثام و الادران، و ابتعاده عن الانجاس و الادناس.

و قد علّق الاستاذ العلامة «النجار» على هذه الاسطورة بقوله: «ليس من المعقول أن يذهب عبد اللّه يبغى الزنا فى الساعة التى تزوج فيها، و دخل فيها على امرأته».

و لكن الاستاذ «النجار» أخطأ فى تشكيكه فى النور النبوىّ الساطع فى جبين «عبد اللّه» حيث قال معقبا على كلامه السابق: «و لكنها مسألة النور فى وجهه يريدون إثباتها و رسول اللّه غنى عن هذا كله» «۱».

فان ذلك ممّا رواه جميع المؤرخين بلا استثناء، فلا داعى و لا وجه للتشكيك فيه!

---

(۱) هامش الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۵

طهارة النبىّ من دنس الآباء و عهر الامهات:

و ینبغی هنا- و بالمناسبة- ان نشیر الی مسألة مهمة فی تاریخ النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله ألا و هی طهارة النسب النبوی من دنس الآباء و دناءتهم و عهر الامّهات و فسادهن فلا یکون فی اجداده وجدّاته سفاح، و زنا.

و هذا ممّا اتفق علیه المسلمون، بعد ان دلّ علیه العقل اذ لو لم یکن النبیّ منزها عن دناءة الآباء و عهر الامّهات لتنفر عنه الطباع و لم یرغب احد فی متابعته، و الانقیاد لاوامره و نواهیه.

و لقد صرح رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله بذلک فی احادیث رواها السنة و الشیعة.

فقد جاء عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«نقلت من الاصلاب الطاهرة الی الارحام الطاهرة نکاحا لا سفاحا» «۱».

و جاء أیضا انه صلّی اللّه علیه و آله قال:

«لم یزل اللّه ینقلنی من الأصلاب الحسیبة الی الأرحام الطاهرة» «۲».

و قال الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام:

«و أشهد انّ محمّدا عبده و رسوله و سیّد عباده کلما نسخ اللّه الخلق فرقتین جعله فی خیرهما لم یسهم فیه عاهر، و لا ضرب فیه فاجر» «۳»

و قال الإمام الصادق علیه السّلام فی هذا الصدد عند تفسیر قول اللّه تعالی:

«وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ»: «۴»

«فی أصلاب النبیّین، نبی بعد نبی، حتی اخرجه من صلب ابیه عن نکاح غیر سفاح من لدن آدم» «۵».

و قد صرح علماء الإسلام من الفریقین بهذا الأمر، و اشترطوه فی النبیّ.

---

(۱) کنز الفوائد: ج ۱ ص ۱۶۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴۳.

(۳) نهج البلاغة: الخطبة ۲۱۵ طبعة عبده.

(۴) الشعراء: ۲۱۹.

(۵) تفسیر مجمع البیان عند تفسیر الآیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۶

قال المحقق نصیر الدین الطوسی فی تجرید الاعتقاد: و یجب فی النبیّ العصمة ... و عدم السهو، و کل ما ینفّر عنه من دناءة الآباء و عهر الامّهات ... «۱».

و قد وافقه علی هذا العلامة القوشجی الاشعری فی شرح التجرید «۲».

و قال العلامة المتکلم المقداد السیوری فی اللوامع الالهیة: و یجب أن لا یکون مولودا من الزنا و لا فی آبائه دنیّ و لا عاهر «۳».

(۱)

وفاة عبد اللّه فی «یثرب»:

لقد بدأ «عبد اللّه» بالزواج فصلا جدیدا فی حیاته، و أضاء ربوعها بوجود شریکة للحیاة فی غایة العفة و الکمال هی زوجته الطاهرة «آمنة» و بعد مدة من هذا الزواج المبارک توجه فی رحلة تجاریة- و بصحبة قافلة- الی الشام بهدف التجارة.

دقت أجراس الرحیل، و تحرکت القافلة التجاریة و فیها عبد اللّه، و بدأت رحلتها من «مکة» صوب الشام، و هی مشدودة بمئات القلوب و الافئدة.

و کانت «آمنة» تمر فی هذه الایام بفترة الحمل، فقد حملت من زوجها «عبد اللّه».

و بعد مضیّ بضعة أشهر طلعت علی مشارف مکة بوادر القافلة التجاریة و هی عائدة من رحلتها، و خرج جمع کبیر من أهل مکة لاستقبال ذویهم المسافرین العائدین.

ها هو والد «عبد اللّه» ینتظر- فی المنتظرین- ابنه «عبد اللّه»، کما ان عیون عروسة ولده «آمنة» هی الاخری تدور هنا و هناک تتصفح الوجوه و تبحث عن زوجها الحبیب «عبد اللّه» فی شوق لا یوصف.

---

(۱) کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد: ص ۳۴۹ تحقیق الشیخ حسن زاده الآملی.

(۲) راجع: شرح القوشجی لتجرید الاعتقاد: ص ۳۵۹.

(۳) اللوامع الإلهیة: ص ۳۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۷

(۱) و لکن و مع الأسف لا یجدان أثرا من «عبد اللّه» بین رجال القافلة!!

و بعد التحقیق یتبین أن «عبد اللّه» قد تمرّض أثناء عودته فی یثرب، فتوقف هناک بین اخواله لکی یستریح قلیلا، فاذا تماثل للشفاء عاد إلی أهله فی «مکة».

و کان من الطبیعی أن یغتم هذان المنتظران «عبد المطلب و آمنة» لهذا النبأ، و تعلو وجهیهما آثار الحزن، و القلق و تنحدر من عیونهما دموع الأسی و الاسف.

فأمر «عبد المطّلب» اکبر ولده: «الحارث» إلی أن یتوجّه الی «یثرب»، و یصطحب معه «عبد اللّه» الی مکة.

و لکنه عند ما دخل یثرب عرف بأن أخاه: «عبد اللّه» قد توفی بعد مفارقة القافلة له بشهر واحد، فعاد الحارث الی مکة، فاخبر والده «عبد المطلب»، و کذا زوجته العزیزة «آمنة» بذلک، و لم یخلف «عبد اللّه» من المال سوی خمسة من الابل، و قطیع من الغنم، و جاریة تدعی «أم أیمن» صارت فیما بعد مربیة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «۱».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷ و ۸، و السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۹

(۱)

۵ مولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

اشارة

کانت سحب الجاهلیة الداکنة تغطّی سماء الجزیرة العربیة، و تمحی الاعمال القبیحة و الممارسات الظالمة، و الحروب الدامیة، و النهب و السلب، و وأد البنات، و قتل الاولاد، کل فضیلة أخلاقیة. فی البیئة العربیة و کان المجتمع العربیّ قد اصبح فی منحدر عجیب من الشقاء، لیس بینهم و بین الموت الّا غشاء رقیق و مسافة قصیرة!!

فی هذا الوقت بالذات طلع علیهم شمس السعادة و الحیاة فاضاءت محیط الجزیرة الغارق فی الظلام الدامس، و ذلک عند ما اشرقت

بیئة الحجاز بمولد النبیّ المبارک «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و بهذا تهیأت المقدمات اللازمة لنهضة قوم متخلف طال رزوحه تحت ظلام الجهل، و التخلف، و طالت معاناته لمرارة الشقاء. فانه لم یمض زمن طویل الّا و ملأ نور هذا الولید المبارک ارجاء العالم و اسس حضارة انسانیة عظمی فی کل المعمورة.

(۲)

فترة الطفولة فی حیاة العظماء:

ان جمیع الفصول فی حیاة العظماء جدیرة بالتأمل، و قمینة بالمطالعة، فربما تبلغ العظمة فی شخصیة احدهم من السعة، و السموّ بحیث تشمل جمیع فصول حیاته

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۰

بدء من الطفولة، بل و فترة الرضاع فتکون حیاته و شخصیته برمتها سلسلة متواصلة من حلقات العظمة.

إن جمیع الأدوار، و الفترات فی حیاة العظماء، و النوابغ و قادة المجتمعات البشریة، و روّاد الحضارات الانسانیة و بناتها تنطوی فی الأغلب علی نقاط مثیرة و حساسة و علی مواطن توجب الاعجاب.

إن صفحات تاریخهم و حیاتهم منذ اللحظة التی تنعقد فیها نطفهم فی أرحام الامهات، و حتی آخر لحظة من أعمارهم ملیئة بالاسرار، زاخرة بالعجائب.

فنحن کثیرا ما نقرأ عن اولئک العظماء فی أدوار طفولتهم أنها کانت تقارن سلسلة من الامور العجیبة، و المعجزة.

و لو سهل علینا التصدیق بهذا الأمر فی شأن الرجال العادیین من عظماء العالم لکان تصدیقنا بأمثالها فی شأن الأنبیاء و الرسل أسهل من ذلک بکثیر، و کثیر.

(۱) إن القرآن الکریم ذکر فترة الطفولة فی حیاة النبیّ موسی علیه السّلام فی صورة محفوفة بکثیر من الأسرار، فهو یقول ما خلاصته: ان مئات من الاطفال قتلوا و ذبحوا بامر من فرعون ذلک العصر منعا من ولادة موسی و نشوئه.

و لکن ارادة اللّه شاءت ان یولد الکلیم، و ظلت هذه المشیئة تحفظه من کید الکائدین و لهذا لم یعجز اعداؤه عن القضاء علیه او إلحاق الاذی به فحسب، بل تربی فی بیت فرعون أعدی اعدائه.

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد: «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَیْکَ مَرَّةً أُخْری. إِذْ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّکَ ما یُوحی أَنِ اقْذِفِیهِ فِی التَّابُوتِ فَاقْذِفِیهِ فِی الْیَمِّ فَلْیُلْقِهِ الْیَمُّ بِالسَّاحِلِ یَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّةً مِنِّی وَ لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی».

ثمّ یقول: «إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی مَنْ یَکْفُلُهُ فَرَجَعْناکَ إِلی أُمِّکَ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ» «۱».

---

(۱) طه: ۳۷- ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۱

(۱) ثمّ إن القرآن الکریم یذکر قصة ولادة المسیح، و یصور طفولته و نشأته بشکل أعجب اذ یقول:

«وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا. قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ لِأَهَبَ لَکِ غُلاماً زَکِیًّا. قالَتْ أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا. قالَ کَذلِکِ قالَ رَبُّکِ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آیَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ کانَ أَمْراً مَقْضِیًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا. فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلی جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ یا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هذا وَ کُنْتُ نَسْیاً مَنْسِیًّا. فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا. وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا. فَکُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً فَإِمَّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ

لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا. يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا. وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» «۱».

(۲) فإذا كان أتباع القرآن و التوراة و الانجيل يشهدون بصحة هذه المطالب حول ولادة هذين النبيين العظيمين من اولى العزم لموسى و عيسى عليهما السّلام، و يقرون بصدقها، فلا يصحّ فى هذه الصورة أن نستغرب وقوع أمثالها فى شأن رسول الإسلام، و نتعجب من الحوادث العجيبة التى سبقت أو رافقت ميلاده المبارك، و نعتبرها امورا سطحية لا تدل على شىء.

فنحن نقرأ فى الكتب التاريخية و فى كتب الحديث عن وقوع حوادث عجيبة

---

(۱) مريم: ۱۶- ۳۳.

يوم ولادة النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله مثل: ارتجاس إيوان كسرى، و سقوط اربع عشرة شرفة منه، و انخماد نار فارس التى كانت تعبد، و انجفاف بحيرة ساوة، و تساقط الاصنام المنصوبة فى الكعبة على وجوهها، و خروج نور معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أضاء مساحة واسعة من الجزيرة، و الرؤيا المخيفة التى رآها انوشيروان و مؤبدوه، و ولادة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مختونا مقطوع السرّة، و هو يقول: «اللّه اكبر، و الحمد للّه كثيرا، سبحان اللّه بكرة و أصيلا».

و قد وردت جميع هذه الامور فى المصادر التاريخية الأولى، و الجوامع الحديثية المعتبرة «۱».

(۱) و مع ملاحظة ما ورد فى حق موسى و عيسى و نقلنا بعضه هنا، لا يبقى أىّ مجال للشك فى صحة هذه الحوادث.

نعم ينبغى أن نسأل هنا: ما ذا كانت تهدف هذه الحوادث غير العادية؟

و فى الاجابة على هذا السؤال يجب ان نقول:

إن هذه الحوادث الخارقة و العجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

(۲) الأول- أن تدفع بالجبابرة، و الوثنيين و عبدة الاصنام إلى التفكير فيما هم فيه فيسألوا أنفسهم: لما ذا انطفأت نيرانهم التى طالما بقيت مشتعلة تحرسها اعيان السدنة و الكهنة؟

لما ذا سبّبت هزة خفيفة فى ارتجاس ايوان كسرى العظيم المحكم البنيان، و لم يحدث لبيت عجوز فى نفس ذلك البلد شىء؟

لما ذا تهاوت الاصنام المنصوبة فى الكعبة و حولها، و انكبت على وجوهها بينما بقيت غيرها من الاشياء على حالها لم يصبها شىء ابدا؟

لو كانوا يفكرون فى تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشّر بعصر جديد ... عصر انتهاء فترة الوثنية و زوال مظاهر السلطة الشيطانية

---

(۱) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۵، بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۴۸- ۳۳۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶۷- ۷۸ و غيرها.

و اندحارها؟

الثانى: ان هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، و انه ليس وليدا عاديا، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، و الوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء- كما عرفت- و

تخبر بها تواریخ الشعوب و الملل المسیحیة و الیهودیة.

(۱) و اساسا لا یلزم ان تکون تلک الحوادث سببا للعبرة و وسیلة للاتعاظ یوم وقوعها، بل یکفی ان تقع حادثة فی احدی السنین، ثم یعتبر بها الناس بعد أعوام عدیدة، و قد کانت حوادث المیلاد النبویّ من هذه المقولة، لأن الهدف منها کان هو ایجاد هزة فی ضمائر اولئک الناس الذین کانوا قد غرقوا فی اوحال الوثنیة، و الظلم، و الانحراف الاخلاقی حتی قمة رءوسهم، و عشعشت الجهالة و الغافلة فی اعماقهم حتی النخاع.

إن الذین عاشوا فی عصر الرسالة، أو من اتی من بعدهم عند ما یسمعون نداء رجل نهض- بکل قواه- ضدّ الوثنیة، و الظلم، ثم یطالعون سوابقه، و یلاحظون الی جانب ذلک ما وقع لیلة میلاده من الحوادث العظیمة التی تتلاءم مع دعوته، فانهم و لا شک سیعتبرون تقارن هذین النوعین من الحوادث دلیلا علی صحة دعواه، و صدق مقاله فیصدّقونه، و ینضوون تحت لوائه.

إن وقوع أمثال هذه الحوادث الخوارق عند میلاد الأنبیاء مثل «إبراهیم» و «موسی» و «المسیح» و «محمّد» صلّی اللّه علیه و علیهم اجمعین لا یقل اهمیة عن وقوعها فی عصر رسالتهم و نبوتهم، فهی جمیعا تنبع من اللطف الإلهی، و تتحقق لهدایة البشریة، و جذبها إلی دعوة سفرائه و رسله.

(۲)

فی أیّ یوم ولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟

لقد اتّفق عامّة کتّاب السیرة علی أن ولادة النبیّ الکریم کانت فی عام الفیل سنة ۵۷۰ میلادیة.

لأنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رحل الی ربه عام (۶۳۲) میلادیة عن (۶۲)

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۴

أو (۶۳) عاما، و علی هذا الأساس تکون ولادته المبارکة قد وقعت فی سنة (۵۷۰) میلادیة تقریبا.

کما أنّ اکثر المحدثین و المؤرخین یتفقون علی أنه صلّی اللّه علیه و آله ولد فی شهر ربیع الأول.

انما وقع الخلاف فی یوم میلاده، و المشهور بین محدثی الشیعة أنه کان یوم الجمعة السابع عشر من شهر ربیع الأول بعد طلوع الفجر.

و المشهور بین أهل السنة أنه صلّی اللّه علیه و آله ولد فی یوم الاثنین الثانی عشر من ذلک الشهر «۱».

(۱)

أیّ هذین القولین هو الصحیح؟

ان من المؤسف جدا أن یعانی التقویم الدقیق لمیلاد رسول الإسلام العظیم صلّی اللّه علیه و آله و وفاته بل مواالید و وفیات اکثر قادتنا و ائمتنا لمثل هذا الارتباک، و ان لا تکون اوقاتها و تواریخها محددة معلومة علی وجه التحقیق و الیقین!.

و لقد تسبب هذا الارتباک فی أن لا تستند اکثر احتفالاتنا و ماتمنا إلی تاریخ قطعی، فی حین نجد أن علماء الإسلام کانوا یهتمون- عادة- بتسجیل الوقائع التی حدثت علی مدار القرون الإسلامیة فی نظم خاص و عنایة کبیرة، و لکننا لا ندری ما الذی منع من تسجیل مواالید هذه الشخصیات العظیمة و وفیاتهم علی نحو دقیق، و صورة قطعیة؟!

علی أن مثل هذه المشکلة یمکن حلها بدرجة کبیرة بالرجوع إلی أهل البیت علیهم السّلام، فان ای مؤرخ لو أراد أن یکتب عن حیاة شخصیّة من الشخصیات و أراد أن یلمّ بکل تفاصیلها و دقائقها لم یسمح لنفسه بان یفعل ذلک من دون ان یراجع ابناء او اقرباء تلک الشخصیة التی یزمع ترجمتها و الکتابة عنها.

(۱) و قد ذکر المقریزی فی «الامتاع» ص ۳ جمیع الاقوال المذکورة فی یوم میلاد النبی و شهره و عامه، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۵

(۱) و لقد مضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خلّف من بعده ذریة و قربی و هم الذین یطلق علیهم اهل البیت.

و اهل بیته یقولون: لو کان صحیحا و حقا ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أبونا وجدنا، و قد نشأنا فی بیته و ترعرعنا فی حجره فاننا نقول انه قد ولد یوم کذا و توفی یوم کذا فهل یبقی بعد ذلک مجال لأن نتجاهل قولهم و رأیهم، و نختار ما یقوله الآخرون من الأبعدین، و قدیما قالوا: أهل البیت ادری بما فی البیت؟ «۱».

(۲)

فترة الحمل:

المعروف أن النور النبوی الشریف استقر فی رحم آمنة- الطاهر فی أیام التشریق و هی الیوم الحادی عشر و الثانی عشر و الثالث عشر من شهر ذی الحجة «۲»، و لکن هذا الأمر لا ینسجم مع الرأی المشهور بین عامة المؤرخین من کون ولادة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی شهر ربیع الأول، اذ فی هذه الصورة یجب ان نعتبر مدة حمل «آمنة» به صلّی اللّه علیه و آله إما ثلاثة أشهر و اما سنة و ثلاثة اشهر، و کلا الأمرین خارجان عن الموازین العادیة فی الحمل، کما أنه لم یعدّه احد من خصائص النبیّ صلّی اللّه علیه و آله «۳».

(۳) و لقد عالج المحقق الکبیر الشهید الثانی (۹۱۱- ۹۶۶ ه) هذا الإشکال بالنحو التالی إذ قال:

إن ذلک مبنیّ علی النسیء الذی کانوا یفعلونه فی الجاهلیة، و قد نهی اللّه تعالی عنه، و قال: «إنّما النسیء زیادة فی الکفر».

و توضیح هذا هو أن أبناء «إسماعیل» کانوا تبعا لاسلافهم یؤدون مناسک الحج فی شهر ذی الحجة، و لکنهم رأوا- فی ما بعد- أن یحجّوا فی کل شهر عامین

(۱) و من هنا لا بد من الاعتراف بان ما ینقله و یکتبه الامامیة من تفاصیل تتعلق بحیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی أقرب من غیرها الی الحقیقة لأنها مأخوذة عن اقربائه و ابنائه علیهم السّلام.

(۲) الکافی: ج ۱ ص ۴۳۹ أبواب التاریخ باب مولد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و وفاته.

(۳) قد ذکر الطریحی فقط فی مجمع البحرین فی مادة شرق قولا بهذا لم یسم قائله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۶

یعنی ان یحجوا فی ذی الحجة عامین و فی المحرم عامین و فی صفر عامین و هکذا.

و هذا یعنی أن الحج یعود کل اربعة و عشرین سنة فی موضعه الطبیعی (ای شهر ذی الحجة).

(۱) و قد جری العرب المشرکون علی هذه الطریقة حتی صادفت أیام الحج شهر ذی الحجة فی السنة العاشرة من الهجرة النبویة فحج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک السنة حجة الوداع، فنهی فی خطبة له عن هذه الفعلة (التی تسمی بالنسیء بمعنی تأخیر الحج عن موضعه و موعده) فقال: «ألا و إنّ الزّمان قد استدار کهیئته یوم خلق السّماوات و الأرض السّنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متوالیات: ذو القعدة و ذو الحجة، و محرّم، و رجب الذی بین جمادی و شعبان» «۱».

و قد أراد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک أن الأشهر الحرم رجعت الی مواضعها، و عاد الحج الی ذی الحجة و بطل النسیء.

و نزل فی هذه المناسبة قول اللّه تعالی: «إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ یُضَلُّ بِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا یُحِلُّونَهُ عاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً» «۲».

(۲) من هنا تنتقل أیام التشریق کل سنتین من مواضعها، علی ما عرفت، و حینئذ لا منافاة بین القول بأن نور النبیّ انتقل إلی رحم أمه

«آمنة بنت وهب» فی أیام التشریق، و بین ما اجمع علیه عامة المؤرخین من أنه ولد فی شهر ربیع الأول. و انما تکون المنافاة بین هذین الأمرین إذا کان المراد من أیام التشریق هو الیوم الحادی عشر، و الثانی عشر، و الثالث عشر من شهر ذی الحجة خاصة، و لکن قلنا أن ایام التشریق کانت تنتقل من شهر الی آخر باستمرار، فیلزم أن یکون عام حمل امّه به، و عام ولادته أیام الحج الواقعة فی شهر جمادی الاولی، و حیث أنه صلّی اللّه علیه و آله ولد فی شهر ربیع الأول فتکون مدة حمل «آمنة» به عشرة أشهر تقریبا.

---

(۱) مجمع البیان: ج ۵ ص ۲۹.

(۲) التوبة: ۳۷.

(۱)

مؤاخذات و إشکالات علی هذا البیان:

إن النتیجة التی توصّل إلیها المرحوم «الشهید الثانی» لیست صحیحة، کما أن المعنی الذی ذکره للنسیء لم یقل به من بین المفسرین إلا مجاهد، و اما الآخرون فقد فسّروه بنحو آخر فلا یکون التفسیر الذی مرّ قویا، و ذلک:

(۲) اوّلا- لأن «مکة» کانت مرکزا لجمیع الاجتماعات کما کانت معبدا للعرب جمیعا، و لا یخفی أنّ تغییر الحج فی کل سنتین مرة واحدة من شأنه أن بسبب الالتباس لدی الناس و یوقعهم فی الخطأ و الاشتباه، و بالتالی یتعرّض ذلک الاجتماع العظیم، و تلک العبادة الجماعیة الی خطر الزوال.

و لهذا یستبعد ان ترضی قریش و المکیّون بان یخضع ما هو وسیلة لعزتهم و افتخارهم للتغییر و التبدل الذی من عواقبه ان یتعرض وقته و موعده للنسیان، فیذهب ذلک الاجتماع، و یزول من الاساس.

(۳) ثانیا: إذا أخضعنا ما قاله «الشهید الثانی» لمحاسبة دقیقة فان کلامه یستلزم ان تکون ایام التشریق و الحج فی السنة التاسعة من الهجرة واقعة فی شهر ذی القعدة لا جمادی الاولی فی حین أن امیر المؤمنین علیّا علیه السّلام کلّف فی هذه السنة بالذات بأن یقرأ سورة البراءة علی المشرکین فی ایام الحج، و المفسرون و المحدثون متفقون علی أنه علیه السّلام تلاها علیهم فی العاشر من شهر ذی الحجة ثم امهلهم اربعة اشهر ابتداء من شهر ذی الحجة لا ذی القعدة «۱».

(۴) ثالثا: ان النسیء یعنی أنّ العرب حیث لم یکن لدیهم مصدر صحیح للرزق بل کانوا یعیشون فی الاغلب، علی النهب و الغارة لهذا کان من الصعب علیهم ترک الحرب، فی الاشهر الحرم الثلاث (و هی ذو القعدة و ذو الحجة، و المحرم) لهذا ربما طلبوا من سدنة الکعبة بأن یسمحوا لهم بالقتال فی شهر المحرم، ثم یترکون

---

(۱) و لقد قام العلامة المجلسی فی بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۵۳ بهذه المحاسبة، و ان لم یشر الی الإشکال الذی أوردناه فلیراجع.

الحرب فی شهر صفر، و هذا هو معنی النسیء فلم یکن نسیء و تأخیر للشهر الحرام فی غیر شهر محرّم، و فی الآیة نفسها اشارة الی هذا المطلب: «یحلّونه عاما و یحرّمونه عاما».

و الذی نراه فی حل هذه المشکلة هو: أن العرب کانوا یحجّون فی وقتین: أحدهما شهر ذی الحجة، و الثانی شهر رجب، و قد کانوا یؤدّون کل مناسک الحج فی هذین الوقتین علی السواء، فیمکن أن یکون المقصود من حمل «آمنة» برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ایام التشریق هو شهر رجب فإذا اعتبرنا یوم ولادته هو السابع عشر من شهر ربیع الاول کانت مدة حمل «آمنة» به ثمانیة أشهر و

ایاما.

الاحتفال بذکری المولد النبوی:

و ینبغی ان یحتفل المسلمون جمیعا بمولد النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و یقیموا المهرجانات الکبری فی هذه المناسبة الشریفة التی کانت مبدأ الخیر و البرکة، و منشأ السعادة و الکرامة للبشریة جمعاء، و أیة مناسبة احری بالاحتفال و الاحتفاء من هذه المناسبة؟

علی ان اقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تکریم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو أمر مطلوب و محبوب فی الشریعة المقدسة.

فقد قال اللّه تعالی:

«فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۱».

و عزّر بمعنی کرّم و بجّل کما فی اللغة «۲» و هو لا یختص بزمان دون زمان، فعلی المسلمین فی کل وقت و زمان ان یعظّموا شأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و یکرّمونه، سواء فی حیاته أو بعد مماته، لما له من فضل عظیم علی الناس، و لما

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷.

(۲) راجع مفردات الراغب: مادّة عزر.

له من منزلة عند اللّه تعالی.

کیف لا و الاحتفال بمیلاده لا یعنی سوی ذکر أخلاقه العظیمة، و سجایاه النبیلة، و الاشادة بشرفه و فضله و هی امور مدحه القرآن الکریم بها اذ قال سبحانه: «وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ» «۱» و قال تعالی أیضا: «وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ» «۲» و غیر ذلک من الآیات المادحة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فان الاحتفال بمیلاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی یتحقق بذکر صفاته و أخلاقه و الاشادة به خیر مصداق لرفع ذکره، الذی فعله اللّه بنحو ما.

و لو کان رفع ذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، أمرا غیر جائز و لا صحیح، بل فعلا قبیحا لما فعله اللّه، فیکفی فی حسنه و صحته بل و مشروعیته و مطلوبیته ان اللّه تعالی فعله بالنسبة لنبیه صلّی اللّه علیه و آله.

و هل یکون الاحتفال بمولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و اظهار السرور و الشکر للّه تعالی بمقدم نبیه المبارک عبادة للنبیّ کما یزعم البعض اذ یقول:

«الذکریات التی ملأت البلاد باسم الاولیاء هی نوع من العبادة لهم و تعظیمهم» «۳».

و الحال ان العبادة فی مفهومها الاصطلاحی الموجب للشرک و الکفر لیس إلّا الخضوع لمن یعتقد بالوهیته و تعظیمه بهذه النیة «۴» و این هذا من ذکر فضائل النبی فی یوم مولده و الابتهاج بمقدمه و الشکر للّه علی ولادته.

ثم ان تعظیم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ینطلق من کونه عبدا مطیعا للّه تعالی، ادی رسالته بصدق و اخلاص، و جسّد بسلوکه و سیرته کل مکارم الاخلاق أصدق تجسید فالاحتفال بمولده الکریم احتفال بالقیم السامیة، و شکر للّه علی منّه، و اظهار للحب الکامن فی النفوس لیس إلّا.

و الزعم بانه محرّم لکونه بدعة، او لأنه لا یخلو عن اشتماله علی منکرات

(۱) القلم: ۴.

(۲) الانشراح: ۴.

(۳) فتح المجید: ص ۱۵۴، ثمّ نقل عن کتاب قرّة العیون ما یشابه هذا المضمون.

(۴) راجع مفاهیم القرآن فی معالم التوحید: ص ۴۰۴- ۴۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۰

و محرمات کالرقص و الغناء فهو مرفوض، مردود لان الکلام انما هو حول اصل الاحتفال مجردا عن المحرمات و المنکرات.

ان الاحتفاء و الاحتفال بمولد خاتم النبیین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انما هو تکریم لمن کرّمه اللّه تعالی، و امر بتکریمه، و حث علی احترامه و حبه، و مودته، و انه بالتالی اداء شکر للّه تعالی علی تلک الموهبة العظیمة، و تلک العطیّة المبارکة حیث منّ سبحانه علی البشریة عامة و علی المسلمین خاصة بأن شرف الارض بمولود عظیم نعمت الارض ببرکة شخصیته و خلقه، و اشرقت بنور رسالته و دعوته، فایة نعمة تری اولی بالشکر من هذه، و أی شکر اجمل و افضل من الاحتفاء بمولد هذا النبیّ العظیم صلّی اللّه علیه و آله، و ذکر فضائله، و مناقبه، للتعرف علیها، و الاقتداء بها، و تشدید الحب له بسببها، و الابتهال الی اللّه فی یوم میلاده، و طلب التوفیق الالهی لمتابعته، و السیر علی نهجه، و الدفاع عن رسالته، و الذبّ دون دینه، بعد الشکر للّه تعالی علی موهبته هذه؟؟

هذا و لقد درج المسلمون فی العصور الإسلامیة الاولی علی الاحتفال بذکری المولد النبویّ و أنشئوا القصائد الرائعة فی مدحه، و ذکر خصاله و مکارم اخلاقه، و اظهروا السرور بمولده و الشکر للّه تعالی بلطفه، و تفضله به صلّی اللّه علیه و آله علی البشریة.

قال الإمام الدیار بکری فی تاریخ الخمیس فی هذا الصدد:

لا یزال أهل الإسلام یحتفلون بشهر مولده علیه السّلام و یعملون الولائم، و یتصدقون فی لیالیه بانواع الصدقات و یظهرون السرور، و یزیدون فی المبرات و یعتنون بقراءة مولده الکریم، و یظهر علیهم من برکاته کل فضل عمیم «۱».

أجل ینبغی علی المسلمین ان یحتفلوا بمقدم نبیهم الکریم و لا یعبئوا بما قاله البعض حیث قال: «الذکریات التی ملأت البلاد باسم الاولیاء هی نوع من

---

(۱) تاریخ الخمیس فی أحوال أنفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۳ نقلا عن المواهب اللدنیة: ج ۱ ص ۲۷ للقسطلانی. سید المرسلین ج۱ ۲۱۱ الاحتفال بذکری المولد النبوی: ..... ص : ۲۰۸

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۱

العبادة لهم و تعظیمهم» «۱».

فهذا القول مغالطة صریحة، ان لم یکن نابعا عن الغافلة و الجهل بعد ان تبین حقیقة الاحتفال و اقامة الذکریات احتفاء بالمولد النبویّ «۲».

(۱)

مراسم تسمیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

حلّ الیوم السابع من المیلاد المبارک، فعقّ عبد المطلب عن النبیّ بکبش شکرا للّه تعالی و دعا جماعة لیشترکوا فی الاحتفال الذی حضره عامة قریش لتسمیة النبیّ، و سمّاه «محمّدا»، و عند ما سألوه عما حمله علی أن یسمی هذا الولید المبارک «محمّدا» و هو اسم لم یعرفه العرب إلا نادرا أجاب قائلا: أردت أن یحمد فی السماء و الأرض «۳».

و الی ذلک یشیر حسان بن ثابت بقوله:

فشقّ له من اسمه ليجلّهفذو العرش محمود و هذا محمّد «۴» و من المسلّم أن هذا الاختيار لم يكن ليتم من دون دخالة للإلهام الالهى، لأن اسم «محمّد» و إن كان موجودا عند العرب إلّا أنه قلّ من كان قد تسمى بهذا الاسم، فحسب ما استقصاه بعض المؤرخين لم يتسم به الى ذلك اليوم من العرب إلّا ستة عشر شخصا كما يقول شاعرهم:

إن الذين سموا باسم محمدمن قبل خير الخلق ضعف ثمان «۵» و لا يخفى أن ندرة المصاديق لأى لفظ من الالفاظ أو اسم من الأسماء من شأنها أن تقلّل فرص الاشتباه فيه، و حيث أن الكتب السماوية كانت قد أخبرت عن اسم النبى الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و صفاته، و علائمه الروحية و الجسمية، لذلك يجب أن تكون علائمه صلّى اللّه عليه و آله واضحة جدا جدا

---

(۱) هوامش الفتح المجيد.

(۲) راجع للتوسّع: معالم التوحيد فى القرآن الكريم.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۲۰، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۵) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸۲ ثمّ يذكر صاحب السيرة اولئك الأشخاص فى بيتين آخرين.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۲

حتى لا يتطرق إليها التباس أو اشتباه، و قد كان من علائمه صلّى اللّه عليه و آله اسمه الشريف، فيجب أن تكون مصاديقها قليلة جدا حتى يزيل ذلك أى عروض للشك و الترديد فى تشخيص النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله خاصة إذا ضمّت إليه بقية أوصافه و علائمه، و خصوصياته.

(۱)

خطأ المستشرقين:

لقد ذكر القرآن الكريم اسمين او عدة أسماء للنبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله.

ففى سورة آل عمران و محمّد و الأحزاب و الفتح فى الآيات ۱۴۴ و ۲ و ۴۰ و ۲۹ «۱» سماه «محمّدا» «۲».

و فى سورة الصف الآية ۶ «۳» دعاه «أحمد».

و العلة فى تسميته بهذين الاسمين أن امّه «آمنة» سمّته «أحمدا» قبل أن يسميه جده، كما هو مذكور فى التاريخ.

و على هذا فان ما ذكره بعض المستشرقين- فى معرض الاعتراض- بأن الإنجيل- حسب تصريح القرآن الكريم فى سورة الصف الآية ۶- بشّر بنبى اسمه «أحمد» لا «محمّد» كلام لا اساس له و لا مبرر، لأن القرآن الكريم الذى سمى نبيّنا ب: «أحمد» سماه فى عدة مواضع ب: «محمّد» فإذا كان المصدر فى تعيين اسم النبى هو: القرآن الكريم، فان القرآن سمّاه بكلا الاسمين، فى موضع باسم

---

(۱) يعتقد البعض أنّ هذا ليس اسما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله بل هو من الحروف المقطعة فى القرآن.

(۲) قال تعالى: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

و قال تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ».

و قال سبحانه: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ».

و قال عزّ و جلّ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ».

(۳) اذ قال سبحانه: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ».

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۳

«محمّد»، و فی موضع آخر باسم «احمد».

(۱)

«أحمد» کان من أسماء النبیّ المشهورة:

کلّ من کان له ادنی إلمام بتاریخ النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علم أنه صلّی اللّه علیه و آله کان یدعی باسمین فی الناس منذ صغره أحدهما:

«محمّد» الذی سمّاه به جده «عبد المطلب»، و الآخر «أحمد» الذی سمته به أمه «آمنة».

و هذه حقیقة من حقائق التاریخ الإسلامی، و قد روی المؤرخون هذا الأمر، و یمکن للقارئ الکریم أن یقرأه فی السیرة الحلبیة «۱».

و لقد أنشأ عمّه «أبو طالب»- الذی انیطت إلیه کفالته بعد وفاة عبد المطلب، فبقی یقوم بهذه المهمة طوال اثنین و أربعین عاما بکل حرص و رغبة، و لم یمتنع فی هذا السبیل عن بذل کل ما استطاع من غال و رخیص أنشأ فی ابن أخیه أبیاتا سمّاه فی بعضها «محمّد» و فی بعضها الآخر «أحمد»، و هذا یکشف عن انه صلّی اللّه علیه و آله کان معروفا آنذاک بکلا الاسمین.

(۲) و إلیک فیما یأتی بعض هذه الأبیات التی سمی فیها «أبو طالب» النبی باسم احمد:

۱-

إن یکن ما أتی به أحمد الیومسناء و کان فی الحشر دینا ۲-

و قوله لأحمد أنت امرؤخلوف الحدیث ضعیف النسب ۳-

و إن کان أحمد قد جاءهمبحق و لم یأتهم بالکذب ۴-

أرادوا قتل أحمد ظالموهو لیس بقتلهم فیهم زعیم ۵-

ألا إنّ خیر الناس نفسا و والداإذا عدّ سادات البریة أحمد ۶-

فلسنا و بیت اللّه نسلم أحمدالعزّاء من عض الزمان و لا کرب «۲» و قد سمی «أبو طالب» النبی صلّی اللّه علیه و آله فی أبیات اخری بأحمد

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۲ و ۸۳.

(۲) دیوان أبی طالب علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۴

أیضا قد ذکرها کبار المحققین من المؤرخین و المحدثین و نسبوها الی أبی طالب و لکنها غیر موجودة فی دیوانه «۱».

کما و أنه قد سمّاه غیر ابی طالب فی أبیاته بأحمد ممّا یدل علی أنه کان مشتهرا بهذا الاسم فی ذلک الزمان، و تلک الابیات کثیرة تفوق حدّ الحصر و الاحصاء لکنّنا ننقل نماذج منها هنا:

قال حسان بن ثابت فی رثائه للنبی صلّی اللّه علیه و آله:

مفجعة قد شفّها فقد أحمدفظلّت لآلاء الرسول تعدّد

أطالت وقوفا تذرف العین جهدهاعلی طلل القبر الذی فیه أحمد «۲» و قال فی رثائه أیضا:

صلّی الا له و من یحیق بعرشهو الطّیبون علی المبارک احمد «۳» و قال فی رثاء جعفر بن أبی طالب الطیّار:

فمن کان أو یکون کأحمدنظام الحق او نکال لملحد «۴»

و قال حسّان و هو یذکر معجزة من معاجز النبی صلّی اللّه علیه و آله:

ففی کفّ أحمد قد سبّحت‌عیون من الماء یوم الظمأ «۵» و قال کعب بن مالک:

فهذا نبیّ اللّه أحمد سبّحت‌صغار الحصی فی کفّه بالترنّم «۶» و قال «ورقة بن نوفل» یوم أخبرته خدیجة بنزول الوحی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله:

---

(۱) مثل قوله:

لعمری لقد کلفت وجدا بأحمدو أحببته حب الحبیب المواصل

زعمت قریش أن أحمد ساحرکذبت و ربّ الراقصات إلی الحرم راجع دیوان أبی طالب، و سیرة ابن هشام: ج ۱ ص ۲۷۲، و شرح النهج لابن ابی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۹ و غیرها.

(۲) ابن هشام فی سیرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فی طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۳) ابن هشام فی سیرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فی طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۴) شاعر عهد الرسالة: تحقیق محمّد عزت نصر اللّه.

(۵) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

(۶) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۵ فإن یک حقا یا خدیجة فاعلمی‌حدیثک إیانا فاحمد مرسل «۱» و قالت عاتکة بنت عبد المطلب ترثی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

یا عین جودی ما بقیت بعبرةسحّا علی خیر البریة أحمد «۲» و قال العباس فی مناسبة تزویج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بخدیجة:

أحمد سیّد الوری‌خیر ماش و راکب «۳»

(۱)

فترة الرّضاع فی حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله:

لم یرتضع ولید قریش المبارک «محمّد» من امّه سوی ثلاثة أیام، ثم حظیت بفخر إرضاعه- بعد ذلک- امرأتان هما:

(۲) ۱- «ثویبة» مولاة «أبی لهب»، و قد أرضعته أربعة أشهر فقط، و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله و زوجته الوفیة: «خدیجة بنت خویلد» یقدّران هذا العمل لها حتی آخر لحظات حیاتها «۴».

و «ثویبة» هذه کانت قد أرضعت قبل ذلک «حمزة» عم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و «أبا سلمة بن عبد اللّه المخزومی» أیضا فکانوا إخوة من الرضاعة «۵».

و قد بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد مبعثه، من یشتریها من «أبی لهب» لیعتقها فابی «۶».

و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یکرمها کلما دخلت علیه، و کان یبعث إلیها بالصّلة إلی أن بلغه خبر وفاتها عند منصرفه من وقعة «خیبر» فسأل عن ابنها فقیل: مات قبلها، فسأل عن قرابتها، فقیل: لم یبق منهم أحد «۷».

(۳) ۲- «حلیمة السعدیة» بنت ابی ذؤیب التی کانت من قبیلة سعد بن بکر بن هوازن، و کان أولادها عبارة عن: «عبد اللّه»، «أنیسة»، «شیماء»، و قد

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۵.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۳۲۶.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۷۲.

(۴) تاریخ الخمیس فی احوال انفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۲.

(۵) السیرة النبویة: ج ۳ ص ۹۶.

(۶) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۷۱.

(۷) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۲۵ نقلا عن سیرة مغلطای و غیره.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۶

قامت آخر أولادها و هی «الشیماء» بحضانة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا:

و قد کان من عادة العرب یومذاک هو أن یدفعوا أولادهم الرضعاء إلی المراضع اللائی کنّ یعشن فی البوادی لینشئوا فی تلک البیئات المعروفة بطیب هوائها، و قلة رطوبتها، و عذوبة مائها ببنیة قویة، هذا مضافا إلی صیانتهم عن خطر الوباء الذی کان یهدد الأطفال فی «مکة»، و لأن ذلک کان له مدخل عظیم، و تأثیر بلیغ فی فصاحة المولود لسلامة لغة أهل القبائل الساکنة فی البوادی آنذاک.

(۱) و کانت مراضع بنی سعد من المشهورات بهذا الأمر بین العرب، فقد کانت نساء هذه القبیلة التی کانت تسکن حوالی «مکة» و نواحی الحرم یأتین «مکة» فی کل عام فی موسم خاص یلتمسن الرضعاء و یذهبن بهم إلی بلادهنّ حتی تتم الرضاعة.

و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله قد تجاوز شهره الرابع لما قدمت نساء من بنی سعد «مکة» یلتمسن الرضعاء فی سنة جدب و قحط، و لهذا کنّ بحاجة شدیدة إلی مساعدة أشراف «مکة» و اعیانها.

(۲) و یقول بعض المؤرخین: أنه لم تقبل أیّة واحدة من تلک المراضع أن تأخذ «محمّدا» بسبب یتمه، و قد کان اغلبهن یردن أن تأخذن من یکون له أب حیّ حتی یغدق علیهنّ بالمساعدات و الصّلات، و حتی «حلیمة» هی الاخری أبت أخذه، و لکنّها أیضا لم تحصل علی طفل لهزال جسمها، فاضطرت الی أن تأخذ حفید «عبد المطلب» و قالت لزوجها: و اللّه لأذهبنّ الی ذلک الیتیم فلآخذنّه، فقال لها زوجها: لا علیک ان تفعلی، عسی اللّه ان یجعل لنا فیه برکة.

و لقد اصاب الزوجان فی ظنّهما هذا، فمنذ أن أبدت «حلیمة» استعدادها لخدمة ذلک الیتیم شملت الالطاف الالهیة کل مجالات حیاتها. «۱»

(۳) إن القسم الأول من هذه القصة لیس سوی اسطورة، لأن مکانة البیت

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۶۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۷

الهاشمی الرفیعة، و شخصیة رجل عرف بکمال الجود و الاحسان، و بعون المحتاجین و المحرومین کانت سببا فی أن لا- تعرض المرضعات عن اخذ «محمّد» فحسب، بل یتنازعن علی اخذه و لهذا لا یکون هذا القسم من التاریخ سوی اسطورة تکذبها الحقائق.

و اما علة عدم اعطاءه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الی غیر «حلیمة» من المرضعات فهی: أن ولید قریش لم یقبل أیّ ثدی من أثداء تلکم المرضعات، و لم یزل کذلک حتی قبل ثدی «حلیمة السعدیة»، فسرّ بذلک «عبد المطلب» و أهله سرورا عظیما، بعد أن حزنهم امتناعه عنهنّ قبل ذلک «۱».

قالت «حلیمة»: استقبلنی عبد المطلب فقال: من أنت، فقلت: أنا امرأة من بنی سعد، قال: ما اسمک؟ قلت: حلیمة، فتبسّم «عبد المطلب» و قال: بخ بخ سعد و حلم، خصلتان فیهما خیر الدهر، و عز الأبد «۲».

نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع:

و هنا ینبغی بالمناسبة أن نشیر الی نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع فی شخصیّة الإنسان.

فقد سبق الإسلام العلم الحدیث فی الکشف عن آثار اللبن فی تکوین الإنسان الخلقی و النفسیّ و العضوی سلبا و إیجابا.

و لهذا حثّ الإسلام علی استرضاع الام، کما حث علی اختیار المرضعات الصالحات و نهی عن استرضاع الیهودیة و المجوسیة و النصرانیة و المجنونة منعا من انتقال طباعهن إلی الطفل عن طریق الولید.

و استکمالا لهذا البحث نورد جملة من الأحادیث التی تصرح بهذه الحقیقة العلمیة الهامة:

۱- قال امیر المؤمنین علی علیه السّلام:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۲ و ۳۴۳.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۸

«تخیّروا للرضاع کما تخیّرون للنّکاح فان الرّضاع یغیّر الطباع» «۱».

۲- و عنه علیه السّلام أیضا:

«انظروا من یرضع أولادکم فإن الولد یشبّ علیه» «۲».

۳- عن الإمام ابی جعفر الباقر علیه السّلام انه قال:

«لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن یعدی، و إن الغلام ینزع إلی اللبن ...» «۳».

۴- و عنه علیه السّلام أیضا:

«استرضع لولدک بلبن الحسان و إیّاک و القباح فإنّ اللبن قد یعدی» «۴».

۵- و عن علی علیه السّلام انه قال:

«ما من لبن یرضع به الصبیّ أعظم برکة علیه من لبن امّه» «۵».

---

(۱) قرب الأسناد: ص ۴۵.

(۲) فروع الکافی: ج ۲ ص ۹۳.

(۳) وسائل الشیعة: ج ۱۵ ص ۱۸۸.

(۴) التهذیب: ج ۲ ص ۲۸۰.

(۵) روضة المتّقین: ج ۸ ص ۵۵۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۹

(۱)

۶ فترة الطفولة فی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله

اشارة

إن صفحات التاريخ تشهد بأن حياة رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بداية طفولته و أوان صباه و إلى يوم بعثه بالرسالة كانت مشحونة بسلسلة من الحوادث العجيبة التى تعدّ بأجمعها من كراماته صلّى اللّه عليه و آله و تدل على أن حياة النبىّ لم تكن حياة عادية.

(۲) و ينقسم المؤلفون فى تفسير هذه الحوادث الى طائفتين:

(۳)

۱- الماديّون، و جماعة من المستشرقين:

فان العلماء الماديين الذين يحصرون الوجود فى نطاق المادة، و يعتبرون جميع الظواهر ظواهر مادية، و ينحتون لكل واحدة منها علة طبيعية، لا يهتمون بهذه الحوادث و لا يعيرونها أية أهمية، لامتناع و استحالة وقوع أمثال هذه الظواهر حسب النظرة المادية، و لهذا فكل ما يصادفونه فى ثنايا التاريخ من هذا الباب يعتبرونه من ولائد الخيال، و ممّا نسجته اوهام التابعين لذلك الدين، او الطريقة.

و قد تبعهم فى هذا الموقف جماعة من المستشرقين فرغم انهم يعتبرون انفسهم- حسب الظاهر- فى عداد الموحّدين، و المؤمنين باللّه، و بما بعد الطبيعة من عوالم الغيب، إلّا أنهم- لضعف إيمانهم و بسبب غرورهم العلمى، و غلبة النزعة المادية على أفكارهم و أذهانهم- اتبعوا- لدى تحليلهم لهذه الحوادث- المنهج المادىّ، فنحن

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۰

نقرأ فى كتاباتهم مرارا و تكرارا زعمهم بان النبوة ما هى إلّا نبوغ بشرىّ، و أن النبىّ مجرد نابغة اجتماعية استطاع تغيير مسار الحياة البشرية بافكاره النيّرة!!

(۱) و لا شك أن مثل هذا التصوّر ينبع من طريقة التفكير المادى الذى يعتبر جميع الأديان من ولائد الفكر البشرى و افرازات الذهن الانسانى، فى حين ان علماء العقيدة اثبتوا فى: مباحث «النبوّة العامة» انّ النبوة عطية إلهية، و موهبة ربّانية هى فى الحقيقة منشأ جميع الالهامات و الارتباطات المعنوية، و مصدر لمناهج الأنبياء و برامجهم، ليست أبدا وليدة نبوغهم الإنسانى، و لا نسيجة فكرهم البشرى، و ليس لها مصدر إلّا الإلهام من الغيب، و لكن عند ما ينظر المستشرق المسيحى الى هذه القضايا من زاوية الفكر المادى و يريد تفسير جميع هذه الظواهر بالاسس العلمية التى كشف عنها التجربة ينتقد مثل هذه الحوادث ذات الطابع الاعجازى، و ربما انكرها من الاساس.

(۲) ۲- المؤمنون باللّه: الذين يعتقدون بأن العالم المادى بجميع خصوصياته و خواصه يخضع لتدبير عالم آخر، و أن ذلك العالم (اى عالم التجرد و ما وراء الطبيعة) هو المنظم لهذه الطبيعة، و هو المدبر لهذا الكون المادى.

و بعبارة اخرى إن عالم المادة ليس عالما مستقيا، مستقلا عن غيره، و ان جميع الانظمة و القوانين الطبيعية و العلمية مسبّبة عن تأثيرات موجودات عليا، و بخاصة ناشئة عن إرادة اللّه الخالق، الذى اعطى للمادة وجودها، و أوجد القوانين و العلاقات الصحيحة بين أجزائها، و بنى بقاءها على سلسلة من النواميس الطبيعية.

إنّ هذا الفريق من الناس مع احترامهم للقوانين العلمية، و اذعانهم الصادق بما قاله العلماء فى صعيد العلاقات، و الروابط القائمة بين القوانين ممّا أثبته العلم و أكّده، يعتقدون بأن مثل هذه القوانين الطبيعية ليست امورا لا تقبل التغيير، و التبدل.

فهم يعتقدون بأن العالم الاعلى يمكنه- إذا أراد- أن يغيّر تلك القوانين لغايات خاصة، و ليس فى مقدوره ذلك فقط، بل فعل ذلك فى جملة من الموارد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۱

لأهداف عليا.

(۱) و بعبارة اخری: إنّ الافعال الخارقة للعادة ليست ظواهر عارية عن العلل، بل إنّ علتها غير طبيعيّة، و افتقاد العلة الطبيعية (و خاصة العلة الطبيعية غير المعروفة) ليس دليلا على افتقاد مطلق العلة.

و الخلاصة؛ إن قوانين الخلقة ليست بحيث لا يمكن تبدّلها، و تغيّرها بارادة بارئها و خالقها.

إنهم يقولون: إنّ جميع خوارق العادة، و جميع أفعال الأنبياء العجيبة التى تتصف بصفة الاعجاز، و الخارجة عن اطار القوانين الطبيعية، تتحقق من هذه الزاوية.

إنّ هذا الفريق من الناس لا يسمحون لأنفسهم بان يرفضوا الأعمال الخارقة للعادة، و الكرامات التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم، و الأحاديث، أو وردت فى المصادر التاريخية الصحيحة المعتبرة، أو يشكّوا فيها بحجة أنها لا توافق الموازين الطبيعية، و القوانين العلمية.

(۲) و ها نحن نشير إلى قضيتين عجيبتين وقعتا فى فترة الطفولة من حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مع اخذ ما قلناه بنظر الاعتبار لا يبقى أى مجال للترديد، أو الاستبعاد:

(۳) ۱- لقد نقل المؤرخون عن «حليمة السعدية» قولها بأنها لمّا تكفّلت إرضاع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أرادت أن ترضعه فى محضر امّها، ففتحت جيبها و أخرجت ثديها الايسر، و أخذت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فوضعته فى حجرها، و وضعت ثديها فى فمه، فترك النبى صلّى اللّه عليه و آله ثديها، و مال إلى ثديها الأيمن، فاخذت «حليمة» ثديها الأيمن من يد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وضعت ثديها الأيسر فى فمه و ذلك أنّ ثديها الأيمن كان جهاما (أى خاليا من اللبن و لم يكن يدرّ به)، و خافت «حليمة» أن النبى صلّى اللّه عليه و آله اذا مصّ الثدى و لم يجد فيه شيئا لا يأخذ- بعده- الأيسر. و لكن النبىّ أصرّ على أخذ الثدى الأيمن، فلمّا مصّ صلّى اللّه عليه و آله الأيمن امتلأ فانفتح حتى ملأ شدقيه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۲

فادهش الجميع ذلك «۱».

(۱) ۲- و تقول «حليمة» أيضا: إن البوادى أجدبت و حملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكة مع نساء بنى سعد فأخذت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعرفنا به البركة و الزيادة فى معاشنا و رياشنا حتى أثرينا، و كثرت مواشينا، و أموالنا «۲».

إنّ من المسلم أنّ حكم الماديين، او من يحذو حذوهم و يتبع منهجهم فى هذه المسائل يختلف عن حكم المؤمنين باللّه.

فان أتباع المنهج المادى اذ عجزوا عن تفسير هذا النوع من القضايا من زاوية العلوم الطبيعية، نجدهم يبادرون الى اعتبار هذه الحوادث من نسج الخيال، و من ولائد الاوهام، و اما اذا كانوا اكثر تأدبا لقالوا: إن رسول الإسلام ليس بحاجة إلى أمثال هذه المعاجز.

و نحن نقول: لا نقاش فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله غنى عن هذه المعاجز إلّا أن عدم الحاجة شىء، و الحكم بصحة هذه الامور او بطلانها شىء آخر.

و أما المؤمن باللّه الذى يردّ النظام الطبيعى، إلى مشيئة اللّه خالق الكون و ارادته العليا، و يعتقد بأن كل الحركات و الظواهر فى العالم الطبيعى من اصغر اجزائه (الذرة) الى اكبر موجوداته (المجرة) يجرى تحت تدبيره، و نظارته، فانه بعد التحقق من مصادر هذه الحوادث و التأكد من وقوعها ينظر إليها بنظر الاحترام، و أمّا إذا لم يطمئن إليها لم يرفضها رفضا قاطعا.

(۲) و لقد ورد فى القرآن الكريم نظائر عديدة لهذه القصة حول «مريم» أمّ عيسى فالقرآن يخبرنا عن تساقط الرطب الجنىّ من جذع النخلة اليابسة كرامة لوالدة المسيح عند ما لجأت إليه مريم عند المخاض إذ يقول:

«... أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَ هُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا» «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۵ و ۳۴۶.

(۲) المناقب لابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۲۴.

(۳) مریم: ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۳

إنه و ان کان الفرق بین «مریم» و «حلیمة» شاسعا و کبیرا من حیث الملکات الفاضلة و المکانة، و المنزلة، إلّا أن منزلة «مریم» علیها السّلام لو استوجبت مثل هذا اللطف الالهی، ففی المقام استوجب نفس مقام الولید العظیم، و مکانته عند اللّه تعالی أن تشمله العنایة الالهیة.

کما انه قد جاء فی القرآن الکریم حول مریم علیها السّلام امور اخری مشابهة.

ان عصمة هذه المرأة الطاهرة، و تقاها و طهرها البالغ کانت بحیث أن «زکریا» کلّما دخل علیها المحراب وجد عندها رزقا، فاذا سألها: من أین لک هذا قالت: هو من عند اللّه؟ «۱».

و علی هذا الأساس یجب أن لا نتردّد و لا نسمح لانفسنا بأن نشک فی مثل هذه الکرامات، أو نستبعدها.

(۱)

خمسة أعوام فی الصحراء:

أمضی ولید «عبد المطلب» فی قبیلة «بنی سعد» مدة خمسة أعوام، بلغ فیها أشده.

و خلال هذه المدة اخذته «حلیمة» إلی امّه مرتین أو ثلاث، و قد سلّمته إلی أمه فی آخر مرة.

و کانت المرّة الاولی من تلک المرات عند فطامه، و لهذا السبب أتت به صلّی اللّه علیه و آله «حلیمة» الی مکة و لکنها عادت به إلی الصحراء باصرار منها، و کان السبب وراء هذا الاصرار علی اصطحابها معها إلی البادیة هو أن هذا الولید قد أصبح مبعث خیر و رخاء، و برکة فی منطقتها، و قد دفع شیوع مرض الوباء فی «مکة» إلی ان تقبل امّه الکریمة بهذا الطلب «۲».

(۲) و أما المرة الثانیة من تلک المرات فکانت عند ما قدم جماعة من نصاری

---

(۱) «... وَ کَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا، الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَکِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». (آل عمران: ۳۷).

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۴۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۴

الحبشة الی الحجاز، فوقع نظرهم علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی «بنی سعد»، و وجدوا فیه جمیع العلائم المذکورة فی الکتب السماویة للنبی الذی سیأتی بعد عیسی المسیح علیه السّلام، و لهذا عزموا علی أخذه غیلة الی بلادهم لما عرفوا ان له شأنا عظیما، لینالوا شرف احتضانه و یذهبوا بفخره «۱».

(۱) و لا مجال لاستبعاد هذه القضیة لأن علائم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذکرت فی الانجیل حسب تصریح القرآن الکریم، فلا یبعد أن علماء النصاری قد تعرّفوا فی ذلک الوقت علی النبیّ من العلائم التی قرءوها و درسوها فی کتبهم.

یقول القرآن الکریم فی هذا المجال:

«وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَیِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ» «۲».

ثمّ انّ فی هذا الصعید آیات أخر صرّحت بجلاء بأن علائم رسول الإسلام فی الکتب السماویة الماضیة فی وضوح، و من غیر إبهام، و أن الامم السابقة کانت علی علم بهذا الأمر «۳».

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۲) الصف: ۶.

(۳) «الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ».

(الأعراف: ۱۵۷).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۵

(۱)

۷ العودة إلی أحضان العائلة

اشارة

لقد خلقت ید القدرة الالهیة کل فرد من أفراد النوع الانسانی لأمر معین، فهناک من خلق لاکتساب العلم و المعرفة، و هناک من خلق للاختراع و الاکتشاف، و ثالث خلق للسعی و العمل، و بعض للتدبیر و السیاسة و فریق للتدریس و التربیة و هکذا.

و إن المربّین المخلصین الذین یهمّهم تقدم الأفراد أو رقیّ مجتمعهم لا یعمدون إلی نصب أحد فی عمل من الاعمال و لا یعهدون إلیه مسئولیة من المسئولیات إلّا بعد اختبار سلیقته و مواهبه، بغیة وضع الرجل المناسب فی المکان المناسب، اذ فی غیر هذه الحالة یتعرّض المجتمع لضررین کبیرین: احدهما: أن لا یوکل إلی الفرد ما یستطیع القیام به، و الثانی: ان یبقی العمل الذی قام به ناقصا، مبتورا.

(۲) و قد قیل فی المثل: لکل انسان موهبة، و السعید هو من اکتشف تلکم المواهب، و اصابها.

و قد ذکروا أن استاذا کان ینصح تلمیذا له کسولا، و یعدّد له مضارّ الکسل و التوانی، و یصف له حال من ترک الاشتغال بالعلم، و ضیّع ربیع حیاته فی البطالة و الغافلة.

و بینما الاستاذ ینصح تلمیذه- و هو یسمع مواعظ استاذه- رأی تلمیذه یرسم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۶

بقطعة من الجص صورة علی المنضدة، فادرک من فوره أن هذا الصبیّ لم یخلق للدرس و تحصیل العلم، بل خلقته ید القدرة للرسم، فطلب منه أن یصطحب أباه الی المدرسة فی الیوم القادم، ثم قال لوالد الصبیّ: إذا کان ولدک هذا کسولا فی التعلم، و التحصیل فانه یمتلک ذوقا رفیعا فی الرسم، و رغبة کبیرة فی التصویر.

و قبل الوالد نصیحة المعلّم هذه و لم یمض زمان طویل إلّا و برع الصبی و غدی قمة فی هذا الفن، بعد أن تابع هوایته بشغف و أکثر من ممارستها.

(۱) إن فترة الطفولة و الصبا فی حیاة الأشخاص خیر فرصة لأولیاء الأطفال بأن یختبروا مواهب أبنائهم، و یتعرفوا علیها من خلال تصرفاتهم، و أفکارهم و ردودهم، لأن حرکات الطفل و أقواله الجمیلة و الحلوة خیر مرآة لما ینطوی علیه من مواهب و قابلیات و صفات لو توفّرت لها ظروف التربیة الصحیحة لأمکن الاستفادة منها علی أفضل صورة، و أحسن وجه.

إن مطالعة فاحصة لحیاة النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و أقواله و أفعاله الی وقت البعثة المبارکة توقفنا علی صورة کاملة لشخصیته صلّی اللّه علیه و آله و توضح لنا أهدافه العلیا، علی أن مطالعة صفحات الطفولة فی حیاته صلّی اللّه علیه و آله فقط لا تکشف لنا عن مستقبله المشرق، بل ان دراسة الصورة الاجمالیة لحیاته و تاریخه إلی یوم مبعثه الشریف، و إعلانه عن نبوّته و قیادته للمجتمع، تخبرنا

عن ذلک المستقبل العظیم، و بالتالی عن هذه الحقیقة و هی أن هذه الشخصیة خلقت لأیّ عمل، و أن ادّعاء الرسالة و القیادة له هل ینسجم مع سوابقه التاریخیة أم لا؟؟

هل تؤیّد تفاصیل حیاته خلال أربعین سنة قبل الرسالة، و هل تؤیّد أفعاله و اقواله، و بالتالی: سلوکه مع الناس و معاشرته الطویلة مع الآخرین رسالته أم لا؟؟

(۲) من هنا نعمد الی عرض بعض الصفحات من حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أیامها و سنواتها الاولی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۷

لقد حافظت مرضعة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علیه خمس سنوات، و قامت فی هذه المدة برعایة شئونه خیر قیام، و بالغت فی کفالته و العنایة به، و فی خلال هذه المدة تعلّم النبی لغة العرب علی احسن ما یکون، حتی انه صلّی اللّه علیه و آله کان یفتخر بذلک فی ما بعد اذ کان یقول:

أنا أعربکم (ای أفصحکم) ... و ارضعت فی بنی سعد» «۱».

ثم ان «حلیمة» جاءت به إلی «مکة»، و بقی عند امّه الحنون ردحا من الزمن، و فی کفالة جده العظیم: «عبد المطلب» ردحا آخر منه، و کان هو السلوة الوحیدة لاقاربه و البقیة الباقیة من أبیه: «عبد اللّه» «۲».

(۱)

سفرة إلی یثرب:

منذ أن فقدت کنّة «عبد المطلب» و عروس ابنها: «آمنة» زوجها الشاب الکریم: «عبد اللّه» باتت تترقب الفرص لتذهب إلی «یثرب» و تزور قبر زوجها الحبیب الفقید عن کثب، و تزور اقاربها فی یثرب فی نفس الوقت.

و ذات مرة فکّرت بأن تلک الفرصة قد سنحت، و أن ولدها «محمّدا» قد کبر، و یمکنه أن یشارکها فی حزنها، فتهیأت هی و أمّ ایمن للسفر، و اتجهت نحو یثرب برفقة «محمّد»، و لبثت هناک شهرا.

و لقد انطوت (و بالاحری حملت) هذه السفرة علی بعض الآلام الروحیة لولید قریش «محمّد» لأنه صلّی اللّه علیه و آله رای فیها و لأوّل مرة البیت الذی توفی فیه والده العزیز، و دفن «۳» و کانت والدته قد حدّثته بامور عن والده إلی ذلک الحین.

و کانت لا تزال سحابة الحزن تخیّم علی روحه الشریفة إذ فوجئ بحادثة مقرحة اخری، و غشیه موج آخر من الحزن لأنه عند عودته من مکة فقد امّه

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۹.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۳) کان البیت الذی یضمّ قبر «عبد اللّه» علیه السّلام لا یزال موجودا حتی قبیل توسعة الدائرة حول المسجد النبوی الطاهر، و لکنه ازیل بحجّة إیجاد تلک التوسعة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۸

العزیزة فی اثناء الطریق فی منطقه تدعی ب «الابواء» «۱».

(۱) إن هذه الحادثة قد عزّزت مکانة الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و آله فی عشیرته اکثر فأکثر، و جعلته یتمتع بمحبّة أزید منهم، فهو الزهرة الوحیدة من تلک الجنینة المبارکة، کما انه صار منذ ذلک الحین یتمتع بعنایة أکبر من قبل جده «عبد المطلب» و لهذا کان یحبّه اکثر من أبنائه، بل و یؤثره علیهم جمیعا.

و من ذلک أنه کان یمدّ فی فناء الکعبة المعظمة بساط لزعیم قریش «عبد المطلب» فیجلس هو علیه و یتحلّق حوله وجوه قریش و سادتها و أولاده فإذا وقعت عیناه علی بقیة عبد اللّه «محمّد» أمر بأن یفرّج له حتی یتقدم نحوه ثم یجلسه الی جنبه علی ذلک البساط المخصوص به «۲».

(۲) ان القرآن الکریم یذکّر النبی صلّی اللّه علیه و آله بفترة یتمه و یقول: «أ لم یجدک یتیما فآوی».

إن الحکمة وراء یتم ولید قریش لیست واضحة لنا تمام الوضوح، و لکننا نعلم إجمالا- بأن سیل هذه الحوادث المؤلمة احیانا، و المزعجة احیانا اخری لم یک خالیا عن حکمة معقولة و مصلحة رشیدة، بید أننا مع کل هذا یمکن لنا الحدس بأن اللّه تعالی أراد أن یذوق قائد العالم البشری و معلمه، و إمام الانسانیة و هادیها- و قبل ان یتسلم مهامه، و یزاول مسئولیاته العظمی و یبدأ قیادته- حلو الحیاة و مرّها، و یجرّب سراء العیش و ضرّاءه، حتی تتهیّأ لدیه تلک الروح الکبری الصبورة الصامدة، و یدّخر من تلک الحوادث الصعبة تجارب و دروسا، و یعدّ نفسه لمواجهة مسلسل الشدائد و المصاعب، و المشاق و المتاعب التی کانت تنتظره فی المستقبل.

(۳) و ربما أراد اللّه تعالی أن لا تکون فی عنق نبیّه طاعة لأحد، و لهذا أنشأه حرا خلیا من کل قید، منذ الایام الاولی من حیاته، یصنع نفسه بنفسه و یقیّض لها موجبات الرشد، و اسباب الرقیّ لیتضح أن نبوغه لیس نبوغا بشریا عادیا و مألوفا

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۰۵.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۹

و انه لم یکن لوالدیه ای دخل فیه و فی مصیره، و بالتالی فان عظمته الباهرة نابعة من مصدر الوحی، و لیست من العوامل العادیة و الاسباب المأنوسة المتعارفة.

(۱)

وفاة عبد المطّلب:

لقد جرت عادة الحیاة ان تتعرض للمرء باستمرار، و تستهدف سفینة حیاته کالأمواج المتلاحقة موجّهة ضرباتها القویة لروحه، و نفسه.

أجل هذه هی طبیعة الحیاة و سنتها مع أفراد النوع الانسانی من دون استثناء.

و لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمعزل عن هذه السنة المعروفة و هذه القاعدة الحیاتیة العامة.

فلم تکن أمواج الحزن تفارق قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لوفاة والدیه بعد حتی فاجأته مصیبة کبری.

إنه لم یکن یمض من عمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اکثر من ثمان سنوات إلا و فقد جدّه العظیم «عبد المطلب»، و قد اعتصرت وفاة «عبد المطلب» قلب رسول اللّه ألما و حزنا، و کان لها وقع شدید علی نفسه المبارکة، حتی أنه بکی لفقده بکاء شدیدا و ظلّت دموعه تجری من أجله إلی أن وری فی لحده، و لم ینس ذکره ابدا!! «۱».

(۲)

کفالة أبی طالب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

سیکون لنا حدیث مفصّل حول شخصیّة أبی طالب فی فصل خاص «۲» و سنثبت هناک إیمانه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالوثائق و الأدلة القاطعة، و لکنّ من المناسب الآن أن نستعرض بعض الحوادث المرتبطة بفترة کفالته للنبی

(۱) کتب الیعقوبی فی تاریخه: ج ۲ ص ۱۰ و ۱۱ من تاریخه حول سیرة عبد المطلب، و أنه کان موحّدا لا وثنیا، و ذکر أن الإسلام أمضی الکثیر من سننه.

(۲) فی حوادث السنة العاشرة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۰

صلّی اللّه علیه و آله.

لقد تکفّل أبو طالب- و لأسباب خاصة- رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و تقبل تحمّل هذه المسئولیة بفخر و اعتزاز، و لأنّ أبا طالب- مضافا الی العلل المشار إلیها- کان أخا لوالد النبی من أمّ واحدة أیضا «۱» کما أنّه کان معروفا بجوده و کرمه، و من هنا أوکل «عبد المطلب» أمر کفالة النبی صلّی اللّه علیه و آله حفیده، إلیه، و سوف نقص علیک تدریجا سطورا ذهبیة من تاریخه، تمثل شاهد صدق علی خدماته القیامة، و أیادیه الجلیلة.

یقولون: إن النبی شارک و هو فی العاشرة من عمره جنبا إلی جنب مع عمّه فی حرب من الحروب «۲» و حیث أن هذه الحرب وقعت فی الأشهر الحرم لذلک سمّیت بحرب «الفجار» و قد وردت تفاصیل حروب «الفجار» فی التاریخ بشکل مسهب.

(۱)

سفرة إلی الشام:

لقد جرت العادة ان یسافر تجار قریش الی الشام کل سنة مرة واحدة

فعزم «ابو طالب» علی أن یشارک فی رحلة قریش السنویة هذه ذات مرة، و عالج مشکلة ابن اخیه «محمّد» الذی ما کان یقدر علی مفارقته بأنه قرر أن یترکه فی مکة فی خراسة جماعة من الرجال، و لکنه ساعة الرحیل واجه من ابن اخیه العزیز ما غیّر بسببه قراره المذکور فقد شاهد «محمّدا» و قد اغرورقت عیناه بالدموع لفراق کفیله الحمیم «ابی طالب»، فاحدثت ملامح «محمّد» الکئیبة طوفانا من المساعر العاطفیة فی قلب «أبی طالب» بحیث اضطرته إلی أن یرضی

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۷۹، و امهما هی فاطمة المخزومیة.

(۲) لقد کتب الیعقوبی فی تاریخه: ج ۱ ص ۱۵ طبعة النجف أنّ أبا طالب لم یشترک فی هذه الحرب قط، کما لم یسمح لبنی هاشم بالمشارکة فیها أیضا، لأنه کان ظلما و عدوانا، و قطیعة رحم و استحلالا للشهر للحرام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۱

بمشقة اصطحاب «محمّد» فی تلک الرحلة «۱».

(۱) لقد کانت سفرة النبی صلّی اللّه علیه و آله هذه التی قام بها بصحبة عمّه و کافله «ابی طالب» فی الثانیة عشرة من عمره، من اجمل و أطرف أسفاره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأنه صلّی اللّه علیه و آله عبر فیها علی: «مدین» و «وادی القری» و «دیار ثمود» و اطّلع علی مشاهد الشام الطبیعیة الجمیلة.

و لم تکن قافلة قریش التجاریة قد وصلت إلی مقصدها حتی حدثت فی منطقة تدعی «بصری» قضیة غیرت برنامج «ابی طالب» و تسببت فی عدوله عن المضی به فی تلک الرحلة و القفول الی مکة.

(۲) و إلیک فیما یلی مجمل هذه القضیة:

کان یسکن فی «بصری» من نواحی الشام راهب مسیحی یدعی «بحیرا» یتعبّد فی صومعته، یحترمه النصاری فی تلک الدیار.

و كانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عندها بعض الوقت و تبركت بالحضور عنده.

و قد اتفق أن التقى هذا الراهب قافلة قريش التى كان فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلفت نظره شخصية «محمّد»، و راح يحدق فى ملامحه، و كانت نظراته هذه تحمل سرا عميقا ينطوى عليه قلبه منذ زمن بعيد و بعد دقائق من

---

(۱) و يذكر «أبو طالب» فى ابيات له قصّة هذه السفرة و ما جرى فيها من البدء إلى الختام نقتطف منها بعض الأبيات:

إنّ ابن آمنة النبى محمّداعندى يفوق منازل الأولاد

لما تعلّق بالزمام رحمتهو العيس قد قلّصن بالازواد

فارفضّ من عينىّ دمع ذارفمثل الجمان مفرّق الأفراد

راعيت فيه قرابة موصولةو حفظت فيه وصية الأجداد

و أمرته بالسير بين عمومةبيض الوجوه مصالت أنجاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوالاقوا على شرك من المرصاد

حبرا فاخبرهم حديثا صادقاعنه و ردّ معاشر الحسّاد (تاريخ ابن عساكر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲ و ديوان ابى طالب: ص ۳۳- ۳۵).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۲

النظرات الفاحصة، و التحديق فى وجه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خرج عن صمته و انبرى سائلا: انشدكم باللّه أيّكم وليّه؟

فأشار جماعة منهم الى «أبى طالب» و قالوا: هذا وليّه.

فقال «أبو طالب»: إنه ابن أخى، سلنى عمّا بدا لك.

(۱) فقال «بحيرا»: إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده فى كتبنا و ما روينا عن آبائنا، هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه رحمة للعالمين. احذر عليه اليهود لئن رأوه و عرفوا منه ما أعرف ليقصدنّ قتله «۱».

هذا و قد اتفق اكثر المؤرخين على أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يتعدّ تلك المنطقة، و ليس من الواضح أن عمه «أبا طالب» بعثه الى مكة مع أحد، (و يستبعد أن يكون عمه قد رضى بمفارقته منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيرا)، أم أنه اصطحبه بنفسه إلى مكة، و انثنى عن مواصلة سفره الى الشام «۲».

و ربما قيل أنه تابع- بحذر شديد- سفره الى الشام مع ابن اخيه «محمّد».

(۲)

اكذوبة المستشرقين:

لقد آلينا على أنفسنا فى هذا الكتاب ان نشير إلى أخطاء المستشرقين و غلطاتهم بل و ربما أكاذيبهم، و اتهاماتهم الباطلة، و شبههم الواهية ليتضح للقراء الكرام الى أىّ مدى يحاول هذا الفريق إرباك أذهان البسطاء من الناس، و بلبلة عقولهم حول قضايا الإسلام!!

إن قضية اللقاء الذى تم- فى بصرى- بين النبى صلّى اللّه عليه و آله و الراهب «بحيرا» لم تكن سوى قضيه بسيطة، و حادثة عابرة و قصيرة، إلا أنها وقعت فى ما بعد ذريعة بأيدى هذه الزمرة (المستشرقون) فراحوا يصرّون أشدّ اصرار على أنّ

---

(۱) روى تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۳۲ و ۳۳، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۰- ۱۸۳ هذه القصّة بتفصيل أكبر و قد اختصرناها هنا تمشيا مع حجم هذا الكتاب.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۲ و ۱۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۳

ما أظهره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من تعالیم رفیعة سامیة بعد ۲۸ عاما، و استطاع بها أن یحیی بها تلک الامة المیّتة قد تلقاها من الراهب «بحیرا» فی هذه السنفرة. و یقولون: إن «محمّدا» بما تمتع به من قوة ذاکرة، و صفاء نفس و دقة فکر، و عظمة روح وهبته ایاها ید القدر، أخذ من الراهب «بحیری» فی لقائه به، قصص الأنبیاء السالفین و الاقوام البائدة مثل عاد و ثمود، و کثیرا من تعالیمه الحیویة.

(۱) و لا ریب فی أن هذا الکلام لیس سوی تصور خیالی لا یتلاءم و لا ینسجم مع حیاته صلّی اللّه علیه و آله، بل و تکذبه الموازین العقلیة، و إلیک بعض الشواهد علی هذا:

(۲) ۱- لقد کان «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله باجماع المؤرخین امیّا، لم یتعلم القراءة و الکتابة، و کان عند سفره الی الشام، و لقائه ب «بحیرا» لم یتجاوز ربیعه الثانی عشر بعد، فهل یصدّق العقل- و الحال هذه- أن یستطیع صبی لم یدرس و لم یتعلّم القراءة و الکتابة و لم یتجاوز ربیعة الثانی عشر ان یستوعب تلک الحقائق من «التوراة» و «الإنجیل»، ثم یعرضها- فی سن الاربعین- علی الناس بعنوان الوحی الالهیّ و الشریعة السماویة؟!

إن مثل هذا الأمر خارج عن الموازین العادیة، بل ربما یکون من الامور المستحیلة لو أخذنا بنظر الاعتبار حجم الاستعداد البشری.

(۳) ۲- إن مدة هذا اللقاء کان أقل بکثیر من أن یستطیع محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی مثل تلک الفترة الزمنیة القصیرة أن یستوعب «التوراة» و «الانجیل»، لأن هذه الرحلة کانت رحلة تجاریة و لم یستغرق الذهاب و الایاب و الاقامة اکثر من أربعة أشهر، لأن قریشا کانت تقوم فی کل سنة برحلتین، فی الصیف إلی «الیمن»، و فی الشتاء إلی «الشام»، و مع هذا لا یظنّ أن تکون الرحلة برمتها قد استغرقت اکثر من اربعة أشهر، و لا یستطیع اکبر علماء العالم و اذکاهم من أن یستوعب فی مثل هذه المدة القصیرة جدا محتویات دینک الکتابین، فضلا عن صبی لم یدرس، و لم یتعلم القراءة و الکتابة من احد.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۴

هذا مضافا إلی أنه لم یکن یصاحب صلّی اللّه علیه و آله ذلک الراهب کل تلک الاشهر الاربعة بل ان اللقاء الذی وقع اتّفاقا فی أحد منازل الطریق لم یستغرق سوی عدة ساعات لا اکثر.

(۱) ۳- إن النص التاریخی یشهد بأن «ابا طالب» کان ینوی اصطحاب النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی الشام، و لم یکن مقصده الأصلی «بصری» بل إن «بصری» کان منزلا فی أثناء الطریق تستریح عنده القوافل التجاریة أحیانا، و لفترة جدا قصیرة.

فکیف یمکن فی مثل هذه الصورة ان یمکث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک المنطقة، و یشتغل بتحصیل علوم «التوراة» و «الانجیل» و معارفهما؟ سواء قلنا بأن «ابا طالب» أخذه معه الی الشام، أو عاد به من تلک المنطقة إلی مکة أو أعاده بصحبة أحد الی مکة؟!

و علی کل حال فان مقصد القافلة و مقصد «ابی طالب» لم یکن «بصری» لیقال: ان القافلة اشتغلت فیها بتجارتها، بینما اغتنم «محمّد» الفرصة و اشتغل بتحصیل معارف العهدین.

(۲) ۴- إذا کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله قد تلقی امورا و معارف من الراهب المذکور اذن لاشتهر ذلک بین قریش حتما، و لتناقل الجمیع خبر ذلک بعد العودة إلی مکة.

هذا مضافا إلی أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه ما کان یستطیع أن یدعی أمام قومه فی ما بعد بأنه أمی لم یدرس کتابا، و لا تلمذ علی أحد، فی حین أن النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله افتتح رسالته بهذا العنوان، و لم یقل أحد، یا محمّد کیف تدعی بأنک لم تقرأ و لم تدرس عند احد و قد درست عند راهب «بصری» و تلقیت منه هذه الحقائق الناصعة و أنت فی الثانیة عشرة من عمرک؟

لقد وجّه مشرکوا مکة جمیع انواع الاتهام إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و بالغوا فی البحث عن أیّة نقطة ضعف فی قرآنه یمکن أن یتذرعوا بها لتفنید دعوته، حتی أنهم عند ما شاهدوا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذات مرة عند

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۵

«مروة» یجالس غلاما نصرانیا استغلوا تلک الفرصة و قالوا: لقد أخذ «محمّد» کلامه من هذا الغلام، و یروی القرآن الکریم مزعمتهم هذه بقوله:

«و لقد نعلم أنّهم یقولون إنّما یعلّمه بشر لسان الّذی یلحدون إلیه أعجمیّ و هذا لسان عربیّ مبین» «۱».

و لکن القرآن الکریم لم یتعرض لذکر هذه الفریة قط کما أن قریشا المجادلین المعاندین لم یتذرعوا بها أبدا، و هذا هو بعینه دلیل قاطع و قوی علی أن هذه الفریة من افتراءات المستشرقین فی عصرنا هذا، و من نسج خیالهم!! (۱) ۵- إن قصص الأنبیاء و الرسل التی جاءت فی القرآن الکریم علی وجه التفصیل تتعارض و تتنافی مع ما جاء فی التوراة و الانجیل.

فقد ذکرت قصص الأنبیاء و احوالهم فی هذین الکتابین بصورة مشینة جدا، و طرحت بشکل لا ینفق مع المعاییر العلمیة و العقلیة مطلقا، و ان مقایسة عاجلة بین هذین الکتابین من جانب و بین القرآن الکریم من جانب آخر تثبت بأن قضایا القرآن الکریم و معارفة لم تتخذ من ذینک الکتابین بحال، و لو أن النبیّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله قد اکتسب معارفه و معلوماته حول الأنبیاء و الرسل من العهدین لجاء کلامه مزیجا بالخرافات و الأوهام «۲».

(۲) ۶- إذا کان راهب «بصری» یمتلک کل هذه الکمیة من المعلومات الدینیة و العلمیّة التی عرضها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فلما ذا لم یحض هو بأی شیء من الشهرة، لما ذا تری لم یربّ غیر «محمّد» فی حین أن معبده کان مزار الناس و مقصد القوافل؟! (۳) ۷- یعتبر الکتاب المسیحیّون «محمّدا» صلّی اللّه علیه و آله رجلا أمینا صادقا، و الآیات القرآنیة تصرح بأنه صلّی اللّه علیه و آله لم یکن علی علم مسبق

---

(۱) النحل: ۱۰۳.

(۲) تتجلی هذه الحقیقة أکثر فاکثر إذا ما قارنّا بین مواضیع القرآن الکریم، بین ما جاء فی نصوص العهدین (التوراة و الإنجیل) و قد تصدی بعض الکتاب الإسلامیین لمثل هذه المقارنة، و قد تعرضنا لها أیضا فی بعض دراساتنا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۶

أصلا بقصص الأنبیاء و الامم السابقین، و أن معلوماته فی هذا الصعید لم تحصل لدیه إلا عن طریق الوحی.

فقد جاء فی سورة «القصص» الآیة (۴۴) هکذا: «وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ وَ ما کُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِینَ».

و جاء فی سورة «هود» الآیة (۴۹) بعد نقل قصة نوح: «تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا».

إن هذه الآیات توضح أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لم یکن علی علم أبدا بهذه الحوادث، و الوقائع.

و هکذا جاء فی الآیة (۴۴) من سورة «آل عمران»: «ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ، وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یَخْتَصِمُونَ».

إن هذه الآیة و غیرها من الآیات العدیدة تصرح بأن هذه الأخبار الغیبیّة وصلت إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عن طریق الوحی فقط، و هو لم یکن علی علم بها مطلقا.

(۱)

نظرة إجمالیّة إلی التوراة الحاضرة:

اشارة

إنّ هذا الكتاب السماويّ تورّط فی تناقضات عجيبة فی بيان قصص الأنبياء و المرسلين لا يمكن نسبتها إلى الوحی مطلقا، و ها نحن نأتی هنا بنماذج فی هذا المجال من التوراة ليتضح لنا أن النبیّ صلّى اللّه عليه و آله لو كان قد أخذ قضايا القرآن الكريم من ذلك الراهب فلما ذا لا يحتوی هذا الكتاب العظيم على تلك الأضاليل التی انطوی عليها «التوراة» و «الانجيل».

و إليك بعض ما جاء حول الأنبياء و المرسلين فی «التوراة» و «الانجيل» و نقارن ذلك بما جاء فی القرآن الكريم ليتضح مدی الفرق بين الكتابين (العهدين، و القرآن).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۷

(۱)

۱- داود عليه السّلام:

جاء فی التوراة: «إن داود رأی من على السطح امرأة تستحمّ، و كانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود و سأل عن المرأة، فقال واحد: إنها امرأة اوريّا فأرسل داود رسلا و أخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها و هی مطهّرة من طمثها ثم رجعت الى بيتها، و حبلت المرأة، فأرسلت و أخبرت داود و قالت: إنی حبلی، فأرسل داود إلى يؤاب يقول: اجعلوا أوريّا فی وجه الحرب الشديدة «۱»، و ارجعوا من ورائه فيضرب و يموت ... فلما سمعت امرأة أوريّا أنه قد مات اوريّا رجلها ندبت بعلها، و لمّا مضت المناحة أرسل داود و ضمّها إلى بيته و صارت له امرأة، و ولدت له ابنا، و امّا الأمر الذی فعله داود فقبح فی عينیّ الرب»!! «۲».

هكذا تصف التوراة النبیّ الكريم داود، و ترميه بالزنا، و اكراه امرأة محصنة على خيانة زوجها!!

بينما يصف القرآن الكريم النبیّ داود عليه السّلام بأفضل الاوصاف اذ يقول (فی الآية ۱۵ و ۱۶ من سورة النمل):

«وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ ... وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ».

۲- النبیّ سليمان عليه السّلام:

تقول «التوراة» عن النبیّ العظيم سليمان عليه السّلام:

۱- «و داود الملك ولد سليمان من التی لاوريّا»!! «۳».

أی ان سليمان النبیّ الكريم- و العياذ باللّه- هو ابن زنا!!

---

(۱) أی فی مقدمة الجيش المحارب.

(۲) العهد القديم (التوراة): صموئيل، الثانی الاصحاح الحادی عشر ۳ إلى ۲۷.

(۳) إنجيل متّی: الاصحاح الأول ۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۸

۲- و أحبّ الملك سليمان نساء غريبة ... من الذين قال عنهم الرب لبنیّ إسرائيل: لا تدخلون إليهم، و هم لا يدخلون إليكم لأنّهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة، و كانت له سبع مائة من النساء السيدات، و ثلاث مائة من السراری،

فأمالت نساؤه قلبه و كان فی زمان شیخوخة سلیمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخری، و لم یكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود ابیه، فذهب سلیمان وراء عشتورت إلهة الصید ونین، و ملكوم رجس العمونیین، و عمل سلیمان الشرّ فی عینی الرب، و لم یتبع الرب تماما كداود أبیه، فغضب الرب علی سلیمان لأنّ قلبه مال عن الرب إله إسرائیل»!!! «۱».

إن سلیمان- حسب هذه التعابیر التوراتیة- یعشق النساء الاجنبیات، و یتقرب إلیهن بصنع أصنام لهنّ. و یعبدها معهن، و یرتكب الشرور التی أغضبت الرب!!

بینما یقول القرآن الكریم عن سلیمان علیه السّلام «وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً» (النمل: ۱۶).

و یقول: «وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ عاصِفَةً تَجْرِی بِأَمْرِهِ إِلَی الْأَرْضِ الَّتِی بارَكْنا فِیها، وَ كُنَّا بِكُلِّ شَیْءٍ عالِمِینَ» (الأنبیاء: ۸۱).

إنه نبی عظیم اختاره اللّه تعالی لوحیه، و أصطفاه لأداء رسالاته.

۳- یعقوب علیه السّلام:

إنّ «التوراة» تصف النبی العظیم یعقوب علیه السّلام بأنه رجل كذّاب مخادع، أخذ النبوة من أبیه بالمكر و الخداع، «فعند ما شاخ اسحاق و كلّت عیناه عن النظر دعا عیسو ابنه الاكبر، و طلب منه أن یصطاد له صیدا، و یصنع له طعاما جیدا حتی یباركه، و یعطیه النبوة، و لكن یعقوب (ابن إسحاق من رفقة

---

(۱) التوراة: الملوك الأول الاصحاح ۱۱ العبارات ۱: ۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۹

زوجته الأخری) بادر إلی صنع طعام لذیذ لأبیه و تظاهر بأنه عیسو، لابسا ثیاب عیسو، و قطعا من جلود جدیی المعزی علی عنقه لأن عیسو كان مشعرا و كان یعقوب املس الجسد، فبارك اسحاق ابنه یعقوب و منحه النبوة، و بعد ذلك قدم عیسو من الصید، فعرف اسحاق بانه خدع، و أن یعقوب أخذ منه النبوة بالمكر، فارتعد اسحاق ارتعادا عظیما جدا و قال لعیسو متأسفا: قد جاء أخوك بمكر، و أخذ بركتك»!! «۱».

هذا هو حال یعقوب فی لسان «التوراة» المحرفة!!

و أما القرآن الكریم فانه یقول عن هذا النبیّ الطاهر:

«وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ كُلًّا هَدَیْنا وَ نُوحاً هَدَیْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ» (الأنعام: ۸۴).

و یقول تعالی أیضا:

«وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ أُولِی الْأَیْدِی وَ الْأَبْصارِ. إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَی الدَّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ» (ص:

۴۵- ۴۷).

۴- إبراهیم علیه السّلام:

تقول «التوراة» عن إبراهیم علیه السّلام إنّه لمّا أراد أن یدخل مصر قال لزوجته سارة: إنی قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فیكون

إذا رآک المصریون أنهم یقولون: هذه امرأته، فیقتلوننی، و یستبقونک، قولی إنک اختی، لیکون لی خیر بسببک و تحیا نفسی من أجلک.

و کذلک فعلت سارة و اخذت إلی بیت فرعون، فصنع إلی إبرام خیرا

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح السابع و العشرون: ۱ الی ۴۶، و قد ذکرنا هذه القصّة من التوراة بتلخیص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۰

بسببها، و صار له غنم، و بقر، و حمیر، و عبید، و إماء، و اتن، و جمال، و لما عرف فرعون- فی ما بعد- ان سارة زوجة ابراهیم، و لیس اخته عاتبه قائلا: لما ذا لم تخبرنی إنها امرأتک، لما ذا قلت: هی اختی حتی أخذتها لی لتکون زوجتی و الآن هو ذا امرأتک، خذها و اذهب» «۱».

إن ابراهیم الخلیل علیه السّلام فی وصف التوراة رجل کذاب، یکذب و یحتال.

أما القرآن الکریم فیصف هذا النبی الجلیل بأعظم الأوصاف، و یعتبره أعظم الأنبیاء اذ یقول عنه انه:

۱- حنیف موحّد للّه: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً» (آل عمران: ۶۷).

۲- إمام الناس: «إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً» (البقرة: ۱۳۴).

۳- مسلم: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً» (آل عمران: ۶۷).

۴- حلیم: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ» (التوبة: ۸۴).

۵- امة کاملة بمفرده: «إِنَّ إِبْراهِیمَ کانَ أُمَّةً» (النحل: ۱۲۰).

۶- أواه یخشی اللّه: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ» (التوبة: ۸۴).

۷- مصطفی: «لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ» (ص: ۴۸).

۸- ذو قلب سلیم: «إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» (الصافات: ۴۸).

۵- المسیح علیه السّلام:

إن عیسی- حسب روایة الإنجیل- یحتقر أمه، و یزدری بها، فذات یوم جاء إخوته و أمه و وقفوا خارجا و أرسلوا یدعونه، و کان الجمع جالسا حوله، فقالوا له «هو ذا امّک و إخوتک خارجا یطلبونک، فأجابهم قائلا: من أمی و إخوتی؟ ثم نظر حوله إلی الجالسین و قال: ها امّی و إخوتی، لأنّ من یصنع مشیئة اللّه هو أخی و اختی و امّی»!! «۲»

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح الثانی عشر ۱- ۲۰.

(۲) إنجیل مرقس: الاصحاح الثالث ۳۱- ۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۱

إنه یقول هذا الکلام عن امّه التی وصفها القرآن الکریم بأن اللّه تعالی اصطفاها علی نساء العالمین «۱».

إنه یفضّل تلامیذه الذین لم یؤموا به فی قلوبهم ذرة من خردل، و الذین خذلوه لیلة الهجوم علیه من جانب الیهود «۲»- کما یقول الانجیل- علی أمه الصدّیقة.

کما إن الانجیل یقول: إن المسیح حوّل الماء الی الخمر فی عرس «۳» بل یقول إنه علیه السّلام: شرب الخمر «۴»، و الحال أن الإنجیل

یصرّح بحرمة الخمر فی مواضع عدیدة.

هذا هو «عیسی» النبی الطاهر و حواریوه حسب روایة الانجیل!! «۵».

أما القرآن الکریم فیقول عنه غیر ما یقوله «الانجیل» و إلیک بعض ما جاء فی الکتاب العزیز حول «المسیح» علیه السّلام.

قال اللّه تعالی: «وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقرة: ۷۸).

و قال تعالی أیضا: «إِنَّمَا الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ کَلِمَتُهُ» (النساء:

۱۷۱)

و یکفی فی عظمة المسیح علیه السّلام و علو شأنه انه علیه السّلام کلّم الناس فی المهد صبیا و قال: «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا. وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی

---

(۱) آل عمران: ۴۲.

(۲) انجیل متّی: الاصحاح السابع و العشرون ۱- ۶ انظر کیف وافق یهوذا الاسخر یوطی و هو أحد الحواریین مع المتآمرین ضدّ المسیح، و أیضا راجع نفس السفر: الاصحاح السادس و العشرین، و راجع انجیل متّی: الاصحاح العاشر أیضا.

(۳) إنجیل یوحنا: الاصحاح الثانی ۱- ۱۱.

(۴) إنجیل لوقا: الاصحاح الأول ۱۵ و غیره.

(۵) علی أنّ خرافات التوراة و الانجیل لا تنحصر فی ما ذکرناه هنا، و للتوسع راجع: أنیس الأعلام تألیف فخر الإسلام، و الهدی الی دین المصطفی للعلامة البلاغی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۲

جَبَّاراً شَقِیًّا. وَ السَّلامُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ وَ یَوْمَ أَمُوتُ وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا. ذلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ» (مریم: ۳۰- ۳۴).

هذه هی مواقف القرآن الکریم من الأنبیاء الکرام، و الرسل العظام، و تلک هی مواقف «التوراة» و «الانجیل» المشینة، المسیئة الی شخصیّة سفراء اللّه مبلّغی رسالاته، فکیف یعقل ان یکون القرآن الکریم مقتبسا من تلک الکتب و بینهما بعد المشرقین؟!

ثم لو أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان قد اطّلع علی هذه القضایا و القصص قبل إخباره بنبوّته فلما ذا لم یرشح منها شیء فی أحادیثه قبل الرسالة و قد عاش بین قومه طویلا.

قال اللّه سبحانه فی معرض الردّ و الجواب علی اقتراح المشرکین علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بأن یأتی لهم بقرآن غیر الذی جاء به: «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۱».

فالآیة تؤکد علی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان لابثا فی قومه، و لم یکن تالیا لسورة من سور القرآن، أو آیا من آیاته، فکل ما أخبر به هو ممّا أوحی به اللّه تعالی إلیه بعد ان بعثه بالرسالة «۲».

---

(۱) یونس: ۱۶.

(۲) للتوسّع راجع مفاهیم القرآن: ج ۳ ص ۳۲۱- ۳۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۳

(۱)

۸ فترة الشباب فی حیاة النبیّ الاکرم

اشارة

یجب ان یکون قادة المجتمع أقویاء شجعان، لا یرهبون أحدا، و لا یخافون شیئا، یمتلکون قوة روحیة کبری، و یتمتّعون بصبر عظیم. و إرادة قویة، صلبة.

فکیف یستطیع الضعفاء و الجبناء و المتردّدون، و ضعاف النفوس قیادة المجتمع، و الخروج به من المازق و المشاکل، و کیف یستطیعون أن یقاوموا اعداءهم و یحافظوا کیانهم و شخصیّتهم من عدوان هذا او ذاک؟!

إن لعظمة القائد الروحیة، و لقواه البدنیة و النفسیة تأثیرا عظیما و عجیبا فی أتباعه و أنصاره، فعند ما اختار الإمام امیر المؤمنین علیه السّلام أحد اصحابه المخلصین لولایة «مصر» کتب إلی أهل «مصر» المظلومین الذین ذاقوا الأمرین علی أیدی ولاتهم السابقین کتابا ذکر فیه شجاعة هذا الوالی الجدید، الروحیة و قدرته النفسیة الفائقة، و إلیک فیما یلی بعض الفقرات من ذلک الکتاب الذی یعکس الشروط و المواصفات الواقعیة فی القائد:

«أما بعد فقد بعثت إلیکم عبدا من عباد اللّه لا ینام أیّام الخوف، و لا ینکل عن الأعداء (ساعات الروع، أشدّ علی الفجار من حریق النّار، و هو مالک بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطیعوا أمره فیما طابق الحق، فإنه سیف من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۴

سیوف اللّه، لا کلیل الظبّة، و لا نابی الضریبة» «۱».

(۱)

رسول اللّه و قدرته الروحیّة:

لقد کانت آثار الشجاعة، و القوّة بادیة فی جبین عزیز قریش منذ طفولته و صباه، ففی الخامسة عشرة من عمره الشریف شارک فی حرب هاجت بین قریش من جهة، و قبیلة هوازن من جهة اخری، و تدعی «حرب الفجار»، و قد کان فی هذه الحرب یناول أعمامه النبل.

فها هو «ابن هشام» ینقل عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: «کنت انبّل علی أعمامی» «۲».

إن مشارکته صلّی اللّه علیه و آله فی العملیات الحربیة فی مثل هذه السن تکشف عن شجاعته صلّی اللّه علیه و آله و قدرته الروحیة الکبری، و تساعدنا علی أن ندرک مغزی ما قاله أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی حق النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله: «کنّا اذا أحمر البأس اتّقینا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلم یکن أحد منّا أقرب إلی العدوّ منه» «۳».

و سوف نشیر- و بعون اللّه عند ذکر جهاد المسلمین للکفار و المشرکین- إلی نظام العسکریة الاسلامیة، و کیفیة جهاد المسلمین و قتالهم لأعدائهم التی تمّت بأجمعها بتوجیه من النبی صلّی اللّه علیه و آله، و هو فی نفسه من الابحاث الشّیقة فی تاریخ الإسلام.

(۲)

حروب الفجار:

اشارة

إنّ الحدیث بتفصیل عن هذه الوقائع و عن تکتیکات هذه الحوادث التاریخیّة

(۱) نهج البلاغة: قسم الرسائل، الرقم ۳۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۶، و قد قال ابن الأثیر فی النهایة بعد نقل هذا الحدیث و ضبط الکلمة «انبل» مشدّدة «انبّل»: «إذا ناولته النبل یرمی» راجع مادّة نبل.

(۳) نهج البلاغة: فصل فی غریب کلامه الرقم ۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۵

خارج عن إطار هذه الدراسة، بید أننا- مع ذلک- نعمد إلی بیان أسباب هذه الحروب التی شارک فی إحداها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بناء علی روایة بعض المؤرخین و حوادثها علی نحو الاجمال بغیة اطلاع القارئ الکریم.

کانت العرب تقضی عامها کله بالقتال و الاغارة، و قد تسبب هذا الوضع فی اختلال حیاتهم، و اضطراب امورهم، و لأجل هذا کانوا یحرّمون القتال و یتوقفون عنه فی أربعة أشهر من کل عام (هی شهر رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم) لیتسنی لهم- فی هذه المدة- أن یقیموا أسواقهم، و یستغلّوها بالکسب و التجارة و البیع و الشراء «۱».

(۱) و لهذا کانت أسواق «عکاظ» و «مجنّة» و «ذو المجاز» تشهد طوال هذه الاشهر الحرام اجتماعات کبری و تجمعات حافلة و حاشدة، کان یلتقی فیها العدوّ و الصدیق جنبا الی جنب، یتبایعون، و یتفاخرون.

فقد کان شعراء العرب المشهورون یلقون قصائدهم فی هذه الاجتماعات الکبری، کما یلقی کبار خطباء العرب و فصحاؤهم خطبا قویة، و أحادیث فی غایة الفصاحة و البلاغة، و کان الیهود و النصاری و الوثنیون یعرضون معتقداتهم فی هذه المناسبات من دون خوف او وجل.

و لکن هذه الحرمة قد هتکت أربع مرات فی تاریخ العرب، و تقاتلت القبائل العربیة فیما بینها فی هذه الأشهر الحرم، و لهذا سمّیت تلک الحروب بحروب «الفجار»، و فی ما یلی نشیر إلیها علی نحو الاجمال:

(۲)

الفجار الأوّل:

و وقعت الحرب فیها بین قبیلتی «کنانة» و «هوازن» و جاء فی سبب نشوب

(۱) یستفاد من قوله تعالی فی الآیة ۳۶ من سورة التوبة: «إنّ عدّة الشّهور عند اللّه اثنا عشر شهرا فی کتاب اللّه یوم خلق السّماوات و الأرض منها أربعة حرم» أن تحریم القتال فی هذه الأشهر الأربعة کان ذا جذور دینیة، و کانت العرب الجاهلیة تحترم هذه الأشهر اتباعا لسنّة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۶

هذه الحرب أن رجلا یدعی «بدر بن معشر» کان قد أعدّ لنفسه مکانا فی سوق «عکاظ» یحضر فیه، و یذکر للناس مفاخره فوقف ذات مرة شاهرا سیفه یقول:

أنا و اللّه أعزّ العرب فمن زعم أنه أعزّ منّی فلیضربها بالسیف.

فقام رجل من قبیلة اخری فضرب بالسیف ساقه فقطعها، فاختصم الناس و تنازعت القبیلتان، و لکنهما اصطلحتا من دون أن یقتل أحد «۱».

(۱)

الفجار الثّانی:

و کـان سـببه أن فتیـة من قریش قعـدوا إلی امرأة من «بنی عـامر» و هی جمیلـة، علیهـا برقع، فقالوا لها: اسـفری لننظر إلی وجهک، فلم تفعل، فقام غلام منهم، فجمع ذیل ثوبها إلی ما فوقه بشوکة فلما قامت انکشف جسمها، فضحکوا، فصاحت المرأة قومها، فأتاها الناس، و اشتجروا حتی کاد أن یکون قتال، ثم اصطلحوا، و انفضّوا بسلام.

(۲)

الفجار الثالث:

و سـببه أن رجلا من «کنانة» کان علیه دین لرجل من «بنی عامر»، و کان الکنانی یماطل، فوقع شـجار بین الرجل، و استعدی کل واحد منهما قبیلته، فاجتمع الناس، و تحاوروا حتی کاد یکون بینهم القتال، ثم اصطلحوا.

(۳)

الفجار الرابع:

و هی الحرب التی- قیل أنه- شارک فیها النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله.

و لقد ادّعی البعض أنه صلّی اللّه علیه و آله کان یومذاک فی الخامسة عشرة، او الرابعة عشرة من عمره.

---

(۱) و لقد کان ممّا أزاله الإسلام و محاه هذا التفاخر الجاهلی المقیت، و ستعرف هذا فی الابحاث القادمة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۷

و قال بعض: انه کان فی العشـرین من عمره و حیث أن هذه الحرب قد استمرت أربع سنوات. لهذا یمکن أن تکون جمیع هذه الاقوال صحیحة «۱».

(۱) و قیل فی سببه: أن «النعمان بن المنـذر» ملک الحیرة کان یبعث الی سوق «عکاظ» فی کل عام بضاعة فی جوار رجل شـریف من أشـراف العرب، یجیرهـا له حتی تباع هناک، و یشتری بثمنها من أقمشـة «الطائف» الجمیلـة المرزکشـة ممّا یحتاج إلیه، فأجارها «عروة الرجال الهوازنی» فی تلک السـنة، و لکن «البراض بن قیس الکنانی» انزعج لمبادرة «عروة» الی ذلک، فشـکاه عند «النعمان بن المنذر» و لم یجـد اعتراضه و شـکواه، فحسـد علی «عروة» حسـدا شدیـدا، فتربّص به حتی غـدر به فی أثنـاء الطریق، و بـذلک لطّخ یـده بـدم هوازنی.

(۲) و کانت قریش یومـذاک حلیف کنانه، و قـد اتفق وقوع هـذا الأمر یوم کانت العرب مشـغولة بالکسب و التجارة فی سوق عکاظ، فأخبر رجل قریشا بمقتل الهوازنیّ علی یـد الکنانیّ، و لهـذا عرفت قریش و حلیفتها بنو کنانة بالأمر قبل هوازن، و أسـرعوا فی الخروج من «عکاظ» و توجهوا نحو الحرم (و الحرم هو اربعـة فراسـخ من کل جانب من مکـة، و کانت العرب تحرّم القتال فی هذه المنطقة) و لکن هوازن علمت بذلک فلاحقت قریشا و حلیفتها فورا، و ادرکتهم قبل الدخول فی الحرم فوقع بینهم قتال، و لما جنّ اللیل کفّوا عن

الحرب فاغتنمت «قریش» و حلیفتها فرصة اللیل، و واصلت حرکتها باتجاه الحرم المکی و بذلک نجت من خطر العدو.

و منذ ذلک الیوم کانت تخرج قریش و حلیفتها من الحرم بین الفینة و الاخری و تقاتل هوازن، و قد شارک النبی- صلّی اللّه علیه و آله فی بعض تلک الأیام مع أعمامه علی النحو الذی مرّ بیانه.

و قد استمر الأمر علی هذه الحال مدة أربع سنوات، حتی ان وضعت نهایة

---

(۱) التاریخ الکامل: ج ۱ ص ۳۵۸ و ۳۵۹، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۴ الهامش، تاریخ الخمیس:

ج ۱ ص ۲۵۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۸

لهذه الحرب الطویلة بدفع قریش لهوازن دیة القتلی الذین کانوا یزیدون علی قتلی قریش علی ید هوازن «۱».

و قد أسلفنا أن تحریم القتال فی الأشهر الحرم کانت له جذور دینیة، و حیث أن حرب «الفجار» استمرت أربع سنوات فیمکن أن یکون لمشارکة النبی صلّی اللّه علیه و آله فیها وجها وجیها و هو الدفاع، خاصة انه لما سئل صلّی اللّه علیه و آله عن مشهده یومئذ فقال: «ما سرّنی أنّی أشهده، إنّهم تعدّوا علی قومی عرضوا (ای قریش) علیهم (ای علی هوازن) أن یدفعوا إلیهم البرّاض صاحبهم (ای الذی قتل عروة) فأبوا» «۲».

و یحتمل أن تکون مشارکته صلّی اللّه علیه و آله فی غیر الأشهر الحرم بناء علی استمرار هذه الحروب مدة أربعة اعوام، و إنما سمیت مع ذلک بالفجار لأن بدایتها وافقت الأشهر الحرم لا أنّها وقعت بتمامها فی الأشهر الحرم.

و بذلک لا یبقی مجال لأن تستبعد مشارکة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی بعض أیام تلک الحرب.

(۱)

حلف الفضول:

لقد کان فی ما مضی میثاق و حلف بین الجرهمیین یدعی بحلف «الفضول»، و کان هذا الحلف یهدف الی الدفاع عن حقوق المظلومین، و کان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة کانت اسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، و اسماؤهم- کما نقلها المؤرخ المعروف «عماد الدین ابن کثیر»- هی عبارة عن:

«فضل بن فضالة»، و «فضل بن الحارث»، و «فضل بن وداعة» «۳»، و حیث أن الحلف الذی عقدته جماعة من قریش فیما بینها کان متحدا فی الهدف (و هو الدفاع عن حقوق المظلومین» مع حلف «الفضول» لذلک سمّی هذا الاتفاق

---

(۱) سیره ابن هشام: ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۸۷، الأغانی: ج ۲۲ ص ۵۶- ۷۵.

(۲) الأغانی: ج ۲۲ ص ۷۳.

(۳) البدایة و النهایة: ج ۱ ص ۲۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۹

و هذا الحلف بحلف «الفضول» أیضا.

(۱) فقبل البعثة النبویة الشریفة بعشرین عاما دخل رجل من «زبید» فی مکة فی شهر ذی القعدة، و عرض بضاعة له للبیع فاشتراها منه «العاص بن وائل»، و حبس عنه حقه، فاستعدی علیه الزبیدیّ قریشا، و طلب منهم أن ینصروه علی العاص، و قریش آنذاک فی اندیتهم حول الکعبة، فنادی بأعلی صوته:

یا آل فهر لمظلوم بضاعتهببطن مکة نائی الدار و النفر

و محرم أشعث لم یقض عمرتهیا للرّجال و بین الحجر و الحجر

إن الحرام لمن تمّت کرامتهو لا حرام لثوب الفاجر القذر فأثارت هذه الأبیات العاطفیة مشاعر رجال من قریش، و هیّجت غیرتهم، (۲) فقام «الزبیر بن عبد المطّلب» و عزم علی نصرته، و أیّده فی ذلک آخرون، فاجتمعوا فی دار «عبد اللّه بن جدعان» و تحالفوا و تعاهدوا باللّه لیکوننّ یدا واحدة مع المظلوم علی الظالم حتی یؤدّی إلیه حقه ما أمکنهم ذلک ثم مشوا إلی «العاص بن وائل» فانتزعوا منه سلعة الزبیدی فدفعوها إلیه.

و قد أنشد الزبیر بن عبد المطلب فی ذلک شعرا فقال:

إن الفضول تعاقدوا و تحالفواألّا یقیم ببطن مکّة ظالم

أمر علیه تعاقدوا و تواثقوافالجار و المعترّ فیهم سالم و قال أیضا:

حلفت لنعقدن حلفا علیهمو إن کنّا جمیعا أهل دار

نسمّیه «الفضول» إذا عقدنایعزّبه الغریب لذی الجوار

و یعلم من حوالی البیت أنّااباة الضیم نمنع کلّ عار «۱» (۳) و قد شارک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فی هذا الحلف الذی ضمن حقوق المظلومین و حیاتهم، و قد نقلت عنه صلّی اللّه علیه و آله عبارات کثیرة یشید فیها بذلک الحلف و یعتزّ فیها بمشارکته فیه و ها نحن ننقل حدیثین منها فی

---

(۱) البدایة و النهایة: ج ۱ ص ۲۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۰

هذا المقام.

قال صلّی اللّه علیه و آله:

«لقد شهدت فی دار عبد اللّه بن جدعان حلفا لو دعیت به فی الإسلام لأجبت».

(۱) کما أن ابن هشام نقل فی سیرته أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یقول فی ما بعد عن هذا الحلف: «ما احبّ أنّ لی به حمر النعم».

و لقد بقی هذا الحلف یحظی بمکانة و احترام قویّین فی المجتمع العربی و الإسلامی حتی أن الأجیال القادمة کانت تری من واجبها الحفاظ علیه و العمل بموجبه، و یدل علی هذا قضیة وقعت فی عهد إمارة «الولید بن عتبة» الأموی «۱» علی المدینة.

فقد وقعت بین الإمام الحسین بن علی علیه السّلام و بین أمیر المدینة هذا منازعة فی مال متعلّق بالحسین علیه السّلام، و یبدو أن «الولید» تحامل علی الحسین فی حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذی لم یرضخ لحیف قط، و لم یسکت علی ظلم أبدا:

«أحلف باللّه لتنصفنّی من حقّی، أو لآخذنّ سیفی ثمّ لأقومنّ فی مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول» «۲».

(۲) فاستجاب للحسین فریق من الناس منهم «عبد اللّه بن الزبیر»، و کرّر هذه العبارة و أضاف قائلا: و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لآخذنّ سیفی ثمّ لأقومنّ معه حتی ینصف من حقّه أو نموت جمیعا.

و بلغت کلمة الحسین السبط علیه السّلام هذه إلی رجال آخرین کالمسورة بن مخرمة بن نوفل الزهری» و «عبد الرحمن بن عثمان» فقالا مثل ما قال «ابن الزبیر»، فلما بلغ ذلک «الولید بن عتبة» أنصف الحسین علیه السّلام من حقه حتی رضی «۳».

---

(۱) من قبل عمّه معاویة.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۲.

(۳) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۲۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۱

(۱)

۹ من فترة الشباب الی مزاولة التجارة

اشارة

یحمل القادة الالهیون العظماء و أصحاب الرسالات السماویة علی کواهلهم مسئولیات کبری، و مهام عظمی تلازم- فی الأغلب- التعرض للمتاعب و المصاعب، و العذاب، و تحمل الأذی، بل و ربما التعرض للقتل و الاغتیال، و کلما کبرت الاهداف، عظمت المشاکل، و المتاعب.

و علی هذا الاساس، فان نجاح القادة الرسالیّین یتوقف علی مدی صبرهم و استقامتهم فی وجه الاتهامات و المضایقات، و فی وجه الأذی و العذاب، لأن الصبر و التحمل فی جمیع مراحل الجهاد و العمل هو الشرط الاساسیّ للوصول الی المقصود، و الی تحقیق الهدف المنشود و الغایة المطلوبة.

(۲) من هنا لیس لقائد حقیقی أن یخشی کثرة العدو، و لیس له ان ینسحب، أو یضعف لقلّة الاتباع و المؤیدین و بالتالی لیس له أن یقلق للنوائب فیخور عزیمته، او ترخو إرادته، مهما عظمت حلق البلاء و اشتدت، و مهما تزایدت، أو تواترت.

إنّنا نقرأ فی تاریخ الأنبیاء و قصصهم امورا یعسر علی الانسان العادیّ هضمها، و یصعب تصوّرها.

فعن نوح النبیّ علیه السّلام نقرأ أنه دعا قومه تسعمائة و خمسین عاما، و لم تنتج هذه الدعوة الطویلة المضنیة سوی قلة من المؤمنین و المؤیدین الذین لم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۲

یتجاوز عددهم الواحد و الثمانین، و هذا یعنی أنه لم یوفق فی کل اثنی عشر عاما إلا لهدایة شخص واحد.

إنّ إرادة الصبر، و قوّة التحمّل، و التصبر تظهر لدی الإنسان شیئا فشیئا، فلا بدّ أن تتلاحق حوادث صعبة، و لا بد أن یمرّ المرء بنوائب مزعجة حتی تأنس روحه بالامور الثقیلة، و القضایا الصعبة.

(۱) لقد قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شطرا من حیاته قبل البعثة فی رعی الغنم فی الصحاری و القفار، لیکون بذلک صبورا فی تربیة الناس الذین سیکلّف بقیادتهم و هدایتهم، و لیستسهل کل صعب فی هذا المجال.

إن ادارة المجتمع البشریّ من أصعب الامور التی تواجه القادة، و رجال الاصلاح. و المقدرة علی الإدارة هذه لا تسنح و لا تتهیّأ لأحد إلّا بعد مزاولة الامور الصعبة، و ممارسة الأعمال الشاقة، و ربما یکون قیام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برعی الغنم من هذا الباب، و لهذا جاء فی الحدیث.

«ما بعث اللّه نبیّا قطّ حتّی یسترعیه الغنم لیعلّمه بذلک رعیة النّاس» «۱».

لقد قضی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله شطرا من عمره الشریف فی هذا المجال، و ینقل کثیر من أرباب السیر و المؤرخین هذه العبارة عنه صلّی اللّه علیه و آله:

«ما من نبیّ إلّا و قد رعی الغنم» قیل: و أنت یا رسول اللّه؟

فقال: «أنا رعیتها لأهل مکّة بالقراریط» «۲».

(۲) إن شخصیة عظیمة یفترض فیها أن تواجه- فی المستقبل- أشخاصا عنودین کأبی جهل و أبی لهب، و أن تصنع ممن انحطت أفکارهم حتی أنهم سجدوا لکل حجر و مدر، أفرادا لا یخضعون لأی شیء سوی ارادة الحق و مشیئته، لا بدّ أن تتسلح قبل ذلک بسلاح الصبر، و تتجهز بأداة التحمل، و تتزود مسبقا بقدرة الاستقامة علی طریق الهدف، و هذا لا یکون إلّا بتعوید النفس علی هذه

---

(۱) سفینة البحار: مادّة نبأ.

(۲) السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱ ص ۱۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۳

الصفات، و حملها علی مشاق الاعمال:

(۱)

سبب آخر لرعی الغنم:

و یمکن أن نذکر هنا سببا آخر أیضا و هو ان رجلا حرّ النفس و العقل کرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تجری فی شرایینه و عروقه دماء الغیرة و الشجاعة کان یشق علیه ان یشاهد کل ذلک الظلم و الحیف الذی کان یمارسه طغاة مکة، و عتاة قریش و زعماؤها الظالمون القساة بحق الضعفاء، و المحرومین، و کذا کان یشق علیه ان یری تظاهرهم بالعصیان و الفسوق فی حرم اللّه، و عند بیته المعظم.

إن اعراض سکّان مکة عن عبادة اللّه الواحد الحق، و طوافهم حول تلک الأصنام الخاویة هی- بلا ریب- أسوأ و اقبح ما یکون فی نظر الرجل الفاهم، و العاقل العالم، و اثقل ما یکون علیه.

من هنا رأی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یقضی ردحا من الزمن فی الصحاری و القفار و عند سفوح الجبال التی کانت یومئذ بعیدة بطبیعة الحال عن تلک المجتمعات الفاسدة و أحوالها و أوضاعها، لیستریح (أو یتخلص) بعض الشیء من آلامه الروحیة الناشئة من رؤیة تلک الأوضاع المزریة، و الأحوال المشینة.

(۲) علی أنّ هذا الأمر لا یعنی أن للرجل المتقی أن یسکت علی الفساد و الظلم، و یقرّ علیهما.

و یفرّق بین حیاته و حیاة الآخرین و یعتزل عنهم و یتخذ موقف اللامبالاة تجاه الأوضاع المنحرفة، و الاحوال الشاذة، بل ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لما کان مأمورا من جانب اللّه سبحانه بالسکوت و الانتظار، لانه لم تکن ظروف «البعثة» و الهدایة قد توفرت و تهیأت بعد لذلک اتخذ صلّی اللّه علیه و آله مثل هذا الموقف.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۴

(۱)

سبب ثالث:

و لقد کان هذا العمل (أی الاشتغال برعی الاغنام فی البراری و القفار و عند السهول و سفوح الجبال) فرصة جیدة لأن یتمکن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من النظر فی خلق السماوات و التطلع فی النجوم و الکواکب و أحوالها و أوضاعها، و بالتالی الامعان فی الآیات الأنفسیة و الآفاقیة التی هی جمیعا من آیات وجود اللّه تعالی، و من مظاهر قدرته و حکمته و علمه و إرادته.

ان قلوب الأنبياء و المرسلين مع أنها منوّرة بمصابيح المعرفة المشرقة و مضاءة بأنوار الايمان و التوحيد منذ بدء فطرتها، و خلقتها، و لكنهم مع ذلك لا يرون أنفسهم فى غنى عن النظر فى عالم الخلق، و التفكر فى الآيات الالهية، اذ من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الايمان، و يبلغون اسمى درجات اليقين، و بالتالى يتمكنون من الوقوف على ملكوت السماوات و الأرضين.

(۲)

اقتراح أبى طالب:

لقد دفع وضع (محمّد) المعيشى الصعب «أبا طالب» سيد قريش و زعيمها الذى كان معروفا بالسخاء و موصوفا بالشهامة، و علو الطبع، و إباء النفس إلى ان يفكر فى عمل لابن أخيه، كيما يخفف عنه وطأة ذلك الوضع.

و من هنا اقترح على ابن أخيه «محمّد» العمل و التجارة بأموال «خديجة بنت خويلد» التى كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم، و مال كثير، تستأجر الرجال فى مالها أو تضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه.

فقد قال أبو طالب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله: يا ابن أخى هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بما لها اكثر الناس و هى تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك، و فضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك.

(۳) و لكن إباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علوّ طبعه، منعاه من الإقدام

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۵

بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، و لهذا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمّه: فلعلّها أن ترسل إلىّ فى ذلك، لأنّها تعرف بأنه المعروف بالأمين بين الناس.

فبلغ «خديجة» بنت خويلد، ما دار بين النبىّ و عمه «أبى طالب»، فبعثت إليه فورا تقول له: إنّى دعانى الى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم أمانتك، و كرم أخلاقك، و أنا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك و ابعث معك غلامين يأتمران بأمرك فى السفر.

فاخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمّه بذلك فقال له ابو طالب: «إنّ هذا رزق ساقه اللّه إليك» «۱».

هل عمل النبى أجيرا لخديجة؟

(۱) و هنا لا بدّ من التذكير بنقطة فى هذا المجال و هى:

هل عمل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجيرا فى أموال خديجة، أم أنه قد عمل فى تجارتها بصورة اخرى كالمضاربة، و ذلك بأن تعاقد النبى مع خديجة على أن يتاجر بأموالها على أن يشاركها فى ارباح تلك التجارة؟

انّ مكانة البيت الهاشمىّ، و إباء النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله، و مناعة طبعه، كل تلك الامور و الخصال توجب أن يكون عمل النبى فى أموال خديجة قد تمّ بالصورة الثانية (أى العمل فى تجارتها على نحو المضاربة لا الإجارة)، و تؤيّد هذا المطلب أمور هى:

(۲) أولا- انه لا يوجد فى اقتراح أبى طالب أيّة اشارة و لا أى كلام عن الإجارة، بل قد تحاور أبو طالب مع إخوته (أعمام النبىّ) فى هذه المسألة من قبل و قال:

«امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتى نسألها ان تعطى محمّدا مالا يتّجر به «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲، السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲ و ۱۳۳، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۲۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۶

(۱) ثانیا: ان المؤرخ الأقدم المعروف بالیعقوبی کتب تاریخه: ان النبی ما کان أجیرا لأحد قط «۱».

ثالثا: ان الجنابذی صرّح فی کتابه «معالم العترة» بأن «خدیجة» کانت تضارب الرجال فی مالها، بشیء تجعله لهم منه (ای من ذلک المال او من ربحه) «۲».

(۲) تهیّأت قافلة قریش التجاریة للسفر الی الشام، و فیها أموال «خدیجة» أیضا، فی هذا الاثناء جعلت «خدیجة» بعیرا قویا و شیئا من البضاعة الثمینة تحت تصرّف وکیلها (أی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله) و امرت غلامیها (میسرة و ناصح) اللذین قررت ان یرافقاه صلّی اللّه علیه و آله، بان یمتثلا أوامراه، و یطیعاه، و یتعاملا معه بأدب طوال تلک الرحلة، و لا یخالفاه فی شیء «۳».

و أخیرا وصلت القافلة إلی مقصدها و استفاد الجمیع فی هذه الرحلة التجاریة أرباحا، إلا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ربح اکثر من الجمیع، کما أنه ابتاع أشیاء من الشام لبیعها فی سوق «تهامة».

ثم عادت تلک القافلة التجاریة إلی «مکة» بعد ذلک المکسب الکبیر، و الحصول علی الربح الوفیر.

و لقد تسنی لفتی قریش «محمّد» أن یمرّ- للمرة الثانیة فی هذه السفرة- علی دیار عاد و ثمود.

(۳) و قد حمله الصمت الکبیر الذی کان یخیّم علی دیار و اطلال تلک الجماعة العاصیة المتمردة فی نقلة روحانیة الی العوالم الاخری اکثر فاکثر، هذا مضافا إلی أن هذه الرحلة جدّدت خواطره و ذکریاته فی السفرة الاولی، فقد تذکّر یوم طوی مع عمه «ابی طالب» هذه الصحاری نفسها و هذه القفار ذاتها، و ما کان یحظی

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۲۱.

(۲) بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۹ نقلا عن معالم العترة.

(۳) قالت خدیجة لهما: اعلما أننی قد أرسلت إلیکما أمینا علی أموالی و أنّه أمیر قریش و سیّدها، فلا ید علی یده، فإن باع لا یمنع و إن ترک لا یؤمر و لیکن کلامکما له بلطف و أدب و لا یعلو کلامکما علی کلامه بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۷

فیها من عمه من الحدب و العنایة.

(۱) و عند ما اقتربت قافلة قریش إلی «مکة»، و صارت عند مشارفها، التفت «میسرة» غلام خدیجة، الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال: «یا محمّد لقد ربحنا فی هذه السفرة ببرکتک ما لم نربح فی اربعین سنة، فاستقبل بخدیجة و أبشرها بربحنا» فأخذ النبی باقتراح میسرة، و سبق القافلة العائدة فی الدخول الی مکة، و توجه نحو بیت «خدیجة» بینما کانت خدیجة جالسة فی غرفتها، فلما رأت النبی مقبلا علیها، نزلت من منظرتها و رکضت نحوه و استقبلته، و أدخلته فی غرفتها، فخبّرها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما ربحوا، ببیان جمیل، و کلام بلیغ، فسرت «خدیجة» بذلک سرورا عظیما، ثم قدم «میسرة» فی الأثر، و دخل علیها، و أخبرها بکل ما رآه و شاهده من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک السفرة من الکرامة و الخیر، و الخلق العظیم، و الخصال الکریمة، و من الامور التی کانت برمتها تدل علی عظمة شخصیته صلّی اللّه علیه و آله، و سمو خصاله «۱»، و من جملة ما حدثها به میسرة هو أنه لما وقع بین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بین رجل تلاح و جدال فی بیع قال له ذلک الرجل: احلف باللات و العزی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما حلفت بهما قط، و إنی لأمرّ فاعرض عنهما «۲».

(۲) و حدثها أیضا بأنه لما مرّ ببصری نزلا فی ظل شجرة لیستریحا فقال راهب کان یعیش هناک لما رأی النبیّ یستریح فی ظل تلک الشجرة-: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبیّ» سأل عن اسمه، فأخبره میسرة باسمه فقال: «هو نبیّ و هو آخر الأنبیاء، إنه هو هو و

منزّل الانجیل، و قد قرأت عنه بشائر کثیرة» «۳».

---

(۱) الخرائج: ص ۱۸۶، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۵.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰ و فی بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸: انه صلّی اللّه علیه و آله قال:

إلیک عنی ثکلتک امّک فما تکلّمت العرب بکلمة اثقل علیّ من هذه الکلمة.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰، الکامل لابن الأثیر: ج ۲ ص ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۸

(۱)

خدیجة زوجة الرّسول الاولی:

اشارة

حتی قبل ذلک الیوم لم تکن حالة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الاقتصادیة و وضعه المالی یحسد علیه، فقد کان بحاجة إلی مساعدة عمّه «أبی طالب» المالیة، و لم یکن شغله علی النحو الذی یکفی لضمان نفقاته، من جانب، و تمکینه من اختیار زوجة و شریکة حیاة و تکوین عائلة، من جانب آخر.

و لکن هذه السفرة إلی الشام و بخاصة علی نحو الوکالة و المضاربة فی أموال امرأة جلیلة، معروفة فی قریش (أعنی خدیجة) ساعدت و الی حدّ کبیر علی تثبیت وضعه الاقتصادی و تقویة بنیته المالیة.

و لقد اعجبت «خدیجة» بعظمة فتی قریش و سموّ أخلاقه، و مقدرته التجاریة حتی أنها أرادت أن تعطیه زیادة علی ما تعاقدا علیه، تقدیرا له، و اعجابا به، و لکنه اکتفی بأخذ ما تقرر فی البدایة ثم توجه إلی بیت عمه «أبی طالب» و قدّم کل ما أخذه من «خدیجة» الی عمه «أبی طالب» لیوسّع به علی أهله.

(۲) ففرح «أبو طالب» بما عاین من ابن اخیه، و بقیة أبیه «عبد المطلب»، و أخیه «عبد اللّه» و اغرورقت عیناه بالدموع، و سرّ بما حقق من نجاح و ما حصل علیه من ربح من تلک التجارة سرورا کبیرا، و استعدّ أن یعطیه بعیرین یسافر علیهما و یتاجر، و راحلتین یصلح بهما شأنه، لیتسنی له بأن یحصل علی ثروة و مال یعطیه لعمه لیختار له زوجة.

فی مثل هذه الظروف بالذات عزم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عزما قاطعا علی أن یتخذ لنفسه شریکة حیاة و یکوّن اسرة، و لکن کیف وقع الاختیار علی «خدیجة» التی سبق لها أن رفضت کل طلبات الزواج التی تقدم بها کبار الاثریاء و الشخصیات القرشیة مثل «عاقبة بن أبی معیط»، و «أبو جهل» و «أبو سفیان» للزواج بها؟؟!، و ما ذا کانت العلل التی جمعت هذین الشخصین غیر المشابهین، من حیث مستوی الحیاة، و الثراء؟ و کیف ظهرت تلک الرابطة القویة، و تلک العلاقة المعنویّة العمیقة، و الالفة و المحبة بینهما إلی درجة أنّ

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۹

«خدیجة» سلام اللّه علیها وهبت کل ثروتها للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله لینفقها فی نشر الإسلام، و إعلاء کلمة الحق، و إرساء قواعد التوحید، و بث الدین الجدید، و أصبحت تلک الدار المفخمة التی کانت تزینها الکراسی المرصّعة، و الستر المطرّزة، المصنوعة من أغلی الأقمشة الهندیة، و الإیرانیة، ملجأ للمسلمین، و ملتقی لانصار الرسالة؟!!

(۱) لا بدّ من البحث عن جذور هذه الحوادث فی تاریخ حیاة «خدیجة» نفسها، فان من المسلّم و البدیهیّ أن هذا النوع من الفداء، و التفانی و الإیثار لم یکن ثابتا لیتحقق ما لم یکن لها جذور معنویة و طاهرة.

إن صفحات التاریخ لتشهد بأنّ هذا الزواج کان ناشئا من إیمان «خدیجة» بتقوی عزیز قریش و فتاها الامین «محمّد» و طهره، و حبها الشدید لعفته و کرم أخلاقه، و لهذا قال النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی حقها:

«أفضل نساء الجنة أربع: خدیجة ...» «۱».

إنها أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فقد قال علی أمیر المؤمنین علیه السّلام: فی خطبته التی یشیر فیها إلی غربة الإسلام فی مبدأ البعثة النبویة الشریفة:

«لم یجمع بیت واحد یومئذ فی الإسلام غیر رسول اللّه و خدیجة و أنا ثالثهما» «۲».

(۲) و یکتب «ابن الأثیر» قائلا: إنّ عفیف الکندی کان امرأ تاجرا قدم مکة أیام الحج فرأی رجلا قام تجاه الکعبة یصلّی ثم خرجت امراة تصلّی معه، ثم خرج غلام فقام یصلی معه، فمضی یسأل العباس عمّ النبیّ عن هؤلاء، و عن هذا الدین، فقال العباس:

---

(۱) خصال الصدوق: ج ۱ ص ۹۶ و غیره.

(۲) الکامل: ج ۲ ص ۳۷، شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید المعتزلی الشافعی: ج ۱۳ ص ۱۹۷- ۲۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۰

هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخی زعم أن اللّه ارسله، و هذه امرأته خدیجة آمنت به، و هذا الغلام علی بن أبی طالب آمن به، و أیم اللّه ما أعلم علی ظهر الأرض أحدا علی هذا الدین إلّا هؤلاء الثلاثة «۱».

و ینبغی هنا أن نعطی لمحة عن مکانة خدیجة فی الإسلام تکمیلا لهذه الدراسة.

خدیجة فی أحادیث الرسول صلّی اللّه علیه و آله:

لقد اکتسبت «خدیجة» بفضل إیمانها العمیق بالرسالة المحمدیة، و تفانیها فی سبیل الاسلام، و بسبب حرصها العجیب علی حیاة صاحب الرسالة و سلامته، و عملها المخلص علی انجاح مهمته، و مشارکتها الفعّالة، فی دفع عجلة الدعوة الی الإمام، و مشاطرتها للنبی فی اکثر ما تحمله من محن و أذی بصبر و استقامة وحب و رغبة.

لقد اکتسبت خدیجة بفضل کل هذا و غیره مکانة سامیة فی الإسلام، حتی ان النبیّ ذکرها فی أحادیث کثیرة و أشاد بفضلها، و مکانتها و شرفها علی غیرها من النساء المسلمات المؤمنات، و ذلک و لا شک ینطوی علی اکثر من هدف.

فمن جملة الأهداف التی ربما توخاها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من الاشادة بخدیجة سلام اللّه علیها الفات نظر المرأة المسلمة الی القدوة التی ینبغی أن تقتدی بها فی حیاتها و سلوکها فی جمیع المجالات و الأبعاد، و الظروف، و الحالات.

هذا مضافا إلی ما یمکن أن تقدمه المرأة و هی نصف المجتمع (إن لم تکن اکثره أحیانا) من دعم جدّی للرسالة، ماديا کان أو معنویا.

و فیما یلی نأتی ببعض الأحادیث الشریفة التی تعکس مکانة خدیجة، و مقامها، و مدی إسهامها فی نصرة الإسلام و دعم دعوته، و إرساء قواعده. سید المرسلین ج۱ ۲۶۰ خدیجة فی أحادیث الرسول صلی الله علیه و آله: ..... ص : ۲۶۰

عن أبی زرعة عن ابی هریرة یقول قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله]:

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۳ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۱

أتانی جبرئیل علیه السّلام فقال یا رسول اللّه هذه خدیجة قد أتتک و معها آنیة فیها ادام أو طعام أو شراب، فاذا هی أتتک فاقرأ علیها السّلام من ربّها و منّی، و بشّرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فیه و لا نصب» «۱».

۲- عن عائشة قالت: ما غرت علی امرأة ما غرت علی خدیجة، و لقد هلکت قبل أن یتزوجنی بثلاث سنین، لما کنت اسمعه یذکرها، و لقد أمره ربه عزّ و جلّ ان یبشرها ببیت من قصب فی الجنة، و إن کان لیذبح الشاة ثم یهدیها الی خلائلها (ای خلیلاتها و صدیقاتها) «۲».

۳- و عن عائشة أیضا قالت ما غرت علی نساء النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم إلا علی خدیجة، و انی لم أدرکها، (قالت): و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم إذا ذبح الشاة فیقول: أرسلوا بها الی اصدقاء خدیجة قالت: «أی عائشة» فاغضبته یوما فقلت: خدیجة!! فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«انی قد رزقت حبّها» «۳».

۴- و من هذا القبیل ما کان یقوم به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع صاحبات خدیجة من الاحترام لهن و الاحتفال بهنّ:

فقد وقف صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی عجوز فجعل یسألها، و یتحفاها، و قال:

«ان حسن العهد من الایمان، انها کانت تأتینا أیام خدیجة» «۴»

۵- و روی عن انس قال کان النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] إذا اتی بهدیة قال: «اذهبوا بها إلی بیت فلانة فانها کانت صدیقة لخدیجة إنها کانت تحب خدیجة» «۵»

---

(۱) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳، مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ بطرق متعددة صحیحة علی شرط الشیخین.

(۲) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۴، و مثلها فی صحیح البخاری: ج ۵ ص ۳۸ و ۳۹.

(۳) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۴، و مثلها فی صحیح البخاری: ج ۵ ص ۳۸ و ۳۹.

(۴) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۸، ص ۱۰۸.

(۵) سفینة البحار: ج ۱ ص ۳۸۰ (خدج).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۲

۶- روی مجاهد عن الشعبی عن مسروق عن عائشة قالت: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم لا یکاد یخرج من البیت حتی یذکر خدیجة فیحسن الثناء علیها، فذکرها یوما من الایام فادرکتنی الغیرة فقلت: هل کانت إلا عجوزا فقد أبدلک اللّه خیرا منها، فغضب حتی أهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «لا و اللّه ما أبدلنی اللّه خیرا منها، آمنت بی إذ کفر الناس، و صدّقتنی و کذّبنی الناس و واستنی فی ما لها اذ حرمنی الناس و رزقنی اللّه منها أولادا إذ حرمنی أولاد النساء» قالت عائشة فقلت فی نفسی: لا أذکرها بسیئة ابدا «۱».

۷- عن یعلی بن المغیرة عن ابن ابی رواد قال: دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم علی خدیجة فی مرضها الذی ماتت فیه، فقال لها:

«یا خدیجة أ تکرهین ما أری منک، و قد یجعل اللّه فی الکره خیرا کثیرا، أ ما علمت أن اللّه تعالی زوّجنی معک فی الجنة مریم بنت عمران، و کلثم اخت موسی و آسیة امرأة فرعون ...» «۲».

۸- عن عکرمة عن ابن عباس قال خطّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أربع خطط فی الأرض و قال: أ تدرون ما هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أفضل نساء الجنة أربع: خدیجة بنت خویلد، و فاطمة بنت محمّد، و مریم بنت

عمران و آسیة بنت مزاحم امرأة فرعون» «۳».

۹- عن أنس جاء جبرئیل الی النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] و عنده خدیجة فقال: إن اللّه یقرئ خدیجة السلام فقالت: إن اللّه هو السلام، و علیک السلام، و رحمة اللّه و برکاته «۴».

۱۰- عن أبی الحسن الأول (الکاظم) علیه السّلام قال قال رسول اللّه صلّی

---

(۱) اسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۸، و رواها مسلم أیضا: ج ۷ ص ۱۳۴، و کذا البخاری: ج ۵ ص ۳۹ و قد حذفا آخرها من: فغضب حتی ... الی آخر الروایة.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۴۷، و أسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۹.

(۳) الخصال للصدوق: ج ۱ ص ۹۶، کما فی بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲.

(۴) المستدرک علی الصحیحین: ج ۳ ص ۱۸۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۳

اللّه علیه و آله: «إن اللّه اختار من النساء اربعا: مریم و آسیة و خدیجة و فاطمة» «۱».

۱۱- عن ابی الیقظان عمران بن عبد اللّه عن ربیعة السعدی قال أتیت حذیفة بن الیمان و هو فی مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسمعته یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول:

«خدیجة بنت خویلد سابقة نساء العالمین إلی الایمان باللّه و بمحمد (صلّی اللّه علیه و آله)» «۲».

۱۲- عن عروة قال قالت عائشة لفاطمة رضی اللّه عنها بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم: أ لا ابشرک أنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] یقول:

«سیدات نساء أهل الجنة أربع: مریم بنت عمران، و فاطمة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم، و خدیجة بنت خویلد و آسیة» «۳».

۱۳- عن أبی عبد اللّه (الصادق) علیه السّلام قال: دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منزله، فاذا عائشة مقبلة علی فاطمة تصایحها و هی تقول: و اللّه یا بنت خدیجة، ما ترین إلا أن لامک علینا فضلا، و أی فضل کان لها علینا؟! ما هی إلّا کبعضنا، فسمع صلّی اللّه علیه و آله مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بکت، فقال: ما یبکیک یا بنت محمّد؟! قالت: ذکرت امّی فتنقّصتها فبکیت، فغضب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. ثم قال:

«مه یا حمیراء، فان اللّه تبارک و تعالی بارک فی الودود الولود، و أن خدیجة رحمها اللّه ولدت منّی طاهرا، و هو عبد اللّه و هو المطهّر و ولدت منّی القاسم، و فاطمة، و رقیة، و أمّ کلثوم، و زینب، و أنت ممن أعقم اللّه رحمه فلم تلدی

---

(۱) الخصال: ج ۱ ص ۹۶، کما فی البحار: ج ۱۶ ص ۲.

(۲) المستدرک علی الصحیحین: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روایات بمضمون ذیل الحدیث فی صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

(۳) المستدرک علی الصحیحین: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روایات بمضمون ذیل الحدیث فی صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۴

شیئا» «۱».

أجل هذه هی «خدیجة بنت خویلد» شرف و عقل، و حب عمیق لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و وفاء و إخلاص، و تضحیة بالغالی و الرخیص فی سبیل الإسلام الحنیف.

هـذه هی «خدیجة» أول من آمنت باللّه و رسوله، و صدّقت محمّدا فیما جاء به عن ربه، من النساء، و آزره، فکان صـلّی اللّه علیه و آله لاـ یسـمع من المشـرکین شـیئا یکرهه من ردّ علیه، و تکـذیب له الّا فرّج اللّه عنه بخدیجـة التی کانت تخفف عنه «۲»، و تهـوّن علیه ما یلقی من قومه، بما تمنحه من لطفها، و عطفها، و عنایتها به صلّی اللّه علیه و آله، فی غایة الاخلاص و الودّ و التفانی.

و لهـذا کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یحبّها حبا شدیـدا و یجلّها و بقدرها حق قدرها «۳»، و لم یفتأ یـذکرها، و لم یتزوج علیها غیرها حتی رحلت وفاء لها، و احتراما لشخصـها و مشاعرها، و کان یغضب إذا ذکرها احـد بسوء، کیف و هی التی آمنت به اذ کفر به الناس، و صدّقته اذ کذّبه الناس، و واسته فی ما لها اذ حرمه الناس.

و لهذا أیضا کان وفاتها مصـیبة عظیمة أحزنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دفعته إلی أن یسمّی ذلک العام الذی توفی فیه ناصـراه و حامیاه، و رفیقا آلامه (زوجته هـذه: خدیجة بنت خویلد و عمه المؤمن الصامد الصابر ابو طالب علیهما السّـلام) بعام الحداد، او عام الحزن «۴» و ان یلزم بیته و یقلّ الخروج «۵»،

---

(۱) الخصال: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، کما فی بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۳.

(۲) اعلام النساء لعمر رضا کحالة: ج ۱ ص ۳۲۸.

(۳) اعلام النساء: ج ۱ ص ۳۳۰.

(۴) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۳۵، و قد روی عنه صلّی اللّه علیه و آله أنه قال بهذه المناسبة:

«اجتمعت علی هـذه الامة مصـیبتان لا أدری بأیهما أنا أشدّ جزعا» المصدر نفسه، و راجع تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۰۱ نقلا عن سیرة مغلطای.

(۵) السـیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۴۷، المواهب اللدنیـة حسب نقل تاریـخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۰۲ و فیه إضافـة: و نـالت قریش منه ما لم تکن تنال.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۵

و أن ینزل صلّی اللّه علیه و آله عند دفنها فی حفرتها، و یدخلها القبر بیده، فی الحجون «۱».

عن ابن عباس فی حدیث طویل فی زواج فاطمة الزهراء علیها السّـلام بعلی علیه السّـلام اجتمعت نساء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و کان یومئذ فی بیت عائشة لیسألنّه أن یدخل الزهراء علی (علیّ) علیه السّلام فاحدقن به و قلت:

فدیناک بآبائنا و أمهاتنا یا رسول اللّه قد اجتمعنا لأمر لو أنّ «خدیجة» فی الأحیاء لقرّت بذلک عینها.

قالت أمّ سـلمة: فلما ذکرنا «خدیجـة» بکی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله ثم قال: «خدیجـة و این مثل خدیجة، صدّقتنی حین کذّبنی النـاس و وازرتنی علی دین اللّه و أعـانتنی علیه بمالها، إن اللّه عزّ و جلّ أمرنی أن ابشـر خدیجـة ببیت فی الجنـة من قصب (الزمرّد) لا صخب فیه و لا نصب» «۲».

لقـد کـانت خدیجـة من خیرة نسـاء قریش شـرفا، و اکثرهنّ مالا، و احسـنهن جمالا و أقواهنّ عقلا و فهما و کانت تـدعی فی الجاهلیة بالطاهرة لشدة عفافها و صـیانتها «۳» و یقال لها: سـیدة قریش «۴»، و کان لها من المکانـة و المنزلة بحیث کان کل قومها و سـراة أبناء جلدتها حریصین علی الاقتران بها «۵»، و قـد خطبها- کما یحـدثنا التاریخ- عظماء قریش و بذلوا لها الأموال، و ممن خطبها «عاقبة بن ابی معیط» و «الصـلت بن ابی یهاب» و «ابو جهل» و «ابو سـفیان» فرفضـتهم جمیعا، و اختارت رسول اللّه- و هی فی سن الأربعین و هو صلّی اللّه علیه و آله فی الخامسـة و العشـرین- و هی تمتلک تلکم الثروة الطائلة، و هو صـلّی اللّه علیه و آله لا یمتلک من حطام الدنیا إلّا الشیء الیسیر الیسیر، رغبة فی الاقتران به و لما عرفت فیه من کرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجایا الکریمة و الصفات العالیة، و هی ما کانت تبحث عنه فی حیاتها و تتعشقه و اذا بتلک المرأة الغنیة الثریة العائشة فی

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۴۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۱۳۱ نقلا عن کشف الیقین.

(۳) السیرة الحلبیّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۴) السیرة الحلبیّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۵) السیرة الحلبیّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۶

أفضل عیش تصبح فی بیت زوجها الرسول صلّی اللّه علیه و آله تلک الزوجة المطیعة الخاضعة، الوفیة المخلصة، و تسارع الی قبول دعوته، و اعتناق دینه بوعی و بصیرة و ارادة منها و اختیار، و هی تعلم ما ینطوی علیه ذلک من مخاطر و متاعب، و تجعل کل ثروتها فی خدمة العقیدة و المبدأ، و تشاطر زوجها آلامه، و متاعبه، و ترضی بأن تذوق مرارة الحصار فی شعب أبی طالب ثلاث سنوات و فی سنّ الرابعة أو الخامسة و الستین. و هی مع ذلک تواجه کل ذلک بصبر و ثبات «۱»، و دون أن یذکر عنها تبرّم او توجع.

هذا مضافا إلی أنها کانت تعامل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأدب تامّ یلیق بمقام الرسالة و النبوة، علی العکس من غیرها من بعض نساء النبیّ اللائی کن ربما یثرن سخطه و غضبه، و یؤذینه فی نفسه و أهله.

و إلیک فیما یأتی بعض ما قاله عنها کبار الشخصیات، و المؤرخین ممّا یکشف عن عظیم مکانتها عند المسلمین أیضا، قال امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام:

«کنت أول من أسلم، فمکثنا بذلک ثلاث حجج و ما علی الأرض خلق یصلّی و یشهد لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما أتاه غیری، و غیر ابنة خویلد رحمها اللّه و قد فعل» «۲».

و قال محمّد بن اسحاق: کانت خدیجة أول من آمن باللّه و رسوله و صدّقت بما جاء من اللّه، و وازرته علی أمره فخفف اللّه بذلک عن رسول اللّه، و کان لا یسمع شیئا یکرهه من ردّ علیه و تکذیب له فیحزنه ذلک إلا فرج اللّه ذلک عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بها اذا رجع إلیها تثبّته، و تخفّف عنه، و تهوّن

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۴ ص ۵۹ قال: خدیجة بنت خویلد و هی عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله محاصرة فی الشعب.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲ و مثله فی روایات متعددة فی شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۴ ص ۱۱۹ و ۱۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۷

علیه امر الناس حتی ماتت رحمها اللّه «۱».

و عنه أیضا: أن «خدیجة بنت خویلد» و «ابا طالب» ماتا فی عام واحد، فتتابع علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هلاک خدیجة و ابی طالب و کانت خدیجة وزیرة صدق علی الإسلام، و کان رسول اللّه یسکن إلیها «۲».

و قال أبو امامة ابن النقاش: ان سبق خدیجة و تأثیرها فی اول الإسلام و مؤازرتها و نصرتها و قیامها للّه بمالها و نفسها لم یشرکها فیه احد لا عائشة و لا غیرها من امهات المؤمنین «۳».

و قد جاء فی المنتقی: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند ما امر بأن یصدع بالرسالة صعد علی الصفا، و أخبر الناس بما أمره اللّه به فرماه أبو جهل قبحه اللّه بحجر فشجّ بین عینیه، و تبعه المشرکون بالحجارة فهرب حتی أتی الجبل، فسمع علیّ و خدیجة بذلک فراحا یلتمسانه صلّی اللّه علیه و آله و هو جائع عطشان مرهق، و مضت خدیجة تبحث عنه فی کل مکان فی الوادی و هی تنادیه بحرقة و

ألم، و تبكى و تنحب، فنظر جبرئيل إلى خديجة تجول فى الوادى فقال: يا رسول اللّه أ لا ترى إلى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقرأها منى السلام و قل لها: إن اللّه يقرئك السلام، و يبشّرها أن لها فى الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه و لا صخب فدعاها النبى صلّى اللّه عليه و آله و الدماء تسيل من وجهه على الارض و هو يمسحها و يردّها، و بقى رسول اللّه و صلّى اللّه عليه و آله، و على و خديجة هناك حتى جنّ الليل فانصرفوا جميعا و دخلت به خديجة منزلها، فأقعدته على الموضع الذى فيه الصخرة و اظلّته بصخرة من فوق رأسه، و قامت فى وجهه تستره ببردها و أقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فاذا جاءت من فوق راسه صخرة وقته الصخرة، و اذا رموه من تحته وقته الجدران الحيّط، و إذا رمى من بين يديه وقته خديجة رضى اللّه عنها بنفسها، و جعلت تنادى يا معشر قريش ترمى الحرّة

---

(۱) بحار الانوار: ج ۱۶، ص ۱۰- ۱۲.

(۲) نفس المصدر.

(۳) تاريخ الخمس فى أحوال أنفس نفيس: ج ۱ ص ۲۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۸

فى منزلها؟ فلمّا سمعوا ذلك انصرفوا عنه، و أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و غدا إلى المسجد يصلّى «۱».

و لقد بلغ من خضوعها لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حبّها له أنها بعد أن تم عقد زواجها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قالت له صلّى اللّه عليه و آله: «إلى بيتك، فبيتى بيتك، و أنا جاريتك» «۲».

و جاء فى السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: و لسبقها إلى الإسلام و حسن المعروف جزاها اللّه سبحانه فبعث جبرئيل الى النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو بغار حراء و قال له: اقرأ عليها السّلام من ربها و منى، و بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، فقالت: هو السلام و منه السلام و على جبرئيل السلام، و عليك يا رسول اللّه السلام و رحمة اللّه و بركاته، و هذا من وفور فقهها رضى اللّه عنها حيث جعلت مكان ردّ السلام على اللّه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به و ما يليق بغيره، قال ابن هشام و القصب هنا اللؤلؤ المجوف، و ابدى السهيلى لنفى النصب لطيفة هى انه صلّى اللّه عليه و آله لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا و لم تحوجه لرفع صوت و لا منازعة و لا نصب بل ازالت عنه كل تعب، و آنسته من كل وحشة، و هوّنت عليه كل عسير فناسب ان تكون منزلتها التى بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها و صورة حالها رضى اللّه عنها و اقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها، و تميزت أيضا بأنها لم تسؤه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم تغاضبه قط، و قد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها و بلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته «۳».

افتخار اهل البيت بخديجة عليها السّلام:

و ما يدل على سمو مقامها و علو منزلتها أن اهل البيت عليهم السّلام طالما

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۳

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴ نقلا عن الخرائج و الجرائح ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۶۹ الهامش.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۹

افتخروا بأن خديجة منهم، و انهم من خديجة و قد كانوا يعتزون بها، و يشيدون بمكانتها:

فقد خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين عليهما السّلام جالسان تحت المنبر فذكر عليا عليه السّلام فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذه الحسن بيده و أجلسه ثم قام فقال:

«أيّها الذاكر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ و أنت معاوية و أبوك صخر و أمى فاطمة و امّك هند وجدى رسول اللّه و جدّك عتبة بن ربيعة و جدتى خديجة وجدتك قتيلة فلعن اللّه أخملنا ذكرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قديما و حديثا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين «۱».

و قيل: ان «الحسين» عليه السّلام ساير «أنس بن مالك» فاتى قبر خديجة فبكى ثم قال: اذهب عنّى قال «أنس»؛ فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه فى الصلاة سمعته يقول:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاهفارحم عبيدا إليك ملجاه

يا ذا المعالى عليك معتمدىطوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادما أرقايشكو إلى ذى الجلال بلواه الى آخر الابيات «۲».

هكذا كان اهل البيت النبوى- اقتداء برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحترمون خديجة و يكرمونها لما كان لها من شخصية عظيمة و لما اسدته الى الإسلام و الى رسول الإسلام من خدمات لا تنسى على مرّ الدهور.

ان بيان و نقل الأحاديث و الروايات، و كذا الاقوال التى وردت فى شأن خديجة و الحديث عن شخصيتها و مكانتها و مدى إسهامها فى انجاح و نصرة الدعوة المحمدية خارج عن امكانية هذه الدراسة، و نطاقها، لذلك نكتفى بهذه الالماعة

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ۱۶، ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۴ ص ۱۹۳ نقلا عن عيون المحاسن.

سيد المرسلين ،ج۱،ص: ۲۷۰

العابرة تاركين الكلام باسهاب حولها إلى مجال آخر.

و لنعد إلى تبيّن الأسباب الظاهرية و الباطنية لزواجها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۱)

العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

إن الإنسان المادىّ الذى ينظر الى كل ما يحيط به من خلال المنظار المادى، و يفسره تفسيرا ماديا قد يتصور (و بالاحرى يظن) أن «خديجة» كانت امرأة تاجرة تهمّها تجارتها، و تنمية ثروتها، و لأنها كانت بحاجة ماسة الى رجل أمين قبل اى شىء، لذلك وجدت ضالتها فى محمّد الصادق الامين صلّى اللّه عليه و آله فتزوجت منه، بعد أن عرضت نفسها عليه و محمّد صلّى اللّه عليه و آله هو الآخر حيث انه كان يعلم بغناها و ثروتها، قبل بهذا العرض رغم ما كان بينه و بينها من فارق فى السن كبير.

و لكن التاريخ يثبت أن ثمة أسبابا و عللا معنويّة لا مادية هى التى دفعت بخديجة للزواج بأمين قريش و فتاها الصادق الطاهر.

و إليك فى ما يأتى شواهدنا على هذا الأمر:

(۲) ۱- عند ما سألت «خديجة» ميسرة عما رآه فى رحلته من فتى قريش «محمّد» فخبّرها ميسرة بما شاهد و رأى من «محمّد» فى تلك السفرة، و بما سمعه من راهب الشام حوله أحسّت «خديجة» فى نفسها بشوق عظيم و رغبة شديدة نحوه كانت نابغه من اعجابها

بمعنویة محمّد صلّی اللّه علیه و آله و کریم خصاله، و عظیم أخلاقه، فقالت من دون إرادتها: «حسبک یا میسرة؛ لقد زدتنی شوقا إلی محمّد صلّی اللّه علیه و آله، اذهب فانت حر لوجه اللّه، و زوجتک و أولادک و لک عندی مائتا درهم و راحلتان» ثم خلعت علیه خلعة سنیة «۱».

ثم إنها ذکرت ما سمعته من «میسرة» لورقة بن نوفل و کان من حکماء

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۵۲.

العرب: فقال ورقة: «لئن کان هذا حقا یا خدیجة إن محمّدا لنبیّ هذه الأمّة» «۱».

(۱) ۲- مرّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوما بمنزل «خدیجة بنت خویلد» و هی جالسة فی ملأ من نسائها و جواریها و خدمها و کان عندها حبر من أحبار الیهود، فلما مرّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله نظر إلیه ذلک الحبر و قال: یا خدیجة مری من یأتی بهذا الشاب، فأرسلت إلیه من أتی به، و دخل منزل «خدیجة»، فقال له الحبر:

اکشف عن ظهرک فلما کشف له قال الحبر: هذا و اللّه خاتم النبوة فقالت له خدیجة: لو رآک عمه و أنت تفتّشه لحلّت علیک منه نازلة البلاء و ان أعمامه لیحذرون علیه من أحبار الیهود:

فقال الحبر: و من یقدر علی «محمّد» هذا بسوء، هذا و حق الکلیم رسول الملک العظیم فی آخر الزمان، فطوبی لمن یکون له بعلا، و تکون له زوجة و أهلا فقد حازت شرف الدنیا و الآخرة.

فتعجّبت «خدیجة»، و انصرف «محمّد» و قد اشتغل قلب «خدیجة» بنت خویلد بحبه فقالت: أیها الحبر بم عرفت محمّدا انه نبی؟

قال: وجدت صفاته فی التوراة انه المبعوث آخر الزمان یموت أبوه و امّه، و یکفله جدّه و عمه، و سوف یتزوج بامرأة من قریش سیدة قومها و أمیرة عشیرتها، و أشار بیده الی خدیجة فلما سمعت «خدیجة» ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله فلما خرج من عندها قال: اجتهدی ان لا یفوتک «محمّد» فهو الشرف فی الدنیا و الآخرة «۲».

(۲) ۳- لقد کان ورقة بن نوفل (و هو عم خدیجة و کان من کهّان قریش و قد قرأ صحف «شیث» علیه السّلام و صحف «إبراهیم» علیه السّلام و قرأ التوراة و الانجیل و زبور «داود» علیه السّلام) یقول دائما: سیبعث رجل من قریش فی آخر

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۹۱، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۰ و ۲۱ نقلا عن کتاب الأنوار لأبی الحسن البکری.

الزمان یتزوج بامرأة من قریش تسود قومها (أو تکون سیدة قومها، و أمیرة عشیرتها)، و لهذا کان یقول لها: «یا خدیجة سوف تتصلین برجل یکون أشرف أهل الأرض و السماء» «۱».

(۱) هذه قضایا ذکرها بعض المؤرخین، و هی منقولة و مثبتة فی طائفة کبیرة من الکتب التاریخیة، و هی بمجموعها تدل علی العلل الحقیقة و الباطنیة لرغبة خدیجة فی الزواج برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و إن هذه الرغبة کانت ناشئة من اعجاب «خدیجة» بأخلاق فتی قریش الأمین، و نبله، و طهارته، و عظیم سجایاه و خصاله، و حبها لهذه الامور، و لیس هناک أی أثر فی علل هذا الزواج لامانة «محمّد» و کونه أصلح من غیره لهذا لسبب للقیام بتجارة «خدیجة».

(۲)

کیف تمّت خطبة خدیجة؟

من المسلّم به أن اقتراح الزواج جاء من جانب «خدیجة» نفسها أولا، حتی أن ابن هشام «۲» نقل فی سیرته: ان «خدیجة» لما أخبرها میسرة بما اخبرها به بعثت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقالت له: «یا ابن عم أبی قد رغبت فیک لقرابتک وسطتک [ای شرفک و مکانتک] فی قومک، و أمانتک و حسن خلقک، و صدق حدیثک» ثمّ اقترحت علیه أن تتزوج به.

و یعتقد اکثر المؤرّخین أن «نفیسة بنت علیّة» بلّغت رسالة «خدیجة» إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی النحو التالی:

قالت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا محمّد ما یمنعک أن تتزوج ...

و لو دعیت الی الجمال و المال و الشرف و الکفاءة الّا تجیب؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: فمن هی؟

فقالت. خدیجة، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و کیف لی بذلک، فقالت: علیّ، فذهبت الی خدیجة فأخبرتها، فأرسلت خدیجة إلی رسول اللّه صلّی

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۹ و ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۳

اللّه علیه و آله بوکیلها «عمرو بن اسد» «۱» لتحدید ساعة من اجل مراسم الخطبة فی محضر من الاقارب «۲».

(۱) فشاور النبی صلّی اللّه علیه و آله أعمامه و فی مقدمتهم «أبو طالب»، ثم عقدوا مجلسا فخما حضره کبار وجوه قریش، و رؤساؤها فخطب «أبو طالب»، و بعد ان حمد اللّه و اثنی علیه وصف ابن أخیه محمّدا بقوله:

«ثم إن ابن أخی هذا محمّد بن عبد اللّه لا یوزن به رجل إلّا رجح به شرفا و نبلا و فضلا و عقلا، و إن کان فی المال فإن المال ظلّ زائل، و أمر حائل و عاریة مسترجعة، و له فی خدیجة رغبة و لها فیه رغبة، و الصّداق ما سألتم عاجله و آجله من مالی، و محمّد من قد عرفتم قرابته».

و حیث أن «ابا طالب» تعرّض فی خطبته لذکر قریش، و بنی هاشم و فضیلتهم، و منزلتهم بین العرب، لذلک تکلّم «ورقة بن نوفل بن اسد» الذی کان من أقارب خدیجة «۳» و قال فی خطبة له: «لا تنکر العشیرة فضلکم، و لا یردّ أحد من الناس فخرکم و شرفکم و قد رغبنا فی الاتصال بحبلکم و شرفکم» «۴».

ثم اجری عقد النکاح و مهرها النبی صلّی اللّه علیه و آله أربعمائة دینار و قیل أصدقها عشرین بکرة «۵».

---

(۱) المعروف انّ والد خدیجة توفی فی حرب الفجار و لهذا قام بالایجاب من قبلها عمها عمرو بن اسد و لهذا لا یصح ما ذکره بعض المؤرخین من أنّ خویلد (والد خدیجة) امتنع من تزویجها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بدایة الأمر، ثم رضی بذلک نزولا عند رغبة خدیجة.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۳) المعروف أنّ ورقة کان عمّا لخدیجة و لکن هذا موضع نقاش لأنّ «خدیجة بنت خویلد بن اسد» و ورقة بن نوفل بن اسد فیکونان أولاد عمومة أی أنّه ابن عم خدیجة و هی بنت عمّه. و لذلک جاء فی بعض المصادر وصفه ب «ابن عمّها» (تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۸۲) و راجع قبله السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱، ص ۲۰۳.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۶، مناقب آل أبی طالب: ج ۱ ص ۳۰، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۵) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۴

(۱)

عمر خدیجة عند زواجها بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

المعروف المشهور أن خدیجة علیها السّلام تزوجت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هی فی سنّ الأربعین و أنها ولدت قبل عام الفیل بخمسة عشر عاما.

و ذکر البعض أقلّ من ذلک أیضا.

و ذکر أنها تزوجت قبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برجلین أوّلهما «عتیق بن عائذ» ثم من بعده ابو هالة التمیمی اللذین توفی کل منهما بعید زواجه بخدیجة «۱».

---

(۱) ربما یشکّک فی أن تکون خدیجة علیها السّلام قد تزوجت قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأحد و هی التی امتنعت عن کل من خطبها و رام تزویجها من سادات قریش و اشرافها. راجع الاستغاثة: ج ۱، ص ۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۵

(۱)

۱۰ من الزواج الی البعثة

اشارة

تعتبر فترة الشباب من أهمّ و أخطر الفترات فی حیاة الإنسان ففی هذه الفترة تبلغ الغریزة الجنسیة نضجها و کمالها، و تصبح النفس البشریة لعبة فی أیدی الأهواء و یغلب طوفان الشهوة علی فضاء العقل، و یغطّی الظلام سماء التفکیر، و تشتد حاکمیة الغرائز المادیة، و تتضاءل شعلة العقل، و تتراءی أمام عیون الشباب بین الحین و الآخر، و صباح مساء صروح عظیمة من الآمال الخیالیة.

و لو ملک الإنسان- فی مثل هذه الفترة- شیئا من الثروة، لتحوّلت حیاته إلی مسألة فی غایة الخطورة فالغرائز الحیوانیة، و صحة المزاج من جهة و الامکانات المادیة و المالیة من جهة اخری تتعاضدان و تغرقان المرء فی بحر من الشهوات، و النزوات، و تهیّئان له عالما بعیدا عن التفکیر فی المستقبل.

(۲) و من هنا یصف المربّون العلماء تلک الفترة الحساسة بأنها الحدّ الفاصل بین الشقاء و السعادة، و الفترة التی قلما یستطیع شاب أن یرسم لنفسه فیها مسارا معقولا، و یختار لنفسه طریقا واضحا علی أمل الحصول علی الملکات الفاضلة، و النفسیة الرفیعة الطاهرة التی تحفظه عن أی خطر متوقع «۱». حقا إن کبح جماح

---

(۱) و الی هذه الحقیقة اشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله:

إنّ الفراغ و الشباب و الجدةمفسدة للمرء أی مفسدة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۶

النفس، و زمّها و حفظها من الانزلاق فی مهاوی الشهوات، و النزوات فی مثل هذه الفترة لهو أمر جدّ عسیر، و لو أن الانسان حرم من تربیة عائلیة صحیحة مستقیمة کان علیه أن ینتظر مصیرا سیّئا، و مستقبلا فی غایة البؤس و الشقاء.

(۱)

فترة الشباب فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لیس من شک فی ان فتی قریش «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله کان یتمتع فی أیام شبابه بصحة جیدة، و قوة بدنیة عالیة، و کان شجاعا قویا، لأنّه صلّی اللّه علیه و آله قد تربی فی بیئة حرة بعیدة عن ضوضاء الحیاة، و فتح عینیه فی عائلة اتصف جمیع أفرادها و اعضائها بالشجاعة و الفروسیة، هذا من جانب، و من جانب آخر کان یمتلک ثروة «خدیجة» الطائلة فکانت ظروف الترف، و العیش الشهوانی متوفرة له بشکل کامل، و لکن کیف تری استفاد من هذه الامکانات المادیة هل مدّ موائد العیش و اللذة و شارک فی مجالس السهر و السمر و اللهو و اللعب. و اطلق العنان لشهوته، و فکر فی إشباع غرائزه الجنسیة کغیره من شباب ذلک العصر، و تلک البیئة الفاسدة.

أم أنّه اختار لنفسه منهجا آخر فی حیاته، و استفاد من کل تلک الإمکانات فی سبیل تحقیق حیاة زاخرة بالمعنویة، الأمر الذی تبدو ملامحه بجلاء لمن تتبع تلک الفترة الحساسة من تاریخه.

(۲) ان التاریخ لیشهد بأنه صلّی اللّه علیه و آله کان یعیش کما یعیش أی رجل رجل عاقل لبیب و فاضل رشید، و أنه طوی تلک السنوات الحساسة من حیاته کأحسن ما یکون، بعیدا عن العبث و الترف و الضیاع و الانزلاق إلی الشهوات و الانسیاق وراء التوافه.

بل ان التاریخ لیشهد بأنه کان اشد ما یکون نفورا من اللهو، و العبث، و الترف و المجون فقد کانت تلوح علی محیّاه دائما آثار التفکّر و التأمل، و کثیرا ما کان یلجأ الی سفوح الجبال او الکهوف و المغارات للابتعاد عن الجوّ الاجتماعی الموبوء فی مکة، یلبث هناک أیاما یتأمل فیها فی آثار القدرة الإلهیة،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۷

و فی عظمة الصنع الالهی، الرائع البدیع.

(۱)

احاسیسه و مشاعره الإنسانیة فی فترة الشباب:

و لقد وقعت فی احدی أسواق مکة ذات یوم حادثة هیّجت مشاعره الانسانیة و حرکت عواطفه و احاسیسه، فقد رأی مقامرا قد خسر بعیره و بیته، بل بلغ الأمر به أن استرقه منافسه عشرة أعوام.

و قد آلمت هذه القصة المأساویة فتی قریش «محمّد» بشدة، الی درجة أنّه لم یعد یحتمل البقاء فی «مکة» ذلک الیوم فغادرها من فوره و ذهب الی الجبال المحیطة بمکة ثم عاد بعد هزیع من اللیل.

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ینزعج بشدة لهذه المشاهد المحزنة و الاوضاع المأساویة، و کان یتعجب من ضعف عقول قومه، و انحطاط مدارکهم.

(۲) و لقد کان بیت «خدیجة» قبل زواج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها ملاذا للفقراء و کعبة لآمال المساکین و المحرومین، و بعد أن تزوج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها لم یطرأ علی وضع ذلک البیت أی تغییر من جهة الانفاق و البذل.

ففی سنین الجدب و القحط التی کانت تضرب مکة و ضواحیها بین الحین و الآخر ربما قدمت «حلیمة السعدیة» مکة لتزور ولدها

الرضاعی «محمّد» فکان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یکرمها و یحترمها، و یفرش رداءه تحت أقدامها، و یصغی لکلامها بعنایة و لطف، وفاء لجمیلها، و عرفانا لعواطفها و امومتها.

فقد روی أن «حلیمة» قدمت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکة بعد تزوّجه خدیجة، فشکت إلیه جدب البلاد و هلاک المواشی فکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «خدیجة» فأعطتها بعیرا و اربعین شاة، و انصرفت الی أهلها موفورة، مسرورة.

و روی أیضا انه استأذنت «حلیمة» علیه ذات مرة فلما دخلت علیه قال:

«امّی امّی» و عمد إلی ردائه فبسطه لها فقعدت علیه «۱».

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۸

(۱)

أولاد خدیجة:

لا ریب فی أنّ وجود الأولاد فی الحیاة العائلیّة ممّا یقوّی أواصر الوشیجة الزوجیة، و یعمّق جذورها، و یمنح الجوّ العائلیّ بهاء، و رونقا، و جمالا خاصا.

و لقد أنجبت «خدیجة» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ستة من الأولاد اثنین من الذکور، أکبرهما «القاسم» ثم «عبد اللّه» اللّذان کانا یدعیان ب: «الطاهر» و «الطیّب» و اربعة من الإناث.

کتب ابن هشام یقول فی هذا الصدد: أکبر بناته رقیّة ثم زینب ثم أمّ کلثوم، ثم فاطمة.

فأما الذکور من أولاده صلّی اللّه علیه و آله فماتوا قبل البعثة، و أما بناته فکلّهن أدرکن الإسلام «۱».

و رغم أن النبی صلّی اللّه علیه و آله قد عرف بصبره و جلده فی الحوادث و النوائب فربما انعکست احزانه القلبیة فی قطرات دموعه الساخنة المنحدرة علی خدّیه الشریفتین فی موت أولاده.

و لقد بلغ به الحزن و الغم لموت ولده «إبراهیم» من زوجته ماریة القبطیة حدا لم یحدث لغیره من أولاده، إلّا أنّه رغم ذلک الحزن الآخذ من قلبه مأخذا لم یفتر لسانه عن حمد اللّه و شکره حتی أن اعرابیا اعترض علیه صلّی اللّه علیه و آله لما وجده یبکی علی ولده قائلا: او لم تکن نهیت عن البکاء اجابه بقوله:

«انما هذا رحمة، و من لا یرحم لا یرحم» «۲».

(۲)

حدس لا أساس له من الواقع!!

لقد کتب الدکتور هیکل فی کتابه: «حیاة محمّد» یقول: «لا ریب أن

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۱۴۰، قرب الأسناد: ۶ و ۷، الخصال: ج ۲ ص ۳۷، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵- ۱۵۲. و قد ذکر البعض للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله اکثر من ولدین، یراجع تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۵، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۶۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۹

خدیجة عند موت کل واحد منهما (ای ولدی النبی: القاسم و عبد اللّه) فی الجاهلیة توجّهت إلی آلهتها الاصنام تسألها ما بالها لم تشملها برحمتها و برها» «۱».

إنّ هذا الکلام لا یستند إلی أی دلیل تاریخی، و لیس هو بالتالی إلا حدس باطل، و ادّعاء فارغ لیس له من منشأ إلّا ان أغلبیة أهل ذلک العصر کانوا عبدة أوثان، فلا بدّ ان خدیجة کانت علی منوالهم!!

فی حین ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یبغض الأصنام و الأوثان من بدایة شبابه، و قد اتضح موقفه منها أکثر فی سفرته الی الشام فی أموال خدیجة یوم قال لمن استحلفه باللات و العزی: «إلیک عنی، فما تکلّمت العرب بکلمة أثقل علیّ من هذه».

مع ذلک کیف یمکن القول بأن امرأة لبیبة عاقلة لم یکن شدة حبها و شغفها بزوجها موضع شک، أن تتوجّه عند موت ولدیها إلی الاصنام التی کانت ابغض الأشیاء عند زوجها، و خاصة أن حبها لزوجها «محمّد» و بل إقدامها علی الزواج منه انما کان بسبب ما کان یتحلی به من ایمان و معنویة، و صفات فاضلة، و ملکات اخلاقیة عالیة، فهی قد سمعت عنه بأنه آخر نبیّ، و أنه خاتم المرسلین، فکیف و الحال هذه یمکن ان یحتمل أحد أنّها- مع هذا الاعتقاد- بثت شکواها و حزنها الی الاوثان و الاصنام؟؟!

(۱)

دعیّ رسول اللّه: زید بن حارثة:

عند الحجر الاسود أعلن رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) عن تبنیه له ...

ذلک هو زید بن حارثة.

و کان «زید» ممّن سباه العرب من حدود الشام، و باعوه فی أسواق مکة رقیقا لأحد أقرباء «خدیجة» یدعی «حکیم بن حزام»، و لکن لا یعرف کیف انتقل إلی «خدیجة» فی ما بعد؟

---

(۱) حیاة محمّد: ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۰

(۱) یقول هیکل فی کتابه «حیاة محمّد» فی هذا الصدد «لقد ترک موت ولدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی نفس النبی أثرا عمیقا حتی إذا جیء بزید بن حارثة یباع طلب الی «خدیجة» أن تبتاعه ففعلت ثم اعتقه و تبناه» «۱».

و لکن اکثر المؤرخین یقولون: ان «حکیم بن حزام» قد اشتراه لعمته «خدیجة بنت خویلد»، و قد أحبّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لذکائه و طهره، فوهبته «خدیجة» له عند زواجه صلّی اللّه علیه و آله منها.

ففتش عنه والده «حارثة» حتی عرف بمکانه فی مکة، فقدمها، و دخل علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فطلب منه صلّی اللّه علیه و آله أن یأذن لزید لیرحل معه إلی موطنه، فدعاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خیّره بین المقام معه صلّی اللّه علیه و آله و الرحیل الی موطنه مع أبیه، فاختار المقام مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما وجد من خلقه، و حنانه، و لطفه العظیم فلما رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ذلک اخرجه الی الحجر و اعتقه ثم تبناه علی مرأی من الناس و مسمع قائلا: «یا من حضر اشهدوا أن زیدا ابنی» «۲».

(۲)

بدایة الخلاف بین الوثنیّین:

لقد أوجدت البعثة النبويّة خلافا و اختلافا كبيرا فى أوساط قريش و فرّقت صفوفهم، غير أنّ هذا الاختلاف قد وجدت أسبابه و عوامله، و ظهرت بوادره و علائمه قبل البعثة المباركة.

فقد أبدى جماعة من الناس فى الجزيرة العربية استياءهم من دين العرب و انكروا عقائدهم الباطلة، و طالما كانوا يتحدثون عن قرب ظهور النبى العربىّ الذى يتمّ على يديه إحياء التوحيد.

و كان اليهود يتوعدون أهل الاصنام بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يقولون:

---

(۱) حياة محمّد: ص ۱۲۸.

(۲) الاصابة: ج ۱ ص ۵۴۵ و ۵۴۶، اسد الغابة: ج ۲ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸۱

ليخرجنّ نبىّ فليكسرن أصنامكم «۱».

(۱) و كتب ابن هشام يقول: كان اليهود يقولون للعرب: إنه قد تقارب زمان نبىّ يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم.

و كتب يقول أيضا: و كانت الاحبار من اليهود، و الرهبان من النصارى و الكهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل مبعثه.

هذه الكلمات تصوّر انقضاء عهد الوثنية فى نظرهم إلى درجة أن بعض القبائل أجابت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لما بعث، و دعاهم اللّه، بينما احجمت اليهود عن الايمان به و برسالته و بقيت على كفرها و جحودها لنبوته التى طالما بشرت بها.

و قد نزل فيهم قوله تعالى:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «۲» «۳».

(۲)

أعمدة الوثنيّة تهتزّ:

و لقد شهد أحد أعياد قريش حادثا غريبا كان فى نظر العقلاء و أصحاب الفكر الثاقب منهم بمثابة جرس إنذار اذن باقتراب سقوط دولة الوثنيين، و انهيار صروح الوثنيّة و عبادة الأصنام، و انقراضها.

فقد اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه و ينحرون له، و يعكفون عنده، فتنحّى أربعة ممن عرفوا بالعلم ناحية، و أخذوا يتحدّثون سرّا، و أخذوا ينتقدون عبادة الأوثان و الأصنام، و ما عليه قومهم من فساد العقيدة.

فقال بعضهم لبعض: و اللّه ما قومكم على شىء، لقد أخطئوا دين أبيهم

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۲۱.

(۳) البقرة: ۸۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸۲

إبراهيم!! ما حجر نطيف به لا يسمع و لا يبصر، و لا يضر و لا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ...

(۱) و کان هؤلاء الأربعة هم:

۱- «ورقة بن نوفل» الّذی اختار النصرانیة بعد أن طالع کتبها، و اتصل بأهلها.

۲- «عبید اللّه بن جحش» الذی أسلم عند ظهور الإسلام، ثم هاجر مع المسلمین إلی الحبشة.

۳- «عثمان بن الحویرث» الذی قدم علی قیصر ملک الروم، فتنصّر.

۴- «زید بن عمرو بن نفیل» الذی اعتزل الأوثان، و قال: اعبد رب إبراهیم «۱».

(۲) إن ظهور مثل هـذا الاسـتنکار و الجحد للأوثان و الوثنیة لا یعنی أبدا أنّ دعوة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کانت تعقیبا لدعوة هذه الجماعة، و استمرارا لها!!

کیف یمکن أن نعتبر دعوة رسول اللّه العالمیـة مع ما انطوت علیه من أهـداف کبری، و اسـتندت إلیه من معارف و أحکام لا تحصـی، ردّة فعل لمثل هذا الحادث الصغیر و تعبیرا عن مثل هذا الاستنکار المحدود؟

إن الحنیفیة و هی سنّة إبراهیم و دینه لم تکن قد محیت کلیّا فی الحجاز بعد أیام بعثة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بل کان هناک لا یزال بعض الأحناف (و هم الـذین کانوا علی دین إبراهیم علیه السّـلام) منتشـرین فی أنحاء الجزیرة العربیـة، إلّا أن ذلک لا یعنی أنّهم کانوا قادرین علی التظاهر بعقیـدتهم بین الناس، أو قیادة حرکة، أو تربیة أفراد علی نهجهم، أو أن توجّهاتهم التوحیدیة کانت من القوة بحیث تسـتطیع أن تکون مصـدر إلهام لقیم و معارف و تعالیم و أحکام لشخصـیّة مثل رسول الإسـلام «محمّد» صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

(۳) فلم ینقل عن هؤلاء سوی بعض الاعتقادات المعدودة المحدودة مثل الاعتقاد

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۲۵.

بالمعاد و الیوم الآخر، و شـیء بسیط من البرامج الأخلاقیة، و حتی ما نقل عنهم من أبیات توحیدیة لا یمکن تأکید انتسابها إلیهم، و ان لم یمکن نفی ذلک أیضا «۱».

فهل یمکن و الحال هـذه أن نعتبر الثقافـة الإسـلامیة العظیمـة، و المعارف العقلیـة العالیـة، و القوانین و التشـریعات المفصـلة، و الانظمة الأخلاقیة و السیاسیة و الاقتصادیة الإسلامیة، الشاملة الکاملة، کنتیجة لمتابعة اولئک النفر المعدود من «الأحناف» الموحدین المنتشرین فی انحاء مختلفة من بلاد الحجاز الذین کانت جل عقائدهم تتألف من مجرد الاعتقاد بوجود اللّه، و الیوم الآخر و قضیة أو قضیتین من قضایا الأخلاق؟!

(۱)

نموذج آخر عن ضعف قریش:

لم یکن یمض علی عمر فتی قریش اکثر من خمس و ثلاثین عاما یوم واجه اختلافا کبیرا بین قریش، فأزال بحکمته ذلک التخاصم، و لقـد کشـفت هـذه الحادثـة عن مـدی الاحترام الـذی کان فتی قریش «محمّد» یحظی به لدی قریش، کما و تکشف عن قوة اعتقادهم بصدقه و أمانته.

و إلیک تفصیل هذه الحادثة:

انحدر سـیل رهیب من جبال مکة المرتفعة نحو بیت اللّه المعظمة «الکعبة المقدسة» فلم یسـلم من هذا السیل بیت فی مکة حتی الکعبة المعظمة، التی تصدّعت جدرانها تصدعا کبیرا بفعل ذلک السیل.

(۲) فعزمت قریش علی بحدید تلک البنیة المعظمة، و لکنها تهیّبت ذلک، و ترددت فی هدم الکعبة، فأقدم «الولید بن المغیرة» و هدم رکنین منها علی شیء من الخوف، فانتظر أهل مکة أن یحل به أمر، و لکنهم لما رأوا «الولید» لم یصبه

---

(۱) و لقد نقل ابن هشام فی کتابه: السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۳۲ طائفة من الأبیات و القصائد التوحیدیة هذه؛ و التی جاء فی مطلع إحداها ما أنشده زید بن عمرو بن نفیل:

أ ربّا واحدا أم ألف ربّأدین اذا تقسمت الامور؟

عزلت اللات و العزّی جمیعاکذلک یفعل الجلد الصبور (البصیر)

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۴

غضب من الآلهة، اطمأنوا إلی أنه لم یرتکب قبیحا، و أنه عمل ما فیه رضی آلهتهم، فاقدموا جمیعا علی هدم ما تبقی من الکعبة، و اتفق أن تحطّمت سفینة قادمة من «مصر» فی تجارة لرومیّ عند میناء «جدة» بفعل الریاح و العواصف، فعلمت بذلک قریش، و أرسلت رجالا یبتاعون أخشابها لیستخدموها فی بناء الکعبة المعظمة، و أوکلوا أمر نجارتها إلی نجّار قبطیّ محترف کان یقطن «مکة».

(۱) و لما ارتفعت جدران الکعبة إلی قامة الرجل، و آن الأوان لوضع الحجر الأسود فی محله من الرکن وقع الاختلاف بین زعماء قریش، و تنازعوا فی من یتولّی وضع الحجر الاسود فی مکانه.

و تحالفت قبیلة «بنی عبد الدار» مع «بنی عدیّ» علی أن یمنعوا من أن ینال هذا الفخار غیرهم، و عمدوا إلی اناء مملوء بالدم فوضعوا أیدیهم فیه تأکیدا لذلک المیثاق.

من هنا تأخرت عملیة البناء و توقّفت خمسة أیام بلیالیها، و کاد أن تنشب بینهم حرب دامیة، و ربما طویلة، فقد اجتمعت طوائف مختلفة من قریش فی المسجد الحرام و هی تنتظر حادثة خطیرة، فعمد- فی الأخیر- شیخ من شیوخ قریش یدعی «أبو امیّة بن مغیرة المخزومی» من زعماء قریش و قال: یا معشر قریش، اجعلوا بینکم فیما تختلفون فیه أول من یدخل من باب هذا المسجد «۱» یقضی بینکم فیه» فقبلوا برأیه اجمع، فکان اول داخل علیه فتی قریش «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله فلما رأوه قالوا: هذا الأمین، رضینا، هذا محمّد.

(۲) فقال صلّی اللّه علیه و آله: هلم إلیّ ثوبا، فأخذ الحجر و وضعه فیه ثم قال:

«لتأخذ کل قبیلة بناحیة من الثوب، ثم ارفعوه جمیعا»

ففعلوا حتی إذا بلغوا به موضعه من الرکن وضعه صلّی اللّه علیه و آله هو بیده مکانه، و بهذا حال دون وقوع حوادث دامیة کادت أن تقع بسبب تنازع قریش، و اختلافها، و حلّ الوفاق محل الشقاق بعد أن رضی الکل بحکمه.

---

(۱) و فی روایة: أول من یدخل باب الصفا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۵

و إلی قضیة التحکیم هذه یشیر «هبیرة بن أبی وهب» فی أبیات صوّرت هذه الحادثة التاریخیة الکبری، اذ قال:

تشاجرت الأحیاء فی فصل خطةجرت بینهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودّةو أوقد نارا بینهم شرّ موقد

فلما رأینا الأمر قد جدّ جدّهو لم یبق شیء غیر سلّ المهند

رضینا و قلنا العدل أول طالعیجیء من البطحاء من غیر موعد

ففاجأنا هذا الامین محمّدفقلنا رضینا بالأمین محمّد

بخير قريش كلها أمس شيمةو فى اليوم مع ما يحدث اللّه فى غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثلهأعمّ و أرضى فى العواقب و البد
و تلك يد منه علينا عظيمةيروب لها هذا الزمان و يعتدى «۱»
(۱)

أمين قريش يكفل عليّا:

أجدبت مكة و ضواحيها سنة من السنين، و قل فيها الماء، و أصابت الناس أزمة شديدة، و كان أبو طالب عليه السّلام كثير العيال، فعزم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أن يساعد عمه أبا طالب، و يخفف عنه عبء العيال، فانطلق الى عمه العباس و قال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفّف من عياله آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا».

فكفل العباس جعفرا، و كفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا عليه السّلام.

(۲) يقول أبو الفرج الاصفهانى المؤرخ المعروف فى هذا الصدد:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۹۲- ۱۹۹ و فروع الكافى: ج ۴ ص ۲۱۷ و ۲۱۸، و الجدير بالذكر أنهم قالوا عند تجديد بناء الكعبة: «يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلّا طيّبا، لا يدخل فيها مهر بغيّ، و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد للناس» (البداية و النهاية: ج ۲ ص ۳۰۱) و لا شك أنّ هذه من بقايا تعاليم الأنبياء التى بقيت بينهم و لم تمح بالمرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸۶

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذ «عليا» من أبيه و هو صغير فى سنة اصابت قريشا و قحط نالهم، و أخذ حمزة جعفرا و أخذ العباس طالبا ليكفوا أباهم مؤونتهم و يخففوا عنهم ثقلهم، و أخذ هو (أى ابو طالب) عقيلا لميله كان إليه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«اخترت من اختار اللّه لى عليكم: عليا» «۱».

إن هذه الحادثة و إن كانت فى ظاهرها تعنى ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أقدم على هذا الأمر ليساعد عمّه أبا طالب فى تلك الازمة، لكن الهدف الأعلى و الأخير كان أمرا آخر و هو أن: يتربّى على عليه السّلام فى حجر النبى، و يغتذى من مكارم اخلاقه و يتبعه فى كريم افعاله.

و لقد اشار الإمام علىّ عليه السّلام نفسه الى هذا الموضوع بقوله:

«و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره و يكنفنى فى فراشه ... و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالاقتداء به» «۲».

(۱)

ايمان النبى و آبائه و كفلائه قبل الإسلام:

تدل الدلائل التاريخيّة، القوية، فضلا عن الأدلة العقلية و المنطقية على أن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله لم يعبد غير اللّه تعالى منذ ولد من امّه، و الى أن رحل الى ربه، بل و كان كفلاؤه مثل عبد المطلب و أبى طالب مؤمنون موحّدون هم أيضا

ایمان جده عبد المطّلب:

(۲) و أما عبد المطلب کفیل النبیّ الاوّل فلا ننسی أنه عند ما قصد «أبرهة» هدم

---

(۱) مقاتل الطالبیین: ص ۲۶، الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۳۷، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵- ۲۴۷ باب (ذکر أن علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه اول ذکر أسلم).

(۲) نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۷

الکعبة فی جیش الفیل، نزل فی جوف اللیل الی الکعبة و أخذ بحلقة بابها یدعو اللّه و یقول مناجیا اللّه سبحانه.

«اللّهم أنیس المستوحشین، و لا وحشة معک فالبیت بیتک، و الحرم حرمک و الدار دارک، و نحن جیرانک، انک تمنع عنه ما تشاء، و ربّ الدّار اولی بالدّار».

ثم أنشأ یقول:

یا ربّ لا أرجو لهم سواکایا ربّ فامنع منهمو حماکا

إن عدوّ البیت من عاداکاامنعهموا إن یخربوا فناکا «۱» و هذا یکشف بوضوح عن ایمان عبد المطلب باللّه تعالی، و توکله علیه سبحانه، و انه کان الرجل الموحد الذی لا یلتجئ فی المصائب و المکاره إلی غیر کهف اللّه، و لا یعرف الّا باب اللّه علی عکس ما کانت الوثنیة علیه فان قومه کانوا یستغیثون بالاصنام المنصوبة حول الکعبة.

و ممّا یدل علی ایمانه أیضا توسله لکشف غمته باللّه سبحانه فقد تتابعت علی قریش سنون جدب ذهبت بالأموال، و اشرفت الانفس و اجتمعت قریش لعبد المطلب، و علوا جبل ابی قبیس و معهم النبی صلّی اللّه علیه و آله محمّد و هو غلام فتقدم عبد المطلب و قال: لاهم (ای اللّهم) هؤلاء عبیدک و إماؤک و بنو امائک، و قد نزل بنا ما تری، و تتابعت علینا هذه السنون فذهبت بالظلف و الخف و الحافر، فاشرفت علی الانفس فأذهب عنا الجدب، و ائتنا بالحیاء و الخصب، فما برحوا حتی سالت الأودیة، و فی هذه الحالة تقول رقیقة:

بشیبة الحمد اسقی اللّه بلدتناو قد عدمنا الحیا و اجلوّذ المطر إلی أن تقول:

مبارک الام یستسقی الغمام بهما فی الانام له عدل و لا خطر

---

(۱) راجع القصة و مصادرها فی ص ۱۶۱ من هذا الکتاب، و لعبد المطلب مواقف اخری مشابهة، و عدیدة، راجع بصددها مفاهیم القرآن: ج ۵ ص ۱۳۶- ۱۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۸

و الی هذه الواقعة یشیر ابو طالب فی قصیدة أولها:

ابونا شفیع الناس حین سقوا بهمن الغیث رجاس العشیر بکور

و نحن- سنین المحل- قام شفیعنابمکة یدعو و المیاه تغور «۱» و قد نقل الشهرستانی هذه الواقعة فی کتابه «الملل و النحل» قال: و ممّا یدل علی معرفته (أی عبد المطلب) بحال الرسالة و شرف النبوة ان اهل مکة لما أصابهم ذلک الجدب العظیم، و امسک السحاب عنهم سنتین أمر ابا طالب ابنه، ان یحضر المصطفی محمّد صلّی اللّه علیه و آله فاحضره ابو طالب، و هو رضیع فی قماط، فوضعه علی یدیه و استقبل الکعبة، و رماه الی السماء، و قال: یا رب بحق هذا الغلام، و رماه ثانیا و ثالثا و کان یقول: بحق هذا الغلام اسقنا غیثا

مغیثا دائما هطلا، فلم یلبث ساعة أن طبق السماء وجه السماء و أمطر، حتی خافوا علی المسجد، و قال أیضا: و ببرکة ذلک النور کان عبد المطلب یأمر أولاده بترک الظلم و البغی، و یحثهم علی مکارم الاخلاق، و ینهاهم عن دنیات الامور.

و کان یقول فی وصایاه: «انه لن یخرج من الدنیا ظلوم حتی ینتقم اللّه منه و تصیبه عقوبة»، الی ان هلک رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة، فقیل لعبد المطلب فی ذلک، ففکر و قال: ان وراء هذه الدار دارا یجزی فیها المحسن باحسانه و یعاقب فیها المسیء باساءته «۲».

ان توسل عبد المطلب باللّه سبحانه و تولیه عن الاصنام و الاوثان، و التجاءه إلی رب الارباب آیة توحیده الخالص، و ایمانه باللّه و عرفانه بالرسالة الخاتمة، و قداسة صاحبها، فلو لم یکن له الّا هذه الوقائع لکفت فی البرهنة علی ایمانه باللّه، و توحیده له.

و قد اعترف المؤرخون لعبد المطلب بهذا فقد قال الیعقوبی: «و رفض عبد المطلب عبادة الاوثان و الاصنام، و وحد اللّه عزّ و جلّ و وفی بالنذر، و سنّ سننا نزل القرآن باکثرها، و جاءت السنة الشریفة من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۱- ۱۳۳.

(۲) الملل و النحل: ج ۲ ص ۲۴۸ و ۲۴۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۹

بها، و هی الوفاء بالنذر، و مائة من الابل فی الدیة، و ان لا تنکح ذات محرم، و لا تؤتی البیوت من ظهورها و قطع ید السارق، و النهی عن قتل الموؤدة، و تحریم الخمر، و تحریم الزنا، و الحدّ علیه، و القرعة، و ان لا یطوف احد بالبیت عریانا، و اضافة الضیف و ان لا ینفقوا اذا حجوا الّا من طیب اموالهم، و تعظیم الاشهر الحرم، و نفی ذوات الرایات «۱».

هذا و عن أم أیمن «رضی اللّه عنها» قالت: کنت أحضن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله (ای اقوم بتربیته و حفظه)، فغافلت عنه یوما فلم ادر الّا بعبد المطلب قائما علی رأسی یقول «یا برکة».

قلت: لبیک.

قال: أ تدرین این وجدت ابنی؟

قلت: لا ادری.

قال: وجدته مع غلمان قریبا من السدرة، لا تغافلی عن ابنی، فان أهل الکتاب یزعمون انه نبیّ هذه الامة، و أنا لا آمن علیه منهم «۲».

و کان عبد المطلب لا یأکل طعاما الّا یقول علیّ بابنی (ای احضروه) و یجلسه بجنبه، و ربما اقعده علی فخذه، و یؤثره بأطیب طعامه.

ثم انه لما بلغ أجله اوصی إلی ابی طالب برسول اللّه و قال له: قد خلّفت فی ایدیکم الشرف العظیم الذی تطئون، به رقاب الناس و قال له أیضا:

اوصیک یا عبد مناف بعدی‌بمفرد بعد ابیه فرد

فارقه و هو ضجیع المهدفکنت کالام له فی الوجد

تدنیه من أحشائها و الکبدفانت من أرجی بنیی بعدی

لدفع ضیم أو لشدّ عقد

«۳» هذا هو عبد المطلب، و تعوده ببیت اللّه الحرام، و مواقفه بین قومه، و کلماته فی

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۹ فی بعض ما عدّه المؤرخ المذکور نظر.

(۲) سیرة زینی دحلان بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶۴.

(۳) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۰

المبدأ و المعاد و عطفه و حنانه علی رسول الإسلام، و اهتمامه برسالة خاتم النبیین، و هی بمجموعها من اقوی الشواهد علی توحیده، و ایمانه باللّه، و اعترافه برسالة الرسول الکریم.

إیمان کفیله و عمه أبی طالب:

و هکذا کان حال کفیل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الثانی ابو طالب علیه السّلام، فان له مواقف بارزة و کثیرة قبل البعثة النبویة، و بعدها تکشف عن عمق أیمان شیخ الاباطح، و توحیده.

(۱) و من تلک المواقف استسقاؤه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی صباه:

فقد اصاب مکة قحط شدید فی سنة من السنین فطلبت قریش من «أبی طالب» أن یستسقی لها فخرج و معه غلام- و هو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- کأنه شمس دجن تجلّت عنها سحابة قتماء و حوله اغیلمة، فأخذه «أبو طالب» فألصق ظهره بالکعبة، و لاذ الغلام باصبعه (أی أشار بها إلی السماء) و ما فی السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا، و أغدق، و اغدودق و انفجر له الوادی، و اخصب البادی و النادی.

ففی ذلک یقول ابو طالب- فی مدح رسول اللّه-:

و ابیض یستسقی الغمام بوجههثمال الیتامی عصمة للأرامل

یلوذ به الهلاک من آل هاشمفهم عنده فی نعمة و فواضل

و میزان عدل لا یخیس شعیرةو وزّان صدق وزنه غیر هائل «۱» (۲) و کل هذا یعرب عن توحید کفیلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الخالص، و ایمانهما باللّه تعالی، و لو لم یکن لهما إلّا هذین الموقفین لکفیاهما دلیلا و برهانا علی کونهما مؤمنین موحّدین.

---

(۱) شرح البخاری للقسطلانی: ج ۲ ص ۲۲۷، المواهب اللدنیة: ج ۱ ص ۴۸، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۲۵، و للتوسع راجع الغدیر: ج ۷ ص ۳۴۵ و ۳۴۶، و قد ذکرنا مواقف ابی طالب الایمانیة عند البحث عن شخصیته فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۱

کما ان ذلک یدل أیضا علی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نشأ و ترعرع و نما فی بیت کانت الدیانة السائدة فیه هی توحید اللّه، و عبادته وحده و رفض الاصنام و الاوثان.

إیمان والدی النبی الاکرم:

لقد نقلت عن عبد اللّه والد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلمات و ابیات تدل علی ایمانه و من ذلک ما نقله اهل السیر عند ما عرضت فاطمة الخثعمیة نفسها علیه فقال ردا علیها:

أما الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حلّ فاستبینه

یحمی الکریم عرضه و دینهفکیف بالأمر الذی تبغینه «۱» و قد روی عن النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله انه قال: «لم أزل انقل من أصلاب الطاهرین الی أرحام الطاهرات» و لعل فیه ایعازا إلی طهارة آبائه و امهاته من کل دنس و شرک «۲».

و اما الوالدة فیکفی فی اثبات ایمانها ما رواه الحفاظ عنها عند وفاتها فانها (رضی اللّه عنها) خرجت مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو

ابن خمس أو ست سنين و نزلت بالمدينة تزور أخوال جده و هم بنو عدى بن النجار و معها أم ايمن «بركة» الحبشية، فاقامت عندهم، و كان الرسول بعد الهجرة يذكر امورا حدثت فى مقامه و يقول: «ان أمى نزلت فى تلك الدار، و كان قوم من اليهود يختلفون و ينظرون إلىّ فنظر إلىّ رجل من اليهود فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقلت: أحمد، فنظر الى ظهرى، و سمعته يقول: هذا نبى هذه الامة، ثم راح الى اخوانه فاخبرهم فخافت امّى علىّ فخرجنا من المدينة، فلما كانت بالابواء توفيت و دفنت فيها.

و روى ابو نعيم فى دلائل النبوة عن اسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنة أمّ النبى صلّى اللّه عليه و آله فى علتها التى ماتت بها، و محمّد عليه السّلام غلام يفع

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۴۶.

(۲) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۲

(اى يافع) له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه و خاطبته بقولها:

إن صحّ ما أبصرت فى المنامفانت مبعوث الى الانام

فاللّه انهاك عن الاصنامان لا تواليها مع الاقوام ثمّ قالت: كل حى ميت و كل جديد بال، و كل كبير يفنى، و انا ميتة و ذكرى باق و ولدت طهرا.

و قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن جلال الدين السيوطى تعليقا على قولها: و هذا القول منها صريح فى انها كانت موحّدة اذ ذكرت دين ابراهيم عليه السّلام، و بشرت ابنها بالاسلام من عند اللّه، و هل التوحيد شىء غير هذا، فان التوحيد هو الاعتراف باللّه و انه لا شريك له، و البراءة من عبادة الاصنام «۱».

و نلفت نظر القارئ الكريم هنا إلى ما قاله المرحوم الشيخ المفيد فى كتابه «اوائل المقالات» فى هذا الصدد:

اتفقت الإمامية على أن آباء رسول اللّه من لدن آدم إلى عبد اللّه بن عبد المطلب مؤمنون باللّه عزّ و جلّ موحدون له، و احتجوا فى ذلك بالقرآن و الاخبار قال اللّه عزّ و جلّ: «الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ» «۲».

ثمّ إنّ هنا سؤالين هما:

۱- هل كان صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة موحّدا؟

۲- بما ذا و بأىّ دين كان يتعبّد صلّى اللّه عليه و آله قبل البعثة؟

و إليك الحديث فى هاتين الجهتين:

ايمان النبى باللّه و توحيده قبل البعثة:

إن الدلائل التاريخية- بالاضافة إلى البراهين العقلية و الكلامية- ندل على انه- صلّى اللّه عليه و آله- كان قبل ان يبعثه اللّه بالإسلام، مؤمنا باللّه، موحّدا إياه، لم يعبد وثنا قط، و لم يسجد لصنم أبدا، و ان ذلك من المسلمات.

---

(۱) الاتحاف للشبراوى: ص ۱۴۴ سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۷.

(۲) اوائل المقالات: ص ۱۲ و ۱۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۳

و هذا الأمر و ان كان أمرا مسلما و واضحا كوضوح الشمس إلا اننا نذكر بعض ما جاء فى التاريخ الثابت الصحيح ليقترن ذلك

الاتفاق بأصح الدلائل التاریخیة:

اما بغضه للأصنام و تجنبه للاوثان و ما یکون من هذا القبیل فإلیک بعض ما ذکره التاریخ الصحیح فی هذا المجال:

۱- جاء فی حدیث طویل: ان النبی صلّی اللّه علیه و آله لما تم له ثلاث سنین قال یوما لوالدته (لمرضعته) حلیمة السعدیة: مالی لا أری أخویّ بالنهار، قالت له: یا بنیّ انّهما یرعیان غنیمات.

قال: فمالی لا أخرج معهما، قالت له: أ تحبّ ذلک؟ قال: نعم، فلما أصبح محمّد دهّنته (تقول حلیمة) و کحّلته و علّقت فی عنقه خیطا فیه جزع یمانیّ، فنزعه ثم قال لأمّه:

«مهلا یا امّاه فانّ معی من یحفظنی» «۱».

۲- روی ان «بحیرا» الراهب قال للنبی صلّی اللّه علیه و آله فی سفرته الاولی مع عمّه أبی طالب الی الشام: یا غلام اسألک بحق اللات و العزی الا أخبرتنی عما اسألک، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«لا تسألنی باللات و العزّی فو اللّه ما ابغضت شیئا بغضهما» قال الراهب:

باللّه الا أخبرتنی عما أسألک عنه، قال صلّی اللّه علیه و آله: سلنی عمّا بدا لک «۲».

۳- روی أنه قد وقع بین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بین رجل تلاحی فی سفرته الثانیة الی الشام للتجارة بأموال خدیجة مع غلامها «میسرة» بعد أن باع صلّی اللّه علیه و آله سلعته، فقال له الرجل: احلف باللات و العزی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

---

(۱) المنتقی، الباب الثانی من القسم الثانی- للکازرونی کما فی البحار: ج ۱۵، ص ۳۹۲.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۵۴، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۴

«ما حلفت بهما قطّ، و إنّی لأمرّ فاعرض عنهما».

و فی روایة اخری:

«إلیک عنی ثکلتک امّک فما تکلمات العرب بکلمة اثقل علیّ من هذه الکلمة».

فقال الرجل: القول قولک. ثم قال لمیسرة: هذا و اللّه نبیّ «۱».

(۱) و اما عبادته للّه تعالی فقد أجمع المؤرخون علی أنه صلّی اللّه علیه و آله کان یخلو بحراء کل عام أشهرا یعبد فیه اللّه تعالی.

و قد قال الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی هذا المجال:

«و لقد کان یجاور فی کلّ سنة بحراء، فأراه و لا یراه غیری» «۲».

حتی أن جبرئیل وافاه بالرسالة فی ذلک المکان، و فی تلک الحال.

و قد صرّح بهذا أصحاب الصحاح الستة أیضا اذ قالوا:

«و کان یخلو بحراء فیتحنّث فیه، و هو التعبد فی اللیالی ذوات العدد» «۳».

کما ان الإمام امیر المؤمنین علیه السّلام وصف هذا المقطع من حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله بقوله:

«و لقد قرن اللّه به صلّی اللّه علیه و آله من لدن أن کان فطیما أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم، و محاسن أخلاق العالم، لیله و نهاره» «۴».

و جاء فی الأخبار انّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حجّ قبل البعثة حجات عدیدة و کان یأتی بمناسکها علی وجه صحیح بعیدا عن أعین قریش.

قال الإمام الصادق علیه السّلام: فی حدیث ابن أبی یعفور:

«حج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عشر حجّات مستترا فى كلّها» «۵».

و فى رواية: عشرين حجة «۶».

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۵۶، بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۱۸.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة ۱۹۲.

(۳) صحيح البخارى: ج ۱ ص ۲، صحيح مسلم باب الايمان، مسند أحمد: ج ۶، الحديث ۲۳۳.

(۴) نهج البلاغة: قسم الخطب الخطبة رقم ۱۹۲.

(۵) وسائل الشيعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

(۶) وسائل الشيعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۵

و السبب فى هذا الاستتار هو أن قريش كانت قد اسقطت بعض مناسك الحج، و العمرة، فكانت تؤدّى الحج بصورة غير صحيحة و ربما غيرت أشهر الحج احيانا لبعض الاعتبارات السياسية و المادية، و هو ما سمى بالنسىء، و قد مرّ بيانه «۱».

ان هذه الوقائع و غيرها- و هى ليست بقليلة اصدق دليل على إيمانه صلّى اللّه عليه و آله، و توحيده، اذ كيف يمكن أن يتنكّب مثل هذه الشخصية التى نشأت و ترعرعت فى ذلك البيت الطاهر، و قرن اللّه به ملكا يتولاه بالتربية و الهداية عن جادة التوحيد.

ثم أن ممّا لا ريب فيه أن الرسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله هو افضل من جميع الأنبياء و المرسلين بنص القرآن الكريم.

و قد صرح القرآن بان بعض الأنبياء بلغوا درجة النبوة فى الصغر، أو الصبا، و نزلت عليهم الكتب فى تلك الفترات.

فمثلا يقول القرآن الكريم عن يحيى بن زكريا: «يا يحيى خذ الكتاب بقوّة و آتيناه الحكم صبيّا» «۲».

(۱) ثمّ يقول عن «عيسى بن مريم» عند ما كان فى المهد و كان وجوه القوم من بنى إسرائيل قد استنكروا ولادته من غير أب، و طلبوا من «مريم البتول» ان توضح لهم الأمر، و تبين لهم كيف حملت بعيسى؟!! فأشارت الى المسيح عليه السّلام أن كلّموه و هو آنذاك فى المهد لم يمض على ولادته سوى أيام معدودات؛ فنطق المسيح بفصاحة كبيرة و قال:

«إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِى بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا» «۳».

لقد بيّن وليد «مريم» للناس اصول دينه و فروعه فى فترة الطفولة و الرضاعة، و أعلن لهم عن توحيده و ايمانه باللّه سبحانه.

---

(۱) راجع الصفحة ۸۳ و ۸۴ من هذا الكتاب.

(۲) مريم: ۱۲.

(۳) مريم: ۳۰ و ۳۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۶

فهل يرضى ضميرك أيها القارئ الكريم أن يكون «يحيى» و «المسيح» عليهما السّلام مؤمنين معلنين عن توحيدهما، و إيمانهما منذ طفولتهما، و صباهما، و يكون أفضل الأنبياء و المرسلين، و أشرف الخلق أجمعين إلى سنّ الأربعين على غير إيمان، و توحيد، مع أنه صلّى اللّه عليه و آله كان مشتغلا بالتعبّد فى جبل «حراء» عند نزول ملاك الوحى عليه لأول مرة؟

و إليك بعض ما قاله المؤرخون، و العلماء فى هذا المجال استكمالا لهذا المبحث:

قال ابن هشام: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف به سبعا أو

ما شاء اللّه من ذلک، ثم یرجع الی بیته حتی اذا کان الشهر الذی أراد اللّه تعالی به فیه ما أراد من کرامته من السنة التی بعثه اللّه تعالی فیها، و ذلک الشهر شهر رمضان، خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی «حراء» کما کان یخرج لجواره و معه اهله حتی اذا کانت اللیلة التی اکرمه اللّه فیها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبرئیل علیه السّلام بامر اللّه تعالی «۱».

و قال العلامة المجلسی: قد ورد أخبار کثیرة انه صلّی اللّه علیه و آله کان یطوف، و انه کان یعبد اللّه فی حراء، و انه کان یراعی الآداب المنقولة من التسمیة و التحمید عند الاکل و غیره، و کیف یجوّز ذو مسکة من العقل علی اللّه تعالی ان یهمل افضل انبیائه اربعین سنة بغیر عبادة؟ و المکابرة فی ذلک سفسطة «۲».

فایمان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و توحیده قبل البعثة، اذن، أمر مسلم لا شبهة فیه، و لا غبار علیه.

و لکن بعض الکتاب من المسیحیین و من تبعهم، من المستشرقین و غیرهم، أبوا إلّا أن ینتقصوا النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فادّعوا ضلاله قبل البعثة،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۲۸۰.

و إنه کان علی غیر إیمان، أو توحید، و استدلّوا لزعمهم الباطل هذا بما توهّموا أنه یدلّ علی دعواهم من الآیات القرآنیة، و أبرزها الآیات التالیة:

۱- «أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» «۱».

۲- «وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ. وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۲».

۳- «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» «۳».

۴- «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۴».

۵- «وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ» «۵».

لقد استدل المستشرقون و من لفّ لفهم و من سبقهم او لحقهم من المخطّئة بهذه الآیات علی ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة، و سلب الایمان عنه، و لکنها لا تدل علی ما یریدون، و لا جل تسلیط الضوء علی مقاصدهم نبحث عنها واحدة واحدة.

الآیة الاولی: الهدایة بعد الضلالة

ذکر المفسرون لقوله تعالی: «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» الذی یشعر بهدایة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد الضلالة احتمالات عدیدة، فی معرض الاجابة علی استدلال من استدل به لاـ ثبات ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة و لکن الحق ان یقال: أنّ الضال یستعمل فی عرف اللغة فی موارد:

۱- الضالّ: من الضلالة ضد الهدایة و الرشاد.

۲- الضالّ: من ضلّ البعیر اذا لم یعرف مکانه.

---

(۱) الضحی: ۶ و ۷.

(۲) المدّثر: ۴ و ۵.

(۳) الشوری: ۵۲.

(۴) یونس: ۱۶.

(۵) القصص: ۸۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۸

۳- الضالّ: من ضلّ الشیء اذا ضؤل و خفی ذکره.

و تفسیر الآیة بأیّ واحدة من هذه المعانی لا یثبت ما یدعیه الذین یتمسکون بها لاثبات ضلال النبی صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة.

أما المعنی الأول فهو المقصود فی کثیر من الآیات قال سبحانه: «غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِّینَ» «۱».

لکن الضلالة علی نوعین:

النوع الأول ما تکون الضلالة فیه أمرا وجودیا فی النفس یوجب ظلمة النفس و منقصتها، مثل الکفر و الشرک و النفاق، و الضلالة بهذا المعنی قابلة للزیادة و النقصان قال سبحانه: «إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ» «۲».

النوع الثانی ما تکون الضلالة فیه أمرا عدمیا، و ذلک عند ما تکون النفس فاقدة للرشاد، و عندئذ یکون الإنسان ضالا بمعنی أنه غیر واجد للهدایة من عند نفسه، و ذلک کالطفل الذی أشرف علی التمییز و کاد أن یعرف الخیر و الشر، و یمیز بین الصلاح و الفساد فهو آنذاک ضالّ بمعنی أنه غیر واجد للنور الذی یهتدی به فی سبل الحیاة لا بمعنی کینونة ظلمة الکفر و الفسق فی نفسه و روحه.

و المراد من الضالّ فی قوله تعالی «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» لو کان ما یضادّ الهدایة فهو یهدف الی النوع الثانی، فیکون المعنی انک فی ابان عمرک کنت غیر واجد للهدایة من عند نفسک فهداک اللّه إلی اسباب السعادة و عرفک عوامل الشقاء، و هو اشارة إلی قانون الهی عام فی حیاة البشر انبیاء و اناسا مادیین، و هو ان هدایة کل إنسان بل کل ممکن مکتسبة من اللّه قال سبحانه: «قالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» «۳».

و علی هذا الاساس فالآیة تهدف إلی ذکر النعم التی انعم اللّه بها علی نبیه الحبیب منذ ان استعد لها فاواه بعد ما صار یتیما، و أفاض علیه الهدایة بعد ما کان

---

(۱) الفاتحة: ۷.

(۲) التوبة: ۳۷.

(۳) طه: ۵۰، و راجع الآیات: ۲ و ۳ من سورة الأعلی و ۴۳ من سورة الأعراف و ۷۸ من سورة الشعراء و غیرها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۹

فاقدا لها بحسب ذاته، و بحکم طبیعته، و یعود زمن هذه العنایة الربانیة بنبیه إلی مطلع حیاته، و اولیات عمره و ایام صباه بقرینة ذکر ذلک بعد الایواء الذی تحقق بالیتم، و تمّ بجده عبد المطلب فوقع فی کفالته إلی ثمانیة سنین، و یؤید ذلک قول امام المتقین علی بن ابی طالب علیه السّلام: «و لقد قرن اللّه به صلّی اللّه علیه و آله من لدن أن کان فطیما أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم، و محاسن أخلاق العالم لیله و نهاره» «۱».

و صفوة القول أن المراد بکونه ضالا هو أن لازم کون النبی ممکنا بالذات هو کونه فاقدا فی ذاته لکل کمال و جمال، مفاضا علیه کل جمیل من جانب اللّه تعالی و هذا هو اشارة إلی مقتضی التوحید الافعالی و این هذا من الضلالة المساوقة للکفر أو الشرک أو الفسق و العصیان؟!

ثم ان من المحتمل ان تکون الضلالة فی الآیة مأخوذة من «ضلّ الشیء اذا لم یعرف مکانه» و فی الحدیث «الحکمة ضالّة المؤمن» ای مفقودته، لا ضدّ الهدایة و الرشاد، فیکون الضالّ بهذا المعنی منطبقا علی ما نقله أهل السیر و التواریخ عن ما جری للنبیّ صلّی اللّه علیه

و آله فی ایام صباه یوم ضلّ فی شعاب مکة، و هو صغیر فمنّ اللّه علیه اذ ردّه الی جدّه، و قصته معروفة فی کتب السیر و التاریخ «۲» و لو لا رحمة اللّه سبحانه لادرکه الهلاک و مات عطشا أو جوعا فشملته العنایة الالهیة.

أو أن تکون الضلالة فی الآیة مأخوذة من «ضلّ الشیء اذا خفی و غاب عن الأعین» فالانسان الضال هو الإنسان المخفی ذکره، المنسیّ اسمه لا یعرفه إلا القلیل من الناس، و لا یهتدی کثیر منهم إلیه.

و لو کان هذا هو المقصود، کان معناه حینئذ انه سبحانه رفع ذکره، و عرّفه

---

(۱) نهج البلاغة: من الخطبة ۱۷۸ و المسمّاة بالقاصعة ص ۱۸۲.

(۲) لاحظ السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۱ و غیره، و فی هذه القصة یروی عن حیدة بن معاویة العامری سمعت شیخا یطوف بالبیت و هو یقول:

یا ربّ ردّ راکبی محمّداأرددہ ربّی و اصطنع عندی یدا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۰۰

للناس بعد ما کان خاملا ذکره منسیا اسمه.

و یؤید هذا الاحتمال قوله سبحانه فی سورة الانشراح التی نزلت لتحلیل ما ورد فی سورة الضحی قائلا:

«أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ. وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ. الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ. وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ» «۱».

فرفع ذکره فی العالم عبارة عن هدایة الناس إلیه، و رفع الحواجز بینه، و بینهم و علی هذا فالمقصود من «الهدایة» هو هدایة الناس إلیه لا هدایته بعد ضلال، فکأنه قال: فوجدک ضالا، أی خاملا ذکرک، باهتا اسمک، فهدی الناس إلیک، و سیّر ذکرک فی البلاد.

و الی ذلک یشیر الإمام الرضا علیه السّلام علی ما فی خبر ابن الجهم بقوله:

«قال اللّه عزّ و جلّ لنبیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله: «أ لم یجدک یتیما فآوی» یقول: «أ لم یجدک» وحیدا فآوی إلیک الناس «و وجدک ضالًا» یعنی عند قومک «فهدی» أی هداهم إلی معرفتک» «۲». قال الاستاذ الشیخ محمّد عبده فی هذا المجال:

لقد بغّضت إلیه (أی الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) الوثنیّة من مبدأ عمره فعاجلته طهارة العقیدة، کما بادره حسن الخلیقة، و ما جاء فی الکتاب من قوله: «و وجدک ضالًا فهدی» لا یفهم منه أنه کان علی وثنیة قبل الاهتداء إلی التوحید، أو علی غیر السبیل القویم، قبل الخلق العظیم حاش للّه، إنّ ذلک لهو الإفک المبین «۳».

الآیة الثانیة: الأمر بهجر الرجز

استدلّوا بقول اللّه تعالی «و الرجز فاهجر» علی وجود ارضیة لعبادة الصنم

---

(۱) الانشراح: ۱- ۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۴۲.

(۳) رسالة التوحید للشیخ محمّد عبده: ص ۱۳۵ و ۱۳۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۰۱

و الوثن فی شخصیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ذلک بتفسیر الرجز بالصنم، و الوثن، و یتضح بطلان هذا الادعاء و الاستنباط اذا أمعنا فی معانی و استعمالات هذه اللفظة فی الکتاب العزیز.

ان الرجز استعمل فی القرآن الکریم فی معان ثلاثة: العذاب، القذارة، الصنم.

و قد استعمل الرجز (بکسر الراء) فی تسع موارد فی القرآن الکریم، و قد ارید منه فی جمیعها العذاب إلّا فی مورد واحد: و هی: البقرة- ۵۹، و الاعراف ۱۳۴ (و جاءت اللفظة فیها مرتین) و ۱۳۵ و ۱۶۲ و الانفال- ۱۱ و سبأ- ۵ و الجاثیة- ۱۱ و العنکبوت- ۳۴.

و جاء الرجز- بضمّ الراء- مرّة واحدة و هی الآیة التی نحن بصددها هنا «۱».

و هذه الآیة لا تدل علی ما ذهب إلیه الذین یزعمون بان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان علی غیر التوحید قبل البعثة.

و إلیک بیان هذا الموضوع مفصلا:

۱- ان الرجز لو کان بمعنی «العذاب» دلّت الآیة علی هجر ما یستلزم العذاب، فیکون الخطاب حینئذ مسوقا من باب التعلیم، و من باب «ایاک أعنی و اسمعی یا جاره»، فیکون ظاهر الأمر هو مخاطبة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و نهیه عما یستلزم العذاب، و ارادة تعلیم الامة مثل قول اللّه تعالی فی خطابه للنبی «فَلا تَکُونَنَّ ظَهِیراً لِلْکافِرِینَ» «۲». و قوله تعالی: «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «۳» فکمالا تدلّ الآیة علی وجود أرضیة الشرک فی شخصیة النبی صلّی اللّه علیه و آله، کذلک لا تدل الآیة علی وجود أرضیة التعرض للعذاب فی شخصیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

۲- إن الرجز لو کان بمعنی (القذارة) و هی تنقسم الی مادیة و معنویة فیحتمل ان یکون المراد بناء علی المعنی الأول اشارة إلی ما ورد فی الروایات من

---

(۱) المدّثر: ۵.

(۲) القصص: ۸۶.

(۳) الزمر: ۶۵.

أنّ ابا جهل جاء بشیء قذر، و أمر رجلا من قریش بالقائه علی النبیّ، ففعل، فأمر اللّه نبیه بتطهیر ثوبه من الدنس.

و یحتمل ان تکون الآیة دعوة إلی اجتناب الصفات الذمیمة بناء علی ارادة المعنی الثانی للفظة الرجز فتکون الآیة تعلیما للناس علی النمط السابق، فلا تدل علی اتصاف النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله بها.

۳- الرجز بمعنی الصنم، لنفترض أن المقصود منه فی الآیة هو الصنم، لکن لا بمعنی أنه وضع لذاک المعنی، و إنّما وضع اللفظ لمعنی جامع یعمّ الصنم و الخمر و الازلام لاشتراک الجمیع فی کونها رجزا، و لأجل ذلک وصف الجمیع فی مورد آخر بالرجس فقال تعالی: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ» «۱».

و لکن یجاب عن هذا أیضا بأن النبیّ یوم نزلت الآیة لم یکن عابدا للوثن بل کان مشمّرا عن ساعد الجدّ لتحطیم الاصنام و مکافحة عبدتها، فلا یصح أن یخاطب من هذا شأنه بهجر الاصنام إلا علی السبیل الذی أشرنا إلیه، و هو توجیه الخطاب إلی النبیّ و إرادة الامة به لکون هذا النوع من الخطاب أبلغ فی التأثیر، لأنه سبحانه اذا خاطب أعزّ الناس إلیه بهذا الخطاب فغیره أولی به.

الآیة الرابعة: عدم رجائه إلقاء الکتاب إلیه

قال تعالی: «وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ ظَهِیراً لِلْکافِرِینَ» «۳».

استدلّوا بأن ظاهر الآیة نفی علمه بالقاء الکتاب إلیه، فلم یکن النبی راجیا لذلک واقفا علیه.

أقول: ان توضیح مفاد هذه الآیة یتوقف علی إمعان النظر فی الجملة الاستثنائیة اعنی قوله: «الّا رحمة من ربّک» حتی یتضح المقصود، و قد ذکر المفسرون فی توضیحها وجوها ثلاثة نأتی بها:

۱- إن «إلّا» استدراکیة، و لیست استثنائیة فهی بمعنی «لکنّ» لاستدراک ما بقی من المقصود، و حاصل معنی الآیة: «ما کنت یا محمّد

ترجو فيما مضى أن يوحى اللّه إليك و يشرّفك بإنزال القرآن عليك، إلّا أن ربّك رحمك، و انعم به عليك و اراد بك الخير» نظير قوله سبحانه: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» «۴» اى و لكن رحمة من ربك خصّصك به و هذا هو المنقول

---

(۱) البقرة: ۱۴۳.

(۲) الميزان: ج ۱۸ ص ۸۰.

(۳) القصص: ۸۶.

(۴) القصص: ۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۹

عن الفراء «۱».

و على هذا لم يكن للنبى صلّى اللّه عليه و آله اى رجاء لالقاء الكتاب إليه، و انما فاجأه الالقاء لأجل رحمة ربه.

و لكن لا يصار إلى هذا الوجه إلّا اذا امتنع كون الاستثناء متصلا لكون الانقطاع على خلاف الظاهر.

۲- ان يكون «إلّا» للاستثناء لا للاستدراك و هو متصل لا منقطع، و لكن المستثنى منه جملة محذوفة معلومة من سياق الكلام، و هو كما فى الكشاف: «و ما القى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك» «۲» اى لم يكن لا- لقائه عليك وجه إلّا رحمة ربك، و على هذا الوجه أيضا لا يعلم انه كان للنبى صلّى اللّه عليه و آله رجاء لا لقاء الكتاب عليه و ان كان الاستثناء متصلا.

و هذا الوجه بعيد أيضا لكون المستثنى منه، محذوفا مفهوما من الجملة على خلاف الظاهر و انما يصار إليه اذا لم يصحّ ارجاعه إلى نفس الجملة الواردة فى نفس الآية كما سيبيّن فى الوجه الثالث.

۳- أن يكون «إلّا» استثناء من الجملة السابقة عليه اعنى قوله: «و ما كنت ترجو» و يكون معناه: ما كنت ترجو القاء الكتاب عليك إلّا أن يرحمك اللّه برحمة فينعم عليك بذلك، فتكون النتيجة: ما كنت ترجو إلّا على هذا «۳».

فيكون هنا رجاء منفيا، و رجاء مثبتا، أما الأول فهو رجاؤه بحادثة نزول الكتاب على نسج رجائه بالحوادث العادية، فلم يكن ذاك الرجاء موجودا.

و اما رجاؤه به عن طريق الرحمة الالهية فكان موجودا فنفى أحد الرجاءين لا يستلزم نفى الآخر، بل المنفىّ هو الأول، و الثابت هو الثانى و هذا الوجه هو الظاهر المتبادر من الآية.

و قد سبق منّا أن جملة «ما كنت» و ما اشبهه (تستعمل فى نفى الامكان،

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۲۶۹، مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۰۸.

(۲) الكشاف: ج ۲ ص ۴۸۷ و ۴۸۸.

(۳) مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۹۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۰

و الشأن، و على ذلك يكون معنى الجملة: لم تكن راجيا لأن يلقى إليك الكتاب، و تكون طرفا للوحى، و الخطاب الّما من جهة خاصة، و هى أن تقع فى مظلة رحمته و موضع عنايته، فيختارك طرفا لوحيه، و مخاطبا لكلامه، فالنبى بما هو انسان عادى لم يكن راجيا لأن ينزل إليه الوحى، و يلقى إليه الكتاب، و بما انه صار مشمولا لرحمته و عنايته، و صار انسانا مثاليا، قابلا لتحمل المسئولية، و تربية الامة، كان راجيا به، و على ذلك فالنفى و الاثبات غير واردين على موضع واحد.

و بهذا خرجنا بفضل هذا البحث الضافی أنه صلّی اللّه علیه و آله کان إنسانا مؤمنا موحّدا عابدا للّه ساجدا قائما بالفرائض العقلیة و الشرعیة مجتنبا عن المحرمات عالما بالکتاب و مؤمنا به إجمالا و راجیا لنزوله إلیه إلی أن بعث لانقاذ البشریة عن الجهل، و سوقها إلی الکمال. سید المرسلین ج۱ ۳۱۰ الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته ..... ص : ۳۱۰

الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته

قال سبحانه: «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۱»، و الآیة تؤکد أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان لابثا فی قومه، و لم یکن تالیا لسورة من سور القرآن، أو آیة من آیاته و لیس هذا شیء ینکره القائلون بالعصمة، فقد اتفقت کلمتهم علی أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله وقف علی ما وقف علیه من آی الذکر الحکیم من جانب الوحی، و لم یکن قبله عالما به و این هذا من قول المخطئة من نفی الایمان منه قبلها.

و ان اردت الاسهاب فی تفسیرها فلاحظ الآیة المتقدمة، فتری فیها اقتراحین للمشرکین و قد اجاب القرآن عن أحدهما فی الآیة المتقدمة و عن الآخر فی نفس هذه الآیة و إلیک نصّها: «قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» «۲».

---

(۱) یونس: ۱۶.

(۲) یونس: ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۱

اقترح المشرکون علی النبی أحد الأمرین:

۱- الإتیان بقرآن غیر هذا مع التحفظ علی فصاحته و بلاغته.

۲- تبدیل بعض آیاته مما فیه سبّ لآلهتهم و تندید بعبادتهم للاوثان و الاصنام.

فأجاب عن الثانی فی نفس الآیة بان التبدیل عصیان للّه، و انه یخاف من مخالفة ربه، و لا محیص له إلّا إتباع الوحی من دون أن یزید فیه او ینقص عنه.

و اجاب عن الأول فی الآیة المبحوث عنها بان ذلک أمر غیر ممکن لأن القرآن لیس من صنعی و کلامی حتی أذهب به و آتی بآخر، بل هو کلام اللّه سبحانه و قد تعلقت مشیئته بتلاوتی، و لو لم یشأ لما تلوته علیکم و لا ادراکم به، و الدلیل علی ذلک أنی کنت لابثا فیکم عمرا من قبل فما تکلمات بسورة أو بآیة من آیاته، و لو کان القرآن کلامی لبادرت إلی التکلم به، أیام معاشرتی السابقة معکم فی المدة الطویلة، المدیدة.

قال العلامة الطباطبائی فی تفسیر الآیة: إن الأمر فیه إلی مشیئة اللّه لا إلی مشیئتی، فانما أنا رسول و لو شاء اللّه ان ینزل قرآنا غیر هذا لأنزل، أو لم یشأ تلاوة هذا القرآن ما تلوته علیکم، و لا أدراکم به فانی مکثت عمرا من قبل نزوله، و لو کان ذلک إلیّ و بیدی لبادرت إلیه قبل ذلک و بدت من ذلک آثار و لاحت لوائحه «۱».

فکیف یمکن و الحال هذه أن یکون مجانبا للإیمان باللّه و توحیده، لاهیا عن عبادته و تقدیسه.

هذا و فی هذا المجال حدیث واسع اکتفینا منه بهذا القدر، و من أراد التوسع أن یراجع الجزء الخامس من مفاهیم القرآن ص ۱۳۵- ۱۹۱.

و أما الکلام فی الجهة الثانیة و هی: أنه بما ذا و بأیّ دین کان یتعبّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة، فقد وقع ذلک محطا للبحث بین العلماء، و حیث انه لا ینطوی علی فائدة کبری، بعد أن تبین أنه کان قبل البعثة

(۱) المیزان: ج ۱۰ ص ۲۶، و لاحظ المنار: ج ۱۱ ص ۳۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۲

مؤمنا، موحّدا، یعبد اللّه، فإنّه یکفی أن نعرف أنه کان صلّی اللّه علیه و آله یلتزم بما ثبت له أنه شرع اللّه تعالی ... و بما یؤدّی إلیه عقله الفطری السلیم، و أنه بالتالی کان مؤیدا مسدّدا، و أنه کان أفضل الخلق و اکملهم خلقا، و خلقا، و عقلا، و انه کان یعمل حسب ما یلهم سواء أ کان مطابقا لشرع ما قبله أم مخالفا و أن هادیه و قائده منذ صباه إلی ان بعث هو نفس هادیه بعد البعثة «۱».

(۱) و للتوسّع و الوقوف علی الآراء المختلفة فی هذا المجال راجع الجزء الخامس من مفاهیم القرآن:

ص ۱۳۵- ۱۹۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۳

(۱)

۱۱ بدء الوحی

اشارة

انّ التاریخ الإسلامی یبدأ فی الحقیقة من یوم بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و آله بالرسالة، و التی وقعت علی أثره حوادث خاصة.

و یوم بعث النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله لهدایة الناس، و دوّی فی سمعه الشریف نداء «إنک لرسول اللّه» الصادر عن ملاک الوحی القیت علی کاهله مسئولیة کبری و ثقیلة جدّا، علی نمط الوظیفة الهامة التی القیت علی کاهل من سبقه من الأنبیاء و الرسل صلوات اللّه علیهم أجمعین.

منذ ذلک الیوم اتضح هدف أمین قریش، أکثر فأکثر، و تجلت خطته اکثر فأکثر.

و نحن نری من اللازم قبل شرح الحوادث الاولی الواقعة عند البعثة ان نعطی بعض الایضاحات حول مسألتین:

۱- وجوب بعث الأنبیاء.

۲- دور الأنبیاء فی اصلاح المجتمع.

لقد أودع اللّه تعالی فی کیان کلّ کائن من الکائنات أدوات تکامله، و جهّزه- لسلوک هذا الطریق- بالوسائل المتنوعة، و الأجهزة المختلفة اللازمة.

و لنأخذ مثلا: نبتة صغیرة، فان ثمة عوامل کثیرة تتفاعل فی ما بینها و تعمل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۴

لتحقیق التکامل فیها.

ان جذور کل نبتة تعمل اکبر قدر ممکن لامتصاص العناصر الغذائیة، و تلبیة احتیاجات النبتة، و توصل العروق و القنوات المختلفة، عصارة ما تأخذه من الارض إلی جمیع الاغصان و الاوراق.

إننا لو درسنا جهاز (وردة) لرأیناه اکثر مدعاة للاعجاب و أشد اثارة للتعجب من ترکیب بقیة النباتات.

فللکأس وظیفة توفیر الغطاء اللازم للاوراق الناعمة اللطیفة فی الوردة.

و هکذا الحال بالنسبة الی بقیة الأجهزة فی (الوردة) ممّا انیط إلیها مسئولیة الحفاظ علی کائن حیّ، و ضمان رشده و نموّه، فإنها جمیعا

تقوم بوظائفها المخلوقة لها بأحسن شكل، و أفضل صورة.

و لو أننا خطونا خطوات اكثر و تقدّمنا بعض الشيء لدراسة الأجهزة العجيبة فى عالم الأحياء، لرأينا أنها جميعا و بدون استثناء مزوّدة بما يضمن بلوغها الى مرحلة الكمال المطلوب لها.

(۱) و إذا أردنا أن نصبّ هذا الموضوع فى قالب علميّ لوجب أن نقول: انّ الهداية التكوينية، التى هى النعمة المتجلّية فى عالم الطبيعة، تشمل كل موجودات هذا العالم من نبات، و حيوان و انسان.

و يبيّن القرآن الكريم هذه الهداية التكوينية الشاملة بقوله:

«رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» «۱».

فانّه يصرّح بأن كل شيء فى هذا الكون من الذرة إلى المجرّة ينعم بهذا الفيض العامّ، و انّ اللّه تعالى بعد أن قدّر كل موجود و كائن، بيّن له طريق تكامله، و رقيّه، و هيأ لكل كائن من تلك الكائنات ما يحتاج إليه فى تربيته و نموّه، و هذه هى (الهداية التكوينية العامة) السائدة على كل ارجاء الخليقة دون ما استثناء.

---

(۱) طه: ۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۵

(۱) و لكن هل تكفى هذه الهداية الفطرية، التكوينية لكائن مثل الإنسان، اشرف الموجودات، و افضل ما فى هذه الخليقة؟! بكل تأكيد: لا.

لأن للإنسان حياة اخرى غير الحياة المادية، تشكل اساس حياته الواقعية، و لو كان للإنسان حياة مادية جافّة فقط مثلما لعالم النباتات، و الحيوانات، لكفت العوامل و العناصر المادية فى تكامله، و الحال أن للإنسان نوعين من الحياة، يكمن فى تكاملهما معا رمز سعادة الإنسان و رقيّه.

ان الإنسان الأول، و نعنى به انسان الكهوف و الحياة البسيطة و الفطرة السليمة التى لم يطرأ على جبلته اى اعوجاج لم يكن بحاجة إلى ما يحتاج إليه الإنسان الاجتماعيّ من التربية و الهداية.

(۲) و لكن عند ما خطى الإنسان خطوان أبعد من ذلك، و بدأ الحياة الاجتماعية، و سادت على حياته فكرة التعاون و العمل الجماعى برزت فى روحه و نفسيته سلسلة من الانحرافات نتيجة للاحتكاك الاجتماعى، و غيّرت الخصال القبيحة و الافكار الخاطئة صفاته الفطرية، و بالتالى اخرج المجتمع من حالة التوازن!

إن هذه الانحرافات حملت خالق الكون على أن يرسل إلى البشرية رجالا أفذاذا صالحين يتولّون تربية البشر، و ليقوموا بتنظيم برنامج المجتمع، و التخفيف من المفاسد الناشئة- بصورة مباشرة- عن النزعة الاجتماعية لدى الإنسان، و ليضيئوا- بمشاعل الوحى المشعّة المنيرة- طريق السعادة و الخير للانسانية فى جميع المجالات و الابعاد.

إذ لا نقاش فى أنّ الحياة الاجتماعية و العيش بصورة جماعية مع كونه مفيدا، ينطوى على مفاسد لا تنكر، و يجرّ إلى انحرافات كثيرة لا تقبل الترديد.

(۳) و لهذا بعث اللّه سبحانه رجالا مصلحين، و هداة مرشدين يعملون- قدر الامكان- على الحدّ من الانحرافات و المفاسد، و يضعون عجلة المجتمع- بتنظيم القوانين الواضحة و الانظمة الحكيمة- على الطريق الصحيح، و يضمنون دورانها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۶

و حركتها فى المسار المستقيم.

و قد يستفاد هذا الأمر- بوضوح- من قوله تعالى:

«كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» «۱».

(۱)

دور الأنبياء فی اصلاح المجتمع:

ان الذی یتصوره الناس عادة هو أنّ الأنبیاء مجرد معلّمین إلهیین بعثوا لتعلیم البشریة.

فکما یتعلم الطفل خلال حرکته التعلیمیة ابتداء من الابتدائیة و مرورا بالمتوسطة و انتهاء بالجامعة دروسا معینة و مواضیع خاصة علی ایدی الاساتذة و المعلمین، کذلک یتعلم الناس فی مدرسة الأنبیاء امورا خاصة، و یکتسبون معارف معینة، و تتکامل أخلاقهم و صفاتهم و خصالهم الاجتماعیة جنبا الی جنب مع اکتسابهم المعرفة و العلم علی أیدی الأنبیاء و المرسلین.

و لکننا نتصور أن مهمة الأنبیاء وظیفتهم الأساسیة هی (تربیة) المجتمعات البشریة لا تعلیمها، و ان اساس شریعتهم لا ینطوی علی کلام جدید، و انه ما لم تنحرف الفطرة البشریة عن مسارها الصحیح، و ما لم تلفها غشاوات الجهل و الغافلة لعرفت و ادرکت خلاصة الدین الإلهی، و عصارتها، فی غیر ابهام، و لا خفاء.

علی أن هذه الحقیقة قد أشار إلیها قادة الإسلام العظماء.

(۲) فقد قال امیر المؤمنین علیه السّلام فی نهج البلاغة عن هدف الأنبیاء:

«أخذ علی الوحی میثاقهم، و علی تبلیغ الرسالة أمانتهم ... لیستأدوهم میثاق فطرته، و یذکروهم منسیّ نعمته، و یحتجّوا علیهم بالتبلیغ، و یثیروا لهم دفائن العقول» «۲».

---

(۱) البقرة: ۲۱۳.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة رقم ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۷

(۱)

مثال واضح فی المقام:

اذا قلنا: ان وظیفة الأنبیاء فی تربیة الناس و اصلاح نفوسهم هی وظیفة البستانی فی تربیة شجیرة من الشجرات، أو قلنا: أن مثل الأنبیاء فی قیادة التوجّهات الفطریة البشریة و هدایتها، مثل المهندس الذی یستخرج المعادن الثمینة من بطون الاودیة و الجبال، لم نکن فی هذا القول مبالغین.

و توضیح ذلک ان النبتة، أو الشجیرة الصغیرة تحمل من بدایة انعقاد حبتها الاولی کل قابلیات النمو، و الرشد، فاذا توفر لها الجو المناسب للنمو، دبّت الحیاة و الحرکة فی کل أجزائها، و استطاعت بفعل جذورها القویة و اجهزتها المتنوعة و فی الهواء الطلق، و الضوء اللازم، من أن تقطع أشواطا کبیرة من التکامل، و النمو.

(۲) فمسؤولیة البستانی فی هذه الحالة تترکز فی امرین:

۱- توفیر الظروف اللازمة لتقویة جذور تلک النبتة لکی تظهر القوی المودعة فی تلک النبتة أو الشجیرة، و تخرج من حیّز القوة إلی مرحلة الفعلیة، و التحقق.

۲- الحیلولة دون تعرض تلک الشجرة أو النبتة للانحرافات و الآفات، و ذلک عند ما تتجه القوی الباطنیة صوب الوجهة المخالفة

لسعادتها، و تسلك طريقا ينافى تكاملها.

و من هنا فان مسئولية البستانى و وظيفته ليست هى (الإنماء) بل هى (المراقبة) و توفير الظروف اللازمة ليتهيّأ لتلك الشجرة و النبتة أن تبرز كمالها الباطنى.

(۳) لقد خلق اللّه سبحانه البشر و أودع فى كيانه طاقات متنوعة، و غرائز كثيرة، و عجن فطرته و جبلّته بالتوحيد، و حبّ معرفة اللّه، و حبّ الحق و الخير، و العدل و الانصاف، كما و أودع فيه غريزة السعى و العمل.

و عند ما تبدأ خمائر هذه الامور و بذورها الصالحة المودوعة بالعمل و التفاعل فى كيان الإنسان تتعرض فى الجو الاجتماعى لبعض الانحرافات بصورة قهرية،

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۸

فغريزة العمل و السعى تتخذ شيئا فشيئا صفة الحرص و الطمع، و غريزة حب السعادة و البقاء تتخذ صورة الانانية، و حب الجاه و المنصب، و يتجلى نور التوحيد و الإيمان فى لباس الوثنية و عبادة الأصنام.

(۱) فى هذه الحالة يعمل سفراء اللّه الى البشرية: (الأنبياء و الرسل) على توفير ظروف الرشد و النمو الصحيح لتلك الغرائز و تلك القوى و الطاقات فى ضوء الوحى، و البرامج الصحيحة المستلهمة من ذلك المنبع الالهى الهادى، و يقومون بالتالى بتعديل انحرافات الغرائز، و الوقوف دون تجاوزها حدودها المعقولة المطلوبة.

و لقد قال امير المؤمنين فى ما مرّ من كلامه: إن اللّه أخذ- فى مبدأ الخلق- ميثاقا يدعى «ميثاق الفطرة».

فما هو ترى المقصود من ميثاق الفطرة هذا؟

إن المقصود من هذا الميثاق هو: أن اللّه تعالى بخلقه و ايداعه الغرائز المفيدة فى الكيان الإنسانى، و بمزج الفطرة البشرية بعشرات الأخلاق الطيبة و السجايا الصالحة يكون قد أخذ من الإنسان ميثاقا فطريا بأن يتبع خصال الخير، و يأخذ بالغرائز الطيّبة الصالحة.

فاذا كان منح جهاز البصر (العين) للإنسان هو نوع من اخذ الميثاق من الإنسان بان يتجنب المزالق، و لا يقع فى البئر، فكذلك ايداع حسّ التدين، و غريزة الانجذاب الى اللّه، و حبّ العدل، فى كيانه هو الآخر نوع من اخذ الميثاق منه بأن يظل مؤمنا باللّه، موحّدا إياه، عادلا، منصفا، محبا للخير و الحق.

و إن وظيفة الأنبياء هى أن يحملوا الناس على العمل بمقتضى ميثاق الفطرة، و بالتالى فانّ مهمّتهم الأساسية الحقيقة هو تمزيق اغشية الجهل و تبديد سحب الغافلة التى قد ترين على جوهرة الفطرة المطعمة بنور الايمان، فتمنعها من الاشراق على وجود الإنسان، و تحرم الإنسان من هدايتها.

و من هنا قالوا: إن أساس الشرائع الالهية يتألف من الامور الفطرية، التى فطر الإنسان عليها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۹

(۱) و كأنّ صرح الكيان الإنسانى (جبل) اختفت بين ثنايا صخوره و فى بطونه احجار كريمة كثيرة و معادن ذهبيه ثمينة، فالوجود الإنسانى هو الآخر قد اودعت فيه فضائل و علوم، و معارف و خصال، و اخلاق متنوعة.

فعند ما يغور الأنبياء و المهندسون الروحيّون فى أعماق نفوسنا و ذواتنا و هم يعلمون جيدا أن نفوسنا معجونة بطائفة من الصفات و السجايا النبيلة و المشاعر و الاحاسيس الطيبة، و يعملون على اعادة نفوسنا- بتعاليم الدين و برامجه- الى جادة الفطرة المستقيمة السليمة فانهم فى الحقيقة يذكّروننا بأحكام فطرتنا، و يسمّعوننا نداء ضمائرنا، و يلفتونها إلى الصفات، و الى الشخصية المودوعة فيها.

تلك هى رسالة الأنبياء، و ذلك هو عملهم الاساسى، و هذا هو دورهم فى اصلاح النوع الإنسانى، أفرادا و جماعات.

(۲)

أمین قریش فی غار حراء:

یقع جبل «حراء» فی شمال «مکة» و یستغرق الصعود إلی غار حراء مدة نصف ساعة من الزمان.

و یتألف ظاهر هذا الجبل. من قطع صخریة سوداء، لا یری فیها أیّ أثر للحیاة أبدا.

و یوجد فی النقطة الشمالیة من هذا الجبل غار یمکن للمرء أن یصل إلیه و لکن عبر تلک الصخور، و یرتفع سقف هذا الغار قامة رجل، و بینما تضیء الشمس قسما منه، تغرق نواح اخری منه فی ظلمة دائمة.

و لکن هذا الغار یحمل فی رحابه ذکریات کثیرة عن صاحب له طالما تردّد علیه، و قضی ساعات بل و أیاما و أشهرا فی رحابه ... ذکریات یتشوق الناس- و حتی هذا الساعة- الی سماعها من ذلک الغار، و لذلک تجدهم یسارعون إلی لقائه کلّما زاروا تلک الدیار، متحملین فی هذا السبیل کل عناء، للوصول إلی رحابه، لکی یستفسرونه عما جری فیها عند وقوع حادثة: «الوحی» العظیمة و لیسألونه عن ما تحتفظ به ذاکرته من تاریخ رسول الإنسانیة الاکبر ممّا جرت

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۰

حوادثه فی ذلک المکان التاریخی، العجیب.

(۱) و یتحدث ذلک الغار هو الآخر إلیهم بلسان الحال و یقول: هاهنا المکان الذی کان یتعبد فیه عزیز قریش و فتاها الصادق الامین.

و هاهنا قضی لیالی و أیاما عدیدة و طویلة قبل ان یبلغ مرتبة الرسالة، فی عبادة اللّه، و التأمل فی الکون، و فی آثار قدرة اللّه و عظمته.

أجل، لقد اختار محمّد صلّی اللّه علیه و آله ذلک المکان البعید عن صحیح الحیاة، للعبادة و التحنث، فکان یمضی جمیع الایام من شهر رمضان فیه، و ربما لجأ إلیه فی غیر هذا الشهر أحیانا اخری، إلی درجة أنّ زوجته الوفیّة کانت إذا لم یرجع إلی منزلها، تعرف أنه قد ذهب إلی «غار حراء» و أنه هناک مشتغل بالعبادة و التحنث و الاعتکاف. و کانت کلّما أرسلت إلیه أحدا وجده فی ذلک المکان مستغرقا فی التأمل و التفکیر، او مشتغلا بالعبادة و التحنث.

(۲) لقد کان صلّی اللّه علیه و آله قبل أن یبلغ مقام النبوة، و یبعث بالرسالة یفکر- اکثر شیء- فی أمرین:

۱- کان یفکر فی ملکوت السماوات و الارض، و یری فی ملامح کل واحد من الکائنات التی یشاهدها نور الخالق العظیم، و قدرته، و عظمته و علمه، و قد کانت تفتح علیه من هذا السبیل نوافذ من الغیب تحمل الی قلبه و عقله النور الالهیّ المقدس.

۲- کان یفکر فی المسئولیة الثقیلة التی ستوضع علی کاهله.

إن اصلاح المجتمع فی ذلک الیوم علی ما کان علیه من فساد عریق و انحطاط عریض، لم یکن فی نظره و تقدیره بالأمر المحال الممتنع. و لکن تطبیق مثل هذا البرنامج الاصلاحیّ لم یکن فی نفس الوقت أمرا خالیا من العناء و المشاکل، من هنا کان یفکر طویلا فی الفساد فی حیاة المجتمع المکّی و ما یراه من ترف قریش، و کیفیّة رفع کل ذلک و اصلاحه.

لقد کان صلّی اللّه علیه و آله حزینا لما یری من قومه من فساد العقیدة المتمثل فی الخضوع للأوثان المیتة، و العبادة للأصنام الخاویة الباطلة، و لطالما

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۱

شوهدت آثار ذلک الحزن علی محیّاه، و ملامح وجهه الشریف، و لکن لما لم یکن مأذونا بالافصاح بالحقائق، لذلک کان یتجنب ردع الناس عن تلک المفاسد، و منعهم عن تلک الانحرافات.

(۱)

بدء الوحی:

لقـد امر اللّه ملكـا من ملاـئكته بـأن ينزل على امين قريش و هو فى غار حراء و يتلو على مسـمعه بضع آيات كبدايـة لكتاب الهدايـة و السعادة، معلنا بذلك تتويجه بالنبوة، و نصبه لمقام الرسالة.

كان ذلك الملك «جبرئيل»، و كان ذلك اليوم هو يوم المبعث النبوى الشريف الذى سنتحدث عن تاريخه فى المستقبل.

و لا ريب أن ملاقاة الملك و مواجهته أمر كان يحتاج إلى تهيّؤ خاصّ، و ما لم يكن محمّد صلّى اللّه عليه و آله يمتلك روحا عظيمة، و نفسية قوية لم يكن قادرا قط على تحمّل ثقل النبوة، و ملاقاة ذلك الملك العظيم.

أجل لقـد كان «أمين قريش» يمتلك تلك الروح الكبرى، و تلك النفس العظيمـة و قـد اكتسـبها عن طريق العبادات الطويلة، و التأمّل العميق الدائم، الى جانب العناية الالهية.

و لقد روى أصحاب السير و التاريخ انه رأى رؤى عديدة قبل البعثة كانت تكشف عن واقع بيّن واضح وضوح النهار «۱».

و لقد كانت ألذّ الساعات و أحبها عنده بعد كل فترة، تلك الساعات التى يخلو فيها بنفسه، و يتعبّد فيها بعيدا عن الناس.

و لقد قضـى على هذا الحال مدة طويلة حتى أتاه- فى يوم معين- ملك عظيم بلوح نصـبه أمامه و قال له: «اقرأ»، و حيث أنه صـلّى اللّه عليه و آله كان اميا لم يدرس أجاب الملك بقوله: «ما أنا بقارئ».

---

(۱) صحيح البخارى: ج ۱ كتاب العلم ص ۲۲، بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۲۲

(۱) فاحتضنه ذلك الملك، و عصره عصرة شديدة، ثم طلب منه أن يقرأ فأجابه بالجواب الأول.

فعصـره الملك ثانية عصـرة شديدة و تكرّر هذا العمل مرات ثلاث احس بعدها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى نفسه أنه قادر على قراءة ما فى ذلك اللوح، فقرأ ساعتها تلك الآيات التى تشكل- فى الحقيقة- ديباجة كتاب السعادة البشرية، و اساس رقيها.

لقد قرأ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله تعالى:

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ» «۱».

و بعـد أن انتهى جبرئيـل من أداء مهمته التى كلّف بهـا من جـانب اللّه تعالى، و بلّغ الى النبى تلكم الآيات الخمس، انحـدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من جبل حراء، و توجه نحو منزل خديجة «۲».

و لقد أوضحت الآيات المذكورة برنامج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله اجمالا، و بيّنت و بشكل واضح ان اساس الدين يقوم على القراءة و الكتابة، و العلم و المعرفة، و استخدام القلم.

(۲)

ظاهرة القضايا الغيبيّة فى منظار الماديّين:

لقد تسبّب التقدم العظيم و المتزائد الذى تحقق فى ميدان العلوم الطبيعية فى سلب الكثير من العلماء القدرة على فهم و ادراك القضايا المعنوية و الخارجة عن اطار العلوم الطبيعية و بالتالى أدى الى تحديد و تضييق آفاق الفكر عندهم.

فـاذا بهم اصـبحوا يتصورون أن الوجود يتلخص فى هـذا الكون المـادى، و انه ليس فى الوجود من شـىء سوى المـادة و ان كـل ما لا يمكن تفسيره و تبريره بالقوانين و القواعد المادية فهو أمر باطل، و من نسج الخيال!!

---

(۱) العلق: ۱- ۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۳۶ و ۲۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۳

(۱) إن هـذا الفریق- لتسرعه فی اصدار الحکم فی الامور المتعلقة- بالغیب و قضایا ما وراء الطبیعة، و حصر أدوات المعرفة بالحس و التجربـة- انکروا عـالم الوحی، بحجـة أنّ الحسّ و التجربـة لاـ یقودانهم إلی ذلـک العـالم، و لاـ یخبرانهم عن مثل تلک الموجودات، فلکونهـا بالتـالی لاـ تخضع لمبضع التشـریح، و مجهر الاختبار أنکروها بالمرة، و کانت النتیجـة أن أدوات المعرفـة المعروفـة (الحسّ و التجربة) حیث انها لا تهدی إلی عالم ما وراء المادة فاذن لا وجود خارجی لذلک العالم و لحقائقه أبدا!

إنّ هذا النمط من التفکیر نمط جدّ ضیق و محدود، مضافا الی انه یتسم بالغرور و الغطرسة، فهو من باب «استنتاج عدم الوجود من عدم الوجدان» فی خطوة متعجلة فجّة!!

فمـا دامت هـذه الحقـائق التی یعتقـد بهـا الاـلهیّون المؤمنون بـاللّه لاـ یمکن التوصـل إلیهـا عن طریق الادوات الفعلیـة المتعارفة بینهم للادراک و المعرفة فهی اذن لا اساس لها من الواقع!!

(۲) ان الذی لا شک فیه هو: ان الماديین لم یدرکوا مقالة العلماء الالهیین حتی فی مسألة اثبات الصانع الخالق فکیف بالعوالم الاخری لما فوق الطبیعـة، و لو أنّ الفریقین تحاورا فی جوّ علمی مناسب، بعیدا عن الأغراض و العصبیّات، لکان من المتوقع ان تزول الفواصـل بین الماديین و الالهیین فی أقرب وقت، و أین یرتفع هذا الاختلاف الذی قسّم العلماء إلی فریقین علی طرفی نقیض.

(۳) لقـد اقام المؤمنون الموحّـدون عشـرات الأدلة و البراهین القاطعة علی وجود اللّه تعالی، و اثبتوا بأنّ هذه العلوم الطبیعیة هی نفسـها تقودنا إلی الخالق العالم القادر، و ان هـذا النظام العجیب السائد فی ظواهر الکائنات الطبیعیّة و بواطنها لدلیل قاطع، و برهان ساطع علی وجود مبدع هذا النظام، و أن جمیع أجزاء هذا الکون المادیّ، من ذراته الی مجراته، یسیر وفق قوانین دقیقة متقنة، و لا تستطیع الطبیعة الصماء العمیاء ابدا أن تکون مبتکرة لهذا النظام البدیع، و مبدعة لهذا الترتیب الدقیق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۴

(۱) و هذا هو بنفسه برهان «نظام الوجود» أو (برهان النظم) الذی ألّف العلماء الالهیون الموحدون حوله عشرات الکتب و الدراسات.

و حیث ان (برهان النظم) هـذا ممّا یفهمه جمیع الناس علی مختلف مراتبهم و مـدارکهم، لـذلک رکزت علیها الکتب الاعتقادیـة دون سواها، و سـلک کل واحـد من العلماء طریقا معینا و خاصا لتقریره، و بیانه، کما و درست الأدلـة و البراهین الاخری التی لا تتسم بمثل هذه الشمولیة، فی الکتب، و المؤلفات الفلسفیة و الکلامیّة بصورة مفصلة و مبسوطة.

إنّ للعلماء الالهیین بیانات و أدلة فی مجال (الروح المجردة)، و عوالم ما وراء الطبیعة (المیتافیزیقیا) نشیر إلی بعضها هنا:

(۲)

الروح المجردة:

إن الاعتقاد بالروح من القضایا الشائکة الطبیعة التی استقطبت اهتمام العلماء و شغلت بالهم بشدة.

فهناک فریق- ممّن اعتاد أن یخضع کل شیء لمبضع التشریح- ینکر وجود (الروح)، و یکتفی بالاعتقاد بالنفس ذات الطابع المادی، و العاملة ضمن نطاق القوانین الطبیعیة فقط.

و وجود «الروح» و النفس غیر المادیة (ای المجردة المسـتقلة عن المادة) من القضایا التی عولجت و دورست من قبل المؤمنین باللّه، و المعتقدین بالعالم الروحانی، بصورة دقیقة، و عمیقة.

فهم أقاموا شواهـد عدیـدة علی وجود هذا الکائن (غیر المادیّ) و هی أدلة و براهین لو تمّ التعرّف علیها و النقاش حولها فی جوّ علمی هادئ مع الأخذ بنظر الاعتبار ما یقوم علیه منطق الالهیین- فی هذا المجال- من قواعد و اسس، لأدّی ذلک إلی التصدیق الکامل بها.

علی أن ما یقوله الالهیّون فی مجالات اخری مشابهة مثل (الملائکة) و (الوحی) و (الإلهام) یقوم هو الآخر علی الأساس الذی شیدوه و

مهدوه و برهنوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۵

علیه قبل ذلک بالأدلة المحکمة، المتقنة «۱».

(۱)

ظاهرة الوحی عند المادیّین:

یعتبر الاعتقاد بالوحی أساسا لجمیع الرسالات، و الأدیان السماویة، و تقوم هذه الظاهرة (ظاهرة الوحی) علی أن الذی یوحی إلیه یمتلک روحا قویة تقدر علی تلقی المعارف الالهیة من دون واسطة، أو بواسطة ملک من الملائکة.

و یلخص العلماء المختصّون تعریفهم للوحی علی النحو التالی: «الوحی تعلیمه تعالی من اصطفاه من عباده کل ما أراد اطلاعه علیه من ألوان الهدایة و العلم و لکن بطریقة خفیّة غیر معتادة للبشر».

و لکن الماديين- کما قلنا- لم یستطیعوا هضم هذه الحقیقة، و ادراک هذه الظاهرة علی حالها، و صورتها الغیبیة بسبب ما ذکرناه من منهجهم و نظرتهم إلی الامور و الکائنات فذهبوا فی تفسیر ظاهرة الوحی- التی هی کما اسلفنا من قضایا الغیب و من عوالم ما فوق الطبیعة- مذاهب مختلفة ترجع برمتها إلی الرؤیة المادیة للوجود.

و إلیک أبرز هذه التفاسیر المادیّة لظاهرة الوحی الغیبیة:

أبرز النظریات المادیة لظاهرة الوحی:

۱- قالوا: الوحی هی القدرة الفکریة، و النفسیة و العقلیة التی تحصل للإنسان بسبب التمرینات و الریاضات الروحیة التی علی اثرها تنفتح علیه أبواب من الغیب، فیخبر عن امور طالما تتفق مع الواقع علی نحو ما یحصل للمرتاضین الهنود «۲».

فالانبیاء بسبب اعتزالهم للمجتمع- علی غرار ما یفعل المرتاضون- و إقبالهم

---

(۱) و لقد جاء تفصیل هذه البراهین و الأدلّة فی الکتب الفلسفیة مثل: «الإشارات» و «الأسفار».

و لقد اشرنا إلی بعض هذه الأدلّة فی کتاب (اللّه خالق الکون) فراجع.

(۲) و هم الذی یمارسون عملیة الیوجا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۶

علی الریاضة الروحیة یحصل لهم المقدرة علی الإخبار بالغائبات، و الکائنات الخفیة علی غیرهم.

و الجواب علی هذه النظریة هو: أن دراسة حالات المرتاضین تکشف لنا عن أنهم طالما یخطئون فی إخباراتهم أخطاء فاضحة، بینما لم یعهد من نبیّ أنه أخطأ فی إخباراته، و إنباءاته.

هذا اولا و ثانیا: ان ما یفعله المرتاضون لا ینطوی علی أیة أهداف اصلاحیة علیا للمجتمع البشری، بل غایة همّهم هو: عرض الافعال العجیبة علی الناس و ربما تسلیة المتفرجین، بینما یهدف الأنبیاء إلی إصلاح المجتمعات البشریة و قیادتها إلی ذری الکمال و التقدم.

و ثالثا: ان المرتاضین لا یثقون بما یخبرون به، کما لم یعرف إلی الآن أن أحدا منهم طلع علی المجتمع البشریّ ببرنامج کامل و شامل للحیاة البشریة الفردیة و الاجتماعیة، بینما نجد الأنبیاء یخبرون الناس بما امروا به و هم علی إیمان کامل، و یقین ثابت منه، هذا الی جانب أنهم یحملون الی البشریة برامج اجتماعیة و حیویة جامعة الاطراف، کاملة الأبعاد، رفیعة الأهداف، عمیقة الغایات، ترجع إلیها

کل فضیلة و کل خیر تعرفه المجتمعات الی الآن.

و رابعا: انّ أعمال المرتاضین و ما تحصل لهم من قوی و ینفتح علیهم من آفاق، محدودة، بینما لا تقف طاقات الأنبیاء و آفاق علومهم، و أبعاد أعمالهم عند حدّ.

فلا یمکن أبدا تفسیر و تعلیل ظاهرة (الوحی) و ما یحصل للرسل و الأنبیاء علی اثره من امور تتخطی حدود العالم المادی المحدود، بالریاضة الروحیة التی یمارسها المرتاضون و ما یحصل لهم علی أثرها من امور.

۲- قالوا: انّ (الوحی) نوع من النبوغ، او أنه ناشئ من النبوغ، و أن الأنبیاء هم نوابغ اجتماعیون لا اکثر.

و قد شرحوا نظریتهم هذه قائلین: بأن نظام الخلیقة قد ربی فی أحضانه نوابغ

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۷

صالحین، اهتدوا بفعل نبوغهم الفکری الرفیع الی أفکار و قیم رفیعة و دعوا مجتمعاتهم إلی الأخذ بها، و السیر علی هدیها، لتحقیق الخیر و العدالة، فکان لهم بذلک اکبر نصیب فی إرشاد البشریة الی سعادتها، فکل ما طرحوه من أفکار، و کل ما عرضوه علی تلک المجتمعات باسم الدین او القانون لیست- فی الحقیقة- سوی نتیجة ما تمتعوا به من نبوغ، و فکر خارق، و لا علاقة له بعالم آخر غیر هذا العالم المادی المألوف.

و قالوا: و ان ممّا یساعد علی تقویة هذا النبوغ امور ابرزها:

الحبّ، التعرض للظلم الطویل، الطفولة و ما یکتنفها من ضعف و عجز، الوحدة، السکوت، التربیة الاولی، و العیش فی صورة الأقلیة و ما یرافقها من ظروف اجتماعیة غیر مؤاتیة.

فان جمیع هذه الامور أو بعضها تدفع بالشخص الی الانطوائیة، و التفکیر و التأمل، للاهتداء الی مخرج من المشاکل و الصعوبات، و مخلص من الظروف الصعبة، و الأحوال الشاقة.

و یجاب علی هذه النظریة بأن أصحاب هذه النظریة حکموا علی هذه القضیة علی أساس موقف اتخذوه سلفا فهم حصروا الأشیاء فی المادة و الامور المادیة ثم فسّروا ما یرتبط بعالم الغیب بذلک، فجاء تفسیرهم لهذه الظاهرة الغیبیة تفسیرا ماديّا، غفلة منهم عن ان مثل هذا التفسیر و التعلیل لا یلیق بظاهرة (الوحی) التی تجسد أعلی قضیّة فی سلّم الحقائق العلمیة و الفلسفیة، و یرجع إلیها أعظم القوانین و البرامج للسعادة البشریة.

نحن لا ننکر أن لما ذکروه من العوامل تأثیرا فی تقویة عملیة «التفکیر» لدی الانسان إلی درجة ایجاد ما یسمی بظاهرة النبوغ لدیه، إلّا أنه لا یمکن أن یوجد مثل هذا الأمر نبیّا خضعت جمیع النوابغ البشریة لعظمة تعالیمه التی أتی بها طوال أربعة عشر قرنا.

نبیا لم تزل ما جاء به من معارف عقلیة و فلسفیة، و قوانین ترتبط بعالم الطبیعة و بالنظام الاجتماعی و آداب السلوک تحافظ علی قوتها، و عمقها و أصالتها و لمعانها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۸

کل المحافظة رغم کل ما احرزه البشر فی ضوء نشاطه الفکری و العقلی من تقدم، فی المعارف و العلوم.

هذا مضافا الی أن نسبة هؤلاء الأنبیاء جمیع ما عرضوه علی المجتمعات البشریة إلی العالم الآخر و اصرارهم علی أنها من جانب اللّه تعالی و لیست من نسیج افکارهم یناقض نظریة هذه الطائفة، التی تفسر النبوة بالنبوغ.

لنقرأ معا الآیة التی یقول اللّه تعالی فیها حاکیا عن رسول الإسلام محمّد صلّی اللّه علیه و آله:

«إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ» «۱».

أو یقول سبحانه:

«إِنْ هُوَ إِلَّا س "وَحْیٌ "یُوحی» «۲».

۳- یقولون: إن الوحی هو ظهور الشخصیة الکامنة فی النبی و ایحاؤها لما ینفعه و ینفع قومه المعاصرین له، إلیه.

و ربما قالوا: إنّ معلومات «محمّد» و أفکاره و آماله ولّدت لدیه إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفیّة علی محیلته السامیة، و انعکس اعتقاده علی بصره فرأی الملک و ماثلا له و هو یتلو علی سمعه ما حدّث به بعد ذلک.

و توضیح هذه النظریة هو: ان لکل إنسان شخصیتین:

۱- الشخصیة الظاهرة العادیة و هی التی تخضع للحواس الخمس و تعمل بها.

۲- الشخصیة الباطنیة و هی التی تعمل عند ما تتعطل الحواس، و یتعطل الشعور الظاهری:

و هذه الشخصیة هی التی تحرک جمیع أعضاء الجسم الانسانی التی لا تخضع لارادته کالکبد و القلب، و المعدة و غیرها، کما انها هی مصدر الکثیر من الإلهامات الطیبة فی الظروف الحرجة.

ثم قالوا: و هذه الشخصیة الباطنیة قد اصبحت مدرکة بالحس، فان المنوّم

---

(۱) الأنعام: ۵۰.

(۲) النجم: ۴.

مغناطیسیا یظهر بمظهر من العقل الراجح، و الفکر الثاقب و النظر البعید، و یقوم بما لا یقوم به فی حالته العادیة.

و قد انتهی هؤلاء الماديّون من خلال تحقیقاتهم و تجاربهم إلی: ان شخصیة الإنسان الباطنیة ارقی من شخصیته العادیة، و إن ما یتوصّل إلیه الإنسان من أفکار عالیة رفیعة جدا، و ما قد یتمتع به من روح قویة هو من مظاهر هذه الشخصیة و فعالیتها.

فقالوا: و ان هذه الشخصیة هی التی تنفث فی روح الأنبیاء ما یعتبرونه وحیا من اللّه، و قد تظهر لهم متجسّدة فیحسبونها من ملائکة اللّه هبطت علیهم من السماء!!!

فالوحی عند هؤلاء الباحثین فی الروح علی الاسلوب التجریبی لا یکون بنزول ملک من السماء علی الرسول فیبلغه کلاما عن اللّه بل یکون فی تجلی روح الإنسان علیه بواسطة شخصیته الباطنة فتعلمه ما لم یکن یعلم، و تهدیه الی خیر الطرق لهدایة نفسه و ترقیة امته «۱».

و لکن هذه النظریة هی الاخری تنبع من الغرور العلمیّ الذی أصاب هذا النمط من العلماء الّذین یحاولون تفسیر کل ظواهر هذا العالم بالتفسیر المادی، و هو لا شک ینشأ من علمهم المحدود القاصر عن إدراک حقائق الوجود.

إننا لا نشک فی وجود ما یسمی بالشخصیة الباطنیّة لدی الإنسان فهو ممّا سبق الی کشفه و التنویه به الفلاسفة الإسلامیّون من قبل و لکن کیف و علی أیّ أساس حقّ لهؤلاء ان یفسروا ظاهرة (الوحی الالهیّ) و النبوة بهذا الأمر؟

هذا أولا و ثانیا: انّ تجلی الشخصیّة قلّما یحدث فی الاشخاص الأصحّاء، بل هو یحدث فی الاغلب عند المتعبین القلقین، و السکاری، و المصابین بالهزیمة و النکسة، لأن نافذة (اللاوعی) عند غیرهم من الاصحاء تنسد بسبب اشتغالهم الشدید بقضایا الحیاة الیومیة و همومها، و لا یبقی للشخصیة الباطنیة مجال للنشاط و الفعالیة، کما

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرین لفرید وجدی: ج ۱۰ مادّة وحی.

هو العکس عند المتعبین و السکاری و المرضی الذین یقل اهتمامهم بالحیاة الیومیة فیترک (الوعی) مکانه للاوعی، و تترک الشخصیة الظاهریة المعطّلة مکانها للشخصیة الباطنیة.

و لذلک نجد بین آلاف العلماء و المفکرین مفکرا أو عالما واحد اتفق له فی بدایة عمره أن اهتدی بصورة لا شعوریة إلی فکرة خاصة او نظریة معینة من دون سابق تفکیر او استدلال قائم علی الشعور.

و خلاصة القول أن تجلّی الشخصیة الباطنیة فی الحیاة الانسانیة قضیة نادرة جدا، و هی لا تحدث إلّا فی ظروف خاصة مثل: المنامات و الاحلام و غیرها من التحولات الحیاتیة التی تقلل من توجّه الانسان الی العالم الخارجیّ و تصرف التفاته و توجّهه الی الشخصیة الباطنیة.

و لکن هذه الحالة و هذه الشرائط (أی الغافلة عن هموم الحیاة الیومیة الخارجیة) لم تحصل للانبیاء قط.

فالنبی الأکرم محمّد صلّی اللّه علیه و آله کان طوال (۲۳ سنة) و هی أعوام الرسالة، مشتغلا کل الاشتغال بقضایا الحیاة الیومیة، فالنشاطات السیاسیة.

و التبلیغیة و قضایا الدعوة و القیادة کانت تهیمن علی کل توجهه و اهتمامه و تملأ.

عقله و روحه و نفسه.

فالکثیر من آیات الجهاد ترتبط بساحات القتال و الجهاد، و هذا یعنی انه کان مشدودا بروحه و عقله کله إلی تلک الامور.

و ثالثا: ان هذه النظریة یمکن أن تصدق علی نبوة الأنبیاء، لو کان هؤلاء الأنبیاء أفرادا متعبین، منهزمین، منتکسین، مرضی، معتزلین عن الحیاة لیقال حینئذ ان هذه الحالات و الظروف مهّدت لانقطاعهم- علیهم السّلام- عن هموم الحیاة، و قضایاها، و بالتالی مهّدت لفعالیة الشخصیة الباطنیة و عملها.

و لکن تاریخ الأنبیاء یشهد بوضوح لا إبهام فیه، بانهم کانوا- طیلة حیاتهم الرسالیة- رجالا مجاهدین، لا یهمهم إلّا اصلاح المجتمعات و قیادة الجماعات و حل المشکلات الاجتماعیة، و رفع مستویات الناس معنویا و فکریا و کانوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۱

یعملون لتحقیق هذه الأهداف لیل نهار، بلا سأم و لا ملل، و لا تعب و لا نصب.

فکیف یمکن القول و الحال هذه بان الشخصیة الباطنیة تجلّت لدیهم و اوحت إلیهم بحقائق و قیم و افکار؟

إن تفسیر (الوحی الالهی) الذی یلقی الی الأنبیاء و یکشف لهم عن أدق الحقائق و ارفعها، و أعظم المناهج و اکملها، بتجلّی الشخصیة الباطنیة، ناشئ من اعتقاد هذا الفریق من العلماء بأصالة المادة، أو بعبارة اخری: حصر الوجود فی المادة، و من هنا حاولوا إلباس کل شیء حتی الامور المعنویة و الغیبیة:

اللباس المادیّ، و اغلقوا علی أنفسهم باب عوالم الغیب، و عمدوا إلی التفتیش عن علة مادیة حتی لظاهرة (الوحی) التی لا تقاس بمقاییس العالم المادّی.

هذا مضافا إلی أن تفسیر (الوحی الالهیّ) عن طریق نظریة تجلّی الشخصیة الباطنیة، و خاصة فی شأن رسول الإسلام «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یواجه اشکالات و مؤاخذات اخری تجعل هذه النظریة فی عداد الاساطیر!!

و إنّ ابرز هذه الاشکالات الواردة علی هذه النظریة فی مجال رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله هی: أنّ هذه النظریة لیست رأیا جدیدا و تهمة جدیدة توجه إلی نبوة رسول الإسلام.

(۱) فان نظریة «الشخصیة الباطنیة، و الوحی النفسی الذاتی» هی نظریة متبلورة و متقدمة لتهمة (الجنون و الصرع) التی کان یرمی بها العرب الجاهلیّون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم!!

فقد کان المشرکون فی بدء الدعوة یقولون: ان ما یقوله «محمّد» و ما یتکلم به لیس إلا أفکاره القلقة المضطربة الناشئة عن خیاله، و انّ القرآن هی تلک الأفکار المضطربة التی تسربت إلی فضاء عقله من دون ارادة منه و لا اختیار!!

(۲) لنستمع الی القرآن الکریم و هو ینقل عنهم هذا الاتهام:

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ» «۱».

---

(۱) الأنبیاء: ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۲

(۱) و لکن القرآن الکریم یردّ علی هذه المزعمة الواهیة بقوله:

«وَ النَّجْمِ إِذا هَوی. ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی. وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی. عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی» «۱».

ان القرآن الکریم یشجب فی هذه الآیات المنتظمة انتظاما رائعا و بدیعا هذه المزعمة (أی مقولة أن القرآن ولید الخیال لدی محمّد)، و یردّ الأمر إلی الوحی الالهی، و التوجیه الربانیّ العلویّ.

إن نظریة الوحی النفسیّ و تجلّی الشخصیة الباطنیة التی طلع بها المادیون فی عصرنا ما هی فی الحقیقة إلّا غطاء لمزعمة المشرکین و تهمة الجنون، و الخیال التی سبق أن رمی بها أعداء الرسالة الاسلامیة و معارضوها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تلک التهمة التی یذکرها القرآن الکریم بقوله:

«وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ» «۲».

(۲) و هی تهمة کان یوجهها المعارضون دائما إلی المصلحین و أصحاب الرسالات «۳» و قد اتخذت هذه التهمة صبغة علمیة جدیدة، و تبلورت فی نظریة:

«الوحی النفسیّ، و تجلّی الشخصیّة الباطنیة». ان القرآن الکریم یرد علی هذه المزاعم و التصورات الباطلة حول عملیّة الوحی و مسألة النبوّة و یرد علی نسبة الکهانة و ما شابه ذلک کالخبر المنقول عن اهل السیر بمحاولة القاء النبی نفسه من شاهق فی بدایة الوحی الذی یشبه نسبة الجنون إلیه صلّی اللّه علیه و آله، اذ یقول تعالی:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ. ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ. مَکِینٍ. مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ. وَ ما صاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ. وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ. وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ. فَأَیْنَ

---

(۱) النجم: ۱- ۵.

(۲) الحجر: ۶، و أیضا راجع الآیات التالیة: سبأ: ۸، الصافّات: ۳۶، الدخان: ۱۴، الطور: ۲۹، القلم: ۲، التکویر: ۲۲.

(۳) اذ یقول القرآن فی هذا الصدد: «کذلک ما أتی الّذین من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون» (الذاریات: ۵۲ و ۵۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۳

تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ. لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ» «۱».

بهذا البیان تبیّن بطلان هذا التفسیر و جمیع التفاسیر الاخری التی تحاول إعطاء (الوحی) طابعا ماديا مألوفا، شأنه شأن غیره من الظواهر الغیبیّة، و نحن استکمالا لهذا البحث نشیر إلی ما هو الحق فی هذا المجال، ممّا یؤیّد الواقع و العقل و الدین:

ظاهرة الوحی فی منظار العقل و الدین:

لا شک أن حیاة کل فرد من افراد الإنسان تبدأ من «الجهل» ثم یأخذ الإنسان بالدخول فی مجال العلم شیئا فشیئا، الی ان تنفتح علیه بالتدریج نوافذ علی الواقع الخارج عن ذهنه.

فیبدأ الإنسان بالتعرف علی الحقائق عن طریق الحواسّ الظاهریة، ثم علی أثر التکامل فی جهازه العقلیّ و الفکری یهتدی الی الحقائق

الخارجة عن مجال الحس و اللمس، فيغدو عقلانيا استدلاليّا، و يقف على طائفة من الحقائق الكليّة و القوانين العلمية.

و ربما يظهر بين أفراد النوع الإنسانى أصحاب نفوس عالية يقفون عن طريق الالهام و من خلال بصيرة خاصة على حقائق و امور لا يهتدى إليها حتى عن طريق الاستدلال و البرهنة!

و من هنا قسّم العلماء ادراك البشر الى ثلاثة أنواع: «إدراك العامّة» «إدراك المفكرين و أرباب الاستدلال» «إدراك العرفاء و اصحاب البصائر و النفوس الكبرى».

و كأنّ أصحاب الظاهر يستعينون على اكتشاف الحقيقة بالحس، و المفكرين يستعينون بالاستدلال و البرهنة، و أصحاب البصائر و المعرفة بالإلهام و الاشراق و بالفيض عليهم من العالم الأعلى.

---

(۱) التكوير: ۲۰- ۲۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۴

ان النوابغ فى مجال الأخلاق، و ان عقول العلماء الخلاقة، و أفكار الفلاسفة العظيمة كلها تؤيّد و تشهد بأن ما يحصلون عليه، و ما يطلعون به على المجتمع البشرى ممّا لم يعرفوه من قبل ما هى إلّا شرارات مضيئة و ملهمة تخطر لهم، ثم يعمدون إلى تنميتها و بلورتها بالتجربة، أو بالاستدلال و البرهنة و التأمل.

(۱)

قنوات المعرفة الثلاث:

من هذا الكلام نستنتج أن أمام بنى البشر ثلاث طرق للوصول الى مقاصده؛ فالطريق الأول يستفيد منه جماهير الناس غالبا، بينما يستفيد طائفة خاصة منهم من الطريق الثانى، و لا يستفيد من الطريق الثالث إلّا أفراد معدودون قلة تكاملت عقولهم، و تسامت أرواحهم. و هى كالتالى:

(۲) ۱- الطريق التجريبى و الحسى، و المقصود منه ذلك القسم من الإدراكات و المعلومات الواردة الى محيط الذهن البشرىّ عن طريق الحواس الظاهرية كالمرئيات، و المشمومات و المطعومات و غيرها ممّا يستقرّ فى محيط إدراكنا بواسطة الأجهزة المختصة بها.

و قد استطاع البشر اليوم، و بفضل اختراع التلسكوبات و الميكروسكوبات و اجهزة التلفاز و الراديو ان يقدّم خدمة كبرى للبشرية فى مجال الإدراكات الحسية و يمهّد لمزيد من سيطرتها على البعيد و القريب.

(۳) ۲- الطريق التعقّلى الاستدلالى: فان المفكرين يتوصّلون الى كشف طائفة من القوانين الكليّة الخارجة عن الحس عن طريق عملية التفكير و التأمل و تشغيل جهاز العقل، و إقامة سلسلة من المقدمات البديهية الواضحة، و بذلك يمكن الوصول إلى قمم المعرفة و الكمال العلمى.

إنّ انكشاف القوانين العلميّة الكليّة، و المسائل الفلسفية، و المعارف المرتبطة بصفات اللّه و أفعاله سبحانه و القضايا المطروحة فى علم العقيدة و الأديان ناشئ برمّته من جهاز العقل، و حركته، و ناتج من عملية التفكير، و الاستدلال المذكورة.

(۴) ۳- طريق الإلهام: و هذا هو الطريق الثالث لمعرفة الحقائق، و هو فوق نطاق

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۵

الحس و التعقل.

إنه نوع جديد من المعرفة و نمط متميّز من إدراك الحقائق، ليس محالا من وجهة نظر العلم و ان كان يصعب على أصحاب الاتجاه المادّى القبول به لكونه طريقا غير حسى و لا تعقّلى.

و أما من جهة الأصول العلمية فلا مجال لإنكاره، و لا مبرّر لعدّه من المحالات.

(۱) إن طريق التعرّف على حقائق الكون الخارج عن الذهن- فى منهج الماديّين، و أصحاب النزعة المادية- ينحصر فى قناتين لا أكثر، و هما اللّذان سبق ذكرهما، فى حين أنّ هناك- حسب نظرة الأديان و الشرائع الكبرى و حسب نظرة الفلاسفة و العرفاء الالهيين- قناة ثالثة أيضا.

بل إنّ هذا الطريق الثالث- كما أسلفنا فى مسألة الوحى- أكثر واقعية، و أقوى أسسا، و أوسع آفاقا عند من يدّعون الرسالة، و النبوة من جانب اللّه سبحانه، و إن نفوس اولئك الأشخاص لتبدو أكثر صفاء و طراوة بفضل هذا الطريق، و فى ضوء هذه القناة.

(۲) و كلّما حصل ارتباط بين اللّه، و بين فرد من أفراد النوع الإنسانى على نحو خاص القيت الحقائق فى وجوده من دون توسط الحواس الظاهرية، و إعمال الفكر، و استخدام جهاز العقل.

و هذا النوع من الإلقاء يسمى حينا بالالهام، و بالاشراق حينا آخر.

و لكن كلما نتج من ارتباط الإنسان بما وراء الطبيعة سلسلة من التعاليم العامّة و الأنظمة و البرامج الشاملة اطلق على هذا النوع من الإلقاء عنوان (الوحى)، و سمّى الآتى بها (ملك الوحى) و الآخذ لها (نبيّا).

هذا و قد يوجب الإلهام الثقة و الاطمئنان للملهم إليه، و لكنّه لا يمكن أن يكون مبعث الاطمئنان و الثقة عند الآخرين «۱».

---

(۱) و انما قلنا «قد» أى يمكن أن يوجب الاطمئنان و لم نقطع بذلك لأنّ مصدر هذه الالهامات.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۶

من هنا اعتبر العلماء «الوحى» الطريق المطمئنة الوحيدة الى المعرفة العامة ... الوحى الذى ينزل على الأنبياء الذين ثبتت نبوّتهم بالدلائل القاطعة، من المعجزة و غيرها.

(۱)

أنواع الوحى و اصنافه:

إن فى مقدور الروح الانسانية بسبب ما تملك من كمالات أن تتصل بالعوالم الروحانية من الطرق المختلفة، و نحن هنا نشير الى هذه الطرق التى جاء ذكرها فى أحاديث قادة الإسلام و ائمته، باختصار:

۱- تارة يتلقى الحقائق السماوية العليا على نحو الالهام، فيتخذ ما يتم إلقاؤه فى النفس عبر هذا الطريق حكم (العلو البديهية) التى لا يتطرق إليها أى ريب و شك.

۲- و قد يسمع عبارات و كلمات من جسم معين (كالجبل و الشجرة) كسماع موسى عليه السّلام كلام اللّه من الشجرة.

۳- و ربما تنكشف الحقائق له فى عالم الرؤيا انكشاف النهار.

۴- و قد ينزل عليه ملك من جانب اللّه بكلام خاص.

و قد نزل القرآن الكريم على النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله من هذا الطريق، و قد صرح القرآن الكريم نفسه بهذا عند قوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» «۱».

(۲)

أساطير مختلفة:

اشارة

لقد كتب المؤرخون و الكتاب عن حياة كثير من الشخصيات العالمية، و ضبطوا كل

- ليست معلومة و واضحة، و لا يمكن الاعتماد على مطلق الواردات القلبية و الفجائية التى لا تستند الى اصول معلومة.

و بعبارة اخرى: يجب الفصل و التمييز بين الإلهامات الرحمانية و الإلقاءات الشيطانية بواسطة الموازين العقلية و الشرعية.

(۱) الشعراء: ۱۹۳- ۱۹۵، و قد اشير فى سورة الشورى الآية ۵۱ الى هذه الطرق الأربع جميعها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۷

ما جل أو دقّ فى هذا المجال، و ربما تحمّلوا عناء الرحلات الطويلة و الأسفار الشاقة لتكميل دراساتهم، و كتاباتهم.

غير أن التاريخ لا يعرف شخصية مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضبطت تفاصيل سيرته الدقيقة، و اهتم اتباعه و أصحابه و محبّوه بكل شاردة و واردة فى حياته الشريفة.

إنّ هذا الولع الشديد بتسجيل كل شيء- مهما صغر- من حياة النبيّ الاعظم صلّى اللّه عليه و آله و سيرته العطرة كما ساعد على ضبط جميع الجزئيات و التفاصيل فى هذا المجال، تسبب فى بعض الموارد فى إلصاق بعض الزوائد بحياة النبى الاكرم و شخصيته العظيمة، الطاهرة.

و مثل هذا لا يبعد عن المحبّين الجهلاء فكيف بالأعداء الألداء العارفين.

من هنا يتعيّن على كل مؤلف يكتب عن سيرة شخصية من الشخصيات أن لا يغافل عن مبدأ (الحذر و الاحتياط) فى تحليله لحوادثها، و قضاياها، فلا يغافل عن تقييم كل ما جاء حولها من روايات و قصص فى ضوء الموازين التاريخيّة الدقيقة.

و إليك بقية ما جرى فى واقعة نزول (الوحى) فى حراء:

(۱)

بقية حادثة نزول الوحى:

استنارت نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و روحه الكبرى بنور «الوحى» المبارك، و تعلّم كل ما ألقى عليه ملك الوحى فى ذلك اللقاء العظيم، و انتقشت تلك الآيات الشريفة فى صدره حرفا حرفا، و كلمة كلمة.

و قد خاطبه نفس ذلك الملك بعد تلاوة تلكم الآيات بقوله:

يا محمّد ... أنت رسول اللّه ... و أنا جبرئيل.

و قيل: انه صلّى اللّه عليه و آله سمع هذا النداء عند نزوله من غار حراء و قد اضطرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لهذين الحدثين، اضطرب لعظمة المسئولية الكبرى التى القيت على كاهله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۸

(۱) و كان هذا الاضطراب طبيعيا بعض الشيء، و هو لا ينافى بالمرة يقينه صلّى اللّه عليه و آله، و إيمانه بصدق ما انزل عليه لأن الروح مهما بلغت من العظمة و السموّ و القوة و الصلابة، و مهما كانت قوة ارتباطها بعالم الغيب، و بالعوالم الرّوحانية العليا فانّها عند ما تواجه لأول مرّة ملكا لم تره من قبل، و ذلك فى مثل المكان الذى التقى النبى (فوق الجبل) لا بدّ أن يحصل لها مثل هذا الاضطراب، و لهذا زال ذلك الاضطراب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد.

ثم إن الاضطراب و التعب الشديد قد تسبّبا فی أن يتوجه النبی صلّی اللّه عليه و آله إلی بيت «خديجة» عليها السّلام، و عند ما دخل بيتها و وجدت علی ملامحه آثار الاضطراب و التفكير سألته عن ما جری له، فحدّثها بكل ما سمع و رأی و قصّ عليها ما كان من أمر جبرئيل معها، فعظّمت «خديجة» سلام اللّه عليها، أمره، ودعت له، و قالت: أبشر فو اللّه لا يخزيك اللّه أبدا.

ثم إن النبیّ صلّی اللّه عليه و آله الذی كان يشعر بالجهد و التعب قال لزوجته الوفيّة «خديجة»: دثّرينی ... دثّرينی.

فدثّرته، فنام بعض الشیء.

(۲)

خديجة تذهب إلی ورقة بن نوفل:

لقد تحدثنا فی الصفحات الماضية عن «ورقة» و قلنا أنّه كان ممن تنصّر و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الانجيل و كان ابن عم خديجة.

فعند ما سمعت «خديجة» زوجة النبی صلّی اللّه عليه و آله ما سمعته منه انطلقت إلی «ورقة» لتخبره بما سمعته من زوجها الكريم، و شرحت له كل شیء من ما جری له مع جبرئيل.

فقال «ورقة» فی جواب ابنة عمه: إن ابن عمّك لصادق ... و إن هذا لبدء النبوة، و إنه ليأتيه الناموس الاكبر (أی الرسالة و النبوة) «۱».

---

(۱) الطبقات الكبری: ج ۱ ص ۱۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۹

(۱) إن ما ذكرناه الی هنا هو فی الحقيقة ملخّص الروايات التاريخية المتواترة التی وصلت إلينا، و التی دوّنت فی جميع الكتب.

بيداننا نلاحظ بين ثنايا هذه الحادثة امورا لا تتفق مع ما نعرفه من أنبياء اللّه و رسله العظام، كما أنها لا تتفق مع ما قرأناه إلی الآن عن حياة هذا النبی العظيم صلّی اللّه عليه و آله.

و ما سنذكره الآن من هذه الزوائد إمّا يجب اعتباره من قبيل الاساطير التاريخية، أو أنّ علينا تأويله بنوع من التأويل.

(۲) و إنا لنعجب قبل كل شیء من المفكّر المصریّ الدكتور «هيكل» كيف سمح لنفسه و هو الذی تحدث فی مقدمة كتابه عن مشكلة تسرب الاساطير الی التاريخ النبویّ، و قال: بأنّ هناك من دسّ فی السيرة النبوية، عن عداوة أو جهل، بعض الاكاذيب.

و لكنه مع ذلك ينقل هنا امورا لا أساس لها من الصحّة أبدا، فی حين اعطی فريق من علماء الشيعة- كالمرحوم الطبرسی- ملاحظات مفيدة فی هذا الصعيد.

(۳) و إليك فی ما يلی بعض هذه الاساطير و القضايا المختلفة (علی أنها لم تكن جديرة بالاشارة أبدا لو لا- أن بعض المحبّين الجهلاء، و الأعداء الأذكياء ذكروها فی كتبهم، و كرروها فی دراساتهم.

(۴) ۱- قالوا: إنّ النبیّ صلّی اللّه عليه و آله عند ما دخل منزل خديجة، كان يفكّر فی نفسه: لعلّ بصره خدعته، أو انه كاهن، او فيه جنون!!

و لكن لمّا قالت له خديجة: «إنّ اللّه لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد اللّه، إنك تصدق الحديث، و تؤدّی الأمانة، و تصل الرحم» اطمأنّ، و زال عنه الشك و التردّد، و ألقی علی «خديجة» نظر شكر و مودة، ثم طلب أن يزمّل، فزمّل فنام!! «۱».

---

(۱) الطبقات الكبری: ج ۱ ص ۱۹۵، حياة محمّد: ص ۱۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۰

(۱) ۲- یقول الطبری و غیره من مؤرخی السیرة: ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لما سمع نداء یقول: «یا محمّد أنت رسول اللّه» أصابه خوف شدید حتی أنه همّ بأن یطرح نفسه من أعلی الجبل، فتبدی له (ملک الوحی) و منعه عن ذلک!!!

(۲) ۳- ثم إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذهب لیطوف بالکعبة بعد ذلک الیوم، فرأی «ورقة بن نوفل» و شرح لورقة ما جری له مع جبرئیل، فقال له ورقة:

«و الذی نفسی بیده، إنّک لنبیّ هذه الامة، و قد جاءک الناموس الأکبر الذی جاء موسی و لتکذبنّه، و لتوذینّه و لتخرجنّه و لتقاتلنه» فأحس «محمّد» بأن ورقة یصدّقه، فاطمأن «۱».

(۳)

بطلان هذه المزاعم:

إن الذی نتصوره هو أن جمیع هذه القصص مختلقة من الاساس، و قد دسّت فی التاریخ و التفسیر عن قصد و هدف، أو دخلت فیهما عن غیر ذلک.

و ذلک:

(۴) أولا: لأننا لتقییم هذه المزاعم یجب ان نلقی نظرة فاحصة إلی تاریخ الأنبیاء الماضین و سیرهم.

إنّ القرآن الکریم قصّ علینا قضایاهم، و سیرهم، و قد وردت فی هذا المجال روایات و أخبار کثیرة.

و إننا لا نجد أی أثر لمثل هذه القصص المشینة فی حیاة أی واحد منهم.

إن القرآن الکریم یقص علینا قصة بدء نزول (الوحی) علی «موسی» بشکل کامل و یبیّن جمیع التفاصیل فی قصته علیه السّلام و لا یذکر أی شیء من الخوف، و الارتعاش، و الوحشة و الفزع، بحیث یحدّث نفسه بالانتحار علی أثر سماع الوحی!! مع أن أرضیة الخوف و الفزع فی مجال «موسی» کانت متوفرة

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۱

أکثر، لأنه سمع فی لیلة ظلماء و هو فی صحراء خالیة نداء من الشجرة یخبره بأنه نبی مرسل.

و لکن موسی- کما یصرّح القرآن الکریم، بهذه الحقیقة- حافظ علی هدوئه، و سکونه، و عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله: «أن ألق عصاک» القاها من فوره، و کان خوفه من ناحیة العصی التی تبدّلت إلی ثعبان مخیف، لا من جهة الایحاء إلیه.

فهل یمکن، أو یجوز لنا أن نقول: کان «موسی» لحظة الوحی إلیه مطمئنا هادئا ساکنا، و لکن أفضل الأنبیاء و المرسلین اضطرب عند سماع کلام الملک، و فزع الی درجة فکّر فی طرح نفسه من أعلی الجبل؟! هل هذا کلام معقول؟!

لا ریب أن روح محمّد صلّی اللّه علیه و آله ما لم تکن مهیّأة من جمیع الجهات و بصورة کاملة لتلقّی السرّ الالهیّ (النبوة) لا یمکن أن یمن علیه الرب الحکیم بمنصب النبوّة، و یختاره لمقام الرسالة، لأن الهدف الجوهریّ من ابتعاث الرسل، و ارسال الأنبیاء هو هدایة الناس و ارشادهم.

و من کان کذلک من حیث ضعف الروح و وهن النفس بهذه المرتبة بحیث یحدّث نفسه بالانتحار خوفا «۱» و فزعا کیف یمکن ان ینفذ الی نفوس الناس و یؤثر فیهم؟!

(۱) ثانیا: کیف یمکن أن یطمئن موسی بمجرد سماعه للنداء الالهیّ إلی أنه صادر من جانب اللّه، فطلب من ربّه من فوره أن یجعل أخاه هارون وزیرا له لأنه أفصح منه قولا «۲» بینما لا یطمئن سید المرسلین و خاتمهم؟!

(۲) ثالثا: لقد کان «ورقة» مسیحیّا حتما، و لکنه عند ما أراد أن یزیل عن «محمّد» الشک و الاضطراب ذکر نبوّة «موسی» علیه السّلام و قال: قد جاءک الناموس الذی جاء موسی «۳».

---

(۱) کما نقل هیکل فی کتابه: «حیاة محمّد».

(۲) طه: ۲۹.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۸ و قد نقل المرحوم المجلسی هذه العبارة عن المنتقی. و لکنه بلفظة-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۲

أ لا یدلّ هذا علی أنّ ثمّة یدا إسرائیلیّه وراء هذه الحبکة هی التی صاغت هذه القصة و اختلقتها فی غفلة عما کان یدین به «ورقة» بطل القصة؟!

(۱) کل هذا بغضّ النظر عن أن مثل هذه الامور تتنافی و العظمة التی نعهدها من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و لا تنسجم معها أبدا، و یبدو أن کاتب «حیاة محمّد» أدرک الی درجة ما خرافیة هذه القصة و لذلک نجده ینقل بعض مواضیعها بعد جملة: «کما یقولون».

و قد حارب أئمة الشیعة هذه الاساطیر بکل قوة، و أبطلوها برمتها.

فعند ما یسأل زرارة الإمام الصادق علیه السّلام مثلا: کیف لم یخف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیما یأتیه من قبل اللّه ان یکون ممّا ینزغ به الشیطان:

قال الإمام علیه السّلام: «إنّ اللّه إذا اتخذ عبدا و رسولا، أنزل علیه السکینة و الوقار فکان یأتیه من قبل اللّه عزّ و جلّ مثل الذی یراه بعینه» «۱».

و یقول العلامة الشیعی الکبیر المرحوم الطبرسی فی تفسیره، فی هذا الصدد:

«إن اللّه لا یوحی الی رسوله إلّا بالبراهین النیّرة و الآیات البینة الدالّة علی أن ما یوحی إلیه إنما هو من اللّه تعالی، فلا یحتاج إلی شیء سواها و لا یفزع، و لا یفرق» «۲».

- «عیسی» أیضا و لکن لا وجود لذلک فی صحیح البخاری و سیرة ابن هشام اللذین هما الأساس لهذه الامور.

(۱) بحار الأنوار: ح ۱۸ ص ۲۶۲ و فی الکافی: ج ۱ ص ۲۷۱ نظیره.

(۲) مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۳۸۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۳

(۱)

۱۲ متی نزل الوحی أولا؟

اشارة

لقد تعرّض یوم مبعث رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله للاختلاف من حیث التعیین و التحدید فهو مثل یوم ولادته و یوم وفاته صلّی اللّه علیه و آله غیر مقطوع به، من وجهة نظر المؤرخین و کتّاب السیرة النبویّة.

فلقد اتفق علماء الشیعة علی القول بان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعث بالرسالة فی السابع و العشرین من شهر رجب، و أن نزول الوحی علیه قد بدأ من ذلک الیوم نفسه.

[الرأی المشهور بین علماء السنة و استدلالهم]

بینما اشتهر عند علماء السنّة أن رسول الإسلام قد اوتی هذا المقام العظیم فی شهر رمضان المبارک.

ففی ذلک الشهر الفضیل کلّف «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله من جانب اللّه تعالی بهدایة الناس، و بعث بالرسالة.

(۲) و لما کانت الشیعة تشایع عترة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أهل بیته الصادقین، و تعتقد بصحة ما یرونه و یقولون به اتباعا لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیهم، فی حدیث الثقلین: «إنهما لن یفترقا» فانهم اتبعوا- فی تحدید یوم المبعث النبوی الشریف- القول المأثور- بنقل صحیح- عن عترة النبی المطهرین فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۴

هذا المجال.

فقد روی عن أبناء الرسول و عترته الطاهرة أن عظیم هذا البیت و سیّده (أی النبیّ) قد بعث فی السابع و العشرین من شهر رجب، و هم فی ذلک حجة.

و لهذا لا یمکن الشک و التردد فی صحة هذا القول و ثبوته «۱».

(۱) نعم غایة ما یمکن الاستدلال به علی القول الآخر هو تصریح القرآن الکریم نفسه بأنّ آیات القرآن نزلت فی شهر رمضان، و حیث أن یوم بعثة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان هو بنفسه یوم بدء نزول الوحی، و القرآن علیه، لهذا یجب القول بان یوم البعثة الشریفة انما کان فی نفس الشهر الذی نزل فیه القرآن الکریم: ای شهر رمضان المبارک.

و إلیک فیما یأتی الآیات التی تدل علی أن القرآن الکریم نزل فی شهر رمضان:

۱- «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» «۲».

۲- «حم. وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ» «۳» و تلک اللیلة هی لیلة القدر التی قال عنها سبحانه: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ. لَیْلَةُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۴».

(۲)

ما أجاب به علماء الشیعة:

اشارة

و لقد أجاب محدّثو الشیعة و مفسروهم عن هذا الاستدلال بطرق مختلفة نذکر طائفة منها هنا:

(۳)

الجواب الأوّل:

إن الآیات المذکورة إنّما تدلّ علی أن القرآن نزل فی شهر رمضان و بالذات فی لیلة مبارکة منه هی «لیلة القدر»، و لکنها لا تتعرض

لذكر محلّ نزول هذه

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۸۹.

(۲) البقرة: ۱۸۵.

(۳) الدخان: ۱- ۳.

(۴) القدر: ۱ و ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۵

الآيات، و أنها أين نزلت؟ و هى بالتالى لا تدل أبدا و مطلقا على أنها نزلت فى تلك الليلة على قلب رسول اللّه؟

فيحتمل أن يكون للقرآن نزولات متعددة إحداها نزول القرآن على رسول اللّه تدريجا.

و الآخر نزوله الدفعى من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور «۱».

و على هذا فما المانع من ان تكون بعض آيات القرآن (من سورة العلق) قد نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى السابع و العشرين من شهر رجب. ثم نزل القرآن بصورته الجمعية الكاملة فى شهر رمضان من مكان معين أسماه القرآن باللوح المحفوظ، إلى موضع آخر عبر عنه فى بعض الروايات بالبيت المعمور.

(۱) و يؤيّد هذا الرأى قول اللّه تعالى فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» فانّ هذه الآية- بحكم رجوع الضمير فيها الى الكتاب- تصرح بأن الكتاب العزيز بأجمعه نزل فى ليلة مباركة (فى شهر رمضان)، و لا بدّ ان يكون هذا النزول غير ذلك النزول الذى تحقق فى يوم المبعث الشريف، لأن فى يوم المبعث لم تنزل سوى آيات معدودة لا اكثر.

و خلاصة الكلام هى ان الآيات التى تصرح بنزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلة مباركة (ليلة القدر) لا يمكن أن تدل على أن يوم المبعث الذى نزلت فيه بضع آيات أيضا كان فى ذلك الشهر نفسه، لأنّ الآيات المذكورة تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل فى ذلك الشهر، فى حين لم تنزل فى يوم المبعث سوى آيات معدودة كما نعلم.

و فى هذه الصورة يحتمل أن يكون المراد من النزول الجمعىّ للقرآن هو نزول مجموع الكتاب العزيز فى ذلك الشهر من «اللوح المحفوظ» إلى «البيت المعمور».

و قد روى علماء الشيعة و السنة روايات و أخبارا بهذا المضمون، و بخاصة

---

(۱) للتعرف على معنى اللوح المحفوظ راجع كتب التفسير.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۶

الاستاذ الأزهرى محمّد عبد العظيم الزرقانى الذى أورد روايات عديدة فى هذا الصدد فى كتابه «۱».

(۱)

الجواب الثانى:

و هو أمتن الاجوبة و الردود على هذا القول.

فقد بذل الاستاذ الطباطبائى جهدا كبيرا لتوضيحه و بيانه فى كتابه القيم؛ و إليك خلاصته:

يقول العلامة الطباطبائى: إنّ قول اللّه تعالى إنا أنزلناه فى شهر رمضان، المقصود منه هو نزول حقيقة القرآن على قلب النبىّ صلّى اللّه

علیه و آله، لأن للقرآن مضافا الی وجوده التدریجی، واقعیة اطلع اللّه تعالی نبیه العظیم علیها فی لیلة معینة من لیالی شهر رمضان المبارک «۲».

و حیث أنّ النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله کان قد عرف من قبل بجمیع القرآن الکریم لذلک نزلت الآیة تأمره بان لا یعجل بقراءته حتی یصدر الأمر بنزول القرآن تدریجا اذ یقول تعالی: «وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ» «۳».

و خلاصة هذا الجواب هی: أنّ للقرآن الکریم وجودا جمیعا علمیا واقعیا و هو الذی نزل علی الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و آله مرة واحدة فی شهر رمضان، و آخر وجودا تدریجیا کان بدء نزوله علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی یوم المبعث، و استمرّ تنزله الی آخر حیاته الشریفة علی نحو التدریج.

(۲)

الجواب الثالث: التفکیک بین نزول القرآن و البعثة

إن للوحی- کما أوضحنا ذلک فی مبحث أنواع الوحی اجمالا- مراتب

---

(۱) مناهل العرفان فی علوم القرآن: ج ۱ ص ۳۷.

(۲) المیزان: ج ۲ ص ۱۴- ۱۶.

(۳) طه: ۱۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۷

و مراحل، یتمثل أول مراتبه فی الرؤیا الصادقة التی رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و المرتبة الاخری تمثلت فی سماعة للنداء الغیبیّ الالهی من دون وساطة ملک.

و آخر تلک المراتب هو أن یسمع النبی کلام اللّه من ملک یبصره و یراه، و یتعرف عن طریقه علی حقائق العوالم الاخری.

و حیث أن النفس الانسانیة لا تستطیع فی الوهلة الاولی تحمّل مراتب (الوحی) جمیعها دفعة واحدة بل لا بدّ أن یتحملها تدریجا، لهذا یجب القول بأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد سمع یوم المبعث (الیوم السابع و العشرون من شهر رجب) النداء السماویّ الذی یخبره بأنه رسول اللّه، فقط و لم تنزل فی مثل هذا الیوم أیّة آیة قط، و قد استمر الأمر علی هذا المنوال مدة من الزمان. ثم بعد مدة بدأ نزول القرآن الکریم علی نحو التدریج ابتداء من شهر رمضان.

(۱) و خلاصة هذا الجواب هی أن ابتعاث الرسول صلّی اللّه علیه و آله بالرسالة فی شهر رجب لا یلازم نزول القرآن فی ذلک الشهر حتما.

و علی هذا الاساس ما المانع من ان یبعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی شهر رجب، و ینزل القرآن الکریم فی شهر رمضان من نفس ذلک العام؟

ان هذه الاجابة و إن کانت لا توافق کثیرا من النصوص التاریخیة (لأن کثیرا من المؤرخین صرّحوا بأنّ الآیات الخمس من سورة العلق نزلت فی یوم المبعث نفسه) إلّا أن هناک- مع ذلک- روایات ذکرت قصة البعثة بسماع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للنداء الغیبیّ، و لم تذکر شیئا عن نزول قرآن أو آیات، بل هی تشرح الواقعة علی النحو التالی إذ تقول:

فی ذلک الیوم سمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ملکا یقول له: یا محمّد إنّک لرسول اللّه، و جاء فی بعض الأخبار أنه سمع هذا النداء، فقط، و لم تذکر شیئا عن مشاهدة الملک.

و للمزيد من التوضيح، و التوسع يراجع «البحار» فى هذا المجال «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۸۴ و ۱۹۰ و ۱۹۳ و ۲۵۳، الكافى: ج ۲ ص ۴۶۰، تفسير العيّاشى: ج ۱،-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۸

على أن هذه الاجابة تختلف عن الإجابة الرابعة التى تقول بأن مبعث النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كان فى شهر رجب، و كان نزول القرآن الكريم بعد انقضاء الدعوة السرّية التى استغرقت ثلاثة أعوام.

الأنبياء و البشارة برسول اللّه:

و ينبغى- استكمالا لهذا الفصل من التاريخ النبوى- ان نلفت نظر القارئ الكريم الى ان الرسالة المحمّدية المباركة، ممّا بشر به جميع الأنبياء المتقدمين زمنيا على خاتم الأنبياء و المرسلين محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك اذ قال اللّه تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۱».

و هذه الآية و إن كانت تكشف عن أصل عام و كلّى و هو: وجوب تصديق إتباع النبيّ السابق للنبى اللاحق، إلّا أن المصداق الأتمّ لها هو رسول الإسلام الكريم.

فيظهر من هذه الآية أن اللّه تعالى أخذ الميثاق المؤكد من جميع الأنبياء أو من أصحاب الشرائع منهم أن يؤمنوا برسالة محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و يدعوا أتباعهم إلى تصديقه و اتباعه و نصرته.

روى الفخر الرازى عن امير المؤمنين على عليه السّلام:

«إن اللّه تعالى ما بعث آدم عليه السّلام و من بعده من الأنبياء عليهم الصلاة و السّلام إلّا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمّد و هو حى ليؤمننّ به و لينصرنه» «۲».

و ممّا يؤيد هذا ان القرآن دعا اهل الكتاب إلى بيان ما قرءوه و وجدوه فى

- ص ۸۰، و هذا الجواب لا ينسجم فقط مع ما رواه البخارى من أنّ بعثة النبى رافقت نزول آيات من سورة العلق عليه.

(۱) آل عمران: ۸۱.

(۲) مفاتيح الغيب: ج ۲ ص ۵۰۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۹

كتبهم حول رسول الإسلام للناس من دون كتمان و إليك فيما يأتى طائفة من الآيات المصرحة بهذا الأمر:

۱- قال اللّه تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ» «۱».

۲- قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» «۲».

۳- و قال تعالى:

«الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ» «۳».

۴- و قال سبحانه:

«الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۴».

ان القرآن الکریم یصرح بجلاء ان السید المسیح (علیه السّلام) اخبر عن رسول الإسلام و رسالته اذ یقول تعالی:

«وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ

---

(۱) آل عمران: ۱۸۷.

(۲) البقرة: ۱۷۴.

(۳) البقرة: ۱۴۶.

(۴) الاعراف: ۱۵۷.

بِالْبَیِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ» «۱».

کما یتحدث القرآن الکریم عن أهل الکتاب الذین تنکروا لرسالة النبی محمّد صلّی اللّه علیه و آله عند ما بعث و قد کانوا من قبل یخبرون عنه و یطلبون النصر به علی اعدائهم اذ قال سبحانه:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الْکافِرِینَ» «۲».

بل و یخبرنا القرآن الکریم بأنّ إبراهیم علیه السّلام یوم أحلّ زوجته و ولده اسماعیل بارض مکة دعا قائلا:

«رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ یُزَکِّیهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» «۳».

و قد انطبقت هذه الأوصاف علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذ یصفه القرآن الکریم بقوله:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ» «۴».

محمّد خاتم الأنبیاء:

و استکمالا لهذا البحث ینبغی أیضا أن نشیر إلی أبرز ناحیة فی رسالة النبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله و نبوته و هی مسألة الخاتمیة.

فان القرآن الکریم صرح فی آیات عدیدة بکون رسول اللّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله خاتم النبیّین، و شریعته خاتمة الشرائع، فلا نبیّ بعده، و لا رسالة بعد رسالته.

---

(۱) الصف: ۶.

(۲) البقرة: ۸۹.

(۳) البقرة: ۱۲۹.

(۴) آل عمران: ۱۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۱

و ها نحن ندرج ابرز الآیات الواردة فی هذا المجال:

۱- قال تعالی:

«ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً» «۱».

۲- قال سبحانه:

«تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً» «۲».

۳- و قال سبحانه:

«وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» «۳».

۴- و قال تعالی:

«وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» «۴».

و الآیات الثلاث الأخیرة تفید بأن رسالة النبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله عامة و عالمیة و أبدیة لأنه فی غیر هذه الحالة و فی غیر هذه الصورة لن یکون نبیا للناس کافة، و للعالمین جمیعا. و لن یکون نذیرا لقومه و لمن بلغه نداؤه.

هذا و قد صرّح النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه فی أحادیث کثیرة بهذا الموضوع و هو الصادق المصدّق.

فعن ابی هریرة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ارسلت إلی الناس کافة و بی ختم النبیّون» «۵».

---

(۱) الأحزاب: ۴۰.

(۲) الفرقان: ۱.

(۳) الانعام: ۱۹.

(۴) سبأ: ۲۸.

(۵) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۳

(۱)

۱۳ ما سبقنی أحد

أوّل من آمن بالنبیّ من الرجال و النّساء:

اشارة

لقد انتشر الإسلام فی العالم بصورة تدریجیة، و یوصف الذین بادروا الی الإیمان بالرسالة الإسلامیة و المساعدة علی نشرها قبل غیرهم ب «السابقین».

و قد کان السبق الی الإیمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی صدر الإسلام معیارا للفضل و لهذا یجب أن ندرس هذا الموضوع فی

ضوء المصادر الصحيحة، و نتعرف على من سبق إلى الإيمان بالرسالة الإسلامية من الرجال، و من النساء.

(۲)

من النساء: «خديجة»

إن من المسلّم به تاريخيا أن «خديجة» كانت أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لم يخالف فى هذا احد «۱»، و نحن هنا ننقل مستندا تاريخيا مهما واحدا ذكره المؤرخون نقلا عن إحدى زوجات النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، مكتفين به رعاية للاختصار.

تقول عائشة: ما غرت على نساء النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا على «خديجة» و إنّى لم ادركها، و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يكاد يخرج

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۴۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۴

من البيت حتى يذكر «خديجة» فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الايام فأدركتنى الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا عجوزا فقد أبدلك اللّه خيرا منها، فغضب حتى اهتز مقدّم شعره من الغضب ثم قال:

«لا و اللّه ما أبدلنى اللّه خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس، و صدّقتنى اذ كذّبنى النّاس، و واستنى فى مالها اذ حرمنى الناس و رزقنى اللّه منا اولادا اذ حرمنى أولاد الناس» «۱».

(۱) و ممّا يدل أيضا على سبق خديجة فى الإيمان برسول اللّه كل نساء العالم جمعاء ما جرى فى قضية بدء الوحى، و نزول القرآن، لأن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما انحدر من غار «حراء» و اخبر زوجته «خديجة» بما جرى له واجه- رأسا- ايمان زوجته به و قبولها لكلامه، و تصديقها برسالته، تصريحا و تلويحا.

هذا مضافا الى أنها كانت قد سمعت من قبل أخبارا تتعلق بنبوّته و مستقبل رسالته من كهنة العرب و أهل الكتاب، و هذه الأخبار و امانة فتى قريش و صدقه الذى اشتهر به هى التى دفعت بها إلى أن تتزوج بالفتى الهاشمىّ (محمّد).

(۲)

أقدم الرجال اسلاما: «علىّ»

اشارة

إن المشهور المقارب للمتفق عليه بين المؤرخين، سنة و شيعة، هو أن «عليا» كان اول من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الرجال.

و نرى فى مقابل هذا القول المشهور أقوالا أخر نادرة قد نقل ناقلوها ما يخالفها أيضا.

فمثلا يقال: إنّ زيد بن حارثة ربيب رسول اللّه و ابنه بالتبنى، أو أبو بكر كان أول من أسلم،

[الدلائل التأريخية و النصوص الدالة على أسبقية الإمام على]

اشارة

و لکن دلائل عدیدة (نذکر بعضها هنا علی سبیل الاختصار) تشهد علی خلاف هذین القولین.

---

(۱) صحیح مسلم، ج ۷ ص ۱۳۴، صحیح البخاری: ج ۵ ص ۳۹، اسد الغابة لابن الأثیر الجزری:
ج ۵ ص ۴۲۸، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۸.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۵
و إلیک بعض هذه الدلائل:
(۱)

۱- علیّ تربّی فی حجر النبیّ

لقد تلقی علی علیه السّلام تربیته فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نشأ و ترعرع فی بیته منذ طفولته، و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یجتهد فی تربیته و العنایة به کالوالد الرحیم.
قال عامّة المؤرخین و کتّاب السیرة بالاتفاق: إنّ قریشا أصابتهم أزمة شدیدة (قبل بعثة النبی) و کان أبو طالب ذا عیال کثیر، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله للعباس عمّه، و کان من أیسر بنی هاشم: یا عباس إن أخاک أبا طالب کثیر العیال، و قد أصاب الناس ما تری من هذه الأزمة فانطلق بنا إلیه فلنخفّف من عیاله، آخذ من بنیه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنکفهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتی اتیا أبا طالب فقالا له: إنا نرید أن نخفّف عنک من عیالک حتی ینکشف عن الناس ما هم فیه (إلی ان قال:) فأخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیا فضمّه إلیه، و أخذ العباس جعفرا فضمّه إلیه فلم یزل علی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی بعثه اللّه تبارک و تعالی نبیا فاتبعه علی رضی اللّه عنه و آمن به و صدقه «۱».
(۲) فی هذه الصورة یجب أن نقول بأنّ علیا علیه السّلام انتقل إلی بیت النبیّ و هو دون الثامنة، لأنّ الغرض من أخذ النبی إیّاه من أبیه «أبی طالب» هو التخفیف عن کاهل زعیم مکة (أبی طالب)، و من الواضح أنّ صبیّا فی مثل هذا السنّ (دون الثامنة) مضافا إلی أنّ فصله عن والدیه أمر فی غایة الصعوبة، لن یکون لأخذه و تکفّله أی أثر هامّ فی وضع أبیه «أبی طالب» المعیشیّ.
و علی هذا یجب أن نفترض له علیه السّلام عمرا یکون لأخذه فیه من قبل النبیّ تأثیرا معتدا به فی وضع أبیه الاقتصادی و المعیشی.

---

(۱) السیرة النبویّة: ج ۱ ص ۲۴۶، البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۲۵.
سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۶
فکیف یمکن القول- و الحال هذه- أن أباعد عن البیت النبویّ مثل «زید بن حارثة» و غیره اطّلعوا علی أسرار الوحی، بینما جهل ابن عم النبی صلّی اللّه علیه و آله و اقرب الناس إلیه، و الذی کان معه فی اکثر الأوقات بما أتی به صلّی اللّه علیه و آله و ما نزل علیه.
(۱) إنّ غرض النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من تربیة الإمام علیّ و تکفّله إیاه کان الی حدّ کبیر هو أداء ما أسدی إلیه أبو طالب من خدمات، و لم یکن ثمة شیء أحبّ الی رسول اللّه من أن یهدی أحدا إلی الصراط المستقیم، فکیف یمکن أن یقال- و الحال هذه- أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حرم ابن عمّه الذی کان یتمتع بذکاء باهر و ضمیر یقظ، من هذه النعمة الکبری.
إن من الأفضل أن نسمع هذا الأمر من لسان «علی» نفسه، فقد بیّن علیه السّلام فی الخطبة القاصعة منزلته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قربه إلیه هکذا:
«و لقد علمتم موضعی من رسول اللّه بالقرابة القریبة، و المنزلة الخصیصة، وضعنی فی حجره و أنا ولید، یضمّنی إلی صدره، و یکنفنی فی فراشه، و یمسّنی جسده، و یشمّنی عرفه (عرقه) ... و لقد کنت أتّبعه اتباع الفصیل إثر امّه، یرفع لی فی کل یوم من أخلاقه علما و

يأمرنى بالاقتداء به، و لقد كان يجاورنى فى كل سنة بحراء فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول اللّه، و خديجة و أنا ثالثهما أرى نور الوحى و الرّسالة و أشمّ ريح النبوة» «۱».

(۲) و جاء فى تاريخ الطبرى عن ابن اسحاق قال: كان اول ذكر آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صلّى معه و صدّق بما جاءه من عند اللّه «على بن ابى طالب» عليه السّلام و هو يومئذ ابن عشر سنين، و كان ممّا انعم اللّه به على علىّ بن ابى طالب عليه السّلام انه كان فى حجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) نهج البلاغة: ج ۲ ص ۱۸۲، و فى هذه الخطبة نفسها يقول: اللّهمّ إنى أوّل من أناب و سمع و اجاب لم يسبقنى إلّا رسول اللّه بالصلاة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۷

قبل الإسلام «۱».

(۱)

۲- علىّ و خديجة يقيمان الصلاة مع النبىّ:

ينقل ابن الاثير فى «اسد الغابة»، و ابن حجر فى «الإصابة» عند ترجمة «عفيف الكندى» و كثير من علماء التاريخ القصة التالية عنه، بأنه قال:

كنت امرأ تاجرا فقدمت «منى» أيام الحج، و كان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرا فأتيته أبتاع منه و أبيعه، قال: فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء يصلّى فقام تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلّى، و خرج غلام يصلّى معه، فقلت: يا عباس ما هذا الدين، إنّ هذا الدين ما ندرى به؟ فقال: هذا محمّد بن عبد اللّه يزعم أنّ اللّه أرسله و أن كنوز كسرى و قيصر ستفتح عليه، و هذه امرأته «خديجة بنت خويلد» آمنت به و هذا الغلام ابن عمه «على بن أبى طالب» آمن به قال عفيف: فليتنى كنت رابعهم «۲».

و هذه الواقعة ينقلها و يرويها حتى الذين يقصرون فى رواية فضائل الإمام علىّ و كتابتها، و فى امكان القارئ الكريم ان يقف على هذه القصة فى المصادر التالية على وجه التفصيل.

(۲)

۳- أنا الصدّيق الأكبر:

تلاحظ هذه العبارة و نظائرها كثيرا، فى خطب الإمام علىّ عليه السّلام و كلماته فهو يكرّر العبارات التالية بكثرة:

«أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، و لقد صلّيت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنين، و أنا أوّل من

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۷.

(۲) الإصابة: ج ۲ ص ۴۸۰، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۷. الكامل: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، اعلام الورى: ص ۲۵، اسد الغابة: ج ۳ ص ۴۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۸

صلّى معه» «۱».

(۱)

۴- أوّلكم إسلاما: على

و لقد وردت أحاديث متواترة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بتعابير متنوعة قال فيها:

«أوّلكم واردا عليّ الحوض، أوّلكم إسلاما عليّ بن أبى طالب» «۲».

و عند ما يدرس المنصف المحايد هذه الأحاديث، يقطع بأسبقية الإمام عليّ إلى الإسلام، و تقدّمه على غيره فى الإيمان بالدعوة المحمّدية، و لا يختار القولين الآخرين اللّذين لا يذهب إليهما إلّا الأقليّة.

فإنّ ما يناهز الستين شخصا من الصحابة و التابعين يؤيدون القول الأول (أى أن عليّا أول القوم إسلاما و أقدمهم أيمانا) و حتى الطبرىّ نفسه الذى شكّك فى هذا القول، و اكتفى بنقله دون اختياره و تأكيده، روى فى ج ۲ ص ۶۰ بأن «ابن سعد» سأل اباه قائلا: أ كان أبو بكر أولكم إسلاما، فقال: لا و لقد أسلم قبله اكثر من خمسين.

و من غريب الأمر ان مؤرخا كبيرا كابن كثير يتنكر لهذه الحقيقة الساطعة فقد ذكر فى ج ۷ ص ۳۳۴ من كتابه «البداية و النهاية» حديثا صحيحا بإسناد الإمام أحمد الترمذى فى إسلام أمير المؤمنين و أنّه أوّل من اسلم و صلّى ثمّ أردفه بقوله: و هذا لا يصح: من أى وجه كان روى عنه، و قد ورد فى أنّه أوّل من أسلم من هذه الأمّة أحاديث كثيرة لا يصح منها شىء ... إلخ.

و قد تصدى العلامة المحقق الامينى رحمه اللّه للردّ على هذا المقال بالتفصيل و نظرا لأهميّة ما كتبه العلامة الامينى و ما احتوى عليه من نصوص تاريخية نسرده هنا مع ما فيه من تكرار بسيط لبعض ما ذكرناه.

---

(۱) خصائص النسائى: ص ۳ و سنن ابن ماجه: ج ۱ ص ۵۷، مستدرك الحاكم: ج ۱ ص ۱۱۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۶ و غيرها.

سيد المرسلين ج۱ ۳۵۸ ۴ - أولكم إسلاما: على ..... ص : ۳۵۸

(۲) يراجع مصادر هذا الحديث فى الغدير: ج ۳ ص ۲۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۹

يقول العلامة الامينى:

نسائل هذا الرّجل لم لا يصح شىء منها من أىّ وجه كان؟! و الطرق صحيحة، و الرّجال نقات، و الحفّاظ حكموا بصحّته، و أرباب السير أطبقوا عليه، و كان من المتسالم عليه بين الصّحابة الأوّلين و التابعين لهم بإحسان.

و نحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارئ دعوى مجرّدة لدة دعوى ابن كثير (أعاذنا اللّه عن مثلها) و تخفى عليه جليّة الحال فيهمنا ذكر نزر ممّا يدلّ على المدّعى و إن لم يسعنا ايراد كثير منه روما للاختصار.

النصوص النبوية:

۱- قال صلّى اللّه عليه و آله: أوّلكم واردا- ورودا- على الحوض أوّلكم إسلاما عليّ بن أبى طالب.

أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳ ص ۱۳۶ و صحّحه م- و الخطيب البغدادى فى تاريخه ج ۲ ص ۸۱ و يوجد فى الاستيعاب ۲ ص ۴۵۷. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

و فى لفظ: أوّل هذه الأمّة ورودا على الحوض أوّلها إسلاما عليّ بن أبى طالب، رضى اللّه عنه. السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۵. سيرة زينى دحلان ۱ ص ۱۸۸ هامش الحلبيّة.

و فى لفظ: أوّل الناس ورودا على الحوض أوّلهم إسلاما عليّ بن أبى طالب مناقب الفقيه ابن المغازلى. مناقب الخوارزمى.

۲- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمة: زوّجتک خیر أمّتی أعلمهم علما، و أفضلهم حلما و أوّلهم سلما. راجع ما مرّ ص ۹۵.

۳- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمة: إنّه لأوّل أصحابی إسلاما. أو: أقدم أمّتی سلما. حدیث صحیح راجع ص ۹۵

۴- أخذ صلّی اللّه علیه و آله بید علیّ، فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بی، و هذا أوّل من یصافحنی یوم القیامة، و هذا الصدّیق الأکبر. راجع الجزء الثانی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۰

ص ۳۱۳، ۳۱۴.

۵- عن أبی أیوب قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقد صلّت الملائکة علیّ و علی علی سبع سنین لأنا کنّا نصلّی و لیس معنا احد یصلّی غیرنا.

مناقب الفقیه ابن المغازلی باسنادین م- أسد الغابة ۴: ۱۸ و مناقب الخوارزمی و فیه: و لم ذلک یا رسول اللّه؟ قال: لم یکن معی من الرجال غیره.

کتاب الفردوس للدیلمی. شرح ابن أبی الحدید عن رسالة الاسکافی ۳ ص ۲۵۸. فرائد السمطین الباب ۴۷.

۶- ابن عبّاس قال قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: إنّ اوّل من صلّی معی علیّ. فرائد السمطین الباب ۴۷ بأربع طرق.

۷- معاذ بن جبل قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علیّ! اخصمک بالنبوّة و لا نبوّة بعدی، و تخصم الناس بسبع و لا یجاحدک فیه أحد من قریش، أنت أوّلهم ایمانا باللّه، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث.

(حلیة الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۸- أبو سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلّی- و ضرب بین کتفیه-: یا علیّ لک سبع خصال لا یحاجّک فیهنّ أحد یوم القیامة؛ أنت أوّل المؤمنین باللّه ایمانا، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث. (حلیة الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۹- من حدیث أبی بکر الهذلی و داود بن أبی هند الشعبی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّه قال لعلیّ علیه السّلام: هذا أوّل من آمن بی و صدّقنی و صلّی معی. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۱۰- إنّ أبا بکر و عمر خطبا فاطمة فردّهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: لم أومر بذلک. فخطبها علیّ فزوّجه إیّاها و قال لها: زوّجتک أقدم الأمّة إسلاما. روی هذا الحدیث جماعة من الصحابة منهم: أسماء بنت عمیس و أمّ أیمن و ابن عبّاس و جابر بن عبد اللّه. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۱

کلمات امیر المؤمنین علیه السّلام:

۱- قال علیه السّلام: أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصّدیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلّا کاذب مفتری، و لقد صلّیت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنین، و أنا أوّل من صلّی معه.

إسناده من طریق ابن أبی شیبة و النسائی و ابن ماجة و الحاکم و الطبری «۱» صحیح رجاله ثقات، راجع الجزء الثانی من کتابنا ۳۱۴.

۲- قال علیه السّلام: أنا أوّل رجل أسلم مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أبو داود بإسناده الصحیح کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۳- قال علیه السّلام: أنا أوّل من أسلم مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه الخطیب البغدادی فی تاریخه ۴ ص ۲۳۳.

۴- قال علیه السّلام أنا أوّل من صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أحمد، و الحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» و قال: رجاله رجال الصحيح غير حبّة العرنى و قد وثق. و أخرجه أبو عمرو فى الإستيعاب ۲ ص ۴۵۸.

و ابن قتيبة فى «المعارف» ص ۷۴ من طريق أبى داود عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبّة عنه عليه السّلام. و الإسناد صحيح رجاله ثقات.

۵- قال عليه السّلام أسلمت قبل أن يسلم النّاس بسبع سنين. الرّياض النضرة ۲ من ۱۵۸.

۶- قال عليه السّلام: عبدت اللّه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة. مستدرك الحاكم ۳ ص ۱۱۲.

۷- قال عليه السّلام: عن حكيم مولى زاذان قال: سمعت عليّا يقول:

صلّيت قبل النّاس سبع سنين، و كنّا نسجد و لا نركع، و أوّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

---

(۱) فى تاريخه ۲ ص ۲۱۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۲

۸- قال عليه السّلام: عبدت اللّه قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة خمس سنين. الإستيعاب ۲ ص ۴۴۸. الرّياض النضرة ۲ ص ۱۵۸. السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۸.

۹- قال عليه السّلام: آمنت قبل الناس سبع سنين. خصائص النسائى ص ۳.

۱۰- قال عليه السّلام: ما أعرف أحدا من هذه الأمّة عبد اللّه بعد نبينا غيرى، عبدت اللّه قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة تسع سنين. خصائص النسائى ص ۳.

۱۱- من خطبة له عليه السّلام يوم صفّين: و ابن عمّ نبيّكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربّكم، و يعمل بسنّة نبيّكم صلّى اللّه عليه، فلا سواء من صلّى قبل كلّ ذكر لم يسبقنى بصلاتى مع رسول اللّه. كتاب نصر ص ۳۵۵.

شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۵۰۳.

۱۲- قال عليه السّلام: اللهمّ لا أعرف عبدا من هذا الأمّة عبدك قبلى غير نبيّك [قاله ثلاث مرّات] ثمّ قال: لقد صلّيت قبل أن يصلّى الناس. و فى لفظ:

قبل أن يصلّى أحد. أخرجه أحمد، أبو يعلى، البزّاز، الطبرانى، الهيثمى فى المجمع ۹ ص ۱۰۲. و قال: إسناده حسن. شيخ الإسلام الجوينى فى الفرائد الباب ۴۸.

۱۳- من كتاب له عليه السّلام كتبه إلى معاوية: انّ أولى النّاس بأمر هذه الأمّة قديما و حديثا أقربها من رسول اللّه، و أعلمها بالكتاب، و أفقهها فى الدين، و أوّلها إسلاما، و أفضلها جهادا. كتاب صفّين لابن مزاحم ص ۱۶۸ ط مصر.

۱۴- فى حديث عنه عليه السّلام: لا و اللّه إن كنت أوّل من صدّق به فلا أكون أوّل من كذب عليه. المحاسن و المساوئ ۱ ص ۳۶. تاريخ القرمانى هامش الكامل لابن الأثير ۱ ص ۲۱۸.

۱۵- قال عليه السّلام: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم الإثنين و أسلمت يوم الثلاثاء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۳

مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲. تاريخ القرمانى ۱ ص ۲۱۵. الصواعق ۷۲. تاريخ الخلفاء للسيوطى ۱۱۲. إسعاف الراغبين ۱۴۸.

۱۶- من كتاب كتبه عليه السّلام إلى معاوية: انّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لمّا دعا إلى الإيمان باللّه و التوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به؟ و صدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالا مجرّمة (أى كاملة) و ما يعبد اللّه فى ربع ساكن من العرب غيرنا. كتاب صفّين لابن مزاحم

ص ۱۰۰.

۱۷- قال علیه السّلام یوم صفّین مخاطبا أصحاب معاویة: و یحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب اللّه، و أوّل من أجاب إلیه. کتاب نصر ۵۶۱.

۱۸- قالت معاذة بنت عبد اللّه العدویّة: سمعت علیّ بن أبی طالب علی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: أنا الصدّیق الأکبر آمنت قبل أن یؤمن أبو بکر، و أسلمت قبل أن یسلم أبو بکر. راجع الجزء الثانی ص ۳۱۴.

۱۹- قال علیه السّلام فی خطبة خطبها فی معسکر صفّین: أ تعلمون أنّ اللّه فضّل فی کتابه السابق علی المسبوق، و أنه لم یسبقنی اللّه و رسوله أحد من الأمّة؟! قالوا: نعم. راجع الجزء الأوّل ص ۱۹۵.

۲۰- قال علیه السّلام صلّیت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث سنین قبل أن یصلّی معه أحد من النّاس. أخرجه أحمد باسنادین.

۲۱- قال علیه السّلام یوم الشوری فی حدیث أسلفناه: أمنکم أحد وحّد اللّه قبلی؟ قالوا: لا. أمنکم أحد صلّی القبلتین غیری؟ قالوا: لا. راجع ج ۱ ص ۱۵۹- ۱۶۳، و هذه الفقرة من الحدیث عدّها ابن أبی الحدید ممّا استفاضت به الرّوایات.

۲۲- مرّ فی الجزء الثانی ص ۲۵ فی أبیات له علیه السّلام کتبها إلی معاویة:

سبقتکم إلی الإسلام طرّاغلاما ما بلغت أوان حلمی ۲۳- ذکر ابن طلحة الشافعی فی مطالب السئول ص ۱۱ له علیه السّلام:

أنا أخو المصطفی لا شکّ فی نسبی‌به ربیت و سبطاه هما ولدی

صدّقته و جمیع النّاس فی بهم‌من الضّلالة و الإشراک و النکد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۴

قال: قال جابر: سمعت علیّا ینشد بهذا و رسول اللّه یسمع: فتبسّم رسول اللّه و قال: صدقت یا علی؟

کلمة الإمام السبط الحسن علیه السّلام:

۲۴- من خطبة للإمام الحسن علیه السّلام فی مجلس معاویة قوله: أنشدکم اللّه أیّها الرّهط؟ أ تعلمون أنّ الذی شتمتموه منذ الیوم صلّی القبلتین کلتیهما؟

و أنت یا معاویة بهما کافر، تراها ضلالة، و تعبد اللات و العزّی غوایة؛ و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه بایع البیعتین کلتیهما: بیعة الفتح و بیعة الرضوان؟ و أنت یا معاویة بإحداهما کافر، و باخری ناکث. و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه أوّل الناس ایمانا؟! و إنّک یا معاویة و أباک من المؤلّفة قلوبهم. شرح ابن أبی الحدید ۲ ص ۱۰۱.

۲۵- و فی خطبة له علیه السّلام مرّت فی ج ۱ ص ۱۹۸: فلمّا بعث اللّه محمّدا للنبوّة، و اختاره للرّسالة، و أنزل علیه کتابه ثمّ أمره بالدعاء إلی اللّه، فکان أبی أوّل من استجاب للّه و لرسوله، و أوّل من آمن و صدّق اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و قد قال اللّه فی کتابه المنزل علی نبیّه المرسل: «أ فمن کان علی بیّنة من ربّه و یتلوه شاهد منه» فجدّی الّذی علی بیّنة من ربّه، و أبی الذی یتلوه و هو شاهد منه.

رأی الصحابة و التابعین فی أوّل من أسلم

۱- أنس بن مالک قال: نبّئ (بعث) النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و أسلم علیّ یوم الثّلاثاء. و فی لفظ له: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء.

أخرجه الترمذی فی جامعه ۲ ص ۲۱۴. الطبرانی. الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۲. ابن عبد البرّ فی الإستیعاب ۳ ص ۳۲. ابن الأثیر فی جامع الأصول کما فی تلخیصه تیسیر الوصول ۳ ص ۲۷۱. الجوینی فی فرائد السمطین الباب

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۵

۴۷. و أوعز إلیه العراقی فی التقریب ۱ ص ۸۵. و یوجد فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸. تذکرة السبط ۶۳. السراج المنیر شرح الجامع الصغیر ۲ ص ۴۲۴. شرح المواهب ۱ ص ۲۴۱.

۲- بریدة الأسلمی قال: اوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء. أخرجه الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۲ و صحّحه هو و أقرّه الذهبی.

۳- زید بن أرقم قال: أوّل من أسلم مع رسول اللّه علیّ بن أبی طالب.

تاریخ الطبری بإسنادین صحیحین رجالهما ثقات. مسند أحمد ۴ ص ۳۶۸.

مستدرک الحاکم ۴ ص ۳۳۶ و صحّحه هو و أقرّه الذهبی. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۴- زید بن أرقم قال: أوّل من صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ.

أخرجه أحمد و الطبرانی کما فی مجمع الهیثمی ۹ ص ۱۰۳ و قال: رجال أحمد رجال الصحیحین. أبو عمرو فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹.

۵- زید بن أرقم قال: أوّل من آمن باللّه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّ بن أبی طالب. الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹.

۶- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من صلّی علیّ.

جامع الترمذی ۲ ص ۲۱۵. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۴۱ بإسناد صحیح.

الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۷- عبد اللّه بن عبّاس قال: لعلیّ أربع خصال لیست لأحد: هو أوّل عربیّ، و أعجمیّ صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۱۱. الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷.

۸- عبد اللّه بن عبّاس قال مجاهد: إنّه قال: أوّل من رکع مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علیّ بن أبی طالب فنزلت فیه هذه الآیة: و أقیموا الصّلاة و آتوا الزّکاة و ارکعوا مع الراکعین. تذکرة السبط ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۶

۹- عبد اللّه بن عبّاس قال فی خطبة له: إنّ ابن آکلة الأکباد قد وجد من طعام أهل الشام أعوانا علی علیّ بن أبی طالب ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذکر صلّی معه.

کتاب صفّین لابن مزاحم ۳۶۰. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۵۰۴. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۷۵.

۱۰- عبد اللّه بن عبّاس قال: فرض اللّه تعالی الاستغفار لعلی فی القرآن علی کلّ مسلم بقوله تعالی: «ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذین سبقونا بالإیمان». فکلّ من أسلم بعد علیّ فهو یستغفر لعلیّ. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۱۱- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من أسلم علیّ بن أبی طالب.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۸. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲.

۱۲- عبد اللّه بن عبّاس قال: کان علیّ أوّل من آمن من الناس بعد خدیجة رضی اللّه عنهما.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷ و قال: قال أبو عمرو رضی اللّه عنه: هذا إسناد لا مطعن فیه لأحد لصحّته و ثقة نقلته. و صحّحه الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

۱۳- کان ابن عبّاس بمکّة یحدّث علی شفیر زمزم و نحن عنده فلما قضی حدیثه قام إلیه رجل فقال: یا بن عبّاس؟ إنّی امرؤ من أهل الشام من أهل حمص إنّهم یتبرّءون من علیّ بن أبی طالب رضوان اللّه علیه و یلعنونه. فقال: بل لعنهم اللّه فی الدنیا و الآخرة و أعدّ لهم عذابا مهینا. أ لبعد قرابته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ و إنّه لم یکن أوّل ذکران العالمین ایمانا باللّه و رسوله؟ و أوّل من

صلّی و رکع و عمل بأعمال البرّ؟ قال الشامی: انّهم و اللّه ما ینکرون قرابته و سابقته غیر انّهم یزعمون أنّه قتل الناس. الحدیث. المحاسن و المساوئ للبیهقی ۱ ص ۳۰.

۱۴- عفیف قال: جئت فی الجاهلیّة إلی مکّة و أنا ارید أن ابتاع لأهلی من ثیابها و عطرها فأتیت العبّاس بن عبد المطلب و کان رجلا تاجرا فأنا عنده جالس

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۷

حیث أنظر إلی الکعبة و قد حلقت الشمس فی السّماء فارتفعت و ذهبت إذ جاء شابّ فرمی ببصره إلی السّماء ثمّ قام مستقبل الکعبة ثمّ لم البث إلّا یسیرا حتّی جاء غلام فقام علی یمینه، ثمّ لم یلبث إلّا یسیرا حتّی جاءت امرأة فقامت خلفهما، فرکع الشابّ فرکع الغلام و المرأة، فرفع الشابّ فرفع الغلام و المرأة، فسجد الشابّ فسجد الغلام و المرأة فقلت: یا عبّاس؟ أمر عظیم. قال العبّاس: أمر عظیم، أ تدری من هذا الشابّ؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخی. أ تدری من هذا الغلام؟ هذا علیّ ابن أخی. أ تدری من هذه المرأة؟

هذه خدیجة بنت خویلد زوجته، انّ ابن أخی هذا أخبرنی انّ ربّه ربّ السماء و الأرض أمره بهذا الدین الذی هو علیه، و لا و اللّه ما علی الأرض کلّها أحد علی هذا الدین غیر هؤلاء الثلاثة.

خصایص النسائی ۳. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱. الرّیاض النضرة ۲ ص ۱۵۸.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹. عیون الأثر ۱ ص ۹۳. الکامل لابن الاثیر ۲ ص ۲۲.

السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۸.

۱۵- سلمان الفارسی قال: أوّل هذه الأمّة ورودا علی نبیّها الحوض أوّلها إسلاما علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲ و قال: رجاله ثقات.

و عدّه الإسکافی فی رسالته علی العثمانیّة. و أبو عمرو فی الإستیعاب. و العراقیّ فی شرح التقریب ۱ ص ۸۵. و القسطلانی فی المواهب ۱ ص ۴۵ ممّن روی أنّ علیّا أوّل من أسلم.

۱۶- أبو رافع قال: صلّی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أوّل یوم الاثنین و صلّت خدیجة آخره و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء من الغد.

أخرجه الطبرانی کما فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۰. عیون الأثر ۱ ص ۹۲.

و تجده و سابقه فی الرّیاض النضرة ۲ ص ۱۵۸. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۱۷- أبو رافع قال: مکث علیّ یصلّی مستخفیا سبع سنین و أشهرا قبل أن یصلّی أحد. أخرجه الطبرانی. الهیثمی فی المجمع ۹ ص ۱۰۳. الجوینی فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۸

الفرائد ب ۴۷.

۱۸- أبو ذر الغفاری، عدّ ممّن روی انّ علیّ بن أبی طالب أوّل من أسلم.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. التقریب و شرحه ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۱۹- خباب بن الأرت قال: رأیت علیّا یصلّی قبل الناس مع النبیّ و هو یومئذ بالغ مستحکم البلوغ. رسالة الإسکافی. و عدّ ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم فی الاستیعاب ۲ ص ۴۵۶. و المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۰- المقداد بن عمرو الکندی، ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم کما فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. و التقریب و شرحه ۱ ص ۸۵. و المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۱- جابر بن عبد اللّه الأنصاری، قال: بعث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء. الطبری ۲ ص ۲۱۱. الکامل

لابن الأثیر ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸، و عدّه أبو عمرو و العراقیّ و القسطلانی ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم.

۲۲- أبو سعید الخدری روی إنّ علیّ بن أبی طالب أوّل من أسلم.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. شرح التقریب ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۳- حذیفة بن الیمان قال: کنّا نعبد الحجارة و نشرب الخمر و علیّ من أبناء أربع عشرة سنة قائم یصلّی مع النبیّ لیلا و نهارا، و قریش یومئذ تسافه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما یذبّ عنه إلّا علیّ. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۲۴- عمر بن الخطّاب قال عبد اللّه بن عبّاس: سمعت عمرو عنده جماعة فتذاکروا السابقین إلی الإسلام فقال عمر: أمّا علی فسمعت رسول اللّه: یقول فیه ثلاث خصال، لوددت أن تکون لی واحدة منهنّ، و کانت أحبّ إلیّ ممّا طلعت علیه الشمس، کنت أنا و أبو عبیدة و أبو بکر و جماعة من أصحابه إذ ضرب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی منکب علیّ رضی اللّه عنه فقال له: یا علیّ؟ أنت أوّل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۹

المؤمنین ایمانا، و أوّل المسلمین إسلاما، و أنت منّی بمنزلة هارون من موسی.

رسالة الإسکافی. مناقب الخوارزمی. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۲۵- عبد اللّه بن مسعود قال: أوّل حدیث علمته من أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّی قدمت مکّة مع عمومة لی (و ذکر مثل حدیث عفیف المذکور ص ۲۲۶) رسالة الإسکافی.

۲۶- أبو أیّوب الأنصاری، أخرج الطبرانی عنه انّه قال: أوّل الناس إسلاما علیّ بن أبی طالب. شرح التقریب ۱ ص ۸۵. شرح الزرقانی ۱ ص ۲۴۲.

۲۷- أبو مرازم یعلی بن مرّة، عدّة الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال: إنّ علیّا اوّل الناس إسلاما.

۲۸- هاشم بن عتبة المرقال قال: أنت یا أمیر المؤمنین! أقرب الناس من رسول اللّه رحما، و أفضل الناس سابقة و قدما. کتاب نصر ۱۲۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۵۱.

۲۹- فی کلام لهاشم بن عتبة یوم صفّین: انّ صاحبنا هو أوّل من صلّی مع رسول اللّه، و أفقهه فی دین اللّه، و أولاه برسول اللّه.

کتاب نصر ۴۰۳. تاریخ الطبری ۶ ص ۲۴. الکامل لابن الأثیر ۳ ص ۱۳۵. و قال هاشم یوم صفّین:

مع ابن عمّ أحمد المعلّی‌فیه الرّسول بالهدی استهلا

أوّل من صدّقه و صلّی‌فجاهد الکفّار حتّی أبلی «۱» ۳۰- مالک بن الحارث الأشتر قال فی خطبة له: معنا ابن عم نبیّنا و سیف من سیوف اللّه علیّ بن أبی طالب، صلّی مع رسول اللّه لم یسبقه إلی الصلاة ذکر، حتّی کان شیخا لم یکن له صبوة و لا نبوة و لا هفوة، فقیه فی دین اللّه، عالم بحدود اللّه.

کتاب نصر ۲۶۸. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۴۸۴. جمهرة الخطب ۱

---

(۱) کتاب صفین لابن مزاحم: ۳۷۱ ط مصر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۰

ص ۱۸۳.

۳۱- عدیّ بن حاتم قال فی خطبة له مخاطبا معاویة: ندعوک إلی أفضل الأمّة سابقة، و أحسنها فی الإسلام آثارا.

کتاب نصر ۲۲۱. تاریخ الطبری ۶ ص ۲. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۳۴۴. و فی لفظ ابن الأثیر فی الکامل ۳ ص ۱۲۴: انّ ابن عمّک سید المسلمین أفضلها سابقة.

۳۲- عدیّ بن حاتم قال فی خطبة اخری له: إن کان له «لعلیّ» علیکم فضل فلیس لکم مثله فسلّموا و إلّا فنازعوا علیه، و اللّه لئن کان

إلى العلم بالكتاب و السنّة؟ انّه لأعلم الناس بهما. و لئن كان إلى الإسلام؟ إنّه لأخو نبى اللّه و الرأس فى الإسلام. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳.

۳۳- محمّد بن الحنفيّة قال سالم بن أبى الجعد قلت له: أبو بكر كان أوّلهم إسلاما؟! قال: لا. الاستيعاب ۲ ص ۴۵۸. إذا ثبت أنّ أبا بكر لم يكن أوّل الناس إسلاما فعلىّ عليه السّلام هو المتعيّن سبق إسلامه.

۳۴- طارق بن شهاب الأحمسى فى كلام له: ثمّ قلت: ادع عليّا و هو أوّل المؤمنين ايمانا باللّه و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و وصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۷۶.

۳۵- عبد اللّه بن هاشم المرقال قال فى خطبة له: يا أيّها النّاس! انّ هاشما جاهد فى طاعة ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به؛ و أفقههم فى دين اللّه.

كتاب نصر ۴۰۵.

۳۶- عبد اللّه بن حجل قال: يا أمير المؤمنين! أنت أوّلنا ايمانا، و آخرنا بنبىّ اللّه عهدا. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳، كتاب نصر.

۳۷- أبو عمرة بشير بن محصن قال فى جمع من أصحاب على و معاوية: إنّ صاحبى أحق البريّة كلّها بهذا الأمر فى الفضل و الدين و السابقة فى الإسلام و القرابة من رسول اللّه. كتاب نصر ۲۱۰.

۳۸- عبد اللّه بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إنّ الخارجة الّتى خرجت

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۱

على علىّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجل مؤمن، قالوا: فما تقول فى علىّ بن أبى طالب؟ قال: أقول: إنّه أمير المؤمنين و أوّل المسلمين ايمانا باللّه و رسوله. قالوا:

فما اسمك؟ قال: و أنا عبد اللّه بن خباب بن الأرت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۲۲.

۳۹- عبد اللّه بن بريدة قال: أوّل الرجال إسلاما علىّ بن أبى طالب ثمّ الرهط الثلاث: أبو ذر و بريدة و ابن عمّ لأبى ذرّ. أخرجه محمّد بن إسحاق المدنى فى الجزء الأوّل من المغازى.

۴۰- محمّد بن أبى بكر كتب إلى معاوية كتابا منه: فكان أوّل من أجاب و أناب، و صدّق و وافق، و أسلم و سلم أخوه و ابن عمّه علىّ بن أبى طالب- الى أن قال-: أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيّة- إلى قوله- يا لك الويل! تعدل نفسك بعلىّ و هو وارث رسول اللّه و وصيّه و أبو ولده، و أوّل الناس له اتّباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه، و يشركه فى أمره. نصر فى كتاب صفّين ۱۳۳.

۴۱- عمرو بن الحمق قال لعلى: أحببتك لخصال خمس: انّك ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به. و فى لفظ: و أسبق النّاس إلى الإسلام، أبو الذريّة التى بقيت فينا من رسول اللّه، و أعظم رجل من المهاجرين سهما فى الجهاد.

كتاب صفّين ۱۱۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۴۹.

۴۲- سعيد بن قيس الهمدانى يرتجز فى صفّين بقوله «۱»:

هذا علىّ و ابن عمّ المصطفى‌أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا الإمام لا يبالى من غوى

۴۳- عبد اللّه بن أبى سفيان قال مجيبا الوليد «۲»

و إنّ ولىّ الأمر بعد محمّدعلىّ و فى كلّ المواطن صاحبه

---

(۱) شرح النهج لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۳۲ و فيه «أول من أجابه فيما روى».

(۲) رسالة الاسكافى، و ذكرهما الحافظ الكنجى فى الكفاية ص ۴۸ للفضل بن العبّاس.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۲ وصیّ رسول اللّه حقّا و صنوهو أوّل من صلّی و من لاـن جانبه ۴۴- خزیمة بن ثابت الأنصاری عدّه العراقی فی شرح التقریب ۱ ص ۸۵، و الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال بأنّ علیّا أوّل الناس إسلاما.

و قالا: أنشد المرزبان له فی علیّ:

أ لیس أوّل من صلّی لقبلتکمو أعلم النّاس بالقرآن و السنن و ذکر له الإسکافی فی رسالته کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۹:

وصیّ رسول اللّه من دون أهلهو فارسه مذ کان فی سالف الزمن

و أوّل من صلّی من الناس کلّهمسوی خیرة النسوان و اللّه ذو المنن و ذکرهما له الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۴، و ذکر قبلهما:

إذا نحن بایعنا علیّا فحسبناأبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولی النّاس بالنّاس أنّهأطبّ قریش بالکتاب و بالسنن «۱» ۴۵- کعب بن زهیر، ذکر الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

من قصیدة یمدح بها أمیر المؤمنین علیه السّلام:

إنّ علیّا لمیمون نقیبتهبالصّالحات من الأفعال مشهور

صهر النبیّ و خیر النّاس کلّهمفکلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّی الصلاة مع الامّی أوّلهمقبل العباد و ربّ الناس مکفور «۲» ۴۶- ربیعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذکر جمع من الأعلام له أبیات و ذکرها آخرون لغیره و هی:

ما کنت أحسب انّ الأمر منصرفعن هاشم ثمّ منها عن أبی حسن

أ لیس أوّل من صلّی لقبلتهم؟!و أعلم النّاس بالآیات و السنن؟!

و آخر النّاس عهدا بالنبیّ؟و من جبریل عون له فی الغسل و الکفن؟

---

(۱) و لهذه الابیات بقیة توجد فی الفصول المختارة ۲ ص ۶۷.

(۲) فی النسخة تصحیف ذکرناها صحیحة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۳ من فیه ما فیهم ما تمترون به؟!و لیس فی القوم ما فیه من الحسن

ما ذا الذی ردّکم عنه؟! فنعلمهها إنّ بیعتکم من أوّل الفتن و ذکر الإسکافی فی رسالته البیتین الأوّلین منها و نسبهما إلی أبی سفیان بن حرب بن امیّة بن عبد شمس حین بویع أبو بکر. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۹.

۴۷- الفضل بن أبی لهب قال ردّا علی قصیدة الولید بن عاقبة:

ألا انّ خیر النّاس بعد محمّدمهیمنه التالیة فی العرف و النکر

و خیرته فی خیبر و رسولهبنبذ عهود الشرک فوق أبی بکر

و أوّل من صلّی صنو نبیّهو أوّل من أردی الغواة لدی بدر

فذاک علیّ الخیر من ذا یفوقه؟!أبو حسن حلف القرابة و الصهر ۴۸- مالک بن عبادة الغافقی حلیف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأیت علیّا لا یلبّث قرنهإذا ما دعاه حاسرا أو مسربلا

فهذا و فی الإسلام أوّل مسلمو أوّل. من صلّی و صام و هلّلا ۴۹- أبو الأسود الدؤلی یهدّد طلحة و الزبیر بقوله:

و إنّ علیّا لکم مصحریماثله الأسد الأسود

أما انّه أوّل العابدینبمکّة و اللّه لا یعبد «۱» ۵۰- جندب بن زهیر کان یرتجز یوم صفین بقوله:

هذا علیّ و الهدی حقّا معهیا ربّ فاحفظه و لا تضیّعه

فإنّه یخشاک ربّی فارفعهنحن نصرناه علی من نازعه

صهر النبیّ المصطفی قد طاوعهأوّل من بایعه و تابعه «۲» ۵۱- زفر بن یزید «۳» بن حذیفة الأسدی قال:

فحوطوا علیّا فانصروه فإنّهوصیّ و فی الإسلام أوّل أوّل

---

(۱) رسالة الاسکافی کما شرح ابن ابی الحدید: ۲ ص ۲۵۹.

(۲) کتاب نصر بن مزاحم: ۴۵۳.

(۳) فی بعض المصادر: زفیر بن زید.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۴ و إن تخذلوه و الحوادث جمّةفلیس لکم عن أرضکم متحوّل «۱» ۵۲- النجاشی بن الحارث بن کعب قال:

فقل للمضلّل من وائلو من جعل الغثّ یوما سمینا

جعلت ابن هند و أشیاعهنظیر علیّ أ ما تستحونا؟!

إلی أوّل النّاس بعد الرسولأجاب النبیّ من العالمینا

و صهر الرّسول و من مثلهإذا کان یوم یشیب القرونا؟! «۲» ۵۳- جریر بن عبد اللّه البجلی قال:

فصلّی الإله علی أحمدرسول المللیک تمام النعم

و صلّی علی الطهر من بعدهخلیفتنا القائم المدّعم

علیّا عنیت وصیّ النبیّیجالد عنه غواة الامم

له الفضل و السبق و المکرمات و بیت النبوّة لا المهتضم ۵۴- عبد اللّه بن حکیم التمیمی قال:

دعانا الزبیر إلی بیعةو طلحة من بعد أن أثقلا

فقلنا: صفقنا بایمانافإن شئتما فخذا الأشملا

نکثتم علیّا علی بیعةو إسلامه فیکم أوّلا ۵۵- عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحی حلیف بنی الجمح قال:

لعمری لئن بایعتم ذا حفیظةعلی الدین معروف العفاف موفّقا

عفیفا عن الفحشاء أبیض ماجداصدوقا و للجبّار قدما مصدّقا

أبا حسن فارضوا به و تبایعوافلیس کمن فیه یری العیب منطقا

علیّ وصیّ المصطفی و وزیرهو أوّل من صلّی لذی العرش و اتّقی «۳» ۵۶- أبو عمرو عامر الشعبی الکوفی قال: أوّل من أسلم من الرّجال علیّ ابن أبی طالب و هو ابن تسع سنین. رسالة الإسکافی کما فی شرح ابن أبی

---

(۱) رسالة الاسکافی کما فی شرح ابن ابی الحدید: ۳ ص ۲۵۹.

(۲) کتاب صفین لنصر بن مزاحم: ۶۶.

(۳) کفایة الطالب الحافظ الکنجی: ۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۵

الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۵۷- أبو سعید الحسن البصری قال: علیّ أوّل من أسلم بعد خدیجة. أخرجه أحمد عن عبد الرّزاق عن معمر عن قتادة عنه. و رواه الإسکافی فی رسالته عن عبد الرّزاق کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

و قال الحجّاج للحسن و عنده جماعة من التابعین و ذکر علیّ بن أبی طالب:

ما تقول أنت یا حسن؟ فقال: ما أقول؟ هو: أوّل من صلّی إلی القبلة، و أجاب دعوة رسول اللّه. و انّ لعلیّ منزلة من ربّه و قرابة من رسوله، و قد سبقت له سوابق لا یستطیع ردّها أحد. فغضب الحجّاج غضبا شدیدا و قام عن سریره فدخل بعض البیوت.

و قال رجل للحسن: ما لنا لا نراک تثنی علی علیّ و تقرّظه؟ قال کیف؟! و سیف الحجّاج یقطر دما، انّه أوّل من أسلم، و حسبکم بذلک. رسالة الإسکافی کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۵۸- الإمام محمّد بن علیّ الباقر قال: أوّل من آمن باللّه علیّ بن أبی طالب و هو ابن إحدی عشرة سنة. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۵۹- قتادة بن دعامة الأکمة البصری قال: علیّ أوّل من أسلم بعد خدیجة. أخرجه أحمد کما سمعت، و القسطلانی عدّه ممّن قال به فی المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانی فی شرحه ۱ ص ۲۴۲.

۶۰- محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب «۱» عدّه القسطلانی فی المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانی فی شرحه ۱ ص ۲۴۲ من القائلین بأنّ علیّا أوّل من أسلم.

۶۱- أبو عبد اللّه محمّد بن المکندر المدنی قال: علی اوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۲- أبو حازم سلمة بن دینار المدنی قال: علیّ أوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۱ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

---

(۱) نسبة الی جد جده.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۶

۶۳- أبو عثمان ربیعة بن أبی عبد الرّحمن المدنی قال: علیّ أوّل من أسلم. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۴- أبو النضر محمّد بن السائب الکلبی قال: علیّ أوّل من أسلم، أسلم و هو ابن تسع سنین. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. الکامل لابن الأثیر ۲ ص ۲۲.

۶۵- محمّد بن اسحاق قال: کان أوّل ذکر آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و صلّی معه و صدّقه بما جاءه من عند اللّه علیّ بن أبی طالب و هو یومئذ ابن عشر سنین «۱» و کان ممّا أنعم اللّه به علی علیّ بن أبی طالب انّه کان فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الإسلام.

و قال: و ذکر بعض أهل العلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان إذا حضرت الصّلاة خرج إلی شعاب مکّة و خرج معه علیّ بن أبی طالب، مستخفیا من عمّه أبی طالب و جمیع أعمامه و سائر قومه فیصلّیان الصّلوات فیها، فإذا أمسیا رجعا فمکثا کذلک ما شاء اللّه أن یمکثا، ثمّ إنّ أبا طالب عثر علیهما یوما و هما یصلّیان فقال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا ابن أخی ما هذا الدین؟ الحدیث.

تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱۳. سیرة ابن هشام ۱ ص ۲۶۴، ۲۶۵. سیرة ابن سیّد الناس ۱ ص ۹۳. الکامل لابن الأثیر ۴ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰. السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۷.

۶۶- جنید بن عبد الرّحمن قال: أتیت من حوران إلی دمشق لآخذ عطائی فصلّیت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا علیه شیخ یقال له: أبو شیبة القاصّ یقصّ علی الناس، فرغّب فرغبنا، و خوّف فبکینا، فلمّا انقضی حدیثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبی تراب. فلعنوا أبا تراب علیه السّلام فالتفت إلیّ من علی یمینی فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: علیّ بن أبی طالب ابن عمّ رسول اللّه، و زوج ابنته، و أوّل النّاس إسلاما، و أبو الحسن و الحسین. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقمت إلیه و کان ذا وفرة فأخذت و فرته بیدی و جعلت ألطم وجهه

---

(۱) فی الکامل لابن الاثیر: ۲ ص ۳۲. احدی عشرة سنة. نقلا عن ابن اسحاق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۷

و أبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائی فی رقبتی و ساقونی حتّی دخلونی علی هشام بن عبد الملک و أبو شیبة یقدمنی فصاح یا أمیر المؤمنین؟ قاصّک و قاصّ آبائک و أجدادک أتی إلیه الیوم أمر عظیم. قال:

من فعل لک؟ فقال: هذا. فالتفت إلیّ هشام و عنده أشراف النّاس فقال:

یا أبا یحیی؟ متی قدمت؟ فقلت: أمس و أنا علی المصیر إلی أمیر المؤمنین فادرکتنی صلاة الجمعة فصلّیت و خرجت إلی باب الدرج فإذا هذا الشیخ قائم یقصّ فجلست إلیه فقر أ فسمعنا، فرغّب من رغّب، و خوّف من خوّف؛ و دعا فأمّنا، و قال فی آخر کلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبی تراب، فسألت من أبو تراب؟

فقیل: علیّ بن أبی طالب، أوّل الناس إسلاما، و ابن عم رسول اللّه، و أبو الحسن و الحسین، و زوج بنت رسول اللّه. فو اللّه یا أمیر المؤمنین؟ لو ذکر هذا قرابة لک بمثل هذا الذکر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذی أحللت، فکیف لا أغضب لصهر رسول اللّه و زوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع. تاریخ ابن عساکر ۳ ص ۴۰۷.

هذه جملة من النصوص النبویّة، و الکلم المأثورة عن أمیر المؤمنین و الصحابة و التابعین فی أنّ علیّا أوّل من أسلم: و هی تربو علی مائة کلمة، أضف إلیها ما مرّ ج ۲ ص ۲۷۶ من أنّ أمیر المؤمنین سبّاق هذه الأمّة. و اشفع الجمیع بما أسلفناه ج ۲ ص ۳۰۶ من أنّه صلوات اللّه علیه صدّیق هذه الامة، و هو الصدّیق الاکبر.

فهل تجد عندئذ مساغا لمکابرة ابن کثیر تجاه هذه الحقیقة الراهنة و قوله: و قد ورد فی أنّه أوّل من أسلم. إلخ؟!؟! فإذا لا یصحّ مثل هذه فما الّذی یصحّ؟

و إن کان لا یصحّ شیء منها فما قیمة تلک الکتب المشحونة بها؟! کلا، إنّها کلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلی یوم یبعثون.

و أنت تری الرجل یزیف هذه الکلم و النصوص الکثیرة الصحیحة بحکم الحفّاظ الأثبات بکلمة واحدة قارصة، و یعتمد فی إثبات أیّ أمر یروقه فی تاریخه علی المراسیل و المقاطیع و الآحاد، و نقل المجاهیل و أفناء الناس «۱».

---

(۱) الغدیر: ج ۳ ص ۲۱۹- ۲۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۸

(۱)

مناظرة بین المأمون و اسحاق [فی إسلام علی ع]:

و لقد دارت بین المأمون العباسی و إسحاق و هو من العلماء المشهورین حوار طریف فی هذا المجال ینقله ابن عبد ربّه فی کتابه «العقد الفرید» نذکر هنا خلاصته:

قال المأمون: یا إسحاق أی الأعمال کان أفضل یوم بعث اللّه رسوله؟

ابن إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أ لیس السبق الی الإسلام؟

ابن إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلک فی کتاب اللّه یقول: «و السابقون السابقون اولئک المقرّبون» إنّما عنی من سبق إلی الإسلام، فهل علمت أحدا سبق علیّا إلی الإسلام؟

ابن إسحاق: إنّ علیا أسلم و هو حدیث السنّ لا یجوز علیه الحکم و أبو بکر أسلم و هو مستکمل یجوز علیه الحکم.

(۲) و هنا أمسک المأمون بزمام الکلام و قال:

أخبرنی عن إسلام علیّ حین أسلم لا یخلو من أن یکون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دعاه إلی الإسلام، أو یکون إلهاما من اللّه؟

قال إسحاق: بل دعاه رسول اللّه الی الإسلام.

قال المأمون: یا إسحاق هل یخلو رسول اللّه حین دعاه الی الإسلام من ان یکون دعاه بأمر من اللّه أو تکلّف ذلک من نفسه؟

ثمّ قال: یا اسحاق لا تنسب رسول اللّه إلی تکلّف فإن اللّه یقول: «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ».

فإذا دعاه بأمر اللّه و لیس من صفة الجبّار- جلّ ذکره- أن یکلّف رسله دعاء من لا یجوز علیه حکم، أ فتراه فی قیاس قولک یا إسحاق؟ أن علیا أسلم صبیا لا یجوز علیه الحکم قد تکلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دعاء

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۹

الصبیان ما لا یطیقون «۱».

و علی هذا الاساس یجب اعتبار ایمان علی علیه السّلام ایمانا صحیحا ثابتا لم یقلّ عن إیمان الآخرین أهمیة و قیمة بل هو افضل مصداق لقوله تعالی:

«وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ»، هو الإمام علی بن أبی طالب.

(۱)

قضیّة «انقطاع الوحی»:

اشارة

لقد أضاءت روح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و نفسه الشریفة و استنارت بنور الوحی، و دفعه ذلک الی التأمّل و التفکیر فی الوظیفة الکبری و الثقیلة التی جعلها اللّه علی کاهله، و خاصة عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله:

«یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ» «۲».

و هنا طرح المؤرخون و بخاصّة الطبریّ الّذی لا یخلو تاریخه من الاساطیر الاسرائیلیّة قضیّة باسم «انقطاع الوحی» فقالوا: إن رسول اللّه بعد أن رأی ذلک الملک و سمع منه الآیات الاولی من القرآن الکریم بقی ینتظر نزول خطاب آخر من جانب اللّه تعالی، و لکن دون جدوی، فهو لم یر ذلک الملک الجمیل بعد ذلک، و لا أنه سمع النداء الغیبیّ مرة اخری علی غرار ما رأی و سمع فی بدء نزول الوحی.

(۲) و لو کان لانقطاع الوحی فی بدایة عهد الرسالة (الذی ادّعاه هؤلاء) حقیقة فما هو سوی النزول التدریجی للقرآن لیس إلّا.

و قد تعلّقت المشیئة الالهیة اساسا بأن ینزل الوحی علی رسول اللّه تدریجا، لا دفعة واحدة و ذلک لمصالح معینة، و حیث أن الأمر فی بدء الوحی کان علی أوّله و فی بدایته، لذلک لم ینزل الوحی الالهی بعد المرة الاولی فورا، و لکن حمل هذا علی «انقطاع الوحی» و لم یکن لا انقطاع الوحی و لا أیة مسألة اخری من

---

(۱) العقد الفرید: ج ۵ ص ۳۵۲ طبعة بیروت دار الکتب العلمیة و ج ۵ ص ۹۴ طبعة لجنة التألیف القاهرة.

(۲) المدثر: ۱- ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۰

هذا القبیل.

(۱) و حیث أن هذه المسألة قد تذرّع بها الکتاب المغرضون لذلک ینبغی أن نعطیها بعض. الاهتمام لیتضح أن ما ادّعی من انقطاع الوحی، قضیة فارغة عن الحقیقة و لذلک لا صحّة لتطبیق الآیات القرآنیة علیها.

و لتوضیح هذا الأمر ننقل هنا نصّ ما کتبه الطبریّ و نقله فی تاریخه، ثم نعمد بعد ذلک الی نقده.

یکتب الطبری فی هذه الصدد قائلا: لمّا أبطأ جبرئیل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جزع جزعا شدیدا قالت له خدیجة: ما أری ربک إلا قد قلاک، فانزل اللّه عزّ و جلّ قوله: «وَ الضُّحی. وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی. ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی. وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی. وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی. أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی. وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنی. فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلا تَقْهَرْ. وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ. وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ» «۱».

و لقد أوجد نزول هذه الآیات سرورا عظیما لدی خدیجة علیها السّلام، و علمت بأن ما قالته حول رسول اللّه لا أساس له من الصحة «۲».

(۲)

اسطورة و لیس تاریخا!

إنّ ذاکرة التاریخ تحفظ و تتذکر جیّدا تاریخ حیاة السیدة خدیجة.

إن خدیجة التی کانت أخلاق محمّد الفاضلة و خصاله المجیدة، و افعاله الحمیدة ماثلة امام عینیها و التی کانت تؤمن بعدل ربّها کیف یجوز ان تسیء الظن باللّه تعالی و بنبیه الکریم، العظیم الشأن؟

إنّ مقام النبوّة و منصب الرسالة، و السفارة الالهیة لا یعطی إلّا لمن یملک طائفة من الصفات النبیلة و الخصال الرفیعة، و ما لم یتصف شخص النبیّ صلّی اللّه علیه و آله. هذه الصفات العلیا، و ما لم تتوفر فیه مثل هذه الشرائط الخاصّة

---

(۱) الضحی: ۱- ۱۱.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۱

و المواصفات المعینة لم یمنح له ذلک المنصب قط. و تقع العصمة و السکینة القلبیة، و الاعتماد و التوکل فی طلیعة هذه الخصال و المواصفات، و مع هذه الأوصاف و الخصال یستحیل أن یدور فی خلده مثل تلک التصورات الخاطئة.

و لقد قال العلماء: إن المسیرة التکاملیة عند الأنبیاء تبدأ من فترة الطفولة و الصبا، فان الغشاوات و الحجب تبدأ تتساقط و تنقشع الواحدة تلو الاخری منذ ذلک الوقت، و یستمر ذلک حتی تصل الاحاطة العلمیة لدیهم حدّ الکمال فلا یشکّون فی شیء یرونه أو یسمعونه أبدا، و من حاز هذه المراتب لا یمکن أن یتطرق الشک و الحیرة و التردّد الی قلبه و عقله مطلقا.

(۱) إنّ آیات سورة «الضحی» و خاصة عبارة «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» تفید فقط بأن هناک من قال مثل هذه العبارة للنبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو قائلها؟ و کم ترکت هذه العبارة من تأثیر فی نفسیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و روحیته فهی ساکتة عن کل ذلک؟

و ذهب بعض المفسّرین إلی أن قائلها هم بعض المشرکین، و لهذا الاحتمال لا تکون جمیع الآیات مرتبطة ببدء الوحی، لأنه لا أحد غیر «علی» و «خدیجة» کان یعرف فی بدء البعثة بنزول الوحی، لیتسنّی له أن یعترض علی رسول اللّه، و یعیّره بانقطاع عنه بعد ذلک،

فإن أمر المبعث و الرسالـة- كما سـنقول ذلك فيما بعـد- بقى خافيا على أكثر المشـركين لمـدة ثلاثـة اعوام تماما، فهو لم يكن مكلّفا بابلاغ رسالته إلى عامة الناس، إلى أن نزل قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» الذى أمره اللّه فيه بالجهر بأمر رسالته لعامة الناس بلا استثناء. (۲)

إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحى»:

اشارة

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر مطلقـا لمسألـة (انقطـاع الوحى) بـل لم ترد به إشارة أيضا، إنما نلاحظها فى كتب السـيرة و التفسـير فقط، و يختلف كتّاب السـيرة و المؤرّخون فى علة (انقطاع الوحى) هذا، و مدته اختلافا كبيرا يجعلنا لا نعتمد على أى واحد منها، و ها نحن نشير إليها بشكل ما:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۲

(۱) ۱- ان اليهود سألوا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عن اصحاب الكهف، و عن الروح، و عن قصة ذى القرنين فقال عليه الصلاة و السّلام: سأخبركم غدا، و لم يستثن، فاحتبس عنه الوحى «۱».

بناء على هـذا لا يمكن ان نربط هـذه المسألـة ببـدء الوحى و مطلع عهد الرسالة لان اتصال علماء اليهود و احبارهم مع النبى صـلّى اللّه عليه و آله عن طريق قريش و سؤالهم اياه حول هذه الامور الثلاثة، وقع فى حدود السنة السابعة من البعثة يوم نوجه وفد من قريش إلى المدينة ليسألوا علماء اليهود عن صـحة ما جاء به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، فاقترح اليهود عليهم ان يسألوا النبى عن تلك الامور الثلاثة «۲».

(۲) ۲- قالت خولـة و هى امرأة كانت تخـدم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن جروا دخل البيت فدخل تحت السـرير فمات، فمكث نبى اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أياما لا ينزل عليه الوحى، فلمّا خرج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من البيت كنست خولة تحت السرير فاذا جرو ميّت فأخـذته و القته خلف الجـدار فأنزل اللّه تعالى هـذه السورة و لما نزل جبرئيل سأله النبى صـلّى اللّه عليه و آله عن التأخر فقال: «أ ما علمت أنّا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة» «۳».

(۳) ۳- إن المسلمين قالوا: يا رسول اللّه، ما لك لا ينزل عليك الوحى؟ فقال:

«و كيف ينزل علىّ و أنتم لا تقصّون أظفاركم و لا تأخذون من شواربكم»؟ «۴» فنزل جبرئيل بهذه السورة.

(۴) ۴- اهدى عثمان الى النبى صـلّى اللّه عليه و آله عنقود عنب و قيل عذق تمر فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدّمه إليه صلّى اللّه عليه و آله ثانيا ثم عاد السائل فأعطاه و هكـذا ثلاث مرات فقال صـلّى اللّه عليه و آله: ملاطفا لا غضـبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر؟ فتأخر الوحى أياما فاستوحش فنزلت

---

(۱) روح المعانى: ج ۳۰ ص ۱۵۷، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۰۱.

(۳) تفسير القرطبى: ج ۱۰ ص ۸۳ و ۷۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۹.

(۴) نفس المصدر.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۸۳

السورة «۱».

(۱) ۵- إن جروا لأحد نساء النبی صلّی اللّه علیه و آله أو أحد أقربائه حال دون نزول الوحی علیه «۲».

(۲) ۶- إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما سأل جبرئیل عن تأخّر الوحی قال جبرئیل، لا املک من نفسی شیئا إنّما أنا عبد مأمور «۳».

ثم ان هناک أقوالا اخری یمکن الحصول علیها من مراجعة التفاسیر «۴».

و لکن الطبریّ نقل وجها آخر تمسک به المغرضون و المرضی من الکتّاب و اعتبروه دلیلا- علی طروء الشک علی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو أنّ الوحی انقطع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد حادثة (حراء) فقالت خدیجة للنبی صلّی اللّه علیه و آله: ما أری ربّک إلّا قد قلاک!!

فنزل الوحی یقول:

«ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» «۵».

(۳) و ممّا یدلّ علی أهداف هذا النوع من الکتّاب، المریضة، أو عدم تتبّعهم و استقصائهم، أنهم تمسکوا من بین جمیع الأقوال بهذا الاحتمال، و استندوا إلیه للحکم علی شخصیة کرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی لم یر فی حیاته أی أثر للشک و الحیرة مطلقا.

(۴) و إننا مع ملاحظة النقاط التالیة یمکننا أن نقف علی بطلان هذا الاحتمال و تفاهته:

(۵) ۱- لقد کانت السیدة خدیجة من النساء اللواتی أحببن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حبا صادقا و عمیقا، فهی التی وقت لزوجها حتی النفس الأخیر،

---

(۱) تفسیر روح المعانی: ج ۳۰ ص ۱۵۷.

(۲) غرائب القرآن فی هامش تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۰۸.

(۳) تفسیر ابو الفتوح الرازی: ج ۱۲ ص ۱۰۸.

(۴) مجمع البیان: ج ۱۰ تفسیر سورة و الضحی.

(۵) تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۴

و وقفت ثروتها الطائلة لتحقیق أهدافه، و کانت فی عام البعثة قد قضیت خمسة عشر عاما من حیاتها الزوجیة، و لم تر خدیجة طوال هذه الفترة من زوجها إلا التقوی و الطهر و لم تلمس منه إلا کرم الصفات و نبل الاخلاق فقد کانت من المصدقین له صلّی اللّه علیه و آله من أول یوم و کانت تراعی نهایة الأدب فی تکلیمها معه و عشرتها ایاه صلّی اللّه علیه و آله فکیف تتکلم مثل هذه المرأة المؤمنة الوفیة، مع زوجها بغلیظ القول، و توجه له مثل هذه الکلمة غیر المهذّبة، بل و الجارحة؟؟!

(۱) ۲- إنّ آیة: «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» لا تدل علی أن «خدیجة» قالت مثل هذا الکلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غایة ما تفیده هذه الآیة هی أنّ مثل هذا الکلام قد وجّه الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو القائل، و لما ذا قال هذا الکلام؟ فلیس ذلک معلوما.

(۲) ۳- إن ناقل هذه الروایة یصف «خدیجة» تارة بأنها طمأنت النبیّ، و سکّنت من روعه إلی درجة أنها منعته عن الانتحار، و لکنه یصفها تارة اخری بانها قالت له: بأن اللّه عاداه و قلاه، أ لا ینبغی هنا أن نقول: «کن ذکورا ثم أکذب»؟!

(۳) ۴- إذا کان الوحی قد انقطع بعد حادثة جبل (حراء) و نزول بضع آیات من سورة «العلق» إلی أن نزلت سورة «الضحی»، یتوجب- فی هذه الصورة- ان تکون سورة «الضحی» ثانی سورة من حیث الترتیب التاریخی لنزول السور فی حین أنّ تاریخ نزول الآیات و السور القرآنیة یفید أنها السورة الحادیة عشرة من سور القرآن الکریم. لأن فهرس السور القرآنیة حسب نزولها هو کالتالی:

۱- العلق.

۲- القلم.

۳- المزّمّل.

۴- المدّثّر.

۵- تبّت (المسد).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۵

۶- التکویر.

۷- الاعلی.

۸- الانشراح.

۹- و العصر.

۱۰- و الفجر.

۱۱- و الضحی «۱».

نعم انفرد الیعقوبی من بین المؤلفین باعتبار سورة الضحی- فی تاریخه- «۲» السورة الثالثة من حیث تاریخ النزول، و حتی هذا الرأی لا ینسجم مع القصة المذکورة (انقطاع الوحی).

(۱)

الاختلاف فی مدة انقطاع الوحی:

لقد تعرّض تحدید مدة انقطاع الوحی بشکله المزعوم لإبهام کبیر، فقد ذکر ذلک بصور مختلفة فی التفاسیر و الأقوال التالیة هی:

۴ أیّام.

۱۲ یوما.

۱۵ یوما.

۱۹ یوما.

۲۵ یوما.

۴۰ یوما.

و لکن بعد دراسة فلسفة النزول التدریجی للقرآن الکریم سنری أنّ انقطاع الوحی و توقفه لم یکن حدثا استثنائیا، لأنّ القرآن الکریم أعلن منذ أول یوم أن المشیئة الالهیّة تعلّقت بأن ینزل القرآن بصورة تدریجیة، منجّمة إذ یقول تعالی:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ» «۳».

---

(۱) تاریخ القرآن للزنجانی: ص ۵۸.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۳۳.

(۳) الاسراء: ۱۰۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۶

و یکشف القرآن النقاب- فی موضع آخر- عن سرّ نزول القرآن تدریجا إذ قال:

«وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا» «۱».

(۱) و مع ملاحظة طریقة نزول الآیات و السور القرآنیة هذه یجب أن لا یتوقع نزول الآیات کل یوم و کلّ ساعة، و أن ینزل جبرئیل علی النبیّ علی الدّوام، و یأتی إلیه بالآیات دون انقطاع، بل إن الآیات القرآنیة کانت تنزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی فواصل زمنیة مختلفة وفقا للاحتیاجات، و بحسب الأسئلة المطروحة علی النبی، و لأسرار اخری فی النزول التدریجی شرحها علماء الإسلام «۲».

و فی الحقیقة لم یکن هناک ما یسمی بانقطاع الوحی، بل کل ما کان فی الأمر هو أنّه لم یکن ثمّة ما یوجب النزول الفوری، و المتلاحق للوحی.

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

(۲) راجع للوقوف علی هذه المسألة معالم الحکومة الإسلامیة: ص ۱۲۲- ۱۲۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۷

(۱)

۱۴ الدعوة السرّیّة و دعوة الأقربین

اشارة

استمرّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یدعو إلی دینه سرّا مدة ثلاثة أعوام. فهو فی هذه السنوات عمد إلی بناء الکوادر و اعدادها بدل توجیه الدعوة إلی عامّة الناس، فإنّ اعتبارات معیّنة فی ذلک الوقت کانت توجب أن لا یجهر بدعوته و لا یعلن عن رسالته، و یکتفی بالاتصالات الفردیة السّریة و یدعو اشخاصا معینین إلی دینه.

و قد کانت هذه الدعوة السرّیة هی السبب فی أن ینجذب الی الدّین الإسلامی جماعة من الناس، و تواجه دعوته صلّی اللّه علیه و آله منهم بالقبول، (۲) و قد سجّل التاریخ أسماء هؤلاء السابقین الذین آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فی هذه الفترة من عهد الرسالة، و تاریخ الإسلام، و إلیک بعضهم:

۱- السیدة خدیجة بنت خویلد (زوجة النبی).

۲- علی بن أبی طالب علیه السّلام.

۳- زید بن حارثة.

۴- الزبیر بن العوام.

۵- عبد الرحمن بن عوف.

۶- سعد بن أبی وقاص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۸

۷- طلحة بن عبید اللّه.

۸- أبو عبیدة الجراح.

۹- أبو سلمة.

۱۰- الأرقم بن أبی الارقم.

۱۱- عثمان بن مظعون.

۱۲- قدامة بن مظعون.

۱۳- عبد اللّه بن مظعون.

۱۴- عبیدة بن الحارث.

۱۵- سعید بن زید.

۱۶- خباب بن الأرتّ.

۱۷- أبو بکر بن أبی قحافة.

۱۸- عثمان بن عفان.

و غیرهم من الذین قبلوا دعوة النبی، و آمنوا بنبوته فی هذه الفترة «۱».

(۱) و لقد کان أقطاب قریش و أسیادها منهمکین- طیلة هذه الاعوام الثلاثة- فی لهوهم و مجونهم، و مع أنهم کانوا قد عرفوا بعض الشیء عن دعوة النبیّ السرّیة إلّا أنّهم لم یظهروا أیّة ردة فعل تجاهها، و لم یقوموا بشیء ضدّها.

و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی هذه السنوات التی تعتبر فترة صباغة الفرد یخرج مع بعض أتباعه إلی شعاب مکة للصلاة فیها بعیدا عن أنظار قریش.

و اتفق أن رآهم بعض المشرکین فی ما کانوا یصلّون فی شعب من شعاب مکة، و استنکروا عملهم هذا، و أدّی ذلک إلی منازعة عابرة بینهم و بین المشرکین جرح علی أثرها أحد المشرکین علی یدی «سعد بن أبی وقاص» احد المسلمین، و من هنا قرّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اتخاذ بیت «الأرقم بن أبی الأرقم» محلا

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵ و ۲۶۲.

للعبادة بدل شعاب مکّة، لیستطیع القیام فیه بالتبلیغ و العبادة بحریّة و أمان، بعیدا عن أعین المشرکین «۱».

و لقد کان «عمّار بن یاسر» و «صهیب بن سنان» الرومیّ ممّن آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک البیت «۲».

(۱)

دعوة الأقربین:

اشارة

یشرع العقلاء من الناس من اصحاب البرامج الواسعة و المشاریع الکبری اعمالهم الکبری- عادة- من بدایات صغیرة و نقاط محددة، فإذا حقّقوا نجاحا فی هذه البدایات بادروا الی توسیع نطاق نشاطهم فورا، و هکذا جنبا الی جنب مع النجاحات التی یحقّقونها فی کل خطوة یوسّعون دائرة العمل، و یجتهدون فی تحقیق المزید من النجاح، و التکامل لما هم یصدده.

و لقد سأل أحد الشخصیات زعیما فی دولة کبیرة من الدول الکبری المعاصرة: ما هو سرّ نجاحکم فی الاعمال الاجتماعیة و ما هو الأمر الذی یساعدکم علی النجاح فی مشاریعکم؟

فأجابه ذلک الزعیم قائلا: ان طریقة عملنا نحن الغربیّین تختلف عن طریقتکم انتم أهل الشرق، فنحن دائما نخطّط لمشاریع کبری و

نبدأ من مكان صغير، و بعد إحراز النجاح نعمد إلى توسيع نطاق العمل، و اذا اكتشفنا فى منتصف الطريق خطأ برنامجنا غيّرنا اسلوب عملنا، و عدلنا إلى طريقة اخرى، و بدأنا بعمل آخر.

(۲) أما أنتم الشرقيون فتدخلون ساحة العمل فى برامجكم الكبرى من مكان كبير، و تبدءون من نقطة واسعة، و تحاولون تطبيق مشروعكم جملة واحدة، فاذا واجهتم فى خلال العمل طريقا مسدودة لم يكن فى إمكانكم ان ترجعوا من

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۱.

(۲) هذا البيت كان عند جبل الصفا، و كان معروفا إلى مدة ب: دار الخيزران» اسد الغابة: ج ۴ ص ۴۴، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۹۲، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۰

منتصف الطريق إلّا بتحمل خسائر كبرى فادحة.

(۱) هذا مضافا إلى أن أنفسكم كأنها قد عجنت بالعجلة و لذلك تودّون قطف ثمار جهودكم و نتيجة عملكم فى الحال دون ما صبر و ترقّب و انتظار، و هذه هى بنفسها طريقة تفكير اجتماعيّة خاطئة، من شأنها أن تجعل الإنسان أمام طرق مسدودة كثيرة و غريبة.

هذا ما قاله ذلك الغربىّ.

و لكن الذى نتصوره و نعتقده نحن هو: أن هذه الطريقة من التفكير لا ترتبط لا بالشرق و لا بالغرب، بل هى ميزة العقلاء الاذكياء من الناس، فانهم يعتمدون هذا الاسلوب لانجاح مهامّهم، و تحقيق مقاصدهم.

و لقد اتبع قائد الإسلام الاكبر الرسول الاعظم صلّى اللّه عليه و آله هذه الطريقة فى عمله الرسالى فركّز جهده على الدعوة السرّيّة إلى دينه مدة ثلاثة أعوام من دون تعجّل، و كان يعرض دينه على كل من وجده أهلا للدعوة، و مستعدّا من الناحية الفكرية للتبليغ.

فرغم أنّه كان يهدف الى تشكيل دولة عالمية كبرى ينضوى تحت لوائها (لواء التوحيد) جميع أفراد البشرية، إلّا أنه لم يعمد إلى الدعوة العامة طيلة هذه الأعوام الثلاثة، بل لم يوجّه الدعوة الخاصة حتى إلى أقاربه، إنّما اكتفى بالاتصال الشخصى بمن وجده مؤهلا و صالحا للدعوة، و مستعدّا لقبول الدّين، حتى انّه استطاع فى هذه الأعوام الثلاثة أن يكسب فريقا من الأتباع من الذين اهتدوا إلى دينه و قبلوا دعوته.

(۲) و قد كان زعماء قريش- كما اسلفنا- منهمكين طوال هذه الأعوام الثلاثة فى اللذّة و الهوى و كان فرعون «مكة» و طاغيتها: «أبو سفيان» و جماعته كلما سمعوا بالدّعوة اطلقوا ضحكة استهزاء و قالوا لانفسهم: إنّها أيّام و تنطفئ بعدها شعلة الدعوة هذه فورا تماما كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة» و «اميّة» (اللّذين أخذا يحبّذان الى العرب التوجه نحو المسيحية و نبذ الوثنية بعد أن قرءا الانجيل و التوراة) و بالتالى لن يمرّ زمان حتى ينسى هذا الأمر، و يغدو خبرا بعد أثر، بل

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۱

لا شىء يذكر.

بهذا التصوّر، و بهذه العقليّة واجهت زعامة «مكة» دعوة النبى فى البداية، (۱) و لهذا لم يقم زعماء قريش خلال هذه السنوات الثلاث بأىّ عمل عدائىّ ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل ظلّوا ينظرون إليه بنظر الاحترام، و يراعون معه قواعد الأدب و السلوك، و كان النبىّ هو أيضا لا يتعرض لأصنامهم و آلهتهم فى هذه الأعوام الثلاثة بسوء و لا يتناولها بالنقد و الاعتراض بصورة علنية، بل كان مركّزا جهده على الاتصال الشخصى بذوى البصائر من الأشخاص و هدايتهم إلى دينه الحنيف.

و لكن منذ أن بدأ النبىّ دعوة الأقربين و أخذ ينتقد و ثبّتهم، و يذكر أوثانهم بسوء و يعترض على تصرفاتهم الإنسانية أصبح حديث الألسن. و منذ ذلك اليوم أيضا بدأت يقظة قريش، و عرفوا أمر محمّد يختلف عن أمر «ورقة» و «اميّة» اختلافا بينا و ان المبين

الدعوتین فرقا کبیرا، و لهذا بدأت المعارضة و المخالفة السرّیة و العلنیة، لدعوة النبیّ.

و قد بدأ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بکسر جدار الصمت بدعوة أقربائه إلی دینه ثم شرع بعد ذلک بدعوة الناس أجمعین.

(۲) علی أنه ما من شک فی أنّ الاصلاحات العمیقة التی یراد لها ان تترک أثرا فی جمیع شئون الناس و کل مناحی حیاتهم، و تغیّر مسیر المجتمع تحتاج قبل أیّ شیء إلی قوتین:

۱- قوة البیان، بأن یستطیع الداعیة و المصلح بیان الحقائق التی جاء بها من أفکاره الخاصة، أو ما تلقّاه عن طریق آخر الی الناس باسلوب جذاب، یأسر القلوب، و یسحر العقول.

۲- القوة الدفاعیة التی یستطیع تشکیل خطّ دفاعی منها عند التعرض لهجوم الأعداء و الخصوم، و فی غیر هذه الصورة ستنطفئ شعلة الدعوة و یفشل المصلح فی خطاه الاولی.

(۳) و لقد کان البیان لدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أعلی مرتبة من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۲

الکمال فکان قادرا کأقوی خطیب علی بیان تعالیم دینه للناس فی غایة الفصاحة و البلاغة. و لکنه کان یفتقر فی الأیام الاولی من دعوته إلی عنصر (القوة الثانیة)، أی (القوة الدفاعیة)، الرادعة الحامیة، لأنه استطاع فی السنوات الثلاث الاولی من رسالته أن یضم إلی دعوته قرابة أربعین شخصا، و ذلک فی الظروف السرّیة الشدیدة، و لا ریب ان تلک القلة القلیلة من الاتباع لم تکن قادرة علی أن تتولّی مسئولیة الدفاع عن النبی صلّی اللّه علیه و آله، و حمایة رسالته.

من هنا عمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- و بهدف تحصیل القوّة الدفاعیة المطلوبة و تشکیل النواة المرکزیة إلی دعوة أقربائه إلی دینه قبل التوجّه بالدعوة الی عامة الناس، لیتمکّن من هذا الطریق أن یزیل النقص من جهة عدم وجود القوة الثانیة، و یکوّن منهم سیاجا قویا یحفظه، و یحفظ رسالته من الأخطار المحتملة.

علی أن فائدة هذه الدعوة کانت علی الأقل دفع أبناء عشیرته إلی الدفاع عنه بدافع القربی و الرحم علی فرض انهم لم یؤمنوا برسالته، و لم یقبلوا دعوته.

(۱) هذا مضافا إلی انه صلّی اللّه علیه و آله کان یعتقد ان أی إصلاح و تغییر لا بد أن یبدأ من إصلاح الداخل و تغییره، فما لم یستطع الإنسان من إصلاح أبنائه و أقربائه و ردعهم عن قبائح الأفعال لا یمکن لدعوته أبدا أن تؤثر فی الأجانب و الأبعدین، لأنّ المناوئین سیعترضون علیه لدعوته فی هذه الحالة، و یشیرون إلی أفعال أبنائه و عشیرته.

من هنا أمره اللّه تعالی بأن یدعو عشیرته الأقربین إذ خاطبه قائلا:

«وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ» «۱».

کما أنه خاطبه بصدد دعوة الناس عامّة بقوله:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ. إِنَّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِینَ» «۲».

---

(۱) الشعراء: ۲۱۴.

(۲) الحجر: ۹۴ و ۹۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۳

(۱)

کیفیّة دعوة الأقربین:

كانت طريقة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى دعوة عشيرته الأقربين طريقة جميلة و ذكيّة جدّا، فقد تجلّت فى ذلك حقيقة أوضحت اسرار هذه الدعوة فى ما بعد اكثر فأكثر.

فانّ المفسرين كتبوا عند قوله تعالى: «و انذر عشيرتك الاقربين» و كذا الأغلبية القريبة للاجماع من المؤرخين أن اللّه أمر نبيّه صلّى اللّه عليه و آله بأن ينذر عشيرته الأقربين و يدعوهم إلى دينه و رسالته فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على بن أبى طالب الذى كان آنذاك فى ربيعه الثالث عشر أو الخامس عشر بأن يعدّ طعاما و لبنا، ثم دعا صلّى اللّه عليه و آله خمسا و أربعين رجلا من سراة بنى هاشم و وجوههم، و عزم على أن يبوح لضيوفه و يكشف لهم من امر رسالته فى خلال تلك الضيافة إلّا أنه- و للأسف- ما أن انتهوا من الطعام حتى بادر أبو لهب فتكلّم بكلمات سخيفة قبل أن يتحدّث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ممّا جعل الجوّ غير مناسب لأن يطرح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله موضوع رسالته عليهم، فانفض المجلس دون تحقيق هذا الغرض.

(۲) و لما كان من غد أمر النبىّ عليا عليه السّلام باعداد الطّعام و اللّبن ثانية، و كرّر دعوة تلك الجماعة، إلى ضيافة اخرى، و بعد أن فرغوا من الطعام تكلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

«إنّ الرائد لا يكذب أهله و اللّه الّذى لا إله إلا هو إنّى رسول اللّه إليكم خاصّة و إلى النّاس عامّة و اللّه لتموتنّ كما تنامون و لتبعثنّ كما تستيقظون و لتحاسبنّ بما تعملون و إنها الجنّة أبدا و النّار أبدا».

ثم قال:

«يا بنى عبد المطّلب انّى و اللّه ما أعلم شابّا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، انّى قد جئتكم بخير الدّنيا و الآخرة و قد أمرنى اللّه عزّ و جلّ أن ادعوكم إليه فأيّكم يؤمن بى و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۴

وصيّى و خليفتى فيكم»؟

(۱) و لما بلغ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى هذه النقطة- و بينما أمسك القوم و سكتوا عن آخرهم اذ كان كل واحد منهم يفكّر فى ما يؤول إليه هذا الأمر العظيم، و ما يكتنفه من أخطار- قام «علىّ» عليه السّلام فجأة، و هو آنذاك فى الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، و قال و هو يكسر بكلماته الشجاعة- جدار الصمت و الذهول-:

أنا يا رسول اللّه أكون وزيرك على ما بعثك اللّه».

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اجلس، ثم كرّر دعوته ثانية و ثالثة و فى كل مرة يحجم القوم عن تلبية مطلبه، و يقوم «علىّ» و يعلن عن استعداده لمؤازرة النبىّ، و يأمره رسول اللّه بالجلوس حتى إذا كان فى المرة الثالثة أخذ رسول اللّه بيده و التفت الى الحاضرين من عشيرته الاقربين و قال:

«إنّ هذا أخى و وصيّى و خليفتى فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له، و أطيعوا».

فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبى طالب «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع و جعله عليك أميرا» «۱».

إن ما كتبناه هو- فى الحقيقة- خلاصة لحديث مفصّل رواه اكثر المفسرين و المؤرخين بعبارات مختلفة، و لم يشكّك فى صحّته أحد، بل اعتبروه من مسلّمات التاريخ، الا «ابن تيمية» الذى اتخذ موقفا خاص من أهل بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين.

(۲)

خيانة تاريخيّة و جناية أدبيّة!!

إن تحريف الحقائق و قلبها، أو إخفاء الوقائع لهو حقا من أوضح مصاديق

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۶۲ و ۶۳، تاریخ الکامل: ج ۲ ص ۴۰ و ۴۱، مسند أحمد: ج ۱ ص ۱۱۱، و شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۳ ص ۲۱۰ و ۲۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۵

الخیانة و الجنایة.

و لقد سلک فریق من الکتّاب المتعصبین عبر التاریخ للاسف مثل هذا الطریق المقبوح، و أسقطوا مؤلّفاتهم العلمیّة و التاریخیّة بارتکابهم خطیئة التحریف فی جملة من الحقائق، من الاعتبار، و هم یخالون ان عملهم قادر علی ان یبقی الحقائق فی هالة الإهمال و الغموض.

إلّا أنّ أمر هؤلاء قد انکشف مع انقضاء الزّمن، و تکامل العلم، و دفع بفریق من أهل التحقیق و الإنصاف الی أن یمزقوا بأطراف اقلامهم حجب الزیف و التحریف و یظهروا الوقائع و الحقائق علی حقیقتها.

(۱) و إلیک فی ما یأتی بعض هذا الخیانات:

۱- لقد ذکر محمّد بن جریر الطبری (المتوفی عام ۳۱۰ ه) فی تاریخه حادثة دعوة الأقربین بشکل مفصّل و علی النحو الذی مرّ علی القارئ الکریم.

بید أنه حرّف فی تفسیره «۱» و کتم، فهو عند تفسیر قوله تعالی: «و أنذر عشیرتک الأقربین» یذکر کلّ ما ذکره فی تاریخه، و لکنّه یغیّر و یبدّل فی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث یقول: «علی أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی»، فهو یکتب فی تفسیره هکذا: «علی أن یکون کذا و کذا».

و لا ریب انّ فی تغییر عبارة «أخی و وصیّی و خلیفتی علیکم (أو فیکم) إلی:

«کذا و کذا» غرضا مریضا، و هو بالتالی خیانة تاریخیة فاضحة.

(۲) علی أن الطبریّ لم یکتف بهذا القدر من التغییر فی کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غیّر حتی فی الجملة التی تعقبتها و هی قوله صلّی اللّه علیه و آله بعد أن قام علیّ علیه السّلام للمرة الثالثة و أعلن عن استعداده لمؤازرة النبیّ بعد إحجام القوم و سکوتهم: «إن هذا أخی و وصیّی و خلیفتی» حیث أبدلها بعبارة:

«إنّ هذا أخی و کذا و کذا»!!!

إن علی المؤرخ أن یکون حرا و شهما فی کتابة الحقائق و روایتها، فیثبتها

(۱) تفسیر الطبری: ج ۱۹ ص ۷۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۶

و یرویها کما هی، بکل شجاعة، وحیدة.

و لا ریب ان الذی دفع بالطبریّ إلی أن یرتکب مثل ذلک التبدیل و التغییر هو تعصّبه المذهبی، فهو لا یعتبر الإمام علیّا خلیفة رسول اللّه بلا فصل، و حیث أن تینک الکلمتین: «خلیفتی و وصیّی» تصرّحان بخلافة «علیّ» للنبیّ و وصایته بلا فصل لذلک یغیّر و یبدّل حتی ینتصر لمذهبه بالتحریف فی شأن نزول هذه الآیة أیضا.

(۱) ۲- و لقد فعل ابن کثیر (المتوفی عام ۷۳۲) نظیر هذا فی تاریخه «۱» و کذا فی تفسیره (ج ۳ ص ۳۵۱) و سلک نفس الطریق الذی سلکه- من قبل- سلفه الطبری ضاربا عرض الجدار مبدأ أمانة النقل!!!

و نحن لا نعذر ابن کثیر فی عمله هذا أبدا، لأنه قد اعتمد- فی روایاته التاریخیة، فی تاریخه و تفسیره معا- تاریخ الطبری، لا تفسیره، و

لا شک أنّه قد مرّ علی هذه القصة فی تاریخ الطبریّ، و لکنّه مع ذلک حاد عن الطریق السویّ فأعرض عن نقل روایة التاریخ- فی هذه الحادثة- و عمد- بصورة غیر متوقعة- الی نقل روایة التفسیر!!!

(۲) ۳- و الأغرب من تینک الخیانتین ما ارتکبه- فی عصرنا الحاضر- وزیر المعارف المصریة الأسبق الدکتور «هیکل» فی کتابه «حیاة محمّد»، و فتح بعمله باب التحریف فی وجه الجیل الحاضر.

و العجب ان «هیکل» هاجم- فی مقدمته- جماعة المستشرقین بشدة و انتقدهم بعنف لتحریفهم الحقائق التاریخیة، و اختلافهم لبعض الوقائع فی حین لم یقصر عنهم فی هذا السبیل فهو:

(۳) أولا: نقل الواقعة المذکورة (دعوة الاقربین المعروفة بحادثة یوم الدار أو حدیث بدء الدعوة) فی الطبعة الاولی من کتابه المذکور بصورة مبتورة و مقتضبة جدا و اکتفی من الجملتین الحساستین بذکر واحدة منهما فقط و هی: قول النبی مخاطبا

---

(۱) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۷

الحضور فی ذلک الیوم: «من یؤازرنی یکون أخی و وصیّی و خلیفتی» بینما حذف بالمرة الجملة التی قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلی بعد أن قام للمرة الثانیة و أعلن موازرته للنبیّ و هی قوله صلّی اللّه علیه و آله: «إنّ هذا أخی و وصیّی و خلیفتی»!!!

(۱) ثانیا: انّه خطی فی الطبعات الثانیة و الثالثة و الرابعة، خطوة أبعد حیث حذف کلتا الجملتین معا و بهذا قد وجّه ضربة کبری إلی قیمته ککاتب. و قیمة کتابه، کدراسة تاریخیة!!

(۲)

النبوّة و الإمامة توأمان:

إن الاعلان عن وصایة علیّ علیه السّلام و خلافته فی مطلع عهد الرسالة و بدایة أمر النبوّة یفید- بقوة و وضوح- انّ هذین المنصبین لیسا بأمرین منفصلین، ففی الیوم الّذی یعلن فیه رسول اللّه عن رسالته و نبوّته، یعیّن خلیفته و وصیّه من بعده، و هذا یشهد- بجلاء- بأن النبوّة و الإمامة یشکّلان قاعدة واحدة، و أن هذین المنصبین إن هما الّا کحلقتین متصلتین لا یفصل بینهما شیء.

کما أن هذه الحادثة تکشف- من جانب آخر عن مدی الشجاعة الروحیة التی کان یتحلّی بها الإمام امیر المؤمنین «علیّ بن ابی طالب» علیه السّلام، حیث قام- فی مجلس أحجم فیه الشیوخ الدهاة و السادة المجرّبون عن قبول دعوة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله خوفا و تهیّبا- و أعلن بکل شجاعة مؤازرته للنبیّ، و استعداده للتضحیة فی سبیل دینه و رسالته و هو آنذاک غلام فی ربیعه الثالث أو الخامس عشر، و ما حابی أعداء الرسالة و لا ماشاهم کما فعل المصلحون من الساسة و الزعماء المتخوّفون علی مصالحهم و مراکزهم آنذاک!!!

(۳) صحیح ان «علیّا» علیه السّلام کان فی ذلک الیوم أصغر الحاضرین سنّا إلّا أن معاشرته الطویلة للنبیّ قد هیّأت قلبه لتقبّل الحقائق التی تردّد شیوخ القوم فی قبولها، بل عجزوا عن درکها و فهمها!!

و لقد اعطی ابو جعفر الإسکافی حق الکلام فی هذا المجال اذ قال:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۸

فهل یکلّف عمل الطعام، و دعاء القوم صغیر غیر ممیّز، وغر غیر عاقل، و هل یؤتمن علی سرّ النبوة طفل ... و هل یدعی فی جملة الشیوخ و الکهول إلّا عاقل لبیب، و هل یضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یده فی یده، و یعطیه صفقة یمینه بالاخوة و الوصیّة، و الخلافة، الا و هو أهل لذلک، بالغ حدّ التکلیف، محتمل لولایة اللّه، و عداوة أعدائه، و ما بال هذا الطفل لم یأنس بأقرانه و لم یلصق بأشکاله، و لم یر مع الصبیان فی ملاعبهم بعد اسلامه، و هو کأحدهم فی طبقته کبعضهم فی معرفته، و کیف لم ینزع إلیهم فی ساعة

من ساعاته بل ما رأيناه إلا ماضيا على اسلامه، مصمما فی أمره، محققا لقوله بفعله، قد صدّق اسلامه بعفافه و زهده، و لصق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بين جميع من حضرته فهو أمينه و أليفه فی دنياه و آخرته «۱».

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحديد: ج ۱۳ ص ۲۱۵ و ۲۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۹

(۱)

۱۵ الدعوة العامّة

اشارة

كان قد انقضى ثلاث سنوات على بدء البعثة يوم عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى دعوة الناس عامة بعد دعوة عشيرة الاقربين. فقد استطاع خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الدعوة أن يهدى- من خلال الاتصالات السرية- مجموعة من الاشخاص إلى الإسلام و لكنّه دعا هذه المرّة و بصوت عال عامة الناس إلى دين التوحيد.

فقد وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا و نادى بصوت عال:

يا صباحاه (و هی كلمة كانت العرب تطلقها كلّما أحسّت بخطر، أو بلغها نبأ مرعب فكانت هذه الكلمة بمثابة جرس الخطر) «۱» فلفت نداء النبی صلّى اللّه عليه و آله هذا نظر الناس فاجتمع حوله جماعة من أبناء القبائل المختلفة و قالوا له:

مالك؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله: أ رأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقوننی؟

---

(۱) قال الجزری فی النهاية: ج ۲ ص ۲۷۱: صعد النبی صلّى اللّه عليه و آله على الصفا و قال:

يا صباحاه؛ هذه كلمة يقولها المستغيث، و أصلها إذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح و يسمّون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۰

قالوا: بلى.

قال: فانی نذير لكم بين يدی عذاب شديد.

ثم قال: إنما مثلی و مثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشی أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف: وا صباحاه «۱».

و لقد كانت قريش تعرف عن دينه بعض الشیء، قبل هذا و لكنها تملّكها الخوف هذه المرة، و هی تسمع ذلك الانذار القوىّ فبادر أحد قادة الكفر إلى تبديد تلك المخاوف فورا إذ قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: تبّا لك، أ لهذا دعوتنا؟، و تفرّق على أثرها الناس.

(۱)

الثبات و الاستقامة على طريق الهدف:

إن نجاح أىّ شخص مرهون بأمرين:

الأول: الايمان بالهدف.

و الثانی: الاستقامة و الثبات و السعی الدائب لتحقیق ذلک.

إنّ الإیمان هو المحرّک الباطنی و القوة الخفیة التی تجر الإنسان شاء أم لم یشأ نحو الغایة التی یتوخاها، و تسهّل علیه الصعاب، و تدعوه إلی العمل الدائب لتحقیق مقصوده، لأن شخصا کهذا یعتقد اعتقادا قویّا بأنّ سعادته، و مجده یتوقّفان علی ذلک.

و بعبارة اخری: إذا آمن انسان بأن سعادته و مجده یتوقفان علی تحقیق هدف معیّن فانه سیندفع بقوة الإیمان نحو تحقیق ذلک الهدف، متجاوزا کل الصعاب، و متحدیا کل المشکلات فی ذلک السبیل.

فالمریض الذی یری شفاءه فی شرب دواء مرّ مثلا سیستسهل شربه.

و الغوّاص الذی یعتقد اعتقادا جازما بأن ثمّة دررا غالیة الثمن تحت أمواج البحر سیلقی بنفسه فی قلب تلک الأمواج دون ما خوف أو وجل، لیخرج منها بعد

---

(۱) السیرة الدحلانیة بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۱

دقائق ظافرا بأغلی الجواهر.

بینما إذا کان المریض أو الغوّاص یشکّ فی عمله، أو یعتقد بعدم فائدته، فانّه لن یقدم علیه قط و اذا ما أقدم فان عمله سیکون حینئذ مقرونا بالجهد و العناء.

فقوة الإیمان اذن هی التی تذلّل کل مشکل، و تسهّل کلّ صعب.

غیر أنه لا ریب فی أنّ الوصول إلی الهدف لا یخلو من مشکلات و موانع، فلا بدّ من السعی لرفع تلک الموانع، و إزالة تلکم المشکلات.

و قد قیل قدیما: أنّ مع کل وردة أشواک، فکیف یمکن قطف وردة دون أن تدمی أنامل القاطف بالأشواک المحیطة بها؟؟

هذا و قد بیّن القرآن الکریم هذه المسألة (و هی ان رمز السعادة هو: الإیمان بالهدف و الثبات فی طریق تحقیقه) فی جملة قصیرة اذ قال:

«إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۱».

(۱)

ثبات النبی صلّی اللّه علیه و آله و صبره:

لقد أدّت اتّصالات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الخاصّة. قبل الدعوة العامة، و جهوده الکبری بعد الجهر بالدعوة، إلی ظهور و تکوین صفّ مرصوص من المسلمین فی وجه صفوف الکفر، و الوثنیة.

فالّذین دخلوا سرّا فی حوزة الإسلام و الإیمان قبل الدعوة العامّة تعرّفوا علی المسلمین الجدد الذین لبّوا داعی الإسلام بعد إعلان الرسالة، و شکّل القدامی و الجدد جماعة قویة متعاطفة متحابة، و کان ذلک بمثابة إنذار لأوساط الکفر و الشرک و الوثنیة، أربکها و جعلها تشعر بالخطر.

علی أنّ ضرب نهضة ناشئة و القضاء علیها کان أمرا سهلا لقریش، و لکنّ الذی أرعب قریشا و منعها من توجیه مثل هذه الضربة هی أنّ أفراد هذه

---

(۱) فصّلت: ۳۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۲

الجماعة، و عناصر هذه النهضة لم یکونوا من قبیلة واحدة، لیمکن مواجهتها و ضربها بکلّ قوة، بل انتمی من کل قبیلة إلی الإسلام، عدد من الأفراد، و من هنا لم یکن اتّخاذ أیّ قرار حاسم بحقّهم أمرا سهلا و بسیطا.

(۱) من هنا قرّر سادة قریش و کبراؤها- بعد تداول الأمر فی ما بینهم- أن یبدءوا بالقضاء علی أساس هذه الجماعة، و محرّک هذا الحزب، و الداعی إلی هذه العقیدة بمختلف الوسائل فیحاولوا ثنیه عن دعوته بالاغراء و التطمیع تارة و یمنعوا من انتشار دینه بالتهدید و الایذاء تارة اخری.

و قد کان هذا هو برنامج قریش و موقفها من الدعوة طیلة عشر سنوات و هی المدة المتبقیة من سنوات البعثة من الفترة المکیة، الی ان قررت بالتالی قتله، و لکنه استطاع ان یبطل مؤامرتهم بالهجرة إلی المدینة قبل أن یتمکنوا من القضاء علیه.

(۲) و لقد کان «أبو طالب» آنذاک زعیم بنی هاشم و رئیسها المطلق، و کان رجلا طاهر القلب عالی الهمّة، شجاعا، کریما، و کان بیته ملجأ دافئا للمحرومین و المستضعفین، و ملاذا أمینا للفقراء و الأیتام، و کان یتمتع فی المجتمع العربی- علاوة علی رئاسة مکة و بعض مناصب الکعبة- بمکانة کبری و منزلة عظیمة، و حیث أنّه کان کفیلا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد وفاة جدّه «عبد المطلب»، لذلک حضر سادة قریش بصورة جماعیة «۱» عنده و قالوا له:

«یا أبا طالب إن ابن أخیک قد سبّ آلهتنا، و عاب دیننا، و سفّه أحلامنا و ضلّل آباءنا، فأمّا أن تکفّه عنّا، و إما أن تخلّی بیننا و بینه».

(۳) و لکن «أبا طالب» قال لهم قولا رفیقا و ردّهم ردّا جمیلا حکیما، فانصرفوا عنه.

بید أنّ نفوذ الإسلام و انتشاره کان یتزاید باستمرار، و کانت جاذبیّة الدّین المحمّدی، و بیان القرآن البلیغ یساعدان علی ذلک، فیترک اثره فی الناس،

---

(۱) ادرج ابن هشام فی سیرته: ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ اسماءهم بالتفصیل.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۳

و خاصة فی الأشهر الحرم حیث تفد الحجیج علی مکة من مختلف أنحاء الجزیرة، و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یعرض دینه علیهم، فکانت أحادیثه الجذّابة، و کلماته البلیغة، و دینه المحبّب تؤثر فی قلوب کثیر منهم، فیمیلون إلی الإسلام و یقبلون دعوة الرسول.

(۱) و هنا أدرک طغاة مکة و فراعنتها أن «محمّدا» قد بدأ یفتح له مکانا فی قلوب جمیع القبائل، و أصبح له انصار و أتباع فی کثیر منها، ممّا دفعهم مرّة اخری إلی الحضور عند «أبی طالب» حامیه الوحید، و تذکیره بالإشارة و التصریح بالاخطار المحدقة باستقلال المکّیین و عقائدهم نتیجة نفوذ الإسلام و انتشاره فقالوا له أجمع:

یا أبا طالب، إن لک سنّا، و شرفا، و منزلة فینا، و إنّا قد استنهیناک من ابن اخیک فلم تنهه عنّا، و إنا و اللّه لا نصبر علی هذا من شتم آبائنا، و تسفیه أحلامنا و عیب آلهتنا، حتی تکفه عنّا، أو ننازله و إیّاک فی ذلک حتی یهلک أحد الفریقین.

(۲) فأدرک حامی الرّسول الوحید- بذکائه و فطنته- أنّ علیه أن یصبر أمام جماعة تری وجودها، و مصالحها فی خطر، من هنا عمد إلی مسالمتهم و ملاطفتهم، و وعد بأن یبلغ ابن اخیه «محمّد» کلامهم. و قد کان هذا محاولة من «أبی طالب» لتسکین غضب تلک الجماعة الغاضبة و إطفاء نائرتهم، و تهدئة خواطرهم، لیتمّ معالجة هذه المشکلة- بعد ذلک- بطریقة أصح، و أفضل.

و لهذا أقبل- بعد خروج تلک الجماعة من عنده- علی ابن اخیه، و ذکر له ما قال له القوم، و هو یرید- بذلک ضمنا- اختبار إیمان «محمّد» بهدفه، فکان الردّ العظیم، و الجواب الخالد الذی یعتبر من أسطع و ألمع السطور فی حیاة قائد الإسلام الاکبر «محمّد» رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله، حيث قال لعمّه بعد أن سمع مقالة قريش:

«يا عمّ، و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه، أو اهلك فيه، ما تركته».

ثم اغرورقت عيناه الشريفتان بدموع الشوق و الحب للهدف، و قام و ذهب

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۴

من عند عمه.

و كان لتلك الكلمات الصادقة النافذة أثر عجيب فى نفس زعيم مكة و سيدها الوقور بحيث نادى ابن اخيه، و أظهر له استعداده الكامل للوقوف الى جانبه، و الحدب عليه رغم كل المخاطر، و المتاعب التى كانت تكمن له اذ قال:

«اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فو اللّه لا اسلمك لشىء أبدا».

(۱)

قريش تمشى إلى أبى طالب للمرّة الثالثة:

لقد أقلق انتشار الإسلام المتزائد قريشا، و دفعها إلى التفكير فى حيلة، فاجتمع أشرافها و سادتها للتشاور مرّة اخرى و قالوا:

لعل كفالة أبى طالب لمحمّد هى التى تدفعه إلى الدفاع عنه و حمايته و الوقوف الى جانبه فى دعوته، فكيف لو مشوا إليه بأجمل فتيان مكة، و طلبوا منه أن يأخذه بدل «محمّد» و يسلّمه إليهم ليروا فيه رأيهم، و لهذا مشوا الى أبى طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له:

يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذه فلك عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لك، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا، الّذى فرّق جماعة قومك، و سفّه أحلامهم فنقتله، فانما هو رجل برجل!!

فأجابهم أبو طالب و هو مستاء من هذه المساومة الظالمة:

«هذا و اللّه لبئس ما تسومونني! أ تعطونى ابنكم أغذوه لكم، و اعطيكم ابنى تقتلونه، هذا و اللّه ما لا يكون أبدا».

فقال «المطعم بن عدى بن نوفل»: و اللّه يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا.

فأجابه أبو طالب قائلا: و اللّه ما أنصفونى و لكنّك قد أجمعت خذلانى، و مظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك «۱».

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۷ و ۶۸، السيرة النبوية لابن هشام: ج ۱ ص ۲۶۶ و ۲۶۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۵

(۱)

قريش تحاول تطميع رسول اللّه!

و لما علمت قريش بأنه لا يمكن ارضاء «أبى طالب» بخذلان ابن اخيه «محمّد»، فهو و إن كان لا يتظاهر بالإسلام، إلّا أنه يكنّ لابن أخيه، ودّا عميقا، و محبة كبرى من هنا قرّروا بأن يتركوا مفاوضة، إلّا أنهم فكّروا فى خطة اخرى و هى أن يحاولوا إثناء النبىّ عن المضىّ فى دعوته بتطميعه بالمناصب، و الهدايا، و الأموال و الفتيات الجميلات، و لهذا مشوا الى بيت «أبى طالب» و دخلوا عليه و محمّد جالس إلى جنبه فتكلّم متكلّمهم و قال: يا محمّد انا بعثنا إليك لنكلّمك، فانا و اللّه لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء، و عيبت الدين، و سببت الآلهة، و سفهت الاحلام، و فرقت الجماعة و لم يبق امر قبيح الّا أتيته

فیما بیننا و بینک فان کنت انما جئت بهذا الحدیث تطلب به مالا جمعنا لک من أموالنا حتی تکون اکثر مالا، و ان کنت انما تطلب الشرف فینا فنحن نسوّدک و نشرّفک علینا، و ان کان هذا الذی یاتیک تابعا من الجن قد غلب علیک بذلنا أموالنا فی طبک.

(۲) فقال ابو طالب لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أی ابن أخی ما بال قومک یشکونک، یزعمون انک تشتم آلهتهم و تقول و تقول؟

فتکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: یا عم أریدهم علی کلمة واحدة یقولونها تدین لهم بها العرب و تؤدی إلیهم بها العجم الجزیة.

ففزعوا لکلمته، و لقوله فقال القوم کلمة واحدة: نعم و أبیک عشرا.

قالوا: فما هی، فقال أبو طالب: و أی کلمة هی یا ابن أخی؟

قال: «لا إله الّا اللّه».

فکان هذا الرد مفاجئة قویة لذلک الفریق الذی یأمل فی صرف النبی صلّی اللّه علیه و آله عن هدفه، و لهذا قاموا فزعین ینفضون ثیابهم و هم یقولون: «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشیء عجاب» «۱».

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۰۳، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۶۵ و ۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۶

(۱)

نماذج من إیذاء قریش و تعذیبها للمسلمین:

یوم صدع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما امر، و جهر بدعوته للناس و أیس سادة قریش من قبوله لأیّ اقتراح من اقتراحاتهم بعد ما سمعوه یقول: «و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی و القمر فی یساری علی أن أترک هذا الأمر حتی یظهره اللّه أو أهلک دونه ما ترکته» بدأ فی الحقیقة واحدا من أشدّ فصول حیاته، و اکثرها متاعب و مصاعب، لأن قریشا کانت لا تزال إلی ذلک الوقت تراعی حرمته و تحترمه، و تسیطر علی أعصابها، و لکنها عند ما فشلت فی خططها لجرّه إلی مساومتها اضطرّت إلی تغییر نهجها و اسلوبها معه لتقف دون انتشار دینه مهما کلّف من الثمن مستفیدة فی هذا السبیل من کل الوسائل الممکنة.

من هنا قرّر سادة قریش بالاجماع أن یتوسّلوا بسلاح الاستهزاء و السخریة، و الإیذاء و التهدید، بهدف صرفه عن المضیّ فی دعوته «۱».

و لا یخفی أن المصلح الذی یفکر فی هدایة العالم البشریّ کله یجب ان یتزود بقدر کبیر من الصبر و التحمل، أمام جمیع المشکلات و المتاعب، و المکاره و الشدائد لیتغلب علیها شیئا فشیئا، کما کان دأب کل المصلحین الآخرین.

و نحن هنا نورد طرفا من أذی قریش لرسول اللّه و أتباعه لیتضح مدی صبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و ثباته، و استقامته علی طریق الدعوة.

(۲) و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتمتع- مضافا إلی العامل الروحی و المعنویّ الباطنی الذی کان یساعده من الداخل أعنی الإیمان و الصبر و الاستقامة و الثبات- بعامل خارجیّ تولّی حراسته و حمایته و ذلک حمایة بنی هاشم، و علی رأسهم أبو طالب له صلّی اللّه علیه و آله، لأنه عند ما عرف «ابو طالب» بعزم قریش القاطع علی إیذاء ابن أخیه (محمّد) دعا بنی هاشم عامة، و طلب منهم جمیعا حمایة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و القیام دونه، فلبّوا نداء سیّدهم، و أجابوه

---

(۱) راجع لمعرفة ابرز من كان يؤذى النبىّ و المسلمين المحبر: ص ۱۵۷ و ۱۶۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۷

إلى ما دعاهم من حماية رسول اللّه و حراسته بعض بدافع الايمان و آخر بدافع الرحم، الّا «أبو لهب» و رجلان آخران انضموا الى اعداء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لكن هذا السياج الدفاعىّ لم يقدر- مع ذلك- على صيانته صلّى اللّه عليه و آله من بعض الحوادث المرّة، لأنّ قريشا ألحقت به الأذى، و أنزلت به مكروها، كلما وجدته وحيدا بعيدا عن أعين حماته.

و إليك فيما يأتى بعض النماذج من ذلك الأذى:

(۱) ۱- مرّ «أبو جهل» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصفا، فاذاه و شتمه و نال منه ببعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مولاة لعبد اللّه بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» رضى اللّه عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلّا وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعز فتى فى قريش، و أشدّ شكيمة. سيد المرسلين ج۱ ۴۰۷ نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ..... ص : ۴۰۶

۲) فلما مرّ بالمولاة، و قد رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة (و تلك هى كنيته) لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمّد آنفا من أبى الحكم بن هشام (و تعنى أبا جهل): وجده هاهنا جالسا فاذاه و سبّه، و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

فغضب «حمزة» لذلك، فخرج يسعى و لم يقف على أحد معدّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم، فاقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكرة، ثم قال: «أ تشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول. فردّ ذلك علىّ أن استطعت».

فقامت رجال من بنى مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل» فقال أبو جهل:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۸

دعوا أبا عمارة فانى قد سببت ابن أخيه سبّا قبيحا «۱». و بهذا منع «أبو جهل» الذى كان ممن يدرك خطورة مثل هذه المواقف من وقوع شجار و قتال.

(۱) إنّ التاريخ الثابت و المسلّم يشهد بأنّ وجود رجال ذوى بأس و قوة بين صفوف المسلمين مثل «حمزة» الذى أصبح فى ما بعد من كبار قادة الإسلام، قد كان له أثر كبير فى حفظ الإسلام، و الحفاظ على حياة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و دعم جماعة المسلمين، و تقوية جناحهم، فهذا ابن الاثير «۲» يقول عن حمزة: لما اسلم حمزة عرفت قريش أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد عزّ و امتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه.

من هنا أخذت قريش تفكّر فى إعداد خطط اخرى لمواجهة قضية الإسلام و المسلمين، سنذكرها فى المستقبل.

(۲) هذا و يرى بعض المؤرّخين مثل ابن كثير الشامى «۳» على أن ردود فعل إسلام «أبى بكر» و «عمر» و أثرهما لم تكن بأقلّ من تأثير إسلام «حمزة»، و انّ الدين قوى جانبه باسلام هذين الرجلين، و كسب المسلمون بذلك القوة و الحريّة فى العمل و التحرك، و الحقيقة انه لا شك فى انه لكل فرد تأثيره فى تقوية و دعم الإسلام، إلّا أنه لا يمكن- القول بحال بأن تأثير إسلام الشيخين كان يعدل تأثير إسلام «حمزة»، فإن «حمزة» ما ان سمع بأن قريشا أساءت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الّا و توجه، من دون أن يعرّج على أحد، إلى المسىء و انتقم منه فى الحال أشدّ انتقام، و لم يجرأ أحد على الوقوف فى وجهه و منع المسىء منه، و من غضبه و انتقامه، بينما يكتب ابن هشام فى سيرته عن «أبى بكر» امرا يكشف عن أن «أبا بكر» يوم دخل فى صفوف المسلمين لم يكن قادرا على حماية

نفسه، و لا على الدفاع عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله. (۳) و إليك نصّ الواقعة:

مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم على جماعة من قريش و هم جلوس عند الحجر، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، و أحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۲.

(۲) الكامل لابن الاثير: ج ۲ ص ۵۶.

(۳) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۶ و ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۹

كذا و كذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم و دينهم فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: نعم أنا الذى أقول ذلك، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه (و هم يقصدون قتله) فقام «أبو بكر» دونه و هو يبكى و يقول: أ تقتلون رجلا يقول ربّى اللّه؟

فانصرفوا عنه (و لم يقتلوه لأمر رأوه)، فرجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى منزله، و رجع «أبو بكر» يومئذ و قد صدعوا فرق رأسه «۱».

(۱) إن هذه الرواية التاريخية اذا دلّت على مشاعر الخليفة تجاه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا أنها تدل قبل أى شىء على عجزه و ضعفه.

إنه يدلّ على أنه لم يملك ذلك اليوم لا أية مقدرة بدنية و روحية، و لا أية مكانة اجتماعية ترهب، و حيث أنّ إلحاق الأذى بشخص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان ينطوى- فى نظر قريش ذلك على عواقب لا تحمد- لذلك تركوا رسول اللّه، و وجّهوا ضربتهم إلى رفيقه و صدعوا فرق رأسه.

و لو أنك قارنت بين هاتين الحادثتين و قايست بين موقف «حمزة» الشجاع و موقف الخليفة الأوّل هذا لاستطعت أن تقضى بسهولة بأنّ عزة الإسلام و قوة المسلمين، و تعزيز موقفهم، و خوف الكفار كان يعود إلى إسلام أىّ واحد من ذينك الرجلين؟

(۲) هذا و ستقرأ فى القريب العاجل كيفية إسلام «عمر». و سترى بأنّ إسلامه- كاسلام صديقه- لم يزد هو الآخر من قدرة المسلمين الدفاعية، و أنهم بالتالى لم يعتزوا باسلامه.

فيوم أسلم «عمر» كاد أن يقتل لو لا «العاص بن وائل السهمى» لأنه هو الذى خاطب الذين قصدوا قتل «عمر» قائلا: رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون منه؟ أ ترون بنى عدىّ بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلّوا عن الرجل» «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۹۰، و قد ذكر الطبرى فى تاريخه: ج ۲ ص ۷۲ قصة صدع رأس أبى بكر بالتفصيل فراجع.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱۰

إن هذه العبارة التى قالها «العاص» لانقاذ الخليفة الثانى من أيدى الذين اجتمعوا على قتله تفيد- بوضوح- أن الخوف من قبيلة «عمر» هو الذى كان وراء تركهم إياه و عدم قتله، و قد كان دفاع القبائل عن أبنائها سنة فطرية و عادة متعارفة يومذاك و كان يتساوى فيها الكبير و الصغير، و الشريف و الوضيع.

أجل إن بنى هاشم هم كانوا- فى الواقع- الحصن الحقيقى للمسلمين، و قد كان القسط الأكبر من هذا الأمر يتحمله «أبو طالب» و ذووه، و إلّا فانّ الاشخاص الآخرين الذين كانوا ينضمّون إلى صفوف المسلمين لم يكن لديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، فكيف بالدفاع عن الإسلام و جماعة المسلمين ليقال: أن المسلمين اعتزوا بهم؟

(۱)

أبو جهل یکمن لرسول اللّه:

لقد أغضب تقدم الإسلام المطرد قریشا بشدة فلم یمرّ یوم دون أن یبلغهم نبأ عن انضمام واحد من أفراد قریش الی صفوف المسلمین و لأجل هذا راح مرجل الغضب و الحنق علی النبی صلّی اللّه علیه و آله یغلی فی نفوسهم، فهذا فرعون مکة «أبو جهل» یقول لقریش فی مجلس من مجالسهم: یا معشر قریش إن محمّدا قد أبی إلّا ما ترون من عیب دیننا، و شتم آبائنا، و تسفیه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنی اعاهد اللّه لأجلسنّ له غدا بحجر ما اطیق حمله فإذا سجد فی صلاته فضخت به رأسه.

(۲) فلما کان من غد أخذ «أبو جهل» حجرا کما وصف ثم جلس لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ینتظره، و غدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی عادته و وقف للصلاة بین الرکن الیمانیّ و الحجر الأسود، و غدت تلک الجماعة من قریش فجلست فی أندیتها تنتظر ما ابو جهل فاعل، فلما سجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أحتمل «أبو جهل» الحجر، ثم أقبل نحوه، حتی إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه، مرعوبا و قذف الحجر من یده، فقامت إلیه رجال من قریش و قالوا له: مالک یا أبا الحکم؟ فقال بصوت ضعیف یطفح بالخوف و الرعب: قمت إلیه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۱

لأفعل به ما قلت لکم البارحة فلما دنوت منه عرض لی دونه ما لا رأیت مثله حیاتی، فترکته!! «۱».

إنه لیس من شک فی أنّ قوة غیبیّة أدرکت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأمر اللّه تعالی فی تلک اللحظة، و صوّرت ذلک المنظر الرهیب و حفظت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما وعده تعالی وعدا لا خلف فیه اذ قال: «إِنَّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِینَ» «۲».

(۱) و هناک نماذج کثیرة من أذی قریش لشخص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سجّلها التاریخ فی صفحاته، و قد عقد «ابن الأثیر» «۳» فصلا خاصّا لهذا الموضوع ذکر فیه أسماء أعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الألدّاء، فی مکّة، و بیّن أنواع ما کانوا یؤذون به النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و ما قد مرّ ذکره فی الصفحات السابقة ما هو إلّا أمثلة علی ذلک، فقد کان صلّی اللّه علیه و آله یواجه فی کل یوم نوعا خاصا من الأذی، و المضایقة.

فقد روی أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان یطوف ذات یوم فشتمه «عاقبة بن أبی معیط» و ألقی عمامته فی عنقه، و جرّه من المسجد، فأخذوه من یده، خوفا من بنی هاشم «۴».

ابو لهب یؤذی رسول اللّه:

(۲) و لقد تعرّض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأذی لا مثیل له من جانب عمه «أبی لهب» و زوجته «أم جمیل» و قد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یجاورهم، فلم یألوا جهدا فی إزعاجه و إیذائه فکم من مرّة و مرة ألقیا الرماد

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۹۸ و ۲۹۹.

(۲) الحجر: ۹۵.

(۳) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴۷ کما و عقد المجلسی رحمه اللّه فی البحار: ج ۱۸ بابا خاصا بعنوان:

«باب المبعث و اظهار الدعوة و ما لقی صلّی اللّه علیه و آله من القوم» راجع من صفحة ۱۴۸ الی صفحة ۲۴۳

(۴) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۲۹۳ نظیره.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۲

و التراب علی رأسه الشریف و تیابه. و کم من مرّة نشرت أم جمیل الشوک علی طریفه، أو جمعته خلف باب بیته لتؤذیه عند الخروج.

و لا شک ان معارضة انسباء النبی و اقربائه لدعوته المبارکة، و ایذاؤهم ایاه کان اکثر ایلاما لنفسه الشریفة، و اشد وقعا علیها، حتی اننا نجد القرآن یخص أبا لهب باللعن و یسمیه بصورة خاصة مما یکشف عن هذه الحقیقة اذ یقول:

«تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ. ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ. سَیَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ. وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِی جِیدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» «۱».

صبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و استقامته:

و لکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یواجه کل ذلک الأذی و ما شابهه من التحججات التی سنشیر إلیها بصبر عظیم، و ثبات تتعجب منه الجبال الشماء، و ذلک اولا إیمانا منه برسالته.

(۱)

إیذاء المسلمین و تعذیبهم!

اشارة

یرجع تقدم الإسلام فی مطلع عهد الرسالة إلی عوامل منها: ثبات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه، و ثبات اتباعه و أنصاره.

و لقد تعرّفنا- فی ما سبق- علی أمثلة و نماذج من ثبات قائد الإسلام الاکبر و صبره، و استقامته فی ما لقی من أذی و مضایقة.

علی أن ثبات أنصاره و اتباعه الذین آمنوا فی مکّة (مرکز الحکومة الوثنیة آنذاک) هو الآخر ممّا یدعو إلی الإعجاب و یستحق الاحترام. و سنذکر صمودهم و ثباتهم فی حوادث ما بعد الهجرة فی محله.

و أمّا هنا فنسلّط الضوء علی حیاة عدد من أتباع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله القدامی الذین تحملوا أشد أنواع العذاب و کانوا یعیشون فی المحیط المکی

---

(۱) المسد: ۱- ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۳

حیث لم یکن ملجأ لهم یلجئون إلیه، و هاجروا منه لأغراض الدعوة و التبلیغ بعد أن تحملوا شیئا کثیرا من الإیذاء و التعذیب علی أیدی المشرکین و الوثنیین القساة.

(۱)

۱- بلال الحبشی:

کان أبواه ممّن اسروا فی الجاهلیة و جیء بهم من الحبشة إلی جزیرة العرب ثم الی مکة.

و أما بلال الذی اصبح فی ما بعد مؤذن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقد کان غلاما ل «امیّة بن خلف» الذی کان من أشدّ أعداء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

و حیث أنّ عشیرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله تولّت الدفاع عنه صلّی اللّه علیه و آله و حمایته و لم یمکن لامیّة إلحاق الأذی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمد الی تعذیب غلامه بلال الذی أسلم، أمام الناس، بأشد أنواع الأذی و التعذیب انتقاما، و تشفیا.

فقد کان یطرح بلالا عاریا علی الأحجار و الصخور الملتهبة فی الهاجرة، و یضع صخرة علی صدره ثم یقول له: لا تزال هکذا حتی تموت أو تکفر بمحمّد، و تعبد اللّات و العزّی، فیقول و هو فی ذلک البلاء و المحنة الشدیدة: أحد أحد «۱».

(۲) و لقد أثار ثبات هذا الغلام الأسود و جلده و صبره علی أذی سیّده، إعجاب الآخرین، حتی أن «ورقة بن نوفل» مرّ علیه و هو یعذّب بذلک و هو یقول: أحد أحد، أقبل علی «امیّة» و من یصنع به ذلک من «بنی جمح» فیقول: احلف باللّه لئن قتلتموه علی هذا لاتخذنّه حنانا (أی لأجعلنّ قبره متبرّکا و مزارا) «۲».

و ربما زاد «امیّة» من تعذیبه لبلال فربط حبلا بعنقه و ترک الصبیان یدیرون به فی الازقة و السکک «۳».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۷ و ۳۱۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۸.

(۳) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۳ ص ۲۳۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۴

و قد اسر «امیّة» و ابنه فی معرکة «بدر» و کانا أول من اسرا من المشرکین، و لم یوافق بعض المسلمین علی قتلهما و لکن بلالا قال: «رأس الکفر امیّة بن خلف لا نجوت إن نجا». و أدّی إصرار بلال علی قتلهما إلی قتل امیّة و ابنه جزاء أعمالهما الظالمة.

(۱)

۲- آل یاسر رمز الصمود و المقاومة!

کان «عمار» و والده من السابقین الی الإسلام فهم أسلموا یوم کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلتقی بأصحابه و یدعو الی الإسلام فی بیت «الارقم بن أبی الارقم»، و عند ما عرف المشرکون بانضمامهم إلی صفوف المسلمین عمدوا إلی إیذائهم و تعذیبهم و لم یألوا جهدا فی ذلک أبدا.

فقد کان المشرکون یخرجون «عمارا» و اباه «یاسر» و امّه «سمیة» فی وقت الظهیرة الی رمضاء مکة لیقضوا ساعات طویلة تحت أشعة الشمس الحارقة، و فوق الرّمال الملتهبة و الصخور المتّقدة کأنّها الجمرات.

و قد تکرّر هذا العذاب مرّات عدیدة حتی أودی بحیاة «یاسر» فقضی نحبّه علی تلک الحال.

و قد خاشنت زوجته «سمیّة» أبا جهل و کلمته فی زوجها بغلیظ القول، فطعنها اللعین برمح فی قلبها فقضت- هی الاخری- نحبّها، و کانا أول شهیدین فی الإسلام «۱».

و قد آلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما شاهده من حالهما و هما یعذّبان بأشد أنواع العذاب فقال لهما و لولدیهما «عمّار» و هو یصبّرهم، و الدموع تنحدر علی خدّیه:

«صبرا آل یاسر فانّ موعدکم الجنة» «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۱ و السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۰۰، السیرة الدحلانیة بهامش السیرة.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۰۰، السیرة الدحلانیة بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۲۳۸ و ۲۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۵

(۱) و بعد أن قضی والدا «عمّار» نحبهما تحت التعذیب بالغ المشرکون القساة فی تعذیب «عمّار» و إیذائه و التنکیل به، و أخذوا یعذّبونه علی نحو ما کانوا یعذّبون به بلالا، و هم یقصدون قتله، و إلحاقه بأبویه!! أو یتبرأ من دین النبی صلّی اللّه علیه و آله، فاضطر الی أن یعطیهم ما یریدون و یظهر الرجوع عن الإسلام، إبقاء علی نفسه، و تقیّة منهم فترکوه، و انصرفوا عن قتله، و لکنه سرعان ما ندم علی فعله من التظاهر بترک الإسلام و تأثّم من ذلک فجاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یبکی، فقال له النبیّ: کیف تجد قلبک؟ قال: مطمئن بالایمان قال:

ان عادوا فعد، فنزلت الآیة التالیة فی ایمان عمّار: «إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْکاذِبُونَ مَنْ کَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ» «۱» «۲».

(۲) هذا و روی أنّ أبا جهل حینما قصد تعذیب «آل یاسر» و کانوا أضعف من بمکة أمر بسوط و نار ثم سحبوا عمارا و أبویه علی الأرض، فکان یکوی بطرف السیف و الخنجر المحمی بالنار المشتعلة أبدانهم، و یضربهم بالسوط ضربا شدیدا.

و قد تکرّر هذا العمل القاسی کثیرا حتی استشهد «یاسر» و زوجته «سمیّة» علی أثر ذلک التعذیب المریر، و لکن دون أن یفتئا حتی النفس الآخر عن مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الاشادة بدینه.

و لقد أثار هذا المنظر المؤلم مشاعر فتیان من قریش فأقدموا- رغم عدائهم للإسلام و مشارکتهم لغیرهم من المشرکین فی بغض الرسول- علی تخلیص «عمار» الجریح المنهک عذابا من براثن «أبی جهل» لیتمکن من مواراة أبویه الشهیدین.

(۳)

۳- عبد اللّه بن مسعود:

تشاور المسلمون فی ما بینهم فی مقرّهم السری فی من یجهر بالقرآن علی مسامع قریش، فی المسجد الحرام لأنها لم تسمع منه شیئا إذ قالوا: و اللّه ما سمعت قریش

---

(۱) النحل: ۱۰۵ و ۱۰۶.

(۲) الدّر المنثور: ج ۴ ص ۱۳۲ عند تفسیر الآیتین المذکورتین.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۶

هذا القرآن یجهر لها قط فمن رجل یسمعهموه؟

فأبدی «ابن مسعود» استعداده للقیام بهذه العملیة الجریئة، و تلاوة القرآن علی مسامع قریش فی المسجد الحرام بصوت عال.

فقالوا: إنّا نخشاهم علیک، إنّما نرید رجلا له عشیرة یمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دعونی فان اللّه سیمنعنی.

ثم غدا «ابن مسعود» حتی أتی المقام فی وقت الضحی و قریش فی اندیتها حتی قام عند المقام ثم قرأ: «بسم اللّه الرحمن الرحیم» رافعا بها صوته، «الرّحمن علّم القرآن» و هکذا استمر یقرأ بقیة آیات تلک السورة المبارکة.

فارعبت عبارات القرآن الفصیحة القویة قلوب سراة قریش، و لکی یمنعوا من تأثیر هذا النداء الالهیّ العظیم قاموا إلیه جمیعا و جعلوا یضربونه فی وجهه، و جعل هو یقرأ حتی بلغ منها ما شاء اللّه أن یبلغ ثم عاد إلی اصحابه و قد ادمی وجهه و جسمه، و هو مسرور لإسماع قریش کتاب اللّه تعالی و آیاته المبارکة «۱».

إنّ الّذين صمدوا فی أشد الأيام و أصعبها فی مطلع عهد البعثة من المسلمين الأوائل لا شک اكثر ممّن ذكرنا اسماءهم إلّا أننا اكتفينا بهذا القدر رعاية للاختصار.

(۱)

۴- أبو ذر: أوّل المجاهدين بالإسلام

كان «أبو ذر» رابع أو خامس من أسلم «۲»، و على هذا فهو من الذين أسلموا فی الأيّام الاولى من بزوغ شمس الإسلام و طلوع فجره، فإذن هو من السابقين إلى الإسلام.

و قد صرح القرآن الكريم بأنّ للذين سبقوا إلى الإيمان برسول اللّه فی بدء

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۴.

(۲) اسد الغابة: ج ۱ ص ۳۰۱، الإصابة: ج ۴ ص ۶۴، الإستيعاب: ج ۴ ص ۶۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱۷

بعثته و بالتالی فإن للسابقين عند اللّه تعالى مكانة عظيمة، و مقاما لا يضاهى إذ قال تعالى:

«السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» «۱».

و قال تعالى فيهم أيضا.

«وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» «۲».

و قال تعالى كذلك فی من آمن قبل فتح مكة و فضلهم، و مكانتهم المعنوية المتفوقة على من أسلم بعد اعتزاز الإسلام، و اشتداد أمره، و قيام دولته يعنى أنّهم ليسوا سواء.

«لا يَسْتَوِی مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا ...» «۳».

أجل هذه هی مكانة السابقين فی الإسلام و كان «ابو ذر» منهم.

هذا مضافا إلى أنّه يعدّ أول من نادى بالإسلام على رءوس الأشهاد و فی الملأ من قريش.

(۱) فيوم اسلم «أبو ذر» كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يدعو الناس إلى الإسلام سرّا، و لم تتهيّأ بعد ظروف الجهر بالدعوة إلى هذا الدّين، فانّ أتباع الإسلام و المؤمنين به لم يتجاوز عددهم فی ذلك اليوم عدّد الأصابع هم: النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و خمسة ممن آمنوا به، و قبلوا دعوته، و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و الظروف لم يكن بدّ- حسب الظاهر- من أن يخفی «أبو ذر» إسلامه، و يعود إلى قبيلته من دون أن يعرف به أحد فی مكة.

و لكنّ روح «أبی ذر» الطافحة بالإيمان و الحماس أبت ذلك، و كأنه قد خلق لينهض فی كل زمان و مكان ضدّ الظلم و الطغيان، و يرفع عقيدته فی وجه

---

(۱) الوافقة: ۱۰- ۱۱.

(۲) التوبة: ۱۰۰.

(۳) الحديد: ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۸

الباطل و أهله، و یکافح الانحراف و الاعوجاج أیّا کان مصدره، و صاحبه. و أیّ باطل اکبر من أن یطأطئ الناس أمام أصنام مصنوعة من الحجر، و یخضعوا أمام أوثان منحوتة من الخشب لا تضرّ و لا تنفع، و لا تعطی و لا تمنع، و یسجدوا لها و یتخذوها آلهة دون اللّه الخالق الکبیر المتعال؟؟

إنّه لیس فی وسع «أبی ذر» أن یتحمّل هذا المشهد البغیض المقرف!!

(۱) من هنا قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن مکث فی مکة قلیلا و قرأ شیئا من القرآن: یا نبیّ اللّه ما تأمرنی؟

قال: ترجع الی قومک حتی یبلغک أمری.

فقال له: و الذی نفسی بیده لا أرجع حتی أصرخ بالإسلام فی المسجد.

قال: انی اخاف علیک أن تقتل.

قال: لا بد منه و إن قتلت.

ثم دخل المسجد فنادی بأعلی صوته: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّدا عبده و رسوله «۱».

(۲) إن التاریخ الإسلامی یشهد بأن هذا النداء کان أول نداء تحدّی جبروت قریش و شرکها، و قد اطلقته حنجرة رجل غریب لا حامی له فی مکة و لا نصیر، و لا قوم و لا قریب.

و قد وقع ما توقّعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فما أن دوی صوت ابی ذر فی المسجد حتی قام إلیه رجال قریش، و هجموا علیه من کل جانب و ضربوه بشدة حتی صرع فأتاه العباس بن عبد المطلب فأکبّ علیه فی محاولة لانقاذه من الموت- بطریقة لطیفة- و قال: قتلتم الرجل یا معشر قریش! انتم تجار و طریقکم علی غفار، فتریدون ان یقطع الطریق، فأمسکوا عنه.

و نجحت محاولة «العباس» الانقاذیة، و کفّت قریش عن ابی ذر.

---

(۱) حلیة الأولیاء: ج ۱ ص ۱۵۸ و ۱۵۹، الطبقات الکبری: ج ۴ ص ۲۲۵، الاستیعاب: ج ۴ ص ۶۳، الاصابة: ج ۴ ص ۶۴، الدّرجات الرفیعة: ص ۲۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۹

و لکن أبا ذر الشاب الشجاع، و الطافح بالحیویة و الحماس عاد الیوم الثانی فصنع مثل ما صنعه فی الیوم الاول فضربوه حتی صرع، فأکب علیه العباس، و قال لهم مثل ما قال فی أول مرة فأمسکوا عنه.

(۱) و لا شک فی انه لو لم یکن العباس لما نجی أبو ذر من مخالف المشرکین فی اغلب الظن، و لکن أبا ذر لم یکن بذلک الرجل الذی یتراجع عن هدفه بسرعة، و لهذا بدأ جهاده من جدید.

ففی یوم رأی امرأة تطوف بالبیت، و تدعو ساف و نائلة (و هما صنمان لقریش) و تسألهما ان یقضیا لها حاجاتها، فانزعج أبو ذر من جهل تلک المرأة، و لکی یفهمها بانها تدعو صنمین لا یضران و لا ینفعان بل و لا یشعران قال: أنکحی أحدهما الآخر. فغضبت المرأة لقول ابی ذر فی الصنمین، و تعلقت به و قالت: أنت صابئ، فجاء فتیة من قریش فضربوه، و جاء ناس من بنی بکر فانقذوه منهم «۱».

(۲)

قبیلة غفار تعتنق الإسلام:

لقد أدرک رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله قابلیات تلمیذه و ناصره الجدید، و صلابته الخارقة فی مکافحة الباطل، و لکن حیث ان الوقت لم یکن یحن بعد للدخول فی مواجهة ساخنة مع المشرکین لهذا أمره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یلحق بقومه، و

یدعوهم إلی الإسلام، قائلا له: «الحق بقومک فاذا بلغک ظهوری فأتنی».

فعاد ابو ذر إلی قومه، و أخذ یدعوهم الی الإسلام و یکلمهم عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و یدعوهم الی نبذ الاصنام و عبادة اللّه الواحد، و التخلق بالاخلاق الرغیبة.

(۳) فاسلم أبواه، أولا، ثم اسلم نصف رجال قبیلته «غفار» ثم اختار البقیة الإسلام بعد هجرة النبی الی المدینة، ثم تبعتها قبیلة «أسلم» حیث وقدوا علی

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۴ ص ۲۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۰

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اعتنقوا الإسلام.

ثم التحق ابو ذر بعد معرکة بدر و احد برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المدینة و أقام فیها «۱».

و ربما کان إیذاء المشرکین للمسلمین المؤمنین برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتخذ طابع التهدید و الترهیب و ممارسة الضغط النفسی و الاقتصادی و الاجتماعی.

فقد کان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف و منعة أنّبه و أخزاه، و قال له: ترکت دین أبیک و هو خیر منک، لنسفّهنّ حلمک، و لنفیلنّ رأیک، و لنضعنّ شرفک.

و إن کان تاجرا قال له: لنکسدنّ تجارتک، و لنهلکنّ مالک.

و إن کان ضعیفا ضربه، و أغری به «۲».

و روی أیضا أن «خبّاب بن الارت» صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قینا بمکة یعمل السیوف و کان قد باع من «العاص بن وائل» سیوفا صنعها له حتی کان له علیه مال، فجاءه یتقاضاه، فقال یا خبّاب: أ لیس یزعم «محمّد» صاحبکم هذا الذی أنت علی دینه أن فی الجنة ما ابتغی أهلها من ذهب و فضه أو ثیاب أو خدم، قال خبّاب: بلی، قال: فأنظرنی الی یوم القیامة یا خبّاب حتی أرجع الی تلک الدار، فأقضیک هنالک حقک فو اللّه لا تکون و صاحبک یا خبّاب اشرّ عند اللّه منی!! «۳».

(۱)

أعداء النبی الألدّاء:

إن للتعرف علی أعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خصومه الالدّاء، و مواقفهم دورا هاما فی تحلیل جملة من حوادث التاریخ الإسلامی التی وقعت

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۴ ص ۲۲۱ و ۲۲۲ و ۲۲۶، الدرجات الرفیعة: ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و ص ۲۲۹ و ۲۳۰.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۲۰.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۱

بعد الهجرة النبویة.

و نحن نکتفی هنا بادراج اسماء طائفة منهم و نذکر شیئا من خصوصیاتهم.

(۱) ۱- «أبو لهب»: عم النبی صلّی اللّه علیه و آله، و قد کان جارا له صلّی اللّه علیه و آله، و هو الّذی لم یفتأ لحظة واحدة عن تکذیب

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ايذاء المسلمين.

(۲) ۲- «الأسود بن عبد يغوث» و كان أحد المستهزئين و كان إذا وجد مسلما فقيرا لا يحميه أحد قال مستهزءا: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى!! «۱».

و لم يمهله أجله ليرى بام عينيه كيف ورث المسلمون أرض كسرى و قيصر، و وطئوا عرشهما.

(۳) ۳- «الوليد بن المغيرة» شيخ قريش و حكيمها الذى كان يملك ثروة هائلة، و سوف نتحدث عنه و عن موقفه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الفصل القادم.

(۴) ۴- «اميّة» و «ابىّ» ابنا خلف، و قد مشى «ابى» هذا بعظم رميم الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم ففتّه فى يده ثم نفخه نحو النبى و قال: أ تزعم أن ربك يحيى هذا بعد ما ترى (أو بعد ما رمّ)؟ فنزل قول اللّه تعالى: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «۲».

و قد قتل ابنا خلف هذان فى بدر.

(۵) ۵- «أبو الحكم بن هشام» الذى سماه المسلمون لعناده و تعصّبه الجاهل ضدّ الإسلام بأبى جهل، و قد قتل هو الآخر فى بدر أيضا.

(۶) ۶- «العاص بن وائل» و هو والد «عمرو بن العاص»، و هو الذى وصف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالأبتر.

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۱۸.

(۲) بحار الأنوار. ج ۱۸ ص ۲۰۲، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۶۱ و ۳۶۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۲

(۱) ۷- «عاقبة بن أبى معيط» الذى كان من ألدّ اعداء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و أشدّ خصومه بغضا له صلّى اللّه عليه و آله، و كان لا يألو جهدا فى مضايقة المسلمين و لا يترك فرصة تمرّدون إيذائهم! «۱».

هؤلاء هم بعض أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المبالغين فى معاداته، و هناك غيرهم كأبى سفيان ممن ذكر المؤرخون خصوصياتهم كاملة فى مؤلفاتهم، و قد أعرضنا عن إدراجهم بأجمعهم هنا رعاية للاختصار.

(۲)

عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام:

لقد كان إسلام كل واحد من الذين أجابوا دعوة الرسول صلّى اللّه عليه و آله نابعا من سبب معيّن.

فربّما أدّت حادثة صغيرة إلى أن يعتنق فرد أو فريق الإسلام، و ينضمّوا إلى صفوف المسلمين.

و قد اتّسم السبب الذى آل الى إسلام عمر- من بين جميع تلكم الاسباب و العلل- بطرافة تقتضى التوقف عنده فى هذه الدراسة التاريخية التحليلية.

على أن التسلسل التاريخى، و التنظيم الوقائعى لاحداث الإسلام و ان كان يقتضى منا ان نأتى على ذكر هذه الحادثة بعد هجرة صحابة النبى صلّى اللّه عليه و آله الى الحبشة، إلّا أن الحديث حيث دار هنا حول صحابة النبى و كيفية اسلامهم و مواقفهم ناسب أن نشير هنا إلى كيفية إسلام الخليفة الثانى.

(۳) يقول ابن هشام: كان اسلام عمر- فى ما بلغنى- أن اخته بنت الخطاب و كانت عند «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل» و كانت قد أسلمت و أسلم بعلها «سعيد بن زيد»، و هما مستخفيان باسلامهما من عمر (و هؤلاء هم كل من اسلم من آل الخطاب) و كان خبّاب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن.

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴۷ و ۵۱، و راجع أیضا: أسد الغابة، و الاصابة و الاستیعاب و غیرها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۳

و کان «عمر» الذی کانت بینه و بین المسلمین علاقات جدا سیئة «۱» قد أزعجه ما أصاب المجتمع المکی من تشتّت و فرقة، و ما لحق بقریش من المتاعب أثر ظهور الإسلام، من هنا عزم علی أن یقضی علی علة هذا الأمر باغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الفتک به.

فخرج یوما متوشحا سیفه یرید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رهطا من أصحابه و قد ذکروا له أنهم قد اجتمعوا فی بیت عند الصفا و هم قریب من أربعین ما بین رجال و نساء، و مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمّه «حمزة» بن عبد المطلب و «ابو بکر» و «علی بن ابی طالب» فی رجال من المسلمین یحفظونه و یحرسونه.

یقول «نعیم بن عبد اللّه» و قد کان صدیقا حمیما لعمر: لقیت عمرا و هو متوشح سیفا و یرید مکانا فقلت له: أین ترید یا عمر؟

فقال: ارید محمّدا هذا الصابئ الذی فرّق فی أمر قریش، و سفّه أحلامها و عاب دینها، و سبّ آلهتها، فأقتله.

فقال له نعیم: و اللّه لقد غرّتک نفسک من نفسک یا عمر، أ تری بنی عبد مناف تارکیک تمشی علی الأرض و قد قتلت محمّدا! أ فلا ترجع إلی اهل بیتک فتقیم أمرهم؟

قال: و أی أهل بیتی؟

قال: ختنک و ابن عمک «سعید بن زید» و اختک «فاطمة بنت الخطاب» فقد و اللّه أسلما، و تابعا محمّدا علی دینه فعلیک بهما.

فأغضب هذا النبأ عمر بشدة فانصرف عن الهدف الذی کان یرمی إلیه و عاد من توّه إلی بیت اخته، فدخل علی اخته و ختنه و عندهما «خبّاب بن الأرت» معه صحیفة فیها سورة «طه» یقرئهما إیاها، فلما سمعوا حسّ «عمر» تغیّب «خبّاب» فی مخدع لهم، أو فی بعض البیت، و اخفت «فاطمة بنت

(۱) راجع السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۴۲- ۳۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۴

الخطاب» الصحیفة، و کان «عمر» قد سمع حین دنا الی البیت قراءة «خبّاب» علیهما، فلما دخل قال: «ما هذه الهینمة «۱» التی سمعت؟

قالا له: ما سمعت شیئا.

قال: بلی و اللّه، لقد اخبرت أنکما تابعتما محمّدا علی دینه.

و بطش بختنه «سعید بن زید» فقامت إلیه اخته «فاطمة بنت الخطاب» لتکفّه عن زوجها فضربها فشجّها.

فلما فعل ذلک قالت له اخته و ختنه: نعم قد اسلمنا و آمنّا باللّه و رسوله، فاصنع ما بدا لک.

فلما رأی «عمر» ما باخته من الدّم ندم علی ما صنع، فارعوی و رجع، و قال لاخته: اعطینی هذه الصحیفة التی سمعتکم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذی جاء به محمّد؟.

فلما قال ذلک قالت له اخته: إنّا نخشاک علیها. قال: لا تخافی و حلف لها بآلهته لیردّنّها إذا قرأها، إلیها.

فلما قال ذلک طمعت فی اسلامه، فقالت: یا أخی، إنک نجس علی شرککک و انّه لا یمسّها إلّا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحیفة و فیها آیات من سورة «طه» هی:

طه. ما أنزلنا علیک القرآن لتشقی. إلّا تذکرة لمن یخشی. تنزیلا ممّن خلق الأرض و السماوات العلی. الرّحمن علی العرش استوی. له ما فی السماوات و ما فی الأرض و ما بینهما و ما تحت الثری. و إن تجهر بالقول فانّه یعلم السرّ و أخفی «۲».

و لقد ترکت هذه الآیات المحکمة الفصیحة البلیغة تأثیرا شدیدا فی نفس عمر فقال: ما احسن هذا الکلام؟

و قرر الرجل، الذی کان قبل ثوان عدوّ الإسلام الأول، أن یغیّر موقفه،

---

(۱) الهینمة صوت کلام لا یفهم.

(۲) طه: ۱- ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۵

فتوجه من توّه إلی البیت الذی ذکر له أنّ فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جماعة من أصحابه و هو متوشح سیفه، فضرب علیهم الباب، فلمّا سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السیف فرجع الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو فزع و أخبر النبی صلّی اللّه علیه و آله بما رأی، فقال حمزة: فائذن له، فان جاء یرید خیرا بذلناه له، و إن کان یرید شرا قتلناه بسیفه.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ائذن له، فأذن له الرجل، و نهض إلیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی لقیه فی الحجرة، فأخذ حجزته (و هو موضع شد الإزار) أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذه شدیدة، و قال: ما جاء بک یا ابن الخطاب فو اللّه ما أری تنتهی حتی ینزل اللّه بک قارعة؟!

فقال عمر: یا رسول اللّه جئتک لاؤمن باللّه و برسوله و بما جاء من عند اللّه.

و هکذا اسلم «عمر» عند رسول اللّه و أصحابه و انضوی إلی صفوف المسلمین.

ثم ان ابن هشام روی روایة اخری فی کیفیة اسلام عمر من أراد الوقوف علیها راجعها فی السیرة النبویة «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۴۳- ۳۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۷

(۱)

۱۶ رأی قریش فی القرآن

اشارة

ان البحث حول حقیقة الاعجاز القرآنی أمر خارج عن اطار هدفنا فی هذا الکتاب فذلک متروک إلی الکتب الاعتقادیة و الکلامیة.

و لکن الأبحاث التاریخیّة تهدینا الی أن القرآن الکریم کان من أکبر و أقوی اسلحة الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله بحیث خضع أمام فصاحته البالغة و حلاوة کلماته و قوة آیاته، و عباراته، اساتذة الفصاحة و البلاغة و امراء البیان و الکلام، و عمالقة الکتابة و الخطابة. و اعترفوا برمّتهم، و قضّهم و قضیضهم بأنّ القرآن الذی جاء به محمّد یحتل أعلی مکان فی الفصاحة و البلاغة، و أنّ مثل هذا الحدیث لم یعرفه البشر و لم یعهد له التاریخ الانسانی نظیرا.

فلقد کانت جاذبیّة «القرآن الکریم» و تأثیر حدیثه بحیث ترتعد عند استماع آیاته فرائص أعدی اعدائه، و ربما انهارت قواه، فبقی مدة طویلة، لا یقوی علی حراک، و لا یملک فعل شیء.

و فیما یلی نذکر بعض النماذج فی هذا المجال:

(۲)

حکم الولید فی القرآن:

کان «الولید بن المغیرة» ممن یرجع إلیه العرب لحل الکثیر من مشاکلها،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۸

و کان ذا سنّ، و ثروة کبیرة فیهم.

و عند ما واجهت قریش مشکلة ظهور الإسلام و انتشاره فی القبائل مشی فریق منهم إلی الولید یلتمسون منه حلا لهذا الأمر الذی بات یهدّد کیان الزعامة المکیّة الجاهلیة، و طلبوا منه أن یبیّن رأیه فی القرآن الکریم و قالوا: هل هو سحر أم کهانة أم حدیث قد حاکه بنفسه.

فاستنظرهم «الولید» لیعطی رأیه فیه بعد أن یسمع شیئا من القرآن، فأتی الی الحجر حیث کان یجلس النبیّ، و یتلو القرآن، فقال: یا محمّد أنشدنی شعرک.

(۱) فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ما هو بشعر، و لکنّه کلام اللّه الذی به بعث انبیاءه و رسله.

فقال: اتل علیّ منه، فقرأ علیه رسول اللّه:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم».

فلما سمع: الرحمن، استهزأ فقال: تدعو إلی رجل بالیمامة یسمی بالرحمن؟

قال. لا، و لکنی أدعو إلی اللّه و هو الرحمن الرحیم ثم افتتح سورة «حم السجدة» فلما بلغ إلی قوله تعالی:

«فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ».

و سمعه الولید، فاقشعر جلده، و قامت کل شعرة فی رأسه و لحیته، ثم قام و مضی إلی بیته و لم یرجع الی قریش.

فقالت قریش: یا ابا الحکم صبا ابو عبد شمس إلی دین محمّد، أ ما تراه لم یرجع إلینا و قد قبل قوله، و مضی إلی منزله.

فاغتمت قریش من ذلک غما شدیدا و غدا علیه ابو جهل فقال: یا عم نکّست رءوسنا و فضحتنا.

قال: و ما ذاک یا ابن أخی؟

قال: صبوت الی دین محمّد.

قال: ما صبوت و انی علی دین قومی و آبائی، و لکنی سمعت کلاما صعبا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۹

تقشعر منه الجلود فقال أبو جهل: أشعر هو؟

قال: ما هو بشعر.

قال: فخطب هی؟

قال: لا و ان الخطب کلام متصل، و هذا کلام منثور، لا یشبه بعضه بعضا، له طلاوة.

قال: فکأنه هی؟

قال: لا.

قال: فما هو؟

قال: دعنی افکر فیه.

فلما کان من الغد، قالوا: یا ابا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فانه أخذ بقلوب الناس فأنزل اللّه سبحانه فیه:

«ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِینَ شُهُوداً» الی قوله: «علیها تسعة عشر» «۱» «۲».

(۱)

نموذج آخر [من حكم البلغاء فى شأن القرآن]:

كان «عتبة بن ربيعة» من كبراء قريش و اشرافها، و يوم أسلم «حمزة» و أصبح أصحاب رسول اللّه يزيدون و يكثرون اغتمّت قريش كلّها، و خشى زعماء المشركين ان ينتشر الإسلام اكثر من هذا فقال عتبة و هو جالس فى نادى قريش يوما، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش أ لا أقوم الى «محمّد» فاكلّمه و أعرض عليه امورا لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟

---

(۱) المدثر: ۱۱- ۳۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۷ ص ۲۱۱ و ۲۱۲، إعلام الورى بأعلام الورى: ص ۴۱ و ۴۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۰

فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلّمه.

(۱) فقام إليه «عتبة» حتى جلس الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال:

يا ابن أخى إنك منّا حيث ما قد علمت من الشرف فى العشيرة و المكان فى النسب، و انك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم، و دينهم، و كفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قل يا أبا الوليد اسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا، و ان كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتيك رئيّا (و هو ما يتراءى للناس من الجنّ) تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ، و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ «عتبة»، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يستمع منه قال: أ قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم قال: فاسمع منّى؛ قال: افعل، قال:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ» «۱».

ثم مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه «عتبة» أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه و بقى على هذه مدة من الزمن صامتا و كأنه قد سلب قدرة النطق، ثم انتهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى السجدة فسجد ثم قال.

«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك».

---

(۱) فصلت: ۱- ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۱

(۱) فقام «عتبة» الى أصحابه و قد تغيّرت ملامحه فقال بعضهم لبعض: نحلف باللّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به!! فلما جلس إليهم قالوا:

ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائی انی قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط، و اللّه ما هو بالشعر، و لا بالسحر، و لا بالکهانة، یا معشر قریش، أطیعونی و اجعلوها بی، و خلّوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فو اللّه لیکوننّ لقوله هذا الذی سمعت منه نبأ عظیم، فان تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و ان یظهر علی العرب فملکه ملککم، و عزه عزّکم، و کنتم أسعد الناس به.

فانزعجت قریش من مقالة «عتبة» هذا و سخرت به و قالت: سحرک و اللّه یا أبا الولید بلسانه!!

قال: هذا رأیی، فاصنعوا ما بدا لکم «۱».

هذان نموذجان من رأی کبار فصحاء العرب فی العهد الجاهلیّ، فی القرآن الکریم.

علی أن هناک أمثلة و نماذج اخری کثیرة فی هذا المجال.

(۲)

تحججات قریش العجیبة:

اجتمع «عتبة بن ربیعة»، و «شیبة بن ربیعة» و «أبو سفیان بن حرب»، و «النضر بن الحارث»، و «أبو البختری»، و «الولید بن المغیرة»، و «ابو جهل» و «العاص بن وائل» و غیرهم بعد غروب الشمس عند ظهر الکعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الی «محمّد» فکلّموه، و خاصموه حتی تعذروا فیه، فبعثوا إلیه؛ فجاءهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سریعا و هو یظن أن قد بدا لهم فیما کلّمهم فیه بداء و انهم قد غیّروا مواقفهم، و کان یحبّ رشدهم و هدایتهم حتی جلس إلیهم.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۹۳ و ۲۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۲

فقالوا له: یا محمّد إنّا قد بعثنا إلیک لنکلّمک، و انّا و اللّه ما نعلم رجلا من العرب أدخل علی قومه مثل ما أدخلت علی قومک لقد شتمت الآباء، و عبت الدّین، و شتمت الآلهة ... و مضوا یعددون أمورا من هذا القبیل ثم اقترحوا علیه امورا ذکرها اللّه تعالی بتمامها فی الآیة ۹۰ إلی ۹۳ من سورة الإسراء حیث یقول حاکیا عن لسانهم:

«و قالوا لن نؤمن لک حتی ۱- تفجر لنا من الأرض ینبوعا.

۲- أو تکون لک جنّة من نخیل و عنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجیرا.

۳- أو تسقط السماء کما زعمت علینا کسفا.

۴- أو تأتی باللّه و الملائکة قبیلا.

۵- أو یکون لک بیت من زخرف.

۶- أو ترقی فی السماء و لن نؤمن لرقیّک حتّی تنزّل علینا کتابا نقرؤه»!!

(۱) و حیث أنّ مضمون هذه الآیات هو عدم تلبیة النبیّ لمطالب قریش حیث قال: «قل سبحان اللّه ربّی هل کنت إلا بشرا رسولا» قد تذرع به المستشرقون للایقاع بالرسالة المحمّدیة لذلک نعمد هنا إلی توضیح مفاد هذه الآیات و العلل المنطقیّة لعدم تلبیة النبیّ مطالب قریش و مقترحاتهم.

الجواب: إنّ الأنبیاء لا یأتون بالمعاجز فی کل ظرف و زمان، فإن للاعجاز شروطا خاصة لم تتوفر فی هذه الاقتراحات، و هذه الشروط هی:

(۲) أولا: أن لا تکون المعجزة من الامور المستحیلة التی لا یمکن تحقّقها، فإنّ مثل هذه الامور خارجة عن إطار القدرة، و لا تتعلق بها مشیئة اللّه تعالی و لا مشیئة أیّ صاحب إرادة مطلقا.

و علی هذا الأساس إذا طلب الناس من النبیّ أمرا محالاً فقوبل طلبهم بعدم الاهتمام من قبل النبیّ لم یکن ذلک دلیلا علی إنکار صدور المعجزة علی أیدی الأنبیاء قط.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۳

(۱) و هذا الشرط لم یکن متوفرا فی بعض مقترحات المشرکین المذکورة (المقترح الرابع) فانهم طلبوا من النبی صلّی اللّه علیه و آله ان یأتی لهم باللّه سبحانه و تعالی لیقابلوه وجها لوجه، و یروه جهرة و من قریب، و رؤیة اللّه تعالی امر محال، لأن رؤیته تستلزم أن یکون سبحانه محدودا بالزمان و المکان، و أن یکون جسما و ذلون و صورة و هو تعالی منزه عن المادّة و لوازم المادیة.

بل حتی مقترحهم الثالث لو کان المقصود منه أن تسقط السماء علیهم (لا أن تسقط قطعة من الصخر علی رءوسهم و تقتلهم) فان ذلک هو أیضا من المحالات إذ أن المشیئة الالهیة تعلّقت بان یفعل اللّه هذا فی نهایة العالم، و النبی صلّی اللّه علیه و آله کان قد أخبر المشرکین بهذا الأمر أیضا کما یدل علیه قولهم:

«کما زعمت».

إنّ انهدام المنظومة الشمسیّة و تبعثر النجوم و تساقطها و إن لم یکن فی حد ذاته بالأمر المحال، و لکنّه- حسب المشیئة الإلهیة الحکمیة و إرادته النافذة القاضیة بأن یستمر النوع البشری، و یصل إلی مرحلة الکمال- یعدّ محالا، و لا یمکن أن یفعل حکیم خلاف ما یقتضیه هدفه و غایته.

(۲) ثانیا: حیث أنّ الغایة المنشودة من اقتراح و طلب الإعجاز هو أن یستدلّ به علی صدق دعوی النبیّ، و صحة انتسابه الی اللّه، و بالتالی یکون بدافع تحصیل سند علی ارتباطه بالعالم ما فوق الطبیعة، لذلک فان أیّ اقتراح و مطالبة بالمعجزة لا تتوفر فیها هذه الصفة یعنی علی فرض أن یلبیّ النبی طلبهم و یاتی لهم بالمعجزة لا یکون ذلک دلیلا علی ارتباطه بعالم الغیب، فحینئذ لا معنی و لا موجب لأن یقوم النبیّ بما لا یرتبط بشئونه و لا یخدم هدفه.

و قد کانت بعض مقترحات المشرکین المذکورة من هذا النوع، و ذلک مثل تفجیر ینبوع من الأرض، أو أن تکون له جنّة من نخیل و عنب، أو أن یکون له بیت من زخرف و ذهب، فان مثل هذه الامور لا تدل علی نبوّة من یمتلکها إذ ما اکثر الذین یمتلکون واحدة من هذه الأشیاء و لیسوا مع ذلک بأنبیاء، بل ربما یملکون اکثر من ذلک، و مع ذلک لا یشم فیهم رائحة الایمان فضلا عن النبوة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۴

فاذا لم ترتبط هذه الأشیاء بمقام النبوّة، و لا تکون دلیلا علی صدق من یدّعیها کان الإتیان بها أمرا لغوا و عبثا تعالی عنه مقام النبوّة، و جلّت عنه منزلة الأنبیاء.

(۱) و قد یقال: إن هذه الاشیاء «۱» لا تدل علی صدق دعوی النبی إذا حصلت عن طریق الأسباب العادیة، و لکنّها لو حصلت بصورة غیر عادیّة و لا متعارفة کانت و لا شک من المعاجز الالهیة، و دلت علی صدق النبی و صحة دعواه.

و لکنّ الظاهر أن هذه فکرة باطلة لان المشرکین کانوا یهدفون من اقتراحاتهم هذه أن یکون النبی صاحب مال و ثروة، فقد کانوا یستبعدون أن یکون نبیّ اللّه و رسوله فقیرا لا یملک شیئا من الثروة المال، و کانوا یعتقدون انّ الوحی الالهی یجب أن ینزل علی رجل غنیّ ذی طول و حول، و لذلک قالوا مستغربین و مستنکرین:

«وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ» «۲»؟!!

أی لما ذا لم ینزل هذا القرآن علی رجل ثریّ من مکة أو الطائف.

و ممّا یدلّ علی أن الهدف کان هو أن یملک النبی مثل هذه الامور بأی طریق کان، و لو بالطریق العادیّ أنهم کانوا یریدون هذه الاشیاء للنبیّ نفسه إذ قالوا:

«أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» «۳».

(۲) و بعبارة اخری: کانوا یقولون إذا أنت لا تمتلک بستانا أو بیتا من ذهب فاننا لن نؤمن لک!!

و لو کان الهدف هو أن یحصل هذان الأمران بواسطة القدرة الغیبیة لم یکن وجه حینئذ لقولهم: ما لم یکن «لک» بیت من زخرف، فاننا نؤمن بک بل کان یکفی أن یقولوا: إذا لم تحدث و توجد بیتا و جنّة فاننا لن نؤمن لک.

---

(۱) أی الامور الثلاثة المقترحة الینبوع و الجنة و البیت من ذهب.

(۲) الزخرف: ۳۱.

(۳) الاسراء: ۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۵

أمّا قولهم فی مطلع اقتراحاتهم: «تفجّر لنا من الأرض ینبوعا» فان مقصودهم لم یکن هو أن یستخرج لهم بالاعجاز ینبوعا لینتفعوا به، بل یفعل ذلک لکی یؤمنوا به.

(۱) ثالثا: ان المقصود من المعجزة هو الاهتداء فی ضوئها إلی صحّة دعوی النبیّ و صدق مقاله، و الإیمان بمنصبه، و الاعتقاد بمقامه، و علی هذا إذا کان بین المقترحین للمعجزة من یکون الاتیان له بالإعجاز سببا لإیمانه بالنبیّ، فحینئذ کان الاتیان بالمعجزة و تلبیة اقتراحه أمرا مستحسنا، و غیر مقبوح عقلا.

أما إذا کان المقترحون. یقترحون عنادا و لجاجا، أو یطلبون ما یطلبونه لهوا و تسلیة کما یفعل الناس مع السحرة و المرتاضین فان منزلة الأنبیاء أجلّ- حینئذ- من أن یلبیّ مثل هذه المقترحات، و یستجیب لمثل هذه المطالب، و قد کانت بعض اقتراحات المشرکین من هذا النمط.

فان مطالبتهم بأن یصعد النبیّ الی السماء، أو أن ینزل من السماء کتابا یقرءونه لم یکن بهدف اکتشاف الحقیقة لأنهم لو کانوا ممن یهدف الوصول الی الحقیقة فلما ذا لم یکتفوا بمجرّد صعوده الی السماء بل کانوا یصرّون علی أن یضمّ أمرا آخر إلی عروجه و صعوده (و هو أن ینزّل معه کتابا)!!

(۲) ثم انه یستفاد من آیات اخری، غیر هاتین الآیتین أیضا، أنهم کانوا سیعاندون، و یصرون علی کفرهم حتی بعد نزول الکتاب علیهم من السماء کما یصرح بذلک قوله تعالی:

«وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَیْکَ کِتاباً فِی قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَیْدِیهِمْ لَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ» «۱».

فمن غیر المستبعد أن یکون الکتاب المنزّل فی قرطاس إشارة إلی اقتراح المشرکین الذی جاء ضمن آیات سورة الاسراء ای قولهم: «أَوْ تَرْقی فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ» «۲» فقال اللّه سبحانه: حتّی لو

---

(۱) الانعام: ۷.

(۲) الأسراء: ۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۶

فعلنا لهم ذلک لکفروا، و احجموا عن الإیمان.

(۱) رابعا: إنّ طلب المعجزة إنّما هو لأجل أن یستتبع الاتیان بها الإیمان بالرسالة و الانضمام الی صفوف المؤمنین، فاذا کانت نتیجة المعجزة هی إباء المقترحین استلزم ذلک نقض الغرض المنشود من المعجزة، و انتفاء فائدتها.

فاذا کان المقصود من سقوط السماء علیهم، هو نزول الصخور السماویة لابادتهم فان هذا الطلب لا یتفق أبدا مع هدف الإعجاز و هو من أوضح مصادیق نقض الغرض.

(۲) و بالتالی ینبغی أن نـذکّر بنقطـة و هی: أنّ النبی صـلّی اللّه علیه و آله- علی خلاف ما تصوّر المسـتدلّون بهـذه الآیـة علی نفی أیة معجزه لرسول الإسـلام- لم یصف نفسه بـالعجز و عـدم القـدرة علی الاتیـان بـالمعجزة بل أفاد بقوله: «سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» «۱» أمرین:

(۳) ۱- تنزیه اللّه، فهو بقوله: «سبحان ربّی» نزّه اللّه تعالی عن کل عجز و نقص کما نزّهه عن الرؤیـة و وصـفه بالقدرة علی کل شـیء ممکن.

(۴) ۲- محدودیّـة قـدرة النبیّ، إذ بقوله صـلّی اللّه علیه و آله: «هل کنت إلا بشـرا رسولا» أفاد بأنه امرئ مأمور لا أکثر و أنه مطیع لأمر اللّه و إرادته فهو یأتی بما یرید ربّه، و الأمر إلی اللّه کله، و لیس للنبیّ أن یلبّی أی طلب و اقتراح بارادته.

و بعبارة اخری: ان الآیة رکّزت فی مقام الجواب علی طلبهم بعد تنزیه اللّه عن العجز و الرؤیة علی کلمتی: «البشـر و الرسول» و الهدف هو انه: إذا أنتم قد طلبتم هذه الامور منّی من جهة إننی بشر، کان طلبکم هذا طلبا غیر صحیح، لأن هذه الامور تحتاج إلی قدرة إلهیة.

و إن طلبتموهـا منّی من جهـة انی نبیّ رسول فان النبی و الرسول ما هو إلّا إمرئ مأمور یفعل ما یاذن به اللّه، و لیس له ان یفعل ما یشاء هو دون إرادة اللّه تعالی.

---

(۱) الأسراء: ۹۳.

و بهذا اتضح أن هذه الآیات لا تدلّ علی ما استدل به النافون لمعاجز النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و کان ممّا تحججت به قریش علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّهم قالوا:

لو کان محمّـدا نبیّا لشـغلته النبوة عن النساء و لأمکنه جمع الآیات (ای لأتته الآیات دفعـة واحدة) و لأمکنه منع الموت عن أقاربه و لما مات أبو طالب و خدیجة فنزل قوله تعالی:

«وَ لَقَـدْ أَرْسَـلْنا رُسُـلًا مِنْ قَبْلِـکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّیَّةً وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَـةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ. یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ. وَ إِنْ ما نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَیْنَا الْحِسابُ».

و بذلک ردّ علیهم «۱» «۲».

(۱)

الدوافع وراء معاداة قریش و عنادهم:

اشارة

هـذا القسم هو احـدی النقاط الجـدیرة بالدراسة فی تاریخ الإسـلام، لأن المرء قد یسائل نفسه: لما ذا تری کانت قریش تعارض رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله أشدّ المعارضة رغم أنها کانت تعتبره الصادق الأمین و لم تعهد منه انحرافا أو خطأ قط و کانت تسـمع کلامه الفصیح البلیغ الذی یأسر القلوب، و ربما شاهدوا حدوث بعض الخوارق للعادة، الخارجة عن حدود القوانین الطبیعیة علی یدیه.

إن لهذا التمرد و المعارضة الی علة او علل عدیدة هی:

(۲)

۱- حسدهم للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

لقد عارض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خالفه فریق ممن عارضه بسبب

---

(۱) الرعد: ۳۸- ۴۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۷ عن المناقب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۸

حسدهم له، فقد کانوا یتمنّون أن یکونوا هم صاحب هذا المنصب، و صاحب هذه المنزلة.

فقد قال المفسّرون عند قوله تعالی: «وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ» «۱» أن «الولید بن المغیرة» قال: أ ینزّل علی محمّد و اترک و أنا کبیر قریش و سیّدها و یترک «ابو مسعود عمرو بن عمیر الثقفی» سید ثقیف و نحن عظیما القریتین فأنزل اللّه تعالی فیه الآیة «۲».

و روی انه قال: و اللّه لو کانت النبوّة حقا لکنت أولی بها منک لأنّنی اکبر منک سنا و أکثر منک مالا «۳».

(۱) و کان «امیّة بن أبی الصلت» من الذین کانوا یقولون هذا الکلام حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان یتمنی کثیرا أن ینال هو هذا المقام و یخطی بهذا المنصب العظیم، و لم یتبع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی آخر حیاته، و کان یؤلّب الناس علیه.

و قد سأل «الاخنس بن شریق»- و هو من أعداء رسول اللّه- أبا جهل یوما:

یا ابا الحکم ما رأیک فیما سمعت من «محمّد»؟

فقال: ما ذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطینا حتی إذا تجاذبنا علی الرکب، و کنا کفرسی رهان، قالوا: منّا نبیّ یأتیه الوحی من السماء، فمتی تدرک مثل هذه، و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدّقه «۴».

هذه النماذج تظهر الحسد الذی کان یحول بین زعماء قریش و ساداتها و بین اتّباع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تصدیقه، فعتوا علی اللّه و ترکوا أمره عیانا، و لجّوا فیما هم علیه من الکفر، و هناک نماذج و أمثلة اخری سجّلتها صفحات التاریخ أعرضنا عن إدراجها هنا.

---

(۱) الزخرف: ۳۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۱.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۳۵.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۵ و ۳۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۹

(۱)

۲- معارضة الدعوة الإسلامیة لشهواتهم:

و کان لهذا العامل الأثر الاکبر فی عتو قریش و معارضتها لدعوة النبی صلّی اللّه علیه و آله لأنهم کانوا أصحاب لهو و لعب، و فسق و مجون، و مثل هؤلاء الذین أمضوا سنوات عدیدة علی هذا النحو، دون ان یقیّدهم شیء من الحدود و القیود، وجدوا دعوة النبی صلّی

اللّه علیه و آله تخالف عادتهم القدیمة، و کان ترک مثل تلک العادة التی تتفق مع أهوائهم و رغباتهم النفسیّة أمرا یلازم النصب و العناء و الجهد.

(۲)

۳- الخوف من عقوبات الیوم الآخر:

إن سماع آیات العذاب التی تنذر الفسقة و الظالمین و توعدهم بالعقوبات الثقیلة ارعب قلوبهم، و أقلق نفوسهم بشدة.

فعند ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتلو الآیات المتعلّقة بیوم القیامة و أوضاعه، و قضایاه فی الاجتماعات و الاماکن العامة، کان یحدث بذلک ضجة کبری فی أوساطهم، فیهدم مجالس لهوهم، و انسهم.

إنّ العربی الذی کان یسلّح نفسه بکل ما استطاع من سلاح لیدفع عن نفسه أی خطر محتمل، و یعمد الی ممارسة القرعة و یتعاطی الانصاب و الازلام لیحصل علی لقمة عیشه، و یتفأل بالأحجار، و یتطیّر و یتشاءم بالطیور و یستدلّ بحالاتها علی حوادث وقعت أو تقع، لم یکن علی استعداد لأن یهدأ من دون ان یحصل علی ضمان بعدم التعرض لما یخبر عنه «محمّد» من عذاب و عقاب!!

من هنا کانوا یحاربون النبی صلّی اللّه علیه و آله و یخالفونه حتی لا یسمعوا وعده و وعیده.

و إلیک بعض الآیات التی کانت تقلق بشدة نفوس المترفین من قریش:

«فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ. یَوْمَ یَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ. وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ. وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِیهِ. لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ» «۱».

---

(۱) عبس: ۳۳- ۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص: ۴۴۰

و بینما کانوا یمدّون موائد اللهو و الشراب فی ظلال الکعبة و یحتسون کئوس الخمر کانوا فجأة یسمعون هذه الآیة:

«کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ». «۱»

فتلقی فی نفوسهم رعبا عجیبا، و ینتابهم الاضطراب الشدید حتی أنهم کانوا یلقون بکؤوس الخمر جانبا و یتملکهم خوف شدید لم یعرفوا له مثیلا.

(۱)

۴- الخوف من القبائل العربیة المشرکة:

قال «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انا لنعلم أنّ قولک حق و لکن یمنعنا أن نتبع الهدی و نؤمن بک مخافة أن یتخطفنا العرب من أرضنا (إن ترکنا الوثنیة التی تدین بها و یعتبروننا سدنة لأوثانها) و لا طاقة لنا بها. فنزل قوله تعالی یرد علیهم:

«وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدی مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا» «۲» «۳».

و هکذا کان تخوّف قریش من العرب إن هی ترکت ما کان علیه العرب من الوثنیة و الشرک أحد الاسباب لعتوهم و إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامیة.

(۲)

طائفة من اعتراضات المشركين:

و ربما اعترض المشركون على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قائلين: إن هذه الارض ليست بأرض الأنبياء، و إنما ارض الأنبياء الشام فات الشام «۴».

و كان اكثر المشركين يقولون- و ذلك بوحى من اليهود- لما ذا لا ينزل القرآن على «محمّد» دفعة واحدة كالتوراة و الانجيل فحكى القرآن الكريم اعتراضهم

---

(۱) النساء: ۵۶.

(۲) القصص: ۵۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۳۶.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۱

هذا بنصه اذ قال:

«وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً».

ثم قال تعالى ردّا على اعتراضهم هذا:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۱».

إن القرآن يهتم بهذا الاعتراض، و يوضح مسألة «النزول التدريجى» للقرآن الكريم و يقطع الطريق على المستشرقين المغرضين و من حذى حذوهم، بمنطقه المحكم، و بيانه القوىّ.

و ها نحن نعمد هنا الى إعطاء شىء من التوضيح لهذه المسألة أيضا:

(۱)

القرآن و النزول التدريجىّ:

إن التاريخ القطعىّ لنزول القرآن و كذا مضامين آيات سوره تشهد بأن آيات القرآن الكريم و سوره نزلت تدريجا.

فبمراجعة فاحصة لأوضاع مكة، و المدينة يمكن تمييز المكىّ من هذه الآيات عن مدنيّها.

فالآيات التى تتحدث عن مكافحة الشرك و الوثنية و دعوة الناس الى اللّه الواحد، و الإيمان باليوم الآخر مكيّة، بينما تكون الآيات التى تدور حول الأحكام و تحثّ على الجهاد و القتال مدنيّة، ذلك لأنّ الخطاب فى البيئة المكيّة كان موجّها الى المشركين عبدة الاوثان الذين كانوا ينكرون توحيد اللّه، و اليوم الآخر، فهنا تكون الآيات التى تتحدث حول هذا الموضوع قد نزلت فى هذه البيئة.

(۲) فى حين كان الخطاب فى المدينة المنورة موجّها إلى المؤمنين باللّه، و الى جماعة اليهود و النصارى، و كان الجهاد و القتال فى سبيل إعلاء كلمة اللّه هو الأعمال المهمّة التى بدأها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و واصلها فى هذه البيئة، من هنا تكون الآيات التى تتضمن الحديث حول الاحكام و الفروع و القوانين، و يدور

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۲

الحدیث فیها أیضا حول عقائد الیهود و النصاری و مواقفهم و تتضمن الحثّ- کذلک- علی الجهاد و القتال و التضحیة فی سبیل اعلاء کلمة اللّه و إعزاز دینه، آیات مدنیّة.

(۱) إنّ کثیرا من الآیات ترتبط ارتباطا وثیقا بالحوادث التی وقعت فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و هذه الحوادث هی التی تشکّل ما یسمّی بشأن أو أسباب النزول التی یکون الوقوف علیها موجبا لفهم مفاد الآیة، و اتّضاح مفادها، فان وقوع هذه الحوادث کان سببا لنزول آیات فیها بالمناسبة.

علی أن بعض الآیات الاخری نزلت جوابا علی أسئلة الناس، و لرفع حاجاتهم فی المجالات المختلفة.

و البعض الآخر منها نزلت لبیان المعارف و الأحکام الالهیة.

و لهذه الاسباب یمکن القول بان القرآن الکریم نزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تدریجا لتدرّج موجبات النزول.

و قد صرّح القرآن و الکریم بهذا الأمر أیضا فی بعض المواضع اذ قال:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ» «۱».

(۲) و هنا ینطرح هذا السؤال و هو: لما ذا لم تنزل آیات القرآن کلها علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جملة واحدة، و دفعة واحدة کما حدث ذلک للتوراة و الإنجیل من قبل؟!

إنّ هذا السؤال لم یکن جدیدا بل طرحه أعداء النبی صلّی اللّه علیه و آله و معارضوه فی عصر الرسالة فی صورة الاعتراض أیضا حیث کانوا یقولون:

«لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً» «۲».

(۳) و یمکن تقریر و شرح هذا الاعتراض علی نحوین:

(۴) ۱- إذا کان الإسلام دینا إلهیا، و کان القرآن کتابا سماویا منزلا من جانب اللّه علی رسوله، فلا بدّ أن یکون دینا کاملا، و مثل هذا الدین الکامل

---

(۱) الاسراء: ۱۰۶.

(۲) الفرقان: ۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۴۳

یجب أن ینزل بواسطة ملائکة الوحی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جملة واحدة من دون تدرّج و لا توقف فی نزول الآیات، اذ لا- مبرّر و لا داعی لأن ینزل دین کامل من جمیع الجهات، مکمّل من حیث الأصول و الفروع و التشریعات و الواجبات و السنن، علی نحو التدریج فی ۲۳ عاما، و لمناسبات مختلفة.

و حیث أن القرآن نزل منجّما، و بصورة متفرقة متناثرة، و عقیب طائفة من الأسئلة، أو وقوع حوادث و طروء حاجات فی أزمنة مختلفة یمکن الحدس بان هذا الدین لم یکن کاملا من حیث الأصول و الفروع، و هو یتدرّج فی التکامل و مثل هذا الدین الناقص الذی یسیر نحو کماله خطوة خطوة و بالتدریج لا یصح أن یوصف بالدین الالهیّ.

(۱) ۲- إن آیات القرآن و التاریخ القطعی و المسلّم للتوراة و الإنجیل و الزّبور تحکی جمیعها عن أن هذه الکتب السماویة اعطیت إلی المرسین بها فی ألواح مکتوبة مدوّنة، فلما لم ینزل القرآن الکریم علی هذا الغرار، کأن ینزل القرآن علی «محمّد» فی لوح مکتوب کما نزل التوراة فی الواح مکتوبة؟!

و حیث أن المشرکین لم یکونوا یعتقدون بهذه الکتب السماویة قط، و لم یکن لهم علی علم مسبق بکیفیة نزولها، لذا یمکن القول بان مقصودهم من هذا الاعتراض کان هو الشکل الأول من هذا التوضیح، و الذی یتلخص فی أنه لما ذا لم ینزّل ملائکة الوحی آیات

القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، بل نزلت هذه الآيات عليه صلّى اللّه عليه و آله فى فواصل زمنية متفاوتة، و بمناسبات و حسب وقائع مختلفة متدرّجة؟!

(۲)

الأسرار المنطقيّة للنزول التدريجى للقرآن:

اشارة

و لقد كشف القرآن القناع- فى معرض الردّ على اعتراض المشركين هذا- عن حكم و أسرار النزول التدريجىّ للقرآن الكريم.

و إليك توضيح هذا القسم الذى اشار إليه الكتاب العزيز بعبارة مقتضة قصيرة:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۴

(۱) ۱- إن الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله يتحمّل مسئوليات كبرى، و ان شخصية كهذه من الطبيعى ان يواجه مشاكل و متاعب باهضة و صعبة، و لا ريب أن تلك المشاكل و المتاعب توجب الكلل، و انخفاض مستوى النشاط مهما كانت الروح التى يتمتع بها الشخص عظيمة، و قويّة، فى مثل هذه الحالة يكون تجديد الارتباط بالعالم الأعلى، و تكرّر نزول الملك من جانب اللّه تعالى باعثا على تجدّد النشاط، و عاملا قويا فى بثّ القوة و الحماس و المعنوية الفاعلة فى نفس النبىّ و روحه، و بالتالى فان العناية و المحبّة الالهية الممتدّة لنبيّه و رسوله إنما تتجدد بتكرّر نزول الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله من جانبه تعالى.

و قد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة النفسية الكبرى اذ قال:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۱».

(۲) ۲- و يمكن ان تكون الجملة المذكورة ناظرة الى جهة اخرى و هى: ان المصالح التربوية و التعليمية تقتضى أن يتنزل القرآن الكريم على نحو التدريج و يلقى الى الناس على هذا الشكل أيضا و ذلك لان النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله معلّم الامة، و طبيبها الروحى الذى بعث الى الناس بالوصفات الالهية لتعليمهم، و هدايتهم و معالجة أمراضهم و أدوائهم الاجتماعية و الخلقيّة، و الفكرية، و كلّف بأن يطبّق هذه الوصفات فى حياتهم العملية، و مثل هذا يتطلب التدرّج لينفع الدواء- حينئذ- و تنجع المعالجة.

إن أفضل و أنجح أساليب التربية هو أن يمتزج الجانب العملىّ بالجانب النظرى فى أيّة محاولة تربوية، و أن يطبق كل ما يدرسه الاستاذ بصورة عملية تطبيقية، و يعطى لما يلقيه من معلومات، صبغة تحقيقية، و يتجنّب بشدة اتّصاف أفكاره و آراءه بالطابع النظرىّ البحت.

(۳) فلو أن الاستاذ المتخصّص فى الطبّ اكتفى بالقاء جملة من المعلومات الكليّة و الاسس العامة من الطبّ على طلابه فى الصف حرم النتائج المتوخّاة و الغايات

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۵

المطلوبة من تعليم الطبّ، بشكل كامل.

أما إذا قرن الاستاذ درسه النظرى بالإرشاد العملىّ و طبّق ما ألقاه و بيّنه من أفكار و معلومات فى هذا المجال على جسم مريض راقد أمام الطلبة فانه سيحصل على نتائج أحسن، و يساعد الطلبة على فهم افضل للمواد التى درسوها فى هذا المجال.

فلو أنّ الآيات القرآنية الكريمة قد نزلت جملة واحدة (و الحال أن المجتمع الإسلامى لم يكن يحتاج الى كثير منها) كان القرآن- حينئذ- فاقدا لهذه المزية التربوية الهامة التى أشرنا إليها قريبا فى مثال تدريس الطب.

(۱) ان بيان الآيات التى يشعر الناس فى انفسهم بعدم الحاجة الى اخذها و تعلّمها، لا يترك التأثير الباهر فى القلوب، بينما إذا نزل ملائكة الوحى بآيات القرآن حسب حاجات الناس التى يشعرون فيها بضرورة تعلّمها لتضمّنها الأحكام و الأصول و الفروع التى يحتاجون إليها فانه لا شكّ يكون لها فى هذه الحالة تأثير أحسن و أقوى فى قلوب الناس. كما سيكون لها ترسّخ اكبر فى نفوسهم، و سيظهر الناس من انفسهم استعدادا اكبر لاخذ ألفاظها و معانيها، و فوق كل ذلك سيشعرون بنتائج هذه التعاليم عند تعليم النبىّ إيّاها لهم، و عندئذ تتحقق المقولة التربوية التى أشرنا إليها فى ما سبق و هى اقتران كلام المربّى بالنتيجة لأن النظريات اتّخذت طابعا عمليا، و لم تكن مجرد نظريات لا ترتبط بالواقع.

(۲) و لكن يبقى هنا سؤال آخر و هو: إذا كان نزول القرآن قد تحقّق على نحو التدريج و تبعا للاحتياجات و الحوادث المختلفة، فان ذلك يستلزم انفصام العلاقات و الروابط بين الآيات و السور، و هذا ينتج أن لا يهتم الفكر البشرى بتعلّم و حفظ معارفها لتبعثرها، و تباعد أزمنتها و غياب علاقاتها، و لكن لو نزل القرآن جملة واحدة و تلاه ملائكة الوحى على رسول اللّه دفعة واحدة لروعيت الروابط و العلاقات بين قضايا الوحى و لتضاعفت رغبة الناس و استعدادهم لأخذها و حفظها؟

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۶

(۱) و لقد أجاب القرآن الكريم أيضا على هذا السؤال إذ قال: صحيح أن آيات القرآن الكريم نزلت على نحو التدريج تبعا لطائفة من المقتضيات و الموجبات إلّا أن هذا النزول التدريجى لا يمنع ابدا من ترابط مطالبه، و ارتباط مواضيعه بعضها ببعض، فان اللّه تعالى أفاض على هذه الآيات انسجاما و ترابطا خاصا يمكن الإنسان من تعلمها و ضبطها و حفظها إذا أعطى الموضوع قليلا من الاهتمام إذ قال تعالى:

«وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» «۱».

أى إنّنا أعطينا آيات القرآن نظاما معينا و ترتيبا خاصا.

أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا:

(۲) ۳- لقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى فترة رسالته و نبوّته فئات مختلفة من الناس: كالوثنيين، و اليهود و المسيحيين الذين كان لكل فئة منهم دينا خاصا، و عقائد و تصورات خاصة حول المبدأ و المعاد، و غيرهما من المعارف العقلية.

و قد كانت اللقاءات المختلفة هذه توجب أن يعمد الوحى الالهىّ إلى توضيح و بيان عقائد هذه الفئات (و إن لم يكن مطلوبا و مقترحا من قبلهم) و يقيم الأدلة و البراهين على بطلانها، و زيفها، هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت هذه اللقاءات فى أزمنة متفاوتة، و أوقات مختلفة، لهذا لم يكن بدّ من أن ينزل الوحى الالهى تدريجا، و فى الأوقات المختلفة، و يتصدى لبيان بطلان تلك العقائد و التصورات و يجيب على شبهات المخالفين، اعتراضاتهم.

(۳) و ربما كانت توجب هذه المواجهات العقائدية إلى أن يطرحوا على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعض الاسئلة امتحانا و اختيارا له و كان على النبىّ أن

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۷

یجیب علیها، و حیث أن هذه الاسئلة کانت تطرح فی أوقات مختلفة، لهذا لم یکن مناص من أن ینزل الوحی الالهی فی الأوقات و الأزمنة المختلفة، و علی نحو التدریج.

هذا مضافا الی أن حیاة النبی نفسها کان حیاة ثورة، و وقائع، و کان النبی یواجه باستمرار أحداثا و قضایا یجب توضیح حکمها، و بیان المنهج فیها من جانب الوحی الالهی.

و ربما کان الناس أنفسهم یواجهون فی حیاتهم الیومیة حوادث و امورا یرجعون فیها الی النبی صلّی اللّه علیه و آله یطلبون منه الحکم الالهیّ فیها و یسألونه عما یجب اتّخاذه من الموقف الشرعیّ فی تلک الحوادث و ما یشابهها.

و حیث أن هذه الحوادث، و ما یترتب علیها من تساؤلات کانت تقع فی اوقات مختلفة، و بمرور الزمن، لذلک لم یکن بد أیضا من ان ینزل الوحی الالهیّ بالتدریج لیجیب علی هذه الأسئلة أوّلا بأوّل.

و قد أشار القرآن الکریم إلی هذه النقاط، و إلی نقاط اخری غیرها فی قوله تعالی:

«وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً» «۱».

(۱) ۴- إن للنزول التدریجیّ للقرآن الکریم وراء کل ذلک سرا آخر، و علة اخری غفلوا عنها، ألا- و هی: هدایة الناس و توجیه أنظارهم إلی منشأ هذا الکتاب، و أن القرآن لیس الّا کتابا سماویا، و وحیا إلهیا لا غیر، و لا یمکن أن یکون من نسج العقل البشریّ، لأن القرآن نزل خلال (۲۳ عاما) عبر طریق طویل من أنواع الحوادث و الوقائع المسرة و المحزنة، المقرونة بالنصر و الهزیمة، و النجاح و الإخفاق، و لا شکّ أن هذه الحالات المختلفة، و الاحاسیس و المشاعر المتنوعة المتباینة، تترک أثرا عمیقا فی نفس الإنسان، و روحه و عقله، و لا یمکن لإنسان واحد أن یتکلم بکلام من نوع واحد، و بنبرة واحدة، فی حالتین

---

(۱) الفرقان: ۳۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۴۸

نفسیّتین متضادتین، فالکلام الصادر فی حال الفرح و الابتهاج و المسرة من اللسان او القلم، یختلف من حیث الفصاحة و البلاغة و جمال اللفظ و عمق المعنی اختلافا بارزا عن الکلام الصادر فی حال الحزن و التعب، و الاخفاق، و الهزیمة.

(۱) بینما لا- یوجد أی شیء من الاختلاف من حیث الألفاظ و المعانی بین آیات القرآن الکریم مع أنّها نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یمر بحالات مختلفة من الحزن و السرور و الاخفاق و الانتصار و السرّاء و الضرّاء، و العسر و الرخاء، و الجهد و النشاط، بل نجد تلک الآیات علی نمط و نسق واحد من القوة و الفصاحة و البلاغة، و جمال اللفظ و عمق المعنی بحیث یستحیل علی أیّ بشر بلغ ما بلغ أن یعارض آیة من آیاته أو سورة من سوره، و کأنّ القرآن الکریم کمیة من الفضّة المائعة خرجت من الاتون جملة واحدة لا یوجد بین آیاتها أی شیء من التفاوت و الاختلاف، أو کأنّه جوهرة واحدة أولها کآخرها و آخرها کأولها.

و لعلّ الآیة التالیة التی تنفی أیّ نوع من أنواع الاختلاف فی القرآن اذ تقول:

«وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً» «۱» اشارة الی هذا السرّ.

إنّ المفسرین اعتبروا هذه الآیة ناظرة إلی نفی الاختلاف و التناقض بین مفاهیم الآیات و مفاداتها، و مقاصدها، فی حین لا تنفی هذه الآیة مجرّد هذا النوع من الاختلاف بل تقدّس القرآن المجید و تنزهه من جمیع انواع الاختلاف و التناقض الذی هو من لوازم العمل و الانتاج البشری.

---

(۱) النساء: ۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۴۹

(۱)

۱۷ الی الحبشة

الهجرة الاولی

تعتبر هجرة فریق من المسلمین الی أرض الحبشة دلیلا بارزا علی إیمانهم و اخلاصهم العمیق لدینهم، و لربهم و ذلک لأن فریقا من الرجال و النساء یقررون- و بهدف الحفاظ علی عقیدتهم و التخلص من أذی قریش و مضایقتها و الحصول علی مکان آمن یقیمون فیه شعائرهم بحریة و یعبدون اللّه الواحد- مغادرة (مکة)، العربیة التی ترزح تحت ظلام الوثنیة، فلا یمکن أن یرفعوا نداء التوحید عالیا فی أیة نقطة من نقاطها، و لا یمکنهم اقامة احکام الدین الحنیف فیها من دون خوف أو وجل، و بعیدا عن الارهاب، و یفکرون، و یفکرون، و یفکرون، و أخیرا یقودهم التفکیر إلی أن یفاتحوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بهذه المسألة، و یطلبوا فی ذلک رأی النبی الذی یقوم دینه علی مبدأ: «إِنَّ أَرْضِی واسِعَةٌ فَإِیَّایَ فَاعْبُدُونِ» «۱».

(۲) لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعرف أوضاع المسلمین المؤلمة جیدا، فقد کان هو یحظی بحمایة بنی هاشم، و کان الفتیان الهاشمیون یحمونه و یحفظونه

---

(۱) العنکبوت: ۵۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص: ۴۵۰

من کل اذی، و لکن الذین آمنوا به من الإماء و العبید، و من لیست لهم حمایة من الأحرار المستضعفین الذی کانوا یشکلون عددا کبیرا من المسلمین السابقین کان یتعرضون لشتی صنوف العذاب و الایذاء و المضایقة من قریش التی لم تأل جهدا، و لم تدخر وسعا، و لم تفوّت فرصة و لا- وسیلة لالحاق العنت و الأذی بالمؤمنین برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لا یستطیع صلّی اللّه علیه و آله منعهم من ذلک.

و قد کان زعماء کل قبیلة یعمدون- للمنع من نشوب أیّ صدام بین القبائل- الی تعذیب من اسلم من ابناء قبیلتهم، و ایذائه و التنکیل به، و قد مرت علیک نماذج و امثلة من أذی قریش و تعذیبها القاسی للمسلمین.

(۱) لهذه الأسباب عند ما طلب أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و آله رأیه فی الهجرة من مکة قال فی جوابهم:

«لو خرجتم إلی أرض الحبشة فانّ بها ملکا لا یظلم عنده أحد و هی أرض صدق حتی یجعل اللّه لکم فرجا ممّا أنتم فیه» «۱».

أجل ان مجتمعا صالحا یتسلّم زمام الأمر فیه رجل صالح عادل نموذج مصغّر من جنّة عدن بالنسبة الی المسلمین المضطهدین فی بلدهم بسبب عقیدتهم، و هو ما کان یریده و یتمناه أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیتمکنوا من القیام بشعائر دینهم فیه فی جوّ من الطمأنینة و الامن.

و لقد کان لکلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أثر قوی فی نفوسهم تلک الثلة المؤمنة الباحثة عن ارض تعبد فیها اللّه فی أمان، بحیث لم یمض زمان إلّا و قد شدّت رحالها و غادرت مکة لیلا فی غفلة من الاجانب (المشرکین) مشاة و رکبانا، متجهة نحو جدّة، للسفر عبر مینائها الی ارض الحبشة.

و کان هذا الفریق یتألف من عشر أو خمسة عشر شخصا بینهم أربعة من

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۲۱، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷۰، و بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البیان للطبرسی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۱

النسوة المسلمات «۱».

(۱) و الآن یجب أن نری لما ذا لم یذکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله للمسلمین مناطق اخری للهجرة إلیها، و انما ذکر الحبشة فقط.

ان سر هذا الاختیار هذا یتضح إذا درسنا أوضاع الجزیرة العربیة و غیرها من المناطق آنذاک.

ان الهجرة الی المناطق العربیة التی کان سکانها من المشرکین و الوثنیین قاطبة کان أمرا محفوفا بالخطر، فان المشرکین کانوا سیمتنعون عن قبول المسلمین فی أرضهم إرضاء لقریش أو وفاء و تعصبا لدین الآباء (الوثنیّة).

و کذلک المناطق التی کان یقطنها المسیحیّون أو الیهود، من الجزیرة العربیة لم تکن تصلح لهجرة المسلمین إلیها هی الاخری لان تینک الطائفتین کانتا تتقاتلان فیما بینهما فی صراع مذهبیّ و طائفی، فلم تکن الأوضاع لتسمح بأن یدخل طرف ثالث فی حلبة الصراع، هذا مضافا إلی أن ذینک الفریقین (الیهود و النصاری) کانا یحتقران العنصر العربیّ أساسا، فکیف یمکن الهجرة الی مناطقهم و التعایش معهم؟!

(۲) أما «الیمن» فقد کان تحت سیطرة الحکم الإیرانیّ الملکیّ، و لم تکن السلطات الإیرانیة آنذاک لتسمح باقامة المسلمین فی ربوع «الیمن»، لما عرف من نقمتها فیما بعد علی الدعوة الاسلامیة الی درجة انه لما وصلت رسالة النبی صلّی اللّه علیه و آله الی «خسرو برویز» کتب الی عامله علی الیمن فورا «احمل إلیّ هذا الذی یذکر أنه نبیّ، و بدأ اسمه قبل اسمی، و دعانی إلی غیر دینی» «۲»!!.

و کذلک کانت «الحیرة» تحت الاستعمار و النفوذ الایرانیّ کالیمن.

(۳) و أمّا «الشام» فقد کانت بعیدة عن «مکة المکرمة»، هذا مضافا الی ان «الیمن» و «الشام» کانتا سوقین لقریش، و کانت تربط قریش بسکان هاتین المنطقتین روابط و علاقات وثیقة، فاذا کان المسلمون یلجئون إلیها اخرجوا منهما

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۲

بطلب من قریش، تماما کما طلبت من ملک الحبشة مثل هذا الطلب، و لکنه رفض طلبهم.

(۱) و قد کانت الرحلة البحریة- فی تلک الآونة- و بخاصة برفقة النساء و الاطفال رحلة شاقة جدا، من هنا کانت هذه الهجرة، و ترک الحیاة و المعیشة فی الوطن دلیلا قویا علی إخلاص اولئک المهاجرین لدینهم و عمق ایمانهم به، و صدقه.

و لقد کان میناء «جدة» آنذاک میناء تجاریا عامرا کما هو علیه الآن، و من حسن الاتفاق أن هذه الثلة المهاجرة قد وصلت الی هذا المیناء فی الوقت الذی کانت فیه سفینتان تجاریتان علی اهبة الاقلاع، و التوجه نحو الحبشة، فبادر المسلمون إلی رکوبها و السفر علیها دون تلکّؤ خشیة لحاق قریش بهم و القبض علیهم، لقاء نصف دینار عن کل راکب.

و کان ذلک فی شهر رجب فی السنة الخامسة من مبعث رسول اللّه «۱».

و لما عرف المشرکون بهجرة بعض المسلمین أمروا جماعة من رجالهم بملاحقة اولئک المهاجرین و أعادتهم الی مکة فورا، و لکن المسلمین المهاجرین کانوا قد غادروا شواطئ «جدة» قبل أن یدرکهم الطلب «۲».

(۲) و من الواضح أن ملاحقة مثل هذه الثلة التی لم تلجأ إلی أرض الغیر إلّا لأجل الحفاظ علی عقیدتها و الفرار من الفتنة لنموذج بارز من عتوّ قریش و عنادها.

فاولئک المهاجرون مؤمنون ترکوا الأهل و الوطن، و اغمضوا الطرف عن المال، و التجارة، و خرجوا یطلبون أرضا نائیة یمارسون فیها شعائرهم بحریة، و مع ذلک لا یکف عنهم زعماء مکة و جبابرتها و طغاتها!!

اجل ان رؤساء «دار الندوة» بمكة و اقطابها كانوا يعلمون جيدا أسرار هذه

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۱- ۳۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۳

الهجرة و آثارها من خلال بعض القرائن، و المؤشرات و لذلك كانوا يرددون فيما بينهم امورا سنذكرها فى ما بعد.

هـذا و الجـدير بالـذكر أن اعضاء هـذا الفريق المهاجر لم يكونوا من قبيلـة واحدة بل كان كل واحد من هؤلاء العشـرة ينتمى الى قبيلة خاصة.

الهجرة الثانية الى الحبشة:

(۱) ثم انه وقعت بعد هذه الهجرة هجرة اخرى، و كان فى مقدمة المهاجرين هذه المرة «جعفر بن أبى طالب». ابن عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد تمت الهجرة الثانية فى منتهى الحرّية، لأن المسلمين المهاجرين استطاعوا فى هذه الهجرة ان يصطحبوا معهم نساءهم و أولادهم، بحيث بلغ عدد المسلمين فى أرض الحبشة هذه المرة (۸۳).

هذا إذا لم نحص من ولد فى أرض الحبشة لهم، و الّا كان العدد اكثر من هذا الرقم.

و لقد وجد المسـلمون المهاجرون ارض الحبشة كما وصفها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم: منطقة عامرة، و بيئة آمنة حرّة، تصلح لأن يعبد فيها اللّه تعالى بحرية و أمان.

تقول «أمّ سـلمة» التى تشـرفت بالزواج من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد، عن تلك الارض: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنّا على ديننا، و عبدنا اللّه تعالى، لا نؤذى، و لا نسمع شيئا نكرهه.

كما أنه يستفاد ممّا قاله بعض اولئك المهاجرين من الشعر فى الحبشة، انهم أمنوا بأرض الحبشة، و حمدوا جوار النجاشى، و عبدوا اللّه لا يخافون على ذلك أحدا.

(۲) و نحن نكتفى هنا بادراج بعض الأبيات من قصيدة مطوّلة أنشأها «عبد اللّه بن الحارث» فى هذا الصدد:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۴ يا راكبا بلّغن عنّى مغلغلة «۱»من كان يرجو بلاغ اللّه و الدّين

كلّ امرئ من عباد اللّه مضطهدببطن مكّة مقهور و مفتون

أنّا وجدنا بلاد اللّه واسعةتنجى من الذلّ و المخزاة و الهون

فلا- تقيموا على ذلّ الحيـاة و خزى فى الممـات و عيب غير مأمون «۲» و يقول ابن الاثير: و كان مسـيرهم (الى الحبشة) فى رجب سـنة خمس من النبوة و هى السنة الثانية من اظهار الدعوة فاقاموا شعبان و شهر رمضان و قدموا فى شوال سنة خمس من النبوة، و كان سبب قدومهم الى النبى صلّى اللّه عليه و آله انه بلغهم ان قريشا اسلمت فعاد منهم قوم و تخلّف قوم «۳».

هذا و يمكن للقارئ الكريم أن يقف على تفاصيل هذا القسم فى السيرة النبويّة لابن هشام «۴».

(۱)

قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين:

عند ما بلغ قریشا و زعماء «مکة» ما أصبح فیه المسلمون المهاجرون من أمن و حریة، و ما حصلوا علیه من حسن الجوار و الطمأنینة و الراحة فی أرض الحبشة ثارت ثائرة الحسد و الغیظ فی قلوبهم، و توجسوا خیفة من نفوذ المسلمین فی الحبشة لأن أرض الحبشة قد أصبحت قاعدة قویة للمسلمین، و کانت الزعامة المکیة تتخوف من أن یجد أنصار الإسلام و اتباعه منفذا إلی بلاط النجاشی زعیم الاحباش و ملکهم، و یمیّلوا قلبه نحو الإسلام، و یکسبوا تاییده للمسلمین، فیؤول الأمر إلی أن یعبّئ جیشا کبیرا للقضاء علی حکومة المشرکین الوثنیین فی شبه الجزیرة العربیة، و عندها تکون الکارثة.

(۲) فاجتمع أقطاب «دار الندوة» مرة اخری للتشاور فی الأمر، فاستقرّ رأیهم علی أن یبعثوا إلی البلاط الحبشیّ من یقدم إلی النجاشیّ و وزرائه و قواده هدایا

---

(۱) المغلغة: الرسالة ترسل من بلد الی بلد.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۱- ۳۵۳.

(۳) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۵۲ و ۵۳.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۴- ۳۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۵

مناسبة یستمیلونهم بها لیستطیعوا من هذا الطریق التأثیر علی النجاشی تم یتسنّی لهم بعد ذلک ان یقنعوه بضرورة إخراج المسلمین المهاجرین من أرضه أن یتهمونهم عنده بالسفاهة و الجهل، و ابتداع دین جدید منکر، و الارتداد عن دین الآباء و الاجداد!!

(۱) و لکی تتحقق خطتهم هذه علی أحسن وجه و یصلوا عن طریقها إلی أفضل النتائج اختاروا من بینهم رجلین ماکرین اصبح احدهما فی ما بعد من دهاقنة السیاسة و هما: «عمرو بن العاص»، و «عبد اللّه بن ابی ربیعة» و قال لهما کبیر المؤتمرین فی ذلک الدار: ادفعا إلی کل بطریق هدیته قبل أن تکلّما النجاشی فیهم، ثم قدّما إلی النجاشیّ هداياه، ثم سلاه أن یسلّمهم إلیکما قبل أن یکلمهم.

فخرج موفدا قریش حتی قدما علی النجاشی بعد أن تلقّیا هذه التعلیمات.

و هناک فی الحبشة دفعا الی کل بطریق من بطارقة النجاشیّ وقادة جیشه و وزرائه هدیته، و قالا لکل بطریق منهم:

إنه قد ضوی «۱» إلی بلد الملک منّا غلمان سفهاء، فارقوا دین قومهم، و لم یدخلوا فی دینکم، و جاءوا بدین مبتدع لا نعرفه نحن و لا انتم، و قد بعثنا إلی الملک لنکلّمه فی أمرهم أشراف قومهم لیردّهم إلیهم فاذا کلّمنا الملک فیهم، فأشیروا علیه بأن یسلّمهم إلینا، و لا یکلّمهم، فان قومهم أبصر بهم، و اعلم بما عابوا علیهم».

(۲) فابدی اولئک البطارقة و القادة و الوزراء الطامعون الجهلة استعدادهم لمساعدة الرجلین فی إنجاح مهمتهم.

و لما کان من غد دخلا علی النجاشی و قدما هداياهما إلیه فقبلها منهما ثم کلّماه فقالا له:

أیها الملک إنه قد ضوی إلی بلدک منا غلمان سفهاء، فارقوا دین قومهم و لم

---

(۱) ضوی أیّ لجأ و أتی لیلا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۶

یدخلوا فی دینک، و جاءوا بدین ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت، و قد بعثنا إلیک فیهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردّهم إلیهم، فهم أبصر بهم و اعلم بما عابوا علیهم و عاتبوهم فیه.

و ما أن انتهی موفدا قریش من الکلام إلّا و قالت بطارقته حوله: صدقا أیها الملک، قومهم أبصر بهم، و أعلم بما عابوا علیهم فأسلمهم إلیهما، فلیرداهم الی بلادهم و قومهم.

(۱) فغضب النجاشیّ و کان رجلا حکیما عادلا و قال: لاها اللّه، إذن لا اسلمهم إلیهما، و لا یکاد قوم جاورونی، و نزلوا بلادی و اختارونی علی من سوای حتی أدعوهم فاسألهم عما یقول هذان فی أمرهم فان کانوا کما یقولان أسلمتهم إلیهما، و رددتهم الی قومهم، و ان کانوا علی غیر ذلک منعتهم منهما و احسنت جوارهم ما جاورونی.

ثم ارسل الی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المهاجرین الی الحبشة فدعاهم من غیر أن یعلمهم بما یرید منهم، فحضروا عنده، و کانوا قد قرّروا أن یکون متکلّمهم و خطیبهم: «جعفر بن أبی طالب» و قد قلق بعض المسلمین لما قد سیقوله «جعفر» عند الملک، و بما ذا سیکلّمه و یجیبه، فسألوه عن ذلک فقال لهم جعفر: أقول و اللّه ما علّمنا، و ما امرنا به نبینا صلّی اللّه علیه و آله کائنا فی ذلک ما هو کائن.

(۲) فالتفت النجاشی الی «جعفر» و سأله قائلا:

ما هذا الدین الذی فارقتم فیه قومکم، و لم تدخلوا (به) فی دینی و لا فی دین أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن ابی طالب:

«أیّها الملک، کنّا قوما أهل جاهلیة نعبد الأصنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الارحام، و نسیء الجوار، و یأکل القویّ منّا الضعیف، فکنّا علی ذلک حتی بعث اللّه إلینا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته و عفافه، فدعانا الی اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما کنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۷

الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحدیث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الکف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أکل مال الیتیم، و قذف المحصنات. و أمرنا أن نعبد اللّه وحده، لا نشرک به شیئا، و أمرنا بالصلاة و الزکاة و الصیام فصدّقناه و آمنّا به، و اتّبعناه علی ما جاء به من اللّه، فعبدنا اللّه وحده فلم نشرک به شیئا، و حرّمنا ما حرّم علینا، و أحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علینا قومنا، فعذّبونا، و فتنونا عن دیننا، لیردّونا إلی عبادة الاوثان من عبادة اللّه تعالی، و ان نستحل ما کنّا نستحل من الخبائث، فلمّا قهرونا و ظلمونا و ضیّقوا علینا، و حالوا بیننا و بین دیننا، خرجنا إلی بلادک، و اخترناک علی من سواک، و رغبنا فی جوارک، و رجونا أن لا نظلم عندک أیها الملک».

(۱) فأثّرت کلمات جعفر البلیغة، و حدیثه العذب تأثیرا عجیبا فی نفس النجاشیّ بحیث اغرورقت عیناه بالدموع، و قال: لجعفر هل معک ممّا جاء به عن اللّه من شیء؟

فقال جعفر: نعم فقال له النجاشیّ: فاقرأه علیّ، فقرأ علیه جعفر آیات من مطلع سورة مریم، و استمرّ فی قراءته، و بذلک بیّن نظرة الإسلام إلی «مریم» علیها السّلام و طهارة جیبها، و الی مکانة المسیح علیه السّلام، و عظمة شأنه، و جلیل مقامه، فبکی النجاشی حتی اخضلّت لحیته بالدموع و بکت اساقفته «۱» حتی بلّوا مصاحفهم بها حین ما سمعوا ما تلاه جعفر علیهم حول مریم و المسیح علیهما السّلام.

و بعد صمت قصیر ساد ذلک المجلس قال النجاشی:

«إن هذا و الذی جاء به عیسی لیخرج من مشکاة واحدة» و هو یقصد أن القرآن و الإنجیل کلام اللّه و أنهما شیء واحد.

ثم التفت الی موفدی قریش و قال لهما بنبرة قویة: انطلقا فلا و اللّه لا اسلّمهم إلیکما و لا یکادون، فخرجا من عنده.

---

(۱) الاساقفه؛ جمع اسقف: علماء النصاری. سید المرسلین ج۱ ۴۵۸ قریش توفد رجالا لاسترداد المسلمین: ..... ص : ۴۵۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۸

(۱) و عند المساء تکلم «عمرو بن العاص»- و کان امرأ خدّاعا ماکرا- مع رفیقه «عبد اللّه بن ربیعة» فی الأمر، و قال له: و اللّه لآتینّه غدا

عنهم بما استأصل به حضراءهم (و هو یعنی أنه سیأتی بحیلة تقضی علی جذور المهاجرین بالمرة) و لاخبرنّه أنهم یزعمون أن عیسی بن مریم عبد. (أی علی خلاف ما یعتقد النصاری فی المسیح).

فنهاه «عبد اللّه» عن ذلک و قال: لا تفعل، فانّ لهم أرحاما، و ان کانوا خالفونا، و لم ینفع نهی عبد اللّه له.

(۲) و لمّا کان من الغد دخلا علی النجاشیّ مرة اخری فقال له «عمرو» متظاهرا هذه المرة بالدفاع عن عقیدة النصاری و هی دین الملک و اهله، و منتقدا رأی المسلمین.

أیها الملک، إنهم یقولون فی «عیسی بن مریم» قولا عظیما. فارسل إلیهم فسلهم عما یقولون فیه.

فارسل النجاشی إلیهم لیسألهم عنه، و هو الملک المحنّک الذی لا یأخذ الامور علی ظواهرها، و من غیر تحقیق و دراسة، فأدرک المسلمون بفطنتهم أنه سیسألهم هذه المرة عن موقفهم من المسیح علیه السّلام فاتفقوا أن یکون «جعفر» متکلمهم و خطیبهم و عند ما سألوه عما سیجیب به الملک قال: أقول و اللّه ما قال اللّه، و ما جاءنا به نبینا.

(۳) فلما دخلوا علی النجاشیّ قال لجعفر بن ابی طالب: ما ذا تقولون فی عیسی بن مریم؟

فقال جعفر: نقول فیه الذی جاءنا به نبینا صلّی اللّه علیه و آله: هو عبد اللّه و رسوله و روحه و کلمته القاها الی مریم العذراء البتول.

فسرّ النجاشی لکلام جعفر و رضی به و قال: هذا و اللّه هو الحق، و اللّه ما عدا عیسی بن مریم ما قلت

و لکنّ حاشیته لم ترض بهذا الکلام و لم تقبل بما قاله الملک، و لکنّه لم یعبأ بهم، و أیّد مقالة المسلمین، و منحهم الحریة الکاملة، و الأمان الکامل قائلا لهم:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۵۹

اذهبوا فانتم آمنون فی أرضی من سبّکم غرم، من سبّکم غرم، ما احب أنّ لی دبرا من ذهب و إنی آذیت رجلا منکم.

و ردّ علی موفدی قریش هداياهما قائلا لهما: «ردّوا علیهما هداياهما فلا حاجة لی بها، فو اللّه ما أخذ اللّه منی الرشوة حین ردّ علیّ ملکی فاخذ الرشوة فیه، و ما أطاع الناس فیّ فاطیعهم فیه».

فخرج مبعوثا قریش مقبوحین مردودا علیهما ما جاء به یجرّان اذیال الخیبة «۱».

و ینبغی ان نسجّل هنا موقفا آخر من مواقف ابی طالب فی تأیید المسلمین، و نصرة الدین الحنیف.

فقد أرسل «ابو طالب» أبیاتا للنجاشیّ یحثّه علی الدفع عن المهاجرین و حسن جوارهم و تلک الابیات هی:

ألا لیت شعری کیف فی النأی جعفرو عمرو و اعداء العدو: الأقارب؟

و هل نالت افعال «۲» النجاشیّ جعفراو أصحابه أو عاق ذلک شاغب؟

تعلّم، أبیت اللعن، انک ماجدکریم فلا یشقی لدیک المجانب

تعلّم بان اللّه زادک بسطةو أسباب خیر کلّها بک لازب

و أنک فیض ذو سجال غزیرةینال الاعادی نفعها و الاقارب «۳»

(۱)

العودة من الحبشة:

قلنا فی ما مضی أنّ المجموعة الاولی من المهاجرین رجعت من الحبشة الی مکة لأنباء بلغتها عن إسلام قریش عامة و انضوائها تحت رایة الإسلام. حتی إذا دنوا من «مکة» بلغهم أن ما کانوا تحدّثوا به من إسلام اهل مکة کان باطلا،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۸، إمتاع الاسماع: ص ۲۱ بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۴ و ۴۱۵.

(۲) إحسان.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۳ و ۳۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۰

فلم یدخل منهم الی «مکة» إلّا قلیل دخلوها مستخفین أو فی جوار بعض الشخصیات القرشیة بینما عاد الأکثرون من حیث جاءوا.

(۱) و کان ممن دخل «مکة» بجوار «عثمان بن مظعون» الذی دخلها بجوار «الولید بن المغیرة» «۱» و لکنه کان یشاهد ما فیه أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من البلاء، و العذاب و هو یغدو و یروح فی امان فتألّم لذلک و لم تطق نفسه تحمّل هذا الفرق و قال: و اللّه إن غدوّی و رواحی آمنا بجوار رجل من أهل الشرک، و أصحابی و أهل دینی یلقون من البلاء و الأذی فی اللّه ما لا یصیبنی لنقص کبیر فی نفسی. فمشی الی «الولید بن المغیرة» و ردّ علیه جواره لیواسی المسلمین و یشارکهم فی آلامهم و متاعبهم و قال: یا أبا عبد شمس وفت ذمّتک، قد رددت إلیک جوارک.

قال: لم یا ابن أخی؟ لعلّه آذاک أحد من قومی؟

قال: لا و لکنی أرضی بجوار اللّه و لا ارید أن أستجیر بغیره.

فقال الولید له: إذن فاردد علیّ جواری علانیة کما أجرتک علانیة.

(۲) فانطلقا فخرجا حتی أتیا المسجد، فقال «الولید» مخاطبا من حضر من قریش: هذا عثمان قد جاء یردّ علیّ جواری.

قال: صدق، قد وجدته وفیّا کریم الجوار و لکنّی قد احببت أن لا استجیر بغیر اللّه، فقد رددت علیه جواره «۲».

ثم لم یمض شیء من الوقت حتی دخل المسجد «لبید» و کان شاعرا متکلّما بارزا من شعراء العرب و متکلّمیها و وقف فی مجلس من قریش ینشدهم و «عثمان بن مظعون» جالس معهم فقال من جملة ما قال شعرا:

ألّا کل شیء ما خلا اللّه باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت فقال: لبید:

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۹.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۱ و کل نعیم لا محالة زائل

(۱) قال عثمان: کذبت، نعیم الجنة لا یزول فاستثقل «لبید» تکذیب عثمان و تحدّیه له فی ذلک الجمع فقال: یا معشر قریش و اللّه ما کان یؤذی جلیسکم، فمتی حدث هذا فیکم؟؟

فقال رجل من القوم: إنّ هذا سفیه فی سفهاء معه، قد فارقوا دیننا فلا تجدن فی نفسک من قوله.

فردّ علیه «عثمان» حتی تفاقم الأمر بینهما فقام إلیه ذلک الرجل فلطم عینه فخضّرها (و اصابها)، و الولید بن المغیرة قریب یری ما بلغ عثمان فقال: أما و اللّه یا ابن أخی إن کانت عینک عمّا أصابها لغنیّة لقد کنت فی ذمة منیعة (و هو یرید أنک لو بقیت فی ذمتی و جواری لما اصابک ما أصابک).

فقال عثمان رادّا علیه: بل و اللّه إن عینی الصحیحة لفقیرة الی مثل ما أصاب اختها فی اللّه، و انی لفی جوار من هو أعزّ منک، و أقدر یا أبا عبد شمس.

فقال له الولید: هلمّ یا ابن أخی إن شئت فعد إلی جوارک، فقال ابن مظعون: لا «۱».

و کانت هذه صورة رائعة من صور کثیرة لصمود المسلمین، و تفانیهم فی سبیل العقیدة، و إصرارهم علی النهج الذی اختاروه، و مواساة بعضهم لبعض فی أشدّ فترة من فترات التاریخ الإسلامی.

(۲)

وفد مسیحیّ لتقصّی الحقائق یدخل مکة:

قدم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو بمکة عشرون رجلا من النصاری حین بلغهم خبره من الحبشة، مبعوثین من قبل أساقفتها لتقصّی الحقائق بمکة، و التعرف علی الإسلام. فوجدوا رسول اللّه فی المسجد، فجلسوا إلیه، و کلّموه و سألوه عن مسائل، و رجال من قریش فیهم «أبو جهل» فی أندیتهم حول الکعبة.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۷۰ و ۳۷۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۲

فلما فرغوا من مسألة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عما أرادوا دعاهم- صلّی اللّه علیه و آله- إلی اللّه عزّ و جلّ و تلا علیهم آیات من القرآن الکریم، فکان لها من التأثیر البالغ فی نفوسهم بحیث عند ما سمعوها فاضت أعینهم من الدمع، ثم استجابوا له و آمنوا به و صدّقوه، بعد ما عرفوا منه ما کان یوصف فی کتابهم (الانجیل) من أمره.

فلما قاموا عنه، و رأت قریش ما نتج عنه ذلک اللقاء استثقله «ابو جهل» فقال للنصاری الذین اسلموا معترضا و موبّخا: خیّبکم اللّه من رکب بعثکم من وراءکم من أهل دینکم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئنّ مجالسکم عنده حتی فارقتم دینکم و صدّقتموه بما قال، ما نعلم رکبا أحمق منکم.

فأجابه اولئک بقولهم: سلام علیکم لا نجاهلکم، لنا ما نحن علیه، و لکم ما أنتم علیه، لم نأل أنفسنا خیرا «۱».

و بذلک الکلام الرفیق الجمیل ردّوا علی فرعون مکة الذی کان یبغی- کسحابة داکنة- حجب أشعة الشمس المشرقة، و حالوا دون وقوع صدام.

(۱)

قریش توفد إلی یهود یثرب للتحقیق:

لقد أیقظ وفد نصاری الحبشة الی مکة و ما نجم عن لقائهم برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قریشا و دفعهم الی تکوین وفد یتألف من: «النضر بن الحارث» و «عاقبة بن ابی معیط» و غیرهما و إرسالهم إلی أحبار یهود المدینة لیسألونهم عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دینه.

فقال أحبار الیهود لمبعوثی قریش: سلوا محمّدا عن ثلاث نأمرکم بهنّ، فإن أخبرکم بهن فهو نبی مرسل، و ان لم یفعل فالرجل متقوّل، فروا فیه رأیکم، سلوه:

۱- عن فتیة ذهبوا فی الدهر الأول (یعنون بهم أصحاب الکهف) ما کان

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۹۰ و ۳۹۳ و قد نزلت فی هذا الشأن الآیات ۵۲ الی ۵۵ من سورة القصص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۳

من امرهم، فانه قد کان لهم حدیث عجیب.

۲- و عن رجل طوّاف (یعنون به ذا القرنین) قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما کان نبؤه و خبره؟

۳- و عن الروح ما هی؟

(۱) فاذا أخبرکم بذلک فاتبعوه، فانه نبیّ، و ان لم یفعل، فهو رجل متقوّل فاصنعوا فی أمره ما بدا لکم.

فعاد وفد قریش الی «مکة» و لما قدموها قالوا لقریش ما سمعوه من أحبار الیهود.

فجاؤوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و طرحوا علیه الاسئلة الثلاثة السالفة. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انتظر فی ذلک وحیا «۱».

ثم نزل الوحی یحمل الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الأجوبة المطلوبة علی تلک الاسئلة.

و قد ورد الجواب عن السؤال عن الروح فی الآیة ۸۵ من سورة الإسراء.

و اجیب علی السؤالین الآخرین عن أصحاب «الکهف» و ذی القرنین بتفصیل فی سورة «الکهف» ضمن الآیات ۹- ۲۸ و الآیات ۷۳- ۹۳.

و قد وردت تفصیلات هذه الإجابات التی أجاب بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أسئلتهم فی کتب التفسیر.

و لا بدّ هنا من أن نذکّر القارئ الکریم بنقطة مفیدة و هی أنّ المراد من «الرّوح» فی سؤال القوم لیس هو الرّوح الإنسانیة بل کان المراد هو جبرئیل الأمین، (بقرینة أنّ المقترحین الاصلیین لهذه الأسئلة: هم الیهود و کانوا یکرهون الروح الامین، و یعادونه)، و هو أمر مبحوث فی محلّه من کتب التفسیر.

---

(۱) السیرة النبویّة: ج ۱ ص ۳۰۰- ۳۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۵

(۱)

۱۸ الأسلحة الصدیئة و الاسالیب الفاشلة

اشارة

نظّم أسیاد قریش صفوفهم لمکافحة عقیدة التوحید، بعد أن أدرکوا عقم المواقف المبعثرة من هذا الدّین و أهله.

فقد حاولوا فی بدایة الأمر أن یثنوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن المضیّ فی مواصلة دعوته، و ذلک بتطمیعه بالمال و الجاه و ما شابه ذلک، و لکن لم یحصلوا من ذلک علی شیء، فقد خیّب ذلک الرجل المجاهد ظنونهم فیه، و بدّد آمالهم فی اثنائه عن هدفه بکلمته الخالدة المدوّیة: «و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی، و القمر فی یساری علی أن أترک هذا الأمر لما فعلت» و هو یعنی ان تملیکه العالم کله لا یثنیه عن هدفه و لا یصرفه عن تحقیق ما ندب إلیه، و ارسل به.

(۲) فعمدوا الی سلاح آخر هو التهدید و الأذی، و التنکیل به و باصحابه و انصاره، و لکنهم واجهوا صموده و صمود أنصاره و اصحابه، و ثباتهم الذی ادی إلی انتصار المؤمنین فی هذا المیدان، و خیبة المشرکین و هزیمتهم.

و قد بلغ من ثبات المسلمین علی الطریق أنهم أقدموا علی مغادرة الوطن، و ترک الأهل و العیال، و الهجرة إلی الحبشة فرارا بدینهم إلی اللّه، و سعیا وراء نشره و بثه فی غیر الجزیرة من الآفاق.

و لکن رغم إخفاق أسیاد قریش المشرکین فی جمیع هذه الجبهات و المیادین

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۶

و عجزهم عن استئصال شجرة التوحید الفتیة، و فشل جمیع الأسلحة التی استخدموها للقضاء علی الدین الجدید و أهله، لم تنته

محاولاتهم الإجهاضيّة بل عمدوا هذه المرّة إلى استخدام سلاح جديد حسبوه أمضى من سوابقه.

(۱) و هذا السلاح هو سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لانه صحيح أن ايذاء و تعذيب جماعة المؤمنين فى «مكة» تمنع غيرهم من سكان «مكّة» من الانضواء إلى الإسلام إلّا ان الحجيج الذين كانوا يسافرون الى مكة فى الأشهر الحرم و كانوا يلتقون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جوّ من الأمن و الطمأنينة خلال تلك المواسم كانوا يتأثّرون بدعوة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يتزعزع اعتقادهم بالأوثان على الأقل، إن لم يؤمنوا بدينه، و لم يستجيبوا لدعوته، ثم إنهم كانوا ينقلون رسالة الإسلام و انباء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى مواطنهم، و مناطقهم و كان ينتشر بذلك اسم رسول اللّه، و أنباء دينه فى شتّى مناطق الجزيرة العربية، و كان هذا هو بنفسه ضربة قوية توجّه إلى صرح الوثنية فى مكة، و عاملا قويا فى انتشار عقيدة التوحيد، و سطوع أمره.

من هنا اتخذ سادة قريش اسلوبا آخر، قاصدين بذلك الحيلولة دون انتشار الإسلام، و اتساع رقعته، و قطع علاقة المجتمع العربى به.

و إليك فيما ياتى بيان تفاصيل هذا الاسلوب، و هذه الخطة:

(۲)

۱- الاتّهامات الباطلة:

اشارة

يمكن التعرف على شخصية أى واحد و تقييمها من خلال ما يرميه به اعداؤه من شتائم و سباب، و ما يكيلون له من اتهامات و نسب، فان العدو يسعى دائما الى أن يتهم خصمه بنوع من انواع التهم ليضلّ الناس، و يصرفهم عنه، و ليتمكن بما يحوكه حوله من أراجيف و أباطيل الحط من شأنه فى المجتمع و اسقاطه من الانظار و الأعين.

ان العدوّ الذكىّ يسعى دائما إلى ان ينسب إلى منافسه ما يصدّقه و لو فئة خاصة من الناس على الاقل، و يوجب شكّهم فى صدقه، و يتجنب تلك النسب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۷

التى لا تصدّق فى شأنه، و لا تناسب اخلاقه و افعاله المعروفة عنه، و لا تمسه بشكل من الأشكال، لأنه سوف لا يجنى فى هذه الحالة إلا عكس ما يقصد، و خلاف ما يريد.

(۱) و من هنا يستطيع المؤرخ المحقق أن يتعرف على الشخصية الواقعية لمن يدرسه، و على مكانته الاجتماعية، و أخلاقه و سجاياه و لو من خلال ما ينسبه الأعداء إليه، و ما يكيلون له من أكاذيب و افتراءات، و نسب باطلة و اتهامات، لأنّ العدوّ الذى لا يخاف أحدا لا يقصّر فى كيل كلّ تهمة تنفعه و تخدم غرضه إلى الطرف الآخر، و يستخدم هذا السلاح (أىّ سلاح الدعاية) ما استطاع، و ما ساعدته معرفته بالظروف، و درايته بالفرص.

فاذا لم ينسب إليه أىّ شىء من تلك النسب الباطلة فان ذلك إنما هو لأجل طهارة جيبه، و نقاء صفحته، و تنزّه شخصيته عن تلك النسب، و لأنّ المجتمع لم يكن ليعبأ بها و لم يصدّقها فى شأنه.

و لو أننا تصفّحنا اوراق التاريخ الإسلامى لرأينا أن قريشا مع ما كانت تكنّ من عداء، و تحمل من حقد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كانت تسعى بكل جهدها أن تهدم صرح الإسلام الجديد الظهور، و أن تحطّ من شأن مؤسسه و بانيه لم تستطع مع ذلك أن تستفيد من هذا السلاح، و تستخدمه كاملا.

(۲) فقد كانت تفكّر فى نفسها: ما ذا تقول فى حق رسول اللّه؟ و ما ذا ترى تنسب إليه؟؟

هل تتهمه بالخيانة المالية و ها هم جماعة منهم قد ائتمنوه على أموالهم؟! «۱» كما أن حياته الشريفة طوال الاربعين سنة الماضية جسدت امانته امام الجميع، فهو الامين بلا منازع؟

هل تتهمه بالجرى و الانسياق وراء الشهوة و اللّذة؟ و كيف تقول فى حقه مثل هذا الكلام مع أنه بدأ حياته الشبابية بالتزويج بزوجة كبيرة السنّ الى درجة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۸

ما، و بقى معها حتى لحظة انعقاد هذه الشورى فى «دار الندوة» بهدف الدعاية ضدّه، و لم يعهد منه زلّة قدم فى هذا السبيل قط؟!

(۱) و بالتالى بما ذا تتهم محمّدا الصادق الأمين، الطاهر العفيف، و أية تهمة ترى يمكن أن تصدّق فى حقه، أو يحتمل الناس صدقها فى شأنه و لو بنسبة واحد فى المائة؟

لقد تحيّر سادة «دار الندوة» و أقطابها فى كيفية استخدام هذا السلاح، سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقرّروا فى نهاية الأمر أن يطرحوا هذا الأمر على صناديد من صناديد قريش و يطلبوا رأيه فيه، و هو «الوليد بن المغيرة» و كان ذا سنّ فيهم، و مكانة، فقال لهم:

يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم و ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا، و لا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضا، و يرد قولكم بعضه بعضا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به.

قال: بل أنتم قولوا أسمع.

(۲) قالوا: نقول كاهن.

قال: لا و اللّه ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن و لا سجعة.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه، و لا تخالجه، و لا وسوسته.

قالوا: فنقول: ساحر.

فقال: ما هو بساحر لقد رأينا السحّار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم.

و هكذا تحيّروا فى ما ينسبون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و أخيرا اتفقوا على أن يقولوا: أنه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء و ابيه و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته.

و يدلّ عليه ما أوجده من الخلاف و الانشقاق و التفرّق بين أهل مكة الّذين

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۹

كان يضرب بهم المثل فى الوحدة و الاتفاق «۱».

(۱) و قد ذكر المفسّرون فى تفسير سورة «المدثر» هذه القصة بنحو آخر فقالوا:

لمّا انزل على رسول اللّه «حم تنزيل الكتاب ...» قام الى المسجد و «الوليد بن المغيرة» قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فتركت الآية فى نفس الوليد تأثيرا شديدا فانطلق إلى منزله، و لم يخرج منه أيّاما، فسخرت منه قريش و قالت: صبأ- و اللّه- الوليد ثم مشى رجال من قريش إليه و سألوه رأيه فى قرآن محمّد، و اقترح كل واحد منهم

أمرا، و لكنه رد عليها بالنفى جميعا فقالت قريش إذن ما هو؟ فتفكر «الوليد» فى نفسه ثم قال: ما هو إلّا ساحر أ ما رأيتموه يفرّق بين الرجل و أهله، و ولده و مواليه، فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر «۲».

و يرى المفسرون أن الآيات التالية فى شأنه إذ يقول اللّه تعالى:

«ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِینَ شُهُوداً. وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً. ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ. کَلَّا إِنَّهُ کانَ لِآیاتِنا عَنِیداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَکَّرَ وَ قَدَّرَ. فَقُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَکْبَرَ. فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ یُؤْثَرُ ... (الی قوله:) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَةِ مُعْرِضِینَ. کَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» «۳».

(۲)

الإصرار فى نسبة الجنون إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

يعتبر اتّصاف النبيّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم و اشتهاره بين الناس بالصدق و الامانة و غيرها من مكارم الأخلاق منذ شبابه من مسلّمات التاريخ.

و هو بالتالى أمر اعترف به حتى أعداؤه الالدّاء، فقد دانوا بفضله، و أقرّوا

---

(۱) السيرة النبوّية: ج ۱ ص ۲۷۰.

(۲) مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۳۸۶ و ۳۸۷.

(۳) المدثر: من ۱۱- ۵۱.

بأخلاقه الكريمة و سجاياه النبيلة، دون تلكؤ، و لا إبطاء.

و قد كان من أوصافه الحسنة البارزة ان جميع الناس كانوا يدعونه «الصادق» «الامين» و كانوا يثقون بأمانته ثقة كبرى «۱» حتى أن المشركين كانوا يودعون ما غلى من أموالهم عنده، و استمر هذا الأمر حتى عشرة أعوام بعد دعوته العلنيّة.

(۱) و حيث أن دعوته صلّى اللّه عليه و آله قد ثقلت على المعاندين فاجتهدوا فى أن يصرفوا عنه الناس بما ينسبون إليه من بعض النسب التى توجب سوء الظنّ به، و من ثم إفشال دعوته، و حيث أنهم كانوا يعلمون أن النسب الاخرى ممّا لا يقيم لها المشركون وزنا، لأنها امور بسيطة فى نظرهم، من هنا رأوا بأن يتهمونه بالجنون، و الزعم بان ما يقوله و يقرؤه ما هو إلّا من نسج الخيال، و من أثر الجنون الذى لا يتنافى مع الزهد، و الأمانة، و ذلك تكذيبا لدعوته.

ثم عملت قريش على إشاعة هذه النسبة، و اتخذت وسائل عديدة و ماكرة لترويجها و بثّها بين الناس.

و من شدّة مكرهم و مراءاتهم أنّهم كانوا يتخذون موقف المتسائل المحايد فيطرحون هذه التهمة فى قالب الشك، و الترديد اذ يقولون:

«أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۲».

(۲) و هذه هى بعينها الحيلة الشيطانية التى يتوسّل بها و يتستر وراءها أعداء الحقيقة دائما عند ما يريدون تكذيب المصلحين العظام، و إسقاط خطواتهم و أفكارهم من الاعتبار، و الحطّ من شأنها و أهميتها.

و يشير القرآن أيضا إلى أنّ هذا الاسلوب الماكر الذميم لم يكن مختصا بالمعارضين فى عهد الرسالة المحمّدية، بل كان المعارضون فى الأعصر الغابرة أيضا يتوسلون بهذا السلاح لتكذيب الرسل، و الأنبياء إذ يقول عنهم:

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲ عن عبید اللّه بن ابی رافع: کانت قریش تدعو محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی الجاهلیة الامین و کانت تستودعه و تستحفظه أموالها و أمتعتها، و کذلک کل من کان یقدم مکة من العرب فی الموسم، و جاءته النبوة و الرسالة و الأمر کذلک.

(۲) سبأ: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۱

«کَذلِکَ ما أَتَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ» «۱».

(۱) و تحدّث الاناجیل الحاضرة هی الاخری عن ان المسیح علیه السّلام عند ما وعظ الیهود قالوا: إنّ فیه شیطانا، فهو یهذی فلما ذا تسمعون إلیه؟! «۲»

و من المسلّم و البدیهی أنّ قریشا لو کان فی مقدورها أن تتهم رسول اللّه الصادق الأمین صلّی اللّه علیه و آله بغیر هذا الاتهام و تنسب إلیه غیر هذه النسبة لما تأخرت عن ذلک، و لکن حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله المشرقة خلال الاربعین سنة الماضیة، و سوابقه اللامعة فی المجتمع المکیّ و غیر المکی کانت تحول دون أن ینسبوا إلیه شیئا من تلک النسب القبیحة، الذمیمة.

لقد کانت «قریش» مستعدة لأن تستخدم أی شیء- مهما صغر- ضد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فمثلا عند ما وجده أعداء الرسالة یجلس إلی غلام مسیحیّ یدعی «جبر» عند المروة، انطلقوا یستخدمون هذا الأمر ضدّه صلّی اللّه علیه و آله فورا فقالوا: و اللّه ما یعلّم محمّدا کثیرا ممّا یأتی به الا «جبر» النصرانی.

فردّ علیهم القرآن الکریم بقوله:

«وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ» «۳».

«وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِینٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ» «۴».

۲- القرآن یرد علی جمیع الاتهامات:

اشارة

و ربما نسبوا إلیه صلّی اللّه علیه و آله الکهانة، و الکاهن هو من یتصل بعناصر من الجن «۵» أو الشیاطین و یتلقی منهم اخبارا حول الماضی و المستقبل،

(۱) الذاریات: ۵۲ و ۵۳.

(۲) انجیل یوحنا: الفصل ۱۰ الفقرة ۲۰، و الفصل ۷ الفقرة ۴۸ و ۵۲.

(۳) النحل: ۱۰۳.

(۴) الدخان: ۱۳ و ۱۴.

(۵) الجن کائن من الکائنات و مخلوق من مخلوقات اللّه تعالی و قد اخبر به القرآن الکریم فی مواضع-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۲

و کان هذا موجودا قبل الإسلام کما ترویه کتب السیر و التواریخ «۱».

و قد رد القرآن الكريم على هذه المقالة و هذا الزعم اذ قال تعالى:

«وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» «۲» كما ردّ أيضا تهمة السحر، و الكذب و الافتراء و الشعر إذ قال تعالى و هو يصف المتهمين تارة بالكفر و اخرى بالظلم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ» «۳».

و قال تعالى: «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «۴»

و قال سبحانه متعجبا منهم: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «۵».

و قال تعالى: «وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «۶».

و قال سبحانه: «وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» «۷».

و قال عزّ و جلّ: «فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ» «۸».

و قال تعالى: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» «۹».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ» «۱۰».

و قال سبحانه: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً» «۱۱».

و قال سبحانه: «أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۱۲».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «۱۳».

و قال تعالى: «وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» «۱۴».

و ربما وصفوا القرآن بانه اضغاث احلام فردهم سبحانه بقوله.

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ» «۱۵».

- عديدة كما سميت احدى السور باسم الجن.

(۱) راجع: بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۶۹ باب علم الكهانة و العرافة.

(۲) الحاقة: ۴۲.

(۳) ص: ۴.

(۴) الفرقان: ۸.

(۵) الشعراء: ۱۵۳.

(۶) الحجر: ۶.

(۷) التكوير: ۲۲.

(۸) الطور: ۲۹.

(۹) النحل: ۱۰۱.

(۱۰) هود: ۱۳.

(۱۱) الفرقان: ۴.

(۱۲) سبأ: ۸.

(۱۳) الطور: ۳۰.

(۱۴) يس: ۶۹.

(۱۵) الأنبیاء: ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۳

و هکذا نجدهم ذهبوا فی استخدام سلاح الاتهام و التشویش علی الشخصیة المحمّدیة و الرسالة الإسلامیة کل مذهب، فمرة وصفوه بانه کاهن و اخری بانه ساحر و ثالثة بانه مسحور، و رابعة بانه مجنون و خامسة بانه معلّم و سادسة بانه کذاب و سابعة بانه مفتری و ثامنة بانه مفتری او مجنون علی سبیل الترديد و تاسعة بانه شاعر و عاشرة بان ما یقوله ما هو الّا أضغاث احلام.

(۱)

فکرة معارضة القرآن:

لم یجد استخدام سلاح الاتهام ضد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفعا، و لم تأت بالثمار التی کان یتوخاها المشرکون منه، لأن الناس کانوا یدرکون بفطنتهم و فراستهم أن للقرآن جاذبیّة غریبة، و أنهم لم یسمعوا کلاما حلوا، و حدیثا عذبا مثله.

ان لکلماته من العمق و العذوبة بحیث یتقبّلها کل قلب، و تسکن إلیها کل نفس.

من هنا لم ینفع اتهام قریش لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالجنون و بأنّ ما یقوله إن هو الّا من نسج الخیال، و نتائج الجنون، شیئا، فقررت أن تخطّط لتدبیر آخر ظنا منهم بأنّ تنفیذه سیصرف الناس عنه، و عن الاستماع إلی کتابه، ألا و هو: معارضة القرآن الکریم.

(۲) فعمدت إلی «النضر بن الحارث» و کان من شیاطین قریش، و ممّن کان یؤذی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ینصب له العداوة، و کان قد قضی شطرا من حیاته فی الحیرة بالعراق و تعلّم بها أحادیث ملوک الفرس و احادیث «رستم» و «إسفندیار» و قصصهم، و حکایاتهم، و أساطیرهم، و طلبوا منه أن یجمع الناس و یقص علیهم من تلکم الأساطیر و الحکایات یلهی بها الناس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و یصرفهم عن الإصغاء إلی القرآن الکریم!!

فکان إذا جلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مجلسا فذکّر الناس فیه باللّه، و حذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة اللّه، خلفه «النضر» فی مجلسه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۴

اذا قام صلّی اللّه علیه و آله ثم قال: أنا و اللّه یا معشر قریش أحسن حدیثا منه فهلمّ إلیّ، فأنا احدّثکم أحسن من حدیثه.

ثم یحدّثهم عن ملوک الفرس و «رستم» و «اسفندیار» ثم یقول:

بما ذا محمّد أحسن حدیثا منی و ما حدیثه إلّا أساطیر الأولین اکتتبها کما اکتتبتها؟ «۱».

(۱) و قد کانت هذه الخطة حمقاء جدا إلی درجة أنها لم تدم إلّا عدة ایام لا اکثر حتی أن قریشا سأمت من أحادیث «النضر» و سرعان ما تفرّقت عنه.

و قد نزل فی هذا الشأن آیات هی:

«وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَةً وَ أَصِیلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی یَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ کانَ غَفُوراً رَحِیماً «۲».

تحججات صبیانیّة و جاهلیّة:

و ربما جسّدوا معارضتهم للدعوة المحمّدیة فی صورة تحججات و مجادلات جاهلیّة و ماخذ سخیفة اخذوها علی رسول اللّه و رسالته، تنم عن تکبر و جهل، و عناد و لجاج طبعوا علیه.

و ها نحن نذكر ابرزها:

أ- لما ذا لم ينزل القرآن على ثرىّ من اثرياء مكة أو الطائف؟!

قال تعالى حاكيا قولهم:

«لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «۳».

ب- لما ذا لم يرسل إليهم ملائكة و لما ذا هو بشر؟!

قال تعالى عنهم:

«وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۵۸.

(۲) الفرقان: ۵ و ۶.

(۳) الزخرف: ۳۱.

رسولا» «۱».

و قال تعالى حاكيا عنهم أيضا:

«وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» «۲».

ج- انّه يدعو الى خلاف ما كان عليه الآباء، من الدين و العقيدة و السلوك؟

يقول عنهم سبحانه:

«وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» «۳».

د- تبديل الآلهة باله واحد.

قال اللّه عنهم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ. أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ» «۴».

ه- القول بحشر الاجساد و تجدد الحياة فى يوم القيامة.

قال تعالى عنهم:

«وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» «۵»

و- لما ذا ليس عنده مثل ما كان لدى موسى من المعجزات كالثعبان المنقلب من العصا، و قد توصل المشركون إلى هذا النمط من الاعتراض بسبب اتصالهم بأحبار اليهود.

يقول اللّه عنهم:

فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا لو لا اوتى مثل ما اوتى موسى» «۶».

ز- لما ذا ليس معه ملك يرى و يشاهد و يحضر معه فى كل مقام و مشهد.

قال تعالى:

«وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۴.

(۲) الفرقان: ۷.

(۳) المائدة: ۱۰۴.

(۴) ص: ۴ و ۵.

(۵) السجدة: ۱۰.

(۶) القصص: ۴۸.

(۷) الانعام: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۶

مقترحات عجیبة و مطالیب غریبة:

و کان المشرکون اذا نفذت تحججاتهم و اعتراضاتهم الواهیة، و قوبلوا بردود قویة و قاطعة علیها عمدوا إلی طرح مقترحات سخیفة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی سیاق معارضتهم لدعوته و نورد هنا ابرز تلک الاقتراحات لیعرف القارئ الکریم مدی معاناة النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله من قومه:

لقد اقترحوا علیه:

۱- ان یعبد اصنامهم سنة و یعبدوا إلهه سنة اخری و جعلوا ذلک شرطا لایمانهم بدعوته!!

فأنزل اللّه تعالی فی ردّهم بسورة «الکافرون»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ. قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَ لا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ».

۲- تبدیل القرآن، فقد دفع نقد القرآن الکریم للوثنیة، و الازراء علی الاصنام، دفعهم إلی ان یطلبوا من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یأتی لهم بقرآن آخر لا یحتوی علی شجب عبادة الاوثان و الازدراء بالاصنام، و ابطالها.

قال اللّه تعالی عن فعلهم هذا:

«وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ» «۱».

فردّ اللّه علیهم بقوله:

«قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» «۲».

۳- مطالیب مادیة عجیبة!!

---

(۱) یونس: ۱۵.

(۲) یونس: ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۷

و قد عمدوا- بسبب عنادهم و عتوهم- الی المطالبة بامور لا ترتبط بهدایة الناس، مثل مطالبته بان یفجر لهم ینابیع، او یسقط السماء علی رءوسهم قطعا، أو یصعد إلی السماء، أو یأتی باللّه سبحانه و تعالی، أو غیر ذلک من الاقتراحات و المطالب التی کانت إما مستحیلة فی نفسها او تناقض غرض الدعوة!!

قال اللّه حاكيا عنهم ذلك:

«وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً. أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» «۱».

صبر النبیّ و استقامته و ثباته:

و لقد قابل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كل هذه التحججات الايذائية و ما طرح من الاقتراحات المستحيلة بصبر عظيم و ثبات هائل، ايمانا منه بدعوته، و حرصا على ابلاغ رسالته، و بفعل التأييد الالهى من جانب.

يقول اللّه تعالى فى هذا الصدد:

۱- «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» «۲».

۲- «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» «۳».

۳- «وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» «۴».

۴- «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» «۵».

۵- «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ» «۶».

۶- «وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۰- ۹۳.

(۲) الاحقاف: ۳۵.

(۳) يونس: ۱۰۹.

(۴) النحل: ۱۲۷.

(۵) الكهف: ۲۸.

(۶) القلم: ۴۸.

(۷) المزمل: ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۸

معاجز النبیّ لم تنحصر فی القرآن:

اشارة

و بالمناسبة لا بد أن نذكر أن المشركين و من حذى حذوهم من الكفار و المعارضين للرسالة الإسلامية كانوا يطالبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمعاجز و آيات لا- بدافع الرغبة فى الايمان بدعوته بل بدافع اللجاج و العناد، و إلا فان معاجز النبيّ لم تنحصر فى الكتاب العزيز، فقداتى رسول اللّه بآيات و معاجز كثيرة اخرى غير القرآن، كان كل واحد منها يكفى للاقتناع برسالته، و الايمان بصحة دعواه.

فالقرآن نفسه يشير الى أبرز هذه المعاجز و هى:

۱- شقّ القمر

فقد طلب المشرکون من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یشق لهم القمر نصفین حتی یؤمنوا به، فلمّا فعل ذلک لهم باذن اللّه کفروا به و قالوا انه سحر!!

یقول اللّه تعالی:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ. وَ إِنْ یَرَوْا آیَةً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» «۱».

۲- المعراج

ان العروج برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الذی سیأتی مفصلا هو الآخر معجزة من معاجزه القویة، و قد نطق بها القرآن بقوله:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ» «۲».

---

(۱) القمر: ۱ و ۲.

(۲) الاسراء: ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۹

۳- مباهلة أهل الباطل

ان تقدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع من خرج بهم إلی المباهلة، و احجام النصاری عن مباهلته، معجزة اخری من معاجزه صلّی اللّه علیه و آله و قد تحدّث القرآن الکریم عن هذه القضیة اذ قال:

«فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ» «۱».

و ستأتی قصّة المباهلة علی نحو التفصیل فی حوادث السنة العاشرة من الهجرة.

۴- الاخبار بالمغیبات

فقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخبر عن امور غائبة کما یقول اللّه سبحانه حاکیا عنه:

«وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ» «۲».

هذا و قد أخبرت الاخبار و الأحادیث عن معاجز کثیرة لرسول اللّه غیر القرآن الکریم.

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

(۲) آل عمران: ۴۹، و قد اشار القرآن الکریم إلی موارد اخری من هذه القبیل.

فقد اخبر عن غلبة الروم بعد سنین: قال تعالی:

«الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ. فِی بِضْعِ سِنِینَ. لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» (الروم: ۱- ۴).

و اخبر عن هلاک ابی لهب قال تعالی:

«تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَ ... الخ».

و أخبر عن هزیمة المشرکین فی بدر قال سبحانه:

«سَیُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ یُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (القمر: ۴۵).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۰

و من هذه المعاجز ما ذکره الإمام امیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب- کما فی نهج البلاغة- حول سؤال المشرکین من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قلع شجرة بعروقها و جذورها و لما فعل ذلک و قال یا أیّتها الشجرة ان کنت تؤمنین باللّه و الیوم الآخر، و تعلمین أنی رسول اللّه فانقلعی بعروقک حتی تقفی بین یدیّ باذن اللّه».

فانقلعت بعروقها و لها دوّی عجیب و وقفت بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لکنهم کذّبوا و قالوا ساحر کذاب، علوا و استکبارا.

و قد صرح الإمام فی کلامه هذا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أخبرهم بانهم لا یؤمنون و ان ظهرت لهم المعجزة التی طلبوها، و ان فیهم من یطرح فی القلیب (فی معرکة بدر) و ان منهم من یحزّب الأحزاب (لمعرکة الخندق) «۱».

(۱)

اصرار النبیّ علی هدایة قریش:

بل کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یحرص علی هدایتهم و ارشادهم و ایقاظهم. فقد کان زعیم المسلمین و قائدهم یعلم جیدا بأن اعتقاد أغلبیة الناس بالأوثان ما هو الّا أمر نابع من تقلید الآباء، و الجدود، أو اتباع أسیاد القبیلة و کبرائها، و هو بالتالی لا یستند إلی جذور فی أعماق الناس و اسس فی عقولهم و نفوسهم.

من هنا فانّ أیّ انقلاب یحصل و یحدث فی اوساط السادة و الکبراء بان یؤمن أحدهم مثلا کان کفیلا بأن یحلّ الکثیر من المشاکل.

(۲) من هنا کان ثمة إصرار کبیر علی جرّ «الولید بن المغیرة» الذی أصبح ابنه «خالد» فی ما بعد من قادة الجیش الاسلامیّ و المشارکین فی الفتوح الاسلامیة إلی صف المؤمنین بالرسالة المحمّدیة، لأنّه کان أسنّ من فی قریش و اکثرهم نفوذا، و أعلاهم مکانة، و أقواهم شخصیة، و کان یدعی حکیم العرب، و کانت العرب تحترم رأیه إذا اختلفت فی أمر.

---

(۱) نهج البلاغة: قسم الخطب الرقم ۱۹۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۱

(۱) و قد کلّمه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم فی ذلک و قد طمع فی اسلامه، فبینا هو فی ذلک إذ مرّ به «ابن أمّ مکتوم»، فکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جعل یستقرئه القرآن فشقّ ذلک منه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی أضجره، و ذلک أنّه شغله عمّا کان فیه من أمر «الولید». و ما طمع فیه من إسلامه، فلمّا أکثر علیه انصرف عنه عابسا و ترکه، فنزل قوله تعالی:

«عَبَسَ وَ تَوَلَّی. أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی. وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّهُ یَزَّکَّی. أَوْ یَذَّکَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّکْری. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنی. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّی. وَ ما عَلَیْکَ أَلَّا یَزَّکَّی. وَ أَمَّا مَنْ جاءَکَ یَسْعی. وَ هُوَ یَخْشی فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّی. کَلَّا إِنَّها تَذْکِرَةٌ» «۱» «۲».

و قد فنّد علماء الشیعة و محقّقوهم هذه الروایة التاریخیة، و استبعدوا صدور مثل هذا السلوک عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی امتدحه ربّ العالمین بالخلق العظیم، و وصفه بالرأفة بالمؤمنین، و قالوا: لیس فی الآیات ما یدل علی أن الذی عبس و تولّی هو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قد روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أن المراد رجل من بنی امیّة، فإنّه عبس و تولّی عند ما حضر «ابن أمّ مکتوم» الأعمی عند رسول اللّه فنزلت هذه الآیات توبیخا له «۳».

(۲)

۳- تحریم استماع القرآن

اشارة

کانت البرامج الواسعة التی دبرها الوثنیّون فی «مکة» لمکافحة الاسلام، و الحیلولة دون انتشاره بین القبائل و الجماعات، تنفّذ الواحدة تلو الأخری، و لکن دون جدوی، و دون ان یکسب اصحابها من ورائها أی نجاح، و ایة نتائج علی

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۳- ۳۶۴.

(۲) عبس: ۱- ۱۱.

(۳) مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۴۳۷، و قد شرح العلامة الطباطبائی فی المجلد ۲۰ من تفسیر المیزان عند تفسیر سورة عبس شأن نزول هذه الآیات بصورة رائعة، و شکل بدیع، و اثبت بان فاعل عبس لیس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لا ینافی ذلک توجّه الخطاب فی «و ما یدریک» إلیه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۲

المستوی المطلوب، فقد کانت تلک المؤامرات تفشل فی کل مرة، و لا یجنی المشرکون منها سوی الخیبة و الفشل، و سوی النتائج المعکوسة فی أغلب الأحایین.

فقد ما رسوا الدعایة ضد رسول اللّه فترة من الزمن و لکن لم یحالفهم التوفیق الکامل فی ذلک، فقد وجدوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اکثر ثباتا و استقامة فی طریقه و أشدّ إصرارا علی هدفه، و کانوا یرون بام أعینهم بأن عقیدة التوحید فی انتشار مستمر و متزاید، یوما بعد یوم.

(۱) و لهذا قرّر سادة قریش و زعماء «مکة» المشرکون أن یمنعوا الناس عن سماع القرآن.

و لکی تتحقق خطتهم هذه و تلبس ثوب الوجود بثّوا جواسیسهم فی کل انحاء مکة و مداخلها لیمنعوا من یفد إلیها للحج او التجارة من الاتصال بمحمّد، و منعه بکل صورة ممکنة، عن الاستماع الی القرآن، و أعلن مناذیهم ما ذکره القرآن عند قوله تعالی:

«وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ» «۱».

(۲) لقد کان القرآن اقوی أسلحة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فقد القی رعبا عجیبا فی نفوس الاعداء و اقضّ مضاجعهم.

و کان اشراف قریش و أسیادها یرون بام أعینهم کیف أنّ اعدی أعداء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله (و هو أبو جهل) عند ما مشی إلیه لیستهزئ به، و یسخر منه، ما ان سمع آیات من القرآن، إلّا و فقد السیطرة علی نفسه، و لان قلبه، و أصبح من أصحابه و مؤیدیه الأقویاء، و لهذا لم یکن أمام اولئک الاسیاد إلا أن یمنعوا من سماع القرآن منعا باتا، و یحرموا التحدث الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله تحریما قاطعا «۲».

و لهذا کان الرجل منهم إذا أراد أن یسمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعض ما یتلوه من القرآن و هو یصلی استرق السمع دونهم فرقا منهم، فان رأی أنهم قد عرفوا أنه یستمع منه ذهب خشیة أذاهم فلم یستمع «۳».

(۱) فصّلت: ۲۶.

(۲) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

(۳) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۳

(۱)

واضعوا القرار ینقضون قرارهم!!

و لکن من الطریف العجیب أن نفس الـذین کانوا یمنعون الناس بشدة عن الاسـتماع إلی القرآن، و کانوا یعدون کل من یتجاهل قرار (تحریم الاسـتماع الی القرآن) مخالفا یتعرض للملاحقه و العقاب، نقضوا بعد أیام من إصدار هذا القرار قرارهم و انضمّوا إلی صفوف المخالفین له فی الخفاء.

فاذا بالذین یمنعون من سماع القرآن فی العلن، یستمعون إلیه فی الخفاء!

و إلیک بعض ما جری فی هذا الصعید:

خرج «أبو سـفیان» و «أبو جهل» و «الاخنس» لیلة لیسـتمعوا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یصلی من اللیل فی بیته، فأخذ کل رجل منهم مجلسا یسـتمع فیه، و کل لا یعلم بمکان صاحبه، فباتوا یسـتمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطریق فتلاوموا، و قال بعضـهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآکم بعض سـفهائکم لأوقعتم فی نفسه شـیئا ثم انصرفوا، حتی اذا کانت اللیلة الثانیة عاد کل رجل منهم الی مجلسه، فبـاتوا یسـتمعون له، حـتی إذا طلع الفجر تفرّقـوا، فجمعهم الطریـق، فقـال بعضـهم لبعض مثـل مـا قـالوا أول مرة، ثم انصـرفوا، حتی اذا کانت اللیلة الثالثة اخذ کل رجل منهم مجلسه، فباتوا یستمعون له، حتی اذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطریق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتی نتعاهد ألّا نعود، فتعاهدوا علی ذلک. ثم تفرّقوا «۱».

(۲)

۴- منع الاشخاص من الایمان برسول اللّه

اشارة

بعـد خطة (تحریم الاسـتماع الی القرآن) بدءوا بتنفیذ خطة اخری و هو منع کل قریب و بعید ممّن رغبوا فی الإسـلام و قدموا إلی مکة لیتعرفوا علی النبیّ، و علی ما اتی به من کتاب و دین، من الاتصال بالنبی صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۴

فبثت قریش جواسیسـها فی الطرق المؤدیة إلی مکة لیتصلوا بمن یلقونه من هؤلاء و یبادروا الی منعه من الاتصال برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الایمان برسالته، بشتی الحیل و الاسالیب.

و إلیک نموذجین حیّین من هذا الأمر.

(۱)

۱- «الاعشی»:

و کان من شعراء العهد الجاهلی البارزین، و کانت قصائده تتناقلها مجالس السمر القرشیة، و تتغنی بها محافل انسهم.

و قد بلغ «الاعشی» فی کبره نبأ ما جاء به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من التوحید و من تعالیم الاسلام العظیمة، و کان یعیش فی منطقة نائیة عن مکة، حیث لم تصل إلیها أشعة الرسالة الاسلامیة علی وجه التفصیل بعد، و لکن ما قد سمع به من تعالیم الاسلام علی نحو الاجمال قد اوجد فی نفسه هیاجا خاصا و حرّک مشاعره فأنشأ قصیدة مطوّلة یمدح فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم خرج الی مکة لیهدیها إلیه صلّی اللّه علیه و آله و هو فی نفس الوقت یرید الاسلام.

و رغم ان تلکم القصیدة لا تتجاوز أبیاتها ۲۴ بیتا، و لکنها تعدّ من أفضل و افصح ما قیل من الشعر فی الاسلام، و فی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی العهد النبوی و یوجد نصّها الکامل فی دیوان «الأعشی» و قد قال فیها و هو یذکر بعض تعالیم الاسلام:

نبیّا یری ما لا یرون و ذکره‌أغار لعمری فی البلاد و أنجدا

فایاک و المیتات لا تقربنّهاو لا تأخذن سهما حدیدا لتفصدا

و ذا النصب المنصوب لا تنسکنّهو لا تعبد الأوثان و اللّه فاعبدا

و لا تقربنّ حرّة کان سرّهاعلیک حراما فانکحن أو تأبّدا

و ذا الرحم القربی فلا تقطعنّهلعاقبة، و لا الاسیر المقیّدا

و سبّح علی حین العشیات و الضحیو لا تحمد الشیطان و اللّه فاحمدا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۵

(۱) فلما کان بمکة أو قریبا منها اعترضه جواسیس قریش و رجالها فسألوه عن أمره و قصده فاخبرهم بانه جاء یرید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیسلم، و حیث أنهم کانوا یعرفون بأن «الاعشی» رجل یحب النساء و الخمر حبّا کبیرا لذلک عمدوا إلی الضرب علی هذا الوتر لینفّروه من الاسلام، فقالوا له: یا أبا بصیر (و هی کنیة الاعشی) إنه یحرم الزنا.

فقال الاعشی: و اللّه ذلک لأمر مالی فیه من ارب.

فقالوا له: یا أبا بصیر فانّه یحرّم الخمر.

فقال الأعشی- و قد صدم بهذا الخبر- أمّا هذه فو اللّه فی النفس منها لعلالات، و لکنی منصرف فاتروّی منها عامی هذا، ثم آتیه فاسلم!! فانصرف فمات فی عامه ذلک، و لم یعد الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۱».

(۲)

۲- الطفیل بن عمرو الدوسیّ:

و هو الشاعر العربی الحکیم العذب اللسان، صاحب النفوذ و الکلمة المسموعة فی قبیلة.

یروی انه قدم «مکة» و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بها، و کانت قریش تخشی ان یتصل بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله فیسلم.

و من البدیهی أن اسلام رجل مثله کان ممّا یشق علی قریش جدّا و لهذا مشی إلیه رجال منهم و قالوا له- محذرین ایّاه من رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله-:

يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذى بين أظهرنا قد اعضل بنا، و قد فرّق جماعتنا، و شتّت أمرنا، و إنما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل و بين ابيه، و بين الرجل و بين اخيه، و بين الرجل و بين زوجته، و إنا نخشى عليك و على قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنّه، و لا تسمعنّ منه شيئا.

ففعلت تحذيرات قريش فعلتها فى نفس الطفيل و هم يكرّرونها عليه بقوة

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۸۶- ۳۸۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۶

و إصرار، حتى انه قرر ان لا يسمع من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله شيئا، و لا يكلّمه، و حشّى اذنه- حين غدى الى المسجد للطواف- قطنا، خوفا من أن يبلغه شىء من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو لا يريد ان يسمعه!!!

(۱) يقول الطفيل: فغدوت الى المسجد فاذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قائم يصلى عند الكعبة، فقمت منه قريبا فسمعت كلاما حسنا من غير اختيار منى فقلت فى نفسى: وا ثكل أمى، و اللّه انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن اسمع من هذا الرجل ما يقول، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته، و ان كان قبيحا تركته؟

فمكثت حتى انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى بيته فاتّبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمّد إن قومك قد قالوا لى كذا و كذا للذى قالوا، فو اللّه ما برحوا يخوّفوننى أمرك حتى سردت اذنى بكرسف لئلا اسمع قولك ثم ابى اللّه إلّا أن يسمعنى قولك فسمعته قولا حسنا، فاعرض علىّ أمرك، فعرض علىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الاسلام، و تلا علىّ القرآن، فلا و اللّه ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق.

ثم قلت: يا نبىّ اللّه إنى امرؤ مطاع فى قومى و أنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الاسلام.

(۲) ثم يكتب ابن هشام قائلا: إن الطفيل لم يزل بارض «دوس» يدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينة و مضى «بدر» و «احد» و «الخندق» فقدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمن أسلم معه من قومه و هم سبعون او ثمانون بيتا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بخيبر فلحقوا جميعا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بخيبر، و بقى مع النبىّ حتى قبض صلّى اللّه عليه و آله ثم سار مع المسلمين- فى زمن الخلفاء إلى «اليمامة» و شارك فى معركتها و قتل فيها «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ح ۱ ص ۳۸۲- ۳۸۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۷

(۱)

۱۹ اسطورة الغرانيق

اشارة

قد يكون بين القرّاء من يودّ التعرف على اسطورة «الغرانيق» التى رواها بعض مؤرّخى السنّة و معرفة جذورها كما يودّ التعرف على الأيادى الخفية التى كانت وراء اختلاق هذه الاسطورة، و أمثالها من الأكاذيب، و المفتريات.

كان اليهود و بخاصّة أحبارهم و لا يزالون العدوّ رقم واحد للإسلام.

و قد عمد فريق منهم- مثل «كعب الاحبار» و غيره- ممّن تظاهروا باعتناق الاسلام إلى تحريف الحقائق باختلاق الأكاذيب و جعل الأخبار المفتراة على لسان الأنبياء «۱».

و لقد أدرج بعض المؤلفين المسلمين بعض هذه المفتريات فى مؤلفاتهم و جعلوها فى عداد الحديث و التاريخ الصحيح من دون تمحيصها و التحقيق فيها، ثقة بكل من أظهر الاسلام، و تظاهر بالإيمان، و انضم إلى صفوف المسلمين!!

و لكنّ اليوم حيث يجد العلماء فرصة اكبر للتحقيق فى هذا النوع من الأحاديث و الاخبار، و المنقولات و النصوص و بخاصة بعد أن توفّرت لديهم- بفضل جهود طائفة من المحققين المسلمين القواعد و الضوابط الكفيلة بتمييز

---

(۱) و هى التى يطلق عليها الاسرائيليات و قد الّفت فى هذا المجال بعض الكتب.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۸

الحسن عن القبيح، و الصحيح عن السقيم، و فرز الحقائق التاريخية عن القصص الخياليّة، و الروايات الاسطورية.

من هنا لا ينبغى لكاتب مسلم ملتزم أن يعتبر كل ما يراه فى مصنّف تاريخىّ أو غير تاريخىّ متقدّم أمرا صحيحا مقطوعا بسلامته، و يرويه فى كتابه من دون دراسة و تحقيق، و تمحيص و تقييم.

(۱)

ما هى اسطورة الغرانيق؟!

يقولون: إن «الأسود بن المطلب» و «الوليد بن المغيرة» و «أميّة بن خلف» و «العاص بن وائل» و هم من زعماء قريش و اسيادها قالوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

يا محمّد هلم فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد فنشترك نحن و أنت فى الأمر!!

و قالوا ذلك رفعا للاختلاف، و تضييقا لشقّة الخلاف فأنزل اللّه سبحانه سورة الكافرين التى امر فيها نبيّه أن يقول فى جوابهم:

«لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ».

و مع ذلك كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يرغب فى أن يساوم قريشا و يجاريهم و كان يقول فى نفسه: ليت نزل فى ذلك أمر يقرّبنا من قريش.

و ذات يوم و بينما كان صلّى اللّه عليه و آله يتلو القرآن عند الكعبة و يقرأ سورة «النجم» فلما بلغ قوله تعالى:

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى. وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى».

أجرى الشيطان على لسانه الجملتين التاليتين:

«تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى» «۱».

(۲) فقرأهما من دون اختيار، و قرأ ما بعدها من الآيات، و لمّا بلغ آية السجدة سجد هو و من حضر فى المسجد من المسلمين و المشركين أمام الاصنام، إلّا

---

(۱) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۹

«الوليد» الذى عاقه كبر سنه عن السجود!!

و فرح المشركون، و ارتفعت نداءاتهم يقولون: لقد ذكر «محمّد» آلهتنا بخير.

و انتشر نبأ هذه المصالحة و التقارب بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المشركين، المهاجرين الى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، و لكنّهم ما أن كانوا على مشارف «مكة» إلّا و عرفوا بأن الأمر تغير ثانية، و أن ملك الوحى نزل على النبيّ و أمره مرة اخرى بمخالفة الاصنام و مجاهدة الكفار و المشركين، و أخبره بأن الشيطان هو الّذى أجرى تينك الجملتين على لسانه، و انه لم يقله و أنه ليس من «الوحى» فى شىء أبدا.

و عندئذ نزلت الآيات (۵۲- ۵۴) من سورة «الحج» التى يقول اللّه تعالى فيها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

هذه هى خلاصة اسطورة «الغرانيق» التى أوردها «الطبرى» فى تاريخه «۱» و يذكرها و يردّدها المستشرقون المغرضون بشىء كبير من التطويل و التفصيل!!

(۱)

محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة

لنفترض أن «محمّدا» لم يكن نبيا مرسلا و لكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه و حنكته، و فطنته و عقله.

فهل لعاقل فطن، محنّك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟

ان الذكىّ اللبيب الذى يجد انصاره يتكاثرون و يتزايدون يوما بعد يوم

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۸۵ و ۷۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹۰

و تقوى صفوفهم اكثر فاكثر بينما تتفرق صفوف أعدائه و مناوئيه و يتناقص معارضوه و خصومه، هل يقدم فى مثل هذه الحالة على عمل يوجب ان يسىء الجميع ظنهم به، و يشك الصديق و العدو فى أمره؟!

هل تصدّق أنت أيها القارئ الكريم أن رجلا- ترك جميع الأموال و المناصب التى عرضتها قريش عليه، فى سبيل دينه الحنيف، و عقيدته التوحيد أن يصبح مرة اخرى من دعاة الشرك، و مروّجى الوثنية؟؟!

إننا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال فى حق مصلح أو سياسى عادى من الساسة و المصلحين فكيف برسول اللّه و نبيّه العظيم.

(۱)

رأى العقل فى هذه القصة:

(۲) ۱- إن العقل يحكم بان المرشدين الذين يبعثهم اللّه تعالى الى البشرية لهدايتها و ارشادها، و تزكيتها و تعليمها مصونون عن أى خطأ و زلل بقوة (العصمة) التى اوتوها، اذ لو تعرض مثل هؤلاء الى الخطأ و الزلل فى امور الدين لزالت ثقة الناس بهم و بكلامهم.

يجب علينا ان نقارن بين أمثال هذه القصص، و بين هذا الأصل العقائدىّ المنطقى و نعالج بواسطة معتقداتنا القوية المبرهنة متشابهات التاريخ و معضلاته.

إنّ من المسلّم أن عصمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت تمنعه و تحفظه من أى نوع من هذه الحوادث فى تبليغ رسالته

السماویة.

(۳) ۲- إن هذه الاسطورة تقوم أساسا على أن النبیّ قد تعب من أداء مهمّته التی ألقاها اللّه سبحانه علیه، و قد شقّ علیه ابتعاد الوثنیّین عنه، فکان یبحث عن مخلص من هذا الوضع المتعب، یکون طریقا- حسب تصوره- إلی إصلاح وضعهم!!

و لکن العقل یقضی بأن علی الأنبیاء أن یکونوا صابرین حلماء أکثر ممّا یتصور، و أن یکونوا مضرب المثل عند الجمیع فی ذلک، فلا یحدّثوا أنفسهم بالتهرّب من المسئولیة و ترک الساحة مطلقا، مهما اشتدّت الظروف، و تأزّمت

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۱

الأحوال.

بینما لو صحّت هذه الروایة- الاسطورة لکانت دلیلا علی أنّ بطل حدیثنا قد فقد عنان الصبر و أفلت منه زمام الثبات و الاستقامة و انه بالتالی تعب و ملّ، و ضنی و کلّ، و هو أمر لا ینسجم مع ما یحکم به العقل السلیم فی حق الأنبیاء، کما لا یتفق کذلک مع ما عهدناه من سوابق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من مستقبله أبدا.

إن مختلق هذه الاسطورة لم یمرّ بخاطره و باله أنّ القرآن الکریم شهد ببطلان هذه القصة، اذ یعد اللّه تعالی نبیه الکریم، بأن لا یتسرّب الی القرآن أی شیء من الباطل إذ قال:

«لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» «۱».

کما وعده أیضا بأن یصونه عبر جمیع أدوار البشریة من أی حادث سیّئ اذ قال سبحانه:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۲».

(۱) و مع ذلک کیف یستطیع الشیطان الرجیم عدو اللّه أن ینتصر علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یسرّب الی القرآن شیئا باطلا، و یصبح القرآن الذی تقوم معارفه و تعالیمه علی أساس معاداة الوثنیة و محاربتها داعیا الی الوثنیة؟؟!!

إنه لأمر عجیب جدا أن یفتری مختلق هذه الاسطورة أمرا ضدّ التوحید فی موضع قد کذّبه القرآن قبل هذا المکان بقلیل إذ قال اللّه تعالی:

«وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی» «۳».

فکیف یترک اللّه نبیّه- و قد وعده بهذا الوعد- من دون حفیظ، و یسمح للشیطان بأن یتصرف فی قلبه و عقله و لسانه؟؟

إن هذه الأدلة العقلیة إنما تفید من یکون مؤمنا بنبوة محمّد صلّی اللّه علیه و آله و رسالته.

---

(۱) فصّلت: ۴۲.

(۲) الحجر: ۹.

(۳) النجم: ۳ و ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۲

و اما المستشرقون الذین لا یعتقدون بنبوته، و یعمدون الی شرح و نقل و ترديد أمثال هذه الأساطیر للحطّ من شأن دینه و رسالته فلا تکفیهم هذه الدلائل، فلا بدّ أن ندخل معهم فی البحث من باب آخر.

(۱)

تکذیب القصّة من طریق آخر

إنّ النصّ التاریخیّ یقول: إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قرأ هذه السورة، و کبار قریش و اکثرهم من عمالقة الکلام، و أبطال

الفصاحة و البلاغة العربیة حضور فی المسجد و منهم «الولید بن المغیرة، متکلم العرب و منطقیها المفوّه المعروف بینهم بالذکاء و حصافة العقل و النباهة، و قد سمعوا جمیعا هذه السورة إلی ختامها حیث سجد الجمیع بسجدتها.

فکیف اکتفی هذا الجمع المؤسس للفصاحة و البلاغة الذین کانوا ینقدون کل ما یعرض علیهم نقدا دقیقا؟

کیف اکتفوا بتینک الجملتین اللتین امتدحتا آلهتهم، و قد تضمنت الآیات السابقة علیهما، و اللاحقة لهما علی شتم آلهتهم و تفنیدها، و الازدراء بها بصورة صارخة و صریحة؟!

(۲) کیف تصور مختلق هذه الأکذوبة الفاضحة، تلک الجماعة أصحاب اللغة العربیة و آباءها و نقّاد الکلام المعدودین عند العرب کلّها من عمالقة الفصاحة و البلاغة بلا- منازع، و الذین کانوا أعرف من غیر هم باشارات تلک اللغة، و کناياتها (فضلا عن تصریحاتها).

کیف اکتفی هؤلاء بتینک العبارتین فی امتداح آلهتهم، و غفلوا عما سبقها و لحقها من الذمّ لها و الطعن الصارخ فیها؟

إنه لا- یمکن قط أن نخدع العادیّین من الناس بهاتین الجملتین المحفوفتین بکلام مطوّل یذم عقائدهم و سلوکهم فکیف بمن عرف باللب، و الحصافة، و الحکمة و الذکاء؟

(۳) و ها نحن ندرج هنا الآیات المتعلّقة بالمقام و نترک أصفارا (و فراغا) فی مکان

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۳

الجملتین اللتین ادّعی اضافتهما، ثم نترک للقارئ نفسه أن یقیم بنفسه هل لتینک الجملتین مکان بین هذه الآیات (التی وردت فی ذمّ الاصنام و القدح فیها):

و إلیک هذه الآیات:

«أَ فَرَأَیْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّی. وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْری ... «۱» أَ لَکُمُ الذَّکَرُ وَ لَهُ الْأُنْثی. تِلْکَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِیزی. إِنْ هِیَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ» «۲».

ثم هل یسمح إنسان عادیّ لنفسه أن یکفّ عن معاداة نبیّ هاجم عقائده طیلة عشرة اعوام، و هدر استقلاله و کیانه، و جرّ علیه الشقاء بتسفیه أحلامه، و شتم آلهته، لعبارات متناقضة و کلام خلیط من الذّم الکبیر و المدح العابر.

(۱)

دلیل لغویّ علی تفنید هذه الاسطورة

اشارة

یقول العلامة الجلیل الشیخ محمّد عبده: لم یستعمل لفظ الغرانیق فی الآلهة أبدا لا فی اللغة و لا فی الشعر العربی «۳».

و «غرنوق» و «غرنیق» اللذان جاءا فی اللغة استعملا فی نوع من طیور الماء أو الشابّ الجمیل، و لا ینطبق أی واحد من هذه المعانی علی الآلهة

و قد اعتبر احد المستشرقین یدعی «السیر ولیم مویر» قصة «الغرانیق» هذه من مسلّمات التاریخ و استدل لها بقوله: لم یکن یمض علی هجرة المهاجرین الاول إلی الحبشة اکثر من ثلاثة أشهر یوم صالح محمّد قریشا فعادوا إلی مکة.

إن المسلمین الذین هاجروا إلی تلک الأرض و کانوا یعیشون فی أمن و طمأنینة فی جوار النجاشیّ إذا لم یکونوا یبلغهم نبأ مصالحة النبیّ لقریش لما عادوا إلی مکة للقاء بذوبهم.

فاذن لا بدّ أنّ «محمّدا» قد تذرّع بشیء لمصالحة قریش، و التقرّب إلیها،

---

(۱) مکان الجملتین المزعومتین: تلک الغرانیق ... الی آخرها.

(۲) النجم: ۱۹- ۲۳.

(۳) نقله عنه القاسمی فی تفسیره: ج ۱۲ ص ۵۵- ۵۶.

و هذا الشیء هو قصة الغرانیق»!! «۱».

(۱) و لکن یجب أن نسأل هذا المستشرق المحترم:

(۲) أولا: لما ذا یجب أن تکون عودة المهاجرین ناشئة عن نبأ صحیح حتما.

إن النفعیین و ذوی الأهواء و الأغراض یسعون دائما إلی بثّ عشرات بل مئات الأخبار الکاذبة بین جماعتهم لتحقیق ما رب خاصّة لهم، فما الذی یمنع من أن نحتمل أن هناک من افتعل خبر مصالحة النبیّ لقریش بهدف إرجاع المهاجرین من الحبشة الی «مکة». و قد صدق بعض اولئک المهاجرین هذا الخبر الکاذب فعادوا إلی أرض الوطن، بینما لم ینخدع الآخرون بها و بقوا فی الحبشة و لم یعودوا الی مکة؟؟

(۳) ثانیا: لنفترض أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان یرید أن یصالح قریشا، فهل یکون الطریق إلی السلام و المصالحة منحصرا فی افتعال هاتین الجملتین.

أ لم یکن إعطاء مجرّد وعد مناسب أو مجرّد السکوت عن عقائدهم کافیا لتهدئة خواطرهم، و اجتذابهم قلوبهم نحوه؟

و علی کلّ حال فان عودة المهاجرین لا یکون دلیلا علی صحّة هذه الاسطورة کما أن المصالحة، و التقارب غیر متوقفین علی النطق بهاتین الجملتین.

و الأعجب من هذا أن البعض تصوّر أن الآیات (۵۲- ۵۴ من سورة الحج) قد نزلت فی قصة الغرانیق.

(۴) و حیث أن هذه الآیات قد وقعت ذریعة بأیدی المستشرقین و مرتکبی جریمة التحریف فی التاریخ، فاننا نعمدها إلی توضیح مفاد هذه الآیات، و نبین للقارئ بأنها تنظر إلی امر آخر، و لا ترتبط بهذه القصة بتاتا.

و ها هو نصّ الآیات المشار إلیها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللَّهُ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیاتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ

---

(۱) راجع حیاة محمّد: ص ۱۶۵ و ۱۶۶.

لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ وَ لِیَعْلَمَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَیُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِینَ آمَنُوا إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ».

و الآن یجب أن نبین مفاد الآیات و لنبدأ بالآیة الاولی:

انّ الآیة الاولی تذکّر بثلاثة امور هی:

۱- انّ الأنبیاء و الرسل یتمنون.

۲- انّ الشیطان یتدخّل فی تمنیاتهم.

۳- انّ اللّه یمحی آثار ذلک التدخّل.

و بتوضیح هذه النقاط الثلاث یتضح مفاد الآیة و المراد منها.

و إلیک توضیح تلکم النقاط الثلاث:

(۱)

۱- ما هو المقصود من تمنی الأنبیاء و الرسل

لقد کان الأنبیاء و الرسل یحبّون هدایة امممهم، و نشر دینهم و تعالیمهم فیها، و کانوا یدبّرون امورا و یخطّطون خططا لتحقیق أهدافهم هذه، کما کانوا یتحملون فی هذا السبیل کل المتاعب و المصاعب، و یثبتون فی جمیع المشکلات و المحن.

و لم یکن رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله مستثنی عن هذه القاعدة، فقد کان صلّی اللّه علیه و آله یخطط لتحقیق أهدافه کثیرا، و یهیّئ مقدمات و یبیّن القرآن هذه الحقیقة بقوله:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی».

فاتّضح إلی هنا المراد من لفظ تمنّی و لنشرح الآن النقطة الثانیة.

(۲)

۲- ما هو المقصود من تدخّل الشیطان؟

إن تدخّل الشیطان یمکن أن یتم علی نحوین:

(۳) ۱- أن یوجد الشک و الترديد فی عزم الأنبیاء، و یوحی إلیهم بأنّ هناک

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۶

عوائق کثیرة تحول بینهم و بین أهدافهم، و لذلک لن یحرزوا نجاحا فی تحقیق تلک الأهداف.

(۱) ۲- بأن الأنبیاء کلما مهّدوا لأمر و هیّئوا له مقدّماته، و ظهرت منهم أمارات تدل علی أنهم مقدمون علی تنفیذه فعلا أقام الشیطان و من تبعه من شیاطین الانس العراقیل و الموانع فی طریقهم، لیمنعوهم من الوصول إلی غایاتهم.

(۲) أما الاحتمال الأول فلا ینسجم لا مع الآیات القرآنیة الاخری و لا مع الآیة اللاحقة.

(۳) أمّا من جهة الآیات الاخری فلأنّ القرآن ینفی بصراحة لا صراحة فوقها أنه لا سلطان للشیاطین علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین (و لو بأن یصوّروا لهم بأنهم لن یقدروا علی تحقیق آمالهم، و أهدافهم) إذ یقول:

«إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ» «۱». و یقول أیضا:

«إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ» «۲».

إن هذه الآیات، و الآیات الاخری التی تنفی سلطان الشیطان علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین، و تأثیره فی قلوبهم و نفوسهم لخیر شاهد و أفضل دلیل علی أنّ المقصود من تدخّل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء لیس بمعنی إضعاف عزیمتهم، و إرادتهم و تکبیر الموانع و العراقیل فی نظرهم.

(۴) أمّا من جهة الآیات المبحوثة فان الآیة الثانیة و الثالثة تفسّر و تشرح علّة التدخّل علی النحو الآتی:

إننا نختبر بهذا العمل فریقین من الناس: الفریق الأول: الّذین فی قلوبهم مرض، و الفریق الثانی: الذین یؤمنون باللّه و الیوم الآخر.

یعنی أنّ تدخّل الشیطان فی أعمال الأنبیاء عن طریق تحریک الناس ضدّهم و ضدّ أهدافهم یوجب مخالفة الفریق الأوّل و معارضتهم للانبیاء فی حین یکون الأمر علی العکس من ذلک فی الفریق الثانی فانه یزید من ثباتهم و صمودهم.

---

(۱) الحجر: ۴۲، الاسراء: ۶۵.

(۲) النحل: ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۷

و ان بیان أن لتدخل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء، مثل هذین الاثرین المختلفین (أی یحمل فریقا علی المخالفة و فریقا آخر علی الثبات و الصمود) یفید أن المراد بالتدخل هنا هو المعنی الثانی، یعنی ان التدخل یحصل عن طریق تحریک الناس ضدّهم، و إلقاء الوساوس فی قلوب أعدائهم، و خلق الموانع و العراقیل فی طریقهم لا أنهم یتصرفون فی نفوس الأنبیاء و قلوبهم و یضعفون ارادتهم و عزمهم.

إلی هنا اتضح معنی تدخّل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء و الرسل.

و الآن حان الحین لتوضیح المطلب الآخر یعنی محو آثار هذا التدخل.

(۱)

۳- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟

اذا کان معنی تدخّل الشیطان هو تحریک الناس و تألیبهم ضد الأنبیاء لیمنعوا الأنبیاء و الرسل من التقدم فی أهدافهم، فان محو آثار التدخّل الشیطانی من قبل اللّه- حینئذ- یکون بمعنی ان اللّه یدفع عن أنبیائه و رسله کید الشیطان لیتضح الحق للمؤمنین، و یکون اختبارا لمرضی القلوب کما یقول تعالی فی آیة اخری:

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا» «۱».

و خلاصة القول: أن القرآن یخبر- فی هذه الآیات- عن سنة للّه قدیمة فی مجال الأنبیاء و هی:

إن تمنّی التقدم فی الأهداف و تمنّی التوفیق فی هدایة الناس هو فعل الأنبیاء دائما.

ثم یأتی الدور لتدخّل الشیطان و أتباعه من شیاطین الإنس و الجنّ، و ذلک بایجاد الموانع و العقبات فی طریق الأنبیاء و الرسل.

ثم یأتی من بعد ذلک حلول المدد الإلهی الغیبیّ بمحو و فسخ کلّ التدابیر الشیطانیة المضادّة لأهداف الأنبیاء المعرقلة لتحقیق أمانیّهم.

و هذه هی إحدی السنن الالهیة الثابتة التی جرت فی جمیع الامم السالفة.

---

(۱) غافر: ۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۸

(۱) إن تاریخ الأنبیاء و الرسل و قصصهم من نوح و إبراهیم و أنبیاء بنی إسرائیل و بخاصّة موسی و عیسی علیهما السّلام، و تاریخ حیاة الرّسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله خیر شاهد علی هذا المطلب.

و ینبغی استکمالا لهذا البحث أن نقول: و لأجل ما ورد علی هذه القصة الاسطوریة من مؤاخذات رفضها و فنّدها بعض المحققین من أهل السنة اذ قال بعد ذکرها علی النحو الذی ادرجها الطبری فی تاریخه و أرسله ارسال المسلّمات:

«و أهل الأصول یدفعون هذا الحدیث بالحجة.

و من صحّحه قال فیه أقوالا:

منها: ان الشیطان قال ذلک و أذاعه و الرسول علیه الصلاة و السّلام لم ینطق به.

(و ذکر وجوها اخری ثم قال:) و الحدیث علی ما خیّلت غیر مقطوع بصحته «۱».

---

(۱) راجع هوامش السیرة النبویّة: ج ۱ ص ۳۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۹

(۱)

۲۰ الحصار الاقتصادی و الاجتماعی

اشارة

إن أبسط وسیلة و أسهلها لضرب الأقلیات فی أی مجتمع، و القضاء علیها هو ما یسمی بالمکافحة السلبیة التی تقوم أساسا علی اتحاد الأکثریة و اتفاقها علی مقاطعة الأقلیّه المتمرّدة.

إن عکس هذا یحتاج إلی أدوات متعددة مختلفة، لأنه یتطلب مثلا ان یحمل جماعة من المقاتلین السلاح، و تتوجه نحو الاهداف المطلوبة عبر التضحیة بقدر کبیر من الأنفس و الأموال، و ازالة العشرات من الموانع و السواتر، و هو أمر لا یقدم علیه القادة المحنّکون إلّا بعد توفّر کل مستلزمات المواجهة و اتخاذ جمیع التدابیر اللازمة، و الاستعداد الکامل، و بالتالی لا یقدمون علی هذه الخطوة ما لم تدعو الضرورة إلیها، و تنحصر الحیلة فی القتال.

(۲) و لکنّ المکافحة السلبیة لا تتوقف علی مثل هذه الامور، بل تحتاج الی أمر واحد و هو اتفاق الاکثریة. سید المرسلین ج۱ ۴۹۹ ۲۰ الحصار الاقتصادی و الاجتماعی ..... ص : ۴۹۹

نی أن یتفق من یعنیهم الأمر و لهم عقیدة واحدة و یتحالفوا فی ما بینهم بصدق علی أن یقطعوا کل صلاتهم و علاقاتهم بالأقلیّة المعارضة، فیحرّموا التعامل التجاریّ معهم و یوقفوا الاتصال العائلیّ بهم، و لا یشرکونهم فی اعمالهم الاجتماعیة و لا یتعاونوا معهم فی امورهم الشخصیّة أیضا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۰

(۱) فی مثل هذه الحالة تضیق الأرض علی الأقلیة بما رحبت و تغدو الدنیا لهم علی سعتها کسجن ضیق و صغیر، و یصیرون عرضة للانهیار و السقوط بأقلّ قدر ممکن من الضغط علیها.

إن الاقلیّة المخالفة المتمرّدة ربما تستسلم- فی هذه الحالة- و تؤوب من منتصف الطریق، و تطیع إرادة الأکثریة.

و لکن أقلیة کهذه لا بد أن تکون ممّن لا تعود مخالفتها للأکثریة إلی أمر عقائدیّ و لا یکون لانفصالها. عن الاکثریة طابع اصولی مبدئیّ، کما لو کان خلافها مع الاکثریة مثلا علی تحصیل ثروة أو منصب مهمّ أو ما شاکل ذلک.

فان مثل هذه الاقلیة اذا أحسّت بخطر جدّی، أو واجهت العذاب و السجن و الحصار ستتراجع عن مخالفتها و تعود إلی طاعة الاکثریة مؤثرة اللّذة العابرة المؤقّتة علی اللذة الاحتمالیة، لأنها لم تنطلق من دوافع ایمانیة اصیلة، و لم یکن المحرک لها محرکا روحیا معنویا.

و لکن الجماعة التی یقوم خلافها للاکثریة علی أساس الإیمان بهدف مقدس، لن تنصاع أبدا لمثل هذه الضغوط، و لن تنثنی أمام هذه الریاح و العواصف، و لا یزیدها ضغط الحصار الّا صلابة و قوة، و إصرارا و عنادا، و تردّ جمیع ضربات العدوّ بالصبر و الاستقامة.

إن صفحات التاریخ البشریّ تشهد بأن أقوی العوامل لثبات کل أقلیّة و صمودها فی وجه الأکثریة هو: قوة الایمان، و عامل الاعتقاد، الذی ربما یؤدّی رسالة الثبات و المقاومة ببذل آخر قطرة دم فی ساحة المواجهة.

و لنا على هذا عشرات بل و مئات الأمثلة من التاريخ الغابر و الحاضر.

قريش تحاصر النبيّ و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا

اشارة

(۲) لقد شقّ على قريش انتشار الإسلام المتزائد و أزعجها نفوذه العجيب فى القبائل العربية فى مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة و لهذا كانت تفكر باستمرار فى حلّ لهذه المشكلة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۱

فان اسلام شخصيات ذات أهمية و مكانة كبرى مثل جمزة، و كذا رغبة فتية قريش المتفتحين فى الاسلام، و حرية العمل و التحرك التى اكتسبها المسلمون على اثر الهجرة إلى أرض الحبشة، كل ذلك زاد من حيرة، و اضطراب الزعامة الجاهلية فى مكة، التى زادها حيرة، و انزعاجا، فشل جميع مخططاتها الاجهاضية ضد الإسلام و المسلمين، و عدم حصولها على أية نتائج تذكر!!

(۱) من هنا فكرت فى خطة جديدة، و هى ان تفرض حصارا اقتصاديا قويا على النبيّ و المسلمين تقطع به كل الشرايين الحيوية للمسلمين، و بذلك تحدّ من سرعة انتشار الاسلام و تقف دون نفوذه، و بالتالى تخنق بين كمّاشة هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، و أنصاره.

[قريش و الصحيفة القاطعة]

و لهذا اجتمع زعماء قريش فى «دار الندوة» و وقّعوا ميثاقا كتبه «منصور بن عكرمة» و علّقوه فى جوف الكعبة، و تحالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتى الموت.

و نص هذا العقد على الامور التالية:

۱- أن لا يبتاعوا من أنصار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و لا يبيعوهم شيئا.

۲- ان لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم.

۳- أن لا يؤاكلوهم و لا يكلّموهم.

۴- ان يكونوا يدا واحدة على «محمّد» و انصاره.

(۲) و قد وقعت على هذه الصحيفة الظالمة القاطعة كل الشخصيات البارزة فى قريش إلّا «مطعم بن عدى» و أعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة و إصرار.

فلما علم حامى النبى الاكبر أبو طالب عليه السّلام بذلك جمع بنى هاشم و بنى المطلب و حمّلهم مسئولية الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الحفاظ على حياته و سلامته، و أمرهم بالخروج من مكة و بدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبى طالب فيه بعض البيوت العادية، و السقائف البسيطة جدا، و السكنى فى ذلك الشعب بعيدا عن المجتمع المكّى المشرك.

و عمد الى بث رجال منهم فى نقاط مرتفعة للمراقبة و الحراسة تحسبا لأى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۲

هجوم مباغت تقوم به قريش «۱».

(۱) و قد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، و بلغ الجهد بالمحاصرين فى الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع و الضر، و بلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة الّا انها لم تؤثر فيهم قط.

كان الشباب و الرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، و ربما تناصف اثنان تمرة واحدة، و لم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث الّا فى الاشهر الحرم حيث يسود الأمن كل انحاء الجزيرة العربية.

فاذا حلّ الموسم كانت بنو هاشم تخرج من الشعب فيشترون و يبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثانى.

و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله يستغلّ هو أيضا تلك المواسم فى نشر دينه، و الدعوة الى ما أتى به.

و كانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبى و أنصاره و تمارس الحصار الاقتصادى عليهم بشكل من الأشكال حتى فى هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع و الشراء فاذا وجدوا مسلما يريد أن يبتاع شيئا اشتروه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه!!

(۲) و كان «أبو لهب» اكثر الناس اصرارا على هذا العمل، فقد كان ينادى فى الأسواق: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمّد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالى و وفاء ذمتى فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الرجل المسلم إلى اطفاله و هم يتضاغون من الجوع و ليس فى يديه شىء يطعمهم به، و يغدو التجار على أبى لهب فيربّحهم فيما

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۰، و تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۸، و قد كتبت هذه الصحيفة الظالمة فى الليلة الاولى من السنة السابعة للبعثة و عند ما عرف ابو طالب بأمرها أنشد قصيدة فى ذمهم مطلعها:

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمّدانبيا كموسى خطّ فى أول الكتب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۳

اشتروا من الطعام و اللباس!! «۱».

و كان «الوليد بن المغيرة» ينادى: أيّما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه فكانت قريش تباكرهم إلى الاسواق فيشترونها فيغلونها عليهم.

(۱)

وضع بنى هاشم المأساوى فى الشعب

لقد بلغ الجهد و الجوع بالمحاصرين فى الشعب حدّا جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه ايديهم من الخبط و ورق السمر حتى أن «سعد بن أبى وقاص» يقول: لقد جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب فوضعته فى فمى و بلعته، و ما أدرى ما هو الى الآن «۲».

هذا و قد بثّت قريش جواسيسها على الطرق المؤدّية إلى الشعب ليمنعوا من إيصال الطعام إلى من فيه فلا يصل إليهم شىء إلّا سرا و مستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش.

فقد روى أن «حكيم بن حزام» (ابن اخ خديجة) و «أبو العاص بن الربيع» و «هشام بن عمرو» كانوا يسرّبون الى «بنى هاشم» فى الشعب سرّا و فى أواسط الليل تحت جنح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحا و تمرا على بعير و يأتى به إلى باب الشعب ثم يصيح بها فتدخل الشعب و يأكله بنو هاشم.

و ربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهمّوا بقتله، أو سبّبوا له بعض المتاعب.

(۲) فقد روى أن «حكيم بن حزام» خرج يوما و معه انسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد (زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كانت معه الشعب طيلة أعوام الحصار) إذ لقيه «أبو جهل» فقال له: تذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ و اللّه لا تبرح أنت و لا طعامك حتى أفضحك عند قريش بمكة.

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۴

فقال له أبو البختریّ- و کان من أعداء الاسلام هو أیضا-: تمنعه أن یرسل إلی عمته بطعام کان لها عنده؟

فأبی «ابو جهل» أن یدعه إلا أن یأخذه إلی قریش، فقام إلیه «ابو البختری» بساق بعیر فضربه و وطأه وطئا شدیدا «۱».

(۱) و خلاصة القول؛ أن قریشا بالغت فی تضییق الحصار علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من تبعه حتی أن من کان یدخل «مکة» من العرب. کان لا- یجسر علی أن یبیع من بنی هاشم شیئا و من باع منهم شیئا انتهبوا ماله، و کان «أبو جهل»، و «العاص بن وائل» و «النضر بن الحارث بن کلدة»، و «عاقبة بن أبی معیط» یخرجون إلی الطرقات التی تدخل «مکة» فمن رأوه معه میرة و طعام نهوه ان یبیع من بنی هاشم شیئا، و یحذرون إن باع شیئا منهم نهبوا ماله.

کما وعدوا علی من أسلم فاوثقوهم و آذوهم و اشتدّ البلاء علیهم، و أبدت قریش لبنی عبد المطلب الجفاء.

و لکن لم یستطع کل ذلک أن یفتّ فی عضد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یقلل من إصراره و ثباته علی الطریق، و لا من اصرار أتباعه و ثباتهم و إیمانهم.

و أخیرا ترکت صرخات أطفال بنی هاشم فی الشعب من الجوع و العری و الجهد و الضر، و أوضاعهم المأساویة أثرها فی نفوس بعض المشرکین الموقعین علی تلک الصحیفة الظالمة، و ذلک المیثاق المشؤوم، فندموا علی إمضائهم لتلک المقاطعة بشدة و صاروا یفکّرون فی نقضها بشکل من الأشکال.

(۲) فمشی «هشام بن عمرو» الی «زهیر بن أبی أمیّة» (و کان من أحفاد عبد المطلب من جانب بناته) و قال له و هو یحثه علی نقض الصحیفة: یا زهیر أ قد رضیت أن تأکل الطعام، و تلبس الثیاب، و تنکح النساء، و أخوالک حیث قد علمت لا یباعون و لا یبتاع منهم، و لا ینکحون و لا ینکح إلیهم؟

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۴، هذا و یشکّک أحد المحققین فی نوایا حکیم بن حزام فی هذا العمل، و فی أن یکون قد حصل بدافع الوفاء لوشیجة القربی، بل کان بدافع الربح الاکثر لما تبت- حسب قوله- من انه کان یحتکر الطعام علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۵

أمّا إنی أحلف باللّه أن لو کانوا أخوال أبی الحکم (أی أبی جهل) ثم دعوته الی ما دعاک إلیه منهم ما أجابک إلیه أبدا؟

فقال زهیر: ویحک یا هشام فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد و اللّه لو کان معی رجل آخر لقمت فی نقضها حتی أنقضها. قال: قد وجدت رجلا.

قال فمن هو؟ قال: أنا.

(۱) قال له زهیر: أبغنا رجلا ثالثا. فذهب إلی «المطعم بن عدی» فقال له:

یا مطعم أ قد رضیت أن یهلک بطنان من بنی عبد مناف، و أنت شاهد علی ذلک، موافق لقریش فیه! أما و اللّه لئن أمکنتموهم من هذه لتجدنّهم إلیها منکم سراعا؟

قال: و یحک! فما ذا أصنع؟ انما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت ثانیا.

قال: من هو؟ قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثا.

قال: قد فعلت.

قال: من هو؟

قال: زهير بن أبى أميّة.

قال: أبغنا رابعا.

(۲) فذهب إلى «البخترى بن هشام» فقال له نحوا ممّا قال للمطعم بن عدى، فقال: و هل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم.

قال: من هو؟

قال: «زهير بن أبى أميّة» و «المطعم بن عدىّ» و أنا معك.

فقال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى «زمعة بن الأسود بن المطلب» فكلّمه و ذكر له قرابتهم و حقّهم فقال له: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۶

قال: نعم ... ثم سمّى له القوم الذين وعده بالمساعدة على نقض تلك الصحيفة القاطعة الظالمة.

فاتفقوا على أن يحضروا فى أندية قريش فى المسجد و يعلنوا مخالفتهم لتلك الصحيفة.

(۱) فلمّا أصبحوا غدوا إلى مجلس قريش فى المسجد الحرام فأقبل «زهير بن أبى اميّة» على الناس و قال:

يا أهل مكة أ نأكل الطعام و نلبس الثياب، و بنو هاشم هلكى لا يباع لهم و لا يبتاع منهم؟ و اللّه لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل و كان فى ناحية المسجد: كذبت و اللّه لا تشقّ.

فانتصر زمعة لزهير و ردّ على أبى جهل قائلا: أنت و اللّه أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت.

و قال أبو البخترى من ناحية مؤيدا موقف زميله: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، و لا نقرّ به.

و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى اللّه منها، و ممّا كتب فيها.

و قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك.

فأحسّ أبو جهل بأنّ ذلك كان أمرا مبيّتا مدبّرا من قبل فقال:

هذا أمر قضى بليل، تشوور فيه بغير هذا المكان.

و كان أبو طالب- حسب بعض الروايات التاريخية- جالسا ذلك اليوم فى ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد (الأرضة) «۱» قد أكلتها، إلّا «باسمك اللّهم» التى صدّرت بها تلك الصحيفة و هى جملة كانت قريش تبدأ بها عهودها و رسائلها.

فلما رأى «أبو طالب» ذلك رجع الى الشعب و أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) و هى دودة بيضاء شبه النملة و هى آفة كل شىء من خشب أو نبات راجع لسان العرب مادة: ارض

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۷

و آله بما جرى، و عاد المحاصرون فى الشعب إلى منازلهم مرة اخرى بعد المشورة مع «أبى طالب».

(۱) و يروى طائفة من المؤرخين أنّ «خديجة» و «أبا طالب» أنفقا أموالهما برمّتها خلال سنوات المحاصرة.

و فجأة نزل ملک الوحی «جبرئیل» علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الشعب، و أخبره بان اللّه قد بعث علی صحیفة المشرکین القاطعة دابّة الأرض فلحست (أو اکلت) جمیع ما فیها من قطیعة و ظلم و ترکت جملة «باسمک اللّهم» فأخبر رسول اللّه أبا طالب بذلک قائلا- یا عمّ إنّ ربّی اللّه قد سلّط «الأرضة» علی صحیفة قریش فلم تدع فیها اسما هو للّه إلّا أثبتته فیها، و نفت منه الظلم و القطیعة و البهتان.

فقال أبو طالب: إذن لا یدخل علیک أحد «۱».

(۲) ثم قام و لبس ثیابه، و مشی هو و رسول اللّه و شخص آخر حتی دخلوا المسجد علی قریش و هم مجتمعون فیه، فلما دنا أبو طالب منهم قاموا إلیه و عظّموه، و تباشروا و ظنّوا أن الحصر و البلاء حمل أبا طالب علی التخلّی عن موقفه، فقالوا له: قد آن لک ان تطیب نفسک عن قتل رجل فی قتله صلاحکم و جماعتکم (أو قد آن لک أن تسلّم إلینا ابن أخیک).

فقال أبو طالب: و اللّه ما جئت لهذا، و لکنّ ابن أخی أخبرنی و لم یکذّبنی أنّ اللّه تعالی أخبره أنّه بعث علی صحیفتکم القاطعة دابّة فلحست جمیع ما فیها من قطیعة رحم و ظلم و جور و ترک اسم اللّه، فهلم صحیفتکم فان کان حقا فاتقوا اللّه و ارجعوا عمّا أنتم علیه من الظلم و الجور و قطیعة الرّحم.

و إن کان باطلا دفعته إلیکم فان شئتم قتلتموه، و إن شئتم استحییتموه.

فقالوا: رضینا، و تعاقدوا علی ذلک.

---

(۱) و إنّما اتخذ مثل هذا الاجراء حتی لا یفشوا ذلک الخبر فیبلغ المشرکین فیحتالوا للصحیفة، و یکذّبوا بذلک خبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۸

ثم بعثوا إلی الصحیفة و أنزلوها من الکعبة، و علیها أربعون خاتما.

فلما أتوا بها نظر کل رجل منهم إلی خاتمه، ثم فکوها فاذا لیس فیها حرف واحد إلّا «باسمک اللّهمّ»، کما اخبرهم بذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) غیر أنّ هذا لم یوجب هدایتهم بل زادهم شرا و عنادا و رجع بنو هاشم مرّة اخری إلی الشعب و بقوا محاصرین فیه مدّة من الزمن و لم یمکنهم الرجوع الی منازلهم بمکة إلّا بعد أن نقضها هشام.

و قد قال «أبو طالب» فی مدح هذا (أی نقض الصحیفة القاطعة و النفر الذین قاموا بنقضها) قصیدة مطوّلة جاء فی مطلعها.

ألا هل أتی بحریّنا «۱» صنع ربّناعلی نأیهم و اللّه بالناس أرود «۲»

فیخبرهم أنّ الصحیفة مزّقتو ان کلّ ما لم یرضه اللّه مفسد «۳» (۲) هذه أمثلة و نماذج من ردود الفعل الظالمة و المواقف المناوئة التی اتخذتها قریش تجاه الدعوة المحمدیة.

علی أنه لا یمکن الادّعاء القطعیّ بأن جمیع هذه الردود قد وقعت علی الترتیب الذی ذکرناه تماما، و لکن یمکن بمراجعة النصوص التاریخیّة تحصیل مثل هذا الترتیب و خاصّة أن مسألة انتهاء المحاصرة الاقتصادیة قد وقعت فی منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة الشریفة.

(۳) کما أنّ أذی قریش و ردود فعلها ضدّ الاسلام و المسلمین و ضدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خاصّة لم تنحصر فی ما ذکرناه فی هذه الفصول بل کان هناک أسالیب اخری سلکتها قریش لتحطیم شخصیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أضعاف عزیمته مثل وصفهم للنبی صلّی اللّه علیه و آله بالأبتر.

فقد کان «العاص بن وائل السهمی» إذا ذکر رسول اللّه قال: دعوه، فانّما هو رجل أبتر لا عقب له، لو مات لانقطع ذکره و استرحتم منه.

(۱) یقصد من هاجر من المسلمین إلی الحبشة فی البحر.

(۲) أی أرفق.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۷۷- ۳۸۰ و قد أدرج ابن هشام القصیدة بتمامها، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۹

فانزل اللّه تعالی فی ذلک سورة الکوثر التی یقول فیها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

و قد أخبر بها اللّه نبیّه بأنه سیهبه ذریّة کثیرة «۱».

و لقد کتب العلّامة الفخر الرازی فی تفسیره لهذه السورة «۲»: المعنی أنه یعطیه نسلا یبقون علی مرّ الزمان، فانظر کم قتل من أهل البیت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم یبق من بنی امیّة فی الدنیا أحد یعبأ به.

و وجه المناسبة أن الکافر شمت بالنبیّ حین مات أحد أولاده و قال: ان محمّدا ابتر فان مات مات ذکره، فانزل اللّه هذه السورة علی نبیّه تسلیة له کأنه تعالی یقول: ان کان ابنک قد مات فانا اعطیناک فاطمة، و هی و إن کانت واحدة و قلیلة، و لکن اللّه سیجعل هذا الواحد کثیرا.

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۹۳ و جمیع التفاسیر.

(۲) مفاتیح الغیب: الجزء الثلاثون سورة الکوثر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۱

(۱)

۲۱ وفاة أبی طالب و خدیجة الکبری

اشارة

فی الوقت الذی کنّا نسطّر فیه مواضیع هذا الفصل کان سجن «القطیف» یضمّ بین جدرانه شابا حر الضمیر شجاعا مقداما لم یکن له من ذنب إلا- أنه ألّف کتابا باسم «أبو طالب مؤمن قریش» یتناول إسلام «أبی طالب» و إیمانه و إخلاصه مثبتا کل ذلک من مصادر أهل السنّة «۱».

فطلبت منه السلطات القضائیّة فی الحجاز- و فی عصر یتسم بحرّیة التفکیر البیان و الاعتقاد- بأن یتراجع عن کلامه، و حیث إنه لم یکن لیرید أن ینکر حقیقة اعتقد بها عن قناعة و یقین، حکمت علیه تلک السلطات بالاعدام.

و قد نجا هذا الفتی الشجاع و الکاتب الحرّ من الاعدام اثر جهود اسلامیة واسعة و خفّضت عقوبته الی الحبس المؤبّد، الذی خفّض اثر جهود اسلامیة مرّة اخری الی عقوبة الجلد ثمانین جلدة!!.

(۲) و هو الآن یلبث فی أحد السجون بانتظار المصیر، المجهول اذ علی المسلمین إما أن یهتمّوا بالأمر و یطلبوا من السلطات القضائیة السعودیة صرف النظر عن

(۱) و الکتاب یقع فی ۳۴۰ صفحة طبع بحجم الوزیری و طبع فی بیروت مرارا و قدّم علیه الأدیب اللبنانی المعروف «بولس سلامة»

صاحب ملحمة الغدیر و ملاحم اخری.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۲

عقوبته، بل و الافراج عنه نهائیا.

و إما أن یفقد هذا الشاب المجاهد الشجاع البریء حیاته تحت سیاط تلک السلطات الجائرة الحاکمة زورا و قهرا علی أرض الحجار «۱» «۲»

(۱) لقد سقطت مؤامرة الحصار الاقتصادی ضدّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و المسلمین بفعل إقدام ثلة من ذوی المروءة و أیضا بفضل صمود النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أصحابه و ثباتهم العظیم. و خرج النبیّ و أنصاره من «شعب أبی طالب» بعد ثلاث سنوات من النفی و العذاب و عادوا إلی منازلهم ظافرین مرفوعی الرءوس.

و عاد التعامل الاقتصادی مع المسلمین الی ما کان علیه قبل الحصار، و کانت أوضاع المسلمین تسیر نحو الانتعاش و الانفراج شیئا فشیئا، و اذا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفاجأ بحادث مؤلم مرّ ذلک هو وفاة شخصیة کبری أحدث فقدانها أثرا سیّئا فی نفوس المسلمین و بخاصة المستضعفین منهم.

و لقد کان هذا الأثر عظیما جدا بحیث لا یمکن قیاسه بشیء بالنظر الی تلک الظروف الحساسة، و ذلک لأن نمو أیة عقیدة و فکرة إنما یکون فی ظل عاملین أساسیّین: أحدهما: حریة التعبیر، و الآخر: القوة الدفاعیة التی تحمی أصحاب تلک العقیدة و الفکرة ضدّ حملات الخصوم التی لا ترحم.

و لقد کان المسلمون- آنذاک- یتمتعون بحریة البیان و التعبیر، و لکنهم افتقدوا- بسبب الحادث المفاجئ المذکور العامل الجوهری و المصیری الثانی یعنی:

حامی الاسلام و المدافع الوحید عنه الذی وافته المنیة فی تلک الایام الحساسة

---

(۱) لقد سمّیت أراضی «الحجاز» و «نجد» و «تهامة» باسم عائلة واحدة هی آل سعود، و اخیرا حملت هذه المنطقة التی کانت تعرف و حتی إلی ما یقرب من قرنین بارض الحجاز اسم المملکة العربیة السعودیة. یا له من استئثار و جرأة علی المقدسات!!

(۲) و اخیرا نجا هذا الشاب المؤمن و المجاهد الحرّ بفضل جهود علماء الشیعة و مفکّریهم المتضافرة و الواسعة النطاق و اخلی سبیله و قد زار- للاعراب عن شکره- مدینة قم المقدّسة و قد التقینا به أیضا کما زار اماکن اخری لنفس الغرض.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۳

و حرم المسلمون بوفاته من حمایته و دفاعه، و وقایته.

(۱) أجل لقد فقد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حامیه العظیم الذی تولی مهمة کفالته و الدفاع عنه، و المحافظة علی حیاته بصدق و اخلاص و جدّ و رغبة و کان یقیه بنفسه و ذویه و یؤثره علی نفسه و أولاده و ینفق علیه من ماله حتی کبر و صار له مال و طول منذ أن کان صلّی اللّه علیه و آله فی السنة الثامنة من عمره و حتی یوم وفاة ذلک الحامی العظیم، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الخمسین من عمره.

لقد فقد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شخصیة خاطبها عبد المطلب عند وفاته بالشعر قائلا:

اوصیک یا عبد مناف بعدیبموحد بعد أبیه فرد فأجابه أبو طالب قائلا: یا أبه لا توصینّ بمحمّد فانه ابنی و ابن أخی «۱».

(۲) و لعلّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد تذکر فی اللحظة التی ظهر فیها علی جبین ابی طالب عرق الموت جمیع الحوادث الحلوة و المرة و قال فی نفسه:

(۳) ۱- إن هذا الشخص المسجّی علی فراش الموت هو عمّه الرءوف الذی ظلّ یحرسه باللیل و النهار طیلة سنوات الحصار فی

الشعب، فاذا جاء اللیل قام عند رأسه بالسیف یحرسه. و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مضطجع ثم یقیمه من فراشه إذا مضی شطر من اللیل و یضجعه فی موضع آخر و یضجع مکانه ولده «علی بن أبی طالب» حتی لا تغتاله قریش بعد أن رصد و امکانه، و کمنوا له، و کان یفعل أبو طالب ذلک طوال اللیل کله فیفدینی بولده «علی» و یقینی به حتی إذا قال له «علی» لیلة:

«یا أبتاه إنی مقتول ذات لیلة».

فأجابه أبو طالب بنبرة المتحمّس الصبور:

---

(۱) عمدة الطالب: ص ۶ و فیه بواحد، المناقب: ج ۱ ص ۲۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۴ اصبرن یا بنیّ فالصبر أحجی کلّ حیّ مصیره لشعوب

قد بلوناک و البلاء شدیدلفداء النجیب و ابن النجیب فأجابه «علیّ» بکلام اکثر حلاوة و عمقا قائلا:

أ تأمرنی بالصّبر فی نصر أحمد؟و و اللّه ما قلت الّذی قلت جازعا

و لکنّنی أحببت أن تر نصرتیو تعلم أنّی لم أزل لک طائعا «۱» (۱) ۲- إن هذا الجثمان الذی فارقته الروح هو جثمان عمّی العطوف الذی شرّد هو و ذووه، و عرّض نفسه و أهله للبلاء و المحنة بسبب الحصار لأجلی، و أمر بأن یحرسوننی لیل نهار، تارکا زعامته و سیادته، و کلّ شئونه للحفاظ علیّ و الإبقاء علی رسالتی و أرسل إلی قریش رسالة قویّة أعلن فیها عن وقوفه إلی جانبی و انه لن یسلمنی و یخذلنی ما دام حیّا إذ قال:

فلا تحسبونا خاذلین محمّدالذی غربة منّا و لا متقرّب

ستمنعه منّا ید هاشمیّةو مرکبها فی الناس أخشن مرکب «۲» بعد أن تحقق موت «ابی طالب» ارتفع الصراخ و النحیب من منازله و بیوته، و اجتمع حول بیته العدوّ و الصدیق، و القریب و البعید، و اشترک الجمیع فی مراسم دفنه بقلوب آلمتها الفجیعة به، و قرّحها الحزن علیه.

و هل تری تنتهی آثار و ردود فعل وفاة شخصیة عظیمة الشأن مثل «ابی طالب» الذی کان زعیم قریش، و سید عشیرته بمثل هذه السرعة، و البساطة؟

کلا بل سیکون لفقدانه اکبر الأثر علی مسیرة الدعوة کما ستعرف ذلک مستقبلا.

(۲)

نماذج من مشاعر أبی طالب

اشارة

ان التاریخ البشریّ یحتفظ فی صفحاته بأمثلة کثیرة عن مشاعر تبادلها

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۶۴، الحجّة: ص ۷۰، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱- ۱۹.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۴ ..

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۵

الأشخاص و عواطف ودیّة قویّة أبداها البعض تجاه بعض تدور اکثرها حول محور الدوافع المادیة کالتی تدور حول معیار الجمال أو

المال، و لهذا سرعان ما یذهب الحماس و ینطفئ شعلة الحبّ، و یتضاءل لهیب العاطفة فی کیانهم حتی تزول بالمرّة و لا یبقی منها شیء أبدا لعدم ثبات هذه الدوافع.

(۱) و لکنّ المشاعر و العواطف التی تنبع من أواصر الایمان بفضائل شخص ما و کمالاته الروحیة و المعنویة لا تنمحی و لا تتلاشی بسرعة.

و قد کانت مودة «أبی طالب» لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و حبّه الشدید له تنبع من کلا هذین الدافعین.

فقد کان «أبو طالب» یؤمن بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و یری فیه من جانب الانسان الکامل، بل یعتبره فی قمة الکمال الانسانی، و من جانب آخر کان «محمّد» ابن أخیه، و قد أحلّه ذلک من قلبه محلّ الابن و الأخ.

لقد کانت لصفات «محمّد» و خصاله المعنویة و الأخلاقیة، و طهره مکانة کبری فی قلب عمّه «أبی طالب» إلی درجة أنه کان یصطحبه معه إلی المصلّی، و یستسقی به أی انه یقسم علی اللّه بمقامه أن یدفع عن الناس القحط و الجدب و ینزّل علیهم الغیث، فکانت دعونه تستجاب من دون تأخیر.

(۲) فقد نقل کثیر من المؤرخین الحادثة التالیة:

قحط الناس فی «مکة» و حوالیها سنة من السنین، و منعت السماء و الأرض برکاتهما عنهم بشکل عجیب، فمشت قریش بعیون باکیة إلی «أبی طالب» تطلب منه بالحاح أن یستسقی لهم، و ان یذهب الی المصلی و یدعو ربّه لینزّل علیهم المطر و ینقذهم من تلک المحنة الصعبة.

فخرج «أبو طالب» و قد اخذ بید غلام کأنه شمس دجن تجلّت عنها غمامة فاسند ظهره إلی الکعبة و رفع وجهه نحو السماء و قال: یا رب هذا الغلام اسقنا غیثا مغیثا، دائما هاطلا.

(۳) و یکتب المؤرخون ان السماء کانت صافیه لا غیم فیها أبدا ساعة استسقی «أبو طالب» برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لکن ما ان فرغ «أبو طالب» من دعائه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۶

إلّا و أقبلت السحاب فی الحال، و غطّت سماء «مکة» و ما حولها من المناطق القریبة إلیها، و ارعدت السماء و أبرقت ثم جری غیث عظیم سالت به الأودیة، و روّت القریب و البعید، و سرّ به الجمیع و رضوا «۱».

و قد اشار «أبو طالب» فی لامیّته المعروفة الی هذه الحادثة.

(۱) و قد أنشأ «أبو طالب» تلک القصیدة فی أحلک الظروف و اشدّها، یوم زادت قریش من ضغوطها علی حامی الرسول صلّی اللّه علیه و آله لیسلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلیها.

و قد ذکّر فیها «أبو طالب» فریشا بحادثة الاستسقاء برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الاسلام و کیف أنها امطرت ببرکته، بعد قحط طویل، و جدب مهلک، کاد یبید الحرث و الضرع، و ذلک عند ما یقول:

و ابیض یستسقی الغمام بوجههربیع الیتامی عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاک من آل هاشمفهم عنده فی نعمة و فواضل و قد نقل «ابن هشام» فی سیرته «۲» أربعة و تسعین بیتا من هذه القصیدة، فیما أورد «ابن کثیر» الشامی فی تاریخه «۳» اثنین و تسعین بیتا فقط.

و هی قصیدة فی منتهی الروعة و العذوبة، و فی غایة القوة و الجمال، و تفوق فی هذه الجهات کل المعلقات السبع التی کان عرب الجاهلیة یفتخرون بها، و یعدونها من ارقی ما قیل فی مجال الشعر و النظم.

(۲) و قد أورد «ابو هفان العبدی» الجامع لدیوان «أبی طالب» مائة و واحدة و عشرین بیتا من هذه القصیدة فی ذلک الدیوان، و یمکن ان تکون کل تلک القصیدة و تمامها.

و نحن نورد هنا أبياتا متفرقة من هذه القصيدة مما يتصل منها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بصورة صريحة.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲ و ۳، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۱۱- ۱۱۶، الملل و النحل المطبوع بهامش الفصل فى الأهواء و الملل: ج ۳ ص ۲۲۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

(۳) البداية و النهاية: ج ۳ ص ۵۲- ۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۷ كذبتم و بيت اللّه نبزى محمّداو لما نطاعن دونه و نناظل «۱»

و نسلمه حتّى نصرّع دونهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل

لعمرى لقد كلّفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحبّ المواصل

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهاو زينا لمن والاه ربّ المشاكل «۲»

فمن مثله فى الناس أى مؤمّلإذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائشيوالى إلها ليس عنه بغافل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّبلدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا احمد فى ارومةتقصّر عنه سورة المنطاول «۳»

حدبت بنفسى دونه و حميتهو دافعت عنه بالذّرا و الكلاكل «۴»

فأيّده ربّ العباد بنصرهو أظهر دينا حقّه غير باطل «۵» (۱)

التغيير فى برنامج السفر

لم يكن يمض اكثر من اثنى عشر ربيعا من عمر «محمّد» بعد، عند ما أراد «أبو طالب» التوجّه إلى الشام مع قافلة قريش التجارية.

و عند ما استعدّت القافلة لمغادرة مكة ودق جرس الرحيل، أخذ «محمّد» فجأة بزمام الناقة التى كان يركبها عمّه و كافله «أبو طالب» بينما اغرورقت عيناه صلّى اللّه عليه و آله بالدموع و قال:

«يا عمّ إلى من تكلنى، لا أب لى و لا أم»؟.

هذا المشهد المؤثر و بخاصة عند ما رأى «أبو طالب» عينى محمّد و قد اغرورقت بالدموع، فعل فعلته فى نفس العم الكافل الحنون، فانحدرت عبرات العطف من عينيه و قرر من فوره و من دون سابق تفكير فى الموضوع أن يصطحب ابن اخيه «محمّدا» معه فى هذه الرحلة، و مع أنه لم يحسب لهذا الأمر- من قبل-

---

(۱) اى نغلب عليه.

(۲) المشاكل: العظيمات من الامور.

(۳) السورة: الشدة و البطش.

(۴) الذرا: جمع ذروة و هى اعلى ظهر البعير.

(۵) راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۸

أی حساب، فان «أبا طالب» قبل بان یتحمّل کل ما یترتب علی قراره هذا، فحمله معه علی ناقته، و بقی یفکر فی أمره، و یدبّر شأنه، و یحافظ علیه طوال تلک الرحلة، و شهد منه اثناء الطریق کرامات و خوارق، و قد أنشأ فی ذلک قصیدة موجودة فی دیوان أبی طالب، و مطلع هذه القصیدة هو:

إنّ ابن آمنة النبیّ محمّداعندی یفوق منازل الأولاد «۱»

(۱)

الدفاع عن حوزة العقیدة و الایمان

لیست هناک قوة تساعد علی الثبات و المقاومة، و الصمود و الاستقامة، مثل قوة الایمان، فالایمان بالهدف هو العامل القوی وراء تقدّم الانسان فی میدان الحیاة، فهو الذی یهضم فی نفسه کل الآلام و المتاعب، و یدفع بالمرء الی المضی قدما فی طریق الوصول إلی أهدافه المقدّسة، حتی و لو کلفه ذلک التعرض للموت.

إنّ الجندیّ المسلّح بقوة الإیمان منتصر لا محالة.

إن الجندیّ الذی یعتقد بأن الموت فی طریق العقیدة هو عین السعادة لا بدّ أن یحرز النصر.

إن علی الجندی- قبل أن یسلّح نفسه بسلاح العصر- أن یتزود فی قلبه من طاقة الإیمان بالهدف، و یضیء قلبه بمصباح الاعتقاد بالحقیقة، و حبّها، و یجب أن یکون جهاده و صلحه من أجل العقیدة و الدفاع عن حوزتها، و کیانها.

(۲) إنّ أفکارنا و عقائدنا نابعة من روحنا، و فی الحقیقة انّ فکر الانسان ولید عقله، فکما أنّ الانسان یحب ولده الجسمانی حبّا شدیدا کذلک یحب أفکاره التی هی ولائد عقله و روحه، بل إن حبّ الانسان لعقیدته اکثر من حبّه

---

(۱) دیوان أبی طالب: ص ۳۳- ۳۵، تاریخ ابن عساکر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲، الروض الآنف: ج ۱ ص ۱۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۹

لأولاده الجسمانیّین، و لهذا فهو یدافع عن عقائده حتی الموت، و یغضی- فی سبیل الدفاع عن حوزة العقیدة و الحفاظ علیها- عن کل شیء، بینما هو غیر مستعدّ لأن یضحی بنفسه فی سبیل الحفاظ علی اولاده.

(۱) إنّ حب المرء للمال و المنصب حبّ محدود، فهو ینساق مع هذا الحبّ ما دام لم یهدّد حیاته خطر الموت الحقیقی، و لکنّه مستعد لأن یمضی- فی سبیل الدفاع عن حیاض العقیدة- الی حدّ الموت، و یؤثر الموت الشریف فی سبیل العقیدة علی الحیاة، و یری الحیاة الحقیقیة و الواقعیة فی وجود الرجال المجاهدین، و هو یردد:

«إنما الحیاة عقیدة و جهاد» «۱».

و لنلق نظرة فاحصة علی حیاة بطل حدیثنا (و نعنی به المدافع الوحید عن الاسلام و حامی الرسول الاوحد فی بدایات عهد الرسالة) فما ذا کان دافعه الی هذا الأمر، و ما الذی کان یحرکه فی هذا السبیل؟ و أی شیء کان وراء مضیه فی هذا الطریق الی حافة العدم، و الغض عن النفس و النفیس، و المقام، و القبیلة و غیر ذلک و التضحیة بکل ذلک فی سبیل «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

إن من المتیقّن أن دافعه الی ذلک لم یکن المحرک المادیّ، و بالتالی لم یقصد من وراء الدفاع عن ابن اخیه، و حمایته، و الحدب علیه، کسب أمر مادی کتحصیل مال و ثروة، لأن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لم یکن له یومئذ مال، و لا ثروه.

(۲) و کما أن مقصود «أبی طالب» لم یکن أیضا تحصیل مقام، و أحراز مکانه اجتماعیة لأنه کان یملک فی ذلک المجتمع أعلی المناصب و اهمها، فقد کانت له رئاسة «مکة» و البطحاء، بل هو فقد منصبه و شخصیته الممتازة و مکانته المنقولة بسبب دفاعه عن

«محمّد»، و عدم الاستجابة لقومه فی تسلیمه إلیهم، و التخلی عنه لأن دفاعه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد استوجب سخط زعماء علیه، و استیاءهم من موقفه، و خروجهم عن طاعته، و دفعهم الی التمادی

---

(۱) المراد من العقیدة المقدسة هو بطیعة الحال ما تذوب «الأنا» فیها فی التوحید و الایمان باللّه اذ هنا یصدق قوله:

قف عند رأیک و اجتهدإنّ الحیاة عقیدة و جهاد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۰

فی معاداة «بنی هاشم» و «أبی طالب» و الثورة علیهم!!

(۱)

تصوّر باطل [عن مشاعر أبی طالب تجاه النبی ص]

ربما یتصور بعض ضعفاء البصیرة أن علة حدب «أبی طالب» علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و التضحیة فی سبیله بالنفس و النفیس کانت هی: علاقة القربی، و وشیجة الرحم، أو بتعبیر آخر: إن التعصب القبلیّ، و العصبیة القومیة هو الذی دفع بأبی طالب إلی ان یعرّض نفسه لکل ذلک المکروه فی سبیل ابن اخیه.

و لکنّ هذا لیس سوی مجرّد تصور باطل لا غیر، و یتضح بطلانه بدراسة مختصرة لأنه لا تستطیع أیة وشیجة قربی علی أن تدفع أحدا إلی أن یضحی بنفسه فی أحد أقربائه الی هذه الدرجة من التضحیة و المفاداة، بحیث یقی مثلا ابن أخیه علیه، و یکون مستعدا لأن یتقطّع ولده بالسیوف إربا إربا دون ابن أخیه.

إن العصبیات القبائلیة و العائلیة و ان کانت تدفع بالانسان حتی الی حافة الموت، و لکن لا معنی لان تختص، هذه الحمایة الناشئة عن العصبیة العائلیة و القبلیة الشدیدة بفرد واحد، و شخص خاص معیّن من أفراد العائلة و القبیلة، فی حین نجد «أبا طالب» قد قام بکل هذه التضحیة فی سبیل شخص واحد، و فرد معین (أی النبیّ)، و لا یفعل مثل هذه فی سبیل غیره من أبناء «عبد المطلب» و «هاشم» و أحفادهما و من ینتمی إلیهم بوشیجة القربی و رابطة الرحم.

(۲)

الدافع الحقیقیّ لأبی طالب

و علی هذا الأساس فانّ المحرّک و الدافع الحقیقیّ لأبی طالب لم یکن أمرا ماديا و لا الجاه و المنصب، أو التعصب القومی، و العائلی، بل کان أمرا معنویا و أن ضغوطا العدوّ و قوّته کانت تدفعه إلی الاستعداد للقیام بأی نوع من أنواع التضحیة و ذلک الأمر المعنویّ هو اعتقاده الراسخ برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعتبر «محمّدا» مظهرا کاملا للفضیلة و الانسانیة، و یعتبر دینه أفضل برنامج

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۱

للسعادة، و حیث أنه کان یحبّ الحقیقة، و یعشق الکمال و الحقّ، لذلک کان من الطبیعیّ أن یدافع عن الحق و الحقیقة، و ینصرهما بکل وجوده، و بکل قواه.

(۱) و هذا المعنی هو المستفاد من قصائد «أبی طالب» و أشعاره، فهو یصرح بأن «محمّدا» رسول کموسی و عیسی إذ یقول:

لیعلم خیار النّاس أنّ محمّدانبیّا کموسی و المسیح بن مریم

أتانا بهدى مثل ما أتيا بهفكلّ بأمر اللّه يهدى و يعصم «۱» و يقول فى قصيدة اخرى:

أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدانبيّا كموسى خطّ فى أوّل الكتب «۲» هذا و تعتبر ابياته التى سبق أن أشرنا إليها و المئات من أمثالها مما جاء ذكره فى ديوان أبى طالب، و فى ثنايا التاريخ و التفسير و الحديث شواهد حيّة و قوية على أن محرك «أبى طالب» الواقعى و دافعه الحقيقى إلى الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان هو اعتقاده الخالص، و اسلامه الواقعى و لم يكن له أى دافع آخر سوى الايمان و العقيدة.

و نحن هنا نكشف النقاب عن بعض مواقفه فى الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته بعد اضطلاعه بعبء الرسالة، و نترك لك أيها القارى بأن تدقّق فى مثل هذه المواقف الفدائية ثم تقضى بنفسك: هل تنبع مثل هذه التضحية، و مثل هذا التفانى، و الفداء إلّا من الايمان و الاعتقاد؟؟

(۲)

لمحات من تضحيات أبى طالب

اجتمع أسياد قريش و اشرافها فى بيت أبى طالب و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله حاضر، و تبودلت بين الجانبين أحاديث حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۷، الحجّة: ص ۵۶- ۵۷، مستدرك الحاكم: ج ۲ ص ۶۲۳ و ۶۲۴.

(۲) مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۶، و قد نقل ابن هشام فى السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۲ و ۳۵۳ خمسة عشر بيتا من هذه القصيدة.

و دينه و ما خلق من مشكلات فى مكة، و حاول القرشيون اثناء النبىّ عن دعوته و عمله و لكن دون جدوى فلما يئسوا من الحصول على النتيجة التى كانوا يريدونها نهضوا من مكانهم ليتركوا بيت «أبى طالب»، قال «عاقبة ابن أبى معيط» غاضبا مهددا: لا نعود إليه أبدا، و ما خير من أن نغتال محمّدا!!

(۱) فغضب «أبو طالب» من هذه الكلمة، و لكنه ما ذا عساه أن يفعل فهم ضيوفه، و فى بيته.

و اتفق أن خرج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من البيت فى ذلك اليوم و لم يعد، و جاء «أبو طالب» و عمومته الى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيانا من بنى هاشم و بنى المطلب، ثم قال- و هو يظن ان قريشا كادت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله-: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعنى إذا دخلت المسجد، فلينظر كل فتى منكم، فليجلس الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية- يعنى أبا جهل- فانه لم يغب عن شر ان كان محمّد قد قتل، فقال الفتيان: نفعل فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال: يا زيد أحسست ابن أخى؟ قال: نعم كنت معه آنفا.

فقال أبو طالب: لا ادخل بيتى أبدا حتى أراه.

(۲) فخرج زيد سريعا حتى اتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو فى بيت عند الصفا و معه أصحابه يتحدثون فاخبره الخبر، فجاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أبى طالب فقال: يا ابن أخى: اين كنت؟ أ كنت فى خير؟ قال: نعم، قال:

ادخل بيتك، فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما اصبح أبو طالب غدى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاخذ بيده فوقف على اندية قريش و معه الفتيان الهاشميون و المطلبيون فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، و قال للفتيان اكشفوا عما فى ايديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: و اللّه لو

قتلتموه ما بقیت منکم أحدا حتی نتفانی نحن و انتم، فانکسر القوم و کان اشدّهم انکسارا أبو جهل «۱»

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۶۸، الطرائف: ص ۸۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۳

(۱) لو لاحظت أیها القارئ الکریم هذه الصفحات و غیرها من تاریخ «أبی طالب»، و درست حیاته لرأیت کیف ان «أبا طالب» ظلّ طوال اثنین و أربعین سنة بأیامها و لیالیها یحدب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یدافع عنه، و یحامیه، و بخاصة فی السنوات العشر الاخیرة من حیاته التی صادفت بعثة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دعوته، فقد أظهر من الدفاع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الحرص علی حیاته، و حمایة هدفه اکثر مما یتصور.

و لقد کان العامل الوحید الذی دفعه الی مثل هذا الموقف الراسخ العظیم فی هذا السبیل هو: عمق الایمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و قوة الاعتقاد الخالص برسالته.

و لو أننا ضممنا إلی تضحیاته الشخصیة تضحیات ولده العزیز «علیّ» لأدرکنا مغزی البیتین اللذین انشدهما «ابن ابی الحدید» المعتزلی الشافعی إذ قال:

و لو لا أبو طالب و ابنه‌لما مثل الدّین شخصا و قاما

فذاک بمکّة آوی و حامی‌و هذا بیثرب جسّ الحماما «۱»

(۲)

قضیّة ذات بواعث سیاسیّة:

لیس من ریب فی أنه لو ثبت عشر هذا القدر من الشواهد الدالّة علی اسلام «أبی طالب» و إیمانه بالرسالة المحمّدیة، لغیره ممّن هو بعید عن قضایا السیاسة، و خارج عن دائرة الحقد و البغض لا تفق الجمیع سنة و شیعة علی إسلامه و إیمانه، و لکن کیف ذهب فریق الی تکفیر «أبی طالب» مع کلّ هذه الشواهد القویّة القاطعة علی إیمانه؟ حتی أنّ فریقا من الکتاب ذهب إلی ان بعض الآیات المشعرة بالعذاب نزلت فی شأنه.

---

(۱) شرح نهج البلاغة: ج ۱۴ ص ۸۴ یقول ابن أبی الحدید: صنف بعض الطالبیین فی هذا العصر کتابا فی اسلام أبی طالب، و بعثه إلیّ، و سألنی ان اکتب علیه بخطی نظما او نثرا اشهد فیه بصحة ذلک، و بوثاقة الأدلة علیه (إلی ان قال) فکتب علی ظاهر المجلد هذه الابیات.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۴

(۱) بینما توقّف فی هذا الأمر، و ذهب أفراد معدودون من علماء السنة الی الحکم باسلامه و ایمانه، و منهم «زینی دحلان» مفتی مکة المتوفّی سنة ۱۳۰۴ من الهجرة.

و لکن الانصاف هو ان یقال: أن الهدف من طرح هذه المسألة و التوقف فی ایمان «أبی طالب» أو تکفیره لم یکن إلّا الطعن فی أبنائه، و بخاصة أمیر المؤمنین الإمام علیّ علیه السلام.

و لقد جرّ بعض کتّاب السنّة- لتبریر تکفیر أبی طالب- هذه المسألة الی غیر ابی طالب و وسع دائرة التکفیر هذه حتی شملت آباء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا حیث ذهب إلی أن أبوی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ماتا کافرین أیضا.

و نحن لا یهمنا هنا أن نعلم بأنّ تکفیر والدی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مخالف لاجماع الامامیة و الزیدیة، و کذا جماعة من علماء

السنة، و محقّقيهم، إنما الكلام هو حول من اتّهموا ببساطة متناهية حامى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الوحيد و المدافع عنه بلا منازع.

(۲)

الأدلّة على إيمان أبى طالب

اشارة

إن التعرّف على عقيدة أحد، و معرفة نمط تفكيره، يمكن عن ثلاث طرق هى:

۱- دراسة ما ترك من آثار علميّة و أدبية.

۲- اسلوب عمله، و تصرفاته فى المجتمع.

۳- رأى أقربائه، و أصدقائه غير المغرضين فيه.

و نحن نستطيع أن نتعرّف على إيمان «أبى طالب» و عقيدته من خلال هذه الطرق.

فان أشعار «أبى طالب» تدل بجلاء لا لبس فيه على ايمانه و إخلاصه، و كذا تكون خدماته القيامة فى السنوات العشر الاخيرة من عمره شاهدا قويا على إيمانه العميق.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۵

كما و أنّ رأى أقربائه المنصفين متفق على أنّ «أبا طالب» كان مسلما مؤمنا و لم يقل أحد من أقربائه، فى حقه بغير هذا أبدا.

و إليك إثبات هذا الموضوع عن هذه الطرق الثلاث على وجه التفصيل:

(۱)

۱- آثار أبى طالب العلميّة و الأدبية

نحن نختار هنا من بين قصائد «أبى طالب» المطوّلة، بعض الأبيات التى تثبت ايمانه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اعتقاده بالاسلام، فى غير ابهام.

۱-

ليعلم خيار النّاس أنّ محمّدانبىّ كموسى و المسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا بهفكلّ بأمر اللّه يهدى و يعصم «۱» ۲-

تمنيتمو أن تقتلوه و إنّماأمانيّكم هذى كأحلام نائم

نبىّ أتاه الوحى من عند ربّهو من قال لا يقرع بها سنّ نادم «۲» ۳-

أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدارسولا كموسى خطّ فى أوّل الكتب

و أنّ عليه فى العباد محبةو لا حيف فى من خصّه اللّه بالحبّ «۳» ۴-

و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهمحتّى اوسّد فى التّراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضةو ابشر بذاك و قرّ منك عيونا

و دعوتنى و علمت أنّك ناصحو لقد دعوت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأن دین محمّدمن خیر أدیان البرّیة بنا «۴» ۵-

أو تؤمنوا بکتاب منزل عجب‌علی نبیّ کموسی أو کذی النون «۵» ۶-

لقد علموا أنّ ابننا لا مکذّب‌لدینا و لا یعنی بقول الأباطل

فایّده ربّ العباد بنصره‌و اظهر دینا حقّه غیر باطل «۶»

---

(۱) مجمع البیان: ج ۷ ص ۳۷، الحجة: ص ۵۷، مستدرک الحاکم: ج ۲ ص ۶۲۳.

(۲) دیوان أبی طالب: ص ۳۲، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۳) دیوان أبی طالب: ص ۳۲، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۴) تاریخ ابن کثیر: ج ۳ ص ۴۲.

(۵) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۴، دیوان أبی طالب: ص ۱۷۳.

(۶) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۶

إن کلّ واحدة من هذه المقطوعات الشعریّة التی تشکل قسما صغیرا من قصائد مفصّلة لأبی طالب، تشهد بایمانه بدین ابن اخیه «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) و خلاصة القول: أنّ بیتا واحدا من هذه الأبیات کاف فی اثبات ایمان صاحبها و قائلها، و لو أنّ أحدا قالها و هو خارج عن فلک الصراعات السیاسیة، و بعید عن دوائر التعصبات و الأغراض لحکم الجمیع- بالاتفاق- باسلام قائلها و ایمانه الخالص العمیق.

و لکن لما کان «أبو طالب» هو قائلها، و کانت الأجهزة الدعائیة فی الحکومات الامویة و العباسیّة تعمل بکلّ جهدها ضدّ آل «أبی طالب» من هنا أبی فریق من الناس أن یثبتوا مثل هذه الفضیلة الکبری لأبی طالب علیه السلام.

هذا من جانب.

و من جانب آخر فانّ أبا طالب والد «علی» الذی کانت سلطات الخلفاء تعمل ضدّه علی الدوام، و تستغل کل الوسائل للحط من شأنه، کان إسلام أبیه و إیمانه بالرسالة المحمدیة یعدّ فضیلة بارزة من فضائله علیه السلام فی حین أن کفر آباء الخلفاء و شرکهم یعدّ مثلبة توجب الحط من شأنهم، و قیمتهم.

و علی کل حال قام جماعة بتکفیر أبی طالب رغم کلّ هذه الأشعار و الأقوال، و المواقف الصادقة، بل لم یکتفوا بذلک، فادعوا نزول آیات من القرآن تدل علی کفره، و شرکه!!!

(۲)

الطریق الثانی لا ثبات إیمان أبی طالب

إنّ الطریق الثانی للبرهنة و التدلیل علی إیمان «أبی طالب» هو مواقفه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کیفیة دفاعه و ذبه عنه و حمایته له، و حدبه علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما قام به من خدمات جلیلة فی هذا الطریق.

ان کل واحدة من هذه الخدمات تستطیع بمفردها ان تکون المرآة الصادقة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۷

التی تعکس فکر «أبی طالب» و عقیدته و ما کان یحمله بین جوانحه من إیمان بالرسالة و الرسول، و اخلاص للّه تعالی.

لقد كان «أبو طالب» هو ذلكم الشخصية التى لم يرض لنفسه بان ينكسر قلب ابن أخيه لتركه فى مكة، و اصطحبه معه الى الشام فى الرحلة التجارية التى سبق ذكرها، رغم الموانع الكثيرة، و فقدان الوسائل اللازمة، و رغم ما ترتب على اصطحابه معه من متاعب.

(۱) إن ايمانه بابن أخيه كان عميقا إلى درجة أنه أخذه الى المصلّى و استسقى به، مقسما به على اللّه تعالى أن يكشف العذاب عن قومه، و يرسل رحمته عليهم، فيستجيب اللّه دعاءه، و ينزل عليهم غيثا وافرا ممرعا، بقيت قصته فى ذاكرة التاريخ.

إنه ذلك الرجل الذى لم يفتأ عن الحفاظ على حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لحظة واحدة، فهو الذى تحمل فى سبيله ثلاثة أعوام عجاف من الحصار الاقتصادى و الاجتماعى الصعب، مؤثرا العيش فى الشعب و فى شغاف الجبال و الوديان القاحلة على زعامة قريش، و رئاسة مكة الى ان أعيته تلك المحن و المتاعب ففقد بذلك صحته، و انحرف بذلك مزاجه، و توفّى متأثرا بتلك المتاعب و المصاعب، و المشاق و المحن بعد نقض الصحيفة، و انتهاء الحصار، و العودة إلى المنازل بأيام معدودة!!

لقد كان إيمان «أبى طالب» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قويا و راسخا الى درجة أنه رضى بأن يتعرّض كل ابنائه لخطر القتل و الاغتيال ليبقى «محمّد» و لا يمسّه من أعدائه أىّ سوء، فكان يضجع ولده عليا فى موضعه، حتى إذا أرادوا اغتياله لا يصيبه شىء و هذا يعنى أنه كان يقيه بنفسه و بأولاده.

و فوق هذا كلّه استعدّ فى يوم من الأيام لأن يقتل كل زعماء قريش و أسيادها انتقاما لمحمّد، و كان من الطبيعى أن يقتل فى هذه العملية بنو هاشم كلّهم أيضا «۱».

---

(۱) راجع الصفحة ۵۲۲ من هذا الكتاب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۸

(۱)

وصية أبى طالب عند وفاته

و عند وفاته قال لأولاده:

«اوصيكم بمحمّد خيرا فانّه الأمين فى قريش و هو الجامع لكلّ ما اوصيكم به، و قد جاء بأمر قبله الجنان، و انكره اللسان مخافة الشنئان، و أيم اللّه لكأنّى انظر الى صعاليك العرب، و أهل البرّ فى الاطراف، و المستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، و صدّقوا كلمته، و عظّموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش و صناديدها أذنابا، و دورها خرابا، و ضعفاؤها أربابا، و اذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، و أبعدهم منه أحظاهم عنده ..».

(۲) ثم ختم وصيته هذه بقوله:

يا معشر قريش كونوا له ولاة، و لحزبه حماة، و اللّه لا يسلك أحد منكم سبيله الارشد، و لا يأخذ أحد بهديه الّا سعد «۱».

نحن لا نشك فى أن «أبا طالب» كان صادقا فى امنيّته هذه لأن خدماته الكبرى و تضحياته المتواصلة خلال عشر سنوات من بداية عهد الرسالة شاهدة على صدق مقاله، كما كان صادقا فى الوعد الذى قطعه على نفسه لابن أخيه (محمّد) فى مبدأ البعثة عند ما جمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعمامه و عشيرته الأقربين و دعاهم الى الاسلام فقال له أبو طالب:

«اخرج يا ابن أخى فانّك الرفيع كعبا، و المنيع حزبا، و الأعلى أبا.

و اللّه لا يسلقك لسان الا سلقته ألسن حداد، و اجتذبته سيوف حداد.

و اللّه لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها» «۲».

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۵۱ و ۳۵۲.

(۲) الطرائف تألیف السید ابن طاوس: ص ۸۵ نقلا عن کتاب غایة السئول فی مناقب آل الرسول تألیف ابراهیم بن علی الدینوری.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۹

[۳- شهادات أقرباء أبی طالب من أهل البیت]

(۱) آخر الطرق لاثبات ایمان أبی طالب و یحسن بنا أخیرا ان نسأل عن أبی طالب و عن ایمانه و اخلاصه، اقاربه غیر المغرضین لأن «أهل البیت ادری بما فی البیت».

(۲) ۱- لما مات أبو طالب جاء علیّ علیه السلام الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاذنه بموته، فتوجع توجعا عظیما، و حزن حزنا شدیدا، ثم قال له امض فتولّ غسله فاذا رفعته علی سریره فاعلمنی، ففعل فاعترضه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو محمول علی رءوس الرجال: قال: «وصلتک رحم یا عم، و جزیت خیرا فلقد ربّیت و کفلت صغیرا، و نصرت و آزرت کبیرا».

ثم تبعه الی حضرته، فوقف علیه فقال:

«أما و اللّه لاستغفرنّ لک، و لأشفعنّ فیک شفاعة یعجب لها الثقلان» «۱».

(۳) ۲- روی ان علی بن الحسین علیهما السلام سئل عن ایمان أبی طالب. فقال:

«وا عجبا! ان اللّه تعالی نهی رسوله ان یقرّ مسلمة علی نکاح کافر، و قد کانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلی الاسلام، و لم تزل تحت أبی طالب حتّی مات» «۲».

(۴) ۳- روی عن علی بن محمّد الباقر علیهما السلام أنه قال:

«لو وضع إیمان أبی طالب فی کفّة میزان، و إیمان هذا الخلق فی الکفّة الاخری لرجح إیمانه».

ثم قال:

«أ لم تعلموا أنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السلام کان یأمر أن یحجّ عن عبد اللّه و أبیه» «۳».

(۵) ۴- قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیهما السلام:

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۶.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۶۹.

(۳) المصدر السابق: ص ۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۰

«إنّ مثل أبی طالب مثل أصحاب الکهف أسرّوا الإیمان، و أظهروا الشرک فاتاهم اللّه اجرهم مرّتین، و أن أبا طالب أسرّ الإیمان، و أظهر الشرک، فاتاه اللّه أجره مرّتین» «۱».

(۱)

رأی علماء الشیعة فی أبی طالب

و لقد اتفق علماء الامامیّة و الزیدیّة تبعا لأهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی: أن «أبا طالب» کان من أبرز المؤمنین برسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و لم يخرج من الدنيا إلّا بقلب يفيض إيمانا بالاسلام، و إخلاصا للّه تعالى، و حبّا للمسلمين، و قد الّفت فى هذا المجال كتب و رسائل، و دراسات عديدة، يمكن الوقوف عليها لمن اراد و لمزيد التوسع فى هذا المجال يراجع المجلد ۷ ص ۴۰۲- ۴۰۴ من موسوعة الغدير للعلامة الأمينى طبعة النجف، أو ج ۷ ص ۳۳۰- ۴۰۹ طبعة لبنان.

نظرة إلى حديث «الضحضاح»

اشارة

و استكمالا لهذا الحديث ينبغى أن نلقى نظرة إلى رواية تشكك فى ايمان أبى طالب فقد روى بعض الكتّاب مثل البخارى «۲»، و مسلم عن رواة نظير سفيان بن سعيد الثورى، عبد الملك بن عمير، عبد العزيز بن محمّد الدراوردى حديثا نسبوه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انه قال عن أبى طالب رحمه اللّه:

«وجدته فى غمرات من النّار فأخرجته إلى ضحضاح».

«لعلّه تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النّار يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه» «۳».

إنّ هذه الرواية و ان كانت تكذبها عشرات الأحاديث و الروايات الاسلامية،

---

(۱) اصول الكافى: ج ۱ ص ۴۴۸.

(۲) صحيح البخارى: ج ۱ ص ۳۳ و ۳۴ من ابواب المناقب.

(۳) صحيح المسلم: كتاب الايمان.

و الدلائل القاطعة الساطعة، و تثبت بطلانها و تفاهتها، و لكننا بهدف الوصول إلى مزيد من التوضيح نعمد إلى دراسة أمرين مرتبطين بهذا الحديث.

۱- ضعف أسناد هذه الرواية

اشارة

إنّ رواة هذه الرواية- كما اسلفنا- هم عبارة عن سفيان بن سعيد الثورى و عبد الملك بن عمير و عبد العزيز بن محمّد الدراوردى الذين سندرس أحوالهم واحدا واحدا- فى ضوء أقوال علماء الرجال المعترف بهم عند اهل السنة- عنهم:

الف: سفيان بن سعيد الثورى

قال أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى- و هو من علماء الرجال عند اهل السنة- فى سفيان الثورى: كان يدلّس عن الضعفاء «۱».

إن هذا الكلام شاهد قوى على وجود التدليس عند الثورى، و على روايته عن الضعفاء أو المجهولين، و هو وصف يسقطه عن درجة الاعتبار.

باء: عبد الملک بن عمیر

قال عنه الذهبیّ المذکور: طال عمره و ساء حفظه قال أبو حاتم: لیس بحافظ، تغیّر حفظه، و قال أحمد: ضعیف یغلط، و قال ابن معین: مخلط و قال ابن خراش:

کان شعبة لا یرضاه، و ذکر الکوسج عن احمد بن حنبل: انه ضعیف جدا «۲»

فمن مجموع هذه العبارات نعرف ان عبد الملک کان یتصف بصفات عدیدة هی أنه:

۱- سیئ الحفظ.

۲- ضعیف.

۳- کثیر الغلط.

---

(۱) میزان الاعتدال: ج ۲ ص ۱۶۹.

(۲) المصدر السابق ج ۲ ص ۶۶۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۲

۴- مخلط.

و من الواضح ان کل واحدة من الصفات و الحالات المذکورة کافیة لأن تبطل الأحادیث التی یرویها عبد الملک بن عمیر، و الحال انه قد اجتمعت جمیع نقاط الضعف هذه فی هذا الرجل.

جیم: عبد العزیز بن محمد الدراوردی

و لقد وصفه علماء الرجال عند اهل السنة بالنسیان، و قلة الحفظ فلا یمکن الاستناد إلی مروایاته.

فقد قال أحمد بن حنبل عنه: إذا حدّث من حفظه جاء بأباطیل «۱».

و قال أبو حاتم عنه: لا یحتجّ به «۲».

و قال أبو زرعة أیضا: سیئ الحفظ «۳». و من مجموعة هذه العبارات یتضح بجلاء ان الرواة الاصلیین لحدیث الضحضاح ضعفاء فی غایة الضعف، الی درجة لا یمکن الاعتماد علی مروایاتهم.

۲- نص حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنة

اشارة

لقد نسب إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الروایة أنه أخرج أبا طالب من نار جهنم إلی ضحضاح و بهذا خفّف عنه العذاب، أو أنه صلّی اللّه علیه و آله تمنی أن یشفع له، فیخفّف اللّه عنه العذاب، علی حین نفی القرآن الکریم و السنة النبویة الشریفة تخفیف العذاب عن الکفار کما و نفیا شفاعة احد فی حقهم.

و علی هذا الاساس فلو کان ابو طالب کافرا، لم یجز للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یخفف عنه العذاب او یتمنی له الشفاعة فی یوم الجزاء.

و بهذا یظهر بطلان محتوی حدیث الضحضاح.

و إلیک فیما یأتی ادلة ما قلناه من الکتاب و السنة:

---

(۱) المصدر السابق ص ۶۳۴.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۳

الف: القرآن الکریم

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد:

«وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضی عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَ لا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها، کَذلِکَ نَجْزِی کُلَّ کَفُورٍ» «۱».

ب: السنة النبویة

ان السنة النبویة الطاهرة تنفی أیضا الشفاعة للکفار، و نذکر من باب النموذج بعض تلک الأحادیث:

۱- روی أبو ذر الغفاری عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«اعطیت الشفاعة و هی نائلة من امتی من لا یشرک باللّه شیئا» «۲».

۲- روی أبو هریرة عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«و شفاعتی لمن شهد أن لا إله الا اللّه مخلصا، و أنّ محمّدا رسول اللّه یصدّق لسانه قلبه، و قلبه لسانه» «۳».

إن الآیات و الروایات المذکورة تثبت بوضوح بطلان نص حدیث الضحضاح عند من یقول بأن أبا طالب مات کافرا.

و نتیجة البحث أنه تبین مما ذکر ان حدیث الضحضاح لا أساس له من الصحة لا من جهة السند و الطریق، و لا من جهة المتن و النص، و لا یمکن الاستدلال به.

و بهذا ینهار أقوی حصن یتمسک به البعض للخدشة فی ایمان أبی طالب الثابت المسلّم.

---

(۱) فاطر: ۳۶.

(۲) الترغیب و الترهیب: ج ۴ ص ۴۳۳.

(۳) المصدر السابق: ص ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۵

(۱) (۲)

۲۲- المعراج فی نظر القرآن و السنة و التاریخ

اشارة

کان اللیل یخیم علی الافق، و یسود الظلام علی کان مکان.

فقد حان الأوان لان ترقد جمیع الاحیاء فی مساکنها، و تستریح فی جحورها و أعشاشها، و تغمض الأجفان لبعض الساعات عن مظاهر

الطبیعة، لتستعید نشاطها من أجل العمل فی یوم جدید حافل بالنشاط و الحرکة و السعی.

فذلک قانون الطبیعة فی کلّ لیل و نهار.

و لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمستثنی عن هذا الناموس الطبیعی.

فهو صلّی اللّه علیه و آله مضی لیستریح بعد أن صلّی صلاة العتمة أیضا.

و لکنه فجأة سمع صوتا مألوفا مأنوسا له، و کان ذلک هو صوت أمین الوحی «جبرئیل» و هو یخبره بأن أمامه اللیلة سفرا بعیدا و رحلة طویلة، و انه سیرافقه فی هذه الرحلة الی مختلف نقاط الکون، و سیسافر علی متن دابة فضائیة تدعی «البراق».

(۳) لقد بدأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله رحلته الفضائیة العظیمة من بیت اخت علی بن أبی طالب «۱» «أم هانی»، و توجه علی متن تلک الدابة إلی «بیت

---

(۱) مجمع البیان: ج ۶ ص ۳۹۵ و ۳۹۶، السیرة النبویّة: ج ۱ ص ۳۹۶- ۴۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۶

المقدس» فی الأردن و فلسطین و الذی یسمی «المسجد الأقصی» أیضا، و هبط فی تلک النقطة بعد مدة قصیرة جدا، و زار مواضع عدیدة من ذلک المسجد، و تفقّد «بیت لحم» مسقط رأس «السید المسیح» و منازل الأنبیاء و آثارهم و محاریبهم، و صلّی عند کل محراب من بعض تلک المحاریب رکعتین.

(۱) ثم بدأ بعد ذلک القسم الثانی من رحلته، حیث عرج من ذلک إلی السماوات العلی، و شاهد النجوم و الکواکب، و اطّلع علی نظام العالم العلوی، و تحدث مع ارواح الأنبیاء، و الملائکة السماویین، و اطّلع علی مراکز الرحمة و العذاب (الجنة و النار) «۱» و رأی درجات أهل الجنة، و أشباح أهل النار عن کثب، و بالتالی تعرف علی أسرار الوجود، و رموز الطبیعة، و وقف علی سعة الکون، و آثار القدرة الالهیّة المطلقة، ثم واصل رحلته حتی بلغ إلی سدرة المنتهی «۲»، فوجدها مسربلة بالعظمة المتناهیة و الجلال العظیم و عندها انتهی برنامج رحلته صلّی اللّه علیه و آله، فامر بأن یعود من حیث أتی، فعاد صلّی اللّه علیه و آله و مرّ فی عودته علی بیت المقدس ثانیة، ثم توجّه منه الی «مکة»، و مرّ خلال الطریق علی قافلة تجاریة لقریش و قد ضلّ بعیر لهم فی البیداء و کانوا یبحثون عنه، ثم وجد فی رحلهم قعبا مملوء من الماء فشرب منه و صبّ بقیته علی الأرض أو غطاه کما کان بناء علی روایة. و ترجّل عن مرکبته الفضائیة العجیبة فی بیت «أم هانی» قبیل طلوع الفجر، و أخبرها بالخبر قبل أی أحد، ثم کشف عن هذا الحادث فی أندیة قریش صباح نفس تلک اللیلة.

(۲) فاستبعد السامعون قصة المعراج و الحرکة السریعة هذه، و اعتبروه أمرا محالا- و انکرته، و فشا هذا الخبر فی جمیع الأوساط و غضب بسببه أشراف قریش و ساداتهم اکثر من غیرهم.

و کعادتها بادرت قریش إلی تکذیب هذه القصّة و قالوا: هذا و اللّه الأمر البیّن

---

(۱) مجمع البیان: سورة الاسراء ج ۶ ص ۳۹۵.

(۲) لتوضیح معنی سدرة المنتهی راجع کتب التفسیر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۷

(العجیب المنکر) و اللّه إن العیر لتطّرد شهرا من مکة الی الشام مدبرة، و شهرا مقبلة، أ فیذهب ذلک «محمّد» فی لیلة واحدة؟

(۱) و قالوا: إن صدقت فصف لنا بیت المقدس، فإن فینا من شاهده.

فلم یصف لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیت المقدس فحسب بل اخبرهم بکل ما مرّ به و فعله و رآه فی طریق عودته من بیت

المقدس إلى «مكّة» و قال: و آية ذلك أنّى مررت على بعير بنى فلان بوادى كذا و كذا، و قد ضلّ لهم بعير و قد همّوا فى طلبه، و شربت من ماء فى آنية لهم مغطاة بغطاء و ثم غطّيت عليها كما كان، ثم مررت على بعير فلان و قد نفّرت لهم ناقة و انكسرت يدها.

فقالت قريش: أخبرنا عن عير قريش.

فقال صلّى اللّه عليه و آله: إنّها الآن فى التنعيم (و هو مبدأ الحرم) يتقدمها جمل أورق (أبيض مائل الى السواد) عليه غرارتان و ستدخل الآن مكة.

فغضبت قريش من هذه الأخبار القاطعة و قالت: سنعلمنّ الآن صدقه أو كذبه.

ثم لم تمض لحظات إلّا و طلعت العير عليهم، و حدّثهم أبو سفيان بكل ما أخبرهم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ضياع بعير لهم فى الطريق و همّهم فى طلبه، و أنهم وضعوا ماء مملوء فغطوه و لما رجعوا وجدوه مغطى كما غطوه و لكن لم يجدوا فيه ماء.

هذه هى خلاصة ما جاء فى كتب التفسير، و التاريخ، و الحديث حول المعراج.

و إذا أراد القارئ الكريم أن يقف على تفاصيل أكثر فى هذا المجال فما عليه إلّا أن يراجع بحار الأنوار باب «المعراج» «۱».

(۲)

هل للمعراج جذور قرآنية؟

لقد جاء ذكر «المعراج» النبوى و سيرة العجيب صلّى اللّه عليه و آله فى

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۸۳- ۴۱۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۸

العالم العلوى، و الفضاء غير المتناهى فى سورتين من القرآن الكريم بشكل واضح و صريح كما و اشير إليها فى سور اخرى أيضا.

و نحن نكتفى هنا باستعراض الآيات التى ذكرت هذه القضيّة بصورة واضحة، و نقف عند بعض النقاط الجديدة بالدراسة فيها:

يقول اللّه تعالى فى سورة الأسراء:

«سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۱».

(۱) و يستفاد من ظاهر هذه الآية امور:

(۲) ۱- لكى نعلم بأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يطو تلك المسافات، و لم يقم برحلته إلى تلك العوالم بقوّة بشرية، بل تسنى له كل ذلك بقوة غيبيّة، فبها استطاع أن يطوى تلك المسافات البعيدة فى زمن قصير جدا بدأ اللّه تعالى حديثه عن الاسراء بقوله: «سبحان الّذى» و هو اشارة الى تنزيه اللّه عن كلّ نقص و عيب.

و لم يكتف بذلك بل وصف نفسه بوضوح بأنه هو تعالى سبب هذه الرحلة و المسيّر فيها اذ قال: «أسرى» أى إنّ اللّه تعالى هو الذى سرى برسوله صلّى اللّه عليه و آله، و أخذه إلى تلك الرحلة.

و هذه العناية لأجل أن لا يتصور الناس بأنّ هذه الرحلة تحققت بالوسائل العادية، و حسب القوانين الطبيعية ليتسنّى لهم إنكارها، إنما تحققت بقدرة اللّه و عنايته الربوبية الخاصة.

(۳) ۲- إن هذه الرحلة تحققت برمّتها خلال الليل، و يستفاد هذا المطلب- علاوة على كلمة ليلا- من كلمة «أسرى» أيضا لأنّ العرب كانت تستعمل اللفظة المذكورة فى السير ليلا.

(۴) ۳- مع أنّ هذه الرحلة بدأت من بيت «أمّ هانى» ابنة أبى طالب، فإن الآية صرّحت بأنها تمّت من المسجد الحرام، و لعل هذا لأنّ العرب كانت تعتبر

(۱) الاسراء: ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۹

کل مکة حرما إلهیا، و من هنا کان کل مکان من مکة یتمتع عندهم بحکم الحرم و المسجد الحرام، فیکون المراد بالمسجد الحرام هنا مکّة، و مکّة و الحرم کلها مسجد، فصحّ أن یقول: «من المسجد الحرام».

و تذهب بعض الروایات إلی أنّ المعراج کان من نفس المسجد الحرام.

ثم إنّ هذه الآیة و ان کانت تصرّح بأنّ المعراج بدأ من «المسجد الحرام» و انتهی ب: «المسجد الأقصی» إلّا أن ذلک لا ینافی أن یکون للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله رحلة اخری إلی العالم العلوی لأنّ هذه الآیة تبیّن فقط قسما من هذه الرحلة، و أما القسم الآخر من برنامج هذه الرحلة فتتعرض لذکره آیات فی مطلع سورة: «النجم».

(۱) ۴- إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عرج بجسمه و روحه معا، لا بالروح فقط.

و یدلّ علی ذلک قوله تعالی «بعبده» الذی یستعمل فی «الجسم و الروح معا» و لو کان المعراج بالروح فقط لزم أن یقول: «بروحه».

(۲) ۵- إنّ الغرض من هذا السیر العظیم و هذه الرحلة العجیبة هو إیقاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی مراتب الوجود، و اطلاعه علی الکون العظیم، و هذا ما سنشرحه فیما بعد.

و أما السورة الاخری التی تعرض لبیان حادثة المعراج بوضوح و صراحة هی سورة: «النجم».

و الآیات التی سندرجها هنا من هذه السورة نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند ما قال لقریش: «رأیت جبرئیل أوّل ما اوحی إلیّ علی صورته التی خلق علیها» جادلته قریش فی ذلک، فنزلت الآیات التالیة تجیب علی اعتراضهم:

«أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی. عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی. ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی. لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری» «۱».

(۱) النجم: ۱۲- ۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۰

(۱)

أحادیث المعراج:

روی المفسرون و المحدّثون أخبارا و روایات کثیرة حول معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و ما شاهده فی هذه الرحلة العظیمة، لیست برمتها صحیحة مسلّمة مقطوعا بها.

و لقد قسّم المفسر الشیعی الکبیر المرحوم «العلامة الطبرسیّ» هذه الاخبار إلی أصناف أربعة اذ قال:

(۲) و تنقسم جملتها إلی أربعة اوجه:

(۳) أحدها: ما یقطع علی صحته لتواتر الأخبار به، و احاطة العلم بصحته مثل أصل المعراج.

(۴) و ثانیها: ما ورد فی ذلک مما تجوّزه العقول و لا تأباه الأصول مثل طوافه فی السماء و رؤیته أرواح الأنبیاء و تحدّثه معهم و رؤیته للجنة و النار، فنحن نجوّزه ثم نقطع علی أن ذلک کان فی یقظته، دون منامه.

(۵) و ثالثها: ما یکون ظاهره مخالفا لبعض الأصول، إلّا أنه یمکن تأویلها علی وجه یوافق المعقول فالأولی أن نؤوّله علی ما یطابق الحق و الدلیل. مثل أنّه رأی أهل الجنة و أهل النار و تحدّث معهما الذی یجب أن یؤوّل فیحمل علی انه: رأی أشباحهم و صورهم و

صفاتهم.

(۶) و رابعها: ما لا یصح ظاهره و لا یمکن تأویله، و هی ما الصق و الحق بهذه الحادثة من الأساطیر و الخرافات، مثل ما روی من أنه صلّی اللّه علیه و آله کلّم اللّه سبحانه جهرة و رآه و قعد معه علی سریره أو سمع صریر قلمه، و نحو ذلک ممّا ممّا یوجب ظاهره التشبیه و التجسیم و اللّه سبحانه یتقدّس عن ذلک کلّه، فالأولی أن لا نقبله «۱».

---

(۱) مجمع البیان: ج ۶ ص ۳۹۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۱

(۱)

متی وقعت هذه الحادثة؟

مع ان أهمیّة هذه الحادثة العجیبة کانت تستوجب أن تکون مضبوطة التفاصیل من جمیع الجهات، إلّا أنها تعرضت للاختلاف- مع ذلک- من بعض الجهات و منها تحدید تاریخ وقوعها.

فقد ادّعی کاتبا السیرة المعروفان: «ابن اسحاق» و «ابن هشام» أنها وقعت فی السنة العاشرة من البعثة الشریفة.

و ذهب المؤرخ الکبیر «البیهقی» إلی أنها وقعت فی السنة الثانیة عشرة من البعثة.

و ذهب آخرون إلی أنها وقعت فی أوائل البعثة، بینما قال فریق رابع: أنها وقعت فی أواسطها.

و ربّما یقال فی الجمع بین هذه الأقوال: أنه کان لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله معارج متعددة.

و لکنّنا نعتقد أنّ المعراج الذی فرضت فیه الصلاة وقعت بعد وفاة أبی طالب علیه السلام فی السنة العاشرة قطعا.

لأنّ من مسلّمات الحدیث و التاریخ أن اللّه تعالی أمر نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فی لیلة المعراج أن تصلّی أمّة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلّ یوم و لیلة خمس صلوات.

(۲) کما أنه یستفاد من ثنایا التاریخ أیضا أن الصلاة لم تفرض ما دام أبو طالب علیه السلام علی قید الحیاة بل فرضت بعد وفاته، لأنّه حضر عنده- ساعة وفاته- سراة قریش و أسیادها، و طلبوا منه أن یبت لهم فی أمر ابن أخیه «محمّد» و یمنعه من فعله، فیعطونه- فی قبال ذلک- ما یرید فقال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک المجلس: نعم کلمة واحدة تعطونیها: «تقولون لا إله إلّا اللّه و تخلعون ما تعبدون من دونه» «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۱۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۲

(۱) لقد طلب منهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذا الأمر و لم یطلب منهم شیئا آخر کالصلاة و غیرها من الفروع أبدا، و هذا هو بنفسه یدلّ علی أنه لم تجب الصلاة حتی ذلک الیوم، و إلّا کان الإیمان المجرّد عن العمل، و الصلاة مفروضة، لا فائدة فیه.

و أما أنه لم یذکر شیئا عن نبوّته و رسالته فلأنّ الاعتراف بوحدانیة اللّه بأمره و طلبه صلّی اللّه علیه و آله اعتراف ضمنیّ برسالته و نبوّته، و فی الحقیقة انّ التلفّظ بهذه العبارات بأمره یتضمّن شهادتین و اقرارین: الإقرار باللّه الواحد، و الإقرار بنبوّة رسول الاسلام.

(۲) هذا مضافا إلی أن کتّاب السیرة ذکروا کیفیة إسلام جماعة مثل «الطفیل بن عمرو الدوسی» الذی أسلم قبل الهجرة «۱» بأعوام اکتفی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بالشهادتین، و لم یجر ای حدیث عن الصلاة ابدا.

ان هذه الامثلة تکشف عن أن هذه الحادثة (المعراج) التی فرضت فیها الصلاة وقعت قبل الهجرة بسنوات.

و الـذین تصوّروا أن المعراج وقع قبـل السـنة العاشـرة مخطئون خطأ کبیرا لأنّ النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله کان محصورا فی شـعب أبی طالب منذ السنة الثامنة و حتی السنة العاشرة، و لم یکن وضع المسلمین لیسمح بفرض تکلیف زائد (مثل الصلاة) علیهم.

(۳) و أمـا سـنوات مـا قبـل الحصـار فعلاـوة علی ضـغوط قریش علی المسـلمین و التی کانت هی بنفسـها مانعا من فرض الصـلاة علی المسـلمین، کان المسـلمون قلـة معدودین، و لم یکن نور الایمان، و اصول الاسـلام، قد ترسـخت فی قلوب ذلک العدد القلیل بشـکل قوی بعد، و لذلک یکون من المستبعد أن یکلفوا بأمر زائد مثل الصلاة فی مثل ذلک الظرف.

و أمّا ما ورد فی بعض الأخبار و الروایات من ان الإمام علیا علیه السلام

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۳

صلی مع رسول اللّه قبل البعثـة بثلاث سـنوات، و اسـتمر علی ذلک بعـدها أیضا فلیس المراد منها الصـلوات المحـدودة المؤقتة بوقت، المشـروطة بشـروط خاصة، بل کانت تلک الصلوات عبارة عن عبادة خاصة غیر محدودة «۱»، أو کان المراد منها الصـلوات المندوبة و العبادات غیر الواجبة.

(۱)

هل کان المعراج جسمانیا؟

لقـد وقع النقـاش و الکلاـم فی کیفیـة معراج النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و أنه کان روحانیا أو جسـمانیا و روحانیا معا، و قیل فی ذلک کلام کثیر.

و مع أن القرآن الکریم و الأحـادیث تشـهد بجلاـء لا غموض فیه بأن معراجه صـلّی اللّه علیه و آله کان جسـمانیا «۲»، فقد اوردت فی المقام بعض الإشـکالات و الاعتراضات التی منعت البعض عن قبول هـذه الحقیقـة، و بالتالی دفعتهم الی ارتکاب التأویل، و الزعم بأن معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان روحانیا، أی بالروح لا بالجسم.

لقد قال هؤلاء: ان روح النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله هی التی طافت فی تلک العوالم ثم عادت إلی جسد النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله مرة اخری!!

و ذهب جماعـة إلی أبعـد من ذلـک إذ ادّعوا بـان جمیع هـذه المشاهـدات و القضایـا تمّت لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی عـالم الرؤیا، فکل ما رآه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أو فعله من الطواف و اللقاء و الصلاة کانت رؤیا و رؤیا الأنبیاء صادقة!!

(۲) علی أن أقـوال الفریق الأـخیر من البعـد عن الواقع بحیث لاـ یمکن ذکره فی عـداد الأـقوال و النظریـات أبـدا، لأـنّ قریش بعـد أن سمعت من رسول اللّه صلّی

---

(۱) للمزید من التحقیق فی تاریخ وجوب الوضوء و الصلاة و الاذان یراجع الکافی: ج ۳ ص ۴۸۲- ۴۸۹.

(۲) لقد نقل الفقیه الجلیل العلامة الشـیعیّ المرحوم الطبرسی فی تفسیر مجمع البیان إجماع علماء الشیعة علی جسمانیة المعراج فراجع: ج ۶ ص ۳۹۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۴

اللّه علیه و آله ادعاءه بانه سار کل تلک المسافـة الطویلـة البعیـدة، و طاف علی کل تلک الاماکن المتباعـدة العدیـدة فی لیلـة واحـدة انزعجت بشدة و هبّت لتکذیبه حقیقة، الی درجة أن خبر المعراج أصبح حدیث الساعة فی نوادی قریش و اوساطها آنذاک.

و لو کان کل ذلک تحقق للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی المنام و الرؤیا لما کان لتکذیب قریش و انزعاجها و استنکارها معنی، اذ لا موجب للنزاع لو کان صلّی اللّه علیه و آله یقول: إنّی فعلت تلک الامور، و رأیت کل تلک المشاهد فی الرؤیا و المنام، اذ هو علی کل حال رؤیا، و کل شیء- حتی الامور المحالة او المستبعدة جدا- ممکن فی عالم الرؤیا.

و من هنا لا قیمة للقول الأخیر أصلا فلا تستحق المتابعة أصلا.

و لکن مع الأسف استحسن بعض العلماء المصریین (مثل فرید وجدی) هذا الرأی و سعی فی تقویته و تبریره، و نحن نحبذ ان نترکه، و ان لا نناقش فیه «۱».

(۱)

ما هو المراد من المعراج الروحانی؟

اشارة

لقد عمد فریق ممن عجز عن دفع و حلّ بعض الاعتراضات و الاشکالات الواردة علی المعراج الجسمانی، إلی تأویل الآیات و الأحادیث، و اعتبر المعراج النبوی معراجا روحانیا، لا غیر.

و المقصود من المعراج الروحانیّ هو التدبّر فی مخلوقات اللّه و مصنوعاته، و مشاهدة جلاله و جماله و الاستغراق فی ذکر الحق، و التفکر فیه، و بالتالی التخلص من القیود و الاغلال المادیة، و العلائق الدنیویة، و العبور من المراتب الامکانیة فی المراحل الباطنیة و القلبیة التی یحصل بعد طیّها نوع من القرب الخاص الذی لا یمکن وصفه.

(۲) فاذا کان المراد من (المعراج الروحانیّ) هو التفکر فی عظمة الحق وسعة

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرین: ج ۶ ص ۳۲۹ مادة عرج.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۵

الخلق و .. و .. فلا شک أن هذا لیس من مختصات رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله بل کان أکثر الأنبیاء، و کثیر من الأولیاء من ذوی البصائر القویّة الطاهرة یمتلکون هذه المرتبة، علی حین أن القرآن الکریم یعتبر (المعراج) من خصائص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یذکره علی انه نوع من الامتیاز الخاص به صلّی اللّه علیه و آله.

هذا مضافا الی ان مثل هذه الحالة (اعنی التفکر فی عظمة الخالق و الاستغراق فی التوجه الی الحق) کانت تتکرر لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی کل لیلة «۱»، و الحال ان (المعراج) الذی هو محط الکلام قد وقع فی لیلة معیّنة.

(۱) إن ما دفع بهذا الفریق إلی اتخاذ مثل هذا الموقف من (المعراج)، و آل بهم اختیار هذا الرأی هو فرضیة الفلکی الیونانی المعروف «بطلمیوس» التی کانت سائدة فی الأوساط العلمیة فی الشرق و الغرب طیلة ألفی سنة بالکامل، و التی الّف حولها مئات الکتب، و کانت تعدّ حتی حین من المسلّمات فی مجال العلوم الطبیعیة و هی علی نحو الاجمال کالتالی:

(۲) إن الاجسام فی هذا العالم علی نوعین: أجسام عنصریة، و اجسام فلکیة.

و الجسم العنصری هی العناصر الأربعة المعروفة: «الماء، و التراب، و الهواء، و النار».

و أوّل کرة تبدو لنا هی کرة التراب و هی مرکز العالم، ثم تلیها کرة الماء ثم کرة الهواء، و تأتی بعد کل هذه الثلاثة کرة النار، و کل من هذه الکرات محیطة بالاخری، و هنا (ای و عند کرة النار) تنتهی الکرات، و تبدأ الاجسام الفلکیة.

(۳) و المقصود من الأجسام الفلکیة هی الافلاک التسعة التی تقع الواحدة فوق الاخری و تحیط الواحدة بالاخری علی هیئة قشور البصل، و هی متصلة بعضها ببعض من دون فاصلة بینها و هی غیر قابلة للاختراق و الالتئام (ای الشق

---

(۱) راجع وسائل الشیعة: ج ۷ کتاب صوم الوصال، ص ۳۸۸ قال صلّی اللّه علیه و آله: «إنی لست کأحدکم، أنی اظل عند ربّی فیطعمنی و یسقینی».

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۶

و الالتحام) و الفصل و الوصل و لا یستطیع أیّ شیء من اختراقها و التحرک فیها بصورة مستقیمة لأن ذلک یستلزم انفصام اجزاء الفلک.

من هنا یکون المعراج الجسمانی مستلزما لأن ینطلق النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مرکز العالم و یصعد بصورة مستقیمة إلی الأعلی عابرا الکرات العنصریة الأربع، و مخترقا الأفلاک التسعة الواحد تلو الآخر، بینما یستحیل خرق هذه الأفلاک ثم التحامها حسب نظریة بطلمیوس و فرضیّته الفلکیة.

و علی هذا لا مناص من أن نعتقد بأن المعراج النبویّ کان معراجا روحانیا، ای ان روحه صلّی اللّه علیه و آله هی التی عرجت حتی لا یمنع أیّ جسم من عبورها و سیرها و صعودها الی النقطة المطلوبة و الغایة المرسومة.

(۱)

الجواب:

ان هذا الکلام کان مقبولا و ذا قیمة عند ما کانت هیئة بطلمیوس و فرضیته الفلکیة لم تکن بعد قد فقدت قیمتها فی الاوساط العلمیة و کان هناک من یعتقد بها من صمیم فؤاده.

ففی مثل تلک البیئة کان من الممکن التلاعب بالحقائق القرآنیة، و تأویل صریح القرآن و نصوص الروایات.

أما الآن فقد فقدت أمثال هذه الفرضیات قیمتها، و ظهر للجمیع بطلانها، و لم یعد أحد یتحدث عنها، إلّا من باب ما یسمی بتاریخ العلوم.

فالیوم و بالنظر الی کل هذه الأجهزة الفلکیة و الآلات الفضائیة الدقیقة، و التلسکوبات العملاقة، و هبوط المرکبات الفضائیة المتعددة علی سطح القمر و المریخ، و عملیة القیادة الفضائیة علی سطح القمر لم یعد مجال لهذه الفرضیات الخیالیة.

(۲) فالیوم لا یعتبر العلماء المحقّقون فکرة العناصر الأربعة و الفلک المتّصل کقشرة البصل إلّا جزء من الاساطیر.

فان العلماء لم یستطیعوا بالآلات العلمیة و أجهزة الرصد الدقیقة و العیون

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۷

المسلحة من رؤیة، تلک العوالم التی حاکها و صنعها بطلمیوس بقوة خیاله، من هنا فان أیة نظریة تقوم علی هذا الاساس غیر الصحیح تکون عاریة عن أیة قیمة، و اعتبار.

(۱)

نغمة شاذة:

و لقد طلع مؤسس الفرقة الشیخیة «۱» «الشیخ احمد الاحسائی» فی «الرسالة القطیفیة» بنغمة شاذة فی هذا الصعید حیث أراد بابداء

طرحة جديدة أن يرضى كلا الطرفين (القائلين بروحانية المعراج النبوى و القائلين بجسمانيته) حيث قال:

ان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عرج ببدنه البرزخى (الهورقليائى) «۲» ثم استدل لذلك بقوله:

ان الصاعد كلّما صعد ألقى فى كل رتبة من المراتب المذكورة ما فيها، فمثلا إذا تجاوز كرة الهواء القى ما فيه من الهواء، و اذا تجاوز كرة النار ألقى ما فيها و اذا رجع أخذ ماله من كرة النار، و اذا وصل الى كرة الهواء أخذ ماله من الهواء.

و من هنا فانّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما عرج الى السماء القى فى كل كرة واحدا من تلك العناصر الأربعة فى كرته، و عرج ببدن فاقد لهذه العناصر.

و مثل هذا البدن لا يمكن ان يكون بدنا عنصريا، فليس هو الا البدن البرزخى (الذى أسماه الهورقليائى) لا غير «۳».

---

(۱) لا شك أن هذه الفرقة و امثالها من الفرق المبتدعة هى من صنائع الاستعمار أو هى مما يؤيده لتنفيذ أغراضه، و من حسن الحظ أن انتشار الوعى بين أبناء الامة الإسلامية حدّ من نشاط هذه الفرق حتى انها أصبحت على ابواب الاندثار و الانقراض نهائيا.

(۲) و هو البدن البرزخى الذى يشبه البدن الذى يفعل به الانسان الافعال المختلفة فى عالم النوم و الرؤيا و يقوم بكل نوع من انواع النشاط.

(۳) تقع الرسالة القطيفية ضمن مجموعة تحتوى على ۹۲ رسالة باسم جوامع الكلم التى طبعت عام ۱۲۷۳.

و مع هذا التصريح يدّعى البعض- للتستر على خطأ الشيخ و زلته هذه- بأن الشيخ يعتقد بأن المعراج كان جسمانيا عنصريا، و أنه موافق لرأى المشهور فى هذا المجال.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۸

و بهذا- حسب تصوّره- أرضى من نفسه كلا الطرفين المذكورين، لأنه من جانب اعتقد بالمعاد الجسمانى، و فى نفس الوقت تخلّص من اشكال «خرق الافلاك و التحامها» لأن نفوذ الجسم البرزخى لا يستوجب أى خرق و انفصال فى جدار الفلك.

(۱) و لكن هذه النظرية- كما هو واضح لكلّ عالم متحرّ للحقيقة، بعيد عن العصبية- واضحة البطلان كسابقتها (نظرية المعراج الروحانى)، فمضافا الى انها مخالفة للقرآن و ظاهر الأحاديث، لأنّه- كما أسلفنا- لو عرضنا آية المعراج (من سورة الاسراء) على أىّ عارف باللغة، مهما كانت و طلبنا منه رأيه فى هذا الصدد لقال: ان مراد القائل هو البدن الدنيوى العنصرى الذى عبّر عنه القرآن بلفظ العبد، فى قوله تعالى: «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ»، و ليس الهورقليائى الذى لم يكن يعرفه المجتمع العربىّ، و لا يعرف أمثاله فى ذلك اليوم اساسا، فى حين أنهم كانوا هم المخاطبون فى آية المعراج فى سورة الاسراء لا غيرهم.

هذا مضافا الى أنّ ما دفع بالشيخ الى ارتكاب هذا التأويل البارد هو الاسطورة اليونانية المذكورة حول الفلك، حيث تصوّرها كحقيقة ثابتة من حقائق اللوح المحفوظ، و قد كذبها و فندها كل فلكيّ العالم اليوم، و أعلنوا عن سخافتها.

فلا يجوز لنا أن نقلّد تلك الفرضية تقليدا أعمى.

و اذا ما رأينا بعض القدماء من المشايخ قال بمثل هذا محسنا الظن بتلك الفرضية الفلكية القديمة و أمثالها امكن إعذارهم، لعدم قيام ادلة علمية قوية على خلافها آنذاك.

اما اليوم فلا ينبغى لنا ان نتجاهل الحقائق القرآنية لفرضية ثبت بطلانها فى الأوساط العملية

(۲)

المعراج و قوانين العلم الحديث:

اشارة

قد یتصور فریق من الناس أن القوانین الطبیعیة و العلمیة الحاضرة لا تتلاءم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۹

مع معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و ذلک لأنه:

(۱) ۱- یقول العلم الحدیث: إنّ الابتعاد عن الأرض یتطلب التخلّص من جاذبیة الأرض، و بعبارة اخری ابطال مفعولها.

فان (الکرة) التی نقذفها إلی الأعلی تعود مرة ثانیة الی الأرض بفعل الجاذبیة و مهما کرّرنا قذف الکرة الی الأعلی فانها تعود و ترجع الی الأرض أیضا.

فاذا أردنا أن نبطل مفعول جاذبیة الأرض ابطالا کاملا بحیث لا تعود الکرة المقذوفة الی الأعلی الی الأرض ثانیة بل تواصل مسیرها إلی الأعلی فإننا نحتاج لتحقیق هذا الهدف الی جعل سرعة الکرة باتجاه معاکس للأرض تعادل ۰۰۰/ ۲۵ میلا فی الساعة.

و علی هذا فان معنی المعراج هو ان یکون النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قد خرج من محیط جاذبیة الأرض، و اصبح فی حالة انعدام الوزن.

و لکن ینطرح هنا سؤال و هو: کیف استطاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یطوی بدون وسائل هذه المسافة بمثل هذه السرعة، و هل البدن الطبیعی یتحمل مثل هذه السرعة مع عدم توفر الغطاء الواقی و الوسائل اللازمة، التی تصون الجسم من التبعثر و الذوبان بفعل السرعة الفائقة.

(۲) ۲- إنّ الهواء القابل للاستنشاق غیر موجود فوق عدد من الکیلومترات بعیدا عن سطح الأرض، بمعنی اننا کلما ذهبنا صعدا إلی الطبقات العلیا و ابتعدنا عن الأرض أصبح الهواء أرقّ، حتی یغدو غیر قابل للاستنشاق، و ربما نصل اذا واصلنا الصعود إلی الأعلی الی منطقة ینعدم فیها الهواء اللازم للتنفس بالمرة، فکیف استطاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بعد طی تلک المسافة الطویلة و البعیدة فی أعالی الجو أن یعیش بدون وجود الاوکسیجین؟! سید المرسلین ج۱ ۵۴۹ المعراج و قوانین العلم الحدیث: ..... ص : ۵۴۸

۳) ۳- إنّ الاشعة الفضائیة، و الاحجار السماویة و الشهب الکثیرة المتطائرة إذا اصطدمت بأی جسم أرضی أبادته، و أفنته، و لکنها عند ما تصطدم بالغلاف الغازیّ المحیط بالأرض تتلاشی و تصبح کالبودر و لا تصل إلی الأرض، فیکون

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۰

الغلاف الغازی فی الحقیقة بمثابة درع یقی سکّان الأرض من خطر تلک القذائف المهلکة.

و مع هذه الحالة کیف تهیّأ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یصون نفسه من تلک الاشعة الفضائیة، و الاحجار السماویة؟!

(۱) ۴- إذا قلّ ضغط الهواء علی جسم الانسان فزاد أو نقص اختلت حیاته الطبیعیة، فهو یمکنه أن یعیش تحت ضغط معین من الهواء، لا یوجد فی الطبقات العلیا من الجوّ، فکیف استطاع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و الحال هذه أن یحافظ علی حیاته فی أعالی الفضاء؟!

(۲) ۵- إنّ سرعة الحرکة التی سار بها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لا ریب کانت تفوق سرعة الحرکة التی یسیر بها النور و مع العلم بأنّ سرعة النور هی ۰۰۰/ ۳۰ کیلومترا فی الثانیة، و مع العلم أیضا أنه ثبت فی العلم الحدیث أنه لا یستطیع أیّ جسم أن یتحرک بسرعة تفوق سرعة النور، فکیف استطاع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یسیر بسرعة تفوق سرعة النور، و مع ذلک یرجع إلی الأرض سالم الجسم کامله؟؟!

(۳)

جوابنا:

و جوابنا هو: أننا إذا أردنا أن نناقش هـذه المسألة على ضوء القوانين العلميّة الطبيعية لتجاوز عدد الاعتراضات و الاشـكالات ما ذكرناه آنفا.

و لكننا نقول فى جواب هذا الفريق متسائلين: ما هو مقصودكم من توضيح هذه النواميس الطبيعية.

هل تريدون القول بأن السير فى العوالم العليا أمر غير ممكن، و ممتنع ذاتا و بالتالى أنه أمر محال.

فاننا نقول- حينئذ- فى الجواب على ذلك بان الجهود و التحقيقات العلمية التى بذلها علماء الفضاء فى الشـرق و الغرب قد جعلت هذا الأمر- و لحسن الحظ- أمرا ممكنا، و عاديا، لأن مع اطلاق أوّل قمر اصطناعى عام (۱۹۵۷ م) الى السماء

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۱

و الـذى اسـماه علماء الفضاء ب «اسپوتنيك» اتضـح أنه يمكن إبطال مفعول جاذبية الأرض بواسـطة الصاروخ، كما أن إرسال السـفن الفضائيّـة الحاملة الروّاد الفضاء من البشـر بواسـطة الصاروخ أوضح أنّ ما كان يعدّه البشـر مانعا من الصـعود الى الأعلى فى الفضاء، قد أصبح قابلا لرفعه و إزالته، و التخلّص منه بيد العلم و التكنولوجيا.

(۱) إن البشـر اسـتطاع بأدواته و آلاته العلمية و التكنولوجية أن يعالج مشـكلات عديدة فى مجال ارتياد الفضاء مثل مشـكلة الشـهب و النيازك المتطائرة فى الجوّ و مشـكلة الاشعة الفضائية، و مشكلة انعدام الغاز اللازم للتنفس و .. و .. و ها هو علم ارتياد الفضاء فى حال توسع مستمرّ و ان العلماء أصبحوا الآن يثقون بأنهم سرعان ما يتمكنون من مـدّ بساط الحياة و العيش فى إحدى الكرات السـماوية و السفر إلى إحدى الكواكب كالقمر و المريخ بسهولة كبرى! «۱»

إنّ هـذه الأحـداث العلميـة و هـذا التقـدّم التكنولوجى فى مجال ارتياد الفضاء شاهد قوىّ على أنّ هذا العمل أمر ممكن مائة بالمائة، و ليس من الامور المستحيلة.

و اذا كـان مقصود المعترضـين على المعراج هو انه لا- يمكن القيام بمثل هـذه الرحلـة من دون أجهزة علميّـة و تكنولوجيـة، و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يملك فى تلك الليلة مثل هذه الأجهزة فكيف طوى تلك المسافات و طاف

---

(۱) بعـد اطلاـق الاقمار و السـفن الاصـطناعية لأوّل مرة يوم الأربعاء ابريل عام ۱۹۶۱ بدأ الضابط الروسـى (۲۷ سـنة) جاجارين رحلته الفضائيـة فى سـفينة فضائيـة، و كان أوّل إنسان أقدم على هذه الرحلة الفضائية، و ابتعدت سـفينته ۳۰۲ كيلو مترا عن سـطح الأرض، و دارت دورة واحدة حول الكرة الارضية فى ساعة و نصف.

و بعـد ذلـك أقـدمت أمريكـا و الاتحـاد السوفيتى على ارسال السـفن الفضائيـة إلى الفضاء فى محاولـة لغزو القمر حتى حطّت «أپولو» الحاملة ل ۱۱ رائدا فضائيا على سطح القمر لأوّل مرّة، و كان هذا أوّل مرة يحط فيها انسان قدمه على ارض القمر.

و قد تكررت تجربة هذا البرمانج الفضائى فيما بعد مرات و مرات، و كانت ناجحة على الاغلب.

و كـل هـذه الجهود و النتائـج تكشف عن أن هبوط الانسـان على سـطح الكرات و الكواكب أمر ممكن، و ما يسـتطيع البشـر فعله عن طريق العلم يقدر اللّه خالق البشر على فعله بارادته النافذة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۲

على جميع تلك العوالم من دون أدنى وسيلة نقل من هذا القبيل؟!

(۱) فاننا نقول فى معرض الاجابة على اعتراضـهم هذا بأن جواب هذا الاعتراض يتضح من الابحاث التى سبقت منا حول معاجز الأنبياء و خصوصا بحثنا المفصّل حول حادثة عام الفيل و هلاك جيش أبرهة العظيم بالأحجار الصـغيرة، لأنه من المسـلّم أنّ ما يسـتطيع البشر فعله عن طريق الأدوات و الآلات العلمية الصناعية يستطيع الأنبياء فعله بعناية اللّه تعالى، و إقداره و بدون الأسباب الظاهرية و الخارجية.

لقد عرج رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله الى السماء بعناية و باقدار اللّه الذى خلق الوجود كله، و أقام هذا النظام البديع برمته، فهو

الذی أعطی للأرض جاذبیتها، و أعطی للشمس أشعتها و أوجد مختلف طبقات الهواء، و أنواع الغازات فی الجوّ، و متی أراد أخذها و انتزاعها منها، أو کبح جماحها، و ردّ عادیتها.

(۲) فاذا تحقق معراج النبیّ الاکرم محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی ظلّ العنایة الإلهیّة فانّ من المسلّم ان جمیع النوامیس تخضع أمام قدرته القاهرة، و ارادته الغالبة، و هی طوع إرادته، و السماوات و الأرض مطویّات بیمینه و الجمیع فی قبضته و رهن اشارته دائما و أبدا، و فی کل حین و أوان.

و علی هذا فما ذا یمنع من أن یعمل اللّه الذی منح للأرض جاذبیتها، و للأجرام السماویة أشعتها، علی إخراج عبده المصطفی بقدرته المطلقة و من دون الاسباب الظاهریة، من مرکز الجاذبیة الأرضیّة، و یصونه من أخطار الاشعة الکونیة، و أن یعمد خالق کل هذا القدر الهائل من الاوکسیجین إلی إیجاد الهواء اللازم لنبیّه فی الطبقات التی ینعدم فیها الهواء، و هذا هو معنی قولهم: «إنّ اللّه مسبّب الأسباب و معطّل الأسباب».

ان أمر المعجزة یختلف و یفترق أساسا عن أمر العلل الطبیعیة و القدرة البشریة.

(۳) و نحن یجب أن لا نقیس قدرة اللّه المطلقة بقدرتنا المحدودة، فاذا کنّا لا نقدر

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۳

علی شیء من دون الأسباب لم یصح أن نقول: ان القادر المطلق لا یقدر علی مثله من دون الاسباب الطبیعیة أیضا.

إنّ إحیاء الموتی، و قلب العصا إلی ثعبان، و إبقاء یونس حیّا فی بطن الحوت، فی قعر البحار، مما صدّقته جمیع الکتب السماویة و نقلته إلینا لا تقلّ إشکالا و لا تختلف جوابا عن قصة المعراج النبوی.

و خلاصة القول: ان جمیع العلل الطبیعیة و الموانع الخارجیة مسخّرة للّه تعالی خاضعة لارادته، مطیعة لأمره و ارادته یمکن تعلّقها بکلّ شیء إلّا بالأمر المحال، و أما غیر ذلک أی ما یکون ممکنا بالذات مهما کان، فانّه قابل لأن یتحقق فی طل ارادة اللّه و مشیئته سواء یقدر البشر علیه أم لا یقدر.

علی أن حدیثنا هذا موجّه الی من آمن باللّه، و عرف ربّه بصفاته الخاصة به تعالی، و بالتالی آمن باللّه الأزلیّ علی أنّه القادر علی کلّ شیء.

(۱)

الهدف من المعراج:

لقد بیّنت الأحادیث- بعد الآیات- الغرض من المعراج و إلیک طائفة من هذه الأحادیث.

۱- یقول ثابت بن دینار سألت الإمام زین العابدین علی بن الحسین علیه السلام عن اللّه جلّ جلاله هل یوصف بمکان فقال: «تعالی اللّه عن ذلک».

قلت: فلم أسری بنبیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله إلی السماء؟

قال: «لیریه ملکوت السماوات و ما فیها من عجائب صنعه و بدائع خلقه».

۲- و قال یونس بن عبد الرحمن قلت لأبی الحسن موسی بن جعفر علیه السلام لأیّ علة عرج اللّه بنبیّه إلی السماء و منها إلی «سدرة المنتهی»، و منها إلی «حجب النور» و خاطبه و ناجاه هناک و اللّه لا یوصف بمکان؟ «۱».

فقال علیه السلام: «إنّ اللّه لا یوصف بمکان و لا یجری علیه زمان، و لکنّه

---

(۱) علل الشرائع: ص ۵۵، البحار: ج ۱۸ ص ۳۴۷ و ۳۴۸، تفسیر البرهان: ج ۲ ص ۴۰۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۴

عز و جل أراد ان یشرّف به ملائکته، و سکان سماواته، و یکرّمهم بمشاهدته، و یریه من عجائب عظمته ما یخبر به بعد هبوطه، و لیس ذلک علی ما یقوله المشبّهون سبحان اللّه تعالی عمّا یصفون» «۱».

أجل یجب أن یکون لرسول الاسلام و خاتم الأنبیاء مثل هذا المقام العظیم و مثل هذه المنزلة السامقة، لیقول للبشریة العائشة فی القرن العشرین، و التی أصبحت تفکر فی الهبوط علی «المریخ» و «الزهرة» و غیرها من الانجم البعیدة:

باننی قد فعلت هذا من دون أیة وسیلة، و انّ ربّی قد منّ علیّ و عرّفنی علی نظام السماوات و الأرض، و أطلعنی بقدرته و بعنایته علی أسرار الوجود، و رموز الکون.

---

(۱) علل الشرائع: ص ۵۵، البحار: ج ۱۸ ص ۳۴۷ و ۳۴۸، تفسیر البرهان: ج ۲ ص ۴۰۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۵

(۱)

۲۳ سفرة إلی الطائف

اشارة

انقضت السنة العاشرة بکل حوادثها الحلوة و المرة، فان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقد فی هذا العام حامییه الکبیرین المتفانیین فی سبیله، ففی البدایة فقد کبیر بنی عبد المطلب و سیدهم، و المدافع الوحید عن حوزة الرسالة الاسلامیة، و الذابّ بالاخلاص عن حیاض الشریعة المحمّدیة، و الشخصیة الاولی فی قریش اعنی «أبا طالب» علیه السلام.

و لم تنمح آثار هذه المصیبة المرّة عن خاطر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد إلّا و فاجأته مصیبة وفاة زوجته الوفیة العزیزة، السیدة خدیجة الکبری التی جددت برحیلها عنه أحزان النبیّ و آلامه الروحیة «۱».

لقد حامی أبو طالب و دافع عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و حافظ علی حیاته و سلامته و مکانته، و بینما ساعدت خدیجة بثروتها الطائلة فی نشر الاسلام و قدمت فی هذا السبیل خدمات عظیمة لا تنسی.

من هنا سمی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تلک السنة بعام الحداد، او

---

(۱) جاء فی تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۰۱ انه قیل بأن «خدیجة» توفیت بعد «أبی طالب» بشهر و خمسة أیام، بینما ذهب آخرون مثل ابن الأثیر فی الکامل ج ۲ ص ۶۳ الی أن السیدة خدیجة توفیت قبل أبی طالب، لا بعده.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۶

الحزن «۱».

و منذ أن توفّی اللّه هذین الحامیین العظیمین و المدافعین القویین عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله واجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ظروفا صعبة جدا قلما واجهها من قبل.

(۱) فقد واجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله منذ حلول السنة الحادیة عشر جوّا مفعما بالعداء له، و الحقد علیه، و صارت الاخطار تهدد حیاته الشریفة فی کل لحظة، و قد فقد کل الفرص لتبلیغ الرسالة و کل امکانات الدعوة الی دینه.

یقول ابن هشام فی هذا الصدد: ان «خدیجة بنت خویلد» و «أبا طالب» هلکا (ای توفیا) فی عام واحد فتتابعت علی رسول اللّه صلّی اللّه

علیه و آله المصائب بهلک خدیجة و کانت له وزیرة صدق علی الاسلام ... و بهلک عمّه أبی طالب و کان له عضدا، و حرزا فی أمره، و منعة و ناصرا علی قومه و ذلک قبل هجرته إلی المدینة بثلاث سنین، فلما هلک أبو طالب نالت قریش من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من الأذی ما لم تکن تطمع به فی حیاة أبی طالب حتی اعترضه سفیه من سفهاء قریش فنثر علی رأسه ترابا.

و لما نثر ذلک السفیه علی رأس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذلک التراب دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیته و التراب علی رأسه، فقامت إلیه إحدی بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هی تبکی و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لها:

«لا تبکی یا بنیّة فإنّ اللّه مانع أباک».

و یقول بین ذلک:

«ما نالت منی قریش شیئا أکرهه حتّی مات أبو طالب» «۲».

(۲) و لأجل تزاید الضغط و الکبت هذا قرر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن ینتقل

---

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۰۱، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۴۷.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۱۵ و ۴۱۶، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۵ عن إعلام الوری عن محمّد بن اسحاق بن یسار.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۷

من المحیط المکی إلی محیط آخر یتسنی له تبلیغ رسالته.

و حیث انّ الطائف کانت تعتبر آنذاک مرکزا هامّا، لذلک رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یسافر لوحده الی الطائف، و یجری بعض الاتصالات مع زعماء قبیلة ثقیف و ساداتها و یعرض دینه علیهم علّه یحرز نجاحا و یکسب انصارا جددا لرسالته من هذا الطریق.

و لما انتهی صلّی اللّه علیه و آله الی الطائف عمد الی نفر من قبیلة «ثقیف» هم یومئذ سادة ثقیف و اشرافهم، و جلس صلّی اللّه علیه و آله إلیهم، و دعاهم إلی اللّه، فلم یؤثر فیهم کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا له: لئن کنت رسولا من اللّه کما تقول لأنت أعظم خطرا من أردّ علیک الکلام، و لئن کنت تکذب علی اللّه ما ینبغی لی ان اکلمک!!

(۱) فعرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ردّهم الصبیانی أنهم یحاولون التملّص من قبول الدعوة و اعتناق الاسلام، فقام صلّی اللّه علیه و آله من عندهم بعد ان طلب منهم أن یکتموا ما جری فی هذا اللقاء خشیة أن یعرف سفهاء ثقیف فیتجرءوا علیه و یتخذوا ذلک ذریعة لاستغلال غربته و وحدته، و من ثم إیذائه، فوعدوه بالکتمان، و لکنهم- و للاسف- لم یحترموا وعدهم هذا الذی أعطوه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أغروا به سفهاءهم و عبیدهم، و فجأة وجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه محاطا بجمع کبیر من اولئک السفهاء یسبّونه و یصیحون به حتی اجتمع الناس، و ألجئوه إلی بستان لعتبة و شیبة ابنی ربیعة و هما فیه فی تلک الساعة، و رجع عنه من سفهاء ثقیف من کان یتبعه، فعمد إلی ظل فجلس فیه و هو یتصبب عرقا، و قد الحقوا الاذی بمواضع عدیدة من بدنه الشریف و رجلاه تسیلان من الدماء، و ابنا ربیعة ینظران إلیه، و یریان ما لقی من سفهاء أهل الطائف، و قد کانا من أثریاء قریش، یومئذ.

(۲) فلما اطمأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله توجه الی ربه و ناجاه قائلا:

«اللّهمّ إلیک أشکو ضعف قوّتی، و قلّة حیلتی، و هوانی علی النّاس، یا أرحم الرّاحمین، أنت ربّ المستضعفین، و أنت ربّی، إلی من تکلنی، إلی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۸

بعید یتجهّمنی؟ أم إلی عدوّ ملکته امری؟

إن لم یکن بک علیّ غضب فلا ابالی، و لکن عافیتک هی أوسع لی.

أعوذ بنور وجهک الّذی اشرقت له الظّلمات، و صلح علیه أمر الدّنیا و الآخرة من أن ینزل بی غضبک، أو یحلّ علیّ سخطک.

لک العتبی حتّی ترضی، و لا حول و لا قوّة إلّا بک» «۱».

هذه الکلمات و هذا الدعاء هی استغاثة شخصیة عاش خمسین سنة عزیزا مکرما فی ظلّ حمایة من دافعوا عنه بصدق و اخلاص و دفعوا عنه کل اذی و لکنه الآن یضیق علیه رحب الحیاة حتی یلجأ الی حائط عدوّ من اعدائه، و یجلس فی ظل شجرة، مکروبا موجعا ینتظر مصیره.

(۱) فلما رآه ابنا ربیعة «عتبة و شیبة» و کانا من الوثنیین و من أعداء الاسلام، و شاهدوا ما لقی من الأذی و العذاب، رقّا له فدعوا غلاما لهما نصرانیا من اهل نینوی یقال له «عداس» فقالا له: خذ قطفا من العنب فضعه فی هذا الطبق ثم اذهب به الی هذا الرجل فقل له یأکل منه، ففعل عداس، ثم أقبل بالعنب حتی وضعه بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم قال له: کل، فلما وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیه یده قال: «بسم اللّه الرحمن الرحیم».

فتعجب عداس من ذلک بشدة و قال: و اللّه إنّ هذا الکلام ما یقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من أهل أی البلاد أنت و ما دینک؟

قال: أنا نصرانی، من أهل نینوی.

قال صلّی اللّه علیه و آله: من مدینة الرجل الصالح یونس بن متی.

فقال له عداس: و ما یدریک ما (من) یونس بن متی؟

فقال صلّی اللّه علیه و آله «۲»: ذاک أخی کان نبیا و أنا نبیّ، أنا رسول اللّه،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۰.

(۲) و فی روایة البحار ج ۱۹ ص ۶ جملة اعتراضیة هنا:- و کان لا یحقر أحدا أن یبلغه رسالة ربه-.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۹

و اللّه تعالی أخبرنی خبر یونس بن متی.

(۱) فأکبّ عداس علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد رأی فی کلماته علائم الصدق و آیات الحق، و جعل یقبّل رأسه و یدیه، و قدمیه، و هما تسیلان من الدماء، و آمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه صلّی اللّه علیه و آله إلی صاحبیه فی البستان.

فتعجب ابنا ربیعة لما رأیاه فی غلامهما عداس من الانقلاب الروحی العجیب، و سألاه قائلین: ویلک یا عداس مالک قبّلت رأس هذا الرجل، و یدیه و قدمیه و ما ذا قال لک؟!

فاجابهما الغلام قائلا: یا سیدیّ ما فی الارض شیء خیر من هذا، هذا رجل صالح لقد أخبرنی بأمر ما یعلمه إلّا نبیّ.

فشقّ کلام عداس علی ابنی ربیعة، و قالا له بنبرة الناصح له: ویحک یا عداس، لا یصرفنّک هذا الرجل عن دینک، فان دینک خیر من دینه!! «۱»

(۲)

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی مکة:

انتهت ملاحقة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بلجوئه الی حائط ابنی ربیعة، و کان علیه الآن، و بعد أن یئس من خیر ثقیف ان یعود إلی مکة، و لکنّ عودته إلی مکة لم تکن لتخلو عن مشاکل، لأنه قد فقد نصیره و حامیه و مدافعه الاکبر و الاوحد فکان من المحتمل جدا أن یقبض علیه المشرکون و یسفکوا دمه.

فقرر صلّى اللّه عليه و آله ان يبقى فى منطقة «نخلة» (و هى واد بين الطائف و مكة) بعض الوقت.

لقد كان يريد أن يرسل أحدا إلى شخصية من شخصيات قريش يطلب منها ان تجيره حتى يدخل مكة بجوار، و لكنه صلّى اللّه عليه و آله لم يجد من يقوم له بهذه المهمة. فترك «نخلة» إلى حراء، و هناك التقى رجلا خزاعيا و طلب منه أن

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۱۹- ۴۲۱، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶ و ۷ و ۲۲ مع اختلاف يسير.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۰

يأتى «المطعم بن عدى» بمكة، و كان من الشخصيات المكية البارزة و يسأله أن يجير رسول اللّه ليدخل مكة فى أمان من اذى قريش و كيدها.

(۱) فدخل الخزاعىّ مكة، و أبلغ المطعم ما طلبه منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقبل المطعم- رغم كونه و ثنيا مشركا- ان يجير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال للخزاعى: ائته فقل له: إنى قد أجرتك فتعال.

فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مكة ليلا و نزل فى بيت مطعم مباشرة، و بات ليلته هناك، و لما طلعت الشمس من صبيحة غد قال مطعم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لتعلمنّ قريش بانك فى جوارنا، فاصحبنا إلى البيت، ليروا جوارنا.

فاستحسن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رأيه فاخذ المطعم و أهل بيته السلاح و دخلوا مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد الحرام، و كان ورودهم فى المسجد بهيئة رائعة.

(۲) و كان أبو سفيان قد كمن للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليكيد به، فلما رأى هذا المشهد المهيب غضب غضبا شديدا، و انصرف عن ايذاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فجلس المطعم و ولده و أخته و اخوه، و طاف رسول اللّه بالبيت و صلى عنده ثم انصرف إلى منزله. «۱»

و لم يمض على هذه الحادثة زمان طويل حتى هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۸۱، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۷ و ۸. و يستبعد بعض المحققين ان يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد طلب الجوار من مشرك أو دخل فى جوار مشرك، على غرار عدم قبوله الهدية من المشرك و ذكر لذلك ادلة و وجوها.

و لكن يمكن الاجابة على هذا بأن الاجارة كانت امرا عاديا فى ذلك العصر، و لم يكن فيها ما يوجب شينا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم تستلزم منه عليه.

ثم ما المانع فى مثل هذا الجوار لو ترتبت عليه مصالح عليا، كتمكين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الدخول بسلام الى مكة، و تمكّنه من القيام بمهامّه الرسالية، خاصة ان هذا الجوار لم يستغرق إلّا يوما أو بعض يوم و تسنّى بعده لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ترتيب اوضاعه فى مواجهة الاخطار التى كانت تتهدده من جانب المشركين بمكة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۱

و آله من مكة إلى المدينة، و توفى المطعم فى أوائل الهجرة فى مكة، و لما بلغ رسول اللّه نبأ موته تذكّر صلّى اللّه عليه و آله إحسانه و جواره، و أنشأ حسّان بن ثابت شاعر الاسلام شعرا يمدحه فيه تقديرا لخدمته.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتذكره كثيرا، حتى انه تذكره فى واقعة «بدر» التى انهزمت فيها قريش و عادت منكسرة الى مكة بعد أن خسرت كثيرا من رجالها و اسر منها عدد كبير، فتذكر مطعم بن عدى ثمة و قال صلّى اللّه عليه و آله:

«لو كان مطعم بن عدىّ حيا لوهبت له هؤلاء» «۱».

(۱)

نقطة هامة:

إنّ سفر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الی الطائف یکشف عن اصراره فی اداء رسالته و استقامته و صبره صلّی اللّه علیه و آله کما ان تذکّره لإحسان مطعم فی المواقع المناسبة یقودنا إلی خصاله الحمیدة و سجایاه. الفاضلة، و خلقه العظیم.

و لکن الاهمّ من هذا و ذاک هو أننا نستطیع من خلال هذا تقییم خدمات أبی طالب القیامة، و معرفة اهمیتها الکبری عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بمقایستها مع ما فعله مطعم.

فان مطعم لم یفعل شیئا إلّا أن اجار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حماه یوما او بعض یوم.

بینما حدب أبو طالب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دافع عنه و خدمه عمرا کاملا، و لقی فی سبیله من المحن و المتاعب ما لم یلق مطعم منها و لا شیئا ضئیلا.

(۲) فاذا کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعلن عن استعداده للافراج عن جمیع الاسری فی «بدر» تقدیرا لما قام به مطعم من اجارة بسیطة قصیرة، فما ذا

---

(۱) المغازی للواقدی: ج ۱ ص ۱۱۰ ثم قال الواقدی: و کانت لمطعم بن عدی عند النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اجارة حین رجع من الطائف، طبقات ابن سعد: ج ۱ ص ۲۱۰ و ۲۱۲، البدایة و النهایة: ج ۳ ص ۱۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۲

عساه أن یقوم به تجاه ما اسداه إلیه عمّه و حامیه و کافله الاکبر و الأوحد أبو طالب من خدمات طوال اکثر من اربعین عاما. أنه یجب ان یکون لمثل هذا الشخص العظیم الذی کفل صاحب الرسالة و قام بشئونه مدّة أربعین عاما بایامها و لیالیها و دافع عنه فی السنوات العشر الاخیرة و هی جلّ عمر الرسالة الاسلامیة فی الفترة المکیة إلی درجة ان عرّض راحته و سلامته بل حیاته و حیاة أبنائه لخطر الموت دفاعا عن حیاض الرسالة، و حمایة لصرح النبوة، مقاما عظیما و منزلة کبری عند قائد البشریة، و معلم الانسانیة، و هادیها العظیم.

کیف لا؛ و الفرق بین هذین الشخصین کبیر، و البون شاسع، فمطعم رجل وثنی مشرک، بینما یعتبر أبو طالب واحدا من کبار الشخصیات الاسلامیة العظیمة بلا جدال.

(۱)

الدعوة فی أسواق العرب:

کانت العرب تجتمع- فی مواسم الحج- فی نقاط مختلفة مثل: «عکاظ» و «المجنة» و «ذی المجاز»، و کان الشعراء و الخطباء العرب البارعون یقفون فی هذه المناطق علی أماکن مرتفعة و یلهون فریقا من الناس بما یلقونه علیهم من خطب و قصائد تدور فی الأغلب حول الحرب و القتال، و التفاخر، و العشق.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شأن کل الأنبیاء و المرسلین الذین سبقوه یستغلّ هذه الفرصة- کغیرها- لا بلاغ رسالة ربه الی الناس، و لم یکن لاحد منعه او الکید به لحرمة القتال و الجدال فی الاشهر الحرم.

من هنا کان صلّی اللّه علیه و آله اذا حلّ الموسم وقف علی مکان مرتفع و خاطب الناس قائلا:

«قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا و تملکوا بها العرب و تذلّ لکم العجم، و إذا آمنتم کنتم ملوکا فی الجنّة» «۱».

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۳

(۱)

دعوة رؤساء القبائل فی مواسم الحج:

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلتقی فی مواسم الحج فی هذه النقاط برؤساء القبائل العربیة و اشرافها، و یقف علی منازلهم منزلا منزلا، و یعرض دینه علیهم، و یدعوهم إلی اللّه و یخبرهم أنه نبیّ مرسل «۱».

و ربما مشی خلفه عمّه «أبو لهب» فاذا فرغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من قوله و ما دعا به قال أبو لهب فورا للناس: یا بنی فلان إن هذا إنما یدعوکم أن تسلخوا اللات و العزی من أعناقکم، إلی ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطیعوه و لا تسمعوا منه.

(۲) و قد قدمت جماعة من بنی عامر إلی مکّة فدعاهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی الاسلام، و عرض علیهم نفسه، فقبلوا أن یعتنقوا الاسلام إلّا أنهم اشترطوا علیه أن یکون إلیهم خلافته من بعده إذ قالوا: أ رأیت إن نحن تابعناک علی أمرک ثم أظهرک اللّه علی من خالفک أ یکون لنا الأمر من بعدک؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء».

فرفضوا اعتناق الاسلام و الإیمان باللّه و رسوله.

ثم لما عادوا إلی أوطانهم رجعوا إلی شیخ لهم طاعن فی السنّ لم یقدر أن یحجّ معهم و کان ذا بصیرة و فهم فحدّثوه بما جری بینهم و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا: جاءنا فتی من قریش من بنی عبد المطلب یزعم أنه نبی یدعونا إلی ان نمنعه «۲» و نقوم معه.

فوضع الشیخ یدیه علی رأسه و وبّخهم علی رفضهم لدعوة الرسول و قال:

---

(۱) قال ابن هشام: کان صلّی اللّه علیه و آله لا یسمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شرف إلّا تصدّی له فدعاه الی اللّه و عرض علیه ما عنده.

(۲) أی نحمیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۴

یا بنی عامر و الذی نفس فلان بیده ما تقوّلها اسماعیلی قط «۱»، و إنّها لحق، فاین رأیکم کان عنکم؟! «۲»

ان هذه القضیة التاریخیة تفید- فی ما تفید- بان مسألة الخلافة و الامامة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر تنصیصی، تعیینی، لا انتخابی، أی ان تعیین الخلیفة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی اللّه تعالی، و لا خیار للناس فیه، و انما علیهم الطاعة و الرضا.

---

(۱) أی ما ادعی النبوة کاذبا احد من بنی اسماعیل.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۴ و ۴۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۵

(۱)

۲۴ بیعة العقبة

اشارة

کان (وادی القری) فی ما مضی من الزمن طریق التجارة من الیمن الی الشام، فکانت القوافل التجاریة القادمة من الیمن تدخل ودیا طویلا- یدعی بوادی القری بعد العبور بالقرب من مکة، و کانت المناطق الواقعة علی طول هذا الوادی مناطق خضراء، و من هذه المناطق مدینة قدیمة کانت تدعی ب: یثرب و التی عرفت فیما بعد بمدینة الرسول.

و قد سکن فی هذه المدینة منذ اوائل القرن الرابع المیلادی قبیلتا: «الاوس و الخزرج» اللتان کانتا من مهاجری عرب الیمن (من القحطانیین).

(۲) و کان یعیش الی جانبهم الطوائف الیهودیة الثلاث المعروفة: «بنو قریظة» و «بنو النضیر» و «و بنو قینقاع» الذین کانوا قد هاجروا إلیها من شمال شبه الجزیرة العربیة و استوطنوها.

و کان یقدم الی مکة کل عام جماعة من عرب یثرب للاشتراک فی مراسیم الحج، و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یلتقی بهم فی تلک المواسم، و یجری معهم اتصالات.

و قد مهدت بعض هذه اللقاءات للهجرة، و صارت سببا لتمرکز قوی الاسلام المتفرقة، فی تلک النقطة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۶

(۱) علی ان کثیرا من تلک الاتصالات و ان لم تثمر و لم تنطو علی أیة فائدة فعلیة إلّا أنها تسببت فی أن یحمل حجاج یثرب- لدی عودتهم- انباء ظهور النبیّ الجدید و ینشروه فی اوساط المدینة کأهم نبأ من انباء الساعة، و یلفتوا نظر الناس فی تلک الدیار الی مثل هذا الأمر المهم و الخطیر.

و لهذا نقلنا هنا بعض اللقاءات و الاتصالات التی تمت بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جماعات من اهل هذه المدینة فی السنة الحادیة عشرة و الثانیة عشرة و الثالثة عشرة من البعثة لتتضح بدراسة هذه المطالب علة هجرة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی یثرب، و تمرکز قوی المسلمین فی تلک المنطقة.

(۲) ۱- کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلما سمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شرف تصدی له، و دعاه الی الاسلام و عرض علیه ما عنده.

و قد قدم مرة «سوید بن الصامت» فتصدی له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین سمع به فدعاه الی اللّه و الی الاسلام فقال له سوید: فلعلّ الذی معک مثل الذی معی.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و ما الذی معک.

قال: مجلة لقمان یعنی حکمة لقمان-.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اعرضها علی فعرضها علیه. فقال له: إن هذا الکلام حسن، و الذی معی أفضل من هذا. قرآن انزله اللّه علیّ هو هدی و نور.

ثم تلا علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله القرآن و دعاه الی الاسلام، فقال سوید إنّ هذا قول حسن و آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقدم المدینة علی قومه، فلم یلبث أن قتلته الخزرج فیما کان یتلفظ الشهادتین، و کان قتله قبل یوم بعاث «۱» «۲».

---

(۱) بعاث موضع کانت فیه حرب بین الاوس و الخزرج.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۵- ۴۲۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۷

(۱) ۲- قدم «انس بن رافع» مکّة و معه فتیة من بنی عبد الاشهل فیهم «یاس بن معاذ» أیضا، یلتمسون الحلف و النصرة علی قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأتاهم و جلس إلیهم و قال لهم: هل لکم فی خیر مما جئتم له؟

فقالوا له: و ما ذاک؟

قال: «أنا رسول اللّه بعثنی إلی العباد أدعوهم الی أن یعبدوا اللّه و لا یشرکوا به شیئا و أنزل علیّ الکتاب» ثم ذکر لهم الاسلام، و تلا علیهم القرآن.

فقال إیاس بن معاذ و کان غلاما حدثا شهما: أی قوم هذا و اللّه خیر مما جئتم له.

فقد أدرک جیّدا أن دین التوحید یکفل کلّ حاجاتهم فهو دین شامل مبارک لأنه سیصهر الجمیع فی بوتقة الاخوّة الواحدة فتزول عندئذ أسباب العداء و القتال، و بذلک ینهی کل مظاهر الحرب و التنازع، و کلّ مظاهر الفساد و التخریب فهو أفضل من طلب المساعدة العسکریة من قریش التی جاءوا من أجلها الی مکة، فامن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دون ان یکسب رضا رئیس قبیلته «انس بن رافع» و استئذانه، و لهذا غضب أنس و أخذ حفنة من تراب البطحاء و ضرب بها وجه إیاس و قال: دعنا منک، فلعمری لقد جئنا لغیر هذا، فصمت ایاس و قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنهم و انصرفوا الی المدینة، و کانت وقعة بعاث بین الأوس و الخزرج و لم یلبث ایاس ان هلک، و قد سمعه قوم حضروا عند وفاته یهلّل اللّه تعالی و یکبّره و یحمده و یسبّحه حتی مات، فما کانوا یشکّون أنه قد مات مسلما، و لقد استشعر الاسلام فی ذلک المجلس حین سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما سمع «۱».

(۲)

وقعة بعاث:

اشارة

کانت وقعة بعاث من الحروب التاریخیة بین الأوس و الخزرج، ففی هذه

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۷ و ۴۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۸

الوقعة انتصر الأوسیون علی منافسیهم، و أحرقوا نخیل الخزرجیین، ثم وقعت بعد ذلک حروب و مصالحات بینهم.

و لم یشترک «عبد اللّه بن ابیّ» و هو من أشراف الخزرج فی هذه الوقعة من هنا کان موضع احترام من القبیلتین، و کاد الطرفان یفقدان مقاومتهما بسبب تکرر الحروب، و تحمّل الخسائر الثقیلة، و لهذا رغب الطرفان فی عقد صلح بینهما یضع حدّا لجمیع أشکال العملیات العسکریة، و الغزو و الاقتتال، و الثأر و الانتقام، و أصرّت القبیلتان علی «عبد اللّه بن ابی» بان یقبل بقیادة عملیّة المصالحة هذه، بل و أعدوا له تاجا یتوّجونه به، حتی یصبح أمیرا فی وقت معیّن، و لکن هذا المشروع تعرض للانهیار و السقوط و واجهت الفشل علی أثر اعتناق جماعة من الخزرج الاسلام، ففی هذا الوقت بالذات التقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکة بستة اشخاص من رجال الخزرج و دعاهم الی الاسلام فآمنوا به، و لبّوا دعوته.

(۱)

تفصیل الحادث:

خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الموسم الذی لقیه فیه النفر من الأنصار فعرض نفسه علی قبائل العرب کما کان یصنع فی کلّ موسم فبینما هو عند العقبة لقی رهطا من الانصار و کانوا ستة انفار من الخزرج فقال لهم: أمن موالی الیهود؟ و هل لکم حلف معهم.

قالوا: نعم.

قال: أ فلا تجلسون أکلّمکم؟

قالوا: بلی.

فجلسوا معه، فدعاهم إلی اللّه عزّ و جلّ و عرض علیهم الاسلام و تلا علیهم القرآن، فاحدثت کلمات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی نفوسهم أثرا عجیبا، و ممّا ساعد علی ذلک أن یهودا کانوا معهم فی بلادهم، و کانوا أهل کتاب و علم، و کانوا هم أهل شرک و أصحاب أوثان، و کان الیهود قد غزوهم فی بلادهم،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۹

فکانوا إذا وقع بینهم نزاع و کان بینهم شیء قال الیهود لهم: إن نبیا مبعوث الآن، قد اظلّ (او أطلّ) زمانه نتبعه فنقتلکم معه قتل عاد و إرم، فکانت الیهود تخبر بخروج نبیّ من العرب ینشر التوحید، و تنتهی علی یدیه حکومة الوثنیة و الشرک، قد قرب ظهوره.

(۱) فلما کلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اولئک النفر، و دعاهم إلی اللّه، قال بعضهم لبعض یا قوم: تعلّموا و اللّه إنه للنبیّ الذی توعّدکم به یهود فلا تسبقنکم إلیه.

فاجابوه فیما دعاهم إلیه، بان صدّقوه و قبلوا منه ما عرض علیهم من الاسلام، و قالوا: إنا قد ترکنا قومنا، و لا قوم بینهم من العداوة و الشر مثل ما بینهم، فعسی أن یجمعهم اللّه بک، فستقدم علیهم فندعوهم الی أمرک، و نعرض علیهم الذی أجبناک إلیه من هذا الدین، فإن یجمعهم اللّه علیه فلا رجل اعز منک «۱».

(۲)

بیعة العقبة الاولی:

لقد أثّرت دعوة هؤلاء الستة، الجادة فی یثرب تأثیرا حسنا حیث سبّبت فی إسلام فریق من اهل یترب و اعتناقهم عقیدة التوحید.

فلما کان العام المقبل (أی السنة الثانیة عشرة من البعثة) قدم مکة اثنا عشر رجلا من اهل یثرب، فلقوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالعقبة، و انعقدت هناک أوّل بیعة اسلامیة.

و ابرز هؤلاء الرجال هم: أسعد بن زرارة، و عبادة بن الصامت، و کان نص هذه البیعة- بعد الاعتراف- بالاسلام و الایمان باللّه و رسوله هو:

بایعنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أن لا نشرک باللّه شیئا، و لا نسرق، و لا نزنی، و لا نقتل أولادنا، و لا نأتی ببهتان نفتریه من بین أیدینا و أرجلنا و لا نعصیه فی معروف.

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۸۶، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۷ و ۴۲۸، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۰

(۱) فقال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إن وفیتم فلکم الجنة، و ان غشّیتم من ذلک شیئا فامرکم إلی اللّه عزّ و جل إن شاء

عذّب، و ان شاء غفر.

و هذه البيعة اصطلح على تسميتها المؤرخون و كتّاب السيرة ببيعة النساء، لأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله اخذ البيعة من النساء فى فتح مكة على هذا النحو «۱».

و عاد هؤلاء النفر الى يثرب بقلوب مفعمة بالايمان، مترعة بمحبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعمدوا الى نشر الاسلام، و كتبوا الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يبعث لهم من يعلّمهم الاسلام و القرآن، فبعث النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لهم «مصعب بن عمير» و أمره بان يقرّ أهم القرآن، و يعلمهم الاسلام، و يفقّههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

و استطاع هذا المبلّغ القدير، و هذا الداعية النشيط ان يجمع المسلمين بفضل عمله الدؤوب و الحكيم، و تبليغه الصحيح فى غياب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يؤمّهم، و يصلى بهم «۲».

(۲)

بيعة العقبة الثانية:

لقد أحدث تقدم الاسلام فى يثرب هيجانا كبيرا و شوقا عجيبا فى نفوس المسلمين من أهلها، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر حلول موسم الحجّ، ليقدموا مكة، و يلتقوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن كثب، و يظهروا له عن استعدادهم لتقديم ما يطلب منهم من خدمة و عمل، و ليستطيعوا توسيع نطاق البيعة من حيث الكمّ و من حيث الكيف.

و أخيرا حلّ موسم الحجّ فخرجت قافلة كبيرة من أهل يثرب للحجّ تضمّ خمسمائة نفرا فيهم ثلاث و سبعون من المسلمين من بينهم امرأتان، و الباقى إما راغبون فى الاسلام، و اما غير مكترث به، حتى قدموا مكّة، و التقوا برسول اللّه

---

(۱) و التى جاء ذكرها فى الآية ۱۲ من سورة الممتحنة.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳۴، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۱

صلّى اللّه عليه و آله فواعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالعقبة للبيعة اذا قال: «موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى من ليالى التشريق».

(۱) فلما كانت الليلة الثالثة عشرة من شهر ذى الحجة و هى التى واعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها باللقاء، و نام الناس حضر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع عمّه «العباس بن عبد المطلب» قبل الجميع، و خرج المسلمون من رحالهم يتسلّلون تسلل القطا مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم فى رحالهم، و مضى ثلث الليل لكيلا يحسّوا بخروجهم، حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة، و لما استقرّ المجلس بالجميع، كان أوّل متكلم هو: العباس بن عبد المطلب فقال واصفا منزلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا معشر الخزرج- و كانت العرب تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها و أوسها- إنّ محمّدا منّا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، فهو فى عزّ من قومه، و منعة فى بلده، و إنّه قد أبى إلا الانحياز إليكم، و اللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممّن خالفه فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فانه فى عزّ و منعة من قومه و بلده.

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول اللّه، فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتلا القرآن و دعا إلى اللّه و رغّب فى الاسلام، ثم قال: ابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.

(۲) فقام البراء بن معرور و أخذ بيد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و قال: نعم و الذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنّك مما نمنع منه ازرنا «۱» فبايعنا يا رسول اللّه فنحن و اللّه

---

(۱) الملاحظ فى هذه البيعة انها كانت بيعة للدفاع عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و ليس بيعة للجهاد فى سبيل اللّه، و لهذا فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يقدم على القتال فى بدر إلا بعد ان كسب موافقة الانصار و رضاهم.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۲

ابناء الحروب و اهل الحلقة (اى السلاح) ورثناها كابرا عن كابر.

فدب فى الحضور حماس و سرور عظيم و تعالت الاصوات و النداءات من الخزرجيين و التى كانت تعبيرا عن شدة حماسهم، و سرورهم لهذا الأمر، فقال العباس و هو آخذ بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۱) و فى هذا الاثناء نهض «البراء بن معرور» و «أبو الهيثم بن التيهان» و «أسعد بن زرارة» من مواضعهم و بايعوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم بايعه بقية القوم جميعا.

و قد قال ابن التيهان عند مبايعته للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله يا رسول اللّه إن بيننا و بين الرجال (اى اليهود) حبالا (و علاقات) و إنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللّه، أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟

فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم قال: «بل الدم الدم، و الهدم الهدم احارب من حاربتم و اسالم من سالمتم» يعنى أنه سيبقى على العهد، و لا يتركهم و كانت العرب تقول عند عقد الحلف: دمى دمك، و هدمى هدمك، و هى كناية عن البقاء على العهد و احترام الميثاق و الحلف.

(۲) ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: اخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم «۱».

فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا فقال صلّى اللّه عليه و آله لأولئك النقباء: انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومى (يعنى المسلمين) فابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم».

فقالوا: نعم و بايعوه على ذلك.

و كان النقباء الذين اختيروا لذلك تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس و قد ضبطت أسماؤهم و خصوصياتهم فى التاريخ.

---

(۱) المحبر: ص ۲۶۸- ۲۷۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۳

و بعد أن تمّت مراسم البيعة وعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يهاجر إليهم فى الوقت المناسب، ثم ارفض الجمع و عاد القوم إلى رحالهم «۱».

(۱)

أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة:

و الآن ينبغى أن نجيب بالتفصيل على السؤال الذى يطرح نفسه هنا و هو:

ما الذى دعى أهل يثرب الذين كانوا بعيدين عن مركز ظهور الاسلام إلى ان يستجيبوا لنداء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و يأخذوا بتعاليمه اسرع من المكيين مع ما كان بين المكيين و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من القرابة القريبة؟!

و كيف تركت تلك اللقاءات المعدودة القصيرة بأهل يثرب آثارا تفوق الآثار التى تركتها الدعوة المحمّدية خلال ثلاثة عشر عاما فى

مکة؟!

إن علة هذا التقدم یمکن اختصارها و حصرها فی أمرین:

(۲) أوّلا: أن الیثربیّین جاوروا الیهود سنینا عدیدة و طویلة قبل الاسلام، و کثیرا ما کانوا یتحدّثون فی مجالسهم و أندیتهم عن النبیّ العربیّ الذی یظهر، و یأتی بدین جدید.

حتی أن الیهود کانوا یقولون: للوثنیین إنّ هذا النبیّ سیقیم دین الیهود و ینشره، و یمحی الوثنیة و یقضی علیها بالمرة.

فترکت هذه الکلمات أثرا عجیبا فی نفوس أهل یثرب، و هیّأت قلوبهم لقبول الدین الذی کان بخبر عنه یهود و ینتظرونه، بحیث عند ما التقی الانفار الستة من اهل المدینة الی الایمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأوّل مرّة، بادروا الی

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵ و ۲۶، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۴۱- ۴۵۰، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۱- ۲۲۳.

و فی روایة اخری فی البحار: ج ۱۹ ص ۴۷، کما اخذ موسی من بنی إسرائیل اثنی عشر نقیبا و قد کان هذا العمل النبوی حکیما جدا لان عامة الناس لا یمکن التعویل و الاتکال علی التزاماتهم بل لا بد من الاعتماد- ضمنا- علی رموز المجتمع و مفاتیحه و هم وجوه القوم و سراتهم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۴

الایمان به من غیر إبطال و لا تأخیر بعد أن قال بعضهم لبعض: و اللّه إنّه للنبیّ الذی توعّدکم به یهود فلا تسبقنکم إلیه.

(۱) و من هنا فان مما یأخذه القرآن علی الیهود هو: أنکم کنتم تهددون الوثنیین بالنبیّ العربیّ، و تبشرون الناس بانه سیظهر، و انهم قرءوا أوصافه و علائمه فی التوراة، فلما ذا رفضوا الإیمان به لمّا جاء صلّی اللّه علیه و آله.

یقول تعالی:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الْکافِرِینَ» «۱».

(۲) ثانیا: إنّ العامل الأخیر الذی یمکن اعتباره دخیلا فی التأثیر فی نفوس الیثربیین و سرعة إقبالهم علی الإسلام و تقبّلهم لدعوة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو التعب و الارهاق الذی کان اهل یثرب قد اصیبوا به من جرّاء الحروب الطویلة الدامیة فیما بینهم و التی استمرّت مائة و عشرین عاما و التی انهکتهم و کادت أن تذهب بما تبقّی من رمقهم، و جعلتهم یملّون الحیاة، و یفقدون کلّ أمل فی تحسّن الأحوال و الاوضاع.

و إن مطالعة وقعة «بعاث» و هی- حرب وقعت بین الأوس و الخزرج- وحدها کفیلة بأن تجسد لنا الوجه الواقعی الذی کان علیه سکان تلک الدیار.

(۳) ففی هذه الوقعة انهزم الاوسیّون علی ید الخزرجیین، فهربوا الی «نجد»، فعیّرهم الخزرجیّون بذلک، فغضب «الحضیر» سید الأوس، لذلک غضبا شدیدا، فطعن فخذه برمحه لشدة انزعاجه و غضبه، و ترجّل عن فرسه و صاح بقومه قائلا:

و اللّه لا أقوم من مکانی هذا حتی اقتل!! فأوقد صمود «الحضیر» و ثباته نار الحمیة و الغیرة و اشعل روح الشهامة و البسالة فی قومه، فقرروا الدفاع عن حقهم مهما کلفهم الأمر، فقاتلوا أعداءهم مستمیتین، و المستمیت منتصر لا محالة، فانتصر

---

(۱) البقرة: ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۵

الأوسیون المغلوبون، هذه المرة، و هزموا الخزرج هزیمة نکراء و احرقت مزارعهم و نزل بهم ما نزل علی ید الاوسیین!! «۱».

(۱) ثم تتابعت الحروب و المصالحات بعد ذلک، و کانت القبیلتان تتحملان فی کل مرة خسائر کبری، جعلتهم یواجهون عشرات المشاکل التی حوّلت حیاتهم الی حیاة مضنیة متعبة جدا.

من هنا لم تکن کلتا القبیلتین راضیتین علی أوضاعهما، و کانتا تبحثان عن مخلص مما هما فیه، من الحالة السیئة، و تفتشان عن نافذة أمل، و مخرج من تلک المشاکل.

و لهذا وجد الخزرجیون الستة ضالّتهم المنشودة عند ما التقوا- و لاول مرّة- رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سمعوا منه ما سمعوا، فتمنّوا أن یضعوا به حدا لاوضاعهم المتردیة إذ قالوا له: عسی أن یجمعهم اللّه بک فان جمعهم اللّه بک فلا رجل أعزّ منک.

کانت هذه هی بعض الأسباب التی دعت الیثربیین إلی تقبّل الاسلام بشوق و رغبة و حماس.

(۲)

ردود فعل قریش تجاه بیعة العقبة:

کانت قریش تغطّ فی نوم عمیق و کانت تتصور بانها قد حدّت من تقدم الاسلام فی مکة و انه قد بدأ یتقهقر و یسیر باتجاه السقوط و الاندحار، و أنه لن ینقضی زمان إلّا و تنطفئ جذوة الاسلام و تخمد شعلته، و تنمحی آثاره.

و فجأة استیقظت علی دویّ بیعة العقبة الثانیة التی کانت بمثابة انفجار قلبت کل المعادلات، و أسقطت کل تصورات قریش الساذجة، و ذلک عند ما عرف زعماء الوثنیین بأن ثلاثا و سبعین شخصا من الیثربیین عقدوا لیلة أمس و تحت جنح الظلام بیعة مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أن یدافعوا عنه کما

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۴۱۷ و ۴۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۶

یدافعون عن أبنائهم و أهلیهم.

(۱) فأحدث هذا النبأ خوفا عجیبا فی قلوب قادة قریش و سادة مکة المشرکین المتغطرسین، لانهم أخذوا یقولون مع أنفسهم: لقد وجد المسلمون الآن قاعدة قویة فی قلب الجزیرة العربیة، و انه یخشی أن یجمع المسلمون کل طاقاتهم المبعثرة فیها، و یعملون معا علی نشر دینهم، و بث عقیدتهم، و حینئذ ستواجه الوثنیة فی مکة خطرا جدیا، یهدّدها فی الصمیم.

و لهذا بادرت قریش إلی الاتصال بالخزرجیین صبیحة تلک اللیلة و قالوا لهم:

یا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنکم قد جئتم إلی صاحبنا تستخرجونه من بین أظهرنا، و تبایعونه علی حربنا، إنه و اللّه ما من حیّ من العرب أبغض إلینا أن تنشب الحرب بیننا و بینهم، منکم.

فحلف المشرکون من أهل یثرب لقریش أنه ما کان من هذا شیء، و ما علموه، و قد صدقوا لأنهم لم یعلموا بما جری فی العقبة. فان قافلة الیثربیین کانت تضمّ خمسمائة شخص، تسلّل منهم ثلاث و سبعون فقط الی العقبة و بقیة الناس نیام لا یعلمون بشیء.

(۲) فأتت قریش إلی «عبد اللّه بن ابیّ بن سلول» فسألوه عمّا جری فی لیلة العقبة، فأنکر ذلک و قال: إنّ هذا الأمر جسیم، ما کان قومی لیتفوتوا علیّ بمثل هذا (أی یعملوه من دون مشورتی) و ما علمته کان، فنهض رجال قریش من عنده لیتابعوا تحقیقهم حول الحادث.

فعرف المسلمون الذین حضروا ذلک المجلس و بایعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفشوا أمرهم، و انکشاف سرهم، و لهذا قال بعضهم لبعض: ما دمنا لم نعرف بعد فلنخرج من مکة فورا قبل ان یظفر المشرکون بنا، و لهذا أسرعوا فی الخروج من مکة و التوجّه الی المدینة، فزاد ذلک من سوء ظن قریش و عزّزت شکوکهم حول البیعة، و عرفوا بانه قد کان، فخرجوا فی طلب جمیع الیثربیین، و لکنهم لم یتنبهوا لذلک إلّا بعد خروج قافلة الیثربیین من حدود مکة، و المکیین، و لم تظفر قریش إلّا بسعد بن عبادة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۷

(۱) غیر أن ابن هشام یری بأنّهم ظفروا بنفرین هما: «سعد بن عبادة» و «المنذر بن عمر»، و کان کلاهما من النقباء الاثنی عشر.

و أما «المنذر» فاستطاع أن یخلّص نفسه منهم.

و أما «سعد» فقد أخذوه، و ربطوا یدیه إلی عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتی أدخلوه مکة یضربونه، و یجذبونه بجمّته «۱» و کان ذا شعر کثیر.

یقول سعد:

فو اللّه إنّی لفی أیدیهم إذ طلع علیّ نفر من قریش فیهم رجل وضیء أبیض، طویل القامة، فقلت فی نفسی: إن یک عند أحد من القوم خیر فعند هذا.

قال: فلما دنی منّی رفع یده فلکمنی لکمة شدیدة.

فقلت فی نفسی: لا و اللّه، ما عندهم بعد هذا من خیر.

قال: فو اللّه إنّی لفی أیدیهم یسحبوننی إذ رقّ علیّ رجل کان معهم، فقال:

ویحک أما بینک و بین أحد من قریش جوار و لا عهد؟

قلت: بلی کنت اجیر لجبیر بن مطعم بن عدی تجارة، و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادی.

فذهب ذلک الرجل الی مطعم و أخبره بما فیه سعد بن عبادة من الحال، و أنه أخبره بأنه کان یجیر لمطعم تجارة فقال مطعم: صدق و اللّه إنه کان لیجیر لنا تجارة، و یمنعهم أن یظلموا ببلده ثم أسرع إلی سعد و خلّصه من أیدیهم.

و کان رفقاء سعد من المسلمین قد علموا بوقوعه فی أیدی قریش فی أثناء الطریق إلی المدینة، فعزموا علی أن یعودوا إلی مکة و یخلّصوه من أیدی المشرکین، و بینما هم کذلک إذ بدی لهم «سعد» من بعید، و أخبرهم بما جری علیه «۲».

(۲)

تأثیر الاسلام و نفوذه المعنوی:

یصر المستشرقون علی أن انتشار الاسلام و نفوذه فی المجتمعات تمّ بواسطة

---

(۱) مجتمع شعر الرأس.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۴۹ و ۴۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۸

السیف و فی ظلّ استخدام القوّة.

اما بطلان هذا الکلام فسیثبت من خلال الحوادث القادمة.

و نحن نذکر هنا للمثال حادثة وقعت قبل الهجرة، و نلفت إلیها نظر القارئ الکریم، فان دراستها و التعمق فیها یثبت بجلاء ان انتشار الاسلام و نفوذه فی أوساط الناس کان فی بدایة الأمر نابعا من جاذبیته التی کانت تجذب کل انسان بمجرد اعطاء شرح مختصر عنه و عن تعالیمه المحببة إلیه.

و إلیک الحادثة بنصها:

(۱) قرر مصعب بن عمیر المبلّغ و الداعیة الاسلامی المعروف الذی بعثه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی المدینة بطلب من اسعد بن زرارة، ذات یوم أن یدعو هو و اسعد أشراف المدینة و ساداتها الی الاسلام بالمنطق و الدلیل فدخلا حائطا «۱» من حوائط المدینة

فجلسا هناک و اجتمع إلیهما رجال ممن اسلم، و کان سعد بن معاذ و اسید بن حضیر و هما من سادات بنی الاشهل موجودین هناک أیضا.

فقال سعد لا سید: جرّد حربتک و قل لهذین (یعنی مصعبا و اسعد) ما ذا جاء بهما الی دیارنا یسفهان ضعفاءنا، و لو لا أن سعد بن زرارة ابن خالتی، لکفیتک ذلک.

(۲) ففعل اسید ذلک و قال لمصعب ما جاء بکما إلینا تسفّهان ضعفاءنا و راح یشتمهما فقال له مصعب داعیة الاسلام الحکیم، و المتکلم البلیغ الذی تعلّم اسلوب الدعوة المؤثر من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أو تجلس فتسمع، فان رضیت أمرا قبلته، و ان کرهته کفّ عنک ما تکره؟

قال: أنصفت ثم رکّز حربته و جلس إلیهما یستمع لقولهما فکلّمه مصعب بالاسلام، و قرأ علیه شیئا من القرآن، فأثّرت آیات القرآن و ما قاله مصعب من المواعظ البلیغة فی نفسه حتی عرف ذلک فی إشراق وجهه، و انفراج اساریره، و شوقه فقال: ما احسن هذا الکلام و اجمله؟! کیف تصنعون إذا اردتم أن تدخلوا

---

(۱) بستانا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۹

فی هذا الدین؟ فقال مصعب و سعد له: تغتسل فتطهر و تغسل ثوبیک ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلی.

(۱) فقام اسید بن حضیر الذی حضر لقتل مصعب و سعد من عندهما مبتهجا مسرورا فاغتسل و طهر ثوبیه و تشهّد شهادة الحق ثم قام فرکع رکعتین.

ثم قال لهما: ان ورائی رجلا إن أتبعکما لم یتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إلیکما الآن، ثم اخذ حربته و انصرف الی سعد بن معاذ الذی کان ینتظر عودته علی احر من الجمر فلما نظر إلیه سعد و قومه و هم جالسون فی ناديهم قال:

أحلف باللّه لقد جاءکم اسید بن حضیر بغیر الوجه الذی ذهب من عندکم فلما وقف علی النادی قال له سعد ما فعلت؟

(۲) قال: کلّمت الرجلین، فو اللّه ما رأیت بهما بأسا، و قد نهیتهما، فقالا: نفعل ما احببت، فغضب سعد لذلک غضبا شدیدا، و أخذ الحربة من اسید، ثم خرج الی مصعب و اسعد لیقتلهما، فلما رآهما سعد مطمئنین وقف علیهما متشتما مهددا ایاهما، و لکن مصعبا و زمیله قابلاه بمثل ما قابلا به سابقه اسید، و جری له ما جری له، فقد فعلت کلمات مصعب فی نفسه فعلتها، و خضع لمنطقه القوی، و بیانه الساحر، و ندم علی ما قصد فعله، و قال لمصعب نفس ما قاله اسید و اعتنق الاسلام و اغتسل و تطهر و صلی ثم رجع الی قومه و قال لهم: یا بنی عبد الاشهل کیف تعلمون أمری فیکم؟ قالوا: سیدنا و افضلنا رأیا و ایمننا نقیبة.

قال: فان کلام رجالکم و نسائکم علیّ حرام حتی تؤمنوا باللّه و برسوله فالحمد للّه الذی اکرمنا بذلک.

فلم یمس فی دار بنی عبد الاشهل رجل و لا امرأة إلّا مسلما أو مسلمة، و هکذا أسلم کلّ قبیلة بنی الأشهل قبل أن یروا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أصبحوا من الدعاة إلی الاسلام و المدافعین عن عقیدة التوحید، لا بمنطق القوة انما بقوة المنطق «۱».

---

(۱) إعلام الوری: ص ۵۹، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰ و ۱۱، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۳۶ و ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۰

(۱) ان فی التاریخ الاسلامی نماذج کثیرة من هذا القبیل تدل علی بطلان و تفاهة ما قاله أو روّجه المستشرقون حول أسباب تقدّم الاسلام و انتشاره، فان العامل المعتمد فی جمیع هذه الموارد لم یکن المال و التطمیع، و لا السلاح و التهدید، کما ادعی المستشرقون، و ان الذین اسلموا فی هذه الحوادث و الوقائع لا هم رأوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لا أنهم التقوا أو اتصلوا به بنحو من الانحاء،

انما كان السبب الوحيد هو: منطق الداعية الاسلامى القوىّ و بيانه الساحر الجذاب، فهو الذى كان يفعل فى النفوس فعله العجيب، خلال دقائق معدودة، لا فى نفس شخص واحد فحسب، بل ربما فى نفوس قبيلة بكاملها.

اجل انه المنطق القوى و الكلام المبرهن و الحجة البالغة لا سواها.

(۲)

مخاوف قريش المتزايدة:

لقد ايقظت حماية اليثربيين للمسلمين قريشا من غفلتها و نومها العميق مرة اخرى، و كانت بيعة العقبة الثانية بمثابة ناقوس خطر لها فبدأت أذاها و اضطهادها و مضايقتها لهم من جديد، و تهيأت للعمل على الحيلولة دون انتشار الاسلام و نفوذه و تقدمه فى الجزيرة العربية، و بلغ ذلك الاذى مبلغا عظيما.

فشكى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إليه ما يلقونه على أيدى المشركين من ضغوط و أذى، و استأذنوه فى الهجرة الى مكان فاستمهلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اياما ثم قال:

«لقد اخبرت بدار هجرتكم و هى يثرب فمن اراد الخروج فليخرج إليها» «۱».

و بعد الاذن بالهجرة من قبل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أخذ المسلمون يخرجون من مكة، و يتوجهون الى المدينة شيئا فشيئا و بحجج مختلفة لكى لا تمنعهم قريش من الهجرة.

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۱

(۱) و لم يكن قد مضى على بداية هجرة المسلمين التدريجية هذه زمان طويل الا و فطن زعماء قريش لسرها، و خطرها عليهم فاخذوا يمنعون من أى تنقل و سفر يقوم به المسلمون، و قرروا ان يعيدوا الى مكة كل من وجدوه فى اثناء الطريق، كما قرروا ان يحبسوا زوجة كل مسلم يريد الهجرة و له زوجة قرشية و يمنعوها عنه، و لكنهم كانوا يتجنبون اراقة الدماء فى هذا السبيل، بل و كان يقتصر اذاهم على الحبس و التعذيب و لا يتعداهما.

و لكن هذه المحاولات التى قام بها زعماء قريش لوقف الهجرة الى المدينة لم تثمر لحسن الحظ [۱].

فقد استطاعت مجاميع كبيرة من المسلمين النجاة بنفسها من أيدى قريش و اللحاق بزملائهم و اخوانهم فى يثرب حتى انه لم يبق فى مكة من المسلمين إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السلام و عدد قليل من المسجونين، أو المرضى من المسلمين.

(۲) و قد زاد اجتماع المسلمين فى يثرب من مخاوف قريش، و ضاعف من قلقها، و لهذا اجتمع كل رؤساء القبائل المكية فى «دار الندوة» اكثر من مرة للتشاور فى كيفية القضاء على الاسلام و طرحت فى ذلك المجلس خطط متنوعة، و اقترحت امور كثيرة لتحقيق هذه الغاية و لكنها فشلت برمتها بتدبير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حكمته، و سياسته الدقيقة.

و أخيرا هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من «مكة» إلى «المدينة» فى شهر ربيع الاوّل سنة ۱۴ من البعثة.

اجل لقد تضاعف قلق قريش منذ أن حصل محمّد على قاعدة ثانية خارجة عن نطاق هيمنة المكيين و سيطرتهم و اصبحوا حيرى لا يدرون ما ذا يفعلون، لان جميع خططهم للمنع من انتشار الاسلام، و اتساع رقعته، قد باءت بالفشل.

(۳) لقد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بالهجرة الى المدينة و الالتحاق

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۲

بالانصار و قال لهم: «إنّ اللّه قد جعل لكم دارا و إخوانا تأمنون بها» «۱» «۲».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۶.

(۲) لقد انتهینا من تسجیل حوادث السنوات الثلاث عشرة من البعثة، و قد حاولنا ذکر کل ما کان معلوما مشهورا من تواریخها، و لکن لا یمکن اعتبار تواریخ کل تلک الحوادث امورا مقطوعا بها، من هنا ذکرنا الحوادث المثبتة فی الفصل ۲۴ من دون ادراج تواریخ لها فی الاغلب و لکن حیث أن الوقائع الحادثة بعد الهجرة وقعت فی أوقات معینة معلومة لذلک فاننا سنرفق ذکر کل حادثة بتاریخ وقوعها فی الفصول القادمة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۳

(۱)

۲۵ قصّة الهجرة

حوادث السنة الاولی من الهجرة

اشارة

کان زعماء قریش و رؤساؤها یجتمعون عند کل نائبة تنوبهم فی «دار الندوة» لحل المشاکل و معالجة ما عرض لهم من نائبة من خلال التشاور حولها و تداول الرأی فیها، و من خلال تضافر الجهود علی حلها، و رفعها أو دفعها.

و فی السنوات: الثانیة عشرة، و الثالثة عشرة من البعثة واجه أهل مکة خطرا کبیرا جدّیا، فقد حصل المسلمون علی مرکز هام، و قاعدة صلبة فی یثرب، و تعهّد الیثربیون الشجعان بحمایة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الدفاع عنه، و کل هذا کان من علامات و مظاهر ذلک التهدید الخطیر، الذی بات یهدد کیان المشرکین و الوثنیین و الزعامة القرشیة.

(۲) و فی شهر ربیع الاوّل من السنة الثالثة عشرة من البعثة التی وقعت فیه هجرة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بینما لم یکن قد بقی من المسلمین فی مکة إلّا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی و أبو بکر و جماعة قلیلة من المسلمین المحبوسین، أو المرضی، أو العجزة، و کان هؤلاء علی أبواب الهجرة و مغادرة مکة الی المدینة اتخذت قریش فجأة قرارا قاطعا و حاسما و خطیرا جدا فی هذا المجال.

فقد انعقدت جلسة هامة للتشاور فی «دار الندوة» حضرها رؤساء قریش

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۴

و زعماؤها و بدأ متکلمهم «۱» یتحدث عن تجمع القوی و العناصر الاسلامیة و تمرکزها فی المدینة و البیعة التی تمت بین الخزرجیین و الأوسیین و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم اضاف قائلا:

(۱) یا معشر قریش إنه لم یکن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل اللّه تفد إلینا العرب فی السنة مرتین، و یکرموننا، و نحن فی حرم اللّه لا یطمع فینا طامع، فلم نزل کذلک حتی نشأ فینا «محمّد بن عبد اللّه» فکنّا نسمّیه (الأمین) لصلاحه، و سکونه، و صدق لهجته، حتی إذا بلغ ما بلغ و أکرمناه ادّعی أنه رسول اللّه، و أن أخبار السماء تأتیه، فسفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا، و أفسد شبّاننا، و فرق جماعتنا، فلم یرد علینا شیء أعظم من هذا، و قد رأیت فیه رأیا، رأیت أن ندسّ إلیه رجلا منّا لیقتله، فان طلبت بنو هاشم بدمه «۲» اعطیناهم عشر دیات.

فقال رجل مجهول حضر ذلک المجلس و وصف نفسه بانه نجدی: ما هذا برأی لأن قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الذی یبذل

نفسه للقتل منكم؟ فانه اذا قتل محمّد تعصّب بنو هاشم و حلفاؤهم من خزاعة، و إن بنى هاشم لا ترضى أن يمشى قاتل محمّد على وجه الارض فيقع بينكم الحروب و تتفانوا.

(۲) فقال أبو البخترى: نلقيه فى بيت و نلقى إليه قوته حتى يأتيه ريب المنون.

فقال الشيخ النجدىّ مرة اخرى: و هذا رأى أخبث من الآخر، لأن بنى هاشم لا ترضى بذلك، فاذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، و اجتمعوا عليكم فاخرجوه.

فقال ثالث: نخرجه من بلادنا و نتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا، أو قال نرحّل بعيرا صعبا و نوثّق محمّدا عليه كتافا، ثم نضرب البعير بأطراف الرماح فيوشك أن يقطّعه بين الصخور و الجبال إربا إربا.

(۳) فانبرى ذلك النجدى يخطّئ هذا الرأى أيضا قائلا: أ رأيتم إن خلص به

---

(۱) و روى انه كان المتكلم: أبو جهل.

(۲) و فى رواية: بديته.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۵

البعير سالما إلى بعض الناس فأخذ بقلوبهم بسحر بيانه و طلاقة لسانه، فصبأ «۱» القوم إليه، و استجابت القبائل له قبيلة فقبيلة، فليسيرنّ حينئذ إليكم الكتائب و الجيوش فلتهلكنّ كما هلكت أياد و من كان قبلكم.

فتحيّروا و ساد الصمت ذلك المجلس، و فجأة قال أبو جهل (و على رواية:

قال ذلك الشيخ النجدى): ليس هناك من رأى إلّا أن تعمدوا الى قبائلكم فتختاروا من كل قبيلة منها رجلا قويا ثم تسلّحوه حساما عضبا و ليهجموا عليه معا بالليل و يقطعوه إربا إربا فيتفرق دمه فى قبائل قريش جميعا فلا تستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلها فى صاحبهم فيرضون حينئذ بالدية منهم!!

فاستحسن الجميع هذا الرأى، و اتفقوا عليه، ثم اختاروا القتلة و تقرّر ان يقوموا بمهمتهم اذا جنّ الليل و ساد الظلام كل مكان «۲».

(۱)

الإمدادات الغيبية و العنايات الالهية:

لقد كان اولئك العتاة الجهلة يتصورون أن رسالة محمّد صلّى اللّه عليه و آله المدعومة من قبل اللّه تعالى و المؤيّدة من جانبه سبحانه يمكن ان يقضى عليها بواسطة هذه الحيل و المكائد، و الخطط و المؤامرات، و لم يكونوا يدركون أن هذا النبيّ- كغيره من الأنبياء- يتمتع بالمدد الالهىّ الغيبى، و ان اليد التى حفظت مشعل الاسلام طوال ثلاثة عشر عاما فى وجه الاعاصير و الرياح، قادرة على افشال هذه الخطة الاثيمة، و تعطيل هذه المؤامرة أيضا.

يقول المفسرون: بعد أن دبّر الكفار ما دبروا نزل ملك الوحى «جبرئيل»، على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بما حاك ضدّه المشركون من مؤامرة اذ

---

(۱) صبأ فلان: أى خرج من دين إلى دين غيره و كانت العرب تسمّى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الصابئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الاسلام و تسمى المسلمين: الصباة. و هو جمع الصابئ.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۸۰- ۴۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۶

قرأ علیه قول اللّه تعالی:

«وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ» «۱».

(۱) و عندئذ امر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالهجرة من مکة إلی المدینة، و لکنّ التخلص من أیدی القساة المکلّفین بقتله من قبل زعماء الوثنیین و بالنظر الی المراقبة الدقیقة التی کانوا یقومون بها لجمیع التحرکات، لم یکن بالأمر السهل و خاصة بالنظر الی بعد المسافة بین مکة و المدینة.

فاذا لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخرج من مکة وفق خطة دقیقة صحیحة کان من المحتمل جدا أن یدرکه المکیون فی أثناء الطریق و یقبضوا علیه و یسفکوا دمه الشریف قبل ان یصل الی أتباعه و أصحابه.

و لقد ذکر المفسرون و المؤرخون صورا مختلفة لکیفیة خروجه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و هجرته و الاختلاف الذی نلاحظه بین هؤلاء المفسرین و المؤرخین فی خصوصیات و تفاصیل هذه الواقعة مما یقل نظیره فی غیره من الوقائع.

و قد استطاع مؤلف «السیرة الحلبیة» أن یوفّق الی درجة ما، بین المنقولات و المرویات المختلفة ببیان خاص، و لکنه لم یوفّق لازالة التناقض و الاختلاف فی بعض الموارد فی هذا الصعید.

(۲) علی أنّ الموضوع الجدیر بالاهتمام هو أن اکثر المؤرّخین الشیعة و السنة نقل کیفیة هجرة النبیّ، و خروجه من منزله، ثم من مکة بنحو مؤداه إسناد نجاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و خلاصه إلی عامل الاعجاز، و بالتالی فقد اسبغوا علیه صبغة الکرامة، و المعجزة.

فی حین أن الإمعان فی تفاصیل هذه القصة یکشف عن أن نجاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کانت نتیجة سلسلة من الإجراءات الاحترازیة، و التحسبات، و التدابیر الحکیمة، و إن إرادة اللّه تعالی تعلّقت بان ینجّی نبیّه

---

(۱) الانفال: ۳۰، لیثبتوک أی لیسجنوک.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۷

الکریم، عن طریق الأسباب العادیة المألوفة، و لیس عن طریق التدخّل الغیبیّ و إعمال قدرته تعالی الغیبیة.

و یدل علی هذا المطلب أنّ النبیّ توسل بالعلل الطبیعیة، و الوسائل و الأسباب العادیة (کمبیت شخص فی فراش النبیّ، و اختفاء رسول اللّه فی الغار و غیر ذلک مما سیأتی ذکره)، و بهذا الطریق نجّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه، و تخلّص من أیدی اعدائه، العازمین علی إراقة دمه.

(۱)

ملک الوحی یخبر رسول اللّه:

لقد اخبر ملک الوحی «جبرئیل» رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخطة قریش المشؤومة لاغتیاله و امره بالهجرة، و تقرر- بغیة إفشال عملیة الملاحقة- ان یبیت شخص فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیتصوّر المشرکون أنّ النبیّ لا یزال فی منزله، و لم یخرج بعد، و بالتالی یرکّزوا کلّ اهتمامهم علی محاصرة البیت، و ینصرفوا عن مراقبة طرقات مکة، و نواحیها.

و لقد کانت فائدة هذا العمل ای حصر اهتمام المراقبین ببیت النبیّ انه تسنی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اغتنام الفرصة و الخروج من مکة، و الاختفاء فی مکان ما من دون ان یحس به أحد من الذین باتوا یراقبون بیته، و یبغون قتله.

(۲) و الآن یجب أن نری من الذی تطوّع للمبیت فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و فدی النبیّ بنفسه، و وقاه بحیاته؟

ستقولون حتما: إن الذی سبق جمیع المسلمین الی الایمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و فدی النبیّ بنفسه، و وقاه بحیاته؟

ستقولون حتما: إن الذی سبق جمیع المسلمین الی الایمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بقی من بدء بعثته و الی ذلک الحین یذب عنه، هو الذی یتعیّن أن یضحّی بنفسه فی هذا السبیل، و یقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بحیاته فی هذه اللحظة الخطیرة، و هذا المضحّی بحیاته و نفسه، هو «علیّ» لیس سواه احد، انه تقدیر صحیح، و حدس مصیب.

فلیس غیر «علی» یصلح لهذه المهمة الخطیرة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۸

و لهذا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السلام:

«یا علیّ إنّ قریشا اجتمعت علی المکر بی و قتلی، و إنّه اوحی إلیّ عن ربّی أن اهجر دار قومی، فنم علی فراشی و التحف ببردی الحضرمیّ لتخفی بمبیتک علیهم أثری فما أنت قائل و صانع؟؟

فقال علی علیه السلام: أو تسلمنّ بمبیتی هناک یا نبیّ اللّه؟

قال: نعم، فتبسّم علیّ علیه السلام ضاحکا مسرورا و أهوی إلی الأرض ساجدا، شکرا لما أنبأه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من سلامته، فلما رفع رأسه قال للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

امض لما امرت فداک سمعی و بصری و سویداء قلبی، و مرنی بما شئت اکن فیه کمسرّتک، واقع فیه بحیث مرادک، و إن توفیقی إلّا باللّه.

(۱) ثم رقد علیّ علیه السلام علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اشتمل ببرده الحضرمی الاخضر، و لما مضی شطر من اللیل حاصر رصد قریش- و هم اربعون رجلا- بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد جرّدوا سیوفهم، ینتظرون لحظة الهجوم علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یتطلّعون إلی داخل البیت من فرجة الباب بین الحین و الآخر لیتأکدوا من بقاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مضجعه، فیظنون أنّ النائم فی الفراش هو النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

(۲) و هنا أراد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یخرج من بیته.

فمن جانب یحاصر الأعداء بیته صلّی اللّه علیه و آله من کل جانب، و یراقبون کلّ شیء، و من جانب آخر تعلّقت مشیئة اللّه تعالی و ارادته القاهرة الغالبة أن ینجو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ایدی تلک الزمرة المنحطة، فقرأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سورة (یس) لمناسبة مطلعها لظروفه حتی بلغ الی قوله تعالی: «فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ» «۱» و خرج من باب البیت دون ان یشعر به رصد قریش المکلّفون بقتله، و ذهب الی المکان الذی کان من المقرر ان یختبئ

---

(۱) یس: ۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۹

فیه علی النحو الذی سیأتی تفصیله.

و أما کیف استطاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یخترق الحصار البشری المشدّد الذی ضرب علی بیته، و یتجاوز رصد قریش من غیر ان یشعروا به فذلک غیر معلوم جیدا.

إلّا أنه یستفاد من روایة نقلها المفسر الشیعی المعروف المرحوم علی بن ابراهیم فی تفسیره: قول اللّه تعالی: «وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا» ان رجال قریش کانوا نیاما ینتظرون الفجر عند خروج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لم یکونوا یتصوّرون أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد عرف بتدبیرهم و مؤامرتهم.

(۱) و لکن یصرّح غیره من المؤرّخین و کتّاب السیرة «۱» بان المحاصرین لمنزل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کانوا یقظین حتی لحظة

الهجوم على بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله خرج من البيت عن طريق الاعجاز و الكرامة من دون ان يروه و يحسوا به.

إن امكان وقوع مثل هذه الكرامة ليس موضع شك، و لكن هل كان هناك ما يوجب ذلك؟؟

ان دراسة قصة الهجرة بصورة كاملة تجعل هذه المسألة أمرا قطعيا و هى أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كان عارفا بمؤامرة القوم قبل محاصرة بيته، و كان قد دبّر و رسم لنجاته خطة طبيعية عادية، و لم يكن فى الأمر اى اعجاز.

لقد كان يريد صلّى اللّه عليه و آله باضجاع على عليه السلام فى فراشه أن ينجو بنفسه من أيدى المشركين من الطرق العادية و القنوات الطبيعية من غير الاستعانة بالاعجاز و الكرامة.

(۲) و على هذا كان فى مقدور النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ان يتحسب لمسألة المحاصرة و الطوق الذى كان سيضرب على بيته من أوائل الليل، و ذلك بمغادرة

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۸، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۰

بيته قبل المحاصرة و قبل الغروب.

و لكن يمكن ان يكون لتوقّف النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى البيت حتى ساعة المحاصرة علة لا نعرفها الآن.

من هنا يكون ادّعاء هذا الموضوع (و هو خروج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله من البيت فى الليل) غير مقطوع به لدى الجميع لاعتقاد البعض بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غادر منزله قبل فرض الحصار عليه، و قبل غروب الشمس «۱».

(۱)

اقتحام الاعداء لبيت الوحى:

طوّقت قوى الكفر مهبط الوحى و بيت الرسالة و باتت تنتظر لحظة الإذن فى اقتحامه، و الهجوم على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى فراشه و ضربه و تقطيعه بالسيوف إربا إربا!

و قد أصرّ جماعة منهم أن ينفّذوا خطتهم المشؤومة هذه فى منتصف الليل و قبل الفجر فمنعهم أبو لهب من ذلك و قال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنّ فى الدار صبيانا و نساء من بنى هاشم، و لا نأمن أن تقع يد خاطئة، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

و ربما يقال أن علّة التأخير هى أنهم أرادوا أن يقتلوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصباح أمام أعين بنى هاشم حتى يروا أن قاتله جماعة و ليس واحدا.

(۲) و انقشع الظلام شيئا فشيئا، و انفجر الصبح، و دبّ فى المشركين شوق غريب، مع اقتراب ساعة الصفر، فقد كانوا يتصوّرون بأنهم سينالون ما يريدون قريبا، و بينما هم ينتضون سيوفهم دخلوا حجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و بينما هم يهمّون بأخذ من كان راقدا فى الفراش بسيوفهم، إذا بهم يواجهون عليا

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۱

عليه السلام يثب فى وجوههم و هو يكشف عن نفسه برد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأخضر، و قال لهم فى منتهى الطمأنينة و

الشجاعة: ما شأنكم؟ و ما ذا تريدون؟؟

فقالوا له بغضب: أين محمّد؟

فقال عليه السلام: اجعلتمونى عليه رقيبا؟!

(۱) فغضب القوم غضبا شديدا، و كاد الغيظ يخنقهم، فقد ندموا على انتظارهم انفجار الصبح و حمّلوا أبا لهب الذى منعهم من تنفيذ الهجوم على النبىّ فى منتصف الليل فشل الخطة و تفويت الفرصة، فاقبلوا عليه يلومونه و يوبخونه!!

أجل لقد انزعجت قريش بشدة لفشل هذه المؤامرة، و وجدوا انفسهم أمام هزيمة نكراء بدّدت كلّ أحلامهم، و حيث أنهم كانوا يتصوّرون بأن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا يستطيع الخروج عن حدود مكة فى مثل تلك المدة القصيرة فهو إما مختبئ فى مكة، أو أنه لا يزال فى طريق المدينة، لذلك أقدموا فورا على العمل على ترتيب أمر ملاحقته و القبض عليه.

(۲)

النبىّ فى غار ثور:

ان ما هو مسلّم به هو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمضى هو و أبو بكر ليلة الهجرة و ليلتين اخريين بعدها فى غار ثور الذى يقع فى جنوب مكة فى النقطة المحاذية للمدينة المنورة «۱».

و ليس من الواضح كيف تمت هذه المصاحبة و المرافقة و لما ذا، فان هذه المسألة من القضايا التاريخية الغامضة.

فان البعض يعتقد بان هذه المصاحبة كانت بالصدفة، فقد رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر فى الطريق، فاصطحبه معه الى غار ثور.

---

(۱) حيث ان الطريق المؤدى الى المدينة تقع فى شمال مكة، فاختبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى منطقة مقابلة أى فى اسفل مكة، ليعمى بذلك على قريش فلا يتبعوا أثره.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۲

و روى فريق آخر أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذهب فى نفس الليلة إلى بيت أبى بكر، ثم خرجا معا فى منتصف الليل إلى غار ثور «۱».

و قال فريق ثالث: أن أبا بكر جاء هو بنفسه يريد النبىّ و كان صلّى اللّه عليه و آله قد خرج من قبل فأرشده «علىّ» إلى مخبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و على كل حال فان كثيرا من المؤرخين يعدّون هذه المصاحبة من مفاخر الخليفة و مناقبه، و يذكرون هذه الفضيلة و يتحدثون عنها بكثير من الاسهاب و الاطناب، و بمزيد من الاكبار و الاعجاب.

(۱)

قريش تفتش عن النبىّ:

لقد تسبب فشل قريش فى تغيير خطتها، فقد بادرت إلى بث العيون و الجواسيس فى طرقات مكة، و مراقبة مداخلها و مخارجها مراقبة شديدة، و بعثت القافّة تقتص أثره فى كل مكان، و فى طريق مكة- المدينة خاصة.

و من جانب آخر جعلت مائة ابل لمن یاخذ نبی اللّه، و یردّه علیهم أو یأتی عنه بخبر صحیح.

و عمد جماعة من قریش إلی ملاحقة رسول اللّه و التفتیش عنه فی شمال مکة، حیث الطریق المؤدی الی المدینة، علی حین أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قد اختبأ- کما قلنا- فی نقطة بجنوب مکة لافشال عملیة الملاحقة.

و تصدت مجموعة اخری لتتبع أثر قدم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و رفیقه!!

و کان الذی یقفو لهم الأثر یدعی أبا مکرز فوقف بهم علی باب حجرة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال هذه قدم محمّد، فما زال بهم حتی أوقفهم علی باب الغار فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المکان، إما أن یکونا صعدا إلی السماء، أو دخلا تحت الأرض، فان بباب هذا الغار- کما ترون علیه- نسج

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۰۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۳

العنکبوت و القبجة حاضنة علی بیضها بباب الغار «۱»، فلم یدخلوا الغار.

و لقد استمرت هذه المحاولات بحثا عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ثلاثة أیام بلیالیها و لکن دون جدوی، فلما یئس القوم بعد ثلاثة ایام من السعی ترکوا التفتیش و کفوا عن الملاحقة.

(۱)

التفانی فی سبیل الحق:

ان النقطة المهمة فی هذه الصفحة من التاریخ هی ما قام به علی علیه السلام من تفان فی سبیل الحق، و الحقیقة.

إن التفانی فی سبیل الحق من شیمة الرجال الذین أحبّوا الحق و عشقوه بکل وجودهم و کیانهم.

إن الذین یغضون نظرهم عن کلّ شیء من أشیاء الدنیا و یضحّون بالنفس و المال و الشخصیة، و یستخدمون کل طاقاتهم المادیة و المعنویة فی سبیل خدمة الحق، و احیائه، و اقامته هم و لا شک من عشاق الحق و الحقیقة الصادقین.

انهم یرون کما لهم و سعادتهم فی هدفهم، و هذا هو الذی یدفعهم إلی أن یصرفوا النظر عن الحیاة العابرة، و العیش الموقت، و یلتحقوا برکب الحیاة الواقعیّة الأبدیة.

(۲) إنّ مبیت علیّ علیه السلام فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک اللیلة الرهیبة لنموذج بارز من هذا الحبّ الحقیقیّ للحق، و العشق الصادق للحقیقة، فان الدافع وراء التطوّع لمثل هذه المهمة الخطیرة لم یکن إلّا حبّ «علیّ» لبقاء الاسلام الذی یکفل سعادة المجتمع، و یضمن ازدهار الحیاة، لا غیر.

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۹ تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۲۷- ۳۲۸ و غیرها، و لقد ذکر عامه المؤرخین هذه الکرامة هنا، و لا ینبغی- نظرا لما ذکرناه فی قصة الفیل و هلاک أبرهة و جنده بواسطة الابابیل، تأویل مثل هذا الکرامات.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۴

إن لهذه التضحیة و التفانی من القیامة العظمی بحیث مدحها اللّه تعالی فی کتابه العظیم، و وصفها بأنها کانت تضحیة صادقة لکسب مرضاة اللّه، فان الآیة التالیة نزلت- حسب روایة اکثر المفسرین- فی هذا المورد:

«وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» «۱».

(۱) ان عظمة هذه الفضیلة و اهمیة هذا العمل التضحوىّ العظیم دفعت بکبار علماء الاسلام إلی اعتبارها واحدة من أکبر فضائل الإمام علی علیه السلام و إلی أن یصفوا بها علیا بالفداء و البذل و الایثار، و إلی ان یعتبروا نزول الآیة المذکورة فی شأنه من المسلّمات کلّما بلغ الحدیث فی التفسیر و التاریخ إلیها «۲».

إنّ هذه الحقیقة مما لا ینسی أبدا فانه من الممکن اخفاء وجه الواقع و التعتیم علیه بعض الوقت إلا أنه سرعان ما تمزق أشعة الحقیقة الساطعة حجب الاوهام، و تخرج شمس الحقیقة من وراء الغیوم.

إنّ معاداة معاویة لأهل بیت النبوة و بخاصة للإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام مما لا یمکن النقاش فیه.

فقد أراد هذا الطاغیة من خلال تطمیع بعض صحابة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یلوّث صفحات التاریخ اللامعة و یخفی حقائقه بوضع الاکاذیب، و لکنه لم یحرز فی هذا السبیل نجاحا.

(۲) فقد عمد «سمرة بن جندب» الذی ادرک عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم انضمّ بعد وفاته صلّی اللّه علیه و آله إلی بلاط معاویة بالشام، عمد إلی تحریف الحقائق لقاء اموال أخذها من الجهاز الأموی، الحاقد علی أهل البیت.

فقد طلب منه معاویة باصرار أن یرقی المنبر و یکذّب نزول هذه الآیة فی شأن

---

(۱) البقرة: ۲۰۷.

(۲) مسند أحمد: ج ۱ ص ۸۷، و کنز العمال: ج ۶ ص ۴۰۷، و قد نقل کتاب الغدیر: ج ۲ ص ۴۷- ۴۹ طبعة لبنان مصادر نزول هذه الآیة فی شأن علیّ علیه السلام علی نحو التفصیل، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۵

علی علیه السلام، و یقول للناس أنها نزلت فی حق قاتل علیّ (أی عبد الرحمن بن ملجم المرادی)، و یأخذ فی مقابل هذه الاکذوبة الکبری، و هذا الاختلاق الفضیع الذی أهلک به دینه مائة ألف درهم.

فلم یقبل «سمرة» بهذا العرض و لکن معاویة زاد له فی المبلغ حتی بلغ اربعمائة ألف درهم. فقبل الرجل بذلک فقام بتحریف الحقائق الثابتة، مسودا بذلک صفحته السوداء اکثر من ذی قبل و ذلک عند ما رقی المنبر و فعل ما طلب منه معاویة «۱».

(۱) و قبل السامعون البسطاء قوله، و لم یخطر ببال أحد منهم أبدا ان (عبد الرحمن بن ملجم) الیمنیّ لم یکن یوم نزول الآیة فی الحجاز بل لعلّه لم یکن قد ولد بعد آنذاک. فکیف یصح؟!

و لکن الحقیقة لا یمکن ان تخفی بمثل هذه الحجب الواهیة، و لا یمکن ان تنسی بمثل هذه المحاولات العنکبوتیة الرخیصة.

فقد تعرّضت حکومة معاویة و تعرض أهلها و انصارها للحوادث، و اندثرت آثار الاختلاق و الافتعال الذی وقع فی عهده المشؤوم، و طلعت شمس الحقیقة و الواقع من وراء حجب الجهل و الافتراء مرة اخری، و اعترف اغلب المفسرین الأجلّة «۲» و المحدّثین الافاضل- فی العصور و الادوار المختلفة، بأن الآیة المذکورة نزلت فی «لیلة المبیت» فی بذل علی علیه السلام و مفاداته النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بنفسه «۳».

---

(۱) لا حظ شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۴ ص ۷۳.

(۲) شرح نهج البلاغة: ج ۱۳ ص ۲۶۲، و لقد أعطی ابن أبی الحدید حقّ الکلام حول هذه الفضیلة.

(۳) سمرة بن جندب من العناصر المجرمة فی الحکومة الاموية، و لم یکتف سمرة بتحریف الحقائق و قلبها بما ذکرناه، بل أضاف الی ذلک- حسب روایة ابن ابی الحدید- أمرا آخر أیضا اذ قال:

و نزل فی شأن «علیّ» قول اللّه: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» (البقرة:

۲۰۴).

و من جرائم هذا الرجل انه قتل یوم ولّی البصرة علی عهد زیاد بن أبیه فی العراق ثمانیة آلاف-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۶

(۱)

کلام من ابن تیمیة:

اشارة

احمد بن عبد الحلیم الحرّانی الحنبلیّ الذی مات فی سجن بدمشق عام ۷۲۸ من علماء السنّة، تعود إلیه اکثر معتقدات الوهابیین، و أفکارهم.

و لابن تیمیة هذا آراء و مواقف خاصة من النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین، و عامة أهل بیت النبوة، و قد صرح باکثر آرائه و معتقداته هذه فی کتابه «منهاج السنة».

و قد دفعت عقائده المنحرفة و آراؤه الضالّة الکثیر من علماء عصره إلی تکفیره، و التبرّی منه.

و لابن تیمیة رأی عجیب حول هذه الفضیلة نذکره للقارئ الکریم مع تصرف بسیط فی الألفاظ «۱»

و من المؤسف ان یکون قد تأثر بآرائه بعض السذّج و الجاهلین، فنجدهم یشیعون آراءه فی المجتمع من دون تحقیق فیما قال، و من دون مراجعة ذوی الاختصاص لمعرفة رأیهم فی أفکاره و معتقداته و هم غافلون عن أنّ مثل هذه الآراء قد صدرت من منحرف و کذّبه بل و کفّره بسببها أهل مذهبه.

هذا و إلیک خلاصة رأیه فی فضیلة «المبیت».

(۲) یقول: ان مبیت «علیّ» فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا تعدّ

- ممّن کانوا یحبون أهل البیت و یوالونهم و عند ما سأله معاویة: هل تخاف ان تکون قد قتلت أحدا بریئا؟

أجاب قائلا: لو قتلت إلیهم مثلهم ما خشیت!!

هذا و مخازی هذا الرجل اکثر من ان تستوعبه هذه الصفحات القلائل.

و سمرة هذا هو ذلک الرجل الصلف الجاف الذی رد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طلبه بأن یراعی حقّ جاره فی قضیة النخلة مرارا فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله له: «إنک رجل مضارّ و لا ضرر و لا ضرار فی الاسلام» و لمزید التوضیح راجع کتب الحدیث و التراجم و التاریخ.

(۱) راجع السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۲۶۳ و سبعة الجاحظ فی العثمانیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۷

فضیلة لأن علیّا عرف من طریقین بانه لن یصیبه شیء فی تلک اللیلة:

الأوّل إخبار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الصادق المصدّق نفسه ایّاه بذلک إذ قال له فی نفس تلک اللیلة: «نم فی فراشی فإنه لا یخلص إلیک شیء تکرهه»!!.

الثانی: أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کلّفه بردّ الودائع و أداء الامانات التی اودعها أهل مکة عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، إلی أصحابها.

فعلم- من ذلک- أنه لن یقتل و الا لکلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الآخرین بها.

فعرف «علیّ» من هذا التکلیف أنه لن یلحقه أذی فی هذه العملیّة و انه سیوفّق لأداء ما کلّفه به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱)

الجواب:

و قبل أن نجیب عن هذا الکلام علی نحو التفصیل نقول إجمالا: إن ابن تیمیّة بانکاره هذه الفضیلة أثبت فضیلة أعلی لعلیّ علیه السلام لأنه إمّا کان ایمان علیّ بصدق مقالة الرسول کان ایمانا عادیا، و إما أن کان إیمانا قویا جدّا، و کانت جمیع اقوال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و إخباراته لدیه- فی ضوء ایمانه- کالنهار فی وضوحه.

(۲) و علی الفرض الاوّل لم یکن لعلیّ یقین بنجاته من تلک الواقعة لأنه لا یحصل لمثل هذه الطبقة من الناس (و لا شک أن علیّا لیس منهم حتما) یقین من کلام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و حتی لو قبلوا به فی الظاهر، فانهم سیساورهم القلق، و لا یفارقهم الاضطراب، و اذا هم باتوا فی فراشه فی لحظات الخطر، فانه سیبقون فریسة الخوف و الوجل و ستمرّ فی نفوسهم احتمالات کثیرة حول مال الأمر و مصیره، و سیتمثل أمامهم شیح الموت المرعب فی کل لحظة و آن.

و علی هذا الفرض لا بد أن یقال: بأنّ علیّا علیه السلام لم یقدم علی هذا الأمر الخطیر إلّا و هو یحتمل الهلاک علی أیدی المشرکین، لا أنه بات و هو یتیقن

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۸

النجاة و السلامة.

(۱) و أما بناء علی الفرض الثانی فانه تثبت لعلیّ علیه السلام فضیلة أعلی و اعظم، لأن ایمان الرجل یجب ان یبلغ من القوة و الکمال بحیث لا یفرّق بین صدق کلام النبیّ و بین وضوح النهار أی أنهما یکونان عنده بمنزلة سواء.

و لا شک ان أهمیة مثل هذا الایمان لا یمکن أن یعاد لها شیء.

و نتیجة هذا الایمان هی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عند ما قال له: نم فی فراشی فلن یصیبک من هجوم الاعداء الحاقدین مکروه أن ینام فی فراش النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بقلب واثق بالسلامة، و نفس مطمئنّة الی النجاة، و من دون أن یخالج نفسه أقل احتمال للخطر.

و لو کان مراد ابن تیمیة من قوله: ان علیّا کان واثقا من سلامته، لأن الصادق المصدّق أخبره بذلک هو: إثبات أعلی درجات الإیمان لعلیّ علیه السلام فقد اثبت له علیه السلام من حیث لا یشعر اکبر فضیلة، و أعلی منقبة، و هی کمال الایمان و الثقة برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخباره.

هذا هو الجواب الاجمالی و إلیک الجواب التفصیلی:

(۲)

الجواب التفصیلی:

فنقول عن الدلیل الأول: إن عبارة «لا یخلص إلیک شیء تکرهه» لم ینقلها بعض أرباب السیرة و رجال علم التاریخ الذین لهم سابقة لا تنکر فی هذا الصعید «۱».

نعم روی ابن الاثیر المتوفی عام ۶۳۰ «۲»، و الطبری المتوفی عام ۳۱۰ «۳» هذه العبارة و کأنّما قد اخذاها عن ابن هشام فی سیرته «۴» التی نقل فیها تلک العبارة

(۱) مثل مؤلّف الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ المولود عام ۱۶۸ و المتوفی عام ۲۳۰، و کذا المقریزی فی امتاع الاسماع، عند ذکرهم لتفاصیل قضیة المبیت.

(۲) التاریخ الکامل: ج ۲ ص ۷۲.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۹۹.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۹

بالصورة المتقدمة الذکر، خاصة أنّ عبارة ذینک المؤلّفین (الطبری و ابن الأثیر) تطابق عبارة ابن هشام فی هذا المجال تماما.

هذا مضافا إلی أنّ القضیة لا توجد بهذه الصورة فی مؤلفات علماء الشیعة علی ما نعلم.

(۱) و لقد نقل شیخ الطائفة الامامیة محمّد بن الحسن الطوسیّ المتوفی عام ۴۶۰ فی أمالیه قصة الهجرة بشکل اکثر تفصیلا و دقة، و ذکر العبارة المذکورة مع تغییر بسیط، الّا أنه تختلف صورة القضیّة مع ذلک عما هی علیه فی کتب أهل السنة، فانه رحمه اللّه یصرّح بان علیّا علیه السلام انطلق هو و «هند بن أبی هالة» ابن خدیجة و ربیب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی منتصف اللیل بعد لیلتین من الهجرة حتی دخلا علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ:

«إنّهم لن یصلوا من الآن إلیک یا علی بأمر تکرهه حتّی تقدم علیّ» «۱».

(۲) و هذه الجملة تشبه الجملة التی ذکرها ابن هشام و الطبری و ابن الأثیر، و لکن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قالها لعلیّ علیه السلام مطمئنا إیاه بعد لیلتین من المبیت فی الفراش، و لیس لیلة المبیت کما یروی الثلاثة المذکورون.

هذا علاوة علی أنّ کلام علی نفسه خیر شاهد علی ما نقول:

فلقد عدّ علیّ علیه السلام عمله هذا (أی المبیت فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک اللیلة الرهیبة) نموذجا من بذله و تفانیه فی سبیل الحق کما یتضح ذلک بجلاء من اشعاره حیث یقول:

وقیت بنفسی خیر من وطأ الحصاو من طاف بالبیت العتیق و بالحجر

محمّد لما خاف أن یمکروا بهفوقّاه ربّی ذو الجلال من المکر

و بت اراعی منهم ما یسوؤنیو قد وطّنت نفسی علی القتل و الأسر

و بات رسول اللّه فی الغار آمناهناک و فی حفظ الاله و فی ستر «۲»

(۱) الأمالی: ج ۲ ص ۸۴.

(۲) المصدر السابق و غیره، هذا مضافا إلی أنّ الإمام علیه السلام نفسه قد استنشد المسلمین مرارا بهذه القضیة مستدلا بها علی تفانیه فی سبیل الاسلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۰

(۱) و مع هذه العبارات الصریحة لا مجال للاعتماد علی قول ابن هشام الذی تدل قرائن کثیرة علی خطأه، و یحتمل، احتمالا قویا، بأن اشتباهه و خطأه قد نشأ من تلخیصه لسیرة ابن اسحاق، و حیث أنه (و نعی ابن هشام) قد بنی فی سیرته علی الاختصار لذلک اکتفی بنقل أصل العبارة، مهملا ظرف النطق بها لعدم أهمیة زمن النطق بها و أنها قیلت فی اللیلة الثانیة او الثالثة، فی نظره، و روی الموضوع بنحو یوهم بان جمیع هذه الامور وقعت فی لیلة واحدة!!

و یؤید رأینا هذا أیضا الحدیث المعروف الذی رواه کثیر من علماء السنة و الشیعة و هو: أن اللّه أوحی إلی جبرئیل و میکائیل علیهما

السلام أنّی قد آخیت بینکما و جعلت عمر احدکما أطول من عمر صاحبه فابکما یؤثر أخاه.

و کلاهما کره الموت، فاوحی اللّه إلیهما: عبـد ای أ لا کنتما مثل ولیی «علیّ» آخیت بینه و بین «محمّـد» نبیی فاثره بالحیاة علی نفسه؟ أو قال: قد علی فراشه یقیه بمهجته.

ثم أمرهما بالهبوط إلی الأرض و حراسة علیّ و حفظه من عدوه «۱».

(۲) و اما الدلیل الثانی الذی یستفید منه ابن تیمیة أن علیّا کان یعلم بمصیره هو توصیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله له بأداء الامانات و الودائع إلی أهلها، التی کانت تکشف عن ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یعلم بأنه لن یصل إلیه مکروه، و لهذا امره بردّ الودائع و الامانات إلی أصحابها.

و لکنّنا نعتقد ان فی مقدورنا الحصول علی حلّ لهذه المشکلة إذا استعرضنا بقیة قصة الهجرة بشکل صریح و کامل.

و إلیک بقیّة قصة الهجرة.

الخطیب و قضیة المبیت:

و ینبغی أن نختم هذا الفصل بما کتبه الاستاذ عبد الکریم الخطیب حول

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۳۹ نقلا عن احیاء العلوم للغزالی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۱

مبیت علی علیه السلام فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث قال: لقد دعا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا لیلة الهجرة، و طلب إلیه أن یبیت فی المکان الذی اعتاد الرسول صلّی اللّه علیه و آله ان یبیت فیه، و ان یتغطی بالبرد الحضرمیّ الذی کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یتغطی به حتی اذا نظر ناظر من قریش الی الدار رأی کأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله نائم فی مکانه مغطی بالبرد الذی یتغطی به، و هذا الذی کان من علیّ فی لیلة الهجرة اذا نظر إلیه فی مجری الاحداث التی عرضت للامام علی فی حیاته بعد تلک اللیلة فانه یرفع لعینی الناظر أمارات واضحة و اشارات دالة علی ان هذا التدبیر الذی کان فی تلک اللیلة لم یکن أمرا عارضا بل هو عن حکمة لها آثارها- الی ان قال- انه اذا غاب شخص الرسول کان علی هو الشخصیة المهیّأة لأن تخلفه و تمثّل شخصه و تقوم مقامه، حین نظرنا إلی علیّ و هو فی برد الرسول و فی مثوی منامه الذی اعتاد أن ینام فیه فقلنا: هذا خلف الرسول صلّی اللّه علیه و آله و القائم مقامه «۱».

(۱)

بقیة قصة هجرة النبیّ:

انتهت المراحل الاولی لنجاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله وفق تخطیط صحیح، بنجاح، فقد لجأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی منتصف اللیل الی غار ثور، و اختبأ فیه، و بذلک أفشل محاولة المتآمرین علیه.

و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طوال هذا الوقت مطمئنا لا یحسّ فی نفسه بأیّ قلق أو اضطراب، حتی انه طمأن رفیق سفره عند ما وجده مضطربا فی تلک اللحظات الحساسة بقوله:

«لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» «۲».

و بقی هناک ثلاث لیال محروسا بعین اللّه تعالی و مشمولا بعنایته و لطفه،

---

(۱) راجع کتاب علی بن أبی طالب بقیّة النبوّة و خاتم الخلافة ص ۱۰۳- ۱۰۵ ملخّصا.

(۲) التوبة: ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۲

و کان یتردّد علیه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الاثناء علی علیه السلام و هند ابن ابی هالة (ابن خدیجة) علی روایة الشیخ الطوسی فی أمالیه، و عبد اللّه بن أبی بکر و عامر بن فهیرة راعی اغنام أبی بکر (بناء علی روایة کثیر من المؤرّخین).

یقول ابن الاثیر. کان عبد اللّه بن أبی بکر یتسمّع لهما بمکة نهاره ثم یأتیهما لیلا، و کان یرعی غنمه نهاره علی مقربة من الغار، و کان اذا غدا من عندهما عفی علی أثر الغنم «۱».

(۱) یقول الشیخ الطوسی فی أمالیه: عند ما دخل علی علیه السلام و هند علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الغار (بعد لیلة الهجرة) أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا أن یبتاع بعیرین له و لصاحبه، فقال أبو بکر: قد کنت أعددت لی و لک یا نبی اللّه راحلتین نرتحلهما الی یثرب.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنی لا آخذهما و لا أحدهما إلّا بالثمن. ثم أمر صلّی اللّه علیه و آله علیّا علیه السلام فدفع إلیه. ثمن البعیرین «۲».

و کان من جملة وصایا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السلام فی الغار فی تلک اللیلة ان یؤدی أمانته علی أعین الناس ظاهرا و ذلک بأن یقیم صارخا بالابطح غدوة و عشیا: ألا من کان له قبل محمّد أمانة او ودیعة فلیأت فلنؤد إلیه أمانته «۳».

(۲) ثم أوصاه صلّی اللّه علیه و آله بالفواطم (و الفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الحبیبة لدیه، و الأثیرة عنده، و فاطمة بنت أسد أمّ علیّ علیه السلام و فاطمة بنت الزبیر و من یرید الهجرة معه من بنی هاشم)، و أمره بترتیب أمر ترحیلهم معه الی یثرب و تهیئة ما یحتاجون إلیه من زاد و راحلة.

و هنا قال صلّی اللّه علیه و آله عبارته التی تذرّع بها ابن تیمیة فی دلیله

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۷۳ مع تصرف.

(۲) أمالی الشیخ: ح ۲ ص ۸۲. سید المرسلین ج۱ ۶۰۲ بقیة قصة هجرة النبی: ..... ص : ۶۰۱

(۳) الکامل: ج ۲ ص ۷۳، السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۵۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۳

الأول: «انهم لن یصلوا من الآن إلیک یا علیّ بامر تکرهه حتی تقدم علیّ».

(۱) فالملاحظ للقارئ هو أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنما قال هذه العبارة عند ما أمره باداء أمانته، و ذلک بعد انقضاء قضیة لیلة المبیت.

أی انه أمر علیا بذلک، و قال له تلک العبارة و هو یتهیّأ للخروج من غار ثور.

یقول الحلبی فی سیرته: «وصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی احدی اللیالی و هو بالغار علیا رضی اللّه عنه بحفظ ذمته و اداء امانته ظاهرا علی اعین الناس» «۱».

و ثم ینقل عن مؤلف کتاب «الدر» ما یقتضی انه اجتمع به عند خروجه من لغار.

و خلاصة القول: انه مع روایة شیخ جلیل من مشایخ الشیعة الامامیة کالشیخ الطوسی بالاسناد الصحیحة أن الأمر بردّ الودائع و الامانات

صدر من جانب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی علیّ علیه السلام بعد لیلة المبیت لا یحقّ لنا أن نعارض هذا النقل الصحیح، و نعمد إلی الهاء العامة بالتوافه، و أما روایة مؤرخی اهل السنة هذا المطلب بشکل آخر یوحی ظاهره بأن جمیع وصایا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ تمت فی لیلة واحدة هی لیلة الهجرة (لیلة المبیت) فقابل للتفسیر و التوجیه، لأنه لا یبعد أن عنایتهم کانت مرکزة علی روایة أصل الموضوع، و لم یکن لظرف صدور هذه الوصایا و الأوامر و وقت بیانها اهمیة عندهم.

(۲)

الخروج من الغار:

هیّأ علی علیه السلام بأمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ثلاث رواحل و دلیلا امینا یدعی أریقط لیترحلوها إلی المدینة، و یدلّهم الدلیل علی طریقها و أرسل کل ذلک إلی الغار.

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۴

و لما سمع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله رغاء البعیر او نداء الدلیل نزل هو و صاحبه من الغار و رکبا البعیرین و توجها من أسفل مکة إلی «یثرب» سالکین إلی ذلک الخط الساحلی، و قد جاء ذکر المنازل التی مرّا بها فی السیرة النبویة لابن هشام «۱» و فی الهوامش المثبتة علی التاریخ الکامل لابن الاثیر «۲».

(۱)

صفحة التاریخ الاولی:

اجل لقد حلّ الظلام فی کل مکان، و لملمت الشمس أشعّتها الذهبیة من هذا الوجه من الکرة الأرضیة لتوجّهها الی الوجه الآخر منها.

و عاد جماعة من رجال قریش الذین سلکوا کل طریق فی مکة و ضواحیها بحثا عن النبیّ، ثلاثة أیام، بلیالیها، الی بیوتهم و منازلهم متعبین مرهقین، و قد یئسوا من الظفر بالجائزة (و هی مائة من الإبل) التی وضعتها سادة قریش جائزة لمن یأخذ محمّدا أو یدل علی مکانه، و اعید فتح طریق مکة- المدینة التی اغلقت لهذه الغایة بعد الیأس من الظفر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- «۳».

و فی هذه اللحظات بالذات بلغ نداء الدلیل الذی کان یصطحب معه ثلاث رواحل و مقدارا من الطعام، الی مسمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رفیقه و هما فی الغار و قد کان یقول بصوت خافت: لا بد ان نتخذ من ظلام هذا اللیل سترا، و نسرع فی الخروج من حدود المکیین، و نختار طریقا یقلّ سالکوه و لا یهتدی إلیه أحد.

و یبدأ تاریخ المسلمین من العام الذی تضمّن تلک اللیلة بالضبط، و جعل المسلمون یقیسون کل ما یقع من الحوادث بذلک العام و بذلک یحددون تاریخه و زمان حدوثه.

---

(۱) السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱ ص ۴۹۱.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۷۵.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۰۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۵

(۱)

لما ذا أصبح العام الهجری مبدأ للتاریخ:

إن الاسلام أکمل الشرائع السماویة قاطبة، و قد جاء الی البشریة بما تتضمنه بشریعة موسی و عیسی علیهما السلام و لکن بصورة أکمل و بصیغة تطابق و تتمشی مع جمیع الظروف و الأوضاع.

و مع أن السید المسیح علیه السلام و میلاده المبارک یحظی بالاحترام عند المسلمین إلّا أنّ میلاده علیه السلام لم یتخذ لدیهم مبدأ للتاریخ، و التوقیت.

و کانت العرب قد جعلت عام الفیل «۱» مبدأ لتاریخها، و کانت تقیس حوادثها و امورها إلیه فترة من الزمن، و مع أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قد ولد فی ذلک العام نفسه، إلّا أن المسلمین لم یتخذوه مع ذلک مبدأ للتاریخ، لأنه لم یکن ینطوی علی ما یتصل بقضیة الإیمان و الاسلام

و لاجل هذا أیضا لم یتخذوا عام البعثة مبدأ لتاریخ المسلمین أیضا لأن عدد المسلمین لم یکن یتجاوز فی ذلک الیوم ثلاثة أشخاص، إذن فلم یکن فی ای واحد من تلک الحوادث ما یعطی مبررا قویا لاتخاذه مبدأ للتوقیت و التاریخ، إذ لا بد ان یکون ما یتخذ لذلک قضیة مصیرة بالغة الأهمیة.

و لکنه فی السنة الاولی من الاعوام الهجریة حقق المسلمون انتصارا عظیما و باهرا، و قد اسست فیه حکومة مستقلة و تخلّص المسلمون من التشرذم و التبعثر، و تمرکزت قواهم و عناصرهم فی نقطة واحدة، و بیئة حرة لا أثر فیها للکبت و الاضطهاد، من هنا جعلوا ذلک العام (أی العام الذی تحققت فیه هجرة النبیّ العظیم) مبدأ لتاریخهم، و اخذوا یقیسون إلیه- و حتی الآن- کل ما یحدث و یقع من خیر و شر، لتحدید تاریخ وقوعه.

من هنا یکون قد مضی علی عام هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی المدینة الف و اربعمائة و تسعة اعوام.

---

(۱) و هو العام الذی سیّر فیه أبرهة جیشا لهدم الکعبة تتقدمه الفیلة. راجع المحبّر: ص ۵- ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۶

(۱)

من الذی جعل الهجرة مبدأ للتاریخ؟

علی العکس مما هو مشهور بین المؤرخین من أن الخلیفة الثانی جعل هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مبدأ للتاریخ باقتراح و تأیید من الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام و امر بأن تؤرخ الدواوین، و الرسائل و العهود و ما شابه ذلک بذلک التاریخ، فان الامعان فی مراسلات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و مکاتباته التی هی مدرجة فی الأغلب فی کتب التاریخ و السیرة و الحدیث و السنة، و کذا غیر ذلک من الادلة التی سوف نذکرها فی هذه الصفحات یثبت أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو نفسه أول من اعتمد تلک الحادثة الکبری کمبدإ للتاریخ،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۹

و کان یؤرّخ رسائله، و کتبه إلی امراء العرب، و زعماء القبائل و غیرهم من الشخصیات البارزة بذلک التاریخ (أی التاریخ الهجری).

و ها نحن ندرج هنا نماذج من تلک الرسائل النبویة المؤرخة بهذا التاریخ، ثم نعمد بعد ذلک الی استعراض الدلائل الاخری علی هذا الأمر، و نحن نحتمل ان تکون هناک أدلة اخری غیر ما سنذکره هنا- أیضا- لم نقف علیها.

(۱)

نماذج من رسائل النبیّ المؤرخة:

اشارة

(۲) ۱- طلب سلمان من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یکتب له و لأخیه (ماه بنداذ) و لأهله وصیة مفیدة ینتفع بها، فاستدعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا و أملی علیه امورا، و کتبها علی علیه السلام ثم جاء فی آخر تلک الوصیة:

«و کتب علی بن أبی طالب بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی رجب سنة تسع من الهجرة» «۱».

(۳) ۲- أدرج المؤرخ الشهیر «البلاذری» فی کتابه «فتوح البلدان» نصّ معاهدة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع یهود «المقنا» و ذکر أن مصریا رأی نص هذه المعاهدة فی جلد أحمر اللون عتیق و کان قد استنسخها، فقر أهالی.

ثم نقل البلاذری نص تلک المعاهدة و قد جاء فی نهایتها:

«و لیس علیکم امیر الامن انفسکم أو من اهل بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم و کتب علی بن أبو طالب فی سنة تسع» «۲»

و مع أن «أبا طالب» یجب أن یکتب حسب القواعد الادبیة فی المقام «أبی طالب» لکونه مضافا إلیه فقد کتب: «علی بن أبو طالب» و لکن مع ذلک ذکر المحققون ان قبیلة قریش کانت تتلفظ لفظة أب فی جمیع الموارد (أی فی حالة النصب و الرفع و الجرّ) ب:

«أبو» و تکتبها کذلک أیضا، و قد صرح الاصمعیّ بهذا من بین الادباء.

و یقول البروفیسور «محمّد حمید اللّه» مؤلف کتاب «الوثائق السیاسیة»: انی

---

(۱) اخبار اصفهان تألیف ابی نعیم: ج ۱ ص ۵۲ و ۵۳.

(۲) فتوح البلدان: ص ۷۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۰

لما کنت فی المدینة المنورة فی شهر محرم سنة ۱۳۵۸ وجدت فی الکتابة القدیمة التی فی جنوبی جبل سلع فی المدینة المنورة «أنا علی بن أبو طالب» «۱».

(۱) ۳- جاء فی معاهدة الصلح التی نظمها «خالد بن الولید» لاهل دمشق، و نص فیها علی احترام دمائهم، و اموالهم و کنائسهم: «و کتب سنة ثلاث عشرة» «۲».

و کلنا نعلم أن دمشق فتحت فی أواخر حیاة الخلیفة الأوّل.

فما یدعیه البعض من ان التاریخ الهجری قد اتخذ فی عهد الخلیفة الثانی بارشاد و تأیید من الإمام علی علیه السلام غیر صحیح فان تاریخ ذلک یرتبط بالسنة السادسة عشرة او السابعة عشرة من الهجرة، و الحال ان هذه المعاهدة قد نظّمت و دوّنت و ارخت بالتاریخ الهجری قبل ذلک بأربع سنوات.

(۲) ۴- ان کتاب الصلح الذی کتبه الإمام علیه علیه السلام بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لنصاری نجران مؤرّخ بالسنة الهجریة الخامسة.

فقد جاء فی هذه الرسالة:

«و أمر علیا ان یکتب فیه انه کتب لخمس من الهجرة» «۳».

ان هـذه الجملة تفید بوضوح ان النبیّ الاکرم صـلّی اللّه علیه و آله هو واضع التاریخ الهجری و مؤسـسة الاوّل و هو الذی أمر علیا علیه السلام بان یؤرخ ذلک الکتاب بالتاریخ الهجری فی ذیله.

(۳) ۵- جاء فی مقدمة الصـحیفة السجادیة: قال جبرئیل و هو یفسر رؤیا رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «تدور رحی الاسلام من مهاجرک فتلبث بذلک عشر، ثم تدور رحی الاسلام علی رأس خمس و ثلاثین من مهاجرک فتلبث بذلک خمسا، ثم لا بد من رحی ضلالة هی قائمة علی قطبها» «۴».

---

(۱) مکاتب الرسول: ص ۲۸۹ نقلا عن شرح ملا علی القاری لشفاء القاضی عیاض، و کذا الوثائق السیاسیة.

(۲) الاموال: طبعة مصر ص ۲۹۷.

(۳) التراتیب الاداریة: ج ۱ ص ۱۸۱ نقلا عن السیوطی.

(۴) مقدمة الصحیفة السجادیة، سفینة البحار: ج ۲ ص ۶۴۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۱

(۱) ۶- یروی المحدثون الاسلامیّون أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لام سلمة:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یقتل حسین بن علی علی رأس ستین من مهاجری» «۱».

(۲) ۷- قال أنس بن مالک: «حدثنا أصـحاب النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: لا تأتی مائة سنة من الهجرة و منکم عین تطرف» «۲».

(۳) ۸- أرخ أصـحاب النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله فی ایام حیاته الحوادث الاسـلامیة بهجرته فقالوا: وقع کذا فی الشهر کذا من الهجرة، مثلا کانوا یقولون:

حولت القبلة من بیت المقدس الی الکعبة فی شهر شعبان ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او ثمانیة عشر شهرا «۳».

علی رأس ثمانیة عشر شهرا فرض صوم شهر رمضان «۴».

و قال عبد اللّه بن انیس أمیر الوفد الذی بعثه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

خرجت من المدینة یوم الاثنین لخمس خلون من المحرم علی رأس أربعة و خمسین شهرا «۵».

و قال محمّد بن سلمة عن غزوة القرطاء: خرجت فی عشر لیال خلون من المحرم فغبت تسع عشرة و قدمت للیلة بقیت من المحرم علی رأس خمسة و خمسین شهرا «۶».

إنّ هذا النوع من تاریخ الحوادث و الوقائع یکشف عن ان المسلمین کانوا الی السنة الخامسة من الهجرة یقیسون الحوادث بهجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یؤرخون بها عن طریق عدّ الأشهر، حتی إذا کانت السنة الخامسة من الهجرة

---

(۱) مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۹۰.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۶۷.

(۳) نفس المصدر: ج ۱ ص ۳۶۸.

(۴) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱ تحقیق الدکتور مارسدن جونس.

(۵) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱.

(۶) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۲

أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله باحلال السنة الهجریة مکان الشهر الهجری (کما مرّ فی الرسالة رقم ۴) حیث أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بان یورّخ الکتاب الذی کتبه لنصاری نجران بالعام الهجری.

(۱) ۹- نقل المحدثون الاسلامیون عن الزهری قوله: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما قدم المدینة مهاجرا أمر بالتاریخ فکتب فی ربیع الأوّل (ای شهر قدومه المدینة) «۱».

(۲) ۱۰- روی «الحاکم» عن «ابن عباس» ابن التاریخ الهجری بدأ من السنة التی قدم فیها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله المدینة «۲».

إن هذه النصوص تحکی عن أنّ قائد الاسلام الأکبر قد أوضح مسألة التاریخ من الیوم الاول. و انه جعل هجرته مبدأ لذلک التاریخ. غایة ما هنا لک أن هذا التاریخ کان إلی فترة من الزمن یعدّ بالأشهر ثم حل العدّ بالأعوام منذ حلول السنة الخامسة من الهجرة محل العدّ بالأشهر.

(۳)

سؤال:

و یمکن ان یسأل سائل: اذا کان حقا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو مؤسس التاریخ الهجری و واضعه الاوّل فما ذا نفعل بالخبر الذی رواه کثیر من المحدثین و المؤرخین.

فانهم یقولون: رفع رجل إلی عمر صکا مکتوبا علی آخر بدین یحلّ علیه فی شعبان فقال عمر: ای شعبان؟ أمن هذه السنة أم التی قبلها أم التی بعدها؟

ثم جمع الناس (أی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) فقال: ضعوا للناس شیئا یعرفون به حلول دیونهم ... فیقال: ان بعضهم أراد أن یؤرخوا کما تؤرخ الفرس بملوکهم کلما هلک ملک أرّخوا من تاریخ ولایة الذی بعده فکرهوا ذلک.

---

(۱) فتح الباری: ج ۷ ص ۲۰۸، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۸۸ طبعة دار المعارف.

(۲) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۳ و ۱۴ و قد صححه علی شرط مسلم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۳

و منهم من قال: ارخوا بتاریخ الروم من زمان اسکندر فکرهوا ذلک لطوله أیضا.

و قال آخرون: أرّخوا من مولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و قال آخرون: أرخوا من مبعثه. و اشار علی بن أبی طالب علیه السلام أن یؤرخ من هجرة الی المدینة لظهوره علی کل أحد، فانه أظهر من المولد و المبعث، فاستحسن عمر ذلک و الصحابة، فأمر عمر أن یؤرخ من هجرة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۱».

(۱)

الجواب:

إنّ هذا القسم من التاریخ لا یمکن الاستناد إلیه فی مقابل النصوص الکثیرة التی وصفت الرسول العظیم صلّی اللّه علیه و آله بکونه واضع التاریخ الهجری و مؤسسة الأول.

هذا مضافا إلی أنه من الممکن أن یکون التاریخ الهجری الذی وضعه النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله قد تعرّض للترک، و فقد

رسمیته بمرور الزمن و قلة الحاجة إلی التاریخ و لکن جدّد فی زمن الخلیفة الثانی، بسبب اتساع نطاق العلاقات و اعید الاهتمام به لاشتداد الحاجة إلیه فی هذا العهد.

(۲)

التذکیر بنقطتین:

(۳) ۱- لا نجد فی الاقتراحات التی عرضت علی الخلیفة فی مجال التاریخ أی ذکر للتاریخ المسیحی الذی یجعل میلاد السید المسیح علیه السلام مبدأ للتاریخ.

و العلة هی: أن التاریخ المیلادی ظهر فی القرن الرابع الاسلامی بین

---

(۱) البدایة و النهایة: ج ۷ ص ۷۳ و ۷۴، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۲ ص ۷۴، الکبیر لابن الاثیر: ج ۱ ص ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۴

المسیحیین بعد سلسلة من المحاسبات التخمینیة، فهو لم یکن رائجا قبل ذلک.

(۱) ۲- ان البلاد و الاقطار الاسلامیة بحاجة الیوم إلی الوحدة و الاتفاق اکثر من ای زمن مضی.

و من مظاهر تلک الوحدة هو السعی للحفاظ علی التاریخ الاسلامی الهجری.

و من هنا یتوجب علی الاقطار الاسلامیة ان تقیم کل روابطها، و علاقاتها علی أساس التاریخ الهجری، شمسیا کان أو قمریا.

و ان هذا الأمر بحاجة الی مؤتمر إسلامی کبیر یشترک فیه کبار الشخصیات الفکریة الاسلامیة من أجل توحید التاریخ، و دراسة السبل الکفیلة بالوصول الی هذا الأمر، و التخلّص من التبعیة الغربیة فی التاریخ.

ان من المؤسف جدا أن تتجاهل بعض الدول الاسلامیة و العربیة التاریخ الهجری و تعتمد التاریخ المیلادی المسیحیّ، حتی أن شیخ الجامع الازهر الذی یشکل قمة القیادة الدینیة فی المجتمع السنی یؤرخ رسائله بالتاریخ المیلادی، و لا یذکر الی جانبه التاریخ الهجری علی الأقل!! «۱»

(۲)

مؤامرة الطاغوت:

و کانت ایران من الاقطار الاسلامیة التی حافظت بشدة علی التاریخ الهجری، و اعتمدته فی اعمالها، و لکن فی المؤامرة التی نفّذت بواسطة الطاغیة المقبور فی عام ۱۳۹۹ ه استبدلت التاریخ الهجری بالتاریخ الشاهنشاهی و اعلن فی وسائل الاعلام عن وجوب اعتماد هذا التاریخ المختلق بدل التاریخ الهجری الاصیل!!

و لقد تصوّر الطاغوت الأرعن أنه یستطیع بحذف التاریخ الهجری، و استبداله

---

(۱) و قد رأیت أنا شخصیا رسالة من شیخ الجامع الأزهر الاسبق هو الشیخ محمود عبد الحلیم و علیها التاریخ المیلادی فحسب!!

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۵

بالتاریخ الشاهنشاهی المشؤوم تثبیت قواعد حکومته المهزوزة، و سلطانه المنخور، و نظامه الظالم المهترئ، مدة أطول، و لکن العنایة

الالهیة، و همة الشعب الإیرانی المسلم العالیة، و قیادة الاستاذ الاکبر آیة اللّه العظمی الإمام الخمینی قدّس سرّه الشریف أفشلت هذه المحاولة النکراء، و آل الأمر إلی اسقاط النظام الشاهنشاهی بثورة الشعب المجیدة و اقامة حکومة الجهوریة الاسلامیة علی انقاض الحکم الملکی المباد، و احلال التاریخ الهجری الاسلامی المبارک محلّ التاریخ الشاهنشاهی المختلق. و الحمد للّه «۱».

(۱)

برنامج الرحلة فی حادث الهجرة:

لقد کان علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یقطع- للوصول الی المدینة- ما یقرب من اربعمائة کیلومترا، و لا شک أن طیّ هذه المسافة الطویلة تحت تلک الحرارة العالیة الدرجة بحاجة إلی خطة صحیحة، لضمان السلامة، خاصة و انهم کانوا یخافون من ان یقوم الأعراب الذین کانوا ربما یصادفونهم فی اثناء الطریق باخبار قریش بهم، و لهذا کانوا یسیرون لیلا و یستریحون نهارا.

و یبدو أن شخصا شاهد النبیّ و من معه فی أثناء الطریق فرجع إلی مکة و أخبر قریشا بذلک فخرج «سراقة بن مالک بن جعشم» یطلبهم طمعا فی جائزة قریش الکبری فلحق برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد صرف قریشا عن ملاحقة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل ذلک لیتفرد بها. «۲»

(۲) یقول ابن الاثیر: تبعهم سراقة فلحقهم فقال أبو بکر: یا رسول اللّه ادرکنا الطلب، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لا تحزن إنّ اللّه معنا».

ثم قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «اللّهم اکفنی شرّ سراقة بما شئت» فجمح به فرسه و طرحه أرضا.

---

(۱) یستخدم فی ایران تاریخ هجری آخر هو التاریخ الهجری الشمسی و هو ینفع لمعرفة الفصول و ما شاکل ذلک.

(۲) التاریخ الکامل: ج ۲ ص ۱۰۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۶

فعلم سراقة أن هذا من دعاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لهذا قال بنبرة المعتذر الملتمس: یا محمّد هذه إبلی بین یدیک فیها غلامی.

و ان احتجت الی ظهر (ای مرکوب) أو لبن فخذ منه فقد حکّمتک فی مالی.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لا حاجة لی فی مالک. «۱».

(۱) و روی المجلسی ان سراقة قال: فسلنی حاجة.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ردّ عنّا من یطلبنا من قریش.

فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قریش فی الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطریق فلم یمرّ فیه أحد، و أنا اکفیکم هذا الطریق فعلیکم بطریق الیمن و الطائف.

و هکذا ما کان یمرّ باحد إلّا و صرفه عن البحث عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی هذا الطریق بمثل هذا الکلام.

(۲) ثم إن کتّاب السیرة من الشیعة و السنّة یذکرون لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کرامات کثیرة فی طریق مکة- المدینة و نحن ندرج واحدة بعضها:

مرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أثناء الطریق علی خیمة أمّ معبد و کانت امرأة شجاعة فاضلة فنزلوا بخیمتها و طلبوا منها تمرا و لحما أو لبنا یشترون.

فقالت: ما يحضرني شيء و كانت أغنامها قد اصيبت بالهزال بسبب الجدب، فنظر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى شاة في جانب من الخيمة فقال صلّى اللّه عليه و آله لها: ما هذه الشاة يا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد من الغنم فقال: هل بها من لبن؟.

قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أ تأذنين ان أحلبها؟

---

(۱) يذكر كثير من المؤرخين كابن الاثير في الكامل: ج ۲ ص ۱۰۵، و المجلسي في البحار: ج ۱۹ ص ۷۵- ۸۸ القصة كما نقلناها هنا، و لكن مؤلف حياة محمّد يقول: ان سراقة تطيّر لما كبابه فرسه و القى في روعه أن الآلهة مانعة منه ضالّته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۷

قالت: نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها.

(۱) فدعا بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فمسح بيده ضرعها، و سمّى اللّه عز و جل، و دعا لها في شاتها قائلا: اللّهم بارك لها في شاتها فدرّت لبنا كثيرا بفضل دعائه صلّى اللّه عليه و آله، فطلب إناء و حلبها، فسقاها أولا حتى روّيت ثم سقى أصحابه حتى رووا و شرب هو آخرهم، و قال:

«ساقي القوم آخرهم شربا».

ثم حلب الشاة مرة ثانية فغادره عندها، و ثم ارتحلوا عنها إلى المدينة. «۱»

و قد ذكرت هذه الكرامة في كثير من كتب السيرة و التاريخ، و هو أمر ممكن في رؤية المؤمن باللّه، لأن الدعاء أحد الاسباب التي تستطيع أن تؤثر في الطبيعة، و شأنها شأن غيرها من الكرامات التي ورد ذكرها في الكتب الدينية و صدقته التجربة «۲».

(۲)

النزول في قرية قباء:

تقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد الى مكة و كانت مساكن «بني عمرو بن عرف» و مركزهم.

و لقد وصل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من معه إلى قباء في الثاني عشر من شهر ربيع الاول يوم الاثنين، و نزل على «كلثوم بن الهرم» و هو شيخ من بني عمرو و كان ثمة جمع كبير من المهاجرين و الانصار ينتظرون قدومه، و يستخبرون وروده.

و لقد لبث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في قباء إلى آخر أيام الاسبوع، و قد خط في هذا الفترة مسجدا لقبيلة «بني عمرو بن عوف»، و نصب قبلته «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۷۵.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۳ و ج ۱۹ ص ۹۹- ۱۰۳، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۳۰ و ۲۳۱، تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۳۳، أسد الغابة: ج ۱ ص ۳۷۷.

(۳) تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۸

و كان البعض ممن رافق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصرّ عليه أن يسارع في الدخول إلى المدينة، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان ينتظر ابن عمه عليا.

و يقول: فما أنا بداخلها حتى يقدم ابن امّي و أخي، و ابنتي (يعني عليّا و فاطمة عليهما السلام) «۱».

(۱) و أقام علیّ علیه السلام بمکة ثلاث لیال بایامها، حتی أدّی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الودائع التی کانت عنده للناس فقد وقف علیه السلام علی مکان مرتفع فی مکة و نادی قائلا:

«من کان له قبل محمّد أمانة أو ودیعة فلیأت فلنؤدّ إلیه أمانته».

فکان یأتیه من له امانة او ودیعة عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یذکر علامتها و یأخذها فلما فرغ علیه السلام من اداء الامانات و الودائع خرج بفاطمة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمه فاطمة بنت اسد، و فاطمة بنت الزبیر و آخرین ممن لم یکن قد هاجر مکة حتی تلک الساعة، و توجه بهم نحو المدینة لیلا سالکا بها طریقا فی «ذی طوی».

(۲) کتب الشیخ الطوسی فی أمالیه فی هذا الصدد یقول: إن جواسیس قریش عرفت بسفر علی مع تلک الجماعة، فخرجوا لملاحقتهم، لغرض اعادتهم الی مکة، فادرکوهم فی منطقة «ضجنان».

و وقع بین رجال قریش و بین علی علیه السلام تلاح و تناوش، و أخذ و ردّ، و دنا الرجال من النسوة، و المطایا لیثوروها فحال علیّ علیه السلام بینهم، و بینها، و لم یجد علیه السلام طریقا إلّا أن یدافع عن حرم الاسلام و المسلمین، فشدّ علیهم بسیفه شدّة الأسد الغضب و اللیث الغیور و هو یقول مرتجزا:

خلّوا سبیل الجاهد المجاهدآلیت لا أعبد غیر الواحد

---

(۱) الفصول المهمة لابن صباغ المالکی: ص ۳۵ دون ان یذکر اسما، و أمالی الشیخ الطوسی: ج ۲ ص ۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۹

(۱) فلما وجدوا ما به من الجدّ و الغضب خافوه و تفرّقوا عنه و قالوا- بنبرة الخائف المتضرع-: احبس عنّا نفسک یا ابن أبی طالب، فقال علیه السلام:

«فإنّی منطلق إلی ابن عمّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیثرب فمن سرّه ان افری لحمه و اهریق دمه فلیتبعنی، و لیدن منی».

فترکه القوم و عادوا من حیث أتوا، و واصل الرکب رحلته باتجاه المدینة.

یقول ابن الاثیر: قدم «علی» المدینة و قد تفطّرت قدماه، فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ادعوا لی علیّا، قیل: لا یقدر أن یمشی، فأتاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و اعتنقه و بکی رحمة لما بقدمیه من الورم «۱».

و لقد قدم رسول اللّه قباء فی الثانی عشر من شهر ربیع الأول، و التحق به علی علیه السلام فی منتصف ذلک الشهر نفسه «۲»، و یؤید هذا القول ما ذکره الطبری فی تاریخه اذ کتب یقول: و اقام علی بن ابی طالب رضی اللّه عنه بمکة ثلاث لیال و أیامها حتی أدی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم الودائع التی کانت عنده الی الناس «۳».

(۲)

المدینة تهبّ لقدوم النبیّ:

و لقد کان یوم دخول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوما عظیما جدا، و مشهودا.

فکم تری ستکون عظیمة فرحة الذین آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله منذ ثلاث سنوات، و ظلوا طوال هذه الأعوام یبعثون برسلهم و وکلائهم إلیه، و یذکرون اسمه المقدس، و یصلّون علیه فی صلواتهم کل یوم، إذا سمعوا أن

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۰۶.

(۲) إمتاع الأسماع: ص ۴۸ و علی هذا تکون محاصرة بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد تمّت ثلاث لیال قبل شهر ربیع الاول من السنة الاولی من الهجرة، و قد خرج النبیّ من داره لیلة الاثنین و دخل غار ثور و بقی ماکثا فیه ثلاثة أیام، و خرج منه لیلة الخمیس اول ربیع الاول و توجه نحو المدینة و وصل قباء فی الثانی عشر منه راجع تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۷- ۳۳۸.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۰

قائدهم ذلک الذی طال انتظارهم ایاه، و اشتد تشوقهم إلیه کائن عند میلین من مدینتهم قد نزل فی قبا ایاما، و سیقدم إلیهم و یدخل مدینتهم بعد ایام؟ و کم سیکون مبلغ ابتهاجهم، و أی ابتهاج تری سیعم کل صغیر و کبیر؟

إنه حقا لأمر یعجز القلم عن بیانه، و یکل اللسان عن وصفه.

(۱) و لقد کان لفتیة الأنصار و شبابهم الضامئین إلی الاسلام الحنیف برنامج رائع و عظیم، فقد کانوا عمدوا بغیة تطهیر جوّ المدینة من ادران الوثنیة الی کل صنم فی المدینة کان یقدّس و یعبد فاحرقوه و کسّروه، و قد کان کل شریف فی بیته صنم یمسحه و یطیّبه، و لکل بطن من الأوس و الخزرج صنم فی بیت لجماعة یکرّمونه و یطیّبونه، و یجعلون علیه مندیلا و یذبحون له «۱».

و لا بأس فی أن نذکر نموذجا من هذا العمل الجلیل الذی قام به الانصار فی التخلّص من الوثنیة:

لما قدم من بایع من الأنصار فی العقبة الثانیة الی المدینة اظهروا الاسلام بها و فی قومهم بقایا من شیوخ لهم علی دین الشرک و عبادة الأوثان منهم «عمرو بن الجموح» و کان من سادات بنی سلمة و شریفا من أشرافهم و کان ابنه «معاذ» بن عمرو قد شهد بیعة العقبة.

(۲) و کان عمرو هذا قد اتخذ فی داره صنما من خشب یقال له: مناة، کما کانت الاشراف یصنعون، تتخذه إلها تعظّمه و تطهّره، فلما أسلم فتیان بنی سلمة: معاذ بن جبل، و ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح کانوا یتسلّلون فی اللیل إلی صنم عمرو بن الجموح فیحملونه و یطرحونه فی بعض حفر بنی سلمة و مزابلها، و فیها فضلات الناس و عذرها منکّسا علی رأسه!!

فاذا أصبح عمرو قال: ویلکم من عدا علی آلهتنا هذه اللیلة؟

ثم یغدو یلتمسه حتی إذا وجده غسله و طهّره و طیّبه. ثم قال للصنم: أما و اللّه لو أعلم من فعل هذا بک لأخزینّه!

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۱

فاذا أمسی و نام عمرو عدوا علیه ثانیة ففعلوا به مثل ما فعلوا به أولا.

فیغدو فیجده فی مثل ما کان فیه من الأذی و الوسخ فیغسله و یطهّره و یطیّبه، ثم یعدون علیه إذا امسی فیفعلون به مثل ذلک.

(۱) فلما اکثروا علیه استخرجه من حیث ألقوه یوما فغسله و طهّره و طیّبه ثم جاء بسیفه فعلقه علیه، ثم قال: إنّی و اللّه ما أعلم من یصنع بک ما تری، فإن کان فیک خیر فامتنع، و دافع عن نفسک فهذا السیف معک.

فلما أمسی و نام عمرو عدوا علی ذلک الصنم فأخذوا السیف من عنقه، ثم أخذوا کلبا میّتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فی بئر من آبار بنی سلمة فیها عذر من عذر الناس و فضلاتهم. ثم غدا عمرو بن الجموح فلم یجده فی مکانه الذی کان به.

فخرج یتبعه حتی وجده فی تلک البئر منکسا مقرونا بکلب، میّت، فلما رآه و أبصر شأنه و کلّمه من اسلم من رجال قومه فاسلم، و هجر الوثنیة و الأوثان و حسن إسلامه.

فقال حین أسلم و عرف من اللّه ما عرف و هو یذکر صنمه ذلک، و ما أبصر من شأنه و یشکر اللّه تعالی الذی أنقذه مما کان فیه من العمی و الضلالة:

و اللّه لو کنت إلها لم تکن‌أنت و کلب وسط بئر فی قرن

افّ لملقاک إلها مستدنالآن فتشناک عن سوء الغبن

فالحمد للّه العلی ذی المننالواهب الرزاق دیّان الدین

هو الّذی أنقذنی من قبل أنأکون فی ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدی النبیّ المرتهن

«۱»

النبیّ یدخل المدینة:

(۲) بعد أن التحق علی علیه السلام و من معه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی قباء توجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی المدینة و لما انحدر من ثنیة الوداع (و

---

(۱) اسد الغابة: ج ۴ ص ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۲

هی منطقة قریبة من المدینة) و حط قدمه علی تراب یثرب استقبله الناس رجالا و نساء، کبارا و صغارا، استقبالا عظیما و رحّبوا به اعظم ترحیب، و ردّد المرحّبون أنا شید الترحیب التالیة:

طلع البدر علینامن ثنیات الوداع

وجب الشکر علیناما دعا للّه داع

أیّها المبعوث فیناجئت بالأمر المطاع (۱) و کانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده و أصرّت علیه بأن ینزل فی قباء و قالوا: أقم عندنا یا رسول اللّه فإنا أهل الجدّ و الجلد، و الحلقة (أی السلاح) و المنعة، و لکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لم یقبل.

و بلغ الأوس و الخزرج خروج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قرب نزوله المدینة فلبسوا السلاح و أقبلوا یعدون حول ناقته لا یمرّ بحیّ من أحیاء الانصار إلّا وثبوا فی وجهه و أخذوا بزمام ناقته و أصرّوا علیه بأن ینزل علیهم هذا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: خلّوا سبیلها فانها مأمورة.

و اخیرا لما انتهت ناقته- و کان صلّی اللّه علیه و آله قد أرخی زمامها- إلی باب المسجد الذی هو الیوم، و لم یکن مسجدا إنما کان أرضا واسعة لیتیمین من الخزرج یقال لهما: سهل و سهیل و کانا فی حجر أسعد بن زرارة فبرکت الناقة علی باب «ابی أیوب» خالد بن زید «۱» الانصاری الذی کان علی مقربة من تلک الأرض.

فاغتنمت أم أبی ایوب الفرصة فبادرت إلی رحل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فحلّته و أدخلته منزلها، بینما اجتمع علیه الناس و یسألونه أن ینزل علیهم.

فلما أکثروا علیه، و تنازعوا فی أخذه قال صلّی اللّه علیه و آله أین الرحل؟؟

فقالوا: یخوف أم أیوب قد ادخلته فی بیتها.

فقال صلّی اللّه علیه و آله: «المرء مع رحله» و أخذ اسعد بن زرارة بزمام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸ و لکن ذهب البعض کصاحب الکامل فی التاریخ الی أنهما کانا فی حجر معاد بن عفراء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۳

الناقة فحوّلها الی منزله «۱».

(۱)

أصل النفاق و منشؤه:

کانت الأوس و الخزرج قد اتفقتا علی أن تملّک عبد اللّه بن ابی بن سلول (رئیس المنافقین و کبیرهم) علیهم، و ذلک قبل أن تبایع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی العقبة و تؤمن به و تعتنق الاسلام، و لکن هذا القرار الغی بعد اتصال الأوس و الخزرج برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، من هنا حنق عبد اللّه بن ابی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اضمر له العداوة منذ ذلک الحین، و لم یؤمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی آخر حیاته، بل کان ینافق باسلامه.

و لما دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینة و شاهد عبد اللّه بن ابی ذلک الاستقبال و الترحیب العظیمین لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی قام بهما الأوس و الخزرج، شق علیه ذلک جدا، و لم یستطع اخفاء حنقه و غضبه، وحده و عداوته للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله!

فعند ما انتهی صلّی اللّه علیه و آله إلی عبد اللّه بن ابی- و قد أرخی صلّی اللّه علیه و آله زمام ناقته لتبرک حیث ترید، أخذ عبد اللّه کمّه و وضعه علی أنفه، و قد ثارت الغبرة بسبب الزحام و قال للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله بنبرة الحانق الغاضب: یا هذا اذهب إلی الّذین غرّوک و خدعوک و أتوا بک، فانزل علیهم، و لا تغشنا فی دیارنا!!

(۲) فقام سعد بن عبادة- و قد خشی أن یسوء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذا الموقف الوقح الشریر فقال: یا رسول اللّه لا یعرض فی قلبک من قول هذا شیء، فإنّا کنّا اجتمعنا علی ان نملّکه علینا، و هو یری الآن أنّک قد سلبته أمرا قد کان أشرف علیه «۲».

---

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۴۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۴

(۱) هذا و یتفق عامة المؤرخین و کتّاب السیرة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دخل یثرب یوم الجمعة، و صلّی صلاة الجمعة فی بنی سالم بن عوف فی بطن واد لهم، و کانت هذه اوّل جمعة جمّعها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الاسلام فخطب فی هذه الجمعة و هی أوّل خطبة خطبها فی المدینة، و قد ترکت هذه الخطبة البدیعة البلیغة التی لم یسمع اهل المدینة مثیلها لفظا و معنی من قبل، أثرا عمیقا و طیّبا فی قلوبهم و نفوسهم.

و قد أدرج ابن هشام نصّ الخطبة فی سیرته «۱» کما أدرجها المجلسی فی بحاره «۲» أیضا.

غیر أن عبارات و مضامین الخطبة التی نقلها ابن هشام و اثبتها فی سیرته تختلف عما رواها و اثبتها المجلسی، و للاطلاع علی ذلک یراجع المصدران المذکوران.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۰۰ و ۵۰۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۵

الفهارس

اشارة

۱- فهرس الآیات القرآنیة

۲- فهرس الأحادیث الشریفة

۳- فهرس الأشعار

۴- فهرس الأعلام

۵- فهرس القبائل و الامم

۶- فهرس الکنی و الألقاب

۷- فهرس الوقائع و الأیام

۸- فهرس الأماکن و البلدان

۹- فهرس المذاهب و الأدیان و نظم الحکم

۱۰- فهرس الموضوعات العلمیة المبحوثة

۱۱- فهرس المواضیع

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۷

(۱) فهرس الآیات القرآنیة

البقرة- ۲ الآیة رقمها الصفحة

وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ/ ۷۸/ ۲۴۱

وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ/ ۸۹/ ۲۸۱ و ۳۵۰

رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً/ ۱۲۶/ ۱۴۲ و ۱۴۵

رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا/ ۱۲۹/ ۳۵۰

إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی/ ۱۳۳/ ۱۳۱

إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً/ ۱۳۴/ ۲۴۰

وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ/ ۱۴۳/ ۳۰۸

الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ/ ۱۴۶/ ۳۴۹

إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ ۱۷۴/ ۳۴۹

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ/ ۱۸۵/ ۳۴۴

قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ/ ۱۸۹/ ۶۰۶

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ/ ۲۰۴/ ۵۹۵

کانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً/ ۲۱۳/ ۳۱۶

یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ/ ۲۱۹/ ۴۵

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَ/ ۲۳۱/ ۶۳

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَ/ ۲۳۳/ ۶۲

قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا/ ۲۷۵/ ۴۹
وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ/ ۲۷۵/ ۵۰
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا/ ۲۷۸ و ۲۷۹/ ۴۹
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۸
آل عمران- ۳ وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ/ ۳۷/ ۲۲۳
يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ/ ۴۲/ ۲۴۱
وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ/ ۴۹/ ۴۷۹
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ/ ۶۱/ ۴۷۹
وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً/ ۶۷/ ۲۴۰
وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ/ ۸۱/ ۳۴۸
وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ/ ۱۴۵/ ۳۵۵
وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً/ ۱۵۳/ ۴۲
وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ/ ۱۵۳/ ۶۶
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ/ ۱۶۴/ ۳۵۰
وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ/ ۱۸۷/ ۳۴۹
النساء- ۴ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ/ ۱۹/ ۶۳
وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ/ ۲۲/ ۶۹
كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها/ ۵۶/ ۴۴۱
وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً/ ۸۲/ ۴۴۹
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ/ ۱۷۱/ ۲۴۱
المائدة- ۵ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ/ ۳/ ۴۷
وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ/ ۴۵/ ۴۷۵
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ/ ۷۵/ ۱۰۱
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ/ ۹۰/ ۳۰۲
ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا .../ ۱۰۳/ ۴۴
وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ ۱۰۴/ ۴۷۵
الأنعام- ۶ وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ/ ۷/ ۴۳۶
وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ/ ۸/ ۴۷۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۹
وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ/ ۱۹/ ۳۵۱
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ/ ۵۰/ ۳۲۸
لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي/ ۷۷/ ۱۲۱
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ/ ۷۹/ ۱۲۵

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ .../ ۸۴/ ۲۳۹
وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ/ ۱۰۰/ ۴۳
الأعراف- ۷ وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ/ ۱۲۷/ ۱۲۱
وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ/ ۱۵۷/ ۴۵ و ۶۷ و ۸۳
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَ/ ۱۵۷/ ۲۲۴
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ/ ۱۵۷/ ۲۵۸
الأنفال- ۸ وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا/ ۳۰/ ۵۸۶
التوبة- ۹ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً/ ۳۶/ ۲۴۵
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ/ ۳۷/ ۴۹ و ۲۵۶
لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا/ ۴۰/ ۶۰۱
إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ/ ۸۴/ ۲۴۰
وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ/ ۱۰۰/ ۴۱۹
وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً/ ۱۲۲/ ۳۵۵
ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ/ ۱۱۳- ۱۱۴/ ۱۳۲
يونس- ۱۰ وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ .../ ۱۵/ ۳۱۰ و ۴۷۶
قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ/ ۱۶/ ۲۴۲ و ۳۰۰ و ۲۹۷
هود- ۱۱ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ/ ۱۳/ ۴۷۲
تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ/ ۴۹/ ۳۵۶
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۰
الرعد- ۱۳ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ/ ۳۸- ۴۰/ ۴۳۸
إبراهيم- ۱۴ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً/ ۳۵/ ۱۴۵
رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ/ ۳۷/ ۱۴۲
الحجر- ۱۵ وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ/ ۶/ ۴۷۲ و ۳۳۲
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ/ ۹/ ۴۹۱
إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ/ ۴۲/ ۴۹۶
فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ/ ۹۴/ ۳۹۲
إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ/ ۹۵/ ۴۱۳
النحل- ۱۶ وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا/ ۵۸ و ۵۹/ ۶
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا/ ۹۹/ ۴۹۶
وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ/ ۱۰۳/ ۲۳۵ و ۴۷۱
إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ .../ ۱۰۵ و ۱۰۶/ ۴۱۷
إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ/ ۱۲۰/ ۲۴۰
وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ/ ۱۲۷/ ۴۷۷

الإسراء- ۱۷ سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا/ ۱/ ۴۷۸ و ۵۳۸ و ۵۴۸
قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُ/ ۸۸/ ۱۸۱
وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ/ ۹۰ و ۹۳/ ۴۳۳ و ۴۳۵ و ۴۳۶ و ۴۷۷
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ/ ۳۸۵/ ۴۴۳
الکهف- ۱۸ وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ/ ۲۸/ ۴۷۷
مریم- ۱۹ یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ/ ۱۲/ ۲۹۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۱
وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِیًّا .../ ۱۴ و ۱۵/ ۲۴۲
وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ .../ ۱۶- ۳۳/ ۲۰۱ و ۲۲۲ و ۲۹۵
إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ/ ۴۲- ۴۷/ ۱۳۰
طه- ۲۰ طه ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی .../ ۱- ۸/ ۴۲۶
إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی .../ ۳۷- ۴۰/ ۲۰۰
رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ .../ ۵۰/ ۳۱۴
وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ .../ ۱۱۴/ ۳۴۶
الأنبیاء- ۲۱ بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ/ ۵/ ۳۳۱
وَ لَقَدْ آتَیْنا إِبْراهِیمَ رُشْدَهُ .../ ۵۱- ۷۰/ ۳۷
وَ تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ/ ۵۷/ ۱۳۸
فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا/ ۶۴/ ۱۳۹
وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ عاصِفَةً/ ۸۱/ ۲۳۸
الفرقان- ۲۵ تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ .../ ۱/ ۳۵۱
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْکٌ .../ ۴- ۶/ ۳۰۳- ۳۰۴ و ۴۷۲
وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها .../ ۵- ۶/ ۴۷۴
وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعامَ/ ۷/ ۴۷۵
لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً/ ۳۲/ ۴۴۳
کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ/ ۳۲/ ۴۴۲ و ۴۴۵
وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا/ ۳۲/ ۴۴۱
الشعراء- ۲۶ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ/ ۱۵۳/ ۴۷۲
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ/ ۱۹۳- ۱۹۵/ ۳۳۶
وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ/ ۲۱۴/ ۱۲۸ و ۳۹۲
وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ/ ۲۱۹/ ۱۹۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۲
النمل- ۲۷ وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً/ ۱۵/ ۲۳۸
القصص- ۲۸ وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی/ ۳۸/ ۱۲۱

وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ/ ۴۶/ ۳۰۸
وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ/ ۴۶/ ۴۲
وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ/ ۸۶/ ۲۹۷ و ۳۰۸
فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ/ ۸۶/ ۳۰۱
الأحزاب- ۳۳ ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ/ ۴۰/ ۳۵۱
سبأ- ۳۴ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ/ ۷ و ۸/ ۴۴
لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ/ ۱۵/ ۳۳
وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ/ ۲۸/ ۳۵۱
فاطر- ۳۵ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ/ ۳۶/ ۵۳۳
يس- ۳۶ وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ... فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ/ ۹/ ۵۸۸
ص- ۳۸ وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ .../ ۵ و ۶/ ۴۷۵
وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ .../ ۴۵- ۴۶/ ۲۳۹
وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ/ ۴۸/ ۲۴۰
فصّلت- ۴۱ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ .../ ۱- ۵/ ۴۳۱
إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا/ ۳۰/ ۴۵۳
الفتح- ۴۸ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ ۴/ ۱۷۷
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۳
الطور- ۵۲ فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ/ ۲۹/ ۴۷۲
النجم- ۵۳ وَ النَّجْمِ إِذا هَوى .../ ۱- ۵/ ۳۳۲
وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ... إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ/ ۳ و ۴/ ۴۹
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى/ ۴/ ۳۲۸
أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى ... وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى/ ۱۹ و ۲۰/ ۴۳ و ۴۹۳
أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى/ ۱۲، ۱۸/ ۵۳۹
الصف- ۶۱ وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ/ ۶/ ۳۷۹
وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ/ ۴۸/ ۴۷۵
القلم- ۶۸ وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ/ ۴/ ۲۵۹
وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ/ ۴۸/ ۴۷۷
الحاقة- ۶۹ وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ .../ ۴۲/ ۴۷۲
المزمّل- ۷۳ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ/ ۱۰/ ۴۷۷
المدثر- ۷۴ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ/ ۱ و ۳/ ۳۷۹
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ، وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ/ ۴- ۵/ ۲۹۷
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ/ ۵/ ۳۰۱
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً .../ ۱۱- ۳۰/ ۴۳۰

ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً .../ ۱۱- ۵۱/ ۴۶۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۴

النازعات- ۷۹ فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً/ ۵/ ۱۷۷

أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی/ ۲۴/ ۱۲۱

عبس- ۸۰ عَبَسَ وَ تَوَلَّی أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی .../ ۱- ۱۱/ ۴۸۱

التکویر- ۸۱ وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ/ ۸/ ۵۸

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ .../ ۲۰- ۲۸/ ۳۳۲

البروج- ۸۵ قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ/ ۴- ۹/ ۱۶۱

الضحی- ۹۳ وَ الضُّحی وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی .../ ۱- ۱۱/ ۳۸۰

أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی .../ ۶- ۷/ ۲۹۷

وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی .../ ۸/ ۲۹۸

الانشراح- ۹۴ أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ/ ۱- ۴/ ۳۰۰

وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ/ ۴/ ۲۰۹

العلق- ۹۶ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ .../ ۱- ۵/ ۳۲۲

القدر- ۹۷ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ/ ۱- ۳/ ۳۴۴

الفیل- ۱۰۵ أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ .../ ۱- ۵/ ۱۶۵

الکوثر- ۱۰۸ إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ/ ۱- ۴/ ۵۰۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۵

الکافرون- ۱۰۹ قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ/ ۴۷۶

المسد- ۱۱۱ تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ .../ ۱- ۵/ ۴۱۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۶

(۲) فهرس الأحادیث الشریفة

نصّ الحدیث القائل الصفحة آمنت قبل الناس بسبع سنین/ (علی)/ ۳۶۲

أ تعلمون أنّ اللّه فضّل فی کتابه السابق .../ (علی)/ ۳۶۳

اجتمعت علی هذه الامة مصیبتان .../ (النبی)/ ۳۶۴

أخذ اللّه علی الوحی میثاقهم .../ (علی)/ ۳۱۶

أ رأیتکم إن اخبرتکم أنّ العدوّ مصبحکم/ (النبی)/ ۴۰۱

أرسله علی حین فترة من الرسل/ (علی)/ ۹۲

أرسله بالضیاء و قدمه فی الاصطفاء/ (علی)/ ۹۴

ارسلت إلی الناس کافّة/ (النبی) ۳۵۱

استرضع لولدک بلبن الحسان/ (الباقر)/ ۲۱۸

أسلمت قبل ان یسلم الناس بسبع سنین/ (علی)/ ۳۱۶

اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة/ (علی)/ ۹۴

اعطیت الشفاعة و هی نائلة من امتی من لا یشرک/ (النبی)/ ۵۳۳

أفضل نساء امتی اربع ../ (النبی)/ ۲۵۹

العیافة و الطیرة و الطرق من الجبت .../ (النبی)/ ۸۲

اللهم أنیس المستوحشین/ (النبی)/ ۲۸۷

اللهم لا أعرف عبدا من هذه الامة عبدک .../ (علی)/ ۳۶۲

اللهم اکفنی شرّ سراقة بما شئت/ (النبی)/ ۶۱۵

اللهم بارک لها فی شاتها/ (النبی)/ ۶۱۷

إلی شهادة ان لا إله إلّا اللّه/ (النبی)/ ۵۱

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۷

الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء/ (النبی)/ ۵۶۳

أما و اللّه لاستغفرنّ لک و لأشفعن فیک شفاعة/ (النبی)/ ۵۲۹

أمنکم أحد أسلم مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱

أنا أوّل رجل أسلم مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱

أنا اول من اسلم مع النبی (علی) ۳۶۱

أنا اول من صلّی مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱

انا رسول اللّه بعثنی إلی العباد أدعوهم الی .../ (النبی)/ ۵۶۷

انا الصدیق الاکبر آمنت قبل ان یؤمن ابو بکر/ (علی)/ ۳۶۱

انتم علی قومکم بما فیکم کفلاء ککفالة الحواریین لعیسی بن مریم/ (النبی)/ ۵۷۲

أنشدکم اللّه أیها الرهط أ تعلمون أنّ .../ (علی)/ ۳۶۴

أنا عبد اللّه و اخو رسول اللّه/ (علی)/ ۳۵۷

أنا عبد اللّه و اخو رسول اللّه و انا الصدیق الاکبر/ (علی)/ ۳۶۱

انا یا رسول اللّه اکون وزیرک علی ما بعثک اللّه/ (علی)/ ۳۹۵

انظروا من یرضع أولادکم/ (علی)/ ۲۱۸

انّ أولی الناس بامر هذه قدیما و حدیثا/ (علی)/ ۳۶۲

ان کثیرا من التمائم شرک/ (النبی)/ ۸۲

إنّ اللّه بعث محمّدا نذیرا للعالمین/ (النبی)/ ۳۴۸

انّ اللّه تعالی ما بعث آدم علیه السّلام و من بعده/ (النبی)/ ۳۴۸

انّ الرائد لا یکذب أهله/ (النبی)/ ۳۹۴

إنّ مثل أبی طالب مثل أصحاب الکهف/ (الصادق)/ ۵۳۰

إنّ محمّدا (ص) لما دعا إلی الایمان و التوحید/ (علی)/ ۳۶۳

إنّ اللّه لا یوصف بمکان و لا یجری علیه زمان/ (الکاظم)/ ۵۵۳

إنّ هذا أخی و وصیی و خلیفتی فیکم/ (النبی)/ ۳۹۸

أو تسلمنّ بمبیتی هناک یا نبی اللّه/ (علی)/ ۵۸۸

أوّلکم واردا علیّ الحوض اولکم اسلاما/ (النبی)/ ۳۵۸

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۸

أی بنی انی و ان لم اکن عمّرت عمر من .../ (علی)/ ۱۱

أیّها الذاکر علیا انا الحسن بن علی/ (الحسن)/ ۲۶۹

أیّها الناس ان الشمس و القمر آیتان/ (النبی)/ ۶۹

ثم إن اللّه سبحانه بعث محمّدا/ (علی)/ ۹۴

حجّ رسول اللّه (ص) عشر حجات/ (الصادق)/ ۲۹۴

زوّجتک خیر امتی اعلمهم علما/ (النبی)/ ۳۵۹

صبرا آل یاسر فان موعدکم الجنة/ (النبی)/ ۴۱۶

صلیت مع رسول اللّه ثلاث سنین قبل أن .../ (علی)/ ۳۶۳

عبدت اللّه مع رسول اللّه/ (علی)/ ۳۶۱

عبدت اللّه قبل ان یعبده أحد من هذه الامة/ (علی)/ ۳۶۲

فانی منطلق إلی ابن عمی رسول اللّه/ (علی)/ ۶۱۹

فبلغ بالرسالة صادعا بالنذارة/ (الزهراء)/ ۹۵

فلما بعث اللّه محمّدا للنبوة و اختاره للرسالة/ (علی)/ ۳۶۴

فی أصلاب النبیین نبی بعد نبی/ (الصادق)/ ۱۹۵

قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا .../ (النبی)/ ۵۶۲

کنا اذا احمرّ البأس اتقینا برسول/ (علی)/ ۲۴۴

لا تبکی یا بنیّة فان اللّه مانع اباک/ (النبی)/ ۵۵۶

لا تسترضعوا الحمقاء/ (الباقر)/ ۲۱۸

لا و اللّه ان کنت أول من صدّق به/ (علی)/ ۳۶۲

لا و اللّه ما ابدلنی اللّه خیرا منها/ (النبی)/ ۲۶۲

للدابة علی صاحبها ست خصال/ (النبی)/ ۸۰

لقد صلّت الملائکة علیّ، و علی علیّ/ (النبی)/ ۳۶۰

لم أومر بذلک (قالها النبی فی جواب من خطب فاطمة)/ (النبی)/ ۳۶۰

لم یکن معی من الرجال غیره/ (علی)/ ۳۶۰

لو کان مطعم بن عدی حیا لوهبت .../ (النبی)/ ۵۶۱

لو وضع ایمان ابی طالب فی کفة میزان .../ (الباقر)/ ۵۲۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳۹

ما أعرف أحدا من هذه الامة عبد اللّه بعد نبینا غیری/ (علی)/ ۳۶۲

ما من لبن یرضع به الصبی اعظم برکة من لبن أمه/ (علی)/ ۲۱۸

ما من نبی إلا و قد رعی الغنم/ (النبی)/ ۲۵۲

مستقره خیر مستقر/ (علی)/ ۹۳
من یؤازرنی یکون أخی و وصیی و خلیفتی/ (النبی)/ ۳۹۸
مهلا یا أماه فان معی من یحفظنی/ (النبی)/ ۲۹۳
موعدکم العقبة فی اللیلة الوسطی/ (النبی)/ ۵۷۱
نم فی فراشی فانه لا یخلص إلیک شیء/ (النبی)/ ۵۷۱
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله/ (علی)/ ۹۲
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله ابتعثه و الناس .../ (علی)/ ۹۴
و اشهد أن محمّدا عبده و رسوله و سید عباده/ (علی)/ ۱۹۵
و شفاعتی لمن شهد ان لا إله إلّا اللّه مخلصا/ (النبی)/ ۵۳۳
و کیف ینزل علیّ و انتم لا تقصّون أظافرکم/ (النبی)/ ۳۸۲
و لقد قرن اللّه به من لدن کان فطیما ملکا/ (علی)/ ۲۹۴
و لقد علمتم موضعی من رسول اللّه/ (علی)/ ۲۸۶
یا اماه لا اری اخویّ فی النهار/ (النبی)/ ۷۰
یا حمیراء ان اللّه تبارک و تعالی بارک فی .../ (النبی)/ ۲۶۳
یا علی أخصمک بالنبوة و لا نبوة بعدی/ (النبی)/ ۳۶۰
یا علی ان قریشا اجتمعت علی المکر بی .../ (النبی)/ ۵۸۸
یا علی لک سبع خصال لا یحاجک فیه احد/ (النبی)/ ۳۶۰
یا عم و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی و القمر .../ (النبی)/ ۴۰۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۰

(۳) فهرس الأشعار

سید المرسلین ج۱ ۶۴۰ (۳) فهرس الأشعار ..... ص : ۶۴۰

لامکم لسهام الجهل شافیة ۷۷
أبنی لا تنس البلیّة إنها ۷۴
أبونا شفیع الناس حین سقوا به ۲۸۸
اذا اختلجت عینی أقول لعلها ۷۹
اذا اختلجت عینی تیقنت اننی ۷۹
اذا متّ فادفنی بحرّاء ما بها ۷۴
اذا متّ فادفنی الی جنب کرمة ۶۷
أربا واحدا أم ألف رب ۵۵، ۲۸۳
اصبرن یا بنیّ فالصبر احجی ۵۱۴
ألا ان خیر الناس بعد محمّد ۳۷۳
ألا حلأ فی شقه مشقوقة ۷۷

ألا ليت شعرى كيف فى الناس جعفر ۴۶۰
ألا هل اتى بحريّنا صنع ربنا ۵۰۸
أ لم تعلموا أنا وجدنا محمّدا ۵۲۱
أ ليس أول من صلى لقبلتكم ۳۷۲
اما الحرام فالممات دونه ۲۹۱
انا اخو المصطفى لا شك فى نسبى ۳۶۳، ۲۹۲
أنت الجليل ربنا لم تدنس ۱۸۵
إن صح ما أبصرت فى المنام ۱۸۵
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۱
أنّ آيات ربنا بينات ۱۸۵
إن ابن آمنة النبى محمّد ۷۲، ۵۱۸
انّ عليا لميمون نقيبته ۳۷۲
إنّ الفراغ و الشباب و الجدة ۲۷۵
إنّ الفضول تعاقدوا و تحالفوا ۲۴۹
ان الذين سموا باسم محمّد ۲۱۱
اوصيك يا عبد مناف بعدى ۲۸۹
ان يكن ما اتى به احمد اليوم ۲۱۳
بشيبة الحمد اسقى اللّه بلدتنا ۲۸۷
بناة مكارم و اساة جرح ۷۷
تشاجرت الاحياء فى فصل خطة ۲۸۵
تظل مقاليت النساء يطأنه ۷۶
حلفت لنعقدن حلفا عليهم ۲۴۹
خانته لما رأت شيبا بمفرقه ۷۵
خلوا سبيل الجاهد المجاهد ۶۱۸
دعانا الزبير الى بيعة ۳۷۴
دعوت ابا المغوار فى الحضر دعوة ۷۸
رأيت عليّا لا يلبّث قرنه ۳۷۲
سبقتكم الى الاسلام طرا ۳۶۳
سقته اباة الشمس إلا لثاثة ۷۶
سلط الموت و المنون عليه ۵۶
شادن يحلو اذا ما ابتسمت ۷۶
صحوت و اوقدت للجهل نارا ۷۹
صلى الإله و من يحيق بعرشه ۲۱۴

طلع البدر علینا ۶۲۲
فالزمتنی ذنبا و غیری جرّه ۷۳
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۲
فانی اذا کالثور یضرب جنبه ۷۲
فان یک حقا یا خدیجة فاعلمی ۲۱۵
فحوطوا علیا فانصروه فانه ۳۷۳
فشق له من اسمه لیجلّه ۲۱۱
فصلّی الاله علی أحمد ۳۷۴
ففی کف احمد قد سبّحت ۲۱۴
فقل للمضل من وائل ۳۷۴
فلا تحسبونا خاذلین محمدا ۵۱۴
فلا تجعلوها کالبقیر و فحلها ۷۳
فلیت لی بهمو قوما اذا رکبوا ۶۶
فلو ان عندی جارتین و راقیا ۷۶
فهذا نبی اللّه أحمد سبّحت ۲۱۴
فیا رب ان اهلک و لم تروها متی ۵۶
فیا لیت ان الجن جازوا حمالتی ۷۸
قالوا و قد طال عنائی و السقم ۷۸
قد استعذنا بعظیم الوادی ۷۹
قلبت ثیابی و الظنون تجول بی ۷۵
قل للقوافل و الغزاة إذا غزوا ۷۴
قف عند رأیک و اجتهد ۵۱۹
کذاک الثور یضرب بالهراوی ۷۲
کذبتم و بیت اللّه نبزی محمّدا ۵۱۷
کمن یکوی الصحیح یروم برء ۷۳
لا تحسبن رثائما عقّدتها ۷۵
لعمری ان عشرت من خیفة الردی ۷۵
لعمری لقد کلفت وجدا بأحمد ۲۱۴
لعمری لئن بایعتم ذا حفیظة ۳۷۴
سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۳
لکل ابی بنت یراعی شئونها ۶۳
لیت الغراب غداة ینعب دائبا ۸۰
لیعلم خیار الناس ان محمّدا ۵۲۱

ما كنت احسب ان الأمر منصرف ۳۷۲

مع ابن عم احمد المعلى ۲۶۹

مفجعة قد شفها فقد أحمد ۲۱۴

من فيه ما فيهم ما تمترون به ۳۷۳

نبيا يرى ما لا يرون و ذكره ۴۸۴

نجسته لا ينفع التنجيس ۷۶

هذا على و ابن عم المصطفى ۳۷۱

هذا على و الهدى حقا معه ۳۷۳

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ۲۹۰، ۵۱۶

و إن عليا لكم مصحر ۳۷۳

و ساحرة عينىّ لو أنّ عينها ۸۰

و ان ولى الأمر من بعد محمّد ۳۷۱

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصى ۵۹۹

و اللّه لو كنت الها لم تكن و لا ينفع التعشير ان حمّ واقع ۷۴

و لو لا أبو طالب و ابنه ۵۳۳

و كلّفتنى ذنب امرئ و تركته ۷۳

و كم شققنا من رداء محبّر ۷۷

و كم ناديته و الليل ساج ۷۸

وصى رسول اللّه من دون أهله ۳۷۲

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ۲۴۹

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ۴۵۵

يا رب يا رب أنت مولاه ۲۶۹

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۴

يا رب لا أرجو لهم سواكا ۲۸۷

يا رب ردّ راكبى محمّدا ۲۹۹

يا عجبا لهذه الفليقة ۷۸

يا كحل قد اثقلت اذناب البقر ۷۲

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۵

(۴) فهرس الأعلام

(أ) آپولو ۵۵۱.

آزر ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۴۰.

إبراهيم (الخليل) ۲۹، ۳۷، ۴۸، ۵۱، ۵۴، ۵۹، ۸۹، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴،

۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۶۲، ۲۰۳، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۷۱، ۲۷۸، ۲۸۲، ۲۹۲، ۳۵۰، ۴۹۸.

ابراهیم (بن رسول اللّه) ۹۶.

ابراهیم بن علی الدینوری ۵۲۸.

أبرهة ۱۵۹، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۹، ۱۷۰، ۱۸۲، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸، ۲۸۶، ۵۵۲، ۵۹۳، ۶۰۵.

ابن أبی شیبة ۳۶۱، ۳۷۷.

ابن أبی الحدید ۲۱۴، ۲۶۷، ۲۶۹، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۶۵، ۳۶۸، ۵۲۳.

ابن اسحاق (صاحب السیرة) ۳۵۶، ۳۷۱، ۳۷۸.

ابن الاثیر ۱۷۰، ۲۵۹، ۳۵۷، ۳۶۴، ۴۱۳، ۴۵۵، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۲، ۶۰۴، ۶۱۲، ۶۱۵، ۶۱۹.

ابن أمّ مکتوم ۴۸۱.

ابن تیمیة ۳۹۵، ۳۹۶، ۳۹۷، ۳۹۸، ۶۰۰، ۶۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۶

ابن حجر ۳۵۷.

ابن حذیفة الاسدی ۳۷۳.

ابن حنظلة ۵۲۲.

ابن خالدون ۱۶، ۶۴.

ابن ربیعة ۵۵۷، ۵۵۸.

ابن الزبیر ۲۵۰

ابن سعد (صاحب الطبقات) ۳۵۸، ۵۶۱.

ابن شهر اشوب

ابن الصباغ المالکی ۶۱۸.

ابن طاوس ۲۵۸.

ابن طلحة (الشافعی) ۳۶۳.

ابن عباس ۶۰، ۱۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۳۶۰، ۳۶۳، ۳۶۵، ۳۶۸، ۶۱۲.

ابن عبد البر ۳۷۸.

ابن کثیر الشامی ۴۱۰، ۵۱۶.

ابن ماجة (صاحب السنن) ۳۶۱.

ابن مزاحم (مؤلف وقعة صفین) ۳۶۲، ۳۶۳، ۳۶۶.

ابن المغازلی ۳۶۰.

ابن المغیرة المخزومی ۲۸۴.

ابن هشام (المؤرخ) ۲۱۴، ۲۴۴، ۲۵۰، ۲۶۸، ۲۷۲، ۲۸۱، ۲۸۳، ۲۹۶، ۳۴۱، ۳۷۷، ۴۱۶، ۴۲۳، ۴۲۴، ۴۲۷، ۴۵۵، ۴۶۸، ۵۰۸، ۵۲۱، ۵۴۱، ۵۶۳، ۵۷۷، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۰، ۶۰۴، ۶۲۴.

ابن الولید ۴۳۱.

ابی بن خلف.

أحمد الاحسائی ۵۴۷.

أحمد (اسم النبی) ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۱۴.

أحمد بن حنبل ۵۳۱، ۵۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۷

أحمد بن معین بن خراش ۵۳۱.

أحمد بن عبد الحلیم الحرانی ۵۹۶.

الاخنس بن شریق ۴۳۹، ۴۸۳.

أردشیر بابک ۱۱۲.

أرقم بن أبی الارقم ۳۸۸، ۴۱۶.

اریقط ۶۰۳.

اساف (صنم) ۹۰.

اسبوتنیک ۵۵۱.

اسحاق المدنی ۳۷۱.

أسعد بن زرارة ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۶۹، ۵۷۱، ۵۷۸، ۶۲۳.

إسفندیار ۴۷۳.

إسماعیل (النبیّ) ۳۰، ۳۶، ۳۷، ۴۸، ۵۲، ۸۹، ۱۱۹، ۱۳۱، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۴۹، ۱۵۵، ۱۵۸، ۱۸۸، ۱۹۲، ۲۰۵، ۳۵۰.

الاسکندر ۶۱۳.

الأسود بن المطلب ۴۸۸.

الأسود بن یغوث ۴۲۳.

اسید بن حضیر ۵۹۷.

إلیاس (جد النبیّ) ۱۴۶.

أمیّة بن أبی الصلت ۴۳۹.

أمیّة بن خلف ۳۹۰، ۴۱۵، ۴۸۸.

أمیّة بن عبد شمس ۱۵۰.

أنس بن رافع ۵۶۷.

أنس بن مالک ۲۶۱، ۲۶۹، ۳۶۴، ۶۱۱.

انوشیروان ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۹، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷، ۲۰۲.

ایاس بن معاذ ۵۶۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۸

(ب) بحیری (الراهب) ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۷۵.

بدر من معشر ۲۴۶.

البراء بن معرور ۵۷۱.

البراق ۵۳۵.

البراض بن قیس الکنانی ۲۴۷.

برکة ۲۹۱.

برید الاسلمی ۳۶۵.

بلال الحبشی ۴۱۵.

(ت) تبان اسعد ۱۶۰.

توماس کارلیل ۸۵.

تیباریومس (الامبراطور) ۱۱۶.

(ج) جابر بن عبد اللّه الانصاری ۲۶۰، ۳۶۲، ۳۶۴.

جاجارین (رائد فضائی) ۵۵۱.

جبر (الغلام المسیحی).

جبرئیل ۲۶۱، ۲۶۷، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۷، ۳۸۲، ۳۸۳، ۳۸۶، ۴۶۴، ۵۰۷، ۵۳۵، ۵۳۹، ۵۸۵، ۵۸۷، ۶۰۰، ۶۰۱.

جعفر بن أبی طالب ۹۶، ۲۱۴، ۲۵۸، ۲۸۵، ۲۸۶، ۳۰۰، ۴۵۴، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۶۰، ۴۶۹، ۴۹۳.

جعفر بن محمّد (الإمام) ۱۷۹، ۱۹۵، ۲۶۳، ۲۷۵، ۲۹۴، ۵۲۹.

جلال الدین الطوسی ۲۹۲.

جندب بن زهیر ۳۷۳.

جنید بن عبد الرحمن ۳۷۶.

جواد علی (مؤلف) ۹۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۹

جونس (دکتر مارسدن) ۶۱۱.

(ح) الحارث بن عبد المطلب ۱۵۵.

الحارث بن کلدة ۱۸، ۱۵۶، ۵۰۴.

الحارث بن نوفل ۴۴۱.

حبیب بن اویس ۵۷.

الحجاج ۳۷۵.

حجر بن معاذ الغفرانی ۶۲۲.

حذیفة الغدر ۶۵.

حذیفة بن الیمان ۲۶۳.

حرب بن امیّة ۱۵۱، ۱۵۴، ۲۱۱، ۲۱۴، ۳۶۱، ۳۷۳.

الحسن بن علی (الإمام) علیه السّلام ۲۵۰، ۲۶۹، ۳۵۷، ۳۶۴، ۳۷۶.

الحسین بن علی (الإمام) علیه السّلام ۲۵۰، ۲۶۹، ۳۷۷، ۶۱۱.

حضیر ۵۷۴.

حکیم بن حزام ۲۷۹، ۲۸۰، ۵۰۳، ۵۰۴.

حکیم مولی زاذان ۳۶۱.

حمزة (عم النبیّ) ۱۹۰، ۲۱۵، ۲۷۳، ۲۸۶، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۲۵.

حناطة ۱۶۲.

حمزة الاصفهانی ۸۸، ۱۰۳.

حیدة بن معاویة العامری ۲۹۹.

(خ) خالد بن الولید ۶۱۰.

خالد (حکیم العرب) ۴۸۰.

خالد بن زید ۶۲۲.

خباب بن الارت ۴۲۲، ۴۲۵، ۴۲۶.

خزیمة (جد النبیّ) ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۰

خزیمة بن ثابت ۳۷۲.

خسرو برویز ۸۸، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۷، ۱۱۸، ۴۵۲.

الخطاب ۴۲۴.

خلف ۴۲۳.

الخمینی (الإمام) ۶۱۵.

خویلد ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۳، ۳۶۷، ۳۸۳.

(د) داود (النبیّ) ۲۳۷.

داود بن أبی هند ۳۶۰.

دیمتریوس ۳۱.

دیودورس ۳۱.

(ذ) ذو نفر ۱۶۲.

ذو نواس ۱۶۱.

ذو الخلصة (صنم) ۹۱.

(ر) ربیع بن الحرث ۳۷۲، ۵۵۷.

ربیعة ۱۴۷، ۳۷۶، ۵۵۸، ۵۵۹، ۶۱۸.

رستم ۴۷۱، ۴۷۴.

رینان (مسیو) ۸۵.

(ز) الزبیر بین عبد المطلب ۲۴۹.

زرارة بن اعین ۳۴۲.

زفر بن یزید ۳۷۳.

زکریا (النبیّ) ۱۷۴، ۲۲۳، ۲۹۵.

زمعة بن الاسود ۵۰۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۱

زیاد بن ابیه ۵۹۵.

زید بن ارقم ۳۵۶، ۳۶۵.

زید بن حارثة ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۸۷، ۵۲۲.

زید بن عمرو بن نفیل ۲۲۴، ۲۸۲.

زینی دحلان (المؤرخ) ۲۸۹، ۵۲۴.

الزهره (کوکب) ۱۲۵.

زهیر بن أبی أمیّة ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶.

(س) سالم بن أبی جعد ۳۷۰.

سالمین (محمّد علی) ۶۰.

سراقة بن مالک بن جعشم ۶۱۵.

سعد (صنم) ۹۰.

سعد بن أبی وقاص ۸۱، ۳۸۷، ۳۸۸، ۵۰۳.

سعد بن عبادة ۵۷۶، ۵۷۷، ۶۲۳.

سعد بن معاذ ۵۷۸.

سعید بن زید ۳۸۸، ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶.

سعید بن قیس الهمدانی ۳۷۱.

سفیان بن سعید الثوری ۵۳۰، ۵۳۱.

سلامة (بولس) ۵۱۱.

سلمان الفارسی ۳۶۷، ۶۰۹.

سلمة بن کهیل ۳۶۱.

سلیمان ۲۳۷، ۲۳۸.

سمرة بن جندب ۵۹۴، ۵۹۵، ۵۹۶.

سوید بن صامت ۵۶۶.

سهل و سهیل ۶۲۲.

سهیل (کوکب) ۵۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۲

سید قطب ۱۸۲، ۱۸۴.

(ش) شنفرة ۶۵.

شهر بزاز (أخ سلمان) ۱۱۱.

شیبة بن ربیعة ۱۵۲، ۳۷۶، ۵۵۷، ۵۵۸.

شیث (النبیّ) ۳۷۱.

شیرویه ۱۱۱، ۱۱۸.

(ص) الصدی (طائر خرافی) ۵۶.

صدر الدین الشیرازی (الفیلسوف) ۱۷۶.

صعصعة بن ناجیة ۴۶.

الصلت بن أبی یهاب ۲۶۵.

(ط) طارق بن شهاب الاحمس ۳۷۰.

طالب ۵۱.

الطاهر (بن النبیّ) ۲۷۸.

الطفیل بن عمرو الدوسی ۵۴۲.

الطیب (بن النبیّ) ۲۷۸.

(ع) العاص بن وائل السهمی ۲۴۹، ۳۷۶، ۴۱۱، ۴۱۲، ۴۲۲، ۴۲۳، ۴۳۲، ۴۸۸، ۵۰۴، ۵۰۷.

عامر بن فهیرة ۶۰۲.

عبادة بن الصامت ۵۶۹.

عباس بن عبد المطلب (عم النبیّ) ۲۶۲، ۲۸۵، ۲۸۶، ۳۵۵، ۳۵۷، ۳۶۰، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۷۱.

عبد الحلیم (الشیخ محمود) ۶۱۴.

عبد الدار ۱۴۷، ۱۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۳

عبد الرحمن بن حنبل الجمحی ۳۷۴.

عبد الرحمن بن عثمان ۲۵۰.

عبد الرحمن بن عوف ۳۸۷.

عبد الرحمن بن محمّد الحضرمی المالکی (القاضی)- ابن خالدون.

عبد الرحمن بن ملجم ۵۹۵.

عبد الرزاق ۳۵۷.

عبد شمس ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۴۶۸.

عبد اللّه (بن النبیّ) ۲۷۸.

عبد اللّه (والد النبیّ) ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۱۵، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۵۸، ۲۶۰، ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۹۱، ۲۹۲، ۳۵۷، ۳۸۸، ۵۷۴.

عبد اللّه بن أبی بکر ۶۰۲.

عبد اللّه بن أبی بن سلول ۶۲۳.

عبد اللّه بن أبی خزرج ۵۶۸.

عبد اللّه بن أبی سفیان ۳۷۱.

عبد اللّه بن أبی شیبة ۳۶۱.

عبد اللّه بن أبی رافع ۴۷۰.

عبد اللّه بن انیس ۶۱۱.

عبد اللّه البجلی ۳۷۴.

عبد اللّه بن برير ۳۷۱.

عبد اللّه بن الحارث ۵۵۴.

عبد اللّه بن حجر ۳۷۰.

عبد اللّه (بن حليمة) ۲۱۵.

عبد اللّه بن جحش ۲۸۲.

عبد اللّه بن جدعان ۲۴۹، ۴۵۹.

عبد اللّه بن خبابة ۳۷۰، ۳۷۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۴

عبد اللّه بن ربيعة ۴۵۶، ۴۵۹.

عبد اللّه بن الزبير ۲۵۰.

عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم ۱۸۶.

عبد اللّه بن مسعود ۳۶۹، ۴۱۷، ۴۱۸.

عبد اللّه بن مظعون ۳۸۸.

عبد الكريم الخطيب ۶۰۰.

عبد الملك بن عمير ۵۳۰، ۵۳۱.

عبد المطلب (جد النبیّ) ۵۱، ۱۱۹، ۱۴۶، ۱۵۲، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۷، ۲۱۱، ۲۱۳، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۴۹، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۸۹، ۲۹۲، ۲۹۹، ۳۵۳، ۳۷۲، ۴۰۴، ۴۰۹، ۴۲۰، ۴۲۵، ۵۰۴، ۵۱۳، ۵۵۵، ۵۶۳، ۵۷۱.

عبد مناف ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۲، ۱۹۰، ۲۸۹، ۴۴۱، ۵۱۳.

عبد العزيز بن محمّد الدراوردی ۵۳۰، ۵۳۱.

عبيدة بن الحارث ۳۸۸.

عبد الوهاب النجار ۱۹۰، ۱۹۴.

عتبة بن ربيعة ۵۰، ۴۳۰، ۴۳۲، ۵۵۷، ۵۵۸.

عتيق بن عائذ ۲۴۷.

عثمان بن حويرث ۲۸۲.

عثمان بن عفان ۲۵۲، ۳۸۲، ۳۸۸.

عثمان بن مظعون ۳۸۸، ۴۶۲.

عداس ۵۵۸، ۵۵۹.

عدنان ۱۴۶.

عدی بن حاتم ۳۷۰.

عروة الرجال ۲۴۷.

العزّی (صنم) ۵۴، ۵۵، ۹۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۴۱۵، ۴۸۸، ۴۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۵

عطارد ۵۲.

عفیف الکندی ۲۵۹، ۳۵۷.

عاقبة بن أبی معیط ۲۵۸، ۲۶۵، ۴۱۳، ۴۲۳، ۴۶۲، ۵۰۴، ۵۲۲.

عکرمة ۱۷۰، ۲۶۲.

علی بن أبی طالب ۹۱، ۱۴۹، ۱۹۵، ۲۰۵، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۴۳، ۲۴۴، ۲۵۵، ۲۶۰، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۱۶، ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۳۶۱، ۳۶۴، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۹، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۲، ۳۷۴، ۳۷۵، ۳۷۶، ۳۷۷، ۳۷۸، ۳۷۹، ۳۸۱، ۳۸۷، ۳۹۴، ۳۹۵، ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۲۵، ۴۸۰، ۵۰۶، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۶، ۵۲۹، ۵۳۵، ۵۴۲، ۵۸۳، ۵۸۷، ۵۸۸، ۵۹۰، ۵۹۳، ۵۹۴، ۵۹۵، ۵۹۶، ۵۹۷، ۵۹۸، ۵۹۹، ۶۰۰، ۶۰۱، ۶۰۲، ۶۰۳، ۶۰۹، ۶۱۰، ۶۱۳، ۶۱۸، ۶۱۹.

علی بن الحسین السجّاد (الإمام) ۵۵.

علی بن موسی الرضا (الإمام) ۳۰۰.

علی بن إبراهیم (المفسر) ۵۸۸.

عماد الدین ابن کثیر ۲۴۸.

عمار بن یاسر.

عمارة بن الولید بن المغیرة ۴۰۶.

عمر بن الخطاب ۳۶۰، ۳۶۸، ۴۱۰، ۴۱۲، ۴۲۴، ۴۲۶.

عمر رضا کحالة ۴۲۷.

عمرو بن اسد ۲۷۳.

عمرو بن الجموح ۶۲۰، ۶۲۱.

عمرو بن الحمق ۳۷۱.

عمرو بن عاص ۴۲۳، ۴۵۶، ۴۵۹.

عمرو بن لحی ۵۳، ۹۰.

عمرو الخزرجی ۱۵۱.

عمرو العلا ۱۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۶

عمیانس (صنم) ۹۰، ۱۶۱.

عیاض (القاضی) ۶۱۰.

عیسی بن مریم ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۴۰، ۲۴۱، ۲۹۵، ۳۴۲، ۳۵۸، ۴۵۹، ۴۹۸، ۵۲۱، ۵۷۱، ۶۰۵.

(غ) غالب ۱۴۶.

الغرانیق ۴۸۷، ۴۸۹، ۴۹۳، ۴۹۴.

غسان ۴۰، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰.

غوستاف‌لوبون ۴۱.

(ف) فضل بن أبی لهب ۳۷۳.

فضل بن الحارث ۲۴۸.

فضل بن فضالة ۲۴۸.

فضل بن وداعة ۲۴۸.

فضیل بن جندب ۱۶۲.

فلاماریون ۱۰۰.

فرید وجدی (محمد) ۵۴۴.

فهر (جد النبیّ) ۱۴۶.

(ق) القاسم (بن رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

القاصعة (الخطبة) ۳۵۶.

قدامة بن مظعون ۳۸۸.

القراریط ۲۵۲.

قصی بن کلاب (جد النبیّ) ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۵.

القمر ۵۴۶، ۵۵۱.

قیس بن زهیر ۶۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۷

قیس بن عاصم ۵۹.

قیصر ۱۶۱، ۳۵۷، ۴۲۳.

قتاد بن دعامة ۳۷۵.

(ک) کعب (جد النبیّ) ۱۴۶.

کعب بن زهیر ۳۷۲.

کعب الاحبار ۴۷۷.

کعب بن مالک ۲۱۴.

کلاب بن مرة (جد النبیّ) ۱۴۶.

کنانة (جد النبیّ) ۱۴۶.

کلثوم بن هرم ۶۱۷.

(ل) اللات (صنم) ۵۴، ۵۵، ۹۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۴۱۵، ۴۸۸، ۴۹۳.

لؤی ۱۴۶.

لبید (الشاعر) ۴۶۱، ۴۶۲.

لقمان ۵۶۶.

اللوح المحفوظ ۳۴۵.

(م) مارسدن جونس ۶۱۱.

مالک (جد النبیّ) ۱۴۶.

مالک بن الحارث الاشتر ۳۶۹.

مالک بن عبادة ۳۷۳.

المأمون ۳۷۸.

مانی ۱۱۳.

ماه بنداذ (اخو سلمان) ۶۰۹.

مجاهد (المفسّر) ۲۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۸

محمّد بن أبی بکر ۳۷۱.

محمّد بن أحمد الذهبی ۵۳۱.

محمّد بن اسحاق (المؤرخ) ۲۶۶، ۵۵۶.

محمّد بن جریر الطبری ۳۹۶.

محمّد حسنین هیکل ۱۸۲، ۲۷۸، ۲۸۰، ۳۳۹، ۳۴۱، ۳۹۷.

محمّد حمید اللّه (مؤلف) ۶۰۹.

محمّد بن حنفیة ۳۷۰.

محمّد بن سلمة ۶۱۱.

محمّد بن مسلم ۳۷۵.

محمّد عبدة ۱۶۸، ۱۸۲، ۱۸۳، ۳۰۰.

محمّد عزت نصر اللّه ۲۱۴.

محمّد المکندر المدنی ۳۷۱.

محمود الآلوسی ۷۱.

محمود بن عبد الحلیم ۶۱۴.

مخرمة بن نوفل الزهری ۲۵۰.

مدرکة (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

مرّة (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

المریخ (کوکب) ۵۴۶، ۵۵۱.

مزدک ۱۱۳، ۱۱۴.

المسورة بن مخرمة

المسیح ۵۴، ۱۱۷، ۱۶۷، ۱۸۱، ۱۹۵، ۲۰۱، ۲۲۲، ۲۴۰، ۲۵۹، ۲۷۱، ۲۹۶، ۴۵۸، ۴۵۹، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۳۶، ۶۱۲.

المشتری (کوکب) ۵۲.

مصعب بن عمیر ۵۷۰، ۵۷۸، ۵۷۹.

مضاض بن عمرو الجرهمی ۱۵۵.

مضر بن نزار (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۹

المطعم بن عدی ۴۰۶، ۵۰۱، ۵۰۵، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۷۷.

المطلب ۱۴۸، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۵۳.

معاذ بن جبل ۷۱، ۲۶۰، ۳۶۰.

معاذ بن عمرو ۶۲۰.

معاویة ۲۶۹، ۳۶۳، ۳۶۴، ۳۷۰، ۳۷۱، ۵۶۶، ۵۹۴.

معد (جد النبیّ) ۱۴۶.

المغیرة (جد النبیّ) ۱۴۷.

المقداد بن عمرو ۳۶۸.

المقداد السیوری ۱۹۶.

الملا علی القاری ۶۱۰.

مناة (صنم) ۵۴، ۹۰، ۴۸۸، ۴۹۳.

مناف (صنم) ۵۴، ۹۱.

منذر بن عمر ۵۷۷.

منصور بن عکرمة ۵۰۱.

میسرة (غلام خدیجة) ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۷۰.

میکائیل ۶۰۰.

موسی بن جعفر (الإمام) ۲۶۲، ۵۵۳.

موسی (النبیّ) ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۵۸، ۱۶۷، ۱۸۱، ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۳۹، ۲۶۲، ۳۴۰، ۳۴۱، ۳۶۹، ۴۷۵، ۴۹۷، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۷۳، ۶۰۵.

(ن) نائلة (صنم) ۹۰.

ناصح (غلام خدیجة) ۲۵۶.

نزار (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

نصیر الدین الطوسی ۱۹۶.

النضر (جدّ النبیّ) ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۰

النضر بن الحارث ۴۳۲، ۴۶۳، ۴۷۳، ۴۷۴.

النعمان بن المنذر ۵۹، ۸۸.

نعیم بن عبد اللّه ۴۲۵.

نفیل بن حبیب الخثعمی ۱۶۲.

النمرود بن کنعان ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۳۶، ۱۳۸، ۱۴۰.

نوح النبیّ ۱۴۵، ۲۵۱، ۴۹۸.

نوفل بن عبد مناف ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰.

(ه) هارون (النبیّ) ۳۴۱، ۳۶۹.

هاشم بن عبد مناف (جدّ النبیّ) ۱۴۶، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۲، ۲۹۰، ۳۶۹، ۳۷۲.

هاشم بن عتبة ۳۶۹.

هامّة ۸۲.

هبل (صنم) ۵۴، ۹۰.

هبیرة بن وهب المخزومی ۲۸۵.

هرودتس ۴۰، ۴۱، ۱۲۰.

هرقل ۱۱۸.

هشام بن عمرو ۵۰۴.

هند بن أبی هالة ۵۹۹، ۶۰۲.

(و) ورقة بن نوفل ۱۸۹، ۱۹۲، ۲۱۴، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۳، ۲۸۲، ۲۳۸، ۳۴۰، ۳۴۱، ۳۴۲، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۱۵.

الولید بن عتبة ۲۵۰، ۳۷۳، ۴۸۱، ۴۸۹.

الولید بن المغیرة ۲۸۳، ۴۲۳، ۴۲۸، ۴۳۹، ۴۶۱، ۴۶۲، ۴۶۸، ۴۶۹، ۴۸۰، ۴۸۸، ۴۹۱، ۴۹۲، ۵۰۳.

وهب بن عبد مناف ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۱

ویلیام مویر (السیر) ۴۹۳.

(ی) یاسر ۴۱۶، ۴۱۷.

یحیی بن زکریا (النبیّ) ۲۵۹، ۲۹۵، ۲۹۶، ۳۷۷.

یزدجرد ۶۲۲، ۶۲۴.

یعرب بن قحطان ۳۶.

یعقوب (النبیّ) ۲۳۸، ۲۵۶.

یوسف ۲۳۹.

یونس بن عبد الرحمن ۵۵۳.

یونس بن متی (النبیّ) ۵۵۸، ۵۵۹.

النساء:

آسیة بنت مزاحم ۲۶۲، ۲۶۳.

آمنة بنت وهب ۱۹۰، ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۲۷، ۲۳۱، ۲۹۱، ۴۵۴، ۵۱۸.

أسماء بنت عمیس ۲۶۰.

أنیسة (بنت حلیمة السعدیة) ۲۱۵.

بلقیس ۳۳.

ثویبة ۲۱۵.

حلیمة السعدیة ۷۰، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۱، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۷۷، ۲۹۳.

خدیجة بنت خویلد ۱۹۱، ۲۱۵، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۶۹، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۹۳، ۳۲۲، ۳۳۸، ۳۳۹، ۳۵۰، ۳۵۳، ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۷۵، ۳۸۰، ۳۸۱، ۳۸۳، ۳۸۴، ۳۸۷، ۵۰۳، ۵۰۷، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۹۹، ۶۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۲

حولة ۳۸۲.

دلالة ۱۹۰.

رقیة (بنت رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

زینب (بنت رسول اللّه) ۲۶۳، ۲۷۸.

سارة (زوجة الخلیل ع) ۱۰۸، ۱۴۱، ۱۴۵، ۲۳۹، ۲۴۰.

سلمی (زوجة هاشم) ۱۵۱، ۱۵۲، ۲۶۳.

سمیّة (زوجه یاسر) ۴۱۶، ۴۱۷.

الشیماء (بنت حلیمة السعدیة) ۲۱۵، ۲۱۶.

عائشة بنت أبی بکر ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۶۵، ۲۶۷، ۳۵۳.

عاتکة (بنت عبد المطلب) ۲۱۵.

فاطمة بنت الخطاب ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶.

فاطمة الخثعمیة ۱۹۱، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۴.

فاطمة الزهراء (ع) (بنت رسول اللّه- ص-) ۹۵، ۲۶۵، ۲۶۹، ۲۷۸، ۳۵۹، ۳۶۰، ۵۰۹، ۶۰۲، ۶۱۸.

فاطمة (أم قصی بن کلاب) ۱۴۷.

فاطمة بنت أسد (أم علیّ بن أبی طالب) ۵۲۹، ۶۰۲.

فاطمة بنت الزبیر ۶۰۲، ۶۱۸.

الفواطم ۶۰۲.

مریم بنت عمران (أمّ السید المسیح- ع-) ۵۴، ۱۰۱، ۲۰۱، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۶۲، ۲۶۳، ۲۹۵، ۴۵۸، ۴۵۹، ۵۲۱، ۵۲۵، ۵۷۱.

هاجر (زوجة الخلیل- ع) ۳۷، ۱۴۱، ۱۴۲.

هندة ۱۴۳، ۱۴۴.

ماریة القبطیة ۲۷۸.

معاذة بنت عبد اللّه العدویة ۳۶۳.

نفیسة بنت علیّة ۲۷۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۳

(۵) فهرس القبائل و الامم

آل الرسول ۵۷.

آل سعود ۵۱۲.

آل یاسر ۴۱۶.

اسلم (قبیلة) ۲۸۳. سید المرسلین ج۱ ۶۶۳ (۵) فهرس القبائل و الامم ..... ص : ۶۶۳

حاب الاخدود ۱۶۱.

أصحاب الکهف ۲۸۲.

الانصار ۶۱۹.

الاوس و الخزرج ۳۰، ۵۰، ۹۰، ۹۱، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۷۱، ۵۷۴، ۵۷۵، ۵۷۶، ۶۲۰، ۶۲۲، ۶۲۳.

بنو إسرائيل ۲۹۵، ۴۹۸، ۵۷۳.

بنو إسماعيل ۵۷۳.

بنو افقم ۱۶۲.

بنو أمیّة ۵۴، ۱۴۹، ۴۸۱.

بنو بکر ۴۲۱.

بنو تمیم ۵۲، ۵۹.

بنو جمح ۳۷۴، ۴۱۵.

بنو سالم بن عوف ۶۲۴.

بنو سعد ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۴، ۲۲۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۴

بنو سلامان ۶۵، ۸۸.

بنو سلمة ۶۲۰، ۶۲۱.

بنو عامر ۲۴۶، ۵۶۳، ۵۶۴.

بنو عبد الاشهل ۵۶۷، ۵۶۸، ۵۶۹.

بنو عبد الدار ۲۸۴.

بنو عبد مناف ۵۰۵، ۵۱۳.

بنو عبس ۶۵.

بنو عدی ۲۸۴، ۲۹۱، ۴۱۱.

بنو عمرو بن عوف ۶۱۷، ۶۲۲.

بنو قریظة ۵۶۵.

بنو قینقاع ۵۱، ۵۶۵.

بنو کنانة ۹۰، ۱۴۶، ۲۴۵.

بنو مخزوم ۴۰۹.

بنو المطلب ۵۰۱، ۵۲۲، ۵۶۳، ۵۸۵.

بنو ملیح ۵۲.

بنو النضیر ۵۶۵.

بنو هاشم ۳۷، ۵۱، ۱۵۳، ۲۱۷، ۲۳۰، ۲۵۵، ۲۷۳، ۲۹۰، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۹۴، ۴۰۸، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۴۰، ۴۵۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۰۶، ۵۰۸، ۵۲۰، ۵۲۲، ۵۳۷، ۵۸۴، ۵۸۵، ۵۹۰، ۶۰۱، ۶۰۲.

تبابعة ۳۲.

ثقیف (قبیلة) ۵۵۷.

ثمود (قوم) ۳۶، ۲۳۳.

جرهم (قبیلة) ۳۷، ۱۵۴، ۱۵۵.

حمیر (قبیلة) ۵۲.

خزاعة ۹۰، ۱۵۴، ۱۵۵، ۵۶۰، ۵۸۴.

دوس (قبیلة) ۱۶۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۵

الروم ۴۰، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۸، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۶۰.

الساسانیون ۸۸، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۵.

سعد بن بکر (قبیلة) ۲۱۵.

عاد (قوم) ۳۶، ۲۳۳.

العدنانیون ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۵.

العرب البائدة ۳۶، ۳۷، ۳۸.

العمالقة ۳۰.

الغساسنة ۴۰، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰، ۱۸۷.

القحطانیون ۳۶، ۵۶۵.

قریش ۳۷، ۴۳، ۴۵، ۹۱، ۹۶، ۱۴۷، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۷۰، ۱۸۶، ۱۸۹، ۱۹۰، ۲۰۷، ۲۱۱، ۲۱۴، ۲۱۵، ۲۲۷، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۴، ۲۳۵، ۲۴۰، ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۸۰، ۲۸۱، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۸۷، ۲۹۰، ۲۹۵، ۳۰۲، ۳۱۹، ۳۲۱، ۳۵۴، ۳۵۵، ۴۶۰، ۳۶۸، ۳۸۱، ۳۸۸، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۰۲، ۴۰۳، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۱۲، ۴۱۳، ۴۱۷، ۴۱۸، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۲۳، ۴۲۵، ۴۲۹، ۴۳۰، ۴۳۲، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۶۰، ۴۶۱، ۴۶۲، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۶۵، ۴۶۶، ۴۶۷، ۴۶۹، ۴۷۰، ۴۷۱، ۴۷۳، ۴۷۴، ۴۸۰، ۴۸۳، ۴۸۴، ۴۸۵، ۴۸۸، ۴۹۰، ۴۹۲، ۴۹۳، ۵۰۰، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۱۱، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۱۶، ۵۲۱، ۵۲۲، ۵۲۷، ۵۲۸، ۵۳۶، ۵۳۹، ۵۴۱، ۵۴۲، ۵۴۳، ۵۴۴، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۵۷، ۵۵۹، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۳، ۵۶۷، ۵۷۵، ۵۷۷، ۵۸۰، ۵۸۱، ۵۸۳، ۵۸۴، ۵۸۵،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۶

۵۸۷، ۵۸۸، ۵۸۹، ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۱، ۶۰۴، ۶۱۵، ۶۱۶.

کنانة (قبیلة) ۲۴۵، ۲۴۶.

مذحج (قبیلة) ۲۴۳.

المناذرة ۶۱۷.

اللخمیّون ۸۸، ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۷

(۶) الکنی و الألقاب

«الکنی» الرجال أبو أحیحة ۵۴.

أبو الاسود الدؤلی ۳۷۳.

أبو امامة (ابن النقاش) ۲۶۷.

أبو امیّة (ابن مغیرة المخزومی) ۲۸۴.

أبو أيوب (الانصاری) ۳۶۰، ۳۶۹، ۶۲۲.

أبو البختری ۴۳۲، ۵۰۴، ۵۸۴.

أبو بصیر- اعشی بن قیس ۴۸۵، ۵۰۵.

أبو بکر (ابن أبی قحافة) ۳۵۴، ۳۶۰، ۳۶۳، ۳۶۸، ۳۷۰، ۳۷۱، ۳۷۳، ۳۷۸، ۳۸۸، ۴۱۰، ۴۱۱، ۴۱۸، ۴۲۵، ۴۸۳، ۵۹۰، ۵۹۲، ۶۰۲.

ابو تراب (علی بن أبی طالب) ۳۷۶، ۳۷۷.

أبو تمام (الشاعر) ۵۷.

أبو جعفر الاسکافی ۳۹۷.

أبو جهل ۲۵۸، ۲۶۵، ۲۶۷، ۳۰۲، ۳۵۸، ۴۰۹، ۴۱۰، ۴۱۲، ۴۱۵، ۴۱۷، ۴۲۲، ۴۲۳، ۴۲۹، ۴۳۰، ۴۳۲، ۴۳۹، ۴۶۲، ۴۶۳، ۴۸۳، ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۲۲، ۵۸۴، ۵۸۵.

أبو حاتم ۵۳۱، ۵۳۲.

أبو حازم ۳۷۵.

أبو الحسن البکری ۲۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۸

أبو حکیم ۴۰۹.

أبو حنظلة ۵۲۲.

أبو داود ۳۶۱.

أبو ذر الغفاری ۳۶۸، ۳۷۱، ۴۱۸، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۵۳۳.

أبو ذؤیب ۲۱۵.

أبو رافع الطبرانی الهیثمی ۳۶۲، ۳۶۵، ۳۶۷، ۳۶۹.

أبو رغال (ثقیف) ۱۶۲.

أبو زرعة ۲۶۰، ۵۳۲.

أبو سعید الخدری ۳۶۰، ۳۶۸، ۳۷۵.

أبو سفیان ۵۴، ۱۸۹، ۲۵۸، ۲۶۵، ۳۷۱، ۳۷۳، ۳۹۰، ۴۳۲، ۴۸۳، ۵۳۷، ۵۶۰.

أبو سلمة ۳۸۸.

أبو طالب (عم رسول اللّه) ۱۱۹، ۱۴۹، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۴، ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۸، ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۷۳، ۲۸۶، ۲۸۸، ۲۹۰، ۲۹۳، ۲۹۹، ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۷۱، ۳۷۷، ۳۷۹، ۳۸۷، ۳۹۴، ۳۹۵، ۳۹۸، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۱۲، ۴۵۹، ۴۶۰، ۵۰۱، ۵۰۶، ۵۰۷، ۵۰۸، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۱۳، ۵۱۴، ۵۱۵، ۵۱۶، ۵۱۷، ۵۱۸، ۵۱۹، ۵۲۰، ۵۲۱، ۵۲۲، ۵۲۳، ۵۲۴، ۵۲۶، ۵۲۷، ۵۲۸، ۵۲۹، ۵۳۰، ۵۳۲، ۵۳۳، ۵۴۱، ۵۴۲، ۵۵۵، ۵۵۶، ۵۶۱، ۵۶۲، ۶۱۹.

أبو العاص بن الربیع ۵۰۳.

أبو عبد شمس ۴۲۰، ۴۲۹، ۴۶۱.

أبو عبیدة (الجراح) ۳۶۸، ۳۸۸.

أبو عثمان ۳۷۶.

أبو عمرة (بشیر بن محصن) ۳۷۰.

أبو عمرو (مؤلف) ۳۶۵، ۳۶۶، ۳۶۷، ۳۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۹

أبو عمرو (عامر الشعبی الکوفی) ۳۷۴.

أبو عمرو (ابن قتیبة) ۳۶۱.

أبو فرج الاصفهانی ۲۸۵.

أبو مرازم ۳۶۹.

أبو لهب ۵۴، ۲۱۵، ۳۷۲، ۳۹۴، ۴۰۹، ۴۱۳، ۴۲۲، ۵۰۲، ۵۶۳، ۵۹۰، ۵۹۱.

أبو مسعود (عمرو بن عمیر الثقفی) ۴۳۹.

أبو مکرز ۵۹۲.

أبو نضر (محمّد بن السائب الکلبی) ۳۷۶.

أبو نعیم (مؤلف) ۲۹۱.

أبو هالة التمیمی ۲۷۴.

أبو هریرة ۲۶۰، ۵۳۳.

أبو هفان العبدی ۵۱۶.

أبو الهیثم بن التیهان ۵۷۱، ۵۷۲.

أبو الولید- عتبة بن ربیعة ۴۳۱.

أبو الیقظان- عمران بن عبد اللّه ۲۶۳.

النساء أم أیمن ۱۷۱، ۱۹۱، ۱۹۷، ۲۲۷، ۲۶۰، ۲۸۹، ۲۹۱، ۳۶۰.

أم أیّوب (الانصاریة) ۶۲۲.

أم جمیل بنت حرب ۴۱۳، ۴۱۴.

أمّ سلمة ۴۵۴، ۶۱۱.

أمّ کلثوم (بنت رسول اللّه) ۲۶۱، ۲۷۸.

أمّ معبد ۶۱۶.

أم هانی (اخت علی بن أبی طالب) ۵۳۵، ۵۳۶، ۵۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۰

«الألقاب» الاصمعی ۶۰۹.

الامینی (العلامة) ۳۵۸، ۳۵۹، ۵۳۰، ۵۸۴.

البلاذری ۶۰۹.

البلاغی ۲۴۱.

البیهقی ۵۴۱.

الترمذی ۳۶۴.

الجاحظ ۵۹۶.

الجنابذی ۲۵۶.

الحاکم النیسابوری ۶۱۲.

الحلبی ۶۰۳.

الخوارزمی ۳۶۰، ۳۶۹.

الدیار بکری ۲۱۰.

ذو القرنین ۳۸۲، ۴۶۴.

الزرقانی ۲۹۲، ۲۴۶، ۳۶۶.

السیوطی (جلال الدین) ۳۶۹، ۳۷۲.

الشبراوی (صاحب الاتحاف) ۲۹۲.

الشهرستانی ۲۸۸.

الشهید الثانی ۲۰۵، ۲۰۷.

الطباطبائی ۳۰۷، ۳۱۱، ۳۴۶.

الطبرسی ۳۰۷، ۳۳۹، ۴۸۱، ۵۴۰، ۵۴۱.

الطبری ۳۴۰، ۳۵۶، ۳۵۸، ۳۶۱، ۳۶۲، ۳۷۹، ۳۸۰، ۳۸۳، ۳۹۶، ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۸۸، ۵۹۸، ۵۹۹.

الطریحی (المؤلف) ۲۰۵.

الطوسی (الشیخ) ۵۹۹، ۶۰۱، ۶۰۳، ۶۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۱

فخر الإسلام ۲۴۱.

الفخر الرازی ۳۰۷، ۳۴۸، ۵۰۹.

الفرزدق ۴۶، ۴۹.

الفردوسی (الشاعر) ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸.

فرعون ۱۲۱، ۱۸۹، ۲۰۰، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۶۲.

القسطلانی ۳۶۷، ۳۷۵.

القوشجی ۱۹۶.

کسری ۱۰۳، ۱۱۰، ۲۰۲، ۳۵۷.

لکلبی ۵۲.

المجلسی (العلامة) ۲۹۶، ۳۴۱، ۴۱۳، ۶۱۶، ۶۲۴.

المسعودی (المؤرخ) ۴۱.

المقریزی ۲۰۴، ۵۹۸.

النفیسی (سعید) ۱۰۴.

الیعقوبی ۲۸۸، ۳۸۵.

النجاشی ۹۶، ۱۶۱، ۳۷۴، ۳۷۵، ۴۵۴، ۴۵۵، ۴۵۶، ۴۵۷، ۴۵۸، ۴۵۹، ۴۶۰، ۴۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۲

(۷) فهرس الوقائع و الأیام

احد (معرکة) ۴۸۶.

الأحزاب (معرکة) ۴۱۶، ۴۶۱، ۴۷۱، ۴۸۰، ۴۸۸.

بدر (معرکة) ۴۱۶، ۴۸۰، ۴۸۶، ۵۶۱.

بعاث (یوم) ۶۷، ۵۷۴.

بیعة العقبة ۵۷۵.

بیعة النساء ۵۷۰.

حادثة الفیل ۱۵۹، ۱۸۲، ۱۸۳، ۱۸۵، ۲۰۳، ۵۵۲، ۶۰۵.

حجة الوداع ۶۴.

حلف الفضول ۲۴۸، ۲۴۹.

الخندق (معرکة) ۴۸۰، ۴۸۶.

داحس و الغبراء (حرب) ۶۵.

صفین (وقعة) ۳۶۶، ۳۶۹، ۳۷۲.

الفجار (حروب) ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۷۳.

القرطاء (غزوة) ۶۱۱.

لیلة المبیت ۵۹۵، ۵۹۶.

المباهلة ۵۳۷، ۵۴۱، ۵۴۲.

المعراج ۵۴۴، ۵۴۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۳

(۸) فهرس الأماکن و البلدان

آسیا ۲۷، ۱۱۶.

الابواء ۲۲۸.

الاتحاد السوفیتی ۱۵۹، ۵۵۱.

الاحساء ۲۸.

الاحقاف ۲۸.

الاردن ۵۳۶.

أرمینیة ۹۸.

الازهر ۳۴۶، ۶۱۴.

افریقیة ۲۸.

امریکا ۸۵.

الاندلس ۱۰۰.

انطاکیة ۲۷، ۸۷، ۸۹، ۹۸.

اوربة ۴۰، ۱۰۰، ۲۳۷.

اورشلیم ۷، ۱۱۱.

ایران ۲۷، ۸۷، ۸۹، ۹۸.

ایطالیا ۲۷.

بابل ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۳۴، ۱۴۰، ۱۴۱.

بادیة سماوة ۲۷.

البحر الاحمر ۲۷، ۲۹، ۳۱، ۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۴

بحیرة ساوة ۲۰۲.

البصرة ۳۰۳، ۳۶۷.

بصری ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۴، ۲۳۵.

بیت اللّه الحرام ۲۸۹.

بیت المقدس ۵۳۶، ۵۳۷، ۶۱۱.

بیروت ۵۱۱.

تهامة (سوق) ۲۵۶.

ثنیة الوداع ۶۲۶.

جبل أبو قیس ۲۸۷.

جدّة ۲۹، ۲۸۴، ۴۵۳.

الجزیرة العربیة ۲۷، ۳۲، ۳۶، ۳۹، ۴۰، ۵۲، ۵۴، ۵۵، ۶۶، ۷۱، ۸۵، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۷، ۹۸، ۱۹۹، ۲۰۲، ۲۸۰، ۲۸۲، ۳۰۶، ۴۱۵، ۵۲۰، ۵۷۶، ۵۸۰.

الجنة و النار ۵۳۶.

الحبشة ۸۷، ۹۶، ۱۵۰، ۱۶۱، ۲۲۴، ۲۸۲، ۲۹۱، ۴۱۵، ۴۲۴، ۴۵۰، ۴۵۱، ۴۵۳، ۴۵۴، ۴۵۷، ۴۶۰، ۴۶۳، ۴۶۵، ۴۶۹، ۴۹۳، ۴۹۴، ۵۰۱، ۵۰۸.

الحجاز ۲۷، ۲۸، ۲۹، ۳۱، ۴۰، ۴۱، ۵۰، ۵۲، ۸۶، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۱۳۲، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۵۲، ۱۵۵، ۱۹۹، ۲۲۴، ۲۸۲، ۲۸۳، ۵۱۱، ۵۱۲، ۵۹۵.

حجر اسماعیل ۱۴۴.

الحجر الاسود ۲۸۴، ۴۱۲.

الحدیدة (میناء) ۳۲.

حراء (جبل/ غار) ۲۸۴، ۳۱۹، ۳۲۰، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۵۴، ۳۸۲، ۳۸۳.

الحیرة ۲۷، ۵۲، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۱۵۰، ۴۵۲.

الخلیج ۲۷، ۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۵

خلیج عمان ۲۷.

الخورنق ۸۸.

خیبر ۲۱۵.

دار الندوة ۱۴۷، ۱۴۸، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۶۸، ۵۰۱، ۵۸۱، ۵۸۳.

دار الخیزران ۳۸۹.

دجلة ۲۷.

دمشق ۸۹، ۳۷۶، ۶۱۰.

الدهناء ۲۸، ۲۳۱.

دیار ثمود ۲۳۱.

ذو المجاز (سوق) ۲۴۵.

ذی طوی ۶۱۸.

الربع الخالی ۲۸.

زمزم ۳۷، ۹۰، ۱۴۴، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۳۶۳، ۳۶۶.

سبأ ۳۳.

سدرة المنتهی ۵۳۶.

سویسرا ۲۷.

الشام ۲۷، ۸۶، ۸۹، ۹۰، ۱۱۷، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۵، ۱۶۹، ۱۸۷، ۱۹۱، ۱۹۶، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۵۶، ۲۵۸، ۲۷۰، ۲۷۹، ۲۹۳، ۳۰۳، ۳۶۶، ۴۴۱، ۴۵۲، ۵۱۷، ۵۲۷، ۵۳۷، ۵۶۵، ۵۹۴.

شعب أبی طالب ۵۱۲.

صحراء الشام ۲۷.

صحراء العرب ۲۷، ۳۱.

صحراء النفوذ ۲۵۸.

صنعاء ۳۲، ۳۳.

ضجنان ۶۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۶

الظهران ۲۸.

الطائف ۲۹، ۵۴، ۹۰، ۲۴۷.

العدن ۳۱.

العراق ۸۷، ۱۴۹، ۲۶۱، ۳۶۵، ۳۶۸، ۳۷۳، ۵۵۷، ۵۵۹، ۵۹۵.

العربیة السعودیة ۴۱، ۵۱۲.

العرم عسفان العقبة ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۱، ۵۷۵، ۵۷۶.

عکاظ (سوق) ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷.

غار ثور ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۱، ۶۰۳، ۶۱۹.

غزة ۱۴۹.

الفرات ۲۷، ۸۷، ۱۲۰، ۳۷۱.

فرنسا ۲۷.

فلسطین ۲۷، ۲۹، ۳۷، ۱۱۷، ۱۴۱، ۵۳۶.

القاهرة ۳۷۹.

قبا ۶۱۷.

القسطنطینیة ۸۹.

القطیف ۵۱۱.

قم ۵۱۲.

الکعبة المعظمة ۲۹، ۳۰، ۵۴، ۱۳۳، ۱۴۵، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۵۹، ۱۶۲، ۱۶۴، ۱۸۶، ۱۸۷، ۱۸۸، ۲۰۲، ۲۰۷، ۲۴۹، ۲۶۵، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۹۰، ۲۹۶، ۳۵۷، ۳۶۷، ۴۰۴، ۴۳۲، ۴۴۱، ۴۸۸، ۵۰۱، ۶۱۱.

الکوفة ۸۸.

مازندران ۱۰۶.

مأرب ۳۳، ۴۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۷

مجنة (سوق) ۲۴۵.

المحیط الهندی ۲۷.

مدین ۲۳۱.

المدینة المنورة ۲۹، ۳۰، ۳۶، ۵۱، ۵۴، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۱، ۹۷، ۱۰۱، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۳۵، ۱۶۰، ۲۱۹، ۲۹۱، ۳۸۲، ۴۴۲، ۵۱۲، ۵۶۱، ۵۶۵، ۵۷۸، ۵۸۱، ۵۸۲، ۵۸۳، ۵۸۶، ۵۹۱، ۵۹۲، ۶۰۴، ۶۰۹، ۶۱۲، ۶۱۵، ۶۱۶، ۶۱۷، ۶۲۲، ۶۲۳، ۶۲۴.

مراکش ۵۹۶.

مروة (جبل) ۱۴۳، ۲۳۵.

المسجد الاقصی ۵۳۶، ۵۳۸، ۵۳۹.

المسجد الحرام ۲۸۴، ۴۱۸، ۵۳۸، ۵۳۹، ۵۶۰.

مصر ۱۲۱، ۱۴۱، ۲۴۳.

المغمس ۱۶۲.

مکة المکرمة ۲۹، ۳۰، ۳۷، ۵۰، ۵۱، ۵۲، ۵۳، ۵۴، ۹۰، ۹۱، ۹۶، ۱۰۱، ۱۴۱، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۷، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۲، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۸۵، ۱۸۷، ۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۶، ۱۹۷، ۲۰۷، ۲۱۶، ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۷، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۴، ۲۴۷، ۲۴۹، ۲۵۳، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۸، ۲۸۹، ۲۹۰، ۳۰۳، ۳۰۵، ۳۶۶، ۳۶۹، ۳۷۶، ۳۸۸، ۳۸۹، ۳۹۰، ۳۹۱، ۴۰۴، ۴۰۵، ۴۰۶، ۴۱۳، ۴۱۴، ۴۱۹، ۴۲۰، ۴۲۱، ۴۵۱، ۴۵۲، ۴۵۳، ۴۵۵، ۴۶۰، ۴۶۱، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۶۶، ۴۶۸، ۴۷۴، ۴۸۱، ۴۸۲، ۴۸۳، ۴۸۵، ۴۸۹، ۴۹۳، ۴۹۴، ۵۰۱، ۵۰۲، ۵۰۳، ۵۰۴، ۵۱۵، ۵۱۹، ۵۲۲، ۵۳۶، ۵۳۷، ۵۳۹، ۵۵۹، ۵۶۰، ۵۶۱، ۵۶۲، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۷، ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۳، ۵۷۵، ۵۷۶، ۵۷۷، ۵۸۰، ۵۸۱، ۵۸۳، ۵۸۶، ۵۸۷، ۵۹۱، ۵۹۲، ۵۹۳، ۵۹۷، ۶۰۴، ۶۰۸، ۶۱۵، ۶۱۶، ۶۱۷، ۶۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۸

نجد ۳۱، ۴۱.

نجران ۸۹، ۱۶۰، ۶۱۰.

نینوی ۱۱۸، ۵۵۸.

الهند ۸۵، ۱۱۵، ۲۶۵.

وادی القری ۲۳۱، ۵۶۵.

یثرب ۳۰، ۱۵۲، ۱۵۸، ۱۶۰، ۱۹۷، ۲۷۷، ۳۰۳، ۵۶۵، ۵۶۶، ۵۶۹، ۵۷۰، ۵۷۳، ۵۸۳، ۶۰۲، ۶۰۴، ۶۰۸، ۶۲۲، ۶۲۴.

الیمن ۲۷، ۳۱، ۳۲، ۳۳، ۳۶، ۴۱، ۸۶، ۸۹، ۱۴۲، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۵، ۱۸۷، ۲۳۳، ۲۹۳، ۴۵۲، ۵۶۵، ۵۹۵.

الیمامة ۴۸۶.

الیونان ۳۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۹

(۹) المذاهب و الأدیان و نظم الحکم

الآشوریة ۴۰.

الأحناف ۲۸۳.

الاستشراق و المستشرقون ۲۱۹، ۲۳۲، ۲۳۵.

الاشکنانی ۸۷.

الریاضة و المرتاضون ۱۸۲، ۱۸۴.

الزردشتیة ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۵.

الشاهنشاهیة ۸۶، ۶۱۴، ۶۱۵.

العثمانیة ۳۶۷.

الکهانة ۱۵۸.

اللاهوتیة ۱۰۰.

المانویة ۱۱۲.

المجوسیة و المجوس ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۱۷.

المزدکیة ۱۱۳، ۱۱۴.

المدرسیة (الفلسفة) اسکولاستیک ۱۰۰.

النصرانیة و النصاری ۴۴۲، ۴۴۵، ۴۵۲، ۴۵۹، ۴۶۳، ۴۷۹.

الیعقوبیة ۹۹.

الوهابیة و الوهابیون ۵۹۶.

الیهود و الیهودیة ۱۵۹، ۲۹۱، ۳۸۲، ۴۴۲، ۴۴۵، ۴۵۲، ۴۶۳، ۴۶۴، ۴۷۱، ۴۷۵، ۴۸۷، ۵۶۵، ۵۶۸، ۵۶۹، ۵۷۳، ۵۷۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۰

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمیة المبحوثة ضمنا

۱- بحث علمی حول المعجزة ۱۶۵

۲- طهارة النبی (ص) من دنس الآباء و عهر الامّهات ۱۶۵

۳- الاحتفال بذکری المولد النبویّ لیس شرکا ۲۰۸

۴- خطأ المستشرقین فی اسم النبیّ (ص) ۲۱۲

۵- «أحمد» کان من أسماء النبیّ (ص) المشهورة ۲۱۳

۶- نظرة الاسلام فی تأثیر الرضاع ۲۱۷

۷- بحث قرآنی و تاریخیّ حول کرامات فترة الطفولة عند النبی ۲۱۹

۸- مقایسة عابرة بین القرآن و العهدین ۲۳۶

۹- خدیجة فی احادیث الرسول و اهل بیته (ع) ۲۵۸

۱۰- بحث حول دین النبی قبل البعثة ۲۹۲

۱۱- دور الأنبیاء الاساسی فی اصلاح المجتمع ۳۱۶

۱۲- بحث حول الوحی فی نظر الماديين و الالهیین ۳۲۲

۱۳- مناقشة الاساطیر المدسوسة فی قصة بدء نزول الوحی ۳۴۰

۱۴- خاتمیة رسول الاسلام ۳۵۳

۱۵- النبوة و الامامة توأمان ۴۴۲

۱۶- أسرار النزول التدریجیّ للقرآن ۴۴۴

۱۷- دراسة لآیات من سورة الحج حول إلقاء الشیطان ۴۹۴

۱۸- دراسة علمیة لحدیث الضحضاح ۵۳۰

۱۹- المعراج و القوانین العلمیّة الحدیثة ۵۴۸

۲۰- لما ذا اتخذ العام الهجری مبدأ للتاریخ الاسلامی ۶۰۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۱

۱۱- فهرس المواضیع

۱- شبه الجزیرة العربیّة أو مهد الحضارة الإسلامیة ۲۷- ۳۳ مکة المعظمة ۲۹

تاریخ مکّة ۲۹

المدینة المنوّرة ۳۰

۲- العرب قبل الإسلام ۳۵- ۹۶ أخلاق العرب و تقالیدهم ۳۷

هل کان للعرب حضارة؟ ۳۹

ملامح المجتمع الجاهلی العربی من منظور القرآن ۴۲

۱- الشرک فی العبادة ۴۳

۲- إنکار المعاد ۴۳

۳- هیمنة الخرافات ۴۴

۴- الفساد الاخلاقی ۴۵

۵- وأد البنات و إقبارهنّ ۴۶

۶- تصوّراتهم الخرافیّة حول الملائکة ۴۷

۷- کیفیّة الانتفاع من الانعام ۴۷

۸- الاستقسام بالأزلام ۴۸

۹- النسیء ۴۸

۱۰- الربا ۴۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۲

صور من الوضع الجاهلی ۵۰

العقیدة و الدین فی الجزیرة العربیة ۵۲

عقیدة العرب حول حالة الانسان بعد الموت ۵۶

الآداب مرآة أخلاق الشعوب و نفسیاتها ۵۷

مکانة المرأة عند العرب الجاهلیین ۵۸

المرأة و مکانتها الاجتماعیة عند العرب ۶۰

العرب و الرّوح القتالیة ۶۴

الأخلاق العامّة فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۶۶

النزوع إلی الخرافة و الاساطیر فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۶۷

الخرافات عند العرب الجاهلیین ۷۰

نماذج من الخرافات فی المجتمع العربی الجاهلیّ ۷۲

۱- الاستسقاء باشعال النیران ۷۲

۲- ضرب الثّور إذا عافت البقر الماء ۷۲

۳- کیّ صحیح الابل لیبرأ السقیم ۷۳

۴- حبس ناقة عند القبر إذا مات ۷۳

۵- عقر الإبل علی القبور ۷۴

۶- نهیق الرجل إذا أراد دخول القریة ۷۴

۷- تصفیق الضالّ فی الصحراء لیهتدی ۷۵

۸- الرتم ۷۵

۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها ۷۵

۱۰- طرح السنّ نحو الشمس إذا سقطت ۷۶

۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون ۷۶

۱۲- دم الرئیس یشفی ۷۶

۱۳- شق البرقع و الرداء یوجب الحب المتقابل ۷۷

۱۴- معالجة المرضی بالامور العجیبة ۷۷

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۳

۱۵- خرافات فی مجال الغائب ۷۷

۱۶- عقائدهم العجیبة فی الجن و تأثیره ۷۹

۱۷- تشاءمهم بالحیوانات و الطیور و الاشیاء ۸۰

مکافحة الإسلام لهذه الخرافات ۸۰

أوضاع العرب الاجتماعیة قبیل ظهور الإسلام ۸۳

الدین فی أرض الحجاز ۸۹

العلم و الثقافة فی الحجاز ۹۱

الإمام علیّ (ع) یصف العهد الجاهلی ۹۲

فاطمة الزهراء (ع) تصف الوضع العربی الجاهلی ۹۵

جعفر بن أبی طالب یصف الوضع العربی الجاهلی ۹۶

۳- إمبراطوریتا الروم و إیران إبّان عهد الرّسالة ۹۷- ۱۱۸ أوضاع الروم إبّان عهد الرّسالة ۹۸

ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومیّ ۹۹

أوضاع ایران إبّان عهد الرّسالة ۱۰۱

البذخ و الترف فی البلاط الساسانی ۱۰۲

الوضع الاجتماعی فی إیران ۱۰۴

حق التعلّم خاصّ بالطبقات الممتازة ۱۰۵

صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز ۱۰۹

حکم التاریخ فی عهد الملوک الساسانیین ۱۱۰

الفوضی فی الحکومة الساسانیة ۱۱۱

الفوضی الدینیة فی ایران الساسانیین ۱۱۲

الحروب الإیرانیة الرومیّة ۱۱۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۴

۴- أسلاف رسول الإسلام (ص) ۱۱۹- ۱۹۸ ۱- بطل التوحید: إبراهیم الخلیل (ع) ۱۱۹

النبی ابراهیم و مکافحته للوثنیة ۱۲۳

حوار الخلیل مع عبّاد الکواکب ۱۲۵

طریقة الأنبیاء فی الحوار و الجدال ۱۲۹

هل کان آزر والد إبراهیم ۱۳۰

القرآن ینفی ابوّة آزر لإبراهیم ۱۳۲

إبراهیم محطّم الاصنام ۱۳۳

العبر القیّمة فی هذه القصّة ۱۳۷

هجرة الخلیل علیه السّلام ۱۴۱

عین زمزم کیف ظهرت؟ ۱۴۳

۲- قصیّ بن کلاب (الجد الثانی لرسول اللّه) ۱۴۶

۳- عبد مناف (الجد الثالث) ۱۴۷

۴- هاشم (الجد الثانی) ۱۴۸

امیّة یحسد هاشما! ۱۵۰

هاشم یتزوّج ۱۵۱

۵- عبد المطلب (الجد الأول) ۱۵۳

التفانی فی سبیل الوفاء بالعهد و النذر ۱۵۷

حادثة عام الفیل ۱۵۹

ما هی عوامل هذه الحادثة؟ ۱۶۰

عبد المطلب یذهب إلی معسکر أبرهة ۱۶۳

کلمة حول المعجزة ۱۶۵

نقاط تقتضی التأمّل فی تفسیر حادث الفیل بالجدری ۱۶۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۵

بحث علمی حول المعجزة فی نقاط خمس: ۱۷۲

۱- ما هی المعجزة و ما هو تعریفها؟ ۱۷۳

۲- هل الإعجاز یهدم القوانین العقلیة المسلّمة ۱۷۵

أنواع العلل و الاسباب: ۱۷۶

أ) العلة الطبیعیة العادیة ۱۷۶

ب) العلة الطبیعیة غیر العادیة و غیر المعروفة ۱۷۶

ج) تأثیر النفوس و الأرواح ۱۷۶

د) العلل المجرّدة عن المادة ۱۷۷

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادیة غیر معروفة فقط؟ ۱۷۸

۴- کیف تدل المعجزة علی صحّة ادّعاء النبوّة؟ ۱۷۹

۵- بما ذا نمیز المعاجز عن غیرها من الخوارق؟ ۱۸۰

أوهام قریش تتفاقم ۱۸۷

عبد اللّه والد النبیّ (ص) ۱۸۹

دور الأیادی المشبوهة فی تاریخ الإسلام ۱۹۱

قصة فاطمة الخثعمیة ۱۹۲

علائم الاختلاق فی هذه القصة ۱۹۳

طهارة النبیّ من دنس الآباء و عهر الامهات ۱۹۵

وفاة عبد اللّه (والد النبیّ) فی یثرب ۱۹۶

۵- مولد رسول اللّه (ص) ۱۹۹- ۲۲۴ فترة الطفولة فی حیاة العظماء ۱۹۹

فی أیّ یوم ولد رسول اللّه (ص) ۲۰۳

أیّ هذین القولین هو الصحیح؟ ۲۰۴

فترة الحمل ۲۰۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۶

نظریة فی یوم المولد النبویّ و مؤاخذات علیه ۲۰۷

الاحتفال بذکری المولد النبویّ لیس شرکا ۲۰۸

مراسم تسمیة النبیّ (ص) ۲۱۱

خطأ المستشرقین فی اسم النبیّ (ص) ۲۱۲

أحمد کان من اسماء النبیّ المشهورة ۲۱۳

فترة الرضاع فی حیاة النبیّ (ص) ۲۱۵

نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع ۲۱۷

۶- فترة الطفولة فی حیاة النبیّ (ص) المادیون و بعض المستشرقین و کرامات عهد الطفولة ۲۱۹

خمسة اعوام فی ربوع الصحراء ۲۲۳

۷- العودة إلی احضان العائلة ۲۲۵- ۲۴۲ سفرة إلی یثرب ۲۲۷

وفاة عبد المطلب ۲۲۹

کفالة أبی طالب للنبیّ (ص) ۲۲۹

سفرة إلی الشام مع أبی طالب ۲۳۰

اکذوبة المستشرقین فی قصة بحیری ۲۳۲

مقارنة بین القرآن و التوراة و الانجیل ۲۳۶

۱- النبیّ داود (ع) ۲۳۷

۲- النبیّ سلیمان (ع) ۲۳۷

۳- النبیّ یعقوب (ع) ۲۳۸

۴- النبیّ إبراهیم (ع) ۲۳۹

۵- النبیّ نوح (ع) ۲۴۰

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۷

۸- فترة الشّباب فی حیاة النبیّ الأکرم (ص) ۲۴۳- ۲۵۰ رسول اللّه (ص) و قدرته الروحیة ۲۴۴

حروب الفجار ۲۴۴

الفجار الأول ۲۴۵

الفجار الثانی ۲۴۶

الفجار الثالث ۲۴۶

الفجار الرابع ۲۴۶

حلف الفضول ۲۴۸

۹- من فترة الشباب إلی مزاولة التجارة ۲۵۱- ۲۷۴ النبیّ للغنم و أسباب ذلک ۲۵۳

اقتراح أبی طالب بالتجارة لخدیجة ۲۵۴

هل عمل النبی اجیرا لخدیجة؟ ۲۵۵

خدیجة زوجة الرسول الاولی ۲۵۸

خدیجة فی أحادیث الرسول الأکرم (ص) ۲۶۰

العلل الظاهرية و الحقيقيّة وراء زواج خديجة بالنبيّ (ص) ۲۷۰

كيف تمّت خطبة خديجة؟ ۲۷۲

عمر خديجة عند زواجها بالنبيّ (ص) ۲۷۴

۱۰- من الزواج إلى البعثة ۲۷۵- ۳۱۲ فترة الشباب فى حياة رسول الإسلام (ص) ۲۷۶

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۸

أحاسيسه و مشاعره الانسانيّة فى فترة الشّباب ۲۷۷

أولاد خديجة ۲۷۸

حدس لا أساس له من الواقع فى شأن خديجة ۲۷۸

دعيّ رسول اللّه: زيد بن حارثة ۲۷۹

بداية الخلاف فى صفوف الوثنيين ۲۸۰

أعمدة الوثنية تهتزّ ۲۸۱

نموذج آخر من ضعف قريش ۲۸۳

أمين قريش يكفل عليّا ۲۸۵

إيمان النبيّ و آبائه و كفلائه قبل الإسلام ۲۸۶

إيمان جدّه عبد المطلب ۲۸۶

إيمان كفيله و عمه أبى طالب ۲۹۰

إيمان والدى النبيّ الأكرم ۲۹۱

إيمان النبيّ باللّه و توحيده قبل البعثة ۲۹۲

مناقشة الآيات التى استدل بها النافون لايمان النبيّ ۲۹۲

الآية الاولى: الهداية بعد الضلال ۲۹۷

الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز ۳۰۰

الآية الثالثة: عدم علمه بالكتاب و الايمان ۳۰۲

تفسير هذه الآية باخرى ۳۰۶

الآية الرابعة: عدم رجائه القاء الكتاب إليه ۳۰۸

الآية الخامسة: قوله تعالى: «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ» ۳۱۰

۱۱- بدء الوحى ۳۱۳- ۳۴۲ دور الأنبياء الأساسى فى إصلاح المجتمع ۳۱۷

مثل واضح فى المقام ۳۱۷

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۹

أمين قريش فى غار حراء ۳۱۹

بدء الوحى ۳۲۱

ظاهرة القضايا الغيبيّة فى منظار الماديّين ۳۲۲

الروح المجرّدة ۳۲۴

ظاهرة الوحى عند الماديّين ۳۲۵

أبرز التحليلات المادية لظاهرة الدين ۳۲۵

ظاهرة الوحى فى منظار العقل و الدين ۳۳۳

قنوات المعرفة الثلاثة: التجربة، العقل، الالهام ۳۳۴

انواع الوحى من المنظور القرآنى ۳۳۶

اساطير مختلفة حول حال النبىّ عند نزول الوحى ۳۳۶

بقية قصّة نزول الوحى الأوّل ۳۳۷

خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل ۳۳۸

بطلان هذه المزاعم و الاساطير ۳۴۰

۱۲- متى نزل الوحى أوّلا؟

۳۴۳- ۳۵۲ الرأى المشهور بين علماء السنة و استدلالهم ۳۴۳

ردود الشيعة على هذا الرأى ۳۴۴

الجواب الأول (التفريق بين النزول الدفعى و التدريجى) ۳۴۶

الجواب الثانى (نزول حقيقة القرآن فى رمضان على قلب النبىّ ص) ۳۴۶

الجواب الثالث (التفكيك بين مبدأ نزول القرآن و البعثة) ۳۴۶

الأنبياء و التبشير برسول اللّه (ص) محمّد خاتم الأنبياء

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹۰

۱۳- ما سبقنى أحد ۳۵۳- ۳۸۶ من هو أول من آمن بالنبىّ (ص) من الرّجال و النّساء؟ ۳۵۳

من النساء: خديجة ۳۵۳

أقدم الرجال إسلاما: علىّ بن أبى طالب ۳۵۴

الدلائل التاريخية و النصوص الدالة على اسبقية الإمام على ۳۵۴

على تربّى فى حجر النبىّ الأكرم (ص) ۳۵۵

على و خديجة يقيمان الصلاة مع النبىّ ۳۵۷

«أنا الصدّيق الأكبر» ۳۵۷ سيد المرسلين ج۱ ۶۹۰ ۱۱ - فهرس المواضيع ..... ص : ۶۸۱

أوّلكم إسلاما على» ۳۵۸

النصوص النبويّة الاخرى ۳۵۹

كلمات أمير المؤمنين (ع) ۳۶۱

كلمات الإمام السبط الحسن (ع) ۳۶۴

رأى الصّحابة و التابعين فى أوّل من أسلم ۳۶۴

مناظرة بين المأمون و إسحاق فى إسلام علىّ ۳۷۸

قضيّة انقطاع الوحى ۳۷۹

اسطورة و ليس تاريخا ۳۸۰

اختلاف المؤرخين فى مسألة انقطاع الوحى ۳۸۱

۱۴- الدعوة السرّية، دعوة الأقربين ۳۸۷- ۴۰۰ دعوة الاقربين ۳۸۹

کیفیّة دعوة الاقربین ۳۹۴

خیانة تاریخیة و جنایة أدبیّة ۳۹۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۱

النبوة و الإمامة توأمان ۳۹۸

۱۵- الدعوة العامّة ۴۰۱- ۴۲۸ الثّبات و الاستقامة علی طریق الهدف ۴۰۲

ثبات النبیّ (ص) و صبره ۴۰۳

قریش تمشی إلی أبی طالب للمرة الثالثة ۴۰۶

قریش تحاول تطمیع النبیّ (ص) ۴۰۷

نماذج من إیذاء قریش و تعذیبها للمسلمین ۴۰۸

أبو جهل یکمن لرسول اللّه (ص) ۴۱۲

أبو لهب یؤذی رسول اللّه (ص) ۴۱۳

صبر النبیّ (ص) و استقامته ۴۱۴

بعض من اوذوا باشدّ الأذی: ۴۱۴

۱- بلال الحبشیّ ۴۱۵

۲- آل یاسر رمز الصّمود و المقاومة ۴۱۶

۳- عبد اللّه بن مسعود ۴۱۷

۴- أبو ذر أوّل المجاهرین بالإسلام ۴۱۸

قبیلة غفار تعتنق الإسلام ۴۲۱

أعداء النبیّ الألدّاء ۴۲۲

عمر بن الخطاب یعتنق الإسلام ۴۲۴

۱۶- رأی قریش فی القرآن ۴۲۸- ۴۴۹ حکم الولید بن المغیرة فی شأن القرآن ۴۲۸

نموذج آخر من حکم البلغاء فی شأن القرآن ۴۳۰

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۲

تحجّجات قریش العجیبة ۴۳۲

الدوافع وراء معاداة قریش و عنادهم: ۴۳۸

۱- حسدهم لرسول اللّه (ص) ۴۴۰

۲- معارضة الدعوة الاسلامیة لشهواتهم ۴۴۰

۳- الخوف من العقاب الاخرویّ ۴۴۰

۴- الخوف من ردّ فعل القبائل العربیة المشرکة ۴۴۱

طائفة من اعتراضات المشرکین ۴۴۱

القرآن الکریم و النزول التدریجی ۴۴۲

الأسرار المنطقیة للنزول التدریجیّ للقرآن الکریم ۴۴۴

أسرار اخری لنزول القرآن تدریجا ۴۴۷

۱۷- الهجرة إلی الحبشة ۴۵۰- ۴۶۵ الهجرة الاولی إلی الحبشة ۴۵۰

الهجرة الثانیة الی الحبشة ۴۵۴

قریش توفد رجالا لاسترداد المسلمین ۴۵۵

العودة من الحبشة ۴۶۰

وفد مسیحیّ یدخل مکّة لتقصّی الحقائق ۴۶۲

قریش توفد إلی یهود یثرب للتحقیق فی أمر النبیّ (ص) ۴۶۳

۱۸- الاسلحة الصدیئة و الاسالیب الفاشلة ۴۶۶- ۴۸۶ ۱- الاتهامات الباطلة ۴۶۶

الإصرار فی نسبة الجنون إلی رسول اللّه (ص) ۴۶۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۳

۲- القرآن یردّ علی جمیع الاتهامات ۴۷۱

فکرة معارضة القرآن ۴۷۳

تحجّجات صبیانیة و جاهلیة ۴۷۴

مقترحات عجیبة و مطالیب غریبة ۴۷۶

صمود النبیّ و صبره ۴۷۷

معاجز النبی (ص) لم تقتصر علی القرآن ۴۷۸

بعض معاجز النبیّ غیر القرآن ۴۷۸

۱- شقّ القمر ۴۷۸

۲- المعراج ۴۷۸

۳- مباهلة أهل الباطل ۴۷۹

۴- الإخبار بالمغیبات ۴۷۹

حرص النبیّ علی هدایة قریش ۴۸۰

۳- قرار تحریم الاستماع للقرآن ۴۸۱

واضعو القرار ینقضون قرارهم ۴۸۳

منع الأشخاص من الإیمان برسول اللّه (ص) ۴۸۳

۱- الأعشی ۴۸۴

۲- الطفیل بن عمرو الدوسی ۴۸۵

۱۹- اسطورة الغرانیق ۴۸۷- ۴۹۸ ما هی اسطورة الغرانیق؟ ۴۸۸

محاسبة بسیطة لهذه الاسطورة تفنّدها ۴۸۹

رأی العقل فی هذه القصّة الاسطورة ۴۹۰

تفنید القصة من طریق آخر ۴۹۲

دلیل لغویّ علی تفنید هذه الاسطورة ۴۹۳

دراسة آیات من سورة الحج حول القاء الشیطان ۴۹۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۴

ما هو المقصود من تمنّی الأنبیاء و الرسل؟ ۴۹۵

ما هو المقصود من تدخل الشیطان و القائه؟ ۴۹۵

ما هو المقصود من محو آثار التدخل و الإلقاء ۴۹۷

۲۰- الحصار الاقتصادی و الاجتماعی ۴۹۹- ۵۱۰ قریش تحاصر النبیّ و المسلمین اجتماعیا و اقتصادیا ۵۰۰

قریش و الصحیفة القاطعة وضع بنی هاشم المأساویّ فی شعب أبی طالب ۵۰۳

۲۱- وفاة أبی طالب و خدیجة الکبری ۵۱۱- ۵۳۳ نماذج من مشاعر أبی طالب تجاه النبیّ (ص) ۵۱۴

التغییر فی برنامج السفر ۵۱۷

الدفاع عن حوزة العقیدة و الإیمان ۵۱۸

تصوّر باطل عن مشاعر أبی طالب تجاه النبیّ (ص) ۵۲۰

الدافع الحقیقی لأبی طالب ۵۲۰

لمحات من تضحیات أبی طالب ۵۲۱

قضیّة ذات بواعث سیاسیّة ۵۲۳

طرق ثلاث لإثبات إیمان أبی طالب ۵۲۴

۱- آثار أبی طالب العلمیّة و الادبیة ۵۲۵

۲- مواقفه من النبی و الرسالة الاسلامیة ۵۲۶

وصیة أبی طالب عند وفاته ۵۲۸

۳- شهادات اقرباء أبی طالب (من أهل البیت) ۵۲۹

رأی علماء الشیعة فی أبی طالب ۵۳۰

نظرة إلی روایة الضحضاح ۵۳۰

ضعف أسناد هذه الروایة ۵۳۱

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۵

الف: سفیان بن سعید الثوریّ ۵۳۱

باء: عبد الملک بن عمیر ۵۳۱

جیم: عبد العزیز بن محمّد الدراوردی ۵۳۲

نصّ حدیث الضحضاح یخالف الکتاب و السنة ۵۳۲

۱- القرآن الکریم: لا مغفرة للکافر ۵۳۳

۲- السنة النبویة: لا شفاعة للمشرک ۵۳۳

۲۲- المعراج فی القرآن و السّنة و التاریخ ۵۳۵- ۵۵۴ هل للمعراج جذور قرآنیة؟ ۵۳۷

أحادیث المعراج ۵۴۰

متی وقعت هذه الحادثة؟ ۵۴۱

هل کان المعراج جسمانیا؟ ۵۴۳

ما هو المراد من المعراج الروحانی ۵۴۴

نغمة شاذة ۵۴۷

المعراج و قوانین العلم الحدیث ۵۴۸

الهدف من المعراج ۵۵۳

۲۳- سفرة إلی الطائف ۵۵۵- ۵۶۴ النبی (ص) یعود إلی مکة ۵۵۹

نقطه هامة ۵۶۱

الدعوة فی أسواق العرب ۵۶۲

دعوة رؤساء القبائل فی مواسم الحج ۵۶۳

۲۴- بیعة العقبة ۵۶۵- ۵۸۲ وقعة بعاث ۵۶۷

تفصیل الحادثة ۵۶۸

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۶

بیعة العقبة الاولی ۵۶۹

بیعة العقبة الثانیة ۵۷۰

أوضاع المسلمین بعد بیعة العقبة ۵۷۳

ردود فعل قریش تجاه بیعة العقبة ۵۷۵

تأثیر الاسلام و نفوذه المعنویّ ۵۷۷

مخاوف قریش المتزایدة ۵۸۰

۲۵- قصّة الهجرة النبویّة حوادث السنة الاولی من الهجرة الشریفة ۵۸۳- ۶۲۴ الإمدادات الغیبیة و العنایات الربانیة ۵۸۵

ملاک الوحی یخبر رسول اللّه بمؤامرة قریش ۵۸۷

اقتحام الاعداء لبیت الوحی و الرسالة ۵۹۰

النبیّ فی غار ثور ۵۹۱

قریش تفتش عن النبیّ (ص) ۵۹۲

التفانی فی سبیل الحق ۵۹۳

کلام من ابن تیمیة فی مبیت علیّ (ع) ۵۹۶

الجواب التفصیلی علی هذا الکلام ۵۹۸

الخطیب و قضیّة المبیت ۶۰۰

بقیة قصة الهجرة النبویة ۶۰۱

الخروج من الغار ۶۰۳

صفحة التاریخ الاسلامی الاولی ۶۰۴

لما ذا أصبح عام الهجرة مبدأ للتاریخ الاسلامی ۶۰۵

الهجرة النبویة مبدأ لتاریخ المسلمین کافة ۶۰۶

من الذی جعل الهجرة مبدأ للتاریخ الاسلامی ۶۰۸

نماذج من رسائل النبیّ المؤرّخة بالعام الهجریّ ۶۰۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۹۷

التذکیر بنقطتین ۶۱۳

مؤامرة الطاغوت ۶۱۴
برنامج الرحلة فى حادث الهجرة ۶۱۵
النزول فى قرية قباء ۶۱۷
المدينة تهب لاستقبال النبىّ (ص) ۶۱۹
النبىّ (ص) يدخل المدينة ۶۲۱
أصل النفاق و منشأه ۶۲۳
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹